صفحات -17 تا 552 را از كتاب «ينابيع الحكمة المجلد 1 ، در الهيات» انتخاب كرده ايد ،

براي ضبط اين صفحات در ديسك ،در منوي File روي SaveAs كليك كرده و نام دلخواه خود را براي ضبط وارد نماييد.

فايل با پسوند htm. در ديسك ايجاد ميشود ، با كليك روي فايل توسط برنامه Internet Explorer ميتوانيد آن را مطالعه نماييد.

ينابيع الحكمة المجلد 1 ، در الهيات
مؤلف : مرحوم آقاي حاج محمد خان كرماني (اع)
صفحات -17 تا 552

صفحه -١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس ما في القسم الاول من الكتاب المستطاب المسمي بينابيع الحكمة من المقالات و المقامات و الفصول ذكر فيه مقدمتان ثم اذيلتا بمقالات :

٥ المقدمة الاولي - في الرؤس الثمانية
١٦ المقدمة الثانية - في بيان الدليل
٢٥ القسم الاول - في الالهيات بمعني الاخص و فيه مقالات :
٢٥ المقالة الاولي - في اثبات الصانع و توحيده و فيها مقامات :
٢٥ المقام الاول - في اثباته و توحيده في ذاته علي نحو الكلية و فيه فصول :
٢٥ فصل - في اثباته بدليلٍ كلاميّ فيه تقسيم الشئ الي القديم و الحادث
٢٦ فصل - في اثباته بدليلٍ آخر ينفي فيه كون الطبع محرّكا للاشياء و آمرا و ناهيا لها
٢٦ فصل - في بيان ما استدل به اميرالمؤمنين لولده عليهما السلام في التوحيد قال عليه السلام لو كان اله غيره الخ
٢٨ فصل - في معني الحدوث
٣٢ فصل - في نحو استدلال لاهل الكشف و العيان علي وجود الصانع
٣٣ فصل - في الاستدلال بذلك علي وحدته تعالي
٣٤ فصل - في ان طلب الدليل علي وحدة الرب الجليل رأي عليل و لا شريك له من وجود او ماهية
٣٤ فصل - ان وحدته تعالي غير الوحدة العددية الخلقية
٣٦ فصل - في بساطته تعالي و عدم تركبه
٣٩ فصل - فيما زعموا ان بسيط الحقيقة ببساطته كل الاشياء
٤٣ فصل - في ان الصفات لاتجتمع الذات

صفحه -١٦

---

٤٣ فصل - في المعرفة و فيه عنوانات وصلية :
٤٤ وصل - في انه ليس للصفات و جميع التنزيهات معني غير الذات
٤٤ وصل - في استحالة درك الاحد
٤٥ وصل - في ان منتهي حظ العبد من معرفة الرب معرفة نفسه و هي آيته
٤٦ وصل - في ان العارف بالله هو الله و لايعرفه غيره و المدعي لمعرفته كاذب
٤٧ وصل - زيادة بيان في ذلك
٤٨ وصل - في بيان معني ما يقال من ان معرفة الذات من المحالات فنعرفها بالاسماء و الصفات
٥٠ وصل - في بيان ما رواه عن ابيه اعلي الله مقامه و رفع في الدارين اعلامه في معرفة الرب و التمثيل بالحديد و ما يصنع منه من السكين و المسمار
٥١ المقام الثاني - في توحيد الصفات و شرح ما يلزم من الآيات و العلامات و فيه فصول :
٥١ فصل - في بيان معني الصفة
٥٣ فصل - فيما قسم بعض القشريين جميع الموجودات الي ذات و صفة و تعريفه لهما
٥٥ فصل - في بيان الحق في ذلك
٥٩ فصل - في كلام رواه عن ابيه العلّام في الصفات الثبوتية و السلبية
٦١ فصل - في الصفات التنزيهية و التشبيهية
٦٣ فصل - في ان ما قالوا في تثليث الصفات غير سديد
٦٦ فصل - في ان اسماء الله تعالي مبادي جميع الخلق و فيه ذكر السبب و الشرط و العلة
٦٨ فصل - في ان عدّ التكلم و الارادة و الصدق من الصفات الذاتية خطاء محض
٧٦ فصل - في علمه سبحانه و فيه مباحث :

صفحه -١٥

٧٦ الاول - في ما ذهب اليه الناس في مسألة العلم من المذاهب السبعة
٧٩ الثاني - في ذكر بعض اصول و مقدمات مما يبتني عليه فهم مسألة العلم
٧٩ اصل - في الاشكال الناشي من علمه تعالي بخلقه في ذاته و ان علمه نفس معلومه و مع ذلك ليس ذاته محلا للحوادث و الخلق ايضا ليسوا قدماء
٨١ اصل - في ان الاحد جل شأنه خارج عن حدّ الادراك و نحن نعرفه بآثاره كما في قصة ابرهيم و ليس له حيوث و جهات فعلمه نفس ذاته و بعلمه ذلك علم ذاته لا غير و معلوميتها عين علمه و علمه و معلومه و ذاته كلها نفس وجوده و هو عالم لا بعلم زايد علي الذات و بعد ما خلق الخلق وقع علمه الفعلي علي المعلوم
٨٢ اصل - في ان الله تعالي تجلي بعلمه الازلي علي مشيته ثم خلق الاشياء بها و بالامكان و لكل شئ حيث مشية و امكان و غيب و شهادة و ازلية علي حسبها ثمّ خلق بها الشهاديات في عرصة المثال و الدنيا ففيها جميع ما في مباديها
٨٣ اصل - في ان الله سبحانه عالم بالاشياء قبل وجودها بعلمه الازلي الذي هو من كمالاته لا ذاته
٨٥ اصل - في حقيقة الاوعية و الازل

٨٧ اصل - في ان العلم لا بدّ و ان يكون متعلقا بالمعلوم مطابقا له من جميع الجهات
٨٩ اصل - في عبارة نقلها عن العارف بمراد الامام ابيه العلام اعلي الله مقامه و رفع في الدارين اعلامه بها تمامية المطلب السابق و هو ان العلم نفس المعلوم
٩٠ اصل - في الاستنتاج من المقدمات السابقة و بيان حقيقة العلم
٩٢ اصل - نقل فيه عبارة عن الشيخ الاوحد اعلي الله مقامه و رفع في الدارين اعلامه في العلم
٩٦ فصل - في ان الله تعالي قديم ازلي ابدي لا علي ما يزعمه الجهال

---

١٠٠ فصل - في حقيقة اتصافه سبحانه بالصفات و الافعال
١٠٤ فصل - في توحيده سبحانه في الصفات
١٠٦ فصل - في توحيده سبحانه في خمسة مقامات هي مراتب التوحيد مقام الذات و الهوية و الالوهية و الاحدية و الواحدية و فصّل هذه المراتب في مقامات :
١٠٩ المقام الاول - في مقام الذات
١١٢ المقام الثاني - في مقام الهوية
١١٥ المقام الثالث - في مقام الالوهية
١١٨ المقام الرابع - في مقام الاحدية
١٢٦ المقام الخامس - في مقام الواحدية
١٢٧ المقام الثالث من المقامات الاربعة - في توحيد الافعال و فيه مطالب :
١٢٧ المطلب الاول - في بيان الفعل و حقيقته و ما يتعلق به و فيه فصول :
١٢٧ فصل - في حقيقة الفعل و المشية و القابها في اصطلاح الحكماء
١٣٠ فصل - في بيان خلق المشية و صفتها بقدر ما يتعلق بالتوحيد
١٣١ فصل - في ابطال قول من زعم ان الارادة ذاتية لله بطرز غير ما مرّ سابقا
١٣٢ فصل - في غواية من زعم ان المشية كل الاشياء
١٣٢ فصل - في ان جميع حروف الاكوان و الاعيان مكتوبة بالمشية فكلها دون المشية و لايسبق عليها سابق
١٣٣ المطلب الثاني - في توحيد الافعال و فيه فصول :
١٣٤ فصل - في ان احدا من الاكوان لايقدر علي التصرف في المشية اذ هي سابقة علي كلها
١٣٤ فصل - في ان المشية ليس معها شئ مكوّن و الكل بها و هي لله فكذب من زعم ان الماهية غير مجعولة

---

١٣٥ فصل - في ان الاشياء هل تستغني من المدد بعد الخلق ام لا و هل يتم خلق الشئ بالخلق الاول ام لا
١٣٨ فصل - في انه لا فعل لاحد من الخلق الا و هو لله
١٣٩ فصل - في انه كيف ينتسب الخلق و المشية اليه سبحانه مع انه موجود و ما سواه

ممتنع
١٤٢ المطلب الثالث - في العدل و فيه فصول يبيّن فيها حقيقة المسألة :
١٤٦ فصل - في ان الاحد جل شانه لايميل الي جهة خاصة
١٤٨ فصل - في ان ظهوره بالنسبة الي خلقه بالسواء
١٤٩ فصل - في انه سبحانه عدل في مشيته لايجور
١٥٠ فصل - في ان عدله سبحانه جار في ملكه و جميع الملك علي نسق العدالة و لا انحراف في شئ منه
١٥١ فصل - في نفي مطلق الظلم و الغشم عن ملكه تعالي و ان جميع ما فيه من التغلبات فهو بفعله
١٥٣ فصل - في مسألة الجبر و التفويض و فيه مسايل :
١٥٣ الاول - في رواية اخبار في هذا المقام و بيان حاصلها
١٥٤ الثانية - في كيفية البدء
١٥٦ الثالثة - في ان علمه بالاشياء قبل كونها كعلمه بها بعد كونها و انه لايعلم شيئا بما ليس عليه
١٥٧ الرابعة - في عدله تعالي في مشيته و فيها بيان خلقة المشية علي نحو الاشارة
١٦٠ الخامسة - في عدله تعالي في الامكان الجايز
١٦١ السادسة - في انه تعالي خلق الاكوان و الاعيان من هذا الامكان بلا جبر و لا تفويض

---

١٦٥ فصل - في بقاء الخلق و ثباته في مقام وجوده و البسط فيه
١٦٧ فصل - في سرّ الاختيار
١٧٠ فصل - في بيان الامر بين الامرين في التشريع
١٧٣ فصل - في بيان ان كل خير و بركة و كمال من الوجود و كل صفة شرّ و فقدان من الماهية مع ان الكل بمشية الله تعالي
١٧٥ فصل - في بيان حقيقة حصول السعادة و الشقاوة و فيه تنبيه :
١٧٨ تنبيه - في معني قوله صلي الله عليه و آله الشقي من شقي في بطن امه الحديث
١٧٩ فصل - في ان الاستطاعة هل تحصل للعبد ام لا
١٨٢ فصل - في البداء و فيه مقدمات :
١٨٢ الاولي - في موقع البداء
١٨٤ الثانية - في ما روي عن ابي‌الحسن الاول عليه السلام في تعدد مراتب المشية و ان البداء قبل الامضاء و رفع اشكالين واردين احدهما ان البداء فيما يمكن فيه وجود الشئ و المشية صرف صلوح الفعل و لايختص بشئ حتي يقال انه بدا لله في كذا و كذا و ذلك ينافي ما في الخبر بظاهره و ثانيهما ان المشية واحدة فما معني اربعية الفعل و سبعيته
١٨٧ الثالثة - في ان البداء قبل الامضاء في مقام مظاهر الفعل لا بالنسبة الي نفسه و في كيفية اخبار الانبياء و الائمة عليهم السلام بشئ و وقوع البداء فيه و فيها تنبيه :
١٨٩ تنبيه - في ان البداء مخصوص بما دون المشية دون العلم الازلي و ان لوح المحو و

الاثبات مقام المركبات
١٩٠ المقام الرابع - في توحيد العبادة و فيه فصول :
١٩٠ فصل - في بيان ان الله سبحانه هو المعبود الحق و لا معبود سواه

---

١٩١ فصل - في كشف حقيقة هذه المسألة
١٩٣ فصل - في العبادة الكونية
١٩٤ فصل - في العبادة الشرعية
١٩٦ فصل - في ان الاكوان كلها دواع يدعون الي انفسهم فمن اصغي الي ناطق فقد عبده الخ
١٩٧ فصل - في ان عبادة الذات من المحالات و انما المعبود من الآيات و العلامات و ليس الخلق معبودا و من هذين الاشكالين يلزم الحيرة
١٩٨ فصل - في انه تعالي لما كان بعيدا عن حدّ الادراك اختار لنفسه مظاهر في الكون و الشرع
١٩٩ فصل - في خبرين مرويين عن اميرالمؤمنين و ابيعبدالله عليهما السلام و بيان ما علينا ان نعبده
٢٠٣ فصل - في بيان الوجهة في العبادات
٢٠٤ المقالة الثانية - في النبوة و فيها مقامان :
٢٠٤ المقام الاول - في النبوة العامة و ما يتعلق بها من المسايل الكلية و فيه مطالب :
٢٠٤ المطلب الاول - في اثبات لزوم وجود الانبياء بانواع الادلة و فيه فصول :
٢٠٥ فصل - في ان الكامل الذي لا نهاية لكماله اذا لميخلق خلقا كاملا كان نقص كماله
٢٠٦ فصل - في انه تعالي ذو الفضل العظيم فلو لميخلق ما هو من اعظم الفضايل لكان نقصا في فضله
٢٠٧ فصل - في نتيجة حكمية بيّنها ابوه العلاء اعلي الله له المقام في اثبات النبوة

---

٢٠٩ فصل - في اثبات النبوة باسمه العادل سبحانه
٢٠٩ فصل - في اثباتها باسمه القادر
٢١٠ فصل - في اثباتها باسمه الاحد
٢١٢ فصل - في اثباتها باسمه الواحد
٢١٤ فصل - في اثباتها باسمه اللطيف
٢١٧ فصل - في بيان كلي يستخرج منه جميع المطالب
٢١٨ فصل - في انه سبحانه ظهر لخلقه بالانبياء و الحجج و لولاهم لميعرفوه
٢١٩ فصل - في دليل الموعظة علي ذلك
٢٢٠ فصل - في دليل المجادلة علي ذلك
٢٢١ المطلب الثاني - في بيان درجات الانبياء و عددهم و ما يتعلق بذلك و فيه فصول :
٢٢١ فصل - في اختلاف درجاتهم

٢٢٥ فصل - في بيان كليات مقاماتهم و ان منهم اولوا العزم و منهم الرسل و منهم الانبياء
٢٢٧ فصل - في بيان مقاماتهم
٢٣١ فصل - في ذكر بعض الاخبار في مقاماتهم و خواص رتبهم
٢٣٣ فصل - في شرح حديث صعب في معني اولي العزم و غير اولي العزم و مسألة عويصة هي اثبات الامامة لبعضهم دون بعض
٢٣٧ فصل - في عدد الانبياء
٢٣٨ فصل - في ان اربعة منهم احياء
٢٤٦ فصل - في الجواب عن الاستشكال بقوام وجود الملك بالانبياء و الحجج قبل آدم و ظهورهم في هذا العالم

---

٢٤٦ المطلب الثالث - في بعض كليات فضايلهم مما يجب الاعتقاد به و فيه مناقب :
٢٤٦ المنقبة الاولي - في عصمتهم و فيها فصول :
٢٤٦ فصل - في انهم معصومون عن العصيان و السهو و الخطاء و النسيان
٢٥٣ فصل - في بيان كلي شريف في العصمة و فيه تنبيه :
٢٥٤ تنبيه - في سرّ استغفارهم و ما ينسبون الي انفسهم من العصيان
٢٥٦ فصل - في سرّ استغفارهم و توبتهم بدليل آخر فلسفي و فيه بيان ترك الاولي و القبض و البسط
٢٥٨ المنقبة الثانية - في معجزتهم و فيها فصول :
٢٥٨ فصل - في ان معجزاتهم علامة يمتازون بها عن ساير البشر
٢٥٩ فصل - في بيان حقيقة الاعجاز بوجه ظاهر
٢٦١ فصل - في ان من خواص النبي علمه بالغيب و احاطته بما كان و ما يكون و تأثيره في كل شئ اذ كل ذلك من آثار العقل
٢٦٢ فصل - في بيان الفرق بين المعجز و السحر و الكهانة
٢٦٧ فصل - في كيفية صدور المعجز من صاحب المعجز
٢٧١ المنقبة الثالثة - في ذكر بعض ما يلزم من ساير فضايلهم (ص) و فيها فصول :
٢٧١ فصل - في ان فضايل كل فاضل ظهورات ذاته في عرصة المظاهر و اصلها من الذات
٢٧٣ فصل - في ان فضائلهم نوعان نوع من حيث عبوديتهم و نوع من حيث ربوبيتهم
٢٧٤ فصل - في عبوديتهم الكونية و الشرعية
٢٨٠ فصل - في صفاتهم الربوبية من المؤثرية و استجابة الدعوة و العلم و ما عندهم من حروف الاسم الاعظم
٢٨٤ المقام الثاني - في اثبات النبوة الخاصة و فيه مطالب :

---

٢٨٤ المطلب الاول - في اثبات نبوة محمد صلي الله عليه و آله بدليل المجادلة و فيه فصول :

٢٨٤ فصل - في ان شرط انتظام الخلق وجود الحجج و الانبياء و ماتوا كلهم الا اربعة و هم ايضا قد غابوا و ليس بين الملك مثل ما بين المسلمين من الاوصياء و يظهر من هولاء الاوصياء مثل ما يظهر من الاوصياء السابقين و لو لميكونوا علي الحق لميظهر منهم ذلك
٢٨٧ فصل - في الاستدلال باخبار الانبياء الماضين و الكتب السماوية بمجيئه و انه اتي من ادعي ذلك و له معجزات علي طبق دعواه
٢٨٩ فصل - في اتيانه بمعجزة كالقرآن
٢٩٠ المطلب الثاني - في دليل الموعظة علي نبوته صلي الله عليه و آله و فيه فصول :
٢٩٠ فصل - في انا اذا قبلنا نبوته نكون مصابا فانكان نبيا فهو و الا فلانعاقب لانه لميرسل الينا حجة بعد الرسل في زمانه و الماضون ليسوا حججا
٢٩١ فصل - في الاستدلال بمعاملة الله مع اعدائه معاملته مع اعداء الماضين من الانبياء
٢٩١ فصل - في ان موسي و عيسي اخبرا بمجيئه و قد اتي من يدعي ذلك و هما و ربهما قادرون علي ردعه و لميردعوه فهو علي الحق
٢٩٢ المطلب الثالث - في دليل الحكمة علي النبوة الخاصة و فيه فصول :
٢٩٢ فصل - في انه تعالي تجلي اول ما تجلي باول مخلوق له به فيه منه بعد ما كان متوحدا متفردا
٢٩٣ فصل - في ان التجلي الدالّ علي الله في كل عالم هو الخاتم (ص) و ان ظهوره في كل عالم لايكون الا بعد تكميل المكملين و هم الانبياء فهو الخاتم من بعدهم

---

٢٩٤ فصل - في الاستدلال علي ذلك بانه اول ما خلق الله
٢٩٦ المطلب الرابع - في اثبات نبوته بشخصه و اسمه و حسبه و ما يخصه و فيه فصول :
٢٩٧ فصل - في زمان ظهوره ببدنه الخاص بالبرهان العقلي
٣٠٠ فصل - في مكان ظهوره بذلك
٣٠١ فصل - في اسمائه الشريفة و كناه
٣٠٥ فصل - في ذكر بعض القابه المنصوصة
٣٠٧ فصل - في كناه صلي الله عليه و آله
٣٠٨ فصل - في لزوم ظهوره في بدن طيب طاهر في اصلاب طيبة و ارحام طاهرة
٣٠٩ فصل - في اسم ابيه و امه
٣١٢ فصل - في بعض ما يخصه من موت الوالدين و بعض احواله في الطفولية
٣١٤ فصل - في لزوم كون بنت له تسمّي بفاطمة عليها السلام
٣١٧ فصل - في لزوم بعثته بعد اربعين سنة
٣٢٢ فصل - في لزوم بعثته في مكة و هجرته الي مدينة زيادة علي ما مرّ
٣٢٣ فصل - في ان كتاب كل نبي شرح صورته الشرعية و الكونية و شرعه شرح صورته الشرعية و لما كان الخاتم (ص) مظهر توحيد الله تعالي كان متفردا في جميع صفاته و كان كتابه معجزا لجميع الخلق حتي لاولي العزم من الانبياء
٣٢٥ فصل - في بعض اسرار اسم وليه صلي الله عليه و آله و بعض صفاته

٣٢٩ فصل - في دليل التسديد علي نبوته و فيه اصول :
٣٢٩ اصل - في ان الخلق لميخلق الا لفائدة مهمّة
٣٣١ اصل - في ان تلك الفايدة هي المعرفة و الوصول الي اعلي الدرجة
٣٣١ اصل - في ان من اعظم اسباب الوصول الي الغاية العلم بكيفية السلوك

صفحه -٦

---

٣٣٢ اصل - في لزوم كون الحق و الباطل في الملك معا
٣٣٤ اصل - في لزوم وجود مكمل للحق و مكمل للباطل
٣٣٥ اصل - في لزوم كون الداعيين معروفين
٣٣٦ اصل - في ان مقتضي عدل الله ان يجعل صفات كل مدع بالباطل شبيهة بقرينه من الحق ثم يسدد الحق و يؤيّده
٣٤٠ اصل - في ذكر الآيات الدالة علي التسديد
٣٤٤ اصل - في سرد بعض الاخبار الواردة في المضمار
٣٥٠ اصل - في دليل التسديد علي حقيّة نبينا صلي الله عليه و آله
٣٥٣ المقالة الثالثة - في الامامة و فيها مقامات :
٣٥٣ المقام الاول - في اثبات الامامة و فيه فصول :
٣٥٣ فصل - في الاستدلال عليها بكون الناس مدنيي الطبع مختلفي المزاج
٣٥٤ فصل - في الاستدلال عليها بوجوب معرفة الله و انه تعالي لايدرك
٣٥٤ فصل - في الاستدلال عليها بلزوم بدن حاك لاسم الله الجامع و ساير اسمائه و صفاته في كل زمان
٣٥٦ فصل - في ان الانسان الكبير كالانسان الصغير فكما انه يحتاج الي قلب فكذلك ذلك
٣٥٧ فصل - في ان الولي باب النبي و صراطه و سبيله و انه لايعرف الا به
٣٥٩ فصل - في لزوم تعدد الاوصياء
٣٦٠ فصل - في الاستدلال علي ذلك بوجه آخر
٣٦٢ فصل - في لزوم وجود الحجة الي يوم القيمة
٣٦٤ المقام الثاني - في الامامة الخاصة و فيه فصول :

صفحه -٥

---

٣٦٥ فصل - في ان الحجة لا بدّ و ان يكون اعقل الناس و عليٌّ كان بعد رسول الله اعقلهم
٣٦٧ فصل - في ان الولي لا بدّ و ان يكون منصوصا و اجتماع الجهّال في آرائهم لايغني من الحق شيئا
٣٧٠ فصل - في اثبات الولاية من كتاب الله
٣٧٩ فصل - في ان الامام محيط معصوم ينطق بالحق و له معجزات و خوارق عادات
٣٨١ فصل - في دليل التسديد علي الامامة
٣٨٤ فصل - ايضا في دليل التسديد
٣٨٤ المقام الثالث - في بعض فضايلهم و صفاتهم و علاماتهم و فيه مطالب :

٣٨٥ المطلب الاول - في انهم اول ما خلق الله و فيه فصول :
٣٩٠ فصل - في ان آل‌محمد سلام الله عليهم منه (ص)
٣٩٢ فصل - في بيان المسألة من الادلة العقلية الحكمية الالهية
٣٩٤ فصل - في ان الآثار جميعها ظهورات مؤثرها و يصدق عليها اسمه
٣٩٥ فصل - في ان جميع الآثار تحكي عن المؤثر الا ان بعضها اكثر حكاية و بعضها اقل حكاية و صدق اسم المؤثر عليها بحسب حكايتها له
٣٩٧ فصل - في ان الكينونة هي حقيقة آل‌محمد و هي ظاهرة من جميع الملك الا ان الابدان الجزئية لاتصلح لانتساب جميع ما يليق بالروح اليها و لكن الله تعالي اختار اربعة‌عشر بدنا كاملا حاكيا لجميع شئون الروح
٣٩٨ فصل - في ان لآل‌محمد سلام الله عليهم مقام ثابت قبل المشية و ظهور في اول الاكوان
٤٠١ فصل - في ان مقامات المعصومين اربعة‌عشر عدد ابدانهم
٤٠٣ فصل - في ان آل‌محمد عليهم السلام حقيقتهم اول الكاينات و مظاهرها ايضا اول بالنسبة

---

٤٠٤ فصل - في ان الحجة الواقعي لله تعالي آل‌محمد و ساير الحجج حججهم و انهم حجج الله في جميع العوالم و اول ما خلق الله في كل منها تلبسوا بلباس اهلها
٤٠٦ فصل - في الاستدلال علي كونهم اول ما خلق الله بالمجادلة و الموعظة
٤٠٨ فصل - في بعض ما يتفرع علي كونهم اول ما خلق الله
٤٠٩ المطلب الثاني - في ذكر بعض فضايلهم مما يتعلق بالبيان و فيه مقدمة و فصول :
٤٠٩ مقدمة - في شطر من الادلة النقلية في المقام لاثبات المقامات لهم (ص)
٤١٣ فصل - في اثبات ظهور البيان في آل‌محمد عليهم السلام و ساير مظاهره
٤١٥ فصل - في عدة مراتبهم من الجماد فما فوق
٤١٩ فصل - في وصف البيان
٤٢٠ فصل - في انه تعالي خارج عن حدّ المعرفة
٤٢٢ فصل - في ان معرفته بصفاته و هم سلام الله عليهم صفاته
٤٢٥ فصل - في وجه اختصاص البيان ببعض دون بعض
٤٣٠ فصل - في معرفة اصحاب البيان
٤٣٢ المطلب الثالث - في المعاني و فيه ايضا فصول :
٤٣٢ فصل - في ان المعني بمعني الظاهر و جميع الاسماء و الصفات كلها تقع علي الظاهر لا علي الذات و لا نورها
٤٣٤ فصل - في ان لآل‌محمد عليهم السلام مقاما عند الله في مقام الفعل و هم في هذه المرتبة معني جميع الاسماء و الصفات و المقصود من كل الآيات
٤٣٥ فصل - في انه تعالي ظهر بهم و اظهر امره و حكمه و فعله منهم
٤٣٧ المطلب الرابع - في مقام البابية و فيه فصول :

۴۳۷ فصل - في انه تعالي يدرك نفسه لا غير
۴۳۸ فصل - في انه تعالي اقامهم مقامه في ساير عوالمه في الاداء

صفحه - ۳

---

۴۴۰ فصل - مثّل فيه لذلك مثالا خاصا
۴۴۴ فصل - في انهم سلام الله عليهم باب جميع الغيوب من الاسماء و الصفات
۴۴۷ فصل - في لزوم كون باب لهم يعرف اذ هم بانفسهم غير معروفين
۴۴۹ فصل - في ان ابوابهم اشخاص مخصوصون اذ يشترط في الباب ان يكون صاحب فعلية الحقيقة حتي يصلح للسير فيه
۴۵۰ فصل - في ان الائمة عليهم السلام ابواب الله و لهم ابواب عامة و خاصة هي الابواب الكونية و الشرعية
۴۵۴ فصل - ذكر فيه كلاما منيفا من شيخنا الاوحد (اع) في مقام البيان
۴۵۵ المطلب الخامس - في مقام الامامة و فيه فصول :
۴۵۵ فصل - في ان الامامة من ايّ مرتبة هي علي نحو الاجمال
۴۵۶ فصل - في ان مقام الامامة لساير المقامات بمنزلة الشعلة المرئية
۴۵۷ فصل - في ان جميع فضائلهم الخاصة راجعة الي الامامة كونا و شرعا
۴۶۱ فصل - في ان الامام قطب جميع الكاينات و قلبهم
۴۶۵ فصل - في ان جميع الاوامر الشرعية و الكونية منهم و جميع الخيرات اليهم و جميع الشرور راجع ترجع الي اعدائهم
۴۶۶ المطلب السادس - في مقامهم الخامس و فيه فصول :
۴۶۶ فصل - في انهم اظهروا الاحكام الكونية و الشرعية ببدنهم العرشي و الشخصي الدنياوي
۴۶۸ فصل - في ان هذا المقام بالنسبة الي المقامات العالية لهم مقام التعين النسبي و ظهور ساير المراتب فيه و تعينها فيه
۴۷۰ فصل - في ان بدنهم العرضي حكمه حكم العرض و لو ارادوا يوما تركوه و لايلزم من ذلك فساد الملك

صفحه - ۲

---

۴۷۲ فصل - في ان لهم ابدان كلية و ابدان جزئية و ابدانهم الجزئية شيعتهم
۴۷۴ فصل - في ان ابدانهم و ان كانت في مقام البشرية فهي معتدلة كمال الاعتدال
۴۷۵ المقالة الرابعة - في الركن الرابع و فيها مقامات :
۴۷۵ المقام الاول - في اثبات لزوم وجود كبار الشيعة في زمان ظهور الائمة و غيابهم و فيه مطالب :
۴۷۵ المطلب الاول - في اثبات لزوم وجودهم بالادلة العقلية الجدلية و فيه فصول :
۴۷۶ فصل - في انه لا بدّ في زمان الغيبة من شيعة يقومون بين الناس
۴۷۷ فصل - في ان مقتضي السياسة ان يكون للامام في غيابه و ظهوره عباد يعينونه
۴۷۸ فصل - في ان الامام لايدرك و لايعرف فلا بدّ من الشيعة ليكونوا ابوابه و سبل

معرفته
٤٧٩ المطلب الثاني - في دليل الموعظة الحسنة و فيه فصول :
٤٧٩ فصل - في ان الاولي ان يكون في عالم الاناسي مواضع للنور و مقامات للصفات يظهر منهم نور الله حتي يعرف اهل تلك العرصة ان لهم خالقا رازقا عالما حكيما
٤٨٠ فصل - في ان الاصلح وجود سايس بين العباد معروف مشهود محسوس
٤٨٠ فصل - في ان الانسان لايدرك ما هو خارج عن حيّزه فظهر تعالي بنوره في درجات الاناسي فان كان كما نقول فنحن فائزون به و الا فنحن و المخالف علي شرع سواء
٤٨٠ المطلب الثالث - في دليل الحكمة علي المراد و فيه فصول :
٤٨٠ فصل - في ان الواجب علي جميع الامة الرجوع الي الشيعة لانهم حملة العلوم و الاسرار
٤٨٢ فصل - في ان الشيعة شعاع آلمحمد و علي صفتهم فيعرفون بهم لانهم استعلوا علي جميع الخلق
٤٨٣ فصل - في اثبات هذا المطلب بالحكمة بلسان حكمي آخر

---

٤٨٧ فصل - في ان آلمحمد لايعرفون بذواتهم بل يعرفون بصفاتهم و شعاعهم
٤٨٧ المطلب الرابع - في دليل الآفاق و الانفس و يبيّن كل منهما في فصل :
٤٨٨ فصل - في دليل الآفاق
٤٩٢ فصل - في مثل الانفس
٤٩٢ المطلب الخامس - في ادلة الكتاب و السنة علي المراد علي نحو الاختصار و فيه فصلان :
٤٩٢ فصل - في بعض الآيات الدالّة علي المراد
٤٩٧ فصل - في بعض اخبار الواردة في هذا المضمار
٥٠٤ المطلب السادس - في اثبات الركن الرابع بالضرورة و فيه فصلان :
٥٠٤ فصل - في ضرورة المسلمين علي ذلك
٥٠٥ فصل - في ضرورة جميع المليين
٥٠٦ المقام الثاني - في بعض فضايلهم الكلية و بيان مراتبهم و مقاماتهم و اساميهم في درجاتهم و فيه مقدمة و مناقب :
٥٠٦ المقدمة - في مقاماتهم و اساميهم
٥٠٨ المنقبة الاولي - في نوع فضائلهم و فيها فصول :
٥٠٨ فصل - في بدء نورهم
٥١٠ فصل - في ان العقل لا ظهور له الا في النفس و هي بابه و كذا الافراد بالنسبة الي المطلق فجميع ما يصنع في افراده او في غيرهم يصنعه بواسطة الافراد فالافراد بعضها باب بعض حتي ينتهي الي الفرد الاول فانه نفسه و بابه اليه
٥١٢ فصل - في ان النفس الكلية الدهرية مطلقة و نسبتها الي النفوس الجزئية كنسبة الجسم المطلق الي الاجسام الجزئية و هي مبدء الكل و منها بدء الجميع و ذلك صفة النفس

المطلقة و لايمكن نسبة صفة النفس المطلقة الي شخص يحكيها الا الي الكرسي لانه لها كبدن كامل لزيد

صفحه ٠

---

٥١٤ فصل - في ان الشيعة فروع آلمحمد عليهم السلام و جميع ما منهم يرجع اليهم
٥١٥ المنقبة الثانية - في بعض فضايل النقباء و النجباء علي نحو الكلية و الاجمال و فيها فصول :
٥١٦ فصل - في تعيين مرتبة النقابة و النجابة
٥١٨ فصل - في الاشارة الي بعض فضايل الكليين
٥٢٣ فصل - في قليل من كثير فضايل النجباء
٥٢٩ فصل - في فضايل الجزئيين من النقباء و النجباء
٥٢٩ المنقبة الثالثة - في فضايلهم في المقامات الاربعة
٥٣٢ المنقبة الرابعة - في الفضايل المتعلقة بابدان الكاملين و اخلاقهم
٥٣٤ المقام الثالث - في لزوم معرفتهم و فيه فصول :
٥٣٥ فصل - في ان الاركان و النقباء و النجباء لولاهم لماعرف الناس ربهم
٥٣٧ فصل - في ان النبي و الامام ايضا لايعرفان الا بوليهم
٥٣٨ فصل - في لزوم وجود العلماء في زمن الغيبة و ان معرفتهم من اصول الدين و لكن معرفة كبار الشيعة متفرع علي ظهورهم و ظهورهم بالاسم و الرسم من الاحكام الاولية فيكفينا الاقرار بوجودهم و لا بدّ من معرفة حجة علي الحق لاخذ الدين عنه
٥٤٢ فصل - في صفات نايب الكامل
٥٤٤ فصل - في بيان التسديد للنقباء و النجباء و العلماء و صفاتهم
٥٤٧ خاتمة - في البراءة من الاعداء
(مقابله شد)

صفحه ١

كتاب ينابيع الحكمة المجلد الاول

من مصنفات العالم الرباني و الحكيم الصمداني
مولانا المرحوم الحاج محمد خان الكرماني اعلي الله مقامه

صفحه ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تفرّد في وحدانيته ، و توحّد في صمدانيته ، و علا عن درك الابصار بقدوسيته ، و تقدّس عن ان يحيط به الافكار بسبوحيته ، دلّ علي ذاته بذاته ، و تنزه عن مجانسة مخلوقاته ، قد كشف لنا عن صفات جماله بتجلياته ، و استدللنا علي سمات جلاله بآياته و علاماته ، فبتجهيره الجواهر عُرف ان لا جوهر له ، و بتعريضه الاعراض عُلم

ان لا عرض له ، و بتغييره المتغيرات عُرف انه خالق الارض و السموات ، و بالنفس النفيس عرفنا معاني ما يدعوه به الولاة ، السادة الحُماة ، و الذادة الرُعاة ، المقامات و العلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، مظاهر الربّ تعالي شانه في الاعيان و الاكوان ، و انواره في جميع عرصات الامكان ، و هذا غاية المرام ، و منتهي حظّ الخاص و العام من معرفة الله و السلام ، و صلي الله علي سيد الانس و الجان ، و خلاصة انوار الرحمٰن ، محمّد الذي خلق من البحبوحة العلية ، فادّبه الله باخلاقه العظيمة ، ثم علّمه البيان باوضح تبيان ، و شرفه بالقرآن ، و اكرمه بالاسم الاكرم ، و حمله السرّ الاعظم ، و اصطفاه بالحكمة و فصل الخطاب ، و اتمّ عليه النعمة بنقطة الكتاب ، فسار بسراجه في جميع العرصات ، و كشف بنوره عن كل السبحات ، و شاهد بعينه الآيات و العلامات صلي الله عليه اذ هدانا ، و تلا علينا الكتاب و الحكمة بعد ان زكّانا ، و علي آله شموس الولاية ، و اقمار الهداية ، كلمات الله التامة ، و نعمه العامة ، السُبُل الي الله المتعال ، و الوسايل المستحكمة الي ذي الجلال ، المخلوقين من طينة النبي الكريم ، القائمين مقامه اذ ادّبوا علي خُلقه العظيم ، و السلام علي متممات الكلمات التامات ، و مجالي الآيات و مرايا الانوار ، و سُبل الجبّار ، الدالّين الي الله باشرف الدلالات ، الهادين اليه بالآيات البينات ، و لعنة الله علي كل ناصب مريد ، و كافر عنيد ، و شايع لهم عتيد ، ما كرّ يوم جديد .

و بعد معاشر الاخوان و الخُلّان حرسكم الله ما توالي الملوان و كرّ الجديدان هذه ما وعدت كرارا و لميقدر رسمها ، و ذكرت مرارا و لماوفّق لبثّها ، من كليات مسائل الحكمة ، و اصول علم مشايخي اولياء النعمة ، اعلي الله مقامهم في الجنة ، و رفع اعلامهم اذ هي اعلام الائمة ، سلام الله عليهم اشرف تحية ، و افضل هدية ، فاسعوا في حفظها ، و اجهدوا في درسها و ضبطها ، فاني بذلت مجهودي في جمعها ، و لميكن ذلك الا اكراما لشأنكم ، و حبّا لكم ، هذا و قد رأيت ان مشايخي اعلي الله مقامهم لميثبتوا جميع كليات مسائلهم في رسالة خاصة فاردت ان اثبتها حتي يسهل الخطب في تحصيل العلم علي الاصحاب ان كانوا من اولي الالباب و اعلموا يا اخواني ان تحصيل كل علم بطلبه في المكاتب و التحصيل في المدارس و النظر في الكتب و طول المطالعة و دوام المباحثة و حفظ الاصطلاحات و التكرار في الذهن للعبارات و اما علم مشايخي هذا فمكنون في الصدور ، مرقوم عليها باقلام النور ، لايكتب في الطروس ، و لايبحث عنه في الدروس ، و كلما نقول فيه تعبيرات ، و جميع ما نعبّر عنه آيات و علامات ، و مايكتب في الكتب الا ما يخرج من جراب النورة ، و يشار الي المراد باخفي صورة ، فلاتغتروا بالمكتوب ، و راقبوا في العبارات الاسلوب *الاسلوب : الطريق و الفن ، منه (اعلي الله مقامه) .*
، و انظروا الي الاشارات ، و حافظوا علي الامارات ، و جسّسوا في مكامن المسايل ، و حسسوا في الصدور بالوسايل ، و ليس سبيله التحصيل و لا ترك العلوم بالتعطيل بل الواجب الطلب ، و السير الي الله لتحصيل الادب ، و سبيل ذلك التقوي كما قال الله و من يتق الله يجعل له مخرجا و حقيقة التقوي محبة الاولياء ، و ولاية الاصفياء ، و المطالعة

في شخص العلماء ، و الخلوص للمخلصين من الحكماء ، و مداومة النظر ، و الصمت لاجالة الفكر ، و الخلوة

صفحه ٤

للتمكن من العبر ، و الاعراض عن الخلايق ، و توحيد الخالق ، و الاخلاص بالانقطاع اليه ، و الاقبال بالكل عليه ، و معرفة الرسول صلي الله عليه و آله ، و الاتباع له في الفروع و الاصول ، و التمسك بحبله ، و معرفة آله و الاقبال اليهم ، و معرفة اعدائه و الاعراض عنهم ، و معرفة من تأخذ الدين عنه ، و تخلص المودة له و تتكل علي رواياته ، و البراءة من عدوه ، و يشهد بذلك صحيح الاعتبار المستنبط من الاخبار و قوم طلبوا الحكمة من غير هذا السبيل فضلّوا و اضلّوا و خسروا خسرانا مبينا و من طلبها من هذا السبيل وقف علي المطلوب بخير دليل و رأي من قال بغير ذلك عليل ، و اعلم ان النظر في الكتب ايضا امر لازم و البحث عن العلوم متحتم لكن لا لنفسها بل لمشاهدة نور الحكمة و التمكن من التعبير فان مشايخنا اعلي الله مقامهم عبروا عن اسرارهم بهذه الالفاظ و هي لعرايس المطالب كالنقاب او القشور للُبِّ اللباب فخذوها و صفّوها عن الاعراض حتي تقفوا علي الحقيقة في اوسع الرياض و لايرد علينا البحث في تغطية الحكمة بالعبارات و ذكرها بالامارات لان للجدران آذانا مع ان لكل كلام اهلا ، هذا و مشايخي حملة العلوم و جامعوا الرسوم و حفظة الدين و سادة الطالبين و قد جمعوا كل شئ و زبروه في دفاترهم ليصل اليها طالبها و حفظوا السرّ لاهله لان طلاب العلم كثير و لكن حماته و رعاته قليل و طالب ما يخصّهم من العلم اقل قليل ،

خليلي قطّاع الفيافي كثيرة ** * ** و لكن ارباب الوصول قليل

و لكن من قرع بابا و لجّ ولج و من طلب شيئا و جدّ وجد و صلي الله علي محمد و آله و لعنة الله علي اعدائهم و اذكر اولا مقدمتين ثم اذيلهما باقسام و مقالات و لا حول و لا قوّة الا بالله .

صفحه ٥

المقدمة الاولي في الرؤس الثمانية التي جرت عادة العلماء قديما علي رسمها في اوايل كتبهم و خبط من اخّرها اذ شأنها التقدم :

الاول اسم المصنف لهذا الكتاب و هو العبد الاثيم و الفاني الرميم ذو الذنب العظيم محمد بن محمدكريم بن محمدابرهيم بن مهديقلي بن محمدحسن خان غفر الله لهم جميعا بمحمد و آله الطيبين .

الثاني سمة الكتاب و سمّيته بـينابيع الحكمة لاني اذكر فيها كليات و اصولا من علم المبدأ و المعاد يتفرع عليها المسايل الجزئية و يجري من تحتها انهار طيّبة احلي من الشهد و الين من الزبد و يستغني بها الناظر ان شاء الله عن تحصيل رؤس المسايل و اذكر فيها الاصطلاحات ان شاء الله و اسم هذا العلم الحكمة و قد يسمي بالبيان و قد يسمي بعلم المعرفة و جميع ذلك مأخوذ عن سادات الانس و الجان و لايجوز ان يقال لنا ان هي الا اسماء سميتموها انتم و آباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ، لانها اسماء نزلت من عند الله .

الثالث غرضي من تصنيف هذا الكتاب ، اما اولا فان اكون في سلك خدام آلمحمد عليهم

السلام و ناشري فضايلهم و مبيني حكمهم بقدر الميسور اذ لايسقط بالمعسور و ثانيا ان مولاي و سيّدي ابي العلامة اعلي الله مقامه صنّف رسايل كثيرة في الحكمة و غيرها و بثّ العلم بثا و فرّق اغلب المسايل في الكتب و تحصيل المسايل الكلية من كتبه (اع) للمبتدي في غاية الصعوبة مع انه لا بد لطالب الحكمة من الاطلاع عليها كما هو العادة في كل علم فانه لا بد للطالب ان يحصل اولا علم الكليات و يقف علي الاصطلاحات ثم يتتبع في الجزئيات فرأيت ان اصنّف رسالة اجمع فيها كليات مسائل الحكمة الالهية و المعارف الربانية من اصول الدين و غيرها بقدر ما يجب الاطلاع عليه قبل الدخول في الحكمة و الا فجميع مسائلها المدونة في كتب مشايخي كليات يتفرع عليها جزئيات كثيرة لاتعد و لاتحصي و لاابسط القول في المعارف كثيرا اذ مشايخنا اعلي الله

صفحه ٦

مقامهم تصدوا لبيانها في اغلب رسائلهم مفصلة و موجزة و عمدة مرادي ذكر كليات ساير الحكم اذ فرّقوها في رسائلهم .

الرابع مرتبة هذا الكتاب معلوم انه في الحكمة الالهية و منها علم المعرفة و بها يعرف الانسان ربه و يطلع علي صفاته و اسمائه و بها يصلح عقايده و يعرف نبيه و امامه و يعرف فضايلهم فيؤمن بهم و يخلص لهم و مرتبتها قبل جميع العلوم حتي الفقه و الاصول بل النحو و الصرف اللذين لا بد للطالب ان يحصلهما لمعرفة اللسان فان الانسان ما لميعرف ان له ربّا و نبيا و اماما و يجب عليه اتباع امامه و نبيه و العمل بشرعه و حكمه كيف يجب عليه تحصيل العلم و ذلك من الحكمة نعم نقول انه يجب عليه تحصيل المعرفة مجملا ثم الرجوع الي مقدماتها من ساير العلوم ثم النظر اليها مفصلا فمرتبة تفصيلها بعد علوم لا بد من تحصيلها اولا فان كان المراد من الحكمة ما جري في الالسنة و الافواه و يتبادر الي اذهانهم حين الذكر و هي علم حقايق بعض الاشياء او كلها و سيأتي زيادة البيان بعد ان شاء الله فلا بدّ من تحصيل علم اللغة ان كان الطالب عجميا بقدر الاطلاع علي بعض لغات العرب بقدر الحاجة لفهم الكتاب و السنة ثم الصرف ثم النحو ثم المنطق بملاحظة عدم كونه من الحكمة في الجملة بقدر ان يقتدر علي كيفية الاستدلال بالمجادلة بالتي هي احسن و الحاجة اليه اليوم اكثر لان غالب المصنفين جروا علي اصطلاحه و لا بد للشخص من الاستعانة بكتبهم علي فهم بعض المسايل فانهم صرفوا عمرهم فيها و نظروا في المسايل و كشفوا عن معضلاتها و بيّنوا مبهماتها لااقول ان جميع ما قالوا حق و صدق اذ ذلك شان من اتّبع آثار محمد و آلمحمد في الكليات و الجزئيات نعم من لميرد بسط العلم و اقتصر علي مسايل متعددة و اراد العمل لايحتاج الي كتبهم فلايحتاج الي المنطق و الذين اعتنوا بعلم المنطق قالوا انه مسبوق بتهذيب الاخلاق لرياضة الافكار ثم بعد الاطلاع علي المنطق و حين النظر فيه لا بدّ من الاطلاع

صفحه ٧

علي الاصول و الدراية بقدر ما يحتاج اليه في معرفة الاخبار و اسنادها و رواتها ثم بعد ذلك لا بدّ من النظر في الاخبار و التفاسير المنصوصة فان العلم الحق ما صدر منهم صلوات الله عليهم و من قال برأيه في امر من الامور سواء كان من الاصول او الفروع

فقد هلك و كذب من زعم انه لايشترط في الحكمة مطابقة الشرع فان ذلك قول زور فلا بد من الاطلاع علي الاخبار ثم من بعد ذلك يطلب الحكمة فمرتبتها بعد ما ذكرنا و اما الفقه فهو ايضا من هذه الحكمة الا انه حكمة عملية هذا علي الظاهر و اما علي ما هو الحق عند المحققين فالحكمة التي تنسب الي مولينا الشيخ الاوحد و السناد الامجد جميع العلوم مقدماتها حتي علم الصناعة فمن قال اني حكيم و لميعرف شيئا منها فقد كذب نعم ربما يكتفي من كل علم ببعضه اذ علم الجميع من كل وجه شأن الامام عليه السلام و غيره لايكاد يصل اليه ابدا و في تكليفه العسر و الحرج بل الحرمان قبل الفرج فالحكيم الحقيقي الواقعي هو الامام عليه السلام و جميع الحكماء علموا من فروع حكمته كساير العلوم و ان قلت ان كان الحكمة هكذا فلا بد من تحصيل جميع العلوم حتي الملاعب و الملاهي و لايفي عمر الانسان بذلك فكيف يصل الي المقصود اقول ليس الامر هكذا و لايجب تحصيل كل العلوم و الاطلاع علي جميع الرسوم للوقوف علي الحكمة الالهية و النعمة الربانية و لكن الله عز و جل جعل لمعرفتها بابا و الي الوقوف علي نقطتها شرعة و منهاجا من سلك منها وصل و من قرع بابها دخل ارأيت اذا جمع جامع في بيت من فنون الاشياء و اراد احد التفرّج فيها و النظر اليها هل عليه السير في جميع الملك حتي يقف علي كلها او يكفيه دخول البيت من بابه و النظر الي جميع الملك في بيت واحد بل يكفيه السلوك في سبيل هذا البيت و الدخول عليه من بابه الذي فتحه الله له و بابه ما قال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا جري من قلبه علي لسانه ينابيع الحكمة ، و بهذه الملاحظة نقول ان مرتبة علمنا هذا ليس بعد ساير العلوم اذا (اذ ظ) العلوم كلها

منه فانت اذا نظرت الي الصرف مثلا بعين الله الي المثال الملقٰي فيه نظرت الي الحكمة المتعلقة به و هكذا غيره فالصرف حكمة و النحو ايضا حكمة و الكل حكمة و لذا تري الحكيم يستخرج مسألته من الجميع الاتري ان الحكيم يبيّن علم المبدأ بلغة الصرف فيقول اول ما صدر عن زيد الفعل و هو ما انبأ عن حركة المسمّي مطلقا و ظهوره في الفعل الماضي النافذ في جميع المشتقات و المضارع حيث نفس الماضي و انيته و اول ما صدر منه المصدر ثم منه يشتق ساير المشتقات و هكذا الكلام في ساير ما يتعلق به ففي كل علم نظرت بما نظرنا و ذكرنا وقفت علي الحكمة الالهية حتي حروف ابتث و ابجد فالحكمة ظاهرة في الكل فافهم .

الخامس حدّ هذا العلم ، قال الصادق عليه السلام : الحكمة ضياء المعرفة و ميزان التقوي و ثمرة الصدق و لو قلت مانعم الله علي عبد بنعمة اعظم و انعم و ارفع و اجزل و ابهٰي من الحكمة قال الله تعالي يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا و مايذكر الا اولوا الالباب اي لايعلم ما اودعت و هيأت في الحكمة الا من استخلصته لنفسي و خصصته بها و الحكمة هي النجاة و صفة الحكمة الثبات عند اوايل الامور و الوقوف عند عواقبها و هو هادي خلق الله الي الله الحديث ، و بلسان القوم بحيث يوافق الحق اقول حكمة مشايخي اعلي الله مقامهم علم يبحث فيه عن المعارف الالهية و الحقايق اللاهوتية و الامثلة الملقاة في هويات الاشياء علي ما هي عليه في نفس الامر بقدر الطاقة البشرية علي النهج المقرّر من مبادينا و اوايل جواهر عللنا و عن سلاف الحكماء و اتباعهم في

تعريفها انها العلم باحوال اعيان الموجودات علي ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية سواءا وافق ما جاء به الشرع ام لا و انت تري نقض هذا التعريف طردا و عكسا مع ما ذكروا من تساوي التوافق للشرع و عدمه و بطلان ذلك معيّن لانحتاج الي ردّه و لسنا بصدد النقض

صفحه ۹

و الابرام و اما تعريفنا فهو كامل من جميع الجهات و الحيوث ان شاء الله لاشتماله علي ما هو بمنزلة الجنس القريب و الفصل القريب فقولنا المعارف الالهية يعمّ جميع ما يتعلق بحق المعرفة علي ما ورد في الاخبار فان المعرفة اثبات التوحيد اولا ثم معرفة المعاني ثانيا ثم معرفة الابواب ثالثا ثم معرفة الامام رابعا ثم معرفة الاركان خامسا ثم معرفة النقباء سادسا ثم معرفة النجباء سابعا و لا بدّ في تكميل المعرفة من معرفة ما يبتني عليه هذه المعارف من معرفة حقايق الصفات و الاسماء و فضايل الائمة و الانبياء و منازل الشيعة منهم و الاصفياء و غير ذلك و كذلك لا بد من معرفة نتايج هذه المعارف مجملا فانه يدخل في المعارف علم ما كان و ما يكون بقدر تعلّقها بالمعرفة و قولنا الحقايق اللاهوتية يعمّ كل شئ من الاكوان و الاعيان فانك اذا عمّمت الحقايق اللاهوتية بمعني اخذها لا بشرط صفة خاصة و رتبة معينة فان في كل رتبة من المراتب حقيقة لاهوتية اضافية معرّاة عن انيات تلك الرتبة و هوياتها و ماهياتها و متممات قابليتها فهي آية الله لتلك الرتبة و عنوانه لها و مثاله الملقّي في هويتها و وصفا تعريفيا عرّف نفسه لها به و ان كانت بالنسبة الي الاعلي عرضا ، جوهرا كان او عرضا فهي تشمل جميع المراتب التنزلية كينوناتها و اسباب ترقياتها و دوامها و حفظها عن اعدامها لاتقل انه يلزم علي قولك ان المعارف تشمل جميع ما كان و ما يكون فذكر الحقايق اللاهوتية لغو لانا نقول ان المراد من المعارف شرع الاشياء و من الحقايق كونها و الحكمة الالهية تشمل جميعها ثم ان للاشياء حيثين حيث طبيعة و حيث روحانية اما الروحانية فهي المثال الملقي في هوياتها من التجلي الاجل الاعلي و الربوبية العظمي و هو روح الله الذي هو امره و المثال هو الروح من امره فافهم و هذا قوله تعالي روحك من روحي و طبيعتك علي خلاف كينونتي ، و اشار الي المثال الامير المتعال بقوله في العالم العلوي تجلي لها فاشرقت و طالعها فتلألأت فالقي في هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله ،

صفحه ۱۰

هذا و ان كان علي الظاهر في العالم العلوي الا انه يشمل جميع العوالم و الاوادم لقوله عليه السلام :

و في كل شئ له آية ** * ** تدل علي انه واحد

و قوله تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق اولميكف بربك انه علي كل شئ شهيد يعني موجود في غيبتك و حضرتك و بالجملة اذا عرفت ذلك فاعلم ان الناس نظروا الي الاشياء من حيث انيّاتها و طبايعها فغرقوا في بحر لُجّي مظلم يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب اذا اخرج يده لميكد يراها و ذلك لانهم نظروا بغير سراج و نور اذ انقطعوا عن الائمة عليهم السلام الاتري انهم قالوا في تعريفهم سواءً طابق

الشرع ام لا مع ان العلم الصحيح من عندهم فمشوا تائهين حايرين و من لميجعل الله له نورا فما له من نور و اما نحن فمشينا بنور الله و نظرنا الي الاشياء من حيث المثال الملقي فيها فوقفنا علي الحقايق ببركة مشايخنا بقدر طاقتنا و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و بالقيد الثالث خرج حكمة القوم فعلي ذلك ما سمّوه حكمة هو غير الحكمة بل هو علم ببعض العوارض المظلمة من حيث الانية علي ما يوافق قول الشيطان و اين هذا من الحكمة التي هي هديّة الله الي انبيائه و خواصه من عباده اذ قال آتاه الله الحكمة و قال و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا و كذلك خرج بقيد مطابقة الشرع حكمتهم و جميع ما صدر من الرأي و اعلم ان الامثلة الملقاة هي هي الحقايق و المعارف و العطف بياني لا ان الامثلة غيرها فيلزم من ذلك ان العلم بالحقايق و المعارف من غير جهة الامثلة ايضا حكمة و كذلك خرج بقيد الامثلة ما اصطلحوا عليه في الالهيات بالمعني الاخص و شقّ من الاعم ايضا اذ يقولون ان كان يبحث فيه عن الاله و احواله و صفاته فهو الالهي بالمعني الاخصّ و ان كان مطلقا عن الله و عن غيره فهو الالهي بالمعني الاعمّ اذ نحن لانبحث عن الله و قد نهينا عن ذلك قال الله

ان الي ربك المنتهي ، و قال (ع) اذا انتهي الكلام الي الله فامسكوا ، و لعنوا اصحاب الكلام و الله سبحانه لايقع موضوع علم فان موضوع كل علم ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية و الله لايعرضه شئ و نحن ننظر في الامثلة الملقاة و بينهما فروق كثيرة و كذلك خرج الكلام بقيد الحقايق و الامثلة فانهم جعلوا موضوع علمهم ذات الله و نحن لانتكلم في الذات بل تكلّمنا في الآيات و نظرنا الي العلامات و المقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان ، قال السيد الاستاد اعلي الله مقامه و انار برهانه بعد ذكر الحدّ فشمل الحدّ المراتب باسرها اذا عممت الحقايق اللاهوتية انما يشمل المراتب التنزلية كينوناتها و اسباب ترقياتها و دوامها و ثباتها و حفظها عن اعدامها و خرجت الحكمة المصطلحة عندهم بالاخير لكونهم لايلاحظون ذلك و ان لميلاحظوا عدمه ايضا و كذلك ايضا بقيد المثال الملقٰي فانهم يبحثون عن الوجود مطلقا في العام و الحق في الخاص و خرج الكلام بالقيد الثاني المعمم و دخل الطبيعي و الرياضي في المعمم بالكينونة في تنزّلها الي الجسمية و ان كانت بنفسها ليست منهما و هي و ما فوقها تدخل في العلم الالهي بالمعني الاعم و دخل في المعمم باسباب الترقي اقسام الحكمة العملية فالاخلاق و النواميس باسباب الترقي في الالهي و ان كان في الطبيعي و السياسة المدنية و تدبير المنزل بالدوام و الثبات و علم الطب و اضرابه بالحفظ عن الاعدام الظاهري كذلك ساير العلوم يمكنك ان تستنبط من الحد كما تستنبط من الحد علي الفرعية بل كل ما في الوجود بايّ نحوٍ منه يدخل بالفرعية و كذلك ايضا علم الصناعة الفلسفية و الليميا و السيميا و الريميا و الهيميا و يدخل علم القيافة و الكف و الكتف بالكينونة و كذلك البحث عن الالفاظ صورتها و مادتها و دلالتها و الاحكام الحاصلة من اقتران بعضها مع بعض تدخل فيها بالكينونة الصفتية و مجمل القول ان كل علم من العلوم و رسم من الرسوم انما هو منشعب منها اذ البحث في العلوم لايخلو اِما ان يكون من كينونات ذواتها او كينونات صفاتها او

صفحه ۱۲

ما يحصل به ثباتها او ترقيها او تنزلها علي كلا الاعتبارين و الجامع لها الحكمة الالهية الحقة فلمثلها فليعمل العاملون و لادراكها فليتنافس المتنافسون ، انتهي كلامه علا مقامه فظهر لك من هذا الكلام الموجز ان علمهم علم بجميع الاشياء فيا ابن الانسان اعرف قدرك و لاتدع الا حدّك منذا الذي يقتدر علي ادعاء علم المشايخ الاعلام مع انه علم بجميع العلوم و الاحكام و من العجب ان يدعي الانسان الحكمة و يقرّ بعدم الاطلاع علي غيرها من متممات الكلمة .

السادس موضوعها ، اما الحكماء فجعلوا موضوع الالهي بالمعني الاعم الوجود قالوا ان موضوع العلم الاول الاعلي الالهي الوجود بما هو وجود فان كان البحث فيه عن الاله و احواله و صفاته و ما يخصّه من الصفات الجلالية و الجمالية فهو الالهي بالمعني الاخصّ و ان كان مطلقا فهو الالهي بالمعني الاعمّ و فيه ما فيه فان الحق سبحانه مجهول الكنه و الطريق اليه مسدود و الطلب مردود و انما تحدّ الادوات انفسها و تشير الآلات الي نظائرها ، فكيف يصير موضوعا ، هذا و ثبت ان موضوع كل علم ما يتكلم فيه عن محمولاته و عوارضه فنفس الوجود ليس مبينا فيها و لكن المبين عوارضه فالوجود خارج عن الحكمة و نفس الموضوع لا بد ان تكون بيّنا او مبيّنة في علم اعلي و الوجود بنفسه بيّن ظاهر ، قال الآخوند الشيرازي (ره) للموجود بما هو موجود عوارض ذاتية يبحث عنها في العلوم الالهية فموضوع العلم الالهي هو الموجود المطلق انتهي ، و انت تعلم ان ذات الله لايعرضها عارض و صفاتها خلقها فالذات لاتصير موضوعا ابدا اذ لا عارض لها و اما موضوعها عندنا فهي الحقايق الخلقية و الاعيان الوجودية و اعلم ان موضوعات جميع العلوم محمولات موضوع الحكمة و لو في العاقبة مثلا موضوع الصرف و النحو الكلمة و الكلام فانه يتكلم فيهما عن صروفها فكيفية التصريف من علم الصرف و اما معرفة حقيقة الكلمة من الحكمة بل حقيقة الصرف ايضا و حقيقة النحو و غير ذلك و يظهر لك ذلك بادني تأمل و موضوع الالهي

صفحه ۱۳

بالمعني الاخص المثال الملقي في هويات الاشياء او المقامات و العلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان .

السابع فايدتها ، قال الله تعالي و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ، و قال الصادق عليه السلام في حديث ان اولي الالباب هم الذين عملوا بالفكرة حتي ورثوا منه حب الله فان حب الله اذا ورثه القلب و استضاء به لاسرع اليه اللطف فاذا نزل منزلة اللطف صار من اهل الفوايد فاذا صار من اهل الفوايد تكلم بالحكمة فاذا تكلم بالحكمة صار صاحب فطنة فاذا نزل منزلة الفطنة عمل بها في القدرة فاذا عمل في القدرة عرف الاطباق السبعة فاذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلب في فكره بلطف و حكمة و بيان فاذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته و محبته في خالقه فاذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبري فعاين ربه في قلبه و ورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء و ورث العلم بغير ما ورثه العلماء و ورث الصدق بغير ما ورثه الصديقون ان الحكماء قد ورثوا الحكمة بالصمت و ان العلماء ورثوا العلم بالطلب و

ان الصديقين ورثوا الصدق بالخشوع و طول العبادة فمن اخذ بهذه السيرة إما ان يسفل او يرفع و اكثرهم الذي يسفل و لايرفع اذا لم‌يرع حق الله و لم‌يعمل ما امر به فهذه صفة من لم‌يعرف الله حق معرفته و لم‌يحبّه حق محبته فلايغرّنّك صلوتهم و صيامهم و رواياتهم و كلامهم و علومهم فانهم حمر مستنفرة ثم قال يا يونس اذا اردت العلم الصحيح فعندنا اهل البيت فانا ورثناه و اوتينا شرع الحكمة و فصل الخطاب الحديث ، و عن ابي‌عبدالله عليه السلام من زهد في الدنيا اثبت الله الحكمة في قلبه و انطق بها لسانه و بصّره عيوب الدنيا داءها و دواءها و اخرجه الله من الدنيا سالما الي دار السلام انتهي ، و ان ابيت الا اللسان العلمي اقول ان فايدتها الاخلاص لله بالعبودية و مشاهدة نوره في الحقايق اللاهوتية و الاطلاع علي كل شئ بالبصيرة النورية و اصلاح النفس بتهذيب الاخلاق و العمل بالشرع عن معرفة حتي يصير في جمع السُّبّاق .

الثامن في ترتيب هذا الكتاب المسمي بينابيع الحكمة ، فاعلم اني وضعت له فهرستا مفصلا لكل عنوان من عناوينه اول الكتاب لتسهيل اخذ المسائل للطالب فمن شاء ان يفرّق الاقسام ليكون في مجلدات فليفرقها في رؤسها و من شاء جمعها فليجمعها في مجلد و لكني ارسم هنا مجملا العناوين الكلية ليكون الناظر علي بصيرة في الجملة فاعلم اني رتّبته علي اربعة اقسام :
القسم الاول في الالهيات بالمعني الاخصّ و اصول العقايد سوي المعاد لاني افردت مسألة البدأ و العود في قسم خاص و فيه مقالات : المقالة الاولي في التوحيد و اذكر فيها حقيقة التوحيد في الذات و الصفات و الافعال و العبادة و ما يتعلق بكل مقام من الحكم و فصّلتها بمقامات : الاول في اثبات الصانع و توحيده في ذاته الثاني في توحيده في الصفات و ما يتعلق بها من المسايل الثالث في توحيده في الافعال و ما يتعلق بها من مسايل القدر و القضاء و البداء و فروعها الرابع في توحيده في العبادة و ما يتعلق بها . المقالة الثانية في النبوة و فيها مقامان : الاول في مطلق النبوة و اثبات لزوم وجود الانبياء و بعض ما يخصهم من المناقب الثاني في النبوة الخاصة المحمدية صلوات الله عليها و اقامة البراهين علي لزوم وجود حضرته و يذكر في المقام فضايل له (ص) و ما يتفرع عليها من الحكم . المقالة الثالثة في الامامة و فيها ايضا مقامات : الاول في اثبات الامامة المطلقة بالادلة البديعة الثاني في الامامة الخاصة بالبراهين النيّرة الثالث في بعض فضايلهم الكلية و اعنون لكل فضيلة مطلبا خاصا . المقالة الرابعة في الركن الرابع و الضياء اللامع و فيها مقامات : الاول في اثبات لزوم وجود الاولياء دائما بانواع الادلة و نفرد لكل نوع دليل مطلبا الثاني في فضايلهم و مراتبهم و مقاماتهم و فيه مقدمة و مناقب الثالث في لزوم معرفتهم و اذكر خاتمة في البراءة من الاعداء و الي هنا يختم القسم الاول و قد

جعلته جلدا خاصا ليقل حجم الكتاب و يسهل حمله و نقله للطلاّب .
و القسم الثاني من الاقسام في البحث عن الوجود و احواله و الماهية و حالاتها و ما يتعلق بهما من الامور العامة علي اصطلاح القوم و علي اصطلاحنا نسمّي جميعها بالالهيات

لانا لانطلب علما لميذكر اسم الله عليه و لانكتسبه و لانكتبه و هو عندنا فسق و ما لمنرد به وجه الله لانتكلم فيه غاية الامر ان بعض العلم مما يتعلق باسمائه و صفاته الخاصة و بعضها يتعلق بساير آياته و علاماته الشرعية و الكونية و بالجملة رتّبت هذا القسم ايضا علي مقالات : الاولي في البحث عن الوجود و العدم و فيها فصول و لمنقسمها بمقامات للاشعار بعدم تفصيل الوجود . المقالة الثانية في الماهية و فيها مقامات : الاول في الكلام في نفس الماهية الثاني في مباحث الكليات و الجزئيات الثالث في المادة و الصورة . المقالة الثالثة في ساير الحكم الكلية التي نحتاج الي معرفتها و هي من امهات المسايل في كل مقام و فيها مقامات : الاول في العلل الاربع الثاني في التأثير و التكميل الثالث في القوّة و الفعلية و الحركة و السكون الرابع في الاوقات و نسمّيها بالاوعية الثلثة و الازل الخامس في بيان القدم و الحدوث السادس في بعض المسائل الجزئية كالوحدة و الكثرة و امثالهما و اختم به هذا القسم ايضا .

ثم القسم الثالث في المبدء و المعاد و رتّبته علي مقالتين : الاولي في المبدأ . . .

المقدمة الثانية جري عادة جماعة من مشاهير الحكماء و اساطين العلماء علي ذكر الدليل قبل الشروع في المسايل بل ربما جعلوه من المبادي و هذا عمل كامل اذ لا بد للطالب من معرفة البرهان و ان لميثبت في اول الكتاب المخصوص فلا بد له من تحصيله بالقراءة و النظر في محلّه و قد قال الله تعالي قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين و قد ردّ في كتابه علي من ردّ بالبرهان مع انه الله القادر علي كل شئ و العالم بكل شئ و قد قال الامام عليه السلام الحق يعرف بالمثل و الباطل يعرف بالجدل ، و المراد من المثل البرهان الحق في المقام و من الجدل القول بلا برهان و ليس المراد من المثل التمثيل المسمّي في عرف الاصوليين بالقياس و هو اثبات حكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعني مشترك بينهما فان ذلك ظن و تخمين و لايعرف به الغثّ من السمين بل المراد منه هنا الصفة و الصفة هي الآية و الآية هي الدليل قال الله تعالي انما مثل الحيوة الدنيا الآية ، و قال مثلهم في التورية اي صفتهم و له معان اخر لاتجري في المقام الا بنحو من التأويل و بالجملة لما عرفوا الحاجة الي البرهان و لميلجأوا الي ركن وثيق و لميتبعوا من هو بالاتباع حقيق منعوا من شرب الرحيق فتاهوا في وادٍ سحيق و اتبعوا اصحاب الكلام و الفلاسفة الملعونين علي لسان الامام فزعموا ان البرهان قياس مركب من مقدمات يقينية تركيبا صحيحا سواء كانت ضرورية و هي اليقينيات ابتداءا او نظرية و هي اليقينيات بواسطة و عدّوا الضروريات ستة الاوليات و هي البديهيات و المحسوسات و المتواترات و المجربات و الحدسيات و فطرية القياسات و قسموا البرهان الي لِمّ و اِنّ و غاية جهدهم و سعيهم و فضلهم تطبيقه علي القضايا و ذلك بان الاوسط في البرهان لا بد ان يفيد الحكم بثبوت الاكبر للاصغر فان كان مع ذلك علة لوجود الاكبر في الاصغر في الخارج يسمي برهان لِمّ لانه يعطي اللمّيّة في الذهن و هو معني اعطاء السبب

في التصديق و اللمّيّة في الخارج و هو معني اعطاء السبب في الحكم في الوجود و المراد بالحكم هيٰهنا ثبوت الاكبر للاصغر و ان لميكن كذلك يسمي برهان اِنٍّ لانه يفيد انّيّة الحكم في الخارج دون لمّيّته و الاوسط في برهان الاِنّ اذا كان معلولا لوجود الاكبر في الاصغر يسمي دليلا ، هذا غاية جهدهم في الدليل ثم احتاجوا بعد ذلك الي ساير التفاصيل من باب المقدمة للوصول الي البرهان و انت تري ان شيئا من ذلك لايوصل الي الحق و ما عدّوه ضروريات ان كنت من اهل الفهم و التسليم تعلم ان اغلبها نظريات فانه لايمكن بناء الدين علي الحدس و التجربة و المتواتر علي لسان هذه العوام الجهلة و المحسوسات اما المشاهدات منها فعلي فرض صحّتها لاتغني عن اغلب المعقولات و اما الوجدانيات فاكثرها يخطي و اما القياسات الفطرية فمرادهم منها قضايا يحكم العقل بها بواسطة وسط يقرب من الذهن عند تصوّر حدودها كقولنا الاربعة زوج لكونه منقسما بمتساويين فانّ الانقسام بهما لايغيب عن الذهن و ذلك علي فرض سلامته لايفيد في جميع المقامات مع انه من سنخ المحسوسات او المسلمات و سيجيء الكلام في المسلمات و مرّ في المحسوسات نعم الاوليات ربما نقول انها موصلة الي الحق بالشروط التي ذكرناها في مقامها و بعد ما رأوا ان بهذه القواعد الممهّدة لايمكن الوقوف علي الحق اشترطوا ان لايكون القياس من المغالطات و مثلها عندنا اكثر السبعة المشهورات و هي المسلمات و المشهودات و المظنونات و المقبولات و المخيلات و الوهميات و المشبهات و المؤلف من الاول او الاول و الثاني جدلي و من الثالث او منه و الرابع خطابي و من الخامس شعري و من المشبهات ان كانت مشبهة بالمشهودات مشاعني و ان كانت مشبهة بالقضايا الواجبة القبول فسوفسطائي و صاحب السوفسطائي في مقابلة الحكيم و المشاعني في مقابلة الجدلي و الحاصل ان جميع هذه القياسات خارجة عن البرهان نعم المقبولات ان كانت مأخوذة عن الائمة صلوات الله عليهم يجب الاخذ بها و انت تعلم ان الخروج من القياسات الباطلة لايمكن الا

باستعمال العقل السليم و العقل الجزئي بنفسه لايكون حجة الا بعد توزينه بالميزان القويم و القسطاس المستقيم فان العقل بنفسه لايكون حجة كما اثبتناه في علم الاصول فان كنت ايها المستدل عاملا في القياسات بعقلك فهو بنفسه لايكون حجة بالاستقلال و ان لمتعمل بعقلك فمن اين تعرف المغالطات اذا كانت في المواد بل لايعرف صحة القياسات من حيث المواد و الهيئات و النتايج الا بالعقول فان الصور الظاهرة في الواقع لاتنهض دليلا فالاصل العقل و حاله ما عرفت هذا شأن القوم في ادلتهم و اما نحن فنتبع في جميع الاشياء قول الله تعالي و قوله الحق و دليلنا ما انزله الله سبحانه و هو السلطان المذكور في قوله مانزل الله بها من سلطان و قال و ان تنازعتم في شئ فردوه الي الله و قال و ما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الي الله و قال هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق و في كتابه امر نبيه صلي الله عليه و آله و قال ادع الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي احسن و ذلك بحسب اختلاف المدعوين قال الله تعالي و ما منا الا له مقام معلوم و قال و لكل درجات مما عملوا و قال لايكلف الله نفسا الا وسعها ، فالحكمة مخصوصة باهل التوسم و هي دليل الحقيقة و الموعظة مخصوصة باصحاب العقول و هي دليل اصحاب

الطريقة و المجادلة مخصوصة باصحاب النفوس و هي دليل اصحاب الشريعة و الظاهر و ان تكلف السافل الاستدلال بالدليل الاعلي لايكاد يصل اليه بل ان استدللت به عليه لايكاد يعرفه بل لايعدّه دليلا و اما تفصيل الادلة الثلثة علي نحو الاجمال ان الحكمة دليل الكشف و هو نفس المستدل عليه و من عرف الحقيقة و اطلع علي الدقيقة يعرف ان في اعلي مقام الفؤاد الدليل و المدلول و المستدل و المستدل عليه كلها واحد لا اختلاف فيها بوجه من الوجوه نعم مقاماته متفاوتة فالدليل متفاوت بحسبها و ما ذكرناه من اعلي الفؤاد و لكن حكم نوعه وحدة المستدل عليه مع الدليل فتنظر الي الحقيقة و تعرفها و تعبّر

صفحه ١٩

عنها بالحكمة و لما كان الفؤاد فوق الاضداد فدليله فوقها ايضا فكل ما يعرفه لايحتمل فيه خلافه فاليقين الحاصل لاهله عين اليقين و بعده ليس الا الانكار و الجحود دون الظن و التخمين و مثال دليل الفؤاد الذي هو الحكمة الالهية ان نقول في اثبات هذا البيان ان الفؤاد نور الله و عينه التي اعارها عبده و بها يشاهد الانوار و الحقايق لا غيرها فجميع ما يراه حقيقة و الحقيقة هي الحق لا غير و كذلك بهذا الدليل نثبت الصانع و نوحّده و بغيره لايحصل التوحيد الخالص فهو مشعر التوحيد لا غير و اما الموعظة الحسنة فهي طريق السلامة و لايحصل بها اليقين بوجود المستدل عليه و لايعرف بها الرب تعالي و لكن يظهر به طريق السلامة و ينفع ذلك العقلاء و من شأنهم الاحتياط و مثاله علي الشكل الاول هذا : كل سالك مؤمن يأخذ طريق الاحتياط و كل من اخذ طريق الاحتياط ينجو مسلّما فكل سالك مؤمن ينجو و اما المجادلة بالتي هي احسن فشأن اهل الظاهر و طريقه ما اشتهر بين الاصحاب و عليه بناؤهم و طريقه الاستدلال من الآثار علي المؤثر و ان شئت قلت ان دليل الحكمة الاستدلال من المؤثر عليه و علي الاثر و المجادلة هي الاستدلال بالاثر علي المؤثر و طريقه ان نقول ان الامور اما تكون ضرورية او نظرية اما الضروريات فلاتحتاج الي دليل لانها بانفسها اظهر من كل شئ و اما النظريات فتحتاج الي دليل نستدل به عليها لنهتدي بسراجه و مرجع ذلك ايضا الي واحد من الاشكال كأن تقول الامر ان كان ضروريا فهو واضح و كل واضح لايحتاج الي دليل فالامر الضروري لايحتاج الي دليل و النظري لايظهر من غير دليل و كل ما لايظهر من غير دليل يحتاج الي دليل يستدل به عليه فالنظري يحتاج الي دليل يستدل به عليه و بالجملة جميع ما ذكروه في كتبهم يكون مجادلة و في المجادلة ان كنت تريد وجه الله و لا تقرّ بباطل لاثبات حجة و لاتنكر حقا لذلك تكون بالتي هي احسن و الا فهي بالتي هي اسوأ و هذه ادلة عقلية و ليست عندنا في مقابلة النقل و لكن لا بد من موازنتها بميزانه و ذلك

صفحه ٢٠

قول الله تعالي و زنوا بالقسطاس المستقيم و قال و السماء رفعها و وضع الميزان الّاتطغوا في الميزان ، فلا بدّ من ملاحظة الميزان و الميزان الحق هو الكتاب و السنة و الآفاق و الانفس اذ ماخلقها الله باطلا و كذلك اجماع الفرقة المحقة حجة و اذا خالفه الادلة يجب الاعراض عنها و اعلم ان الادلة المذكورة اذا كانت علي الحق لاتكاد تخالفها و لكن عقول الناس ضعيفة اذ قد استحوذ عليهم الشيطان و غلبت عليهم الاعراض و غيّرتهم

الامراض فربما لايعرف عقلهم شيئا علي الحق فيستدل بالباطل مثلا في طريق المجادلة نقول ربما يؤلف الانسان قياسا من حدسيات و الحدسيات عندهم من الضروريات و هي قضايا يحكم النفس بها بواسطة حدس من النفس بمشاهدة القراين كالحكم بان نور القمر مستفاد من الشمس لاختلاف الهيئات الشكلية بسبب قربه و بعده منها و امثال ذلك و الحدس لايكون صايبا الا في بعض الاوقات فكيف يمكن ان يبتّ الانسان علي النتيجة الا بعد ان يزن قياسه بالقسطاس المستقيم و اذا كان الامر في الحدسيات هكذا مع انها من الضروريات عندهم فما ظنك بغيرها بل اقول ان الامر جارٍ في الاوليات ايضا و لاينبغي للانسان ان يقنع بما زعمه اوليا اذ ربما يصير شئ مسلّما عند جماعة و يشتبه بالاوليات فيزعمه الانسان بديهيا بل ربما يقبح من خالفه مع انه في الواقع ليس بديهيا ضروريا فلا بد من العرض علي عقول الناس حتي يميز بين الضروريات و المسلمات و المشهورات و لا شك انه لايتمكن الانسان من الاطلاع علي جميع العقول فالمعالجة الرجوع الي العقل الذي احاط بكل شئ فانه الواقف علي كل شئ و هو الامام عليه السلام و العلم الصحيح الذي لايشوبه شائبة الخطاء من عندهم و من عمل في جزئي من الامور في الاصول و الفروع برأيه فقد هلك قال الله تعالي قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و قال من يطع الرسول فقد اطاع الله و قال اطيعوا الله و اطيعوا الرسول و قال قل هذه سبيلي ادعو الي الله علي بصيرة انا و من

صفحه ۲۱

اتبعني و قال و من يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولي و نصله جهنم و قال و من اضلّ ممن اتبع هويٰه و قال افرأيت من اتخذ الٰهه هواه ، و في الخبر من عمل برأيه فقد هلك و في رواية فقد كفر و قد لعنوا اصحاب الكلام بقولهم هذا ينقاد و هذا لاينقاد و هذا نعرفه و هذا لانعرفه ، و لا شك ان مرادهم من ذلك الموافقة للاقيسة المنطقية و القواعد الكلامية و هم لميكونوا يتكلّمون بغير القواعد المسلّمة عندهم و انت تري ان نتايج مسلماتهم اغلبها شرك و كفر ثم ان الضروريات العقلية ربما لاتوافق الشرعيات فلا بد من تركها فعلي فرض كون المقدمات من الاوليات اذا خالفها الشرعيات لا بد من تركها الاتري انه عليه السلام قال ما معناه اذا روي لك عنا ان النهار ليل لاتكذّبه ، و قد امرنا بمتابعتها و لو خالفت بديهياتنا فلا بدّ من العرض في جميع الحالات علي الكتاب و السنة و هما الاصل و العماد و الاجماع الضروري و الآفاق و الانفس و الشئ اذا ثبت بهذه الادلة لايحتمل فيه الخطاء و ان قلت انك قلت ان الحكمة دليل الكشف و الكشف هو الحق الواقع فلمَ نحتاج الي عرضها عليها اقول ان الحقيقة حق بلا كلام و لكن مشاعرنا لاتكون معصومة الاتري ان المشاهدات مثلا اوضح من جميع الضروريات و ربما يزعم انها لاتخطي و مع ذلك انها تخطي بواسطة الامراض فالرَّمِد مثلا يري الابيض احمر و الاحول يري الشئ الواحد اثنين فمن اين يطمئن الانسان ان ما رءاه حق ام لا و كذلك اصحاب الكشف ان لميكونوا معصومين يحتمل العيب في مشاعرهم فلايرون الشئ علي الحقيقة فان اهل الكشف يكشف لهم الامور علي حسب قابلياتهم فلا بد من عرض جميعها علي ميزان مسلّم خالٍ عن العيب فان حكم الميزان بصحتها يؤخذ بها و الا فلا و الميزان اما في ذلك الزمان فما ذكرناه و ان كان في عصر الائمة عليهم السلام او النواب الخاصة

فالميزان نفوسهم المقدسة اما الامام فمسلّم و اما النواب فيسددهم الامام و يحفظهم مع انهم يزنون انفسهم في ايام الغيبة بالكتاب

و السنة لانهم يعرفونهما و نحن لانعرف مثلهم مع كونهم مسددين في فهمهما .
بقي شئ و هو ان الكتاب هل يكفي عن كل شئ ام لا و يعمل به ام لا ، فاعلم انا قد اثبتنا في مظانّه ان هذا الكتاب لم‌يفرط فيه من شئ لانه التعبير عن علم الله الذي احاط بكل شئ و تدوين التكوين الجامع لجميع كمالات الله التي لاتتناهي و هو كتاب الخاتم صلي الله عليه و آله و نزل عليه بعلم الله الذي خلق به مشيته في عرصة حقيقته و نزل معه في جميع العوالم و الاوادم متجليا في جميع الصور النورانية و الحجب حتي انتهي الي هذا العالم فجمع فيه جميع ما كان و ما يكون و لذا صار معجزة لان جميع المتكلمين كلامهم بحسبهم و هذا بحسب شأن اول ما خلق الله فكما ان ذات الخاتم اعجزت جميع الخلق عن الوصول اليها كذلك كتابه فافهم فلهذه الادلة و غيرها كل شئ احصي فيه و لكن علمه يختص بمن كان معه و انزل عليه فلايعلم تأويله الا الله و رسوله و الراسخون في العلم مطلقا غاية الامر انهم بيّنوا بعضه واضحا نيّرا فصار محكما و ستروا بعضه فصار متشابها بل اقول جميعه متشابه علي الذين لم‌يبلغوا درجة الكمال كما قال الله المتعال كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم فان معني المتشابه في التفسير المعروف انه يشبه بعضه بعضا في جودة اللفظ و المعني او يشبه ساير الكتب السماوية من جهات و باحد المعاني يراد منه ما اشتبه علي جاهله و جميعه هكذا و لكن بعد ما بيّنوا بعض التفاسير في بعض الآيات صارت محكمة فالمؤمنون يعملون بالمحكمات و الذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه محض القاء الفتنة في الناس و لكن مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و لايستطيعون صرفا و لا نصرا ببركة المحكمات و علي ايّ حال مرادي ان علم الكتاب بسبب ذلك صار مخصوصا بهم مع ان ذكر جميع الاشياء في هذا الكتاب ليس علي الظاهر بل في ساير بطونه و علم جميعها عندهم فالكتاب بنفسه لايقوم لنا حجة

الا مع آل‌محمد عليهم السلام فمن انقطع عنهم بقي بلا دليل و هم الحجة و السبيل فالمرجع في الواقع آل‌محمد و يجب الرد اليهم و الرد اليهم يومنا هذا الرّدّ الي اخبارهم فالواجب علينا ردّ ادلتنا اليهم صلوات الله عليهم فما وافق قولهم فهو الحق و ما خالفه هو الباطل فالدليل الواقعي الاخبار غاية الامر ان العارف بالادلة المذكورة يصير علمه عريضا و بسطه كثيرا و الا اذا لم‌يعرف احد دليلا سوي ان رسول الله صلي الله عليه و آله قال هكذا يكفيه ذلك و ينجيه ، هذا و هم دعوا بامر الله بهذه الادلة الثلثة ففهمها معين لفهم الاخبار و اما الاجماع فاما يراد منه اجماع اهل الحق خاصة او جميع المليين او كليهما فمن قدر ان ينهي دليله في جميع الاشياء اليهما لصار علي يقين في دينه فان المجمع عليه لا شك فيه فان الامر اما ضروري او نظري فالضروري لايحتاج الي دليل فان نفس الضرورة دليل اذ معناها ما يكون من دين الله بداهة و مثل ذلك حجة مسلما و اما في النظريات فنحتاج

الي دليل و الدليل ان كان مثلها فهو اسباب الشبهة لا اليقين و لا بد من الاستدلال بما هو دليل و الدليل ان كان بنفسه ضروريا فلايبقي مجال للنظر و يلحق المسألة بالضروريات و لكن الكلام في انهائه اليها و ليس ذلك شأن كل احد نعم النجيب يقتدر علي انهاء ادلة جميع مسايله الي الضروريات و لذا لايكون علي اليقين سواه فاسع جهدك في هذا الامر و ان لمتقتدر عليه في جميع المسايل يمكنك ذلك في اصول دينك و بعض فروعه و اما الآفاق و الانفس فلان الله سبحانه اراك آياته فيهما كما قال سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم ، فكل ما خفي في الآفاق يظهر في الانفس و كل ما خفي في الانفس يظهر في الآفاق و امر الله سبحانه واحدة في الجميع و ذلك سبب وضوح المسألة لك و ان ضممت الي ذلك الاستعانة بساير العلوم ايضا فانت انت و ذلك لان العلوم المدوّنة ليست الا تعبيرات عن اشباح وقعت من جهات الآفاق و الانفس و حيوثها فتطلع بذلك في الواقع علي اسرار

الآفاق و الانفس و ان استطعت ان تستدل في كل مسألة بالادلة الثلثة فذلك سبب اليقين و لكن بدليل الحكمة تطلع علي حقيقتها و بالموعظة و المجادلة علي ظهوراتها في العقل و النفس و النجيب الكلي يقتدر علي ان يستدل في كل مسألة من المسايل بادلة كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و كلياتها تنتهي الي سبعة و عشرين دليلا و لاتخرج مما ذكرناه و هي هذه : الكتاب و السنة و الاجماع و دليل الآفاق و الانسان الصغير و الوسيط و الاستدلال بالربوبية علي العبودية و بالعكس و الاستدلال علي كل شئ باسم من اسماء الله تعالي و الاستدلال من ساير العلوم علي مطلبه و من كل واحد منها يستدل بالادلة الثلثة و من ضرب الثلثة في التسعة يحصل سبعة و عشرون و لكن ذلك كلياتها و الا فانواع الادلة اكثر من ان تحصي و هو يقدر علي الاستدلال بجميعها و غيره لايقدر علي ذلك الا في بعض المسايل الكلية و بالجملة فيا ايّها الناظر في كتابي هذا ان كنت طالبا للحكمة علي الحق فاسع في طلب الدليل اولا فانه علامة الصدق و انا لاابخل من الاستدلال بقدر الميسور و لكن لااتمكن من التفصيل فان مرادي ذكر اغلب المسايل الكلية مما يتعلق بالالهيات بالمعني الاعم و ان تعرضت لذكر الادلة في كل مقام علي التفصيل لبلغ الرسالة الي مجلدات و لكني اشير الي دليل المسألة علي نهج الاختصار ان شاء الله و اتوكّل علي الله و اسأله ان لايكلني الي نفسي و يهديني الي الحق في كل مسألة من المسايل ان شاء الله و اوصيك بالمطالعة و تكرير النظر في هذه الاوراق حتي تقف علي مرادي ان شاء الله فاني مانطق بهوي نفسي و لااتكل علي فهمي بل بنائي علي صرف التقليد عن آلمحمد عليهم السلام و لااخالف عنهم و لكني لاابرئ نفسي عن السهو و الخطاء فان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ، هذا و ازن ما افهمه بكلمات مشايخي و لااقول الا ما يوافق قولهم فخذ ما آتيتك بارد القلب ثلج الفؤاد فانه لحق ان شاء الله و كلما اذكره من عبارات مشايخي انسبه اليهم .

القسم الاول من اقسام ينابيع الحكمة في الالٰهيات بالمعني الاخصّ و ما يتعلق بها من اصول الدين و ما يتبعها من الحكم و الفضايل و فيه مقالات :

المقالة الاولي في اثبات الصانع و توحيده و فيها مقامات :
المقام الاول في اثباته و توحيده في ذاته علي نحو الكلية و الاختصار الذي هو مرادي في المقام و فيه فصول :
فصل اعلم ان الشئ اما حادث او قديم و هما متناقضان لايرتفعان و لايجتمعان فكل ما يكون حادثا لايكون قديما و كل ما يكون قديما لايكون حادثا و لا شك ان الحادث بجميع معانيه يحتاج الي محدث فان معناه في اصطلاحنا الفقير المحتاج المنطوي تحت غيره القايم له الدال اليه و هذا الغير هو الصانع و هو لايحتاج الي غيره لا محالة و لو فرضت له الحدوث لاحتاج الي غيره فذلك الغير اما من نفس الحوادث او غيرها فان قلت انه من نفس الحوادث لزم من ذلك ان تقرّ بانّ من هو محتاج في نفسه يغني غيره بما ليس له و ذلك محال و ليس في محال القول حجة و لا في المسألة عنه جواب و ان قلت انه محتاج الي غيره و غيرها نقول انه فوقه او تحته او معه فان كان تحته فتحت القديم حادث و الكلام فيه عين ما مرّ و ان قلت انه معه اقررت بالشرك و سيجيء بعد القول فيه و ان قلت انه قبله فننقل الكلام اليه علي ما مرّ و علي قول المتكلمين يلزم من هذا الدور او التسلسل و هما ممتنعان و بوجه آخر نقول ان الوجود اما واجب بالذات او ممكن بالذات و لا ثالث فاذا ثبت ان جميع الخلق من الامكان فهم يحتاجون الي واجب بالذات فان الممكن وجوده و عدمه بالسواء و لايخرج من الامكان الا بمرجح خارجيّ و لولا المرجح للزم الترجح بغيره و هو

محال و المرجِّح هو الواجب تعالي شأنه و انواع ذلك من الادلة الكلامية كثيرة و في هذا الزمان قد استغني الناس و الحمد لله عنها لثبوتها و لكن مرادي الاشارة بقدر عدم خلو كتابي عن نوعها .
فصل لا دليل علي وجود المؤثر ادل من وجود آثاره و علي وجود الصانع من مصنوعاته فان البعرة تدل علي البعير و اثر القدم يدل علي المسير فهذا البناء المحكم و الامر المبرم و الخلق الكثير بالدلالة علي العزيز الخبير جدير و لاينكر ذلك الا المكابر الضرير انظر الي هذا الفلك الدوّار و خاصم شيطانك المكّار ان حدوث الليل و النهار و سبح الشمس و القمر في هذا البحر التيّار و طلوع كل كوكب سيّار و خفاءه بعد ظهوره تحت الاستار و نظراتها و مزاجاتها و غرايبها و عجيباتها و ما منها و اليها و بها فان في ذلك لآيات للمتفكرين فانها هل تكون متحركة بانفسها او يحرّكها غيرها فان قلت انه يحركها طبعها فينكرك اختلاف الحركات و بروز التأثيرات فان الشمس مرّة تسفل و مرة تعلو فان كان من طبعها التسفل فلم تستعلي او بالعكس فبالعكس و كذلك ان كان من طبع اجتماع الشمس و القمر اختلاف الهواء عما كان عليه فلمَ يختلف الحكم و ان قلت ان ذلك ايضا بطبع ساير الكواكب اقول ان كان من طباعها فلمَ يختلف الامر فيها مع ما يلزم من حكم الطبايع المختلفة اختلاف النظام و تشتت الامور بلا كلام و ان قلت ان الطبع الآمر الناهي واحد اقول ان كان ذلك طبع الملك فلم نري آثارا مختلفة و احكاما متشتتة مع ان حكم الطبع واحد و ان قلت انه موصوف بما ينبغي ان يوصف به الخالق فهو هو فسمّه ما شئت و كذلك اراك ربك ذلك في نفسك انك ماكوّنت نفسك و لاكوّنك من هو مثلك و انت محتاج

الي مكوِّن لما تري من نفسك من الفاقة .
فصل قد استدل مولي الانام اميرالمؤمنين عليه آلاف السلام لولده و قرة عينه افضل الخاص و العام علي وحدة الواجب بدليل يحسبه الجاهل قشريا

و لكنه اعظم آية عند اهل الدراية قال لو كان اله غيره لاتتك رسله ، و هذا دليل كشفي لوحدته و وجوده فان المظهر و الظهور دليل الغيب المستور ان قلت لميتجل في كامل في ملكه احلت القول لوجوه حكمية باطنية لميكشف لثامها و لميفض ختامها ظاهرها ما يعرفه اهل الظاهر انه لا بد و ان يرسل رسولا لاقامة حجته و اعلان بيّنته و التعبير عن مرضاته و سخطه و هداية الخلق اليه لدلالة وجوده عليه بافضل الدلالات او بكلها او بالالتزام لدي الجاهل ببواطن الكلام فالرسل المرسلون دعوا الي اله واحد و لو كان اله غيره لارسل رسلا فنفس وجود الرسل دليل وحدته و وجوده و عدم اله آخر معه و هذا دليل حكمي يدل علي عين المراد و يوصلك الي عين اليقين و الناس في غفلة من ذلك فمتي شككت في وجود الاله لاتكاد تشكّ في وجود الاولياء و الاصفياء فانظر فيهم و اعرف ربك بهم و يكفيك هذه المعرفة عن كل معرفة و بعبارة اخري اشير الي جهة عليا و هي ان دليل كل شئ اثره و آيته فانك اذا وجدت آيته تطلع عليه حتي انه كل ما خرج عن ذاتك لاتطلع عليه الا من سبيل الآية الا ان يكون اسفل منك فعلمك به نفس ذاته بيان ذلك ان علمك بمن هو اعلي منك علمك بآيته فيك و هي ذاتك و علمك بمن هو في عرضك علمك بشبحه عندك و هو آيته و علمك بمن هو اسفل منك طولا ذاته بل اقول ان الاطلاع علي الاسفل بالتفصيل ايضا من طريق الآيات و ان اطلت الكلام في ذلك خرجت عن المرام فانت لاتطلع علي وجود الاعلي الا بالاطلاع علي الآية و ايّ آية لله سبحانه في ملكه اعظم من آية تدل علي ذاته و صفاته و علاماته و ليس ذلك الا نبي الزمان و حجج الله في الاوان فانك اذا نظرت الي شئ و رأيت منه آثار الحدوث قلت انه حادث فانك تستدل علي حدوث زيد بآثاره المشهودة من زيد و لاتري القديم بنفسه حتي تطلع عليه فالدليل علي وجوده آثار القدم و علامات الربوبية الظاهرة من الانبياء و الاولياء كنار علي علَم فاذا نظرت

اليهم صلوات الله عليهم تري هذه الآثار ظاهرة من وجوههم فتستدل بهم علي الربوبية العظمي و الالهية الكبري و لكن الناس اكثرهم لايعقلون فافهم ذلك و اتقنه و بوجه آخر نقول ان الافراد الحاكية عن مطلق واحد تدل عليه و ان كانت حاكية عن مطلقين تدل عليهما و كذلك الانوار الدالة علي واحد بما تظهر من نوره و كماله تدل علي واحد فافهم و بوجه آخر ان الواجد لكمال واحد يدل عليه لا غير و له مسمي مخصوص به و هو الموصوف الظاهر فيه له و الواجد لكمالين يدل علي اسمين لهما مسميان يجمعهما مسمي واحد و الواجد لكمالات غير متناهية تدل هكذا علي الاحد القديم و الرسل هكذا يدلون عليه و غيرهم لايدل الا علي ما وجد و دلالتهم علي الفرد الصمد علي قدر حكايتهم لا ازيد الا مع كشف الاحدية لصفة التوحيد فافهم .

فصل يناسب في المقام ان نبين معني الحدوث بقدر ما يقتضيه الحال فانه من امهات المسايل و قد غفل عن حقيقة ذلك الاكثرون و لذلك قالوا بتعدد القدماء اذ لم‌يعرفوا حقيقة الحدوث و تكلّف جماعة من الحكماء في تعريفه فمنهم من وصفه بالمسبوقية بالعدم و ذلك يجري في الزمان ان كان المراد البعدية في العرض و ان كان في الطول فلايجري في المشية و الامكان و مجموع الملك و منهم من فسّره بان كل ممكن لذاته يستحق العدم و هذا معني الحدوث و منهم من قال غير ذلك و نحن لسنا بصدد بيان اقوال الناس و المراد بيان الحق فاعلم ان الحدوث في اصطلاحنا يجري في جميع الخلق و اما في بعض المعاني التي ذكرها الحكماء فلايجري في جميع الخلق و بعض آخر ناقص و ان كان من جهة صحيحا و انا اروي عبارة عن ابي اعلي الله مقامه في المقام لانه احسن كلام .

قال اعلم ان للحادث معاني منها الحادث الزماني و هو الذي لم‌يكن في زمان ثم وجد بعد ذلك في زمان آخر و ذلك يوصف به ما يكون من اجزاء عالم الاجسام و اما حدوث كل عالم الاجسام الذي منه الزمان فلايعقل ان

يكون بهذا المعني لانه لم‌يكن قبله زمان لم‌يكن هو فيه ثم يكون في غيره فهو حادث دهري يعني هو وجود منفعل علي ما هو عليه مدبر مصنوع و ان كان دائما مستمرا لايقوضه وقت و لايقيضه اجل و نسمّي هذا الحدوث في اصطلاحنا بالحدوث الدهري و هو بالنسبة الي الزماني قديم لانه كاين مستمر في كل الاوقات لا بدأ له و لا منتهي و عندنا حدوث آخر و هو الحدوث الذاتي و المراد منه صرف الافتقار الي الغير و لايلحظ فيه الوصفان السابقان اذ لايوجدان فيه و قد نسمّيه بالحدوث السرمدي و هو قديم دهري فالعالم الذي يعم الذوات لايعقل في حدوثه الا السرمدي فمن زعم انه يثبت فيه الحدوث الزماني او الدهري فقد زعم محالا و كذلك العالم يعتبر من الدهر فما دونه فحدوثه دهري فمن كان يزعم انه يقدر علي ان يأتي ببرهان يثبت في العالم بهذا المعني الحدوث الزماني فقد اخطأ و رام محالا ، انتهي موضع المراد من كلامه اعلي الله مقامه ،

اقول الادلة علي حدوث الملك مجموعه و اجزائه متكاثرة و لايخفي ذلك علي ذي حجي اما اجزاء الزمان فلايشك في حدوثها عاقل فانك تري عيانا تجدّد الليل و النهار و كل متجدّد حادث و له مبدء و منتهي بالبداهة لعين ما استدل به النبي صلي الله عليه و آله انك اذا نقصت يوما من الايام او زدت عليها هل ينقص مما مضي او يزيد عليه ام لا ، لا شك في انه يزيد عليها بالزيادة و ينقص منها بالنقصان و ترك الاقرار بذلك من العدوان و هذا دليل وجيه علي ان له مبدءا و كل ما له مبدء له منتهي و كل ما له بدء و ختم حادث و كذلك المركبات الحاصلة في الزمان يشهد بحدوثها خرابها بكرور الحدثان و عدم وجودها قبل التركب في اوان و حدوث العناصر امر ظاهر و ان ابيت الا البرهان الباهر فانظر الي تحللها و تبدلها بالعنصر المباشر مع ما تشاهد فيها من التركيب و هو ادل دليل للحدوث عند اللبيب و ان ابيت ذلك فانظر الي ما يصنعه الفلسفي الاريب من التجزية و التلطيف و التصعيد و التشبيب و غير ذلك حتي تعرفه علي الحقيقة و اما السماوات فدليل حدوثها التركيبات زايدا علي

ما يشاهد فيها من الاختلافات من انواع الحركات و ما يشاهد في النجوم من انواع التغيّرات و التكملات و اما مجموع عالم الاجسام فان لميشاهده حواسك الظاهرة و مشاعرك الباطنة فالعقل السليم يحكم بحدوثه للحكيم فان ابيت الا الدليل اقول لاتشك في ان اجزاءه حادثة و المجموع مركب من الحوادث و المركب من الحوادث لايكون قديما مع انك تري عيانا منه علايم التركيب و مجموع الزمان ايضا حادث بمثل هذا الدليل فانه من مجموع الاجسام و لكن المجموع حادث دهري لا زماني و كذلك اقول ان مجموع عالم الجسم مسبوق بالمجردات و كل ما يكون مسبوقا بشئ فهو حادث فان القديم لايسبقه شئ ابدا فان كل مسبوق حادث لافتقاره بل مركب من حيثين بل حيوث كما لايخفي علي عاقل فان له حيث غيرية بها عرفت انه غيره و حيث جامعية بها قدرت علي النسبة و لولا الجامع لماحصل النسبة ابدا كما انه لايحصل النسبة بين المؤثر و الاثر و المطلق و المقيد فالتركيب حاصل و كل مركب حادث لا محالة ، ثم ان المجردات جميعها مخلوقة من الامكان و يشهد بذلك العقل السليم غير المشوب بالادلة الكلامية و الفلسفية القشرية فانك صاحب العقل و النفس و الروح و تقتدر علي النظر اليها فانظر فيها تجد لها حيثا جامعا و صورا بها اختلفت و ان ابيت ذلك اقول هل العقل و النفس و الروح موجودة او معدومة لا شك في انها موجودة و لايشك في وجودها احد فهل وجودها بالوجود او بغيره لا شك في انه بالوجود فان غير الوجود لا موجود و الوجود من حيث نفسه لا اختلاف فيه فانه المادة و الاختلافات من الصورة و علي قول من يقول ان الاختلاف من الوجود فهو بعد التعلق بالماهية يختلف و يتشخص لا مطلقا فاما علي الاول فنقول هل العقل و النفس و الروح شئ واحد هو الوجود و لا اختلاف فيها بوجه من الوجوه لايكاد يقول ذلك عاقل لما يشاهد من الآثار المختلفة و المدركات المتفاوتة ، هذا و جميع القائلين فيما نعلم مقرون بتعددها

فلها حيث وجود به هي موجودة و ماهيات مختلفة فهي مركبة و كل مركب حادث و علي الفرض الثاني عند من يقول به نقول علي ايّ حال يثبت التركيب و هو دليل الحدوث و علي ايّ حال فجميع الماديات و المجردات حوادث و اما المجموع من الدرة الي الذرة فيجمعها الوجود الجايز و هو بنفسه حادث بلا شك و اما مجموع الامكان و الاكوان فمعرفة حدوثها بعيدة عن الاذهان و لكني اقول بطريق المجادلة سائلا ان المجموع حادث او قديم فان اقررت بالحدوث فهذا حق لا مرية فيه و ان قلت ان المجموع قديم اقول انه قديم مع الله سبحانه فيلزم من ذلك تعدد القدماء و ذلك محال و ان قلت انه قديم و لا قديم سواه اقول يردك نفس قولك انه مجموع الخلق فان مجموع الحوادث لايصير قديما واحدا و لاهل الحكمة نقول ان مجموع الخلق لايكون حق الوجود الذي هو المعبود بل بلسان القوم هو ماهية موجودة بالوجود و كل ما هو هكذا فهو مخلوق و يشهد بكونه ماهية بلسانهم كليته سواءا كان الكلية في الخارج او في الذهن و بلساننا نقول انه لميكن حق الوجود فهو مركب من وجود و ماهية فان كل ما هو غير الوجود مركب من وجود و ماهية سوي الوجود فان ماهيته عين وجوده و كل مركب محتاج الي مركِّب بالكسر و الي

اجزائه و لايتمكن الخصم من ان يقول ان مجموع الملك حق الوجود فان ذلك كماء الشعير القمحي فان اصل لفظ المجموع يقتضي التكثر فضلا من الملك المتكثر و هو مركّب من ماهيات مختلفة و الا لماصار مجموعَ الملك و حق الوجود هو هو وحده وحده فافهم ذلك و اتقنه .

تنبيه اعلم ان الحدوث الذاتي في الملك مفهومه ليس غير مفهوم الملك فيلزم ان يكون زايدا علي نفس الملك فيصير عرضا له فانه ان صار هكذا لصار ذاته غير الحدوث و حدوثه غير الذات فالذات بنفسها ان كان هكذا كانت غير حادثة و كل ما هو غير الحادث قديم بل نفس ذات الملك حادثة بالحدوث

الذاتي و الحدوث الذاتي هو الانطواء تحت احدية الاحد جل شأنه و الاثرية و معرفة ذلك لايخلو من الاشكال و مع ذلك ربما لاتلتفت انت حين مشاهدة ذاتك الي الحدوث و لكن عدم التفاتك لايصير سبب عدم حدوثها و لذا نقول انت لاتخرج من الحدوث ابدا لا وجودا و لا وجدانا و ترجع من وصف الي وصف مع انك تعرف بنفسك ربك و تعرفه بالقدم لا الحدوث فانك ان عرفته بالحدوث لكفرت فافهم ذلك فانه مشكل و سيجيء لذلك زيادة بيان .

فصل اذا تيقنت بحدوث الخلق بالبرهان فاعرف ان الحادث يحتاج الي محدث و هو الصانع جل شأنه فدليله صنعه و آياته و لكن ذلك نحو استدلال لاهل الظاهر و اهل الباطن و الكشف لايحتاجون الي هذا النحو من الاستدلال بل يعرفون المطلب بالعيان فانظر الي هذا الملك المشهود تري اولا خلقا متكثرا في الغيب و الشهود فان الغيب النسبي و ان كان غيبا عن الخلق الجاهلين و لكن لايكون غيبا عن السالكين و الغيب المخصوص بالله غير الغيب المصطلح المستعمل للمجردات في مقابلة الشهاديات و بالجملة تري جميعها فانية في وجودها ميتة في حياتها ذليلة في عزّتها منعمة في شقائها مشيرة الي غيرها دالّة الي سواها و تراها بكلها لغيرها و هذا معني الحدوث فانك تقرّ بان الحادث ما لميكن ثم كان و اهل الكشف يرون انها لاتكون حين وجودها فالحدوث الذي يقرّون به احدث و امثّل لك مثالا من باب ان الله اراك آياته في الآفاق و في نفسك فانظر الي الاجسام المختلفة المشهودة بالنسبة الي الجسم المطلق اما الجاهل الذي لايعلم شيئا يستدل علي حدوثها بالنسبة اليه بتركيبها و اختلافها و تجدّدها و تبدّلها و لذلك اذا نظر مرّة الي جسم من الاجسام غير ملتفت الي بعض هذه الاعراض يزعم انه جسم قائم دائم و لكن العارف ينظر اليها كاشفا عن جميع السبحات ماحيا لها اذ هي الموهومات و يري ان الجسم المطلق هو الموجود و الدائم الثابت غير المحدود فجميع الظهورات عنده زايلات و الجسم دايم

و كلها حادثات و الجسم ابدي فافهم المثل و اعرف الحق منه و قس علي ذلك البرهان من آية نفسك فانها ملك صغير و الامر واحد فاذا نظرنا الي جميع الملك فعلها و مفعولها و امكانها و اكوانها قاطعا نظرنا عنها نري وجودا ثابتا قائما لا ضدّ له و لا ندّ و لا حدّ

فنطلع بذلك علي قدم الرب اذ الوجود المشهود اعظم آية للحق المعبود و غيره حادث اذ معني الحادث المعدوم و معني الحادث المحتاج و معني الحادث الفقيد و جميع ذلك ثابت في الخلق .
فصل كما نستدل بهذه الآيات علي وجود الصانع نستدل بها علي وحدته فان انتظام الملك دليل وحدة الخالق و لو كان من عند غير الواحد لاختلف نظامه لان الاثنين مختلفان هذا و نقول ان كان اثنين هل هما في جميع الملك شريكان او بعضه لواحد و البعض لآخر لاتقدر ان تقول بالثاني لما تري من ارتباط جميع الملك بعضه ببعض و لو كان صانع بعض واحد و البعض لآخر لماكان يرتبط بعضه ببعض و ذهب كل اله بما خلق و لعلا بعضهم علي بعض و ان كانا شريكين في جميع الملك للزم فساد جميع ذرات الملك مع انه ربما يشاء هذا شيئا و يشاء هذا غيره فان غلب واحد فالغالب هو الاولي بالربوبية و ان لميغلب احدهما علي الآخر للزم عدم خلق هذا الشئ و الرب الذي لايمضي مشيته غير رب بل هو فاقد للقدرة و بقدر فقدانه يحتاج الي من يقويه ، هذا و لايكادان يجتمعان مع اختلافهما لعدم باعث و ان كان باعث فهو الآمر له و هو اولي بالربوبية منهما و بوجه آخر نقول اذا تعددا لزم التركيب فانك تقول انهما اثنان لصورة بها يميزان و يجمعهما جامع يرد الصورة عليه و ان ابيت اسم المادة لاتكاد تأبي عن رسمها فانه يجمعهما الوجود لا محالة فهما مركبان و الجامع فوقهما و هو اولي بالربوبية منهما هذا و الاثنينية لاتثبت الا بثالث فانهما تفرقا بوجود الثالث الذي فرق بينهما و هو من عرضهما لا محالة و بعين هذا الدليل يتخمسان فيبلغ العدد فوق البيان فافهم ان كنت من سنخ الانسان .

فصل طلب الدليل علي وحدة الرب الجليل رأي عليل فاَصغ لما اقول حتي تشرب من عين السلسبيل من كان وجوده حق الوجود علي الحقيقة منذا يشرك به أوجود او ماهية ان قلت بالاول فان كان حقه فهو نفسه النفيسة و ان كان خلقه فكيف يشرك الذات الوجودات الوصفية و ان قلت بالثاني فوجودها عندنا عين الوصفية و عند القوم الماهية عدمية فمنذا شريكه يا حبيب و لايستشكل ذلك اريب فدع عنك شبهات الشيطان و اقتبس من نار اقتبس منها موسي بن عمران و اتبع سادة الانس و الجان فاذا قرب ذهنك في الجملة اقول ان حق الوجود مخصوص بالله سبحانه و وجود غيره لايكون حق الوجود بل هو آية و صفة و الآية و الصفة لاتشارك الذات و لاتشارك الذات ذات اخري لامتناع تعدد الذات بعين ما مرّ من الدليل ان شربت من صافيه يا غليل و بعبارة اخري نقول ان هذه الذات ذات الوجود او غيره فبالاول هي هي و بالثاني نقول بالفارسية غير هست نيست فلا غير لله سبحانه و بوجه آخر نقول ان الله سبحانه جعل ذات كل شئ و نفسه آيته فيه فانظر هل يكون الذات واحدة ام لا ، لا شك في ذلك اذ انت لاتكون متعددا و كل معدود من مراتبك وصفك و ذاتك يعني الواحد فوقها فمن ذلك اعرف ربّك و من ذلك يظهر بطلان قول ابنكمونة و لانحتاج يومنا هذا الي نقل قوله و ردّه .
فصل وحدته سبحانه ليس كوحدة احد من خلقه فان الواحد الخلقي مركب من اجزاء مختلفة فهو متكثر سمّي واحدا لاجتماع اجزائه ككومة حنطة اجتمعت من حبات او انسان مركب من اعضاء غاية الامر ان بعض الخلق اقل اجزاءا من بعض و الا فكل واحد منها متكثر

و الله واحد غير متكثر لا لصغر جثته او لتناسب اجزائه بل هو واحد بسيط و لعلك عرفت مما ذكرناه سابقا بعض سرّ ذلك فان اعظم آيته الوجود اللابشرط انظر اليه فان وحدته لاتكون

صفحه ٣٥

كوحدة المركبات من الوجود و الماهية فيكون مركبا و لايكون واحدا شخصيا بمعني تشخصه و تعيّنه فان كل مشخص محدود و كل محدود متناه و كذلك لاتكون وحدته نوعية و لا جنسية فان النوع هو الصادق علي كثيرين متفقة الحقيقة و الجنس هو الصادق علي كثيرين مختلفين في النوع و الوجود لا غير له حتي يصدق علي غيره لعين ما مرّ في الفصل السابق و اذا لميكن محدودا بشخصية و لا موصوفا بنوعية و جنسية فهو احد و بوجه آخر نقول انه اذا كان واحدا كساير الاشخاص لصار متناهيا فان الاشخاص متناهية فله اول و آخر ينتهي اليهما و لاينتهي الشئ الي ما هو خارج عن عرضه فانك تري ان بدنك مثلا ينتهي الي الهواء المحيط بك لانه جسم مثلك الا انه لايشاكلك و لكن خيالك لايتناهي الي هذا الهواء بل ينفذ فيه بل لايحدّ بالامكنة و الازمنة ابدا و لذا تراك تتصور اليوم و ما قبله بالسواء و مكانك و غيره بلا تفاوت و لكنه يحدّ بخيال غيرك و كذلك بما سواه من المشاعر البرزخية و لكن عقلك لايحدّ بشئ من مشاعرك و امكنتها و اوقاتها و لكنه محيط بها من جميع جهاتها عالم بمدركاتها قبل كونها و لكنه محدود بالمعنوية و هي غير الصورية و اما ذاتك فلايحدّها المعنوية و لايشخصها الصورية و لايعيّنها الجسمانية فلاتتناهي بشئ منها بوجه من الوجوه فهي بالنسبة اليها احدية فلاتحدّ بشئ منها اذ ليس شئ منها في عرضها فانك بذاتك مع كل منها مفردة و مركبة مع انك لاتتناهي بشئ منها بل انت مع جسمك الغليظ و لاتنتهي اليه و هو لاينتهي اليك بل اجزاؤك يحدّ بعضها بعضا بل اقول لايفرض الحدّ و النهاية في ذاتك اذ انت انت حيث انت و ليس شئ من مشاعرك غيرك و الشئ ينتهي الي غيره نعم اذا قلنا انها غيرك نريد انها محدودة بعضها ببعض فغيورها اي غيور ذاتك تحديد لما سواها لا لها فاذا قلنا ان بدنك مثلا غيرك لانريد انك حددت ببدنك بل نريد ان بدنك لميبلغ حدّ اللانهاية مثلك فصار واقفا في مقام الحد و منع عن

صفحه ٣٦

صفة ذاتك الاحد بالنسبة الي ما يعدّ من صفاتك لا الفرد الصمد فافهم و اذ قد عرفت الآية التي اراك الله فاعرف منها الله سبحانه فخلقه جميعا انواره و آياته و لاتعدّ معه و لاتحدّ به اذ لا وجود لسواه فكيف تنتهي اليه او ينتهي اليها فافهم و سيأتيك ان شاء الله اسرار جمة من ذلك في تلو الفصول ان شربت من عين الوصول و تركت الفضول و اقتصرت علي الاصول و لولا خوفي من فرعون و ملأه لاسقيتك ماءا غدقا و لكن الصبر علي الكتم في الصدور احلي من تحمل صعاب الامور من اصحاب الشرور .

فصل من امهات المسايل في التوحيد اليقين بعدم تركبه تعالي و بساطته و سبيل معرفة هذه المسألة كثير ، فاعلم ان هذه المسألة من ضروريات المسلمين بل المليين و هي اجلي من ان تبين و اوضح من ان تبرهن و لكنها اصل يتفرع عليه المسايل و يوصل به الي

اشرف الوسايل فاقول لايرد التركيب عليه مطلقا عقليا كان او خارجيا جوهريا كان او عرضيا و للحكيم في اثبات ذلك السنة و بيانات بحسب اختلاف الدرجات فان لكل مستمع سليقة خاصة و مدركا مخصوصا باختلاف الطبايع فاقول لاهل القشر ان التركيب لايحصل الا من جزئين مختلفين او اكثر فهل تقول انه تعالي مركب من اجزاء واجبة قديمة او جايزة حادثة فان قلت بالثاني اقول لايحصل من اجتماع الجوايز و الحوادث الا احدث فكيف يكون قديما واجبا و ان قلت انه مركب من واجبات فذلك محض قول يلوك القائل بين لحييه اذ لايفرض ذلك فان معني الواجب القائم بنفسه لنفسه غير المحتاج في قيامه الي غيره فهذا الجزء الواجب المفروض ان كان واجبا كيف يصير مركبا مع غيره مع ان من لوازم التركيب قيام المركب بجزئيه و قيام كل جزء بالجزء الآخر و الفاقة اليه ثم ان التركيب حصل في وقت من الاوقات و درجة من الدرجات ام لا فان قلت انه حصل التركيب في وقت فقد منعت القدم بنفسك فان القديم لايوقت مع ان المركب في وقت له مبدأ

و كل ما له مبدأ له منتهي و كل ما له مبدأ و منتهي حادث و كذلك نقول في الوجوب فانه مع القدم و كذلك في الدرجة و ان قلت انه مركب لا في وقت و لا درجة فقد احلت لان نفس المركب في درجة غير درجة الاجزاء و هي هكذا و الوقت هو الحدّ اللازم للصورة في ايّ درجة كانت فلا معني للتركيب من اجزاء قديمة و غيرها بوجه و ان قلت انه مركب عقلي ذهني اقول مرادهم من التركيب العقلي حصوله من جنس و فصل و يجري في ذلك ايضا ما مرّ علي ان العقل ينتزع ما يدركه من الخارج فاما اولا فالله لايدرك بالعقول حتي تنتزع منه المعقول و ثانيا ان ما انتزعه العقل ان لميوافق ما في الخارج فهو باطل و ان وافقه فهو مركب في الخارج و كل مركب حادث و ثالثا ان الجنس هل هو فوق المركب ام لا فان لميكن فوقه فلا جنس و ان كان فوقه فما هو خالق او مخلوق فان قلت بالثاني فمخلوق من هو و ان قلت بالاول فهو هو و ننقل الكلام اليه و في الفصل ايضا نتكلم بعين ذلك و مثل ما مرّ مع ان الحاصل من الجنس و الفصل نوع و الله سبحانه اجل من ان يكون نوعا ، ثم انه هل يكون مركبا من الاعراض او الجواهر فان قلت انه مركب من الاعراض نقول ان الحاصل منها عرض لا ذات مع انها بنفسها لاتقوم الا في محل و هو جوهر و يلزم من ذلك تركيبه تعالي من الجوهر و الاعراض تعالي عن ذلك علوا كبيرا و ان قلت انه مركب من الجواهر فباطل ايضا بمثل ما مرّ من الادلة فانها جارية فيها ايضا و لكني استدل لك ايضا بدليل آخر فانه خير سبيل اقول ان الجوهر علي قول المتكلمين و الحكماء ما لايحتاج في وجوده و قيامه الي حلول في محل اي موضوع و العرض بخلاف ذلك فان كان الجوهر غير حالّ في نفسه و فعله علي قولهم فهو عقل و ان كان غير حالّ في نفسه خاصة فنفس و ان كان بنفسه محلا فهو مادة و ان كان حالا فهو صورة و ان كان مركبا من حال و محل فهو جسم فالمركب من جوهرين عندهم جسم فان فرض فيه تعالي التركيب من

جوهرين يلزم ان يكون جسما و تعالي عن ذلك علوا كبيرا مع ان ما بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه فيصير كخلقه و اما علي قولنا اذ نقول بالتركيب في المجردات ايضا فهو منزه عن جميع الاقسام اذ كل مركب يحتاج الي مركِّب بالكسر فانه بنفسه لميكن قبل حصول اجزائه او اجتماعها و من لميكن لايقدر علي ايجاد نفسه فهو محتاج الي غيره فان المركَّب بالفتح ان كان من اجزاء سابقة فهو في قوة اجزائه لا فعليتها و ان كان اجزاؤه معه ايضا يفكك الانسان و لو بتزييل الفؤاد بينها و يبطل التركيب فيكون في قوتها و القوة ناقصة غاية النقص تحتاج الي مكمل كامل في فعليته يخرجها بفضل نوره من القوة و ذلك امر ظاهر اذ لو كان كاملا لماصار قوة فان القوة بمعني الامكان و الصلوح و كماله بقدر الصلاحية لا الكون و ذلك ظاهر ان شاء الله فاذا فرضت تركيبه تعالي من اجزاء سواء كانت سابقة عليه زمانا كما في المركبات الزمانية او في الرتبة كما في المثاليات و الدهريات او معه كما في السرمديات يكون في قوة اجزائه و القوة عدم و العدم لايعطي نفسه الوجود و لذا قال الامام عليه السلام في اثبات الصانع انت ماكوّنت نفسك و لاكوّنك من هو مثلك ، فالمركب لا بد و ان يكون مركبا بالفعل و ان قلت ان كان اجزاؤه معه لايفرض كون الشئ بالقوة في اجزاء هي معه اقول هل تفرض اجزاءا ام لا فان لمتفرض فماذا تقول و ان تفرض فلك مشعر يقدر علي تجزية الرب القديم و كل ما فيك في الملك مثله و في الخارج مطلقا مثله و يلزم من ذلك امور خاصة بالحادث منها المُدرَكية بالفتح بالمشاعر الخلقية و كل ما ادركته مخلوق مثلك بالبداهة و منها تقدم الاجزاء و منها التفكك و لو في العقل او الفؤاد مع ما مرّ منّا ان العقل لايدرك الا ما انتزعه من الخارج و كل منتزع مخلوق و منها ما كنّا بصدد بيانه ان ما فكك في المشعر يكون في الخارج مرتبة يكون المركب فيها متفكك الاجزاء فيرجع الامر الي ما قلنا سابقا و بالجملة انواع الادلة الجدلية متكثرة

اقتصرنا علي ذلك و بالحكمة الكشفية نقول ان الله تعالي احد و الاحد لايكون مركبا و جميع التراكيب المتصورة في عرصة الافراد فانها التي تركبت من اصول و فروع و نهايات و حدود و ما ليس معه شئ و لا قبله و لا بعده كيف يتصور تركيبه و بلسان آخر نقول انه تعالي هو الوجود حق الوجود و لايفرض للوجود اجزاء غير الوجود فهو هو و ان اثبتنا له ماهية نريد ان ماهيته عين وجوده لا ان ماهيته غير الوجود و وجه اثبات الماهية له تعالي قوله عليه السلام هو الشئ بحقيقة الشيئية و قوله في صفة المعرفة و الثاني ان يعرف ما هو في ذاته و غير ذلك من الاخبار و بالجملة فوجوده نفس ماهيته لايخالفها و ذلك مثل ما يقال ان علمه و سمعه و بصره نفس ذاته فتدبر فهو تعالي نفس الوجود و نفس الوجود ليس معه غيره فهو هو و لنا وجه آخر من الاستدلال نشير اليه و هو انا نستدل علي كل ذي آية بآياته و علي كل مطلق بافراده بعد قطع النظر عن خصوصياتها فاذا نظرنا الي ما يصنع من الحديد من السيف و السكين و المعول و المسحاة بعد قطع النظر عن متمماتها نري جسما معدنيا له سواد و نتن مثلا و هو الظاهر في الجميع و نراه ظاهرا في الكل فنقول ان الحديد هكذا و نراه مركبا من بخار و دخان فنقول انه مركب و هكذا نري في جميع الاجسام صورة الجسم و صفة تركيبه فنقول انه

مركب فمن جميع حالات الافراد نتمكن من الاستدلال علي الجامع و كذلك بعد ما نظرنا الي جميع الموجودات و نري كلها وجودا لا غير و لميركب شئ من وجود و غيره قلنا ان ذا الآية بسيط و لكن غاية استدلالنا الي الكينونة و اذا كانت هكذا فربّها هكذا بل ابسط و دليله آياته و وجوده اثباته فافهم فانه دقيق .

فصل اعلم ان جماعة بعد ما تعمقوا في التوحيد زعموا ان بسيط الحقيقة ببساطته كل الاشياء هذا كلام الآخوند (ره) في المشاعر قال : اعلم ان الواجب بسيط الحقيقة و كل بسيط الحقيقة فهو بوحدته كل الامور لايغادر صغيرة و لا

كبيرة الا احصاها و احاط بها الا ما هو من باب الاعدام و النقايص و استدل بانك اذا فرضت شيئا بسيطا هو ج مثلا و قلت ج ليس ب فحيثية انه ج ان كانت بعينها حيثية انه ليس ب حتي تكون ذاته بذاته مصداقا لهذا السلب فيكون الايجاب و السلب شيئا واحدا و لزم ان يكون كل من عقل الانسان مثلا عقل ليس بفرس بان يكون نفس عقله الانسان نفس عقله ليس بفرس لكن اللازم باطل فالملزوم كذلك فظهر و تحقق ان موضوع الجيمية مغاير لموضوع انه ليس ب و لو بحسب الذهن فعلم ان كل موجود سلب عنه امر وجودي فهو ليس بسيط الحقيقة بل ذاته مركبة من جهتين جهة بها هو كذا و جهة هو بها ليس كذا فبعكس النقيض كل بسيط الحقيقة هو كل الاشياء ، انتهي كلامه و مراده من عكس النقيض عكس نقيض كل موجود سلب عنه امر وجودي الي آخر و هو علي طريقة القدماء و هي ان تجعل التالي اولا و نقيض الاول ثانيا فنقيض التالي بسيط الحقيقة مصدّرا بكلمة كل لانها سور الموجبة الكلية و نقيض الاول موجود لايسلب عنه امر وجودي فعكس النقيض هكذا كل بسيط الحقيقة موجود لايسلب عنه امر وجودي و انت عرفت مما اشرنا اليه في المقدمة ان دليل المجادلة حقه لايسمن و لايغني من جوع في التوحيد فكيف بباطله نعم اذا كان مطابقا للواقع يفهم منه شئ من الظواهر و الاعتماد في امثال هذه الحقائق علي الحكمة الالهية و نقول لهم علي الوجه الظاهر ان بنص دليلكم هذا البسيط الذي قلتم لايكون بسيط الحقيقة فان بسيط الحقيقة من لايكون مقيدا بشئ مطلقا سلبا كان او اثباتا و انتم قيدتموه بسلب السلب عنه هكذا بسيط الحقيقة موجود لايسلب عنه امر وجودي فبسيط الحقيقة موجود مقيد بعدم السلب فليس بسيطا بل مركب لانه مثل الآخر المنفي فهذا موجود لايسلب عنه غيره و ذلك موجود سلب عنه غيره فنفي السلب ان لوحظ فيه نفس النفي كان سلبا بحكم السلب و ان لوحظ فيه نفي النفي كان ايجابا و ان ارادوا من نفي السلب مطلق عدم التقييد يعني هو

موجود بسيط لايكون مقيدا بسلب و ايجاب لكان حقا و لكن يبطل عكس نقيضهم هذا و اصل هذه القضية برُمّتها فاسدة اما اولا فنقول انهم اعتقدوا ان العقل ايضا بسيط مع ان الله لميخلق شيئا فردا قائما بذاته دون غيره و لذا قالوا كل بسيط الحقيقة فعلي ذلك العقل شريك مع الله نعوذ بالله فالبساطة معني تثبت للعقل و لله و هو غيرهما و الله محدود بالربوبية و العقل بالعبودية فهما مركبان من بساطة مفروضة و خصوصية نعوذ بالله و علي فرض

تصحيح ذلك بحيلة من الحيل نقول ان الله سبحانه ان كان بسيطا فكيف يكون كل الاشياء فانه لا بد و ان تكون الاشياء في ذاته بالقدم حتي يصدق القضية و الا لكانت كاذبة فهو علي ذلك منبع الكثرات فكيف يكون بسيطا و كان الاحسن ان يقول كل الكثرات كل الكثرات لا ان الاحد البسيط هو هي و اقول لهم بوجه الزامي ان الاشياء في ذاته هي هي فهي هي الذات فلم تقولون ان الاشياء فيها و ان كانت غيرها فكيف تكون بسيطا فافهم و اصدق القول قول الرضا عليه السلام لعمران حين قال سيدي هل كان الكاين معلوما في نفسه عند نفسه قال عليه السلام انما تكون المعلمة لنفي خلافه و ليكون الشئ نفسه بما نفي عنه موجودا و لميكن هناك شئ يخالف فتدعوه الحاجة لنفي ذلك الشئ عن نفسه بتحديد ما علم منها الحديث ، يريد عليه السلام انه ليس معه شئ مطلقا و ذلك قوله كنهه تفريق بينه و بين خلقه و غيوره تحديد لما سواه و قال اميرالمؤمنين عليه السلام و ان قلت مم هو فقد باين الاشياء كلها فهو هو و ان قلت هو هو فالهاء و الواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له الحديث ، فاصل حمل كل الاشياء و الامور علي البسيط خطاء ثم انا نتكلم في اصل فرضه برهانه و تمثيله بالحروف المقطعة اقول ان منشأ كلامه من الفرض و الله سبحانه فوق جميع الفروض قال اميرالمؤمنين عليه السلام رجع من الوصف الي الوصف و عمي القلب عن الفهم و الفهم عن الادراك

و الادراك عن الاستنباط و دام الملك في الملك و انتهي المخلوق الي مثله و الجأه الطلب الي شكله ، فالمفروض الذي هو ج هو غير الله و غيره خلقه و خلقه مركب و ليس كمثله شئ ففي الخلق الحادث اذا قلت انه ليس فلان يحتمل اختلاف الحيثية و اما في البسيط فلايحتمل ذلك فان قلت انه ليس فلان تعني ان فلانا محدود بالليسية لا الذات بل هو هو فان سلب الشئ عن الشئ فرع النسبة و الله لاينسب الي غيره مع ان المغايرة بمعني المباينة و ليس الله باينا عن خلقه و لا خلقه باينا عنه بل هو داخل في الاشياء لا كدخول شئ في شئ خارج عن الاشياء لا كخروج شئ عن شئ مع كل شئ لا بمقارنة و غير كل شئ لا بمزايلة بعيد لا بمناءاة قريب لا بمداناة فغيوره تحديد لما سواه لا لنفسه فقوله ج ليس ب تحديد لب اذا كان ج كناية عن البسيط فليس لج الا حيث الجيمية ثم ان اصل اعتبار الحيثية في البسيط خطاء من جهة كانت او من جهات فان بسيط الحقيقة بسيط من كل جهة و الحيثية جهة التميز و هي غير الذات ثم انا نتكلم في قوله ان البسيط كل الامور او الاشياء باختلاف عباراته في المقامات فاقول هو كلها علي التفصيل حتي الاعدام او كليتها او هو كلها غير الاعدام كما هو صريح كلامه المتخذ من الصوفية اما الاحتمالان الاولان فبطلانهما ظاهر للزوم التركيب و النقص علي الله و اما الاحتمال الآخر الذي هو كلامه فاقول فيه اولا ان الاعدام و النقايص موجودات او ممتنعات فان كانت ممتنعة فلم تسلبها عنه و هي غير ثابتة و ان كانت موجودة و لو بوجود ناقص فيرد علي ذلك ما اوردت علي زعمك هذا و يلزم من ذلك ان يكون الاشياء مركبة من الواجب و الاعدام و النقايص و الشرور فاذا سلبنا عنها الاعدام بقي الالوهية نعوذ بالله و هذا صريح كلمات الصوفية لعنهم الله و اشعارهم و لست بصدد نقلها و بالجملة اذا اردت ان تعرف وجوه فساد هذا

الدليل فراجع شرحالمشاعر و استضئ من بيانات شيخنا اعلي الله مقامه و لا حاجة لنا يومنا

صفحه ٤٣

هذا الي طول المقال في ردّ اقوال الرجال فاقتصر في المقام برواية كلام ابي العلامة اذ فيه شفاء و رحمة للمؤمنين و لايزيد الظالمين الا خسارا قال (اع) ما اجهل من وصف ربّه بانه كل الاشياء فان توجه الي احديته و محا الاغيار و صحا عن الاحد بلا غبار و جذب الاحدية صفات التوحيد حتي عرف الاحد و توجه اليه و قصد فاين يجد وصف الكلية و كثرة الاشياء و قد طوي الكل و الكلية و الكثرة و الشيئية طي الامتناع و ان كان يجد وصف الكلية و كثرة الاشياء فمن اين يجد الاحدية و البساطة قد ضلّوا كثيرا و اضلوا كثيرا عن سواء السبيل بالجملة ان كان يمتنع مع ذاته غيرها فاين وصف الكلية و الاتصاف و الاقتران و ان كان يمكن مع ذاته غيرها فقد بطل القدم و جاء الحدوث .

فصل اعلم ان الذات جل شأنها منزهة عن جميع الصفات اذ هي غيبت جميعها فان معني الذات الحقيقة و الصفات ظهورات و آيات كونية او شرعية فلاتجتمع معها مع انا نقول ان جميعها خلقه و مواقعها ايضا خلقية و ان ابيت الا اللسان الجدلي اقول ان الصفات عين الذات من جميع الجهات او غيرها فان كانت عينها هكذا فهي هي و ان كانت غيرها فلاتجتمع معها اذ لاتخلو من انها حوادث او قدماء فان كانت حوادث فلاتجتمع مع القديم و الثاني محال فان تعدد المعدودين لايفرض الا بصور مختلفة و الا فلا تعدّد و الصور المختلفة محدودة و الصور المحدودة لاتفرض الا في مكان خاص هو غيرها و الا فاين المعدودون و اذا جاء المكان يلزمهم زمان اذ الزمان لازم المكان و التعدد فان الزمان في الحقيقة ليس الا نسبة صفة الي صفة و اذا جاء التعدد جاء النسبة لا محالة فاين القدم و القدم مقام تفسخ النسب بالمرة فالتعدد معه محال فلاتجتمع مع القديم جل شأنه صفات و سيأتي في توحيد الصفات زيادة البيان ان شاء الله .

فصل لما اتيت علي ما اردت من كليات في اثبات الصانع و توحيده في ذاته باللسان الظاهر اريد ان اتكلم في المعرفة فاعرني لبّك حتي تعرف ما اقول ان شاء

صفحه ٤٤

الله و لا بدّ من ذكر عنوانات لذلك ايضا و نجعلها وصلا .

وصل اعلم ان الله سبحانه احد كما عرفت سابقا و سيجيء بعد ايضا و الاحد لايحدّ بشئ و لاينتهي الي شئ و لاينتهي اليه شئ و لا علي شئ و لا في شئ و لايفصل من شئ و لايفصل منه شئ و لايعدّ مع شئ و لايعدّ معه شئ فلايقوم مع شئ و لايقوم معه شئ و لايكون غير شئ و لا غيره شئ فهو هو وحده وحده لا اله غيره و لا موجود سواه و ليس كمثله شئ و هو السميع البصير و ليس لشئ مما ذكرنا من تنزيهاته معني غير ذاته فان الجاهل ربما يزعم ان هذه الصفات له بمعني سلب شئ عنه او ثبوت صفات كمالية له كحسن الجميل و هيبة الجليل و ليس الامر هكذا بل هو هو وحده و جميع ما يقال تعبيرات عن كونه هو هو غاية الامر ان كونه هو هو يوصف بهذه الصفات و من ليس غيره ماذا يثبت له او ينفي عنه .

وصل معرفتك بشئ تحصل بعد دركك له و دركك لشئ وجدانك له و هذا لايحصل الا بورود شبحه عليك بواسطة حواسك الظاهرة و يلزم ذلك امورا وجود مشعر و مُدرِك بالكسر و مُدرَك بالفتح خارج عنك فانه لو كان عينك لكنت انت فلم‌تدرك شيئا غيرك و يلزم ذلك ايضا امورا خارجية في كل مدرَك بالفتح بحسبه و ليس هنا محل بيانها فكيف يتصور مع ذلك ادراكك للاحد جل شأنه فانه لايكون غيرك و لايصدر منه شبح و لايصل اليك و لايقوم خارجا منك هذا و ما لايكون محدودا لايوصف به مداركك المحدودة فكيف تدركه و اذ لم‌تدركه فكيف تعرفه مع ان المعرفة هي الادراك في المرّة الثانية ، هذا و كلما طرق سمعك يمكنك الوصول اليه و كلما ميّزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم ، هذا و قد ثبت في الحكمة لزوم المناسبة بين المَدرَك بفتح الاول و الثالث و المُدرَك بضم الاول و فتح الثالث و قد خصّك

الله من بين خلقه بمشاعر مختلفة تدرك بكل منها ما يخصّه و لم‌يجعل لك من سنخ ذاته شيئا اذ لا سنخ له بل هو هو و السنخ ثابت في افراد تحت نوع و النوع ثابت في افراد تحت جنس و الله سبحانه خارج عن جميعها فلا مثل له و لا شبح و لا شبه حتي يجعل منه فيك فتدركه به الاتري انه جعل فيك من سنخ العقل المعنوي فتدرك به المعاني و من سنخ الصورة الكلية فتدرك به الصور و من سنخ الصور الجزئية فتدركها به و لم‌يجعل لك ذاتا قديمة فهل تدركها بالمشاعر المعنوية او الصورية الجزئية او الكلية حاشا ان يدرك بها و ذلك قوله تعالي لاتدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير ، و قوله عليه السلام لاتدركه الابصار و لاتحويه خواطر الافكار و لاتمثّله غوامض الظنون في الاسرار .

وصل قد جعل الله لنفسه فيك آية من آياته كما جعل في ملكه آياته فانك مختصر اللوح المحفوظ كما في الخبر في الصورة الانسانية انها اكبر حجة الله علي خلقه و هي المختصر من اللوح المحفوظ و قال الله تعالي و في انفسكم افلا تبصرون و قال سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق و في الاشعار المنسوبة الي اميرالمؤمنين عليه السلام :

دواؤك فيك و ماتشعر ** * ** و داؤك منك و ماتبصر

و انت الكتاب المبين الذي ** * ** باحرفه يظهر المضمر

اتزعم انك جرم صغير ** * ** و فيك انطوي العالم الاكبر

ففيك الداء و الدواء و في الدعاء يا من اسمه دواء و ذكره شفاء ، و الداء هو مرض الفقدان و العبودية و الدواء هو الربوبية و الآية و العبودية جوهرة كنهها الربوبية فجعل فيك آيته و هي نفسك و فؤادك و تقتدر بها علي معرفة ربك بقدر ما ظهر لك كما ظهر و ذلك قوله عليه السلام اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه و قوله اعرف نفسك تعرف ربك سئل ابوالحسن عليه السلام هل رأي رسول الله

ربه عز و جل فقال نعم بقلبه رأي اماسمعت الله عز و جل يقول ماكذب الفؤاد ما رأي لميره بالبصر و لكن يراه بالفؤاد انتهي ، و لكنها لاتوصل الي الذات بل غاية سيرها الي الآية لا غير و ذلك منتهي حظّ العبد من المعرفة .

وصل اعلم ان العبد لايعرف الرب ابدا و هذا محال نعم ربما يصغي كلمات من صفات الرب و يذكرها و لكنها ليست الا تعبيرات اوحاها الرب العارف بنفسه الي انبيائه و هم بيّنوها لعباده لا انهم بانفسهم عرفوا ربهم فان العبد من وجد صفة العبودية و الرب من وجد صفة الربوبية و وجدان العبودية المطابق لوجودها معرفتها و هو ينافي وجدان الربوبية و انت لاتدرك شيئا الا ان تتصف بصفته فانك لاتدرك زيدا الا بعد اتصاف خيالك و فكرك بصورة الزيدية و العبد لايتصف بصفة الربوبية فلايدركها فان النار مثلا حارة يابسة و الماء بارد رطب فالنار لاتوصف بصفة الماء فلاتدركه و ان قلت ان معرفتي لله بفؤادي و لايكون دركه بوجدان صفة خارجة غير نفسه اقول نفسه عبد او رب فان قلت انه عبد اقول لايكاد يفقد العبودية ابدا و ان قلت انه رب لزم المحذور فالمخرج من ذلك قول ابيعبدالله عليه السلام اعرفوا الله بالله و الرسول بالرسالة و اولي الامر بالامر بالمعروف و العدل و الاحسان و قال يا من دلّ علي ذاته بذاته و تنزّه عن مجانسة مخلوقاته و قال بك عرفتك و انت دللتني عليك و لولا انت لمادر ما انت و قال لااحصي ثناءا عليك انت كما اثنيت علي نفسك ، فهو العارف بنفسه لا غير و كل من هو غيره ان ادعي معرفته فغيره عرف و ان ادعي الوصول فالي غيره وصل و قد قال نبيه و اشرف خلقه : ماعرفناك حق معرفتك ، فافهم ذلك و تفكر في مطاويه حتي تقف علي مرادك و عن الصادق عليه السلام في حديث و من زعم انه يعرف الله بحجاب او بصورة او بمثال فهو مشرك لان الحجاب و المثال و الصورة غيره انما هو واحد موحد فكيف يوحد من زعم انه عرفه بغيره انما عرف الله من عرفه بالله فمن لميعرفه

صفحه ٤٧

به فليس يعرفه انما يعرف غيره ليس بين الخالق و المخلوق شئ و الله خالق الاشياء لا من شئ انتهي ، و ازيدك بيانا آخر في وصل آخر حتي تقف علي مرادك ان شاء الله .

وصل اعلم ان الله سبحانه بذاته لايحتجب فان الحجاب غير المحتجب و هو محدود به و الله اجل من ان يحدّ و كذلك لايوصف بالخفاء فان الخفاء لا محالة بالحجاب و ان قيل ان الله خفي فلشدّة ظهوره لا لخفائه و لكن الخلق يحجبهم الآمال و الاعمال و الاخلاق و الحدود و النهايات و ان العبودية بنفسها اغلظ الحجب و يمنع الانسان عن الوصول الي المعرفة و لذا لايكاد يصل العبد الي اعلي المقامات و المرتبة التي فوق النهايات فهو واقف دائما في موقف الصفات و لذا كلّفه الله بمعرفة مواقعها و قال عليه السلام من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة ، و اما اهل الحقيقة فلايقنعون بهذه المعرفة قال الصادق عليه السلام من زعم انه يعرف الله بتوهم القلوب فهو مشرك و من زعم انه يعبد الاسم و المعني فقد جعل مع الله شريكا و من زعم انه يعبد المعني بالصفة لا بالادراك فقد احال علي غائب و من زعم انه يعبد الصفة و الموصوف فقد ابطل التوحيد لان الصفة غير الموصوف و من زعم انه يضيف الموصوف الي الصفة فقد صغر الكبير و ماقدروا الله حق قدره قيل له فكيف سبيل التوحيد قال باب البحث ممكن و طلب المخرج موجود و ان

معرفة عين الشاهد قبل صفته و معرفة الغائب قبل غيبته قيل و كيف تعرف عين الشاهد قبل صفته قال تعرفه و تعلم علمه و تعرف نفسك به و لاتعرف نفسك بنفسك من نفسك الحديث ، و اعلم انه لايمكن هذه المعرفة الا بعد الغض عن العبودية و السفر عن مراحل الانيّة و خرق حجب الوصفية و كشف سبحات النفسية و محو موهومات الغيرية حتي لايبقي حجاب و يسدّ جميع الابواب فيفتح لك الف باب فلاتري عوجا و لا امتا و لاتري حدّا و لا وقتا و لاتري انك تري اذ لاتري و لاتعرف انك تعرف اذ لاتعرف فحينئذ

يعرف هو نفسه يعني انه هو هو و الا فاصل المعرفة من افعالك و انت امتنعت بذاتك و لاتزعم ان هذا محض وجدان او ظن من غير عيان هيهات هيهات يا انسان استقم كما امرت و لاتتبع خطوات الشيطان فان ما كنت تجده من مراتب الانية اولي بان تعدّ من الامور الوهمية فاني اسألك هل الشئ شئ او اللاشئ شئ و الوجود وجود او اللاوجود وجود ما لك لاتعرف المعبود و تقف في حدّ محدود و ان قلت ان خرق الحجاب و سدّ الابواب و غطي الابصار و غشي الانظار فاين انت حتي تعرف اقول لذا اقول انا لااعرف و ان قيل من اين عرفت ذلك اقول اما معرفة عدم المعرفة فسهل اذا نظرت فلااجد شيئا و اما معرفة انه يعرف نفسه فذلك سرّ مستور قد ستر بالف حجاب من نور و قد اشرت في العبارات الي المنظور فان كتب لك تعرفه و الا فلا و ان من الظلم بيان الحكمة لغير اهلها فافهم .

وصل كثيرا مّا نقول ان معرفة الذات من المحالات فنعرفها بالاسماء و الصفات و لانريد من ذلك الا احد معنيين باطنا و ظاهرا اما الثاني فظاهر اذ المعروف من المعروف الصفات في جميع المقامات و ان المعروفية بنفسها صفة و مرجع الصفة الي الصفة و انت لاتكاد تعرف احدا الا بما تصفه به الاتري انك اذا سئلت عن زيد هل تعرفه تقول بلي طويل عريض احمر عالم قادر و فلان و فلان و لاتكاد تعرف ذاته اذ لاتصفها بها و لكن معرفة الصفات منتهي ما يقصد من معرفة الذات و هذا هو الظاهر و اما الباطن فما ذكرناه سابقا و هو ان المراد معرفة الموصوف الظاهر في الصفة و نريد من ذلك ان معرفة الله في معرفة امام الزمان و روي بهذا المعني روايات و سيأتي بيانها بعد ان شاء الله و لكنها مسألة معضلة و من الاحاديث الصعبة سيّما مع ما روي عن اميرالمؤمنين عليه السلام لو عرفت الله بمحمد صلي الله عليه و آله ماعبدته و عنه عليه السلام لو عرفت الله بمحمد لحددت و لو عرفت محمدا صلي الله عليه و آله بالله لكفرت انتهي ،

و المخرج من ذلك ان لآلمحمد عليهم السلام مقامات سيجيء ذكرها في المقامات الآتيات اسفلها مقام القطبية و الامامة الشخصية و هي من مقامات العبودية و هي المسماة بالمحمدية و العلوية و ساير الاسماء الولوية و فوق ذلك مقام الباب و هو السبيل و الجناب و منه البدأ و اليه الاياب و هو سبيل الاقطاب الي رب الارباب و منه يظهر النور لو كشف الحجاب و فوقه مقام المعاني و الصفات و الاسماء الحسني المذكورة في الدعوات و مبدأ الفيوض و البركات و مرجع جميع الآيات و موقع جلّ السمات و المقامات و

العلامات التي لا تعطيل لها في الارضين و السموات و يعرف الله بها كل البريات اذ لا فرق بينها و بينه الا في كونهم بالذات للذات فافهم الاشارات و فوق ذلك عرصة البيان و مقام الترجمان و ظهور الرب المنّان بالاحدية التي ليس لها امثال و اقران و ان عبّرت عنه نزلت و ان تفكرت حرمت و اذا عرفت ما بينت فاعلم ان معرفة الله بالمحمدية معرفته بالعبودية و العبودية حدّ و يجلّ عنه الرب الاحد و ان وصفه احد به كفر و ارتد و ان عرفته بالباب وقفت علي الجناب و زعمت الدليل مدلولا عليه و السبيل مقصدا و ذلك كفر آخر و ان عرفته بالمعاني لوقفت علي المباني و ذلك قرار المعرفة مع حفظ مراتب العارفية و المعروفية و المعرفة و ان عرفته بالبيان فوحدته بالعيان و ذلك معرفة الذات بالذات قبل الصفة قال اميرالمؤمنين و قبلة العارفين : انا الذات انا الذات في الذوات للذات و عن ابي‌بصير عن ابي‌عبدالله (ع) قال قلت له اخبرني عن الله عز و جل هل يراه المؤمنون يوم القيمة قال نعم و قد رأوه قبل يوم القيامة فقلت متي قال حين قال لهم الست بربكم قالوا بلي ثم سكت ساعة ثم قال و ان المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيمة الست تراه في وقتك هذا الحديث ، و بيّن فيه انه لايكون بالتشبيه و ليست الرؤية بالقلوب كالرؤية بالعين و قال عليه السلام يا مفضل ان الانزعية التي قالت ظاهري امامة و وصية و باطني غيب ممتنع لايدرك ليست

صفحه ۵۰

كلية الباري و لا الباري سواها و هي هو اثباتا و ايجادا (ايجابا خل) و عيانا و يقينا لا هي هو كلا و لا جمعا و لا احصاءا و لا احاطة الحديث ، فان عرفت الله بهم من هذا السبيل وصلت و الا فلاتكاد تصل الي مرادك ابدا ثم ان اردت ان تعرف ربك من غير سبيلهم لاتكاد تصل اليه و لو بكشف السبحات فان في زيارتهم الجامعة من اراد الله بدأ بكم و من وحّده قبل عنكم و من قصده توجه اليكم و من كل سبيل قصدت السير اليه ينتهي اليهم ان كان سبيلا و ان كان باطلا فلايوصلك الا الي العدم فان الشركاء معدومون و عبادهم يسلكون سبيلهم و الله موجود و سبيله موصل الي الوجود فان فهمت مع هذا التكرير وصلت الي ما لايليق بالتقرير و الا فلست اهلا و ان كنت كعالم نحرير .

وصل ان شئت ان تعرف ربك فانظر الي هذا الكلام الذي ارويه عن شيخي القمقام و سيدي العلام ابي اعلم علماء الايام و فخر الانام اعلي الله له المقام ، قال بعد ما نبّه بارادته انه يريد تعريف ربه تدبر في سكين و مسمار مثلا و تفكر هل هما من حديد ام لا و الحديد معدوم من ملك الله او موجود فيه و ان كان موجودا هل هو السكين فما المسمار او هو المسمار فما السكين او هما جميعا و هما اثنان يقينا او شئ فوقهما احدي فان كان شيئا فوقهما احديا فتفكر فيه و في الذهب او ساير المعادن و تعرف المعدني فاذا عرفت المعدني مثلا تفكر فيه و في الجبل مثلا و تعرف الجسم الطبيعي فاذا وجدته تفكر فيه و في السماء و تعرف الجسم المطلق و هكذا تفكر في كل شئ مع قسيمه و تعرف المطلق الظاهر بهما الي ان تصل الي اول المطلقات الذي هو الوجود المقيد بالاطلاق اي بشرط لا ثم تعرف اللابشرط اي الآية المعبّر عنها بالوجود الحق و هو الاحد البسيط الظاهر به و باطلاقه و كلما عرضك في نظرك و سيرك اضافة او ربط او صفة او اشارة خفية او توهم امحه بملاحظة الظاهر الاعلي حتي لميبق لك شئ مما يمكن

ان يميز او يشار اليه و تجد مع ذلك طمطاما لايساحل و يما لايساجل و ذاتا احدية لاتثني و لاتجزأ و لاتوصف و لايشار اليها و لاينسب اليها و لاتنسب الي شئ و لايرتبط بها شئ و لاترتبط بشئ و لايشبهها شئ و لاتشبه شيئا و هكذا تجده كما نعتت لايخالفه حرفا فح ينكشف لك سبحات الجلال من غير اشارة و يمحي الموهوم و يصحي المعلوم و تجذب الاحدية صفة التوحيد و يهتك الستر لغلبة السرّ فان وصلت الي مقام لمتر شيئا غيره فقد وصلت اليه و الا فانت مغمور في تلاطم امواج يم الاوصاف و تراكم سحايب مكفهرات الاتصاف محجوب بحجب الميز و الظهورات مطرود بأسهم الحدود و الاشارات كلما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم ، لاتدركه الابصار و هو يدرك الابصار ، سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبيّن لهم انه الحق أولميكف بربك انه علي كل شئ شهيد يعني موجود في غيبتك و حضرتك ، الا انهم في مرية من لقاء ربهم ، الا انه بكل شئ محيط ، متي غبت حتي تحتاج الي دليل يدل عليك ، الي آخر كلامه علا مقامه و لعمري لو ضربت آباط الابل دهرا لاتري اوضح و اجمع من هذه العبارات و ان عرفتها تعرف جميع ما يقال في التوحيد و الا فلا و يكفي هذا القدر من البيانات في توحيد الذات و كلما اكثرنا من البيان نقع في الصفات و لذا امرنا بالامساك اذا انتهي الكلام الي الله .

المقام الثاني في توحيد الصفات و شرح ما يلزم من الآيات و العلامات و فيه فصول :

فصل اعلم ان الصفة ربما تستعمل بمعني النعت و هو الوصف بما فيه من حسن و يقال الصفة انما هي بالحال المنتقلة و النعت بما كان في خلق او خلق و هي عند النحويين النعت و هو اسم الفاعل و المفعول و ما يرجع اليهما و الصفة ايضا و الاسم سواء هذا في اللغة و اما في اصطلاح العامة يومنا هذا الصفة اعمّ من الاوصاف الجميلة و القبيحة و في اصطلاح المتكلمين كما في المحكي

عنهم الوصف كلام الواصف و الصفة هي المعني القائم بذات الموصوف انتهي ، و المراد من صفاته تعالي كمالاته و الاسم منها كما قال مولانا الرضا عليه السلام الاسم صفة لموصوف ، و حقيقة اثبات الصفات له سبحانه من المسائل الصعبة و لما كان مرادنا اثبات المسائل الكلية لا بد لنا من بيانها فاعلم ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد لايوصف بشئ اذ الوصف كائنا ما كان غير الذات البحت و ان كان كمالا و غير الذات لايجتمع معه ابدا ، كذب العادلون بالله و ضلّوا ضلالا مبينا ، فالاحد بنفسه هو هو منزه عن كل صفة حتي تنزهه ليس صفة له و لكنه بيان عن حقيقة الاحدية و محض تعبير للتفهيم و قد كان سبحانه قبل ان يكون كان كما يكون الآن فكونه بانه هو هو لا بكون كالاكوان و قبليته غير محدودة بالسبق اذ هو من الامكان بل هي عين البعدية اذ ليست بالزمان و الحاصل انها تعبير عن احاطته بجميع الاوان كقولنا انه في كل مكان اذ لايحويه مكان و لكنه محيط بكل ما يكون و كان و ليس معه شئ بوجه من الوجوه لا في الخارج و لا في الاذهان تعالي ربّنا و تقدس و استغفره من سوء البيان و قد احاط سبحانه بانواره التي صدرت منه لا

بصدور و استضاءت لا كاستضاءة شعاع من ذي نور بل بلا كيفية مما يتكيف به الخلايق فانه لايجري مما منها علي الخالق قال مولانا الرضا عليه سلام الله لايقال للسراج هو ساكت لاينطق و لايقال ان السراج يضيء فيما يريد ان يفعل بنا لان الضوء من السراج ليس بفعل منه و لا كون و انما هو ليس شئ غيره فلما استضاء لنا قلنا قد اضاء لنا حتي استضأنا به و ليست لانواره تعالي مبدأ و منتهي بمعني انه لا اول لها و لا آخر و لميكن وقت من الاوقات و لا دهر من الدهور و لمتكن موجودة فاوجدت بعد نعوذ بالله بل هي ابدية ازلية قديمة لا بقدم الذات بل بمعني دوام وجود الصفات فان من المحال ان يكون منير بلا نور جل و علا عن ذلك لااقول انه من طبعه وجود الانوار جلّ عن ذلك فان الطبع بمعني الصورة و الصورة

المادة و هو تعالي عن ذلك و سبحان ربك رب العزة عما يصفون بل الانوار خلقه بلا كيف اذ الكيف عرض من الاعراض و الله سبحانه لايعرضه كيف و فعله ايضا ذات و لايعرضها كيف بل لايسأل عما يفعل مطلقا اذ وجوه السؤالات تنحصر في الاعراض و هو تعالي منزه عن كلها و لايجري شئ منها علي فعله اذ هو سابق علي جميعها و بالجملة فهذه الانوار دائمة و لانعرف من حدوثها الا ان الله سبحانه قد احاط بها و اعدمها بوجوده فلايري فيها سواه و لايسمع منها غير صوته و معني الاحاطة كون وجوداتها برُمّتها له تعالي فافهم ذلك ، فمنتهي حظنا من معرفة حدوث الصفات اي هذه الانوار انها نور منير و قدرة قدير و الله سبحانه يحكي لنفسه بنفسه عن نفسه و هذه تحكي بربها لربها عن ربها و هذه الانوار صفات الله جل شأنه و هي منبثة من اعلي الملك الي اسفله بل كل شئ من حيث الآئية وصف لله فان جميع الملك من حيث الملكية ملك و من حيث الآئية وصف و اما سرّ انتسابها الي الله سبحانه فعلم مشكل جدّا و انا اشير الي ذلك بانا نجدها منطوية تحت احدية الاحد جل شأنه فنعرف انها له و الا فلا نسبة في الخارج و لا في الذهن و قد عرفت ان الاعراض التسعة لايجري شئ منها علي الله و منها الملك و الاضافة و هو منزه عن جميع ما يجوز للخلق .

فصل اعلم ان بعض القشريين قسموا الموجودات الي ذات و صفة فقالوا في تعريفها انه كلما يكون جوهرا و قائما بنفسه ذات و كلما يكون عرضا و قائما بغيره وصف و كل لفظ يدل علي الذات بلا اعتبار صفة من الصفات يسمّي بالاسم كرجل و زيد و كل لفظ يدل علي الذات باعتبار اتصافها بصفة من الصفات يسمّي صفة و قسموا الصفة يعني صفة الله الي سلبية و ثبوتية و قالوا ان له صفات سلبية يعني صفات يعتبر في مفهومها السلب و هي امور يمتنع نسبتها الي الله جل شأنه و يجب سلبها عنه تعالي و اثبتوا له تعالي صفات ثبوتية و ارادوا منها

ما يجب اتصافه تعالي بها و قالوا ان كل لفظ يدل علي الصفة بدون ملاحظة الذات بالنسبة الي الله يسمي صفة كالعلم و القدرة و لاتسمي هذه الالفاظ بالنسبة الي الغير صفة بل معانيها صفات في مقابلة الذات و كل لفظ يدل علي الذات باعتبار الصفة يعني ما كان

يسمّي بالنسبة الي غير الله تعالي صفة بالنسبة اليه يسمّي اسما كالعالم و القادر و نحوهما ، قال الآخوند رحمه الله الصفة اما ايجابية ثبوتية و اما سلبية تقديسية و قد عبّر الكتاب عن هاتين بقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال و الاكرام فصفة الجلال ما جلّت ذاته عن مشابهة الغير و صفة الاكرام ما تكرمت ذاته بها و تجملت و الاولي سلوب عن النقايص و الاعدام و جميعها يرجع الي سلب واحد هو سلب الامكان عنه تعالي و الثانية تنقسم الي حقيقية كالعلم و الحيوة و اضافية كالخالقية و الرازقية و التقدم و العلية و جميع الحقيقيات يرجع الي وجوب الوجود اعني الوجود المتأكد و جميع الاضافيات ترجع الي اضافة واحدة هي اضافة القيومية و بعض منهم قد قسمها الي حقيقية محضة و حقيقية ذات اضافة و اضافية محضة فالاولي ما لا اضافة فيها لا في المفهوم و لا في الظاهر لا باللازمية و لا بالملزومية كالحيوة و العلم اي علم الذات بالذات و محبتها بها و الثانية ما تكون صاحبة الاضافة و ان لمتكن اضافة يعني يلزمها اضافة كالقدرة و العلم بغير الذات و الثالثة نفس الاضافات كالخالقية و الرازقية و المبدعية و امثالها و قسموها ايضا الي اللطفية و القهرية كالمغفرة و الانتقام و قسموها ايضا الي تنزيهية و تشبيهية فالاولي ما ليس مثله فيما سواه او يكون آيتها في القدسيين كالوحدة و البساطة و الثانية ما يري آيته في الماديات كالسميع و البصير و صفات الجلال و الجمال ظاهرة و عدّوا صفات الجمال التي هي الثبوتية ثمانية و هي الحي و القادر و العالم و المريد و المتكلم و المدرك و القديم و الصادق و السلبية سبعة و هي المركب و الجسم و المحلية للحوادث و المرئي بالبصر و الشريك و المعاني و الاحوال و هما واحد و الحاجة ، هذا غاية تحقيقهم

في توصيف الله تعالي و تري ان مرجع الاثباتات و اغلب التقسيمات الي الكثرة و سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين و هو سبحانه احد لاتقع الاوهام له علي صفة و لاتعقد القلوب منه علي كيفية و لاتناله التجزية و التبعيض و من وصفه فقد قرنه و من قرنه فقد ثنّاه و من ثنّاه فقد جزّاه و من جزّاه فقد جهله و من جهله فقد اشار اليه و من اشار اليه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه و تعالي الله عما يصفون .

فصل في بيان الحق في المقام ، اعلم ان الله ذات احدية و الاحد امتناع جميع الخلق و كلما يقع عليه اسم شئ او صفة مخلوق و ما عبّرت الالسن عنه او عملت الايدي فيه جميعه مخلوق و الله غاية من غاياه و المغيي غير الغاية و الغاية موصوفة و كل موصوف مصنوع و صانع الاشياء غير موصوف بحدّ مسمّي لميتكوّن فتعرف كينونته بصنع غيره و لميتناه الي غاية الا كانت غيره و لايزل من فهم هذا الحكم ابدا و من زعم انه يعرف الله بحجاب او بصورة او بمثال فهو مشرك لان الحجاب و المثال و الصورة غيره و انما هو واحد موحد و لايجري عليه شئ مما اجراه فهو منزه عن جميع ما يعقل او يوهم واحدا كان او متكثرا و توصيفه بالصفات تجليه لها بها و تنزيهه عنها امتناعه عنها بها فاذا سلبنا عنه صفات ليس للسلوب في ذاته مصداق سلبي مطلق او مقيد بل هو تعالي احدي المعني و نعبّر عن ذلك مرّة بسلب ما لايليق بالاحد و ما قال الآخوند ان مرجع جميع السلوب الي سلب واحد الي آخر ، ان كان يريد ان معني سلب الامكان في ذاته فخطاء و ان اراد ان

بسلب الامكان يسلب عنه الصفات السلبية فلايخص ذلك بالسلوب المعروفة بل جميع ما يجوز في الحادث يمتنع من الازل و منها ساير الصفات المذكورة و كمال التوحيد نفي جميع الصفات عنه و بالجملة لست بصدد بيان مفاسد الاقوال فان العمر اعز من ذكر القيل

صفحه ٥٦

و القال هذا و لاتزعم انك اذا سلبت عنه صفة يكون ذلك صفة سلبية له فذاته موصوفة بسلب صفة عنه فان ذلك خطاء و الاحد منزّه عن ذلك و ان غيوره تحديد لما سواه فان معني قولك انه ليس بجسم يعني ان الجسم محدود و كل محدود متنقص لا انك وصفت الذات بالسلب ففي نفس الامر هو صفة للجسم لكونه مسلوبا عن صفات القديم الفعلية فضلا من الصفات الذاتية فالنفي صفة المنفي و اما الصفات الثبوتية فهي علي الحق كمالات و انوار في عرصة الخلق و لها مواقع منها و كلها ينسب اليه و لا نسبة بمعني طيّه لها لا انها في ذاته تعالي و من باب تفهيم العوام ربما يتكلم الحكيم علي قدر فهمهم و يثبت له صفات ذاتية كما قال الامام علي بن موسي الرضا عليهما السلام في حديث قل للعباسي يكفّ عن الكلام في التوحيد و غيره و يكلم الناس بما يعرفون و يكفّ عما ينكرون و اذا سألوك عن التوحيد فقل كما قال الله عز و جل قل هو الله احد الله الصمد لميلد و لميولد و لميكن له كفوا احد و اذا سألوك عن الكيفية فقل كما قال الله عز و جل ليس كمثله شئ و اذا سألوك عن السمع فقل كما قال الله عز و جل و هو السميع العليم كلّم الناس بما يعرفون و عنه عليه السلام اسماؤه تعبير و افعاله تفهيم ، و مشايخي اعلي الله مقامهم رووا صفاته تفهيم و علي ايّ حال المرجع واحد و هو ان ذاته تعالي منزهة عن جميع الصفات و تعبير الحكيم لتفهيم الناس و يتدارك قوله كما فعل الامام ابوعبدالله عليه السلام قال لميزل الله جل و عز ربّنا و العلم ذاته و لا معلوم و السمع ذاته و لا مسموع و البصر ذاته و لا مبصر و القدرة ذاته و لا مقدور و سمع مولانا الرضا عليه السلام يقول لميزل الله تبارك و تعالي عالما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا فقيل له يا ابن رسول الله ان قوما يقولون انه عز و جل لميزل عالما بعلم و قادرا بقدرة و حيّا بحيوة و قديما بقدم و سميعا بسمع و بصيرا ببصر فقال عليه السلام من قال بذلك و دان به فقد اتخذ

صفحه ٥٧

مع الله آلهة اخري و ليس من ولايتنا علي شئ ثم قال عليه السلام لميزل الله عز و جل عالما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا لذاته تعالي عما يقول المشركون و المشبهون علوا كبيرا انتهي ، فذاته تعالي منزهة عن الصفات و لفهم الناس وصفوها بهذه الكمالات و لكن كشفوا النقاب عن وجه المسألة بقولهم ان معني جميع الاسماء مع تفاوتها هو الله تعالي فالعالم هو الله و القادر هو هو و الحي هو هو و كذلك ساير الصفات و ليس معني ذلك ان الذات متعددة نعوذ بالله بل هي واحدة احدية و من وصف الله بالتعدد فغيره وصف و من عرفه بالتثليث و التسديس و التربيع فغيره عرف و من عرفه بالاحدية و وصفه و عرفه بها وقف علي الحق فمع ان معاني هذه الصفات هو الله جل شأنه هو واحد نعم التعبيرات مختلفة في حروف هجائها و كيفية تراكيبها و مفاهيمها و لكن المعني بالكل هو الاحد و ليس اختلافها و تعددها باختلاف حيوث و جهات تلاحظ في ذاته بل الكل من حيث احديته

التي هي عين وجوده جل شأنه نعم ظهوراته متكثرة بلا نهاية و التعدد في عرصة الصفات لايدل علي تعدد الذات بل هي خلقه و تكثّر الخلق يدل علي احدية الخالق لا اثنينيته و قد اراك الله آية ذلك في نفسك فان جميع ما تحتاج اليه من امر التوحيد ينبغي لك ان تراجع في معرفته فيها الاتري انه صلي الله عليه و آله قد اطلق القول و قال من عرف نفسه فقد عرف ربه ، انظر بذاتك الي ذاتك تراها احدية بالاضافة الي ما دونها لا اختلاف فيها و هي عين وجودك و وجودك عينها و قد تبرأت عن جميع الصفات فانها لاتوصف في ذاتها بصفة من الصفات و لاتحدّ بحد من الحدود مع انك تصفها بصفات مختلفة هي في مقام ظهوراتها مختلفة في اللفظ و المفهوم و المعني فان المعني بجميعها و ان كنت انت لا غير و انت واحد و لكن في عرصة ظهوراتك مواقعها متفاوتة فان حيوتك بروحك و علمك بعالمتك و عقلك بعاقلتك كما ان مشيك برجليك و بطشك بيديك فتوصف بهذه الصفات المختلفة في هذه

العرصة و معانيها متفاوتة اذ ظهوراتك في مواقعها متفاوتة و اما ان وصفنا ذاتك بهذه الصفات فلاتلاحظ فيها الحيوث و الجهات فان ذاتك كلها حيث واحد و جهة واحدة بلا اختلاف فهي حية بعين ما به موجودة ، موجودة بعين ما به عالمة ، انظر في ذاتك تجد ذلك علانية و تلك آية ربك جل شأنه و كذلك هو بلا تشبيه اذ ليس كمثله شئ فان ما في ذاتك نسبي يعني هي تكون هكذا بالنسبة الي ظهوراتها و اما هي في نفسها فظهور لما فوقها و نسبتها الي ساير ما في عرضها كنسبة ظهوراتك بعضها الي بعض فافهم و تدبر و اعلم ان ما ذكرته فيما اذا اردت اثبات صفات للذات و اقول ما قلت لمحض المداراة و الا فاقول ان جميع الصفات تثبت له تعالي في عرصة المقامات و العلامات التي لا تعطيل لها في كل مكان التي قد اشار اليها مولانا صاحب‌الزمان و الا فذات الله تعالي اجلّ من ان توصف بصفة او تعلم بعلامة بل لاتوجد في ذاته تعالي مباديها و معانيها بوجه من الوجوه التي زبرها الحكماء و المتكلمون بل لاتنسب في الحقيقة اليه تعالي بوجه من الوجوه و ما تري من النسب في الظاهر فمن باب ما يري من نوره سبحانه المعبّر عنه بالظهور و قد اراك آية ذلك في الآفاق و الانفس انظر الي الجسم اللابشرط فانه نور الله جل شأنه في هذا الملك و قد تنزّه عن صفات جميع ظهوراته اذ هو مطلق عن جميع قيودها فلايوصف بصفة شئ منها لا بالنفي و لا بالاثبات اذ جميع صفاتها حدود و قيود و هو مرتفع عن جميعها و من وصفه بها لم‌يعرفه فهو لايوصف بالعرشية و لا بالكرسية و لا بالشمسية و لا بالقمرية و لا بما يخصّها من صفاتها و افعالها اذ جميعها لازمة الحدود المعينة لاتجاوزها بل لاتصل الي موادّها القريبة منها فكيف تلحق بالمطلق المؤثر لها فالجسم لايكون عرشا و لا ارضا و لا رفيعا في مثل العرش و لا وضيعا في مثل الارض و لكن مع هذا القدس و التنزه ينسب اليه العرشية و ما لها و الارضية و ما يخصها فالعرش جسم و الجسم محيط رفيع فيه و الارض جسم و الجسم بسيط فيها و ذلك

من باب مشاهدة الظاهر بظهوره في المظهر و هي و ان كانت متعددة في المخبر الا انها واحدة في الواقع فانت اذا نظرت الي العرش بالعين الجسماني الذي اودع فيك و شاهدت جسمانيته التي هي ظهور الجسم تصفه به فيه و تنزهه بذاته عنه و كذلك ذاتك منزهة عن قيامك و قعودك و لذلك نقول انك لاتقوم بذاتك و لاتقعد اذ لايعرضها شئ غيرها و لكن القيام و القعود و غيرها صفات تتعلق بمحالها و تنسب الي الذات بسبب ظهورها فيها فمرجع جميع الصفات هي ظاهرك و ظاهر الجسم و اذا كان الامر في هاتين الآيتين هكذا فكذلك الامر في صفات الله و وجه انتسابها اليه تعالي فذاته تعالي منزهة عن كل صفة و للصفات محالّ و مواقع و ذاته تعالي لاتتحد بها و لاتنفصل عنها بل تجلي لها بها و بها امتنع منها و بظهورها منها بلا كيف تنسب اليها و بامتناعها منها تسلب عنها فعلي ما ذكرناه و بيّنّاه لا وجه لتخصيص بعض الصفات بالثبوتية او السلبية فان جميع الصفات تسلب عنه تعالي و قد قال الله تعالي سبحان الله عما يصفون و قال سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين ، و قال اميرالمؤمنين عليه السلام كمال التوحيد نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف و شهادة كل موصوف انه غير الصفة و شهادة الصفة و الموصوف بالاقتران الحديث ، ثم انا نقول لهم لمَ خصصتم الصفات الثبوتية بما ذكرتم و السلبية بما عددتم و الاحسن لي ان ابيّن قول مولاي و سيدي في المقام فان الرواية عنه اقرب من المرام و اذكر لقوله فصلا مخصوصا .

فصل قال اعلي الله مقامه : قد شاع و ذاع حتي ملأ الاصقاع ان لله سبحانه صفات ثبوتية و صفات سلبية فاتبع الخلف منهم السلف من غير ان يتفكروا في المسألة و يعضّوا عليها بضرس قاطع و علّموا الصبيان في المكاتب و النساء علي المناصب و جعلوها من بديهيات المذهب و نشأوا عليها تقليدا من غير رويّة فاحببت ان اذكر هنا ما لعل الله يزيل به تلك الشبهات العامية عن

اذهانهم و يردهم الي الحق الذي نزل به الكتب و جاء به الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ، اعلم انهم قد ذكروا ان لله سبحانه صفات ثبوتية بعد استقرارهم علي ان الصفات عين الذات و قالوا هي القادر و العالم و الحي و المريد و المدرك و القديم و المتكلم و الصادق فعنونوا هذه الصفات و تكلموا فيها بما لا مزيد عليه و نحن نسألهم ان المراد بهذه الصفات الصفات الذاتية او الفعلية فان كان المراد الصفات الذاتية فلمَ تعدّون فيها المريد و المدرك و المتكلم فانها بنصوص الكتاب و السنة و صريح العقل القاطع من صفات الفعل هب لمَ تركتم ساير الصفات الذاتية التي قد وصف الله نفسه بها في كتابه و وصفه حججه في سنّتهم و يشهد العقل القاطع بانها من صفات الذات كالسميع و البصير و السلطان و الولي و الرب و الغالب و القاهر و امثال ذلك مما لايجوز عن الله سبحانه نفيه بحال من الاحوال و هو الفارق بين صفات الذات و صفات الافعال عند آلمحمد عليهم السلام و ان كان المراد الصفات الفعلية فلمَ عددتم فيها القادر و العالم و الحي فانها من صفات الذات بالاتفاق هب لمَ اقتصرتم علي هذه المذكورات و صفات الفعل خارجة عن حد الاحصاء كالخالق الرازق المحيي المميت المنعم المنتقم الي غير ذلك مما ورد به الكتاب و السنة و

ان اردتم الكليات فكان العالم القادر يكفيان فان العالم القادر حي ليس بميت و القادر مريد مدرك متكلم صادق بل كان يكفي عن جميع ذلك القديم فان القديم ما يجوز فيه يجب و لايكون القديم الا الجامع لجميع الكمالات فما المخصص لذكر هذه الصفات و ان اردتم ذكر ما وقع التشاجر فيه فاعظم ما وقع التشاجر فيه العدل و تركتموه و لا نزاع في قدمه و قدرته و ذكرتموه و ان اردتم ذكر الجزئيات فهي اكثر من ان تحصٰي و ان اردتم الاسماء الحسني التي هي اشرف الاسماء فهي تسعة و تسعون و ان اردتم كليات صفات الذات و صفات الافعال فلمَ ذكرتم المدرك و المتكلم و الصادق و الحي فما الذي عنيتم بهذه الاسماء دون غيرها هل من مجيب يجيبني و هل من رادّ يردني

و هل من معترض يعترض عليَّ فتدبر رحمك الله و اخلع عن رقبتك ربقة التقليد و انظر في المسألة ببصر حديد و تفكر فيها برأي سديد انّ في ذلك لذكري لمن كان له قلب او القي السمع و هو شهيد ثم ذكروا ان صفات اخر تُسلب عن الله سبحانه و هي المركب و الجسم و المرئي و المحل و الشريك و المعنوية و ان يكون له خالق فتفكر فيما سلبوه عن الله سبحانه و خصّوه بالذكر هل هي كليات ما يسلب عن الله او جزئياته فان كانت هي الكليات فكان يكتفي بالمركب فان ما سوي الاحد مثني و لايجري عليه التثنية لانه احد و ان ارادوا كليات العوالم فلمَ لميسلبوا عنه كلية الحقائق و الصور المجردة عن المادة و الصورة و الكلية الطبيعية و المادية و المقدارية و ان ارادوا الجزئيات فما يسلب عن الله سبحانه بقدر ذرّات الموجودات اذ لايجري عليه ما هو اجراه و لايعود فيه ما هو ابداه فيسلب عنه جميع ما كان و ما يكون الي يوم القيمة ليس كمثله شئ و هو السميع البصير ، فاين ساير ما يسلب عن الله سبحانه .

فصل ما اغفل من قسّم الصفات الي تنزيهية و تشبيهية فنقول لهم هل تريدون من الصفات التشبيهية الصفات الذاتية فيلزم من ذلك كون الخلق شبيها بالخالق نعوذ بالله من قبح الزلل و به نستعين و ان اردتم منها الصفات الفعلية فيلزم مثل الاول مع انه يلزم ان يكون الله مشاركا لخلقه و خلقه مشاركا معه في معني من المعاني و يلزم ان يكون الرب في عرض خلقه و خلقه في عرضه و ان اردتم اتصاف الخلق بآية مااتصف به الخالق فلايلزم من ذلك التشبيه و يلزم من ذلك علي فرض صدق اسم التشبيه كون جميع الصفات تشبيهية نعوذ بالله فان آية الجميع تري في الخلق باختلاف درجاتهم الاتري ان القدس و التنزّه ظاهران من المطلقات و المجردات و مع ذلك لميسمّوهما تشبيهية و من العجب تجويزهم وجود الصفات التنزيهية في القدسيين مع انهم مخلوقون و يستشم من هذا التحقيق بعض الروايح القبيحة ان كان لك شامّة و اما نحن فنقول ان الله

سبحانه بذاته لايسمّي باسم و لايوصف بوصف و لايجري عليه شئ مطلقا بل هو هو وحده وحده و اما اسماؤه و صفاته فقد اختارها الله لنفسه لعلل و معانٍ لايجري شئ منها علي خلقه و ان رأيت اسما من الاسماء يسمّي به الخلق ليس ذلك بسبب معني يشرك فيه الخلق و الخالق نعوذ بالله فالله سميع و انت سميع و ليس سميعيتك في معني سميعيته بل

هو تعالي سميع بمعني اطلاعه علي المسموعات من مواقع سميعيته و انت سميع بمعني قرع الاجسام المتكملة بالاصوات لعصبة اذنك و تهيأ روحك البخاري بهيئة الصوت كساير الاجسام و بينهما فرق كثير فلست شريكه الا في محض الاسم الظاهر و ذلك لايكون سبب المشابهة انظر الي ما افاد مولانا ابوالحسن الرضا عليه السلام في حديث قال روحي فداه : ثم وصف نفسه تبارك و تعالي باسماء دعا الخلق اذ خلقهم و تعبدهم و ابتلاهم الي ان يدعوه بها فسمّي نفسه سميعا بصيرا قادرا قاهرا حيّا قيّوما ظاهرا باطنا لطيفا خبيرا قويا عزيزا حكيما عليما و ما اشبه هذه الاسماء فلما رأي ذلك من اسمائه الغالون المكذبون و قد سمعونا نحدّث عن الله انه لا شئ مثله و لا شئ من الخلق في حاله قالوا اخبرونا اذ زعمتم انه لا مثل لله و لا شبه له كيف شاركتموه في اسمائه الحسني فتسميتم بجميعها فان في ذلك دليلا علي انكم مثله في حالاته كلها او في بعضها دون بعض اذ قد جمعتكم الاسماء الطيبة قيل لهم ان الله تبارك و تعالي الزم العباد اسماءا من اسمائه علي اختلاف المعاني و ذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين و الدليل علي ذلك قول الناس الجايز عندهم السايغ و هو الذي خاطب الله عز و جل به الخلق فكلّمهم بما يعقلون ليكون عليهم حجة في تضييع ما ضيّعوا و قد يقال للرجل كلب و حمار و ثور و سكرة و علقمة و اسد كل ذلك علي خلافه لانه لمتقع الاسماء علي معانيها التي كانت بنيت عليها لان الانسان ليس بأسد و لا كلب فافهم ذلك رحمك الله انتهي ، انظر كيف بيّن عليه السلام و شرح

المطلب فظهر من ذلك ان اصل معني سمعنا غير سمعه و معني بصرنا غير بصره فاين التشبيه نعوذ بالله و لكن جميع هذه الاخبار و البيانات لمحض المداراة و لما ان استعدّ الزمان في الجملة نقول ان الاحد منزّه عن كل حدّ فلايقوم في مقام و يحيط بجميع خلقه بلا كلام ذواتهم و صفاتهم كينوناتهم و امكاناتهم عللهم و معلولاتهم فانه كما ينفي عنه الاين ينفي عنه متي و كذلك الكيف و الوضع و الجهة و غير ذلك من الاعراض و الجواهر و اذ كان خارجا عن الحدود فيكون محيطا بها و معني الاحاطة احديته مطلقا في ذاته و صفاته و افعاله و معني ذلك انه لا ذات لغيره و لا صفة و لا فعل انظر فيك ،

دواؤك فيك و ماتشعر ** * ** و داؤك منك و ماتبصر

و انت الكتاب المبين الذي ** * ** باحرفه يظهر المضمر

في ملك بدنك انت الذات و لا ذات لغيرك اعرف ذلك فانه من المعضلات و لايظهر الا بعد كشف السبحات و لا موصوف غيرك و ان تعددت مواقع الصفات افهم المعميات فان الاحدية جذبت الكل لغلبة التوحيد و هتكت الستر لغلبة سرّ التفريد و لا فاعل في وجودك غيرك و الكل آلات و ادوات فانصف في نفسك هل يشرك الذات الاداة او هل يشبه المنظرة العين في المحسوسات ايهات ايهات منذا الذي يعرف هذه المقامات قال مولانا رسول الله صلي الله عليه و آله ان الله عز و جل عند لسان كل قايل و يد كل باسط ، فهذا القائل لايستطيع ان يقول الا ما شاء الله و هذا الباسط لايستطيع ان يبسط يده الا بما شاء الله و قال مولانا الصادق عليه السلام لايدرك مخلوق شيئا الا بالله و لاتدرك معرفة الله الا بالله و الله خلو من خلقه و خلقه خلو منه انتهي ، و يكفي هذا البيان لمن له عينان .

فصل ما قالوا في تثليث الصفات غير سديد مع انهم بنوا اقوالهم علي مذاهبهم و بناؤنا علي صرف التقليد عن ساداتنا فاقول ان الله ذات احدية لاتوصف

صفحه ٦٤

بصفة قولا فصلا و صفاته و اسماؤه مخلوقاته و ظواهره في ملكه و هذه قاعدة كلية احفظها في كل مقام و اذ كانت في ملكه فلها اربع مراتب كلية اوليها لاتعدّ من الصفات و الثلثة منها فان مقامات مواقع الصفات كونا و شرعا اربعة : الاول مقام الذات الظاهرة و هي جهة الآثار الي المؤثر و عينه فيها و نفسها التي بها تعرف ربها اذا كشفت عن سبحات انيتها بعدم الالتفات اليها كما فطرت عليها يوم خلقها و العجب من الخلق اذ تركوا الفطرة و زعموها مشكلة و تمسّكوا بما هو خلاف الخلقة و جعلوها طبيعة و لا لوم لهم اذ سلكنا مسلكهم يوم جهلنا فان الامر عظيم و الخطب جسيم و الخطر جليل و الناجي قليل و الحمد لله الذي هدانا الي سواء السبيل و بالجملة للمؤثر آية في الآثار و نور يظهر منها بلا غبار من غير حاجة الي مظهر من الاغيار اذ لميغب عنها حتي تحتاج الي دليل منها و غير النور كله ظلمة فاذا لميدل بنفسه عليه كيف يدل عليه ظلمة عميت عين لاتراه مع انه هو العلي حيث ما يبتغي يوجد و من لميجده لميعرفه و الا فهو موجود اذ هو غير محدود اذ هو ظاهر الرب الودود و كينونته التي هي اصل الكون و الوجود انظر اذا احتجت الي المثال لما ابتليت به من اسوء الاحوال بفقدك ربك المتعال الي السراج المشتعل عندك بالنار الغيبية فان ظاهره انوار ظاهرة علي الادخنة العنصرية متكثرة بالحدود العرضية و غيبه نار جوهرية فاذا صعدت حدّ الدخان المتخذ من عناصر الزمان تري الآثار تتلألأ بخفقان كما شاهد من روحه سيد الانس و الجان و ذلك شأن كل اثر بالنسبة الي مؤثره عند اهل العيان لا الجاهل مثل الحيوان و اذا دققت النظر و ادمت الفكر و غضضت البصر عن اثرية الاثر لمتر الا النار و هي هي الاصل عيانا و وجدانا و ان لمتكن هي هي في الكلية و الاحاطة و كذلك الامر في المقام فان جميع الخلق آثار و نور الله فيها كينونة الجبّار الظاهرة منها بهتك الاستار و محو كل موهوم في النظر و الاخبار و هذه لاتسمّي باسم و لاتوصف بوصف

صفحه ٦٥

اذ هي وصف الله و الله غير موصوف فهو غير موصوف قال ابوعبدالله عليه السلام في صفته تعالي توحّد بالربوبية و وصف نفسه بغير محدودية ، و الثلثة الاخر في مقام الاثر اذ له ثلث مقامات مبدأ و منتهي و وسط اما المبدأ فهو جهة تنزهه اذ هي مبدأ صدوره من المؤثر و الثاني مقام اتصافه بالكمال و حكاية الجلال و الثالث مقام تعلّقه بالاسفل و فعله فيه كما تري في السراج فان له مقام نارية اي كونه اثرا للنار ففي هذا المقام ليس الا الحرارة و اليبوسة الظاهرة من الشعلة و هي ما به تسمّي نارا و مقام مبدأ تفصيل و ذلك مقام انيته من دون الاضافة الي شئ آخر ففي هذا المقام يوصف بكمالاته المتصلة به من لونه و صفائه و خراطته مثلا و شدّة ضوئه و قلّته و امثال ذلك و دون ذلك مقام اتصاله بغيره و في هذا المقام يظهر له كمالات اضافية كاحراقه و تسخينه و استضاءته لغيره و بلسان آخر نقول ان الشئ له نور من مطلقه و هو حقّه و مقام من انيّته و ماهيته و هي

مقام موصوفيته بصفته و له اعلي و هو مقام بشرط لا فيه بالنسبة و اسفل هو مقام قيوده و في هذا المقام له مقامان مقام نفسه من دون الاضافة و مقامه بالاضافة اما المقام الاول فليس من الاثر بل هو بيان المؤثر و آيته من دون ملاحظة الآئية و الثاني مقام الآية و الثالث مقام نفس الاثر و الرابع مقام تعلقه بغيره و عمله فيه و في كل مقام من المقامات الثلثة له صفات الاول مقام الحقيقة فله صفات حقيقية و هي صفات القدس و دونه مقام الكمال و اول التفصيل و له من الصفات الكمالية كالعلم و الحلم و السمع و البصر و اسفله مقام التعلق بالغير و له من الصفات الصفات الفعلية و قد بيّن مولانا ابوعبدالله عليه السلام هذه المقامات و قال ان الله تبارك و تعالي خلق اسما بالحروف غير منعوت و باللفظ غير منطق و بالشخص غير مجسد و بالتشبيه غير موصوف و باللون غير مصبوغ منفي عنه الاقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حسّ كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامّة علي اربعة اجزاء معا ليس منها واحد قبل الآخر فاظهر منها ثلثة اسماء لفاقة الخلق اليها

و حجب واحدا منها و هو الاسم المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلثة التي اظهرت فالظاهر هو الله تبارك و تعالي و في نسخة الله و تبارك و تعالي الحديث ، و قد عبّر عليه السلام عن هذه المراتب المذكورة بهذه الاسماء و ذكر عليه السلام ان جميع الاسماء الحسني تشتق من هذه الثلثة ثمّ اِعْلم ان حامل هذه الاربعة من خلقه عز و جل و ظهرت فيها و في الكون اريتك آيتها و في الشرع تظهر في آلمحمد عليهم السلام اذ هم اشرف الخلق و اقربهم من الله سبحانه و الاقرب اولي بصفة الله جل شأنه من الابعد و قد ظهرت فيهم علي حسب مراتبهم التي سنبيّنها بعد ان شاء الله تعالي ثم ما في ساير الخلق من الصفات و الاسماء كلها نشأت من شعاع نورهم و رشحات فيوضهم فانهم اصل كل خير و من فروعهم كل برّ و من البرّ توحيد الذات و توحيد الافعال و الصفات و جميع الاعمال و العبادات و حامل الرشحات من خلق من شعاع نورهم فانهم في عالم الاناسي مرايا ظهورهم .

فصل اعلم ان اسماء الله سبحانه مبادي جميع الخلق فان جميع ما تراه من خلقه من اعلي مراتبه الي اسفلها خلقت باسباب و علل اذ ابي الله سبحانه ان يجري الاشياء الا بالاسباب و قد جعل لكل شئ سببا و لكل سبب شرحا و بابا و شرحه و بابه عند آلمحمد عليهم السلام بل هم السبب كما قال عليه السلام فما من شئ منّا الا و انتم له السبب و اليه السبيل ، و وجه ذلك ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد لايصدر منه شئ و لايتعلق به شئ و لايتعلق بشئ لامتناع جميع ما سواه معه و لايضاف الي شئ و لايضاف اليه شئ فلايجري عليه شئ من الامور الاضافية مطلقا و منها العلّية و المعلولية و السببية و المسببية و سيجيء بعد في الامور العامة بيان العلّة و السبب و تقف علي كونهما من الامور الاضافية فالعلّة لاتكون علّة الا بالنسبة الي المعلول و المعلول لايكون معلولا الا بالنسبة الي العلة و كذلك السبب و الله سبحانه اجلّ و اعلي من ذلك

و قد خبط من قال انه علّة العلل فان علة العلل ايضا علة و اعلم ان السبب له معان في اللغة و الاصطلاح منها ما يتوصل به الي غيره و الحبل و ما يكون وجوب الشئ موقوفا عليه كالوقت للصلوة و الشرط ما يتوقف وجود الشئ عليه كالوضوء للصلوة و قيل السبب ما يلزم من عدمه العدم و من وجوده الوجود بالنظر الي ذاته كالزوال فان الشرع وضعه سببا لوجود الظهر و الشرط ما يلزم من عدمه العدم و لايلزم من وجوده الوجود و النحويون لايفرقون بين السبب و الشرط و العلة و عند اهل الشرع يشترك السبب و العلة في ترتّب المسبب و المعلول عليهما و يفترقان من وجهين احدهما ان السبب ما يحصل الشئ عنده لا به و العلة ما يحصل به و الثاني ان المعلول يتأثر عن علته بلا واسطة بينهما و لا شرط يتوقف الحكم علي وجوده و السبب انما يفضي الي الحكم بواسطة او وسايط و ما يفضي الي شئ ان كان افضاؤه دائما سمّي علّة و السبب و العلّة يطلقان علي معني واحد عند الحكماء و هو ما يحتاج اليه شئ آخر و كذا المسبب و المعلول فانهما يطلقان عندهم علي ما يحتاج الي شئ آخر كذا قيل و علي ايّ معني كانا لاينبغيان لله سبحانه فانه الخالق لا من شئ و لايكون علة ابدا و ان العرفاء يقولون ان المعلول تنزّل العلّة و عندنا هذا كلام حق لا علي معني ما يقولون فانهم قالوا ذلك مع اثبات العلية لله و نحن نقول انه خالق العلل فان العلة اذا تنزلت الي المعلول او صارت باعثة لوجوده بايّ معني يلزمها الحدوث لا محالة فبالاول بسبب التغيّر و بالثاني بسبب الاضافة و السبب اذا كان بمعناها فحكمه حكمها و ان كان بساير المعاني فهو اخس منها مع انه يلزم من ذلك وجود معلول غيره معه تعالي و تعالي ساحة الاحد عن ذلك بل لايذكر معه شئ بنفي و لا اثبات و لا شك ان الاشياء لاتقوم الا بعلل و العلّة التي هي الفاعلة للاشياء لا شك انها اسم الله جل و عزّ فانه هو الفاعل الخالق لا غير و العلّة الغائية هي اول الكاينات و مبدأ الموجودات و هي لقربها من نور الله تنبأ عنه تعالي و المنبئ الحقيقي

ليس سواه و جميع الخلق خلقوا لاجله و هو الاسم الاجل الاعلي بل العلة الغائية في الحقيقة هي الفاعلية عودا و الفاعلية هي الغائية بدءا و اما الله سبحانه فهو غاية الغايات و المغيي غير الغاية و العلة المادية و الصورية من حيث الآئية لله تعالي اسماء له تعالي و من حيث الانية معلولات و علي ايّ حال جميعها اسماء لله تعالي فاسماء الله مبادي العلل و جميع الخلق مخلوقون بها و هي ايادي التقدير و اسباب التدبير و بها معاش العباد و عمارة البلاد و من عرفها قدر علي التصرف فيما يشاء كما يشاء و بها كانوا يتصرفون الانبياء و الاولياء و لكن لايكفي في ذلك محض العلم بها فانها ربما يعلمها الناس و مع ذلك لايقدرون علي عمل و لكن المراد التخلق بها و لايصل الي هذا المقام الا قليل و سيجيء ذكرهم و فضلهم بعد ذلك .

فصل قد عرفت مما مضي انهم يعدّون من الصفات الذاتية التكلم و الارادة و الصدق و ذلك خطاء محض اما في الارادة فدعاهم الي القول بوحدتها مع الذات و هم وهموه و هو ان تخصيص بعض الممكنات بالايجاد في وقت يدل علي ارادته و ليست زايدة علي الداعي و الا لزم التسلسل او تعدّد القدماء و لعمرك اقبح كل شئ ان يترك الانسان ضرورة الاسلام و قول حجة الله المنّان و انبيائه سادات الانس و الجان لوهم هو اوهن من

بيت العنكبوت مع انه من اوهن البيوت اذ علي فرض كون الارادة الداعي او غيره أيعجز الله سبحانه عن خلقه بنفسه حتي يلزم من ذلك التسلسل اين قوله عليه السلام خلق الله المشية بنفسها ، و علي فرض كون الارادة هي العزيمة نقول انها مخلوقة بالمشية و علي فرض كونها عين المشية نقول انها مخلوقة بنفسها و سيأتي الكلام في حقيقتها في مقامها و مرادنا في المقام محض اقامة البرهان علي بطلان قول من زعم انها هي الذات القديمة فاقول هي هي الذات من جميع الحيوث و الجهات او غيرها من حيث و جهة فان قلت انها هي الذات القديمة من كل جهة

صفحه ٦٩

فاقول لم لاتقول ان الله خلق خلقه بالذات و تقول انه خلقهم بالارادة و كيف تفرق بينها و بين السمع و البصر و العلم فان قلت انها عينها فلم لاتقول بالسمع خلق الاشياء و بالبصر خلقوا و اخترت لفظ الارادة فان لمتكن في اختلاف المباني دلالة علي اختلاف المعاني لصارت لغوا ثم يلزم من ذلك كونها عين القدرة و تري ان الله يقدر علي اشياء لميردها و يلزم من ذلك كونها عين العلم و في علمه اشياء لمتخلق بعد و لو كان ارادته عين علمه لكانت موجودة و لو كانت عين ذاته لكانت قديمة و لا شك ان المراد مع الارادة دائما اذ هو مفعول حقيقي و هو للفعل كالمصدر لايفارقه فلا بدّ و ان يكون الخلق المتكثر قدماء و نحن نشاهد الحدوث علانية ثم انا نقول هل الارادة هي المريد و المراد او غيرهما فان كانت هي المريد و المراد لزم ان يكون المريد بنفسه خالق نفسه و ان كان الارادة متحدة مع المريد لزم كون الذات فعلا و مع ذلك تقترن بخلقها للارتباط اللازم بين الارادة و المراد كما عرفت سابقا و ان كانت مخالفة معه فمن هو خلق او خالق فوقها او تحتها فان كان فوقها فهل هو الله و الارادة غيره و خلقه ام غير هذا القسم و ان كان تحتها فكيف يتصور ذلك مع ان الارادة فعل المريد و الفعل لايسبق الفاعل و ان قلت ان المراد عين الارادة مع كونها عين الذات ، لزم القول بوحدة الوجود تعالي عن ذلك الرب المعبود و ان كانت هي المراد مع ان الذات غيرهما لزم ما عابوه علي ضرار و اصحابه اذ قالوا ان الارادة تأكل و تشرب و تنكح و تلد و تزني و تشرب الخمر و نقول ايضا ان في الصفات الذاتية كالعلم و السمع و البصر تقول علم نفسه اذ لا معلوم غيره و سمع نفسه و ابصر نفسه فهل تقول اراد نفسه ام لا ، لا شك انك لاتقول ذلك و ان قلت اخطأت و احتال بعض في معناها و قال ان الارادة من الله بمعني الحب و الاشتياق فعلي ذلك يصح ان تقول احب نفسه و لكن ما تقول في تعلقها بالغير فمرّة يشتاق الي شئ و مرّة لايشتاق قال الله يريد الله بكم اليسر و لايريد بكم العسر

صفحه ٧٠

فهل هاتان الارادتان واحدة او مختلفتان لا شك في اختلافهما فانصف من نفسك هل يجوز ورود حالتين مختلفتين علي الذات لا شك ان ذلك صفة الحدوث لا القديم و ان قلت ان الاختلاف في المتعلق اقول كيف يتعلق الذات المنيعة بغيرها و هذا قول لا عن شعور و قد احتال بعض لامثال هذه الايرادات اجوبة و يكفي في ابطال جميعها حديث مولاي ابيالحسن الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي بحضرة المأمون و قد رويناه في

الكتاب المبين و ان شئت فاطلبه منه او الاحتجاج و انا اقول لك قاعدة كلية و منها يعرف جواب جميع ايراداتهم فاقول ان الارادة هي الفعل او الطلب و الاختيار و هو ميل الذات الي مطلوبها و الفعل ما انبأ عن حركة المسمي فهو كمال المسمي لا محالة كما لايخفي فهل الارادة التي يقولون انها عين الذات هي الفعل فذلك مما لايعقل و كيف يكون الفعل خالقا فانه كله مخلوق و ان ارادوا الميل في الذات فكيف يعقل ذلك مع ان الميل حالة طارية عارضة و الميول المختلفة حالات و ان ارادوا معني آخر غير الفعل و الميل فما هو هل هو الذات من كل جهة فالارادة اسم من اسماء الذات و لا بد في خلق المخلوقات من فعل البتة فانه لايكون مفعول الا بفعل و قد احتال بعض لتصحيح كلامه انها نفس العلم و باختلاف المتعلق يختلف الاسم كالسمع و البصر و القدرة فان جميعها العلم و باختلاف معلوماتها اختلف اساميها اقول ان العلم الذي قال هل اراد الذات او غيرها فان اراد غيرها فلم يحترز عن الكثرة و ان اراد العلم الذاتي فما الذي اراد من تعلق الذات بالمفاعيل فان التعلق من الاضافات و الله سبحانه احد لايضاف الي شئ و لايضاف اليه شئ و العلم الذاتي لايتعلق بشئ و السمع الذاتي لايتعلق بشئ و بالجملة لا اقبال لي الي تفصيل خرافاتهم و الا لاوضحت لك شرك موحديهم و عرفائهم فضلا من مشائيهم و متكلميهم اين هذه الخرافات من حكمة آلمحمد عليهم السلام قال الرضا عليه السلام المشية و الارادة من صفات

صفحه ٧١

الافعال فمن زعم ان الله لميزل مريدا شائيا فليس بموحد بالجملة فالارادة من صفات الافعال كما هو صريح قول آلمحمد عليهم السلام و اذا كانت من صفات الافعال فالمريد ايضا منها كالخالق و الرازق فان الصفة لاتثبت للموصوف الا بعد ثبوت مبدء اشتقاقها و الله سبحانه لايثبت له في ذاته شئ غيرها فلايوصف بصفة في ذاته و لكنه تجلي في مبادي الصفات فاتصف لها فيها فبعد ما تجلي في الخلق سمي خالقا و بعد ما تجلي في الرزق سمي رازقا و كذلك بعد ما تجلي في الارادة سمي مريدا و ارادته احداثه بخلاف ارادة الخلق فانها ضميرهم و ما يبدو لهم و لو كان بذاته مريدا لماصدق له يريد و لايريد بل يلزم من ذلك عدم اختياره و كل ما احتالوا في الجواب عن ذلك كلها كبيت العنكبوت و لكنه بذاته منزّه عن جميع ذلك و يظهر في الارادة و عدمها و لايلزم من ذلك له كثرة اذ لايظهر بذاته بل نفسها ظهوره و لو كان بذاته مريدا لماكان يصدق عليه انه غير مريد مع ما يلزم من اتصافه بفعله في ذاته لما مرّ و اقول لك بوجه آخر ان الانسان لا بد له ان يتكلم بما يعقل فان المتكلم بما لايعقل سفيه و انت لاتعقل الذات حتي تتكلم فيها و تتفكر و الادلة الجدلية لاتوصل اليها فالواجب النظر في آياته و علاماته حتي تعرف شيئا و تري في نفسك التي هي اكبر حجة الله عندك ان ذاتك غير المريد و الارادة بل ارادتك ميلك الي الاشياء في ضميرك و طلبك للاشياء و هو فعلك و انت مرّة تريد و مرّة لاتريد و ذاتك لاتكون ملوّنة بالمريدية و الا لماظهرت بعدم الارادة فاعرف من ذلك ربك و نزهه عما يليق بك فقل لانه لايهم و لايتفكر لا ميل له و لا ضمير و لكنه احدث اشياء بفعله و لفعله ايضا مظهر و لكنه لا خيال له بل خلقه مظهر فعله و اعرف صحة نظرك من قول امامك فان قوله من الوحي من عند الله العارف بنفسه قال مولانا الصادق (ع) اما الارادة من

الخلق الضمير و ما يبدو لهم من الفعل بعد ذلك و اما ارادة الله احداثه لا غير لانه لايروّي و لايهمّ و لايفكر فافهم

صفحه ۷۲

و اما الكلام و المتكلم فزعموا انه بذاته متكلم و كلامه عين ذاته و يكذّبهم صريح القرآن و اخبار الائمة عليهم السلام و دليل العقل القاطع و هم قد استدلوا علي قدم الكلام بادلة مجتثة زائلة كعموم القدرة غفلة عن ان عموم القدرة لايكون باعثا لقدم الحوادث و الا للزم قدم كل حادث و كهذا القياس الذي رتّبه الشيطان علي افواههم ان كلامه صفة له و كلما هو صفة له فهو قديم و كبري هذا القياس باطل يردّه الكتاب و السنة قال الله تعالي الله خالق كل شئ و في اخبار متكثرة ان الاسماء و الصفات حوادث و الكلام حادث و المتكلم غير الذات حتي ان السايل سأل مولانا الصادق عليه السلام عن المتكلم انه لميزل متكلما فقال عليه السلام كان الله و لا متكلم و تري صريح القرآن انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فرتّب قول كن علي الارادة و الارادة مخلوقة بنص هذه الآية ايضا فانه قال امره اذا اراد و الهاء يرجع اليه و اراد فعله و الفعل حادث و كذلك قال و لو شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك و لو كان القرآن قديما كيف يذهب به مع انه لا بدأ له و قال او يحدث لهم ذكرا و قال و مايأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه و هم يلعبون ، و سمع ابوعبدالله عليه السلام يقول لميزل الله جل اسمه عالما بذاته و لا معلوم و لميزل قادرا بذاته و لا مقدور قيل له جعلت فداك فلميزل متكلما قال الكلام محدث كان الله عز و جل و ليس بمتكلم ثم احدث الكلام و امثال ذلك من الاخبار كثيرة رويناها في كتاب‌المبين و مولانا ابوالحسن الرضا عليه السلام استدل لابي‌قرّة علي حدوث الكلام في حديث طويل شريف و من العجب انهم يقولون ان الله متكلم مستدلا بان الانبياء و الرسل قالوا ذلك و لايرجعون اليهم في حقيقة كلامه و بالجملة اقول في ذلك اولا بطريق المجادلة بالتي هي احسن ان الكلام ما هو هل هو نفس الذات فمَن المتكلم هل المتكلم هو الكلام فان ذلك قول لايصدر من انسان ان كان من اولي الافهام فانه لا شك ان الكلام

صفحه ۷۳

صفة قائمة بالمتكلم و كيف يصير الصفة نفس الموصوف و ان قلت انه المتكلم و كلامه غيره فهو خلقه و ان قلت انه الكلام و المتكلم غيره فيلزم ان يكون فوقه غيره و ان قلت ان الكلام قديم معه لزم تعدد القدماء و ان قلت انه حادث معه لزم كون الحادث مع القديم فماذا تقول اختر لنفسك ما يحلو و بلسان آخر نقول ان ذاته ثابتة قائمة ابدية و لو كان بنفسه متكلما للزم دوام الكلام و تري انه فرع قوله علي ارادته في قوله ثم انا نقول ماذا تريدون من الكلام هل هو المعني المعروف منه و هو الحروف و الكلمات كما عليه جماعات او يكون معني نفساني كما عليه ابوالحسن الاشعري فان كان الاول فكيف يتصوّر انه ذات الله مع ما تشاهد من اختلاف الصور و الهيئات التي ليست في الواقع الا كساير المركبات و يلزم من ذلك تكثّر الذات ثم اقول لهم ماذا هي هل ما كتب علي الدفاتر فهي حروف منقوشة بالمداد و ليست هي رب العباد بل خطوط كتبها المخلوق او المراد منها الكلام المنطوق فهو هواء متقطع يخرج من هذه الشقوق فكيف يقال انه الله ، تعالي عن ذلك علوا

كبيرا و ان كان الثاني فاقول ان المعاني عين الذات او غيرها فان كانت عينها فكيف تظهر في المباني مع ان المعني في اللفظ كالروح في الجسد و ان كانت غيرها فكيف تجمع معها و ذلك محال قديمة كانت او حادثة و الملا صدرا (ره) مع انه ردّ علي هذه الجماعة قولهم اشار في مطاوي كلماته الي ان الكلام هو الذات و قد وقع فيما فرّ منه و في كلامه في كتبه اضطراب غريب و هو من مثله عجيب و صرح بعض تلامذته ايضا بذلك و اوّلَ الاخبار مع انه يخالف صحيح الاعتبار و بالجملة و بدليل الحكمة نقول ان الله سبحانه كان و لميكن معه شئ بوجه من الوجوه منزها عن جميع ما يجري علي خلقه فتجلي اول ما تجلي بمشيته بلا حركة احدثها و لا رويّة اجالها و لا فكر يستأنس فيها بل بلا كيف فخلقها بنفسها و هي امره سبحانه المعبّر عنه بكن كما قال الصادق عليه السلام لا كاف و لا نون و انما اراد فكان او كما قال و في اخبار اخر ما يدل علي ذلك

صريحا فنفس هذه المشية هي الامر الفعلي و ذلك قوله له الخلق و الامر و قد يصدق علي الخلق ايضا الامر و لكنه مفعولي و ذلك قوله تعالي و كان امر الله مفعولا و قد خلق سبحانه بامره خلقه في مقامات وجوداتهم و خلقه جميعهم كلماته بحسب شأنهم و درجاتهم و مجموع الملك كتابه و الخلق الجامع ايضا كتابه و لذلك قال بكلمة منه اسمه المسيح و كذلك قال هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق ، و قال اميرالمؤمنين عليه السلام انا الكتاب الناطق ، فافهم فمشية الله كلامه و خلقه ايضا كلامه و هذه كلمات كونية باختلاف درجاتهم فمنهم امريون و منهم فؤاديون و منهم عقليون و هكذا الي عالم الاجسام و من باب ان الظاهر عنوان الباطن و قد علم اولوا الالباب ان الاستدلال علي ما هنالك لايعلم الا بما هيهنا نقول ان عالم الاجسام بمنزلة الكلمات المعبّرة عن المعاني فهذه الفاظ و الغيوب معانٍ و هي في خزاين الرب و ان من شئ الا عندنا خزائنه ثم ان لله كتبا شرعية و هي الكتب المنزلة علي الانبياء و اشرفها القرآن بل هو حقيقتها و الباقي ظهوراته و قد خلقها الله بمشيته في افئدة انبيائه علي ما ينبغي للفؤاد و انزلها منه الي عقلهم و منه الي نفسهم و منها الي مشاعرهم الي ان نزلت في هذه العرصة بصورة الحروف و الكلمات و ما يقال ان الكتاب اصله في عالم الامر و نزل في العوالم الغيبية و الشهادية الي ان وصل الي هذا العالم عالم الالفاظ ان ارادوا منه مثل ما قلنا فصحيح و ان ارادوا كونه في ذات الله تعالي فخطاء و كذلك ان ارادوا كون الكلام في عالم الفؤاد بهذه الهيئات من حروف هجائها و تركيبها كان خطاءا و لكن اذا اريد انه في الفؤاد علي الحروف النورانية و الاوضاع الفؤادية كان حقا و نزول الحروف و الكلمات من الخزائن العاليات من البديهيات و تصوّرها في الخيالات حين المكاشفات او التخيل من الامور الواضحات الاتري انك تتصور او تري في منامك ان فلانا جاء و قال هكذا و قلت في الجواب هكذا و ليس

في الظاهر حروف و كلمات ابدا و ليست هي الا حروف خيالية و كذلك في ساير العوالم حروف و كلمات بحسبها و ان في عالم الذر عاهد الله الخلائق و سائلهم و جعل لهم ما اذا سئلوا اجابوا فقال الست بربكم قالوا بلي و لميكن هناك هواء يتقطع بصور الحروف و

الكلمات و لا لسان لحماني و لا شق فم مثل الدنيا بل جعل لهم ما اذا سئلوا اجابوا و هو اعلم بكيفيته و كذلك نداء الرب جل شأنه لميكن بهذه الصور المشهودة فهذا النداء و الجواب علي حسب ما ينبغي لاهل الذر و كذلك الكلمات العقلية معنوية و المعنويات ليست مصوّرة بصور النفسانيات بل صورها معنوية و كذلك الفؤاديات نور صرف بحت كنفس الفؤاد و ليست زائدة علي نفس الفؤاد بل هي هو كما ان المعرفة الفؤادية هي نفس الفؤاد و علمه نفسه كذلك كلامه نفسه فقول الشاعر :

ان الكلام لفي الفؤاد و انّما ** * ** جعل اللسان علي الفؤاد دليلا

كلام صحيح بهذا المعني لا بالمعني الذي زعموه و ذلك في كلام المخلوقين و لذا ورد ان كلامهم صفتهم ، ففي كل مقام من مقامات وجودهم يتصفون بصفة كلامهم و اما الله سبحانه فجميع صفته فعله و ليس الا الله و فعله فكلامه فعله و اما الصدق فاعلم انه تابع للكلام و الله سبحانه اصدق الصادقين و لكن صدقه مع كلامه و كلامه خلقه الاتري ان قبل التكلم لا معني لاتصاف الشخص بالصدق و الكذب فاذا تكلم و صار كلامه مطابقا للواقع الخارج او الذهن صار صدقا و الا لكان كذبا و الصادق و الكاذب من يتصف بصفة الصدق و الكذب بعد تكلمه لا الذات من حيث هي هي فلا فرق بين الصادق و الكاتب مثلا فان الكاتب ذات ظهرت بالكتب و الصادق ذات ظهرت بالصدق و كذلك ربنا و فوق ذلك فان ذاته غير محدودة بحدّ الصدق و لاتزعم انه اذا لميك صادقا فكاذب نعوذ بالله من غضب الله فانه فوق جميع الحدود و بلسان اهل الجدل نقول ان نقيض الصادق لاصادق و هو اعم من الكاذب فلايلزم ان يكون اللاصادق كاذبا كما ان نقيض الكاذب اعم من

الصادق و بالجملة التكلم بلساننا احلي و احسن هو تعالي فوق الحدود و لايلزم من تنزهه عن حدّ اتصافه بحدّ فان ذلك شأن المواد المخلوقة في عرصة الحدود لا من هو منزه عن جميعها و سيأتيك في تلو البيانات الآتية ما تعرف منه حقيقة ذلك ثم انك بعد ما عرفت ما ذكرناه سابقا من تنزهه في ذاته و ان جميع الصفات الذاتية عين الذات و ليس لها مفهوم غيرها لانحتاج الي بيان ساير الصفات الذاتية و شرحها كما فعلوا و اما ساير صفات الله فغير محدودة نعم لا بد لنا من التكلم في العلم لان للناس فيه عقايد فاسدة و آراء كاسدة لا بد من بيان الحق علي نحو الكلية .

فصل في علمه سبحانه و هو مسألة عويصة طال ما تكلم فيها ذووا علوم غزيرة و اولوا افهام غريزة و لميبلغوا منتهاها و لميعرفوا مبدأها بل ربما زلّت فيها الاقدام و طغت الاقلام و تحيّر فيها الاعلام و قد منح الله سبحانه مشايخنا فهمها و منّ عليهم بعلمها و انا اسأل الله تعالي ان يجعلني من اهل الفهم و يرزقني علمها و يثبت قدمي حتي لااكون من الضالين و يحفظ لساني و قلمي حتي لااكون من المذيعين و صلي الله علي محمد و آله الطيبين الطاهرين و لا بد من ذكر مباحث في هذا الفصل لبيان المراد علي ما ينبغي :

الاول اعلم ان الناس في مسألة علم الله ذهبوا الي مذاهب سبعة علي ما عدّها الآخوند (ره) : احدها القول بارتسام صور الممكنات في ذاته و حصولها فيها حصولا ذهنيا علي الوجه الكلي و هو مذهب اتباع المشائين و منهم الشيخان ابونصر و ابوعلي و كثير من المتأخرين الثاني القول بكون وجود صور الاشياء في الخارج سواءا كانت مجردات او

ماديات مركبات او بسايط مناطا لعالميته تعالي بها و هو مذهب شيخ اتباع الرواقية شهاب‌الدين و الطوسي و من حذا حذوهم الثالث القول باتحاده تعالي مع الصور المعقولة و هو المنسوب الي

فرفوريوس مقدم المشائين الرابع ما ذهب اليه افلاطن الالهي من اثبات الصور المفارقة و المثل العقلية و انها علوم الهية بها يعلم الله الموجودات كلها الخامس مذهب القائلين بثبوت المعدومات الممكنة قبل وجودها فعلم الباري تعالي عندهم بثبوت هذه الممكنات في الازل و يقرب من هذا ما ذهب اليه الصوفية لانهم قائلون بثبوت الاشياء قبل وجودها ثبوتا علميا لا عينيا و هذا القول للمعتزلة السادس مذهب القائلين بان ذاته تعالي علم اجمالي بجميع الممكنات فاذا علم ذاته علم بعلم واحد كل الاشياء و هو قول اكثر المتأخرين قالوا للواجب تعالي علمان بالاشياء علم اجمالي مقدم عليها و علم تفصيلي مقارن لها السابع القول بان ذاته علم تفصيلي بالمعلول الاول و اجمالي بما سواه و ذات المعلول الاول علم تفصيلي بالمعلول الثاني و اجمالي بما سواه و هكذا الي اواخر الموجودات .

اما المذهب الاول فقد نشأ من القياس بالمخلوق بحسب معرفتهم فيه ايضا لا علي ما هو الواقع فان المخلوق ايضا لايحصل في ذاته شئ من المكتسبات و ذهنه غيره و لكن اكثرهم لايعلمون و يكفي في ردّه انه يلزم من ذلك كون الذات محلا للحوادث و يلزم من ذلك عروض التغيّر و التبدل علي ذاته و ذلك صفة الحادث و القول الثاني ان ارادوا منه المُثُل الافلاطونية بمعني ان الصور الخارجية قائمة بذواتها منفصلة عنه و عن الاشياء اي المعلومات فهو باطل بارادة العلم القديم لان القديم لايكون خارجا عن الذات و لا صورا متغايرة و لو ارادوا العلم الحادث كان صحيحا و لكن النقص فيما يلزم من قولهم من ان العلم غير المعلوم و القول الثالث فيه ما فيه مع ان الآخوند (ره) عظمه و قبله فان فيه اولا اتحاد العاقل و المعقول و ثانيا لزوم كون غير الذات معه و ثالثا جهله بغير المعقولات و القول الرابع منسوب الي افلاطن علي ما نقل عنه من كون علمه صورا منفصلة عن ذاته و عن الاشياء و هي المُثُل بضم الميم

و الثاء اي مثل الاشياء فهي قديمة بها علم الاشياء الحادثة فلايكون جاهلا لقدمها و منفصلة عنه فلايكون مركبا منها و من الاشياء فلايتصل القديم و الحادث قال الشيخ الاوحد اعلي الله مقامه و نقل كثير من العلماء ان افلاطون اجلّ قدرا من ان يريد هذا المعني المعروف و انما يريد بالقدم القدم الامكاني و كأنه اشار الي علمه الامكاني الذي لايحيطون بشئ منه الا بما شاء كونه من الممكنات و انه جعلها في العنصر الاول انها في الكتاب الاول الذي هو خزانة الاكوان او الامكان و هي منفصلة عن ذاته لانها من جملة مخلوقاته و منفصلة عن خلقه لانه خلقها و جعلها علة لمن هو دونها و علي هذا التوجيه يكون الكلام صحيحا و ان اريد به العلم الازلي الذي يحكم اهل التوحيد بانه عين ذات الله سبحانه فهو باطل لان الحكم عليه بالانفصال عن الذات مع قدمه موجب لتعدد القدماء و

بالانفصال عن الاشياء تثليث للقسمة بان يكون شئ ثالث لا خالق و لا مخلوق و ليس علي حد الركن من الجملة الواحدة كما قال الصادق عليه السلام لحمران بن اعين في العلم من كماله كيدك منك انتهي ، لان اليد غير منفصلة و القول الخامس قول ناقص ان ارادوا المعني الحق و القول التام ما سنقوله و ان ارادوا الباطل من وجوه يحتمل في قولهم فيرد عليهم ما يرد علي السابقين و القول السادس و هو ان ذاته علم اجمالي واحد و به علم الاشياء قبل وجودها مجملا و يعلمها بتفصيلها مقارنا لتحققها و بعضهم جعل ذاته علما اجماليا بالكل و بعضهم قال انها علم تفصيلي بالمعلول الاول و اجمالي بما سواه يرد عليهما ايضا ما يرد من وجوه فان ذكر الحادث في القديم بالاجمال و التفصيل محال و القول به شرك بالله المتعال مع ما يرد عليه من ساير الايرادات و القول السابع و هو ان ذاته علم تفصيلي بالمعلول الاول اجمالي بما سواه و ذات المعلول الاول علم تفصيلي بالثاني و هكذا يرد عليه ما يرد علي ما مضي

و اكثر هذه الآراء نشأت من عدم المعرفة بالله و قياسه بخالقه و اعجب من ذلك انهم زعموا علمه ذاته ثم تكلموا في كيفية العلم فيا لهم الويلات هل الكيفية الا ما يقال في جواب كيف هو و الكيف عرض يعرض المواد الخلقية و الذات تجلّ عن ذلك و لايجري علي الله شئ من ذلك و كيف يكيّف بالكيف من هو خالق الكيف و كيف يأيّن بالاين من هو خالق الاين و كيف يصير الفعل و المفعول حدّ الذات سبحانه و تعالي عما يصفون فان كان مرادكم العلم الذاتي فينبغي لكم السكوت عنه لان التكلم فيها اما يكون لغوا او كفرا فانها لاتعرف و انما تحدّ الادوات انفسها و تشير الآلات الي نظائرها و كلما ميّزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم و ان كان المراد العلم الخلقي فهو يعلم كلما خلق و لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الارض و بالجملة جميع الفساد ينشأ من الاعراض عن اهل بيت جعل الله علمه في بيوتهم نعم جميع الملك جهل الا موضع العلم و ليس العلم الا ما خرج من بيوتهم و قد منّ الله علي مبدئنا و رأسنا الشيخ الاوحد و السناد الامجد الشيخ احمد اعلي الله مقامه و انار برهانه بان جعله من المشايعين لساداته و حملة علومهم و جامعي رسومهم صلوات الله عليهم جعلنا الله من متّبعيه و انار قلوبنا بمعرفة علومه و حكمه .

الثاني في ذكر بعض اصول و مقدمات مما يبتني عليه فهم مسألة العلم :

اصل اعلم ان الواجب علي المؤمن الممتحن بعد العلم بان له صانعا و من عنده حججا ان يتبعهم في جميع الامور و لايتخلف عنهم و من تخلف عنهم و عما ثبت من عندهم بضرورة و نحوها قدر شبر عمدا هو كافر بالله عز و جل و لايجوز تأويل اخبارهم بالآراء و ان كان لها وجوه لاتحصي و اذا اوّل حديث بما ثبت من عندهم لايجوز ترك ظاهره و اخطأ من زعم جواز تأويل الاخبار الي

ما عرفه العقول الناقصة من المسائل الحكمية و قد ثبت بالكتاب و السنة و ضرورة المسلمين ان الله سبحانه عالم بجميع الاشياء كائنة ما كانت بالغة ما بلغت قبل وجودها و

حين وجودها و بعد وجودها و علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها بلا تفاوت و هو سبحانه لميزل عالما بما كوّن و علمه سابق علي الاشياء قديما و لا نهاية لعلمه و كذلك ثبت بجميع ما ذكرناه ان الله سبحانه ذات احدية و علمه سبحانه ليس غير ذاته و من قال انه عالم بعلم في ذاته قد اخطأ و من قال ان علمه نفس المعلوم و معلومه في ذاته خلقه قد اخطأ و من فصّل ايضا بين علمه و معلومه قد اخطأ و من قال انه جاهل بخلقه ايضا قد اخطأ و من هاتين المسألتين نشأ الاشكال و كثر الاقوال فانه في ذاته عالم و علمه نفس معلومه و مع ذلك ليس ذاته محلا للحوادث و الخلق ايضا ليسوا قدماء و ليس هو سبحانه في محل الحوادث و ان عرفت هذه المسألة من الحكمة فانت من الحكماء و علي اهل الفهم السلام و كذلك ثبت بالضرورة ان الخلق يمتنعون في ذات الاحد فانه لا ذكر لهم في ذاته لا بنفي و لا باثبات فان النفي ايضا شئ و الذكر النفيي ذكر الصلوح و الاجمال و هو في مادة المواد و الذكر الاثباتي هو الذكر العيني و هو في مقام الاعيان و الاعيان لاتتجاوز عرصة التعيّن ابدا و الصلوح لايتجاوز مقام القوة و الازل لاينزل نعم القوة تذكر بالفعلية في مقام العين و العين يذكر بالقوة في مقام الامكان و الجميع بالازلية في العلم لا بنحو آخر فافهم ثم اعلم ان مقتضي الادلة ان الله سبحانه بعلمه الازلي يعلم جميع خلقه فانك لو قلت في جماعة المسلمين ان الله لايعلم قبل مشيته ان زيدا كيف يكون ليسفهوك و لو قلت ان علم الله بزيد حادث لاخرجوك عن المسلمين و الآيات تساعدهم و الاخبار تؤيّدهم و لايمكن مخالفتهم و لو قلت بغير ذلك ايضا لكنت من الخاطئين و مع ذلك لو قلت ان هذا الخلق المتكثر في الازل لكنت من الهالكين .

اصل اعلم ان الاحد جل شأنه خارج عن حدّ التعبير و البيان و لايدرك بمشاعر الانسان اذ كل مدرك محدود و كل محدود متجزٍ و كل متجزٍ قابل للزيادة و النقصان و من هو هكذا حادث عند العارف بالبرهان و تعالي عن ذلك القديم المنان و جميع ما تعبّر عنه مما ادركته و لذا يقال ما طرق سمعك يمكنك الوصول اليه ، فلا تعبير عن الاحد جل شأنه اذ لايدرك و جميع ما نقوله من باب التنزيه و التقديس و تنزيهه ليس بدرك كيف هو اذ لا كيف له و لكن بعد ما قصر افهامنا و كل البابنا و عجز مداركنا عن معرفته نزهناه و ان قلت فبم تثبته اقول اثبتناه لانا وجدنا ان كلما ندركه اثر و ان كان بعض عن بعض اكبر و قد آمنّا بما علمنا ان كل اثر له مؤثر الاتري الي قوله تعالي حكاية عن ابرهيم في قصته لما رأي كوكبا قال هذا ربي و لما رأي افوله و انطواءه تحت مؤثر و رأي بزوغ القمر رجع منه و قال بربوبيته و لما رأي منه ما رأي من الاول انكره و رجع الي الشمس لانها اكبر و لما افلت و رأي اثريتها و فاقتها و ما يلزمها من صفات الحدوث و المربوبية رجع الي الواحد القهار مع انه لميره و كذلك رؤية القلوب بحقايق الايمان و الا فهو منزه عن رؤية العيون بمشاهدة العيان و هذا هو الحق المأخوذ عن ائمة البيان و كذلك نحن كل ما ادركناه وجدنا اثريته و دلجته تعالي بين ايدينا فعرفنا ان لنا ربا قال الصادق عليه السلام انت لما عجزت حواسك عن ادراك الله انكرته و انا لما عجزت حواسي عن ادراك الله صدقت به ، بالجملة نثبته و لانعقله بما تجلي لنا بنا و التجلي يعرف كونه تجليا و ان لميعرف المتجلي فافهم و بعد ما عرفت ذلك فاعلم انا لانتكلم في ذاته و كلما نقوله من قول

فذلك في مقام يجوز لنا التكلم فيه و من باب التنزيهات ان الاحد فرد صمد بكل اعتبار فليس له حيوث و اعتبارات فهو كله حيث واحد و لا حيث و شئ واحد بحقيقة الشيئية و لا شئ معه غيره جمالا كان او جلالا فان قلنا انه عالم بذاته يكون علمه نفس ذاته بكل اعتبار و كل

صفحه ۸۲

جهة و بعلمه ذلك علم ذاته لا غير و معلوميتها عين علمه اذ علمه معلومه و ذاته و معلومه ايضا علمه و ذاته علمه و معلومه بلا فرق و جميع ذلك نفس وجوده فليس علمه غير كونه هو و جميع الحوادث برُمّتهم يمتنعون في ذاته و ذاته علمه فكلهم يمتنعون في ذاته و لايدرك لعلمه ذلك كيفية و لمينفع التفكر فيه الا تحيّرا و بُعدا و من تكلم فيه خسر و خاب و لميحصل له شئ سوي العذاب و اعلم ان اثبات العلم بالاشياء في الذات لايكون الا كذبا و علمه سبحانه صدق فهو عالم لا بعلم زايد علي الذات بامتناع الموجودات فافهم و قد كرّرت الكلام حتي تقف علي الحق نعم بعد ما خلق الخلق وقع العلم منه علي المعلوم يعني علمه الفعلي لا ذاته فان ذاته لاتقع علي الخلق بل الذات تعالي في مقام الذات ابدا ازلا العلم ذاته و لا معلوم و في مقام الخلق مع الخلق وقع العلم منه علي المعلوم و سيجيء بعد شرح ذلك ان شاء الله .

اصل اعلم ان الله سبحانه كان قبل الكان و لميكن معه شئ مما كان و قد تجلي سبحانه بعلمه الازلي لمشيته فخلقها به و علي طبقه و هذا العلم من كماله كيدك منك لايكون ذاتا و لا خلقا و لا برزخا بين الله و خلقه اذ حق و خلق لا ثالث بينهما و لا ثالث غيرهما بل هو نفس الله الباقية و كينونته الدائمة و كينونة الله لايصدق عليها الخلقية بل هي حق الله و جمع الله و اسم الله و كماله مجمل القول كيدك منك و هو مبدء فعل الله و اصله و يد الله في خلقه و نفسه و لذا تري ان الامام عليه السلام مرّة قال بالعلم خلقت المشية و مرّة قال خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشية ، فللمشية حيث علم هو الكينونة و حيث انية هو حيث معلومية المشية بالعلم الذي هو نفسه فعلمها سبحانه بعلمه الازلي علي ما هي من الفعلية في مقام الفعل و هو مقام السرمد ثمّ خلق سبحانه بهذه المشية التي هي الفعل الارض الجرز و هي امكان جميع الاشياء و هي اثر مشية الله و هي الوجود الجايز و الاثر علي طبق المؤثر و مقامه

صفحه ۸۳

ايضا السرمد بملاحظة او دهر الدهور بملاحظة و له ايضا حيثان بالاثرية فله مقام نفس و وجود هو كونه و حيثه الي العلم الذي هو نفس المشية و مقام انيّة هي القيد المطلق و هي ماهيته و حيثه الي انية المشية التي هي حيث الفعل و لما كان فعله من حيث القابل صار انفعالا و الانفعال ايضا فعل الا انه قائم بفاعل الفعل صدورا و بالمنفعل ظهورا فافهم ثم ادار الله سماء مشيته علي هذه الارض و خلق منها الدهريات شيئا بعد شئ في دهورها و ثبت لها ما لمؤثرها من الظاهر و الباطن و الحدود و الصفات علي ما ينبغي علي نحو الدهرية اللائقة بها فلكل منها حيث مشية و امكان و غيب و شهادة و ازلية علي حسبها ثم خلق الله بها الشهاديات في عرصة المثال و الدنيا علي ما ينبغي لها في مقامها و حدّها و

جعل لها جميع ما في مباديها و لايمكن غير ذلك و هو من المحال الا ان الاذكار في كل مرتبة علي ما ينبغي لها لا كما هي عليه في مقاماتها نعم اذا كشفت عما يلزم في كل مرتبة لوقفت علي عينه بلا كلام .

اصل اعلم ان كل عال متعال عن حدود ما دونه محيط بها بحسب علوّه و مرادنا من العلو العلو الحقيقي لا النسبي كعلو السماء علي الارض فان العالي بالنسبة ليس علوه بذاته بل هو بذاته في عرض الداني و اما العالي بالذات فليس من عرض الداني و اذ لميكن من عرضه فلايحدّ بحدوده فيحيط به لا محالة فان كان العالي دهريا يحيط بجميع ما دونه باحاطة الدهريات و جميع الزمانيات التي دونه منطوية تحته و هو شاهد لها عالم بها و لما كان بنفسه دهريا يكون علمه بها دهريا كالحديد مثلا بالنسبة الي ما يصنع منه فانه محيط بها عالم بقضّها و قضيضها بالعلم الدهري و دهر الدهور محيط بجميع ما دونه من الدهريات و الزمانيات و ليس للدهر وقت زماني فلايتصوّر فيه الماضي و المستقبل و الحال فلايكون لعلمه ايضا وقت فجميع المواضي و المستقبلات في محضره و ان كان العالي سرمديا يحيط بجميع الدهريات و الزمانيات بالسرمدية و يعلمها بالعلم

السرمدي فان كل محاط اذا نسب الي المحيط يثبت له صفة المحيط لا المحاط فزمانية الزمانيات بنسبة بعضها الي بعض لا بنسبة الكل الي الدهر فان الكل دهري و دهرية الدهريات في نسبة بعض الي بعض لا بالنسبة الي السرمد فان بالنسبة الي السرمد جميع الدهر سرمدي بل جميع الزمان سرمدي فافهم فالسرمدي عالم بجميع ما دونه بالعلم السرمدي و الازل جل شأنه احاط بالكل بازليته و ليس لشئ بالنسبة اليه سرمدية و دهرية و زمانية فانها نسب خلقية و هو يجلّ عن جميع ما يجوز في الخلق فالكل محاطه ازلا ابدا فانه لايتصوّر ان لايكون محيطا بشئ الآن فيحيط به بعد ذلك فان ذلك يورث التغيّر و الزوال و لايجري عليه ذلك فهو عالم بالعلم الاحاطي الازلي بجميعها و لايخفي عليه خافية و ان كان بعضها بالنسبة الي بعض سرمديا و بعضها دهريا فافهم و امثل لك مثالا ان صفاتك بعضها زمانية و بعضها برزخية و بعضها دهرية و لكن ذاتك سرمدية و فوق جميعها و محيطة بكلها و ليس لشئ منها بالنسبة اليها زمانية و برزخية و دهرية بل الكل بالنسبة اليها سرمدية فافهم و لاجل ذلك نقول ان الله سبحانه عالم بجميع خلقه ابدا ازلا و علمه كماله و لايفقده و اعلم ان لكل منها علمين علما بنفسه و علما بما هو دونه فاما علمه بنفسه فبحسبه و اما علمه بما دونه فبما منه فيه علي حسبه فالدهر مثلا علمه بنفسه علم دهري اجمالي و علمه بالزمانيات بما فيها من الدهرية فهو يحيط بجميع الزمانيات و يعلمها علي ذلك و كذلك الامر في الباقي فافهم و اتبرك بذكر بعض الاخبار حتي تقف علي مرادك بلا غبار سئل ابوالحسن علي بن موسي الرضا عليه آلاف التحية و الثناء أيعلم الله الشئ الذي لميكن ان لو كان كيف كان يكون او لايعلم الا ما يكون فقال ان الله تعالي هو العالم بالاشياء قبل كون الاشياء قال عز و جل انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون و قال لاهل النار و لو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه و انهم لكاذبون فقد علم عز و جل انه لو ردّوهم لعادوا لما نهوا عنه

و قال للملئكة لما قالت أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك قال اني اعلم ما لاتعلمون فلميزل الله عز و جل علمه سابق للاشياء قديما قبل ان يخلقها فتبارك و تعالي علوا كبيرا خلق الاشياء و علمه بها سابق لها كما شاء كذلك لميزل ربنا عليما سميعا انتهي ، انظر الي تصريحه عليه السلام بقدم علمه بالاشياء و ان الاعمال تستنسخ من لوح العلم و ان كان تفسير المفسرين علي العكس و سئل ابوعبدالله عليه السلام هل يكون اليوم شئ لميكن في علم الله عز و جل قال لا بل كان في علمه قبل ان ينشئ السموات و الارض و سئل عن الله تبارك و تعالي أكان يعلم المكان قبل ان يخلق المكان ام علمه عند ما خلقه و بعد ما خلقه فقال تعالي الله بل لميزل عالما بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كوّنه و كذلك علمه بجميع الاشياء كعلمه بالمكان و سئل هل يكون اليوم شئ لميكن في علم الله بالامس قال لا ، من قال هذا فاخزاه الله قلت ارأيت ما كان و ما هو كاين الي يوم القيمة اليس في علم الله قال بلي قبل ان يخلق الخلق و في تفسير القمي في تفسير قوله تعالي هل اتي علي الانسان حين من الدهر لميكن شيئا مذكورا قال كان في العلم و لميكن في الذكر انتهي ، اقول و المراد من الذكر هنا الذكر بالمشائية و من هذا الباب ما ورد ايضا في تأويله كان شيئا و لميكن مذكورا ، و بالجملة ثبت بضرورة الاسلام ان الله سبحانه عالم بجميع الاشياء قبل ان يخلقهم و هذا هو العلم الازلي الذي هو من كماله لا ذاته تعالي فافهم و لاتغلط .

اصل ما لمتعرف حقيقة الاوعية و الازل لاتكاد تقف علي المراد و تفصيل ذلك يأتي بعد في الامور العامة ان شاء الله و لكن في المقام نشير الي المرام فاقول ان الاوعية هي الزمان و الدهر و السرمد و هي اوقات الخلق من الاعلي الي الاسفل و الازل هو الازل جل شأنه خالق الاشياء لا من شئ فالزمان هو نسبة صفة الي صفة و الدهر نسبة الصفات الي الذات و السرمد نسبة

الذات الي نفسها يعني ملاحظة نفسها و هذه المقامات ثابتة لكل شئ بالنسبة انظر الي السيف و الرُّمح و المسحاة و المعول و ساير ما يصاغ من الحديد و انسب بعضها الي بعض بحسب اوضاعها و قراناتها و ساير ما لها و منها و كذلك انظر الي الصور المقترنة بالمواد الدنيوية منها ففي هذا النظر تري لبقاء النسب و الصور علي المواد و فيها مدّة فهذه المدة تسمي بالزمان و لهذه الصور نسبة الي الحديد الساري فيها المتجلي منها بنسبة واحدة فاذا نظرت اليها بهذا النظر يعني وجدت الحديد متجليا فيها تري نسبة جميعها اليه علي السواء و جميعها في محضره دائما و لظهوره فيها و حضورها لديه امتداد يسمّي بالدهر و هذا النظر نظر واقعي في الاشياء لا انه محض وجدان بل هو وجودي و لاينافي ذلك ثبوت الزمانية لها فان زمانيتها ايضا بهذه النسبة دهرية ثم ان نظرت الي نفس الحديد من حيث هو حديد من دون ملاحظة ما يصاغ منه و لا نسبتها اليه تراه بنفسه ثابتا في مقامه و لايمضي عليه وقت زماني اذ هو امتداد اعراض الصفات و هي بانفسها لاتذكر في نفس الحديد فضلا من نسبها و امتدادها و لا وقت دهري اذ هو نسبة الصفات الي

الذات و نسبتها اليها بل هو نفسه و له مدة بقاء في حدّه يعبّر عنها بالسرمد و ليست هي خارجة عن ذاته بل هي هي لغاية اتحاد الذاتيات فسرمدية الحديد بسرمديته محيطة بجميع الدهر المخصوص به و زمانياته و دهريته محيطة بزمانياته و اعلم ان هذه المراتب ثابتة للسيف وحده بالنسبة و للرمح هكذا و لساير ما يصنع منه هكذا و كذلك لنفس الحديد بالنسبة الي ما في عرضه و فوقه بل لجميع الملك هذه الحالات المذكورة ثابتة و لكن الامر في جميع الملك حقيقي و في اجزائه نسبي فسرمدية الملك المشية و دهريته من العقل الي اعلي المثال و زمانيته من العرش الي التراب و اما الازل فهو ذات الله الظاهرة و تسميته بالازل محض تعبير فلما قالوا ان الخلق موقتون باوقات سرمدية و دهرية و زمانية كل بحسبه قالوا انه تعالي ازلي ابدي

صفحه ٨٧

و ازله عين ابده و ابده عين ازله لا ان وقته غيره بل لا وقت له و هو موقّت الوقت بلا وقت و مكيّف الكيف بلا كيف و هو تعالي بازليته محيط بجميع السرمديات و الدهريات و الزمانيات و لايخفي عليه خافية في الارض و لا في السماء و يحيط بجميع الاشياء قبل وجودها و بعد وجودها و حين وجودها علم شهود و عيان و علمه بجميعها علم احاطة و هو سبحانه يعلم كل شئ في مقام وجوده و حدّ شهوده بهذا العلم و هذا علم دايم ابدي ازلي و نسبة جميع الاشياء اليه سبحانه شرع سواء و له علم خلقي يعلم خلقه ايضا علي ما ينبغي فافهم هذا الاصل و اتقنه و سيجيء متمم البيان ان شاء الله .

اصل اعلم ان العلم من كل احد في الحقيقة نفس المعلوم و هذا مطلب شريف تمامه سيظهر لك مما سيأتي ان شاء الله و لكن ما يتعلق بالمقام ان العلم لا بد و ان يكون متعلقا بالمعلوم واقعا عليه مطابقا له من جميع الحيوث و الجهات فان كان بينهما بينونة من جهة من الجهات لصار العلم كذبا و لو كان العلم من جهة من الجهات غير المعلوم لصار من هذا الحيث مخالفا للواقع و جهلا و كذبا و الله يعلم بكل شئ علي ما هو عليه و ان قلت ان علمه كعلمنا اشباح منتزعة اقول اما اولا فلا شك ان الشبح غير ذي الشبح و هو صفته و نحن ننتزع من الاشياء اشباحا نعلمها اعني هي علومنا بالاشياء في مشاعرنا و لانعلم ذوات الاشياء في الخارج و لذا تري انك جاهل بنفس زيد و ساير اشباحه بعد ما علمت شبحه الخاص الملقي في مشاعرك حين المواجهة نعم انت تعرف من زيد ما وقع منه في خيالك من الشبح الخاص و ما فارقك انت لاتطلع عليه ابدا بل ربما مات و انت لاتطلع عليه فليس زيد و ساير اشباحه معلومك و الا للزم تخلف العلم عن المعلوم و لكن علمه ما هو عندك منه و هو معك اينما كنت فتدبر و اذا عرفت ذلك فبيّنْ مرادك من الشبح الذي هو علم الله أهو عين ذي الشبح من جميع الجهات فهو هو و ان كان غيره فهو لايكون معلوما لله سبحانه ثم تدبّر ثانيا

صفحه ٨٨

ان الاشباح تأتيك في مشاعرك و انت تدركها بها فيها فهل تثبت لله سبحانه خيالا مثل خيالك و تزعمه منفصلا عنه فيقع اشباح الاشياء في خياله فذلك كفر بالله اذ هو تشبيه و يلزمه التعطيل ايضا و ان قلت ان الاشباح تقع في ذات الله كما هو رأي بعض فيلزم من

ذلك حلول الاشياء في الذات فتكون محل الكثرات و ذلك انكار للاحدية و لا فرق بين ذلك و ان يقال بالاعيان الثابتة و ان قلت انها تقع في خزينة من الخزائن كحضرة العلم التي يزعمها الصوفية اقول اولا هل يعلمها الله في حضرة العلم بذاته او بعلم غيرها او بنفسها فان قلت انه يعلمها بذاته فنرد بالكلام الاول عليك اذ يلزم من ذلك ان يعلم بذاته الحدوث فيها و ان قلت انه يعلم بعلم غيرها نرد عليك بما اثبتناه اولا مما يلزم من تخلف المعلوم عن العلم و ان قلت انه يعلمها بها اقول نحن نسلّم كون الامثلة في خزينة من خزائن الله و هي علومه في هذا المقام و لكن ما تقول في نفوسها هي معلومة ام لا فان قلت انها معلومة بها يلزم عليك الاقرار بجهله سبحانه بغير الامثلة فتدبر و انصف و ان اراد القائلون بهذه الاقوال وجوها حقة و عبّروا عنها بهذه العبارات لعدم اطلاعهم علي مداليل الالفاظ فهم اعرف بمرادهم و نحن متّبعون للحق مصدقون له و لا غرض لنا نفسانيا مع احد و لكن نردّ علي هذه العبارات فانها لاتليق بالله كما ان الله سبحانه ردّ علي النصاري قولهم ان المسيح ابن الله مع انهم لميريدوا نسبة الولادة اليه و هو اعرف بمرادهم ، الحاصل فلايوافق الاخبار و صحيح الاعتبار الا ان تقول ان الاشياء بانفسها علوم الله تعالي فالمعلوم عين العلم و الله يعلم الاشياء من كل جهة فهي من كل جهة معلوم الله سبحانه و اذا كان الشئ من كل جهة علم الله فهو بنفسه معلوم لا محالة قال مولانا اميرالمؤمنين عليه صلوات المصلين الحمد لله الذي اعجز الاوهام ان تنال الا وجوده و حجب العقول عن ان تتخيّل ذاته في امتناعها من الشبه و الشكل بل هو الذي لميتفاوت في ذاته و لميتبعض بتجزية العدد في كماله فارق الاشياء

لا علي اختلاف الاماكن و تمكّن منها لا علي الممازجة و علمها لا باداةٍ لايكون العلم الا بها و ليس بينه و بين معلومه علم غيره الخطبة ، انظر الي صراحة قوله عليه السلام في اثبات المدعي و نفي جميع ما سواه من الاقوال الباطلة فعلمه تعالي نفس معلومه لا غيره فاذا كان نفس المعلوم فيعلم الازل ازليا و السرمد سرمديا و الدهر دهريا و الزمان زمانيا فان في الازل لايذكر الحدث بل يمتنع منه و في الحدث لايذكر الازل بل هو باين عن الحدث و الحدث باين منه بينونة صفة و هي اشد من بينونة العزلة بمراتب فاذا عرفت هذه المقدمات و حفظتها ازيدك مطلبا آخر لله و في سبيله .

اصل خير الكلام ما قاله العارف بمراد الامام عليه السلام و هو ما قال ابي العلام اعلي الله له المقام و انا كلما تجسست في خلال الكلمات و قلبت العبارات ظهرا لبطن في شقوق الملاحظات ماوجدت احسن و اجمع من هذه الدرر المنثورات فاخترتها و نقلتها بعينها لك ان عرفتها قال حشره الله مع آلمحمد عليهم السلام بعد ما بيّن علم الله سبحانه علي الظاهر في شرح الحديث الشريف علمه بها قبل كونها الخ ، ليعرفه كل احد و اما باطن القول فيه ان الخلق له اعتباران اعتبار هو هو و يسمي بذلك خلقا زيدا و عمرا و بكرا و (هو ظ) في هذا الاعتبار اثر المشية و اعتبار معلومية لله سبحانه و هذا الاعتبار اعلي من الاعتبار الاول بدرجة فانك تلاحظ مذكوريته عند العالي و تري ذكر الذاكر و الذاكر عليه و هو بهذا الاعتبار متعلق العلم و العلم قبل المشية اذ بالعلم خلقت المشية و شاء كما علم فالاشياء اعتبار كونها معلومة فوق اعتبار كونها مخلوقة كما ان اعتبار كونها مشاءة فوق

اعتبار كونها مرادة و اعتبار كونها آية فوق اعتبار كونها هي هي فالاشياء كانت معلومة لله سبحانه قبل ان تكون مخلوقة بلا شك كما كانت مشاءة قبل ان تكون مرادة قال الرضا عليه السلام ليونس أوتدري ما المشية قال لا قال هي الذكر الاول قال

صفحه ٩٠

أوتدري ما الارادة قال لا قال هي العزيمة علي ما يشاء و قال الكاظم عليه السلام بعلمه كانت المشية و بمشيته كانت الارادة الخبر ، و روي في قوله هل اتي علي الانسان حين من الدهر لميكن شيئا مذكورا قال بلي كان مذكورا في العلم ، فتدبر في هذا المعني الشريف و اعرف منه معني قوله عليه السلام فالعلم في المعلوم قبل كونه و المشية في المشاء قبل عينه و الارادة في المراد قبل قيامه و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها عيانا و وقتا و القضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات الخبر ، و هو بحر من العلم متلاطم فالشئ يكون معلوما بالعلم كائنا بالمشية متعينا بالارادة قائما بالقدر مفصلا بالقضاء مبرما بالامضاء فالله سبحانه عالم بالمعلومات قبل كونها كما يكون عالما بها بعد كونها بلا تفاوت فان الشئ كما اذا عيّن لميخرج عن الكائنية كذلك اذا خلق كونا لميخرج عن المعلومية ، فتبين و ظهر لمن نظر و ابصر ان علمه سبحانه بخلقه عين خلقه لا عين ذاته و عين ذاته عالم ابدا ازلا بخلقه في خلقه كلا في حدّه و مكانه و وقته كما يأتي ان شاء الله ، تم كلامه علا مقامه و هو في الواقع تحت كلام ساداته و فوق كلام غيره و لا حاجة الي شرحه فانه سهل ممتنع و لايزيد من الشرح الا اشكالا و اعضالا .

اصل حان حين الاستنتاج من المقدمات بعد وضوح المنهاج فاصغ الي ما اقول حتي تفوز بالمأمول ، اعلم ان الله سبحانه بذاته الاحدية عالم و لا معلوم سواه لا بعلم عداه فهو اذ ذاك عالم و علم و معلوم و جميع ذلك ذاته و اعني من علمه حضوره لنفسه لا علم كعلم خلقه فان المعلمة لنفي الخلاف و هو هو و قد علم سبحانه بالعلم الازلي الذي هو ذاته سبحانه الظاهرة يعني الكينونة المعلومات بقضّها و قضيضها علي ما ينبغي له في ازله الذي هو عين ابده لا كما ينبغي لها في حدوثها و قد علم سبحانه بعلمه الازلي خلقه قبل تعلق المشية بها فكيف يتصوّر تعلقه بازليته بالحادث تعالي عن ذلك لا بان يكون الخلق

صفحه ٩١

المتكثر في الكينونة نعوذ بالله فان الكينونة هي هي حق الله جل شأنه و ازله و هو في الواقع الوجود الحق للملك و ليس في الوجود الحق ذكر المقيدات بنفي و لا اثبات بل هو حقها و ذاتها و وجودها فكيف يتصوّر ان يعلم سبحانه ما ليس في مقام في هذا المقام و هذا علم كذب بل في نفس الكينونة معلومه نفسها و لا غير و هو علم احدي ابدي ازلي و لكن الكينونة محيطة بجميع الاشياء قبل المشية و الارادة و كلها حاضرة عندها ازلا و ابدا و ان شئت ان تعرف حقيقة ذلك فانظر الي ذاتك التي هي حقك و آية الحق المطلق فيك هل يذكر فيها من صفاتك شئ و لكنها محيطة بجميع صفاتك و كلها حاضرة لديها لاتمضي عليها الاوقات بالنسبة اليها و كذلك الامر بالنسبة الي الكينونة فهي محيطة بجميع الاشياء و كلها في محضرها و لايخفي عنها خافية في الارض و لا في السموات و لايمضي عليها الاوقات و لا علي الاشياء بالنسبة اليها فهي العالمة بجميعها في اماكن وجوداتها ابدا ازلا

و قد خلقها الله بحسب علمه ذلك و ان عرفت المقدمات تقتدر علي فهم هذه النتيجة بما فيها من اللطيفة و الا فلا و نفوسها معلوماتها و هذا هو الكتاب الحفيظ عند الله سبحانه و اللوح المحفوظ و العلم الذي لايحيط به احد الا الله و امر نبيه ان يستزيد منه و يستنسخ منه جميع الاعمال و الافعال و الامام المبين الذي احصي فيه جميع ما في العالمين و الكتاب الذي جمع فيه كل ما في المبدء و المآب و العلم القديم الازلي و الشمس التي في قعر بحر القدر لايطلع عليها الا الواحد الصمد فمن تطلع عليه فقد كفر و لميزد الا بعدا و حرم و تحيّر ثم لهذا الكتاب اوراق و سور بنسبة بعضها الي بعض و يختلف درجات العلم و حالاته في هذا النظر فورق منه ورق الفعل و الذكر الاول و العزيمة و الهندسة و الابرام و الله يعلمها علي ما هي عليه فلايعلم الاعيان في هذه المرتبة الا كذكر المشتق في المبدأ ثمّ ورق الامكان و هو مقام الصلوح و القوة و الله يعلم فيه امكان الاشياء يعني

صفحه ۹۲

يعلمها ممكنة و هذا مقام قوله عليه السلام في شرح هل اتي علي الانسان الآية ، كان شيئا و لميكن مذكورا ، يعني شيئا ممكنا فان الامكان شئ مبهم مطلق و لميكن مذكورا بالتشخص كما انه في مقام العلم الاعلي لميكن مقدرا و لا معلوما بالحدوث علي ما في حديث آخر فافهم فان لكل تفسير مقاما و اهلا و لا اختلاف في اخبارهم ثم بعد ذلك ورق الجبروت و قد علم الله فيه الاشياء بالمعنوية ثم بعد ذلك مقام الملكوت و هما من الدهر و كذلك بعده الطبيعة و المثال و الجسم المطلق و في هذه العرصات علم الاشياء علي ما ذكرت و ان من شئ الا عندنا خزائنه و ماننزله الا بقدر معلوم و كذلك في عرصة الدنيا علم الزمانيات بتفاصيلها كلا في مقامه و حدّه و ليس بينه و بين الاشياء في علمه واسطة و لايوصف علمه منه باين بل هو عالم بالجميع بعلم واحد هكذا فبالعلم الازلي يعلم جميع الاشياء قبل خلقها و بعد خلقها بلا تفاوت و بالعلم الامكاني علم امكانها و بالعلم الكوني كونها و بالعلم العيني عينها و لايعلم شيئا الا في مقامه و حدّه اذ العلم نفس المعلوم و كل معلوم له مقام لايجاوزه ابدا و اذا وقفت علي هذه البيانات الشريفة وقفت علي حقيقة العلم بقدر ما يمكنك الوصول اليه و اري ان ازيّن هذه الرسالة بعبارة شيخنا و عمادنا و سنادنا اعلي الله مقامه في العلم و لعمرك لو ضربت آباط الابل دهرا و شرقت و غربت لاتجد بعد اخبار آلمحمد عليهم السلام كلاما اجمع و املح و احسن و ابطن و اعلي و احلي منها في العلم و ان عرفت ما ذكرته بعلمي الناقص في هذا المقام تعرف بعض ما عرفناه من عبارته الشريفة و الا فلا و افرد لها ايضا اصلا .

اصل نبت من فرع من فروع الزيتونة قال اعلي الله مقامه و رفع في الخلد اعلامه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، قال العبد المسكين احمد بن زين‌الدين الاحسائي في بيان ما يمكن العبارة عنه من صفة تعلق علم الله بالمعلومات من حيث هي

صفحه ۹۳

معلومات اذ بدون تلك الحيثية *قال ابي (اع) ما ملخص كلامه : قوله (اع) اذ بدون تلك الحيثية الخ ، اي الي تعلّق العلم به فان علمه سبحانه كماله كيدك منك كما يأتي و الاشياء من حيث الحاضرية معلومة و حيث المعلوم ادني من حيث العلم و الحيث الاعلي اي العلمية مثال الله الملقي فالعلم متعلق بالمعلوم و من دونه لا سبيل للممكن الي تعلق هذا المثال به قوله (اع) و تلك الصفة الخ ، لانها ما يبينه و لايبين الا ما تجلي له فيه و هي جلوة القديم بواسطة تجلٍّ اعلي هو صفة القديم قوله (اع) من المعاني الخ ، لان ما*

يبيّنه من الصفات و الظواهر قوله بعلمه الذي الخ ، هي الذات الظاهرة و هي نفس المشية و التجلي الاول فعلم المعلومات بها اولا اذ لا شئ غيره و في اثبات المعلومات و نفيها سرّ فان هذه الذات هي مبدء الذوات فافهم قوله بما يمكن في ذواتها ، يعني علمها بحضور يمكن في الذات و يمتنع ان يكون ذلك الحضور في رتبة الامكان الحادثة بمشيته فانها هناك حاضرة بالتذوّت الاحدي و في الامكان بالعرض و تذوّت المؤثر يمتنع ان يكون في الاثر و في قوله يمكن لها مع قوله يمتنع في رتبة الامكان نفي و اثبات لاهل الايقان قوله و هو اذ ذاك الخ ، اذ المعلومات هناك مذكورة بالنفي المتفرع علي الثبوت المشار اليه سابقا و قوله و علمه بها كينونة الذات ، يعني ذلك العلم نفس كينونة الذات المشار اليها في قوله كنا بكينونته الخ ، و هي ظهوره بالكائنية و ليس كينونته مكوّنة له قال الله و يحذركم الله نفسه قال الصادق عليه السلام يحذركم ان تجعلوا الميم مصنوعا قوله (ع) و هو الربوبية اذلامربوب لانها احدية و الاعداد هناك منفية قوله فاقتضت ذواتها الخ ، يعني في الذات علي نحو الوجود الحقي و النفي الاطلاقي و في السرمد علي نحو الوجود الاطلاقي و النفي الكوني و في الاكوان علي نحو الوجود الكوني و النفي العيني و في الاعيان علي نحو الوجود العيني و في كل مقام لهم وجود هو ما لهم من الاثبات و صورة و هي ما لهم من النفي قوله اعلي الله مقامه من الازل الخ ، يعني في النزول الي الابد الذي هو ذلك الازل في الصعود قوله ما يمكن لها و يمتنع الخ ، فقوله من صفة الكينونة بيان ما يمكن لها و المراد من صفة الكينونة هي حقيقة العقل التي وصف بها نفسه و من عرفها عرف ربه و هي ربوبية تلك الاقتضاءات و هي عبوديتها قوله و تلك الصفة الخ ، اي اثر تلك النفس القديمة التي هي الربوبية اذلامربوب و ذلك النور هو الربوبية اذمربوب و هو الاقتضاء الذي هو نفس تلك الربوبية و هويتها و ظلّها و قوله يمكن لها و يمتنع في الامكان لان صفة الازل ازلية يعرف بها نفسه بالازلية و هي يمتنع في رتبة الامكان المعرف بالافتقار و الخلقية قوله فحكم لها ثانيا لانه في الدرجة الثانية بعد الاولي التي كان لهم فيها اثبات و نفي قوله حين سألها بسؤالها الخ ، فالباء في بسؤالها صلة سألها اي نفس سؤالها من الله سبحانه تلك الصفة نفس سؤال الله ايّاها و سؤال الطرفين هو تلك الصفة المحكوم بها لها اذ لا سبيل لها الي الله الا بتلك الصفة و هي سبيل الله قوله بما سألته الخ ، الباء صلة قوله فحكم اي حكم بمسؤلها في كل رتبة بما يليق لها فيها قوله و تلك المعلومات الخ ، يعني انها ممتنعة في ذات الازل المجهول الكنه بكل اعتبار اي بالنفي و الصلوح و الكون و العين ممتنعة في الازل فهو اذ ذاك هو قوله الا بما هي شئ في الحدوث الخ ، و هذا الكلام تمام الكلام الاول و عديله قوله و اما في الامكان فهي شئ بما شاء كما شاء و ليس بتكرار و لا ايضاح فحاصله ان تلك المعلومات ممتنعة في الازل بكل اعتبار الا بنحو الامكان في الامكان و هذا الكلام يقصر عن نيله افهام الحكماء و اوهام العلماء فهي في الازل شئ بالامكان في الامكان لا في الازل فان رأيته فهو اذ ذاك هي لا هو بمعني الامتناع و ذلك ممتنع عن الحدث و الحدث ممتنع عن الازل و لايتناهي الازل لا بذواتها و لا بصفاتها و لا بافعالها و لا بآثارها و لا بآثار آثارها الي ما لا نهاية له فهي هي بتكثراتها و هو هو بتوحده لانه طوي باحديته جميع ما سواه فافهم و قوله يعني انها شئ الخ ، يعني هي شئ بتلك الحقيقة التي هي المشية و هي ظل الكينونة كشعاع الشمس من الشمس قوله فاعطاها بحكمه و مشيته ما سألته من الوجود فحكمه و مشيته هما اسمان لصفة الكينونة و الوجود هذا هو الحكم الثالث لاقتضاء الوجود به و هو الوجود المقيد و قوله و امكن فيها الخ ، و هذا هو الامكان الجايز يعني به ان الله سبحانه اعطي المقتضيات بمشيته الوجود الفعلي اي الكون في الخارج ممثّلا علي حسب اقتضائها و امكن فيها من القوة ما اقتضته و ان لمتقتضه في الوجود فخلق الالف الفا بالفعل و باء بالقوة قوله فما لمتقتض وجوده الخ ، اي الامكان الجايز و الوجود الجايز اي التمثل في الخارج من حيث انفسهما اقتضاء ما يقضي لهما من الوجود اي صفة الكينونة قوله لانه اذا شاء اقتضت الخ ، هو تعليل لقوله هاتان الرتبتان الي آخر ، فيعلل لكونهما اقتضاء ما لهما من المشية بان الله سبحانه اذا شاء و اشرق بشعاعها عرصات الامكان التي هي نفس ذلك الشعاع اقتضت المشية ان ما يكون ما في الوجود اي ما تشرق دونها و هو عرصة الامكان و لايعقل غير ذلك و ما في الامكان في الوجود و كذلك اقتضت ان يكون جميع شعاعها الذي هو الامكان موجودا اما عينا او امكانا فشعاع المشية موجود ممكن و هذا الموجود الممكن من حيث نفسه اقتضاء ما له من صفة المشية قوله المشية التي بها الاقتضاء ، يعني ان الاقتضاء خلق بالمشية قوله و تلازمهما في التحقق الظهوري الي آخر ، يعني ان المشية لاتظهر الا بالاقتضاء و الاقتضاء لاتظهر في الوجود الا بالمشية فهما في الكون الخارجي متلازمان و اما المشية فمقدمة ذاتا و رتبة لان ما من الله مقدّم قوله و تلك الربوبية اذلامربوب الخ ، يريد ان الكينونة هي علمه بمخلوقاته اولا و ظلها اي الصفة و هي المشية علمه بها ثانيا و بالاول يعلم نفيها الاطلاقي و الوجود الحقي فهو اذ ذاك عالم و لا معلوم كما انه رب اذلامربوب و يعلم بالعلم الثاني ما لها من تلك الصفة اي صفة الكينونة و هي حيث معلوميتها الذي ليس له سبيل الي تعلّق العلم به بدون ذلك الحيث بل علميتها فهم هيٰهنا معلومون غير مكوّنين و لا معيّنين فكونهم علي حسب ما علمهم قوله كيدك منك ليس علي ظاهره الدال علي التبعيض بل المراد منه شيئان احدهما ان المراد حضور العلم الثاني عند الذات كحضور يدك منك و يمثل العرب و العجم لغاية الظهور بالكف و ثانيهما ان يكون المراد باليد القدرة و هو شايع في العرب و العجم يقولون له يد في هذا اي قدرة و يد الله قدرته فيك منك اي قدرتك منك فكما ان قدرتك منك كمالك كذلك علمه سبحانه كماله ، منه (اعلي الله مقامه) .

لا سبيل للممكن اليه و تلك الصفة صفة رسم لا صفة قدم فان القديم يتعالي عن الحدوث بكل اعتبار و العبارات تعبير و تفهيم و ان كان ذلك النظر بعين منه فان ذلك النظر و تلك العين من المعاني و هي فينا من المعاني السفلي و هي من المعاني العليا كالشعاع من المنير و تلك العليا هي التعيّن الاول و هو اول مظاهر الذات فافهم اعلم ان الله سبحانه علم المعلومات بعلمه الذي هو ذاته اذ لا شئ غيره بما يمكن في ذواتها و ما يمتنع في رتبة الامكان و هو اذ ذاك عالم و لا معلوم و علمه بها كينونة الذات علي ما هي عليه مما له لذاته بلا اختلاف و لا تكثّر و هو الربوبية اذلامربوب فاقتضت ذواتها بما هي مذكورة به في كل رتبة من مراتب الوجوب و الجواز من الازل الي الحدث الي الابد الذي هو ذلك الازل ما يمكن لها و يمتنع في

الامكان في كل رتبة بحسبها من صفة الكينونة التي هي ربوبية تلك الاقتضاءات و تلك الصفة هي نور الكينونة و ظلّها و تلك الاقتضاءات هي سؤال المعلومات ما لها من تلك الصفة التي هي نور الكينونة فحكم لها ثانيا حين سألها بسؤالها بما سألته في كل رتبة بما لها فيها و هذا الحكم هو تلك الصفة التي هي ظل الكينونة و هو الربوبية اذمربوب و بها قام كل مربوب في كل رتبة بحسبها و تلك المعلومات بكل اعتبار لا شئ الا انها لا شئ في الازل بمعني الامتناع الا بما هي شئ في الحدوث بمعني الامكان في الامكان و اما في الامكان فهي شئ بما شاء كما شاء يعني انها شئ بذلك الحكم و هو ظل الكينونة فاعطاها بحكمه و مشيته ما سألته من الوجود و امكن فيها ما اقتضته من الامكان و ان لمتقتضه في الوجود فما لمتقتض وجوده في الوجود تقتضي وجوده في الامكان و هاتان

صفحه ٩٥

الرتبتان اقتضاء ما يمكن لها من تلك الصفة المذكورة لانه اذا شاء اقتضت ما في الوجود في الامكان و ما في الامكان في الوجود لان ذلك هو ما لها من تلك الصفة التي هي المشية التي بها الاقتضاء و ذلك حكم الاختيار الربوبي فلمتقتض الا ما شاء لان مشيته هي الربوبية اذمربوب و هي صفة الربوبية اذلامربوب كما مرّ و لميشأ الا ما اقتضته من مشيته و تلازمهما في التحقق الظهوري و تقدّم المشية علي الاقتضاء ذاتا كمثل تلازم الفعل و الانفعال في التحقق الظهوري كالكسر و الانكسار ذاتا و ان تساوقا في التحقق الظهوري و تلك الربوبية اذلامربوب التي هي الكينونة كما مرّ علمه بمخلوقاته اولا و صفتها التي هي ظل الكينونة و ظل الربوبية اذلامربوب علمه بمخلوقاته ثانيا قال تعالي اشارة الي الرتبتين و لايحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فما شاء من علمه يحيطون بشئ

صفحه ٩٦

منه كما شاء فافهم و هذا العلم الذي لايحيطون بشئ منه اي الكينونة هو من علمه بذاته الذي هو ذاته كيدك منك كما في رواية حمران بن اعين عن ابيجعفر عليه السلام و كما في رواية هشام بن الحكم عن ابيعبدالله عليه السلام و له المثل الاعلي في السموات و الارض و هو العزيز الحكيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين و صلي الله علي محمد و آله الطاهرين ، انتهي كلامه اعلي الله مقامه .

فصل اعلم ان الله سبحانه قديم ازلي ابدي في ذاته تعالي و ليس الازل و الابد علي ما يزعمه الجهال انهما ما مضي عليه و ما بقي من عمره نعوذ بالله و لا القديم بمعني الباقي في الازمنة الطويلة فان جميع ذلك من صفات الحادث و الله سبحانه خالق الاوقات و لايمضي عليه شئ منها و قد عرفت سابقا ان الزمان

صفحه ٩٧

امتداد نسب الصفات و الدهر امتداد نسبتها الي الذات و السرمد امتداد نفس الذات و الله سبحانه خالق الذوات و الصفات فكيف يجري عليه الاوقات فان جميعها بفعله صارت موجودات و الفعل مبدء وجود جميع المفعولات و لايذكر شئ منها قبل مبدئها و الله عز و جل خالق جميع المبادي و المشتقات فلا ذكر للوقت و الموقت به في ذاته و لايجري عليه ما هو اجراه و لايعود فيه ما هو ابداه و ان ابيت الا الجدل اقول لئلاتبقي مرتطما في الوحل و تنجو من الشبهات المهلكة ببركة الله عز و جل ان الوقت الموهوم عين ذاته الاجل او غيرها و لا ثالث بحكم العقل الاول فان قلت بالاول فلا شئ غير الذات و ان قلت بالثاني فهل هو قديم او حادث مثل المخلوقات فان قلت بالاول يلزم تعدد القدماء و ان قلت بالثاني اضحكت من كلامك الثكلي اذ يمتنع اتصاف نفس القديم بالحدوث و ان قلت انه لايكون حادثا و لكن الذات قديمة بهذا القدم اقول

الذات مع عدم ملاحظة هذا القدم حادثة او قديمة لاتقدر علي ان تقول انها قديمة اذ قدمها غيرها علي زعمك و لاتقدر علي ان تقول انها حادثة نعوذ بالله من غضب الله فلا شك ان قدمه عين ذاته و ازله و ابده ايضا عين ذاته بل اذا استعمل السرمد له هو ايضا عين ذاته نعم ربما تستعمل هذه الاوصاف في غير مقام الذات الاحدية و يراد منها الاوصاف فيوصف العلم الاول الذي هو الكينونة بالازلية و الابدية و هي ايضا عين الكينونة و العلم و بالجملة فان وصف بها الذات الاحدية جل شأنها يراد منها عين الذات كالعلم و غيره و معني القديم المتقدم للاشياء كلها و قيل ان معناه الموجود لميزل و عن الحسين بن خالد عن ابي‌الحسن الرضا عليه السلام انه قال اعلم علّمك الله الخير ان الله تبارك و تعالي قديم و القدم صفة دلت العاقل علي انه لا شئ قبله و لا شئ معه في ديمومته فقد بان لنا باقرار العامة معجزة الصفة انه لا شئ قبل الله و لا شئ مع الله

في بقائه و بطل قول من زعم انه كان قبله او كان معه شئ و ذلك انه لو كان معه شئ في بقائه لميجز ان يكون خالقا له لانه لميزل معه فكيف يكون خالقا لمن لميزل معه و لو كان قبله شئ كان الاول ذلك الشئ لا هذا و كان الاول اولي بان يكون خالقا للثاني ثم وصف نفسه تبارك و تعالي باسماء اذ خلقهم و تعبدهم و ابتلاهم الي ان يدعوه بها الحديث ، فظهر معني القدم من هذا الحديث الشريف و كذلك يظهر منه معني الازل و الابد و الدائم و الباقي فان جميع ذلك من باب واحد بل الاول و الآخر فانه تعالي لايرد عليه التغيّر و التبدل و لايعرضه الاختلاف و التحول و هو باق بربوبيته دائما هذا علي المعني الظاهر الذي يعرفه كل احد و اما حقيقة ذلك علي وجه الحكمة انه تعالي في ذاته احد كما مرّ و يأتي و الاحد المطلق جل شأنه لايحدّ بحدّ مطلقا بوجه من الوجوه من حيث من الحيوث فلا سابق له حتي ينتهي اليه بالمسبوقية و لا لاحق له حتي ينتهي اليه بسابقية و ليس احد معه حتي ينتهي اليه في العرضية بل هو تعالي احاط بوجوده بما كان في الاكوان و ما لميكن مما هو في بحر قدره بالامكان سبق العدم وجوده و الكون شهوده و هو معكم اينما كنتم و هو كما قال هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم يعني هو مع كل

شئ من جميع جهاته و قال قل هو الله احد الله الصمد لميلد و لميولد و لميكن له كفوا احد ، فمعني قوله انه احد ، انه لا احد سواه و لا شئ عداه و قوله الصمد يعني السيد المصمود اليه او غير محدود في نفسه فان كل اجوف محدود في نفسه و كل اجوف يحتاج الي المدد و الرزق و كل اجوف يمكن ان يمتلي و يستفرغ و هو منزه عن جميع ذلك قوله لميلد اي لايحد بالاصلية لشئ و لميولد اي لايحد بالفرعية و لميكن له كفوا احد اي ليس في عرضه غيره ينسب اليه هو احد من جميع الحيوث و الجهات و الاحد هكذا قديم و سبحان من هو هكذا و لا هكذا غيره و كل محدود من

حيث من الحيوث مفقود في غير مقام وجوده و فاقد لما لميصف به فكل معلول فاقد للعلية و كل علة فاقدة للمعلولية و كل اول فاقد الآخرية و كل آخر فاقد للاولية و هو تعالي لايفقد شيئا منها فافهم ان كنت تفهم و الا فاسلم تسلم .

فصل في حقيقة اتصافه سبحانه بالصفات و الافعال المختلفة ، اعلم انه تعالي احد و الاحد منزّه عن كل اختلاف كما مرّ سابقا و يأتي و لايجري عليه شئ مما هو غير ذاته جل شأنه و قد خلق ما خلق بمشيته و جعل لكل منها صفة او صفات علي حسب صفاء القوابل و غلظها بحسب فعلياتها فان الصفات هي الكمالات المترتبة علي الاشياء بحسب فعليتها فان الاشراق و الاحراق و التفتيت و التصعيد مثلا صفات النار المترتبة علي حرارتها و يبوستها و هكذا ساير الموجودات و كل مادة اصفي و الطف فعليتها اوسع و الصفات المترتبة عليها اكثر و هذه الصفات آثارها و هي مؤثراتها فمن الخلق فاعل و منها مفعول و منها علة و منها معلول و منها سبب و منها مسبب و هكذا فالخلق منشأ هذه الصفات المختلفة و الله من ورائهم محيط فهو اولي بوجوداتها منها فهو اولي بصفاتها منها واقعا حقيقة و ليس ذلك من باب التعارفات الرسمية فان اكثرها كذب و لكنها اولوية حقيقية و نسبتها الي الخلق كنسبة الاعمال الي الايادي فان الله تعالي قال ويل لهم مما كتبت ايديهم و قال و لاتخطه بيمينك مع ان الكتب شأن الروح و هو الكاتب و لذا قال ويل لهم و لميقل ويل لايديهم مع ان الروح لو لميكن له يد لميكن يكتب شيئا و يكسب شيئا و مع ذلك الروح كاسب و كاتب و كذلك نسب الي نفسه افعال عباده و ربما نسبها اليهم فقال مرّة الله يتوفي الانفس حين موتها و قال قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم و قال تتوفاهم الملائكة و قال مرّة و اذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني و تنفخ فيها فتكون طيرا باذني و يقول الله خالق كل شئ و لا شك انه لايخلق احد غير الله و كذلك نسب اليه افعال عباده و نفاها عنهم فقال و مارميت

اذ رميت و لكن الله رمي و لمتقتلوهم و لكن الله قتلهم و كذلك اسرافيل نافخ الارواح و هو المحيي تعالي و ميكائيل رازق العباد و هو الرزاق ذو القوة المتين و قس علي ذلك ساير الصفات فجميع الصفات الظاهرة في خلقه له و هم مواقعها و الله سبحانه صاحب الصفات نعم في الكون يرجع اليه جميع الصفات الظاهرة في الخلق بل نفوس الخلايق صفاته غاية الامر ان بعض الصفات موصوفة و بعضها اوصاف و هو تعالي المعني بجميعها و اما

في الشرع فلاينسب اليه الا بعض هذه الصفات و لاينسب اليه كلها الا ان بالنسبة الي ذاته هكذا فان ذاته تعالي منزهة عن جميع ذلك و لكنه تعالي في التجلي الاجل الاعلي المسمّي بالمكوّن يوصف بجميع ما في الكون فان كل كائن يدل علي المكوّن و باسمه الشارع ينسب اليه ما يخصه من ظهوراته فان للشارع آثارا هي صفاته الشرعية و للمكوّن آثارا هي صفاته و الله من ورائهم محيط ففي الشرع لاينسب اليه الا بعض الصفات كما لايصطفي الا بعض العباد و في الكون جميعها مصطفون اخيار و كل اتوه طائعين و يسبح له ما في السموات و ما في الارض و ان قلت انا نجد في الكون ايضا من الصفات ما لاينسب اليه تعالي كالمفعولات و ما لايليق به من مختصات القابليات اقول اما اولا فذلك في الشرع الوجودي لا الوجود الكوني و سيأتي الفرق بينهما في المبدأ و المعاد ان شاء الله و اما في الكون الصرف فلا اختلاف في الاشياء و جميعها ظهوره تعالي و آيته و لكن كلامنا يجري ايضا في الشرع الوجودي بملاحظة فانا ذكرنا الصفات المختلفة في الفعليات و نسبناها الي خالق البريات و نقول فيها ان الصفات التي ننفيها عن الله تعالي هي المخلوقية و الانفعال و امثال ذلك مما لايليق بالله فنقول انها مخصوصة بالقوابل من حيث طبايعها التي هي علي خلاف كينونة الله و لكن اذا نظرت اليها من حيث ارواحها التي هي من روح الله سبحانه تري جميعها صفاتها لله و فهم حقيقة ذلك مشكل و ابيّن لك ذلك في التمثيل اقول ان الفعل

اثر الفاعل الصادر منه و هو صفته لا محالة و هذا الفعل يظهر في بدن الفاعل بالفعلية علي الصرافة الاولية و بعد ما تعدّي منه يتعلق بالمفعول به و يظهر فيه بالانفعال كالكسر و الانكسار فان الكسر فعل ذاتك و قد ظهر في بدنك و تعدي منه بقوته و كمالاته و تعلق بمفعول به الذي هو الكأس فانكسر و هذا الكسر الظاهر في بدنك فعلك و لميغيّره قابلية البدن عن صرافة الفعلية الا بقدر ما خصصه في الجملة و بعد ما تجاوز من بدنك تعلق بالكأس فانكسر اي قبل كسرك لا غير فالظاهر منه ايضا فعلك و انت فاعله في الواقع و ما يقال ان الكسر فاعل الانكسار يعني القابل اي المنكسر لا انه موجد الانكسار بل الموجد انت افهم ذلك فانه دقيق ففي الكأس صفتك و هي الكسر تظهر بالانكسار بل انت تظهر من الكأس ايضا الاتري انا نجد من الكأس الكاسر و لو لميكن فيه عكسه لميدل عليه فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الكأس له حيثان حيث ارتباطه بك و اتصاله بيدك و حيث نفسه و للفعل الظاهر منه ايضا حيثان حيث اثرية لك و هي حقيقة الفعل و اصله و حيث قبوله له اي حكايته له فالحيث الاول صفتك و آيتك و ينسب اليك اذ هو فعلك و حيث حكايته هي حيث عبوديته فاذا نظرت الي الانكسار و رأيت روحه و اصله و مأخذه تقول انه كسر و هو صفتك و اثرك و اذا نظرت الي طبع الانكسار وجدت ما يخصّه من القبول يعني هو قابل صفتك و كذلك الامر في هذا الملك فان الله هو الرازق مثلا و عباده مرزوقون و مرزوقيتهم ليس الا من جهة ارتزاقهم من رزق الله تعالي فللمرزوق حيثان حيث رزق و حيث ارتزاق اما الرزق فهو صفة الله و اما الارتزاق فهو قبول صفة الله و كذلك الامر في الخلق و غير ذلك فما لايليق بالله هو حيث قبول الخلق لحكاية صفاته و ما يليق به هو انفس الصفات و وجه آخر ابطن من ذلك ان مقام القابل حيث تعيّن النور و قميص الظهور

فان ضاربية الضارب مركبة من فاعل هو نور الفعل المطلق و قابل هو تعيّن الضرب فالفاعل و القابل معا يسمّي ضاربا و هو صفة الشخص

و كذلك الامر في صفات الله فافهم ذلك و اغتنم و اعلم ان نفوس الصفات معاني الله تعالي و مواقعها ابواب الله فان الباب من يحكي صفة ذي الباب و الذي هو يجمع جميع الابواب و يحكي كل المعاني هو الامام المبين فاذا نظرت في الملك الكوني تقول ان مجموع الملك امام مبين و اذا نظرت الي الاشخاص الجامعين فالائمة الطيبون هم الائمة المبيّنون و الله من ورائهم محيط و ليس كمثله شئ و هو السميع البصير و بالجملة فالصفات الظاهرة في الخلق كلها من حيث هي صفات الله جل شأنه و سبب اختلافها و تعدّدها ظهورها من الخلق و الا فلا اختلاف من عند الله و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا و اعلم ان الصفات الظاهرة من الخلق منشأ آثار مختلفة و من عرف حقايقها يقتدر علي تأثيرات عجيبة و بعد الائمة الاطهار و الانبياء الاخيار صلوات الله عليهم لايعلمها الا النقباء و النجباء الكاملون و لذلك يؤثرون في الملك و كليات الصفات تبلغ سبعة و عشرين بعدد كليات مراتب الملك فمن العقل يظهر اسمه البديع و من النفس الباعث و من الطبع الباطن و من جوهر الهباء الآخر و من شكل الكل الظاهر و من الجسم الحكيم و من العرش المحيط و من الكرسي الشكور و من فلك البروج الغني و من فلك المنازل المقتدر و من الزحل الربّ و من المشتري العليم و من المريخ القاهر و من الشمس النور و من الزهرة المصوّر و من العطارد المحصي و من القمر المبين و من النار القابض و من الهواء الحي و من الماء المحيي و من التراب المميت و من الجماد و المعدن العزيز و من النبات الرزّاق و من الحيوان المذلّ و من الملك القوي و من الجن اللطيف و من الانسان الجامع ، فهذه اسماء كلية من عرف مواقعها بلغ قرار المعرفة و من اطلع عليها علي الواقع يتصرف بها فيما يشاء و هي اصول جميع الصفات فان مواقعها مجموع عرصة الاكوان و ساير الصفات التسعة و تسعين بل غيرها من الاسماء و الصفات تظهر من جزئيات الاكوان فان مجموع

الانسان مثلا يحكي اسم الجامع و كل فرد من افراد الاناسي لهم اسماء و صفات هي صفاته تعالي و هكذا فافهم ذلك فانه اصل من اصول الحكمة .

فصل بعد ما عرفت حقيقة الصفات فالواجب عليك معرفة توحيده سبحانه فيها كما عرفت في ذاته و لايشتبه وحدته في الصفات لمن عرف احديته سبحانه فانك قد عرفت سابقا انه تعالي لايكون واحدا من حيث و من جهة بل هو الاحد و اسم الاحد لايصدق الا علي المتوحد من كل جهة فهو واحد في موصوفيته بصفاته و لا شريك له و لكن معرفة حقيقة ذلك صعبة مستصعبة و اما معرفته في الظاهر فسهل و انا ابيّن لك ان شاء الله ظاهره و باطنه فاقول انه تعالي احد في صفاته و ربما يستعمل في المقام لدي اهل العرفان لفظ الواحد فيقال احد في ذاته واحد في صفاته و لكن لايراد منه الوحدة العددية اذ هي في عرض الاعداد و لكن المراد منه الوحدة التي هي صفة الاحد فان قلنا انه احد في ذاته

واحد متفرد في صفاته و اسمائه دل علي اختصاصها به لا بساطتها و اتحادها و ان قلنا انه احد في صفاته اِما نريد معني الواحد او نريد ان بتوصيفه بالصفات لمتقترن به بل الذات غيّبت الصفات فافهم و بالجملة فاما علي الظاهر فالمراد من وحدته سبحانه في صفاته انه الموصوف بها لا غير و ما يري من صفاته في الخلق ليس من باب اشتراكهم معه فيها بل هي خلقه خلقها و وصف خلقه بها فهو العالم و لا شريك له في علمه و ما يري في المخلوقين من العلوم آثاره و خلقه ظهر فيهم بتقديره و كذلك ساير افعاله و قد خبط من زعم ان الخلق يشاركون معه في فعل و صفة فان جميع فعلهم و صفتهم خلقه فيهم ، هذا هو الظاهر و لكن لذلك حقيقة لايعلمها الا اهل الحقايق و قد مرّ في الفصل السابق بعض شرحه و تمام القول فيه ان الله سبحانه و تعالي تجلي اول ما تجلي لمشيته بها لها فخلقها بنفسها و هي فعله المطلق و ظاهر الحق و نوره المتألق المشرق من صبح الازل و الكمال الكلي الاول و الاسم الاعظم الاجل و بعد ما كمل خلقها اشرقت

علي هياكل التوحيد و مظاهر التفريد فاتصفت بالكون و الوجود و حكت كمالات الله في الغيب و الشهود فدلّت بصفاتها علي المعبود و اشارت بحقايقها الي الله السبحان اذ هي آيات و علامات في عرصة الاكوان و لا تعطيل لها في كل مكان فجميع ما تري فيهم من وجوداتهم و ماهياتهم و صفاتهم و اعراضهم و جواهرهم جميعا او اشتاتا كلها له و به و منه و اليه و لاينسب الي غيره ابدا فزيد بذاته له اذ هي آيته و بصفاته له اذ هي ايضا آياته فمنذا يشرك ربك في شئ ، كذب العادلون بالله و ضلّوا ضلالا مبينا ، فجميع ما في الكون من الصفات كلها لله تعالي و يشهد بذلك خواتم اغلب الآيات الاتري انه تعالي قد حلّي في كلامه الاعلي اغلب صفاته بالالف و اللام المستلزمة لاستغراق جميع الافراد بلا كلام يقول العليم الحكيم السميع البصير و هكذا اي لا سميع سواه و لا بصير سواه و لا عليم سواه و لا حكيم سواه و هكذا و من قال بغير ذلك فقد اشرك بالله و اوصيك في كتاب الله ان لاتترك ظاهره بالتأويلات التي تكلّف فيها (ظ) المفسرون القشريون الا في مقام نص عليه الامام بالنص الخاص او العام بل اقول في مقام لمينص الامام (ع) علي تأويل الآية بخلاف الظاهر او كانت بظاهرها مخالفة لظاهر الشريعة ان وقفنا علي الحقيقة لانحتاج الي التأويل فان الله تعالي قال عصي آدم ربّه فغوي ففي الظاهر نري انه يخالف ضرورة الاسلام فان الانبياء معصومون لايعصون الله ما امرهم و لايفترون عن امره و حكمه و هو من المتشابهات لدي الجاهل بحقيقة البدأ و لكن العالم بالحقيقة يعرف المراد بحيث لايخالف الشرع و اما الجاهل فيجب عليه ترك تفسيره مطلقا او تأويله الي ما يوافق الشرع و بالجملة من وفّقه الله علي فهم الحقايق و لميترك ظاهر القرآن يقف علي اسرار البيان و يطلع علي حكم جليلة يتحيّر فيها الانسان ، الحاصل سرّ تحلية الصفات بالالف و اللام انه سبحانه صاحب هذه الصفات لا غير و لاتستوحش من ذلك قال عليه السلام ما معناه لايدرك مخلوق

شيئا الا بالله و قال الله تعالي أيحسب ان لميره احد ألمنجعل له عينين و لسانا و شفتين و المراد باحد المعاني أيظن الانسان ان الاحد لايراه ألمنجعل له عينين فيري منهما الاتري انه جعل رؤيتك له فهو البصير من عينك و قد مرّ في المعرفة من الاخبار ما يدلّ علي ذلك و اتبرك برواية عبارة الشيخ الاوحد الاجل الامجد اعلي الله مقامه قال : و توحيد الصفات ما قال الله تعالي ليس كمثله شئ فيه معنيان احدهما ان صفاته ظهرت حتي غيّبت جميع الخلق و صفاتهم و احوالهم بل ليس فيما دون عزّ جلاله الا صفته و في المصباح للشيخ في دعاء ليلة الخميس انت الذي بكلمتك خلقت جميع خلقك فكل مشيتك اتتك بلا لغوب اثبت مشيتك و لمتأن فيها لمؤنة و لمتنصت فيها لمشقة و كان عرشك علي الماء و الظلمة علي الهواء و الملائكة يحملون عرشك عرش النور و الكرامة و يسبّحون بحمدك و الخلق مطيع لك خاشع من خوفك لايري فيه نور الا نورك و لايسمع فيه صوت الا صوتك حقيق بما لايحق الا لك ، فقوله لايري فيه نور الا نورك ، توحيد الصفات و ثانيهما ان كل ما في الكون صفاته من الذوات و الصفات الجواهر و الاعراض لانها آثاره و الآثار صفات فمعني توحيد الصفات انه ليس الا صفاته و آثاره و الآثار صفاته كما قال عليه السلام لايري فيه نور الا نورك و لأن الاشياء آثاره و صفات افعاله و افعاله صفاته و صفات الصفات صفات فكما انك اذا نظرت الي الشمس لاتجد الا الشمس و اشعتها و هي آثارها و صفاتها كذلك في التمثيل آثار الله ، انتهي موضع الحاجة من كلامه اعلي الله مقامه و الشقّ الثاني هو ما بيّناه و الشقّ الاول ابطن منه ان كنت من اهل الباطن .

فصل الواجب علي الموحد ان يوحّد ربّه في خمسة مقامات هي مظاهر التوحيد و مراتبه و علاماته في الخلق و هي مقام الذات و الهوية و الالوهية و الاحدية و الواحدية و المراد من جميعها المقامات الظاهرة الوصفية لا الذات

الغيبية جلّت عظمتها فانها اجل من ان توصف او تحدّ او تدرك اذ لايحيط بها الافكار و لايمثّلها غوامض الظنون في الاسرار فان الادوات تحدّ انفسها و الآلات تشير الي نظائرها فهي لاتخرج من حدّها فلايدرك احد ذات الله جل ثناؤه و من زعم ذلك فقد صغّر الكبير و كبّر الصغير و ذلك باطل من غير نكير و لكنه سبحانه تجلي لخلقه بهم فيهم منهم و ذلك قوله تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبيّن لهم انه الحق أولميكف بربّك انه علي كل شئ شهيد يعني موجود في غيبتك و حضرتك و ذلك معني قوله و جاء ربّك و الملك صفا صفا و قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام و قال او يأتي ربك فانه تعالي بذاته لايذهب و لايجيء ابدا بل المراد من جميع ذلك ظهوره بتجليه كما تجلي لموسي في الجبل و في الشجرة قال اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبة له : تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة و تشهد له المرائي لا بمحاضرة لمتحط به الاوهام بل تجلي لها بها و بها امتنع منها و اليها حاكمها و في خطبة له تجلي صانعها للعقول و بها امتنع من نظر العيون و في الدعاء تعرفت اليَّ في كل شئ حتي عرفتك في كل شئ و قال في صفة العالم العلوي تجلي لها فاشرقت و طالعها فتلألأت القي في هويتها مثاله فاظهر منها افعاله بالجملة فهو تعالي غايب بذاته عن خلقه لا بستر ساتر و حجاب حاجب بل هو اقرب اليهم من حبل الوريد و مع ذلك غاب عنهم و معني الحجاب انه رب و هم مربوبون و انه محيط

و هم محدودون فافهم ذلك و قد تجلّي لخلقه في مواطنهم و منازلهم و لا شك ان كليات مقاماتهم خمسة اركان اربعة بها قوام وجودهم و الذات الواقفة فوقها الخارجة من عرضها الاثري الي نفسك انك ركبت من اربعة عقل معنوي و طبع صوري ظاهري اما عقلك فلبك و اصلك و اما طبعك فوقايته و انيّته و بينهما بون بعيد فان العقل من روح الله الناشئ من امره كما قال روحك من روحي و الطبع علي خلاف كينونة هذا الروح كما قال

صفحه ١٠٨

و طبيعتك علي خلاف كينونتي و في الظاهر و ان كان يزعم الزاعم في معني الحديث انها تخالف كينونة الله و لكن العاقل يعلم ان كينونة الله لايخالف شيئا كما في حديث الصادق عليه السلام عن اميرالمؤمنين عليه السلام حب الله تعالي زاد (نار ظ) لاتمرّ علي شئ الا احترق و نور الله لايطلع علي شئ الا اضاء و سحاب الله ماظهر من تحته شئ الا اعطاه الله و ريح الله ماتهبّ في شئ الا حركته و ماء الله يحيي به كل شئ و ارض الله ينبت منها كل شئ الحديث ، و قال تعالي في صفة الباطل ان هي الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتي اذا جاءه لميجده شيئا و وجد الله عنده فاذا كان الله مع السراب فكيف يخالف شيئا و لكن المراد مخالفتها مع كينونة العقل و نسب المخالفة معه اليه كما انه نسب طاعته اليه و ساير المعاملات معه اليه و مخالفة الطبع معه ظاهر بيّن لايحتاج الي بيان فلهذه المباينة التامة لايكادان يجتمعان و لذلك جعل الله بينهما حكَما من اهله و حكَما من اهلها فالحكَم من اهله يناسبه من جهة و يناسبها من جهة و كذلك الحكم من اهلها و هما الروح و النفس فالروح الحكم من جانب العقل فله معنوية و صورية و النفس من اهلها و لها ايضا صورية و معنوية و بين الحكمين مناسبة تامة و محبة كاملة فهما يعتنقان من جهة المناسبة و من جانب آخر يجذبان العقل و الطبع فيكمل التركيب ثم اعلم ان الطبيعة تجمع جميع مراتب الشهادة فانها من تمامها و كمالها و لايمكن ان يحصل الطبع من غير المادة و المثال و الجسم فاذا قدم المولود مقام الطبع يحصل له جسم فلكي و عنصري بحسبه كما تري في الحيوانات و الجن و الارواح و بعد ما تمّ اركان وجود الشئ يتعلّق بها ذاته التي هي الفؤاد و نور الله سبحانه و الوجود فالاركان حيث الوصفية و الفؤاد حيث الذات و البيان و قد بيّن الله سبحانه ذلك بقوله خلق الانسان علّمه البيان اي اتمّ اركان وجوده ثم ظهر فيه بالبيان و هو

صفحه ١٠٩

الرحمن المستوي علي العرش اي المستولي عليه و اعلم انه لاينحصر هذا الامر في الانسان بل جميع الملك بناؤه علي ذلك فان فسطاط وجود كل احد من الملك و الملكوت و الجبروت و ما بعدها و ما قبلها يقوم باركان اربعة و مقام ذات فوقها و قد تجلي الله لهذه الخمسة بخمسة انوار يشير اليها الهاء في هو بل يشير اليها حروف اسم الجلالة فان الحروف الظاهرة في الثبت تدل علي الاركان و الالف المخفي في القلب يدل علي ذات الرحمن و يشير اليها سورة التوحيد فان المشركين نسبوا آلهتهم التي يعبدون و سألوا نبينا صلي الله عليه و آله عن نسبة ربنا و لميكن لذاته نسبة فانزل عليهم قرآنا و ذكر فيه ما يمكن التعبير عنه به مع انهم ايضا لميريدوا سوي ذلك اذ النسبة في عرصة الصفة و هم

وصفوا اربابهم بما كان لها و نبينا وصف ربّه بما وصف به نفسه غاية الامر ان اربابهم لميكن لهم ظهورات و ذات فوق هذه النسب و الله ربنا ذاته حقيقة و صفاته ظهوراته فافهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد السورة ، فعبر عن ظهوره في افئدة خلقه بالامر الاول الذي خاطب به ذاته الظاهرة جل شأنه و فسّره الامام الهمام مولانا الباقر عليه السلام برواية سيّد الانام الصادق في حكاية نور الله الظاهر في كل خاص و عام بقوله قل اي اظهر ما اوحينا اليك و بعثناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من القي السمع و هو شهيد الحديث ، فعلي ذلك مقام قل مقام الاظهار و الظهور و سيجيء الكلام فيه ثم قال هو و هو اشارة الي مقام الهوية ثم قال بعده الله و هو مقام الالوهية و الاحد مقام الاحدية و الصمد مقام الواحدية و هي المقامات الخمسة و اذكر كلا منها علي نحو الاجمال و التفصيل محول علي كتاب مولاي و سيّدي المسمّي بالفطرة السليمة فراجع فيها ان كنت صاحب السليقة المستقيمة و ابيّن لكل مقام عنوانا :

المقام الاول في مقام الذات ، فاعلم ان ذات الله تعالي منزّهة عن الاسم و الرسم

و الوصف و لا تعبير عنها و لا اشارة اليها و لا و لا و قد تجلّت اول ما تجلّت بنور منزّه عن الكثرات عالٍ عن جميع الموهومات لانه نور الذات و النور علي صفة منيره يعني هو صفة منيره و لا فرق بينه و بينه اذ الفرق بالمميّز و المميز هو الصفة و ذلك نفس الصفة فكيف يحصل الفرق و هذا ظاهر لمن عرف الغرب من الشرق و هذا النور لامع كالبرق يكاد يخطف ابصارهم و قد خفي لشدة ظهوره عن انظارهم اذ الرؤية فيما اذا كان المرئي غير الرائي و الدرك فيما اذا كان المُدرِك بالكسر غير المُدرَك بفتح الراء و المَدرك بفتح الميم و المعلمة لنفي الخلاف و هو فوق الخلاف و الايتلاف و بالجملة يعبّر عن هذا النور بالذات و الحقيقة لانه صفة الله و صفة الله لاتكون عرضا لان العرض لا بد و ان يكون حالّا في محل و لا محل له من الله و لا خلق اذ هو فوق الخالق و المخلوق لان الخالق صفة الفعل و هذا النور قبل الفعل و اذ لا محل له و لايقوم بغيره و لايحتاج الي سواه الا انه لله فهو ذات هذا و هو مجهّر الجواهر فكيف يتصور ان يكون عرضا فهو ذات و هو حقيقة و ذلك ما سأل عنه كميل بن زياد مولانا اميرالمؤمنين صلوات الله عليه ابد الآباد فقال عليه السلام كشف سبحات الجلال من غير اشارة الي آخر و مرّ سابقا بعض الكلام في شرحه و هذه الذات هي ما قال عليه السلام انا الذات انا ذات الذوات للذات و قال ذات الله العليا ، فافهم و فوقها لا ذكر للانوار و هو و ان كان نورا الا انه نور الله و النور لايكون نورا الا ان يكون حاكيا للمنير لا بمعني ان يكون له بقاء من نفسه فيحكي عن ربه كما يحكي الدخان الجسماني عن النار او المرآة عن الشواخص فان هذه امثال ظاهرية في عالم الاجسام نضربها للناس لعلهم يعقلون و الامر اعظم و اعظم الاتري ان الدخان لايكون اثر النار الغيبية و له مؤثر غيرها و له مع النار ثبات و قيام فلميفن نفسه بالكلية في جنب النار نعم صفي حتي صار قابلا لحكاية النار بالعرض و اما الاثر فلايكاد يذكر مع المؤثر في جنبه او دونه او فوقه بل كل وجود

الاثر للمؤثر فليس الا هو او نقول حيث الاثر لا مؤثر و حيث المؤثر لا اثر و جميع ذلك تعبيرات عما في الضمير و قد بيّن الامام عليه السلام ذلك بقوله جذب الاحدية لصفة التوحيد و اطفأ السراج فقد طلع الصبح و لذا يكون معرفة الاثر بعينه معرفة المؤثر بنفسه فان عرفت هذه الحقيقة عرفت الله به و يا من دل علي ذاته بذاته و تنزه عن مجانسة مخلوقاته و لا كلام فوق ذلك و من عرف نفسه عرف ربه و في انفسكم افلاتبصرون و كأين من آية في السموات و الارض يمرّون عليها و هم عنها معرضون و اعلم ان في عرصة الاشخاص لايحكي هذا المقام بالاخلاص الا الخاتم صلوات الله عليه و آله و الائمة عليهم السلام و لذا قال سيد الانام ظاهري امامة و وصية و باطني غيب ممتنع لايدرك و قال الله تعالي و يحذركم الله نفسه اي يحذركم ان تجعلوا الميم مخلوقا و لاتزعم انه خالق فان الخالق هو الذي خلق السموات و الارض و خلقكم و رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ و الله خالق كل شئ و لايكوّن الشئ لا من شئ الا الله و لايغيّر الشئ من جوهريته الي جوهر آخر الا الله افهم ما اقول ان كنت من سنخ الانسان و الا فلاتحم حول حماه و لاتسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم و ما مرّ من قول مولاي الباقر عليه السلام في شرح كلمة الامر صريح في ذلك بلا كلام فان الله سبحانه امره حين تجلي به في مقام الكينونة قبل ظهور سرّ البينونة قبل ظهور الكاف و النون ان يظهر بجميعه اظهار وجود هو الله احد فالمظهر فوق ما اظهره فهو ذات منزهة عن الاشارات ، الحاصل و هذا مقام البيان و هو اذا تبيّن نزل الي المعاني و اعلم ان البيان الظاهر في مقام اشعتهم ظل هذا البيان و هو قوله تعالي هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام ، و قول الامام عليه السلام القي في هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله و قوله تعالي او يأتي ربك ، او يأتي بعض آيات ربك فان كلها لاينزل الا الي السيّد الاكبر اذ هو وليه فافهم

و يكفيك هذا القدر من البيان ان كان لك عينان .

المقام الثاني مقام الهوية ، و هو اول مقام الصفات و الاسماء قبل التعيّن بشئ من الكمالات و هو جمال الذات و شعاعها و نور وجهها و بهائها و لذا عبّر عنه بالضمير و الاسم المضمر كائنا ما كان فوق المظهر و اصله الواو كما قال الامام الباقر عليه السلام و هو اسم مكني مشار به الي غايب فالهاء تنبيه علي معني ثابت و الواو اشارة الي الغايب عن الحواس كما ان قولك هذا اشارة الي الشاهد عند الحواس و ذلك ان الكفار انبأوا عن آلهتهم بحرف اشارة الشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالابصار فاشر انت يا محمد الي الهك الذي تدعو اليه حتي نراه و ندركه و لانأله فيه فانزل الله تبارك و تعالي قل هو الله احد فالهاء تثبيت للثابت و الواو اشارة الي الغايب عن درك الابصار و لمس الحواس و الله تعالي عن ذلك بل هو مُدرِك الابصار و مُبدِع الحواس انتهي ، فالهاء تثبيت للثابت القائم بالذات الذي هو الذات و قد جيء به في معرض الاشارة ليكون قياما للواو و الواو و ان كان قلبه الفا و لكنه من بينته و لايظهر في الكتب مع انه كائنا ما كان فرعه و وصفه فان البينة مقام الماهية و الزبر مقام الوجود و الماهية لاتكون سبب قيام الوجود و وجوده و ان كان سبب ظهوره و تحت ذلك اسرار جمّة لميبلغ حين اظهارها و لكل نبأ

مستقرّ و ما كل ما يعلم يقال و لكل اجل كتاب فافهم الاشارة في المقال ان كنت من اهل الحال فان البيان احلي من السكر و يتنبه به من تذكر و بالجملة فاتي بالهاء الذي هو الالف و شاهد ذلك صيرورته زبر الهمزة التي هي الالف و قد فصل الالف في مقام الهاء لانه مبدأ ظهور المقامات و هي مذكورة في المبدأ بالاجمال و لما كان الهاء هو الالف صار سبب ثبوت الواو اي وجوده و لو سلب عنه الهاء لصار الواو حرفا لايدل علي معني الاسمية بل يصير ملكا من الملائكة الروابط فاستقلاله و انباؤه عن المشار اليه بالهاء

في الواقع و اما نفس الواو فهي اشارة الي الغايب عن درك الحواس و الاشارة الي الغايب عن درك الحواس الظاهرة يعني من لااشاهده بمشاعري الظاهرة و لكني اجده في مشاعري الباطنة و اما الاشارة الي الغايب عن درك جميع الابصار اي من لااعرفه بمشعر من مشاعري و لايكون ذلك اي الاشارة الي الغائب الا بلفظ غير محدود فان كل محدود مُدرَك لا محالة فيدل علي مدرِك و بين الالفاظ حروف العلة شأنها ذلك اذ لا مقطع لها في الفم و هي الالف و الواو و الياء اما الياء فهو كثرته اكثر في قوته مع انه مقام تنزل الالف الي درجة الاعشار و هي مقام النفس و الانية و لايصلح للاشارة الي الرب الجليل بل لايصلح للاشارة الي مذكر الا من حيث نفسه فهي مخصوصة بالاناث التي خلقت من انفس الرجال و ياء المتكلم يشير الي نفسه و اما الواو و الالف فهما صالحان الا ان الالف وحده في غاية الاجمال فلايزيد الا بعدا و اما مع الواو الذي هو تفصيله في الجملة فيصلح لذلك فاختير لفظ الواو الذي قلبه الف مبين باللسان غير محدود في الكتب بالبنان و لكن مع ذلك مقام الواو تفصيل بالنسبة الي الذات و يكفي انه مقام المعاني و هي مقام البيان و المعني سمي معني لانه ظاهر الذات و قد قال عليه السلام اما المعاني فنحن معانيه و ظاهره فيكم ، و الظاهر لا محالة محل الاشارة و العيان فهو ليس كلية الباري لانه ظاهره لا باطنه و لكن ليس الباري سواه لانه افني نفسه فيه بالكلية و انك اذا اردت ان تشير اليه بوجه تشير اليه بظاهره لا محالة فان مقام الاشارة مقام النار الظاهرة في الشعلة بالنسبة الي النار الغيبية فان جميعها دلالة و اشارة مع انها من حيث الظهور غايبة ايضا و اعلم ان هذا المقام مقام الركن الابيض الاعلي الايمن من اركان العرش و هو الاسم الاعظم كما في رؤيا مولانا اميرالمؤمنين عليه السلام قال رأيت الخضر عليه السلام في المنام قبل بدر بليلة فقلت له علّمني شيئا انتصر به علي الاعداء قال قل يا هو يا من لا هو الا هو فلما اصبحت قصصتها علي رسول الله صلي الله

عليه و آله فقال لي يا علي علمت الاسم الاعظم فكان علي لساني يوم بدر الحديث ، و وجه اعظميته فناؤه في الذات و اعلم ان قوله لا هو الا هو فيه اشارة دقيقة و هي ان كل من هو غيره لايكون غايبا حقيقيا فان كل غايب غيب عن مشعر و يظهر لغيره الا الله و هو لايدرك بالابصار بل هو مدرك الابصار فهو الغايب الحقيقي و النبي صلي الله عليه و آله لما امر بالاظهار اظهر اولا هو اذ هو اجل من كل اسم و الجميع يحمل عليه و هو لايحمل علي شئ اذ هو لايصير عرض شئ و لايقوم بشئ بل صفته ما جاء في سورة

الحديد هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم و لذا صار العقل الذي هو يحكيه محيطا بالاشياء من جميع جهاتها عالما بها قبل كونها و لونه البياض او منه ابيض البياض لانه خارج من الالوان او هو اقرب الي عدم اللون بين الالوان و اما الفقرة الثانية فمن باب انه بنفسه فوق اللون مطلقا و لكن من بين الالوان البياض اثره و يدل عليه و اما ما ذكرناه انه مقام المعاني فمن مشكل الكلام اذ جميع الاسماء و الصفات دونه و ذلك لان الاسم لايكون اسما الا لما فيه من مسحة المسمي و الصفة هكذا فلو سلبت عن الاسم و الصفة لايكونان اسما و صفة و ذلك ظاهر بيّن فللاسم و الصفة مقام ظاهر و مقام باطن اما الباطن فهو المعني و اما الظاهر فمقام التعبير و هو الوصلة و الوسيلة و ابتغوا اليه الوسيلة اي الباب و الجناب فظواهر الاسماء ابواب و المعنيّ بها هو المعني و المعني هو آية الذات فيها و هو الهوية و هو الضمير المستتر في الخبر فقولك زيد قائم اما زيد فهو الذات في المثل و القائم صفته و فيها ضمير مستتر يرجع الي زيد و هو زيد الظاهر و ظاهر زيد اي زيد هو قائم و ان قلت فلمَ يذكر زيد علي ذلك اقول لو كان معروفا عند المستمع لايذكر بل يكتفي باظهار الضمير او لايذكر مطلقا و لكن اذا اشتبه عليه الامر يبتدء باسم زيد لظهور المراد فافهم و الا فذات زيد لايحمل عليها صفة و بالجملة المعنيّ بالاسماء و الصفات هو و هو واحد

و الاسماء متكثرة و اما ما روي ان المعني بها هو الله فاما يراد من الله هو اذ هو هو او يراد ان الجميع يحمل علي الله كما سيجيء بيانه و الله يحمل علي هو فافهم و ساذكر حقيقة ذلك في مقام الالوهية و قد كشفت لك في المقام عن المعاني و الابواب بوجه بديع و الحمد لله فاذا قلت الله الرحمن فقولك الله الرحمن باب و ظهور الذات فيه معني لا غير و الباب لايكون بابا الا اذا اظهر عن المعني و الناس غافلون عن هذا .

المقام الثالث مقام الالوهية ، و الله اسم موضوع لهذا المقام لا غير و هو ثاني اركان الصفات و هو ايضا مقام التنزه و التقدّس عن الكثرات و لا فرق بينه و بين الهوية الا بالظهور و الاستتار و الافشاء و التكنية و لذا حدّه اكثر في الجملة فزيد علي الهاء الذي هو تثبيت للثابت الالف و اللام للتعريف و التعرّف و لام آخر للتوصيف و لذا صار حامله اصفر و الاصفر هو الابيض المتراكم و هو اي حامله الركن الايسر الاعلي من اركان عرش ملك الله جل شأنه و آيته الشعلة من دون ملاحظة الدخان و الاحسن ان نروي ما ورد عن ساداتي في معناه حتي يظهر جميع ما يخصّه من الكمالات قال اميرالمؤمنين عليه السلام الله معناه المعبود الذي اَلهَ الخلق عن درك ماهيته و الاحاطة بكيفيته و تقول العرب اَلهَ الرجل اذا تحيّر في الشئ فلميحط به علما و وَلهَ اذا فزع الي شئ مما يحذره و يخافه فالاله هو المستور عن حواس الخلق و سئل ابوالحسن موسي بن جعفر عليهما السلام عن معني الله عز و جل فقال عليه السلام استولي علي ما دق و جل و عن مولانا العسكري عليه السلام في شرح بسم الله قال الله هو الذي يتألّه عند الحوائج و الشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه و تقطع الاسباب من جميع من سواه تقول بسم الله اي استعين علي اموري كلها بالله الذي لاتحق العبادة الا له المغيث اذا استغيث و المجيب

اذا استجيب و هو ما قال رجل للصادق عليه السلام يا ابن رسول الله دلني علي الله ما هو فقد اكثر عليَّ المجادلون و حيّروني فقال له يا عبد الله هل ركبت سفينة قط قال نعم قال فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغيثك قال نعم قال فهل تعلق قلبك هنالك ان شيئا من الاشياء قادر علي تخليصك من ورطتك قال نعم قال الصادق عليه السلام فذلك الشئ هو الله القادر علي الانجاء حيث لا منجي و علي الاغاثة حيث لا مغيث انتهي ، فظهر من هذه الاخبار اولا ان الله وصف مشتق و من باب ان الاسماء تدل علي معانيها بالمناسبة التي بينها فالمسمي به غير الذات البحت اذ لاتكون مشتقا و لا الذات الظاهرة لتنزهها عن ذلك و لا مقام الهوية اذ هو المبدء و المصدر و الجميع يشتق منه فمقامه دون مقام الهوية و مع ذلك لايلاحظ في معناه الاشتقاق و لذا يقال انه اسم الذات و يدل علي مسمّاه و كذلك يظهر من هذه الاخبار انه غير معروف بالوصف بل يعرف بعدم الوصف و لذا يتحير فيه الخلق و لو لم‌يعرف بالمرّة لمازاد الطالب تحيّرا اذ التحير فرع الادراك الاتري انك لاتتحير فيما تجهله بالمرة و لكن تتحير مما عرفته من جهة و لم‌تعرفه من جهة فالله معروف من جهة الاسم و لذا يفزع اليه و يعبد و لايعرف بالكنه و لذا يتحير في كنهه فافهم و يدل علي ذلك الالف و اللام فان الله اي الاله فبالالف و اللام يعرف و لكنه يعرف بانه لايعرف لا انه يعرف انه يعرف كما انه يوصف بانه لايوصف فلاتغفل فمن حيث مجهوليته و هو حيث هويته تحيّر فيه الخلق مع ان الكل عند كسر سفن عبوديتهم و اندكاك جبل انيتهم ينقطعون اليه و اعلم انه مع محدوديته بالالهية الكبري فانٍ في الذات بحيث لايدل علي غيرها في الظاهر و الباطن و هو منزّه عن جميع الكثرات و في غاية البساطة مع ان حروف اسمه متعددة و لكن مع التعدد كل حرف منه يدل عليه بخلاف ساير الاسماء المركبة فان الله اسمه سبحانه و الله خالق كل شئ و الالف وحده اسمه و يدل علي

وحدته في قوته فاذا حذفته يبقي لله و لله ما في السموات و الارض و يسبح لله ما في السموات و ما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم و انا لله و انا اليه راجعون و اذا حذفت اللام الاول ايضا يبقي له و له الملك و له الحمد يحيي و يميت و اذا حذفت اللام يبقي الهاء و يتنطق به مع الواو اذا انفصل في الكلام و الا فيكتب بلا واو و هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم اليه ترجعون و اذا حذفت لاما واحدا يبقي اله و هو اسمه سبحانه اي من يعبد و يقع جميع عبادات الخلق عليه و كذلك الامر في معناه فانه بجميعه يدل علي الذات بلا تفاوت فافهم فقد اسقيتك ماءا غدقا و اعلم ان الله اول الاسماء و اعظمها و يكفي في شرفه انه يحمل علي هو فانه هو ظهورا و عيانا و لولا ذلك لماجاز الحمل و اعلم ان هو مائية الله و انيته و لايظهر مائيته الا لله لانه ظهوره و ذلك قوله تعالي شهد الله انه لا اله الا هو ، قال الصادق عليه السلام في تأويل الصمد فالالف دليل علي انيته و هو قوله عز و جل شهد الله انه لا اله الا هو و ذلك تنبيه و اشارة الي الغايب عن درك الحواس انتهي ، فلذلك يكون الله علي صفة هو في مقامه بل هو هو الظاهر فلايدرك و لايعرف

فيحمل عليه ساير الصفات و يكون ظاهرا في جميعها كما ورد عن ابيعبدالله عليه السلام قال ان الله تبارك اسمه و تعالي ذكره و جل ثناؤه سبحانه و تقدس و تفرّد و توحد و لميزل و لايزال و هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن فلا اول لاوليته رفيعا في اعلي علوه شامخ الاركان رفيع البنيان عظيم السلطان منيف الآلاء سني العلياء الذي يعجز الواصفون عن كنه صفته و لايطيقون حمل معرفة الهيته و لايحدّون حدوده لانه بالكيفية لايتناهي اليه انتهي ، فظهر لك من هذا الحديث الشريف احاطته و سريانه و طيّه و يكفي انه يوصف بالاحدية فمن هذا الباب يوصف بجميع الصفات لا بمعني انه يحدّ بها او يتحد معها نعوذ بالله بل بمعني انها ظهوراته و تجلياته و هو اولي بها منها

و كذلك هو اولي بالخلق منهم و ينبؤك عن ذلك قوله تعالي الله ولي الذين آمنوا و قوله انما وليكم الله و رسوله و قوله ذلك بان الله مولي الذين آمنوا و ان الكافرين لا مولي لهم فافهم .

المقام الرابع مقام الاحدية ، فاعلم ان الاحد القديم هو عين ذات الله و يعبّر عنه بالاحدية الذاتية و هي ارفع من ان تنالها الايدي او تدركها الابصار او تحويها خواطر الافكار بل هي اجل من ان توصف بما يوصف به الاحد الوصفي من طيّه و نفوذه للكثرات بل هي في الحقيقة لاتكون احدا فان الذات حيث هي يمتنع معها جميع ما سواها و ليس هذه صفة الاحد فانه محيط طاوٍ للكثرات ، هذا و هي لاتسمي باسم و لاتوصف بوصف كما ذكرنا مرارا و ما نقول كله تعبير لان يكون بين الناس اسم يعبّرون به عن ربهم فذاته منزهة عن الاحدية و الاحد صفة و مقامه دون درجة الالوهية و هو صفة الله و فهم ذلك مشكل جدا فان الناس القشريين اذا بينت لهم ذلك لزعموا ان الله لايكون احدا و كلما هو غير الاحد عندهم متكثر فيزعمون ان الله متكثر غفلة عن انه فوق الاضداد فلايلزم ثبوت ضد له بسلب ضد و ذلك شأن من كان محدودا باحد الضدين و بالجملة اذا قلنا ان الذات احد فهذه الاحدية صفته كما اذا قلنا انه ذات فالذات الظاهرة صفته و كذا اذا قلنا انه اله فهذه الالوهية صفته فافهم و لا بد لنا اولا من بيان الفرق بين الاحد و الواحد فاقول في اصطلاح آلمحمد عليهم السلام مرّة يقال ان الاحد بمعني الواحد و مرّة يفرق بينهما قال مولانا الباقر عليه السلام الاحد الفرد المتفرد و الاحد و الواحد بمعني واحد و هو المتفرد الذي لا نظير له و قال في حديث و التوحيد الاقرار بالوحدة و هو الانفراد و الواحد المتباين الذي لاينبعث من شئ و لايتحد بشئ و من ثمّ قالوا ان بناء العدد من الواحد و ليس الواحد من العدد لان العدد لايقع

علي الواحد بل يقع علي الاثنين و قام اعرابي يوم الجمل الي اميرالمؤمنين عليه السلام فقال يا اميرالمؤمنين أتقول ان الله واحد قال الراوي فحمل الناس عليه و قالوا يا اعرابي اماتري ما فيه اميرالمؤمنين من تقسم القلب فقال اميرالمؤمنين عليه السلام دعوه فان الذي يريده الاعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال يا اعرابي ان القول في ان الله واحد علي اربعة اقسام فوجهان منها لايجوزان علي الله عز و جل و وجهان يثبتان فيه فاما اللذان

لايجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الاعداد فهذا ما لايجوز لان ما لا ثاني له لايدخل في باب الاعداد اماتري انه كفر من قال انه ثالث ثلثة و قول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لايجوز لانه تشبيه و جلّ ربّنا و تعالي عن ذلك و اما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الاشياء شبه كذلك ربنا و قول القائل انه عز و جل احدي المعني يعني به انه لاينقسم في وجود و لا عقل و لا وهم كذلك ربنا عز و جل انتهي ، و يكفي هذا الحديث الشريف في بيان الواحد و الاحد و اما ما ذكره اللغويون و بعض القشريين فكثيرة اذكر بعضها في المقام نقلا من شيخنا القمقام حيث جمع اقوالهم ،

قال اعلي الله مقامه و رفع اعلامه في شرحه علي سورة التوحيد : ان احد عند اهل اللغة بمعني الواحد و كذا في ظاهر بعض الاخبار قال في النهاية و في حديث الدعاء انه قال لسعد و كان يشير في دعائه بالصبعين (كذا) احد احد اي اشير باصبع واحدة لان الذي تدعو اليه واحد و هو الله تعالي انتهي ، و في القاموس الاحد بمعني الواحد و يوم من الايام جمعه آحاد و احدان او ليس له جمع او الاحد لايوصف به الا الله سبحانه و تعالي لخلوص هذا الاسم الشريف له تعالي و يقال للامر المتفاقم احدي الاحد و فلان احد الاحدين و واحد الاحدين و واحد الآحاد و احدي الاحد لا مثل له و هو ابلغ المدح ه ، اقول و ظاهر ما ذكره من المبالغة و الشهرة في احد

انما هو مستفاد من الاضافة لا من نفسه و قال في النهاية في اسماء الله تعالي و هو الفرد الذي لميزل وحده و لميكن معه آخر و هو اسم بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ماجاءني احد و الهمزة فيه بدل من الواو اصله لانه من الوحدة ه ، و قال الازهري الفرق بين الواحد و الاحد ان الاحد بني لنفي ما يذكر معه من العدد تقول ماجاءني احد و الواحد اسم بني لمفتتح العدد تقول جاءني واحد من الناس و لاتقول جاءني احد و الواحد هو المتفرد بالذات في عدم المثل و النظير و الاحد المتفرد بالمعني ه ، و قيل الاحد هو الذي لايتجزي و لايقبل الانقسام و لا نظير له و لا مثل و لايقبل مع هذين الوصفين الا الله تعالي و في توحيد الصدوق الاحد معناه انه واحد في ذاته قال السيد نعمةالله في شرح هذا الكلام هذا مبني علي ترادف الواحد و الاحد كما هو احد القولين و قال يجوز ان واحدا من الدواب او الطير او الوحوش او الانس قال السيد نعمةالله محصل هذا الفرق ان الواحد يطلق علي الانسان و غيره بخلاف الاحد فانه لايطلق الا علي الانسان يعني ان الواحد اعم موردا لكونه يطلق علي من يعقل و غيره و لايطلق الاحد الا علي من يعقل و ذكر المحققون وجها آخر للفرق بينهما اذا وقعا في سياق مثل هذا النفي و هو ان قولك ليس في الدار واحد لايقتضي استغراق النفي مطلقا فيجوز ان يكون فيها اثنان بخلاف قولك ليس في الدار احد فانه يقتضي استغراق الآحاد و غيرها و ذكر الشهيد طاب ثراه ان الواحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة الي الذات و الاحد يقتضي نفي الشريك بالنسبة الي الصفات ، انتهي كلام السيد نعمةالله و عبارة الصدوق في التوحيد هكذا الواحد الاحد معناه انه واحد في ذاته ليس بذي ابعاض و لا اجزاء و لا اعضاء و لايجوز عليه الاعداد و الاختلاف

لان اختلاف الاشياء من آيات وحدانيته مما دل به علي نفسه و يقال لميزل الله واحدا و معني ثان انه واحد لا نظير له فلايشاركه في معني الوحدانية غيره لان كل من كان

له نظراء و اشباه لميكن واحدا بالحقيقة و يقال فلان واحد الناس اي لا نظير له فيما يوصف به و الله واحد لا من عدد لانه عز و جل لايعدّ في الاجناس و لكنه واحد لا نظير له و قال بعض الحكماء في الواحد و الاحد انما قيل واحد لانه متوحد و الاول لا ثاني معه ثم ابتدع الخلق كلهم محتاجا بعضهم الي بعض و الواحد من العدد في الحساب ليس قبله شئ بل هو قبل كل عدد و الواحد كيفما ادرته او جزيته لميزد فيه شئ و لمينقص منه شئ تقول واحد في واحد واحد فلميزد عليه شئ و لميتغير اللفظ عن الواحد فدل علي انه لا شئ قبله دل علي انه محدث الشئ و اذا كان هو معني محدث الشئ دلّ علي انه لا شئ بعده فاذا لميكن قبله شئ و لا بعده شئ فهو المتوحد بالازل فلذلك واحد احد و في الاحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في احد فهو مخصوص بالآدميين دون سايرهم و الاحد ممتنع من الدخول في الضرب و العدد و التشبيه و في شئ من الحساب و هو متفرد بالاحدية و الواحد منقاد للعدد و القسمة و غيرهما داخل في الحساب لقول واحد و اثنان و ثلثة فهذا العدد و القسمة و الواحد علة العدد و هو خارج من العدد و ليس بعدد و تقول واحد في اثنين و ثلثة فما فوقها و تقول في القسمة واحد بين اثنين او ثلثة لكل واحد من الاثنين واحد و نصف و من الثلثة ثلث فهذه القسمة و الاحد ممتنع في هذه كلها لايقال احد و لا اثنان و لا احد في احد و لا واحد في احد و لايقال احد بين اثنين و الاحد و الواحد و غيرهما من هذه الالفاظ كلها مشتقة من الوحدة ، انتهي كلامه و تم نقلي عما نقله اعلي الله مقامه ، ثم ردّ بعد ذلك علي بعض الاقوال و عدّ بعضها ناقصا و قال (اع) في مقام الردّ و ذكر بعض الفروق حكاية عن اهل العرفان فجعلوا الاحد لتفريد الذات و الواحد للاسماء و الصفات فاذا قيل احد في ذاته دلّ علي انفراد الذات عن كل ما سواها و دلّ علي بساطتها و اذا قيل واحد في صفاته و اسمائه دلّ علي اختصاصها فقط

و لميدل علي بساطتها و لا علي اتحادها و كذا لو قلت واحد في صفته و اسمه فلاتتوهم من ذكري الصفات و الاسماء بالجمع ان المانع من افادة واحد البساطة و الانفراد ذكري لها بالجمع اذ لا فرق في الافادة بين الجمع و الانفراد بخلاف ما قلت احد في صفاته و اسمائه فانه لو فرض استعماله في الصفات كان اِما ان يكون جريا علي الظاهر من كون احد بمعني واحد او ان المعني ان صفاته و اسماءه ليس فيهما نسب او ارتباط بحيث يكون يحدث من الوصف و التسمية اقتران بالذات او ارتباط او نسبة غير ما يراد منهما لانفسهما فافهم فانه دقيق عميق و معني آخر للفرق ان الاحدية هي جهة التوحيد في اربعة انحاء : الاول انه تعالي واحد في ذاته فليس له ضدّ قال تعالي و قال الله لاتتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد و الثاني انه تعالي واحد في صفاته فليس له ندّ قال ليس كمثله شئ و الثالث انه تعالي واحد في فعله فليس له شبيه قال تعالي هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه و قال تعالي الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم

من يفعل من ذلكم من شئ و الرابع انه تعالي واحد في عبادته قال تعالي فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لايشرك بعبادة ربه احدا ، فالطرق اربعة هو تعالي واحد في كل واحد و يجمعها معني واحد فمثال ذلك في هذا اللفظ المحسوس و لله المثل الاعلي واحد واحد واحد يجمعها اربعة فان اربعة الآية (كذا) الاحدية و واحد واحد واحد آية (ظ) الواحدية و ايضا واحد من نوع العدد فيلحظ عدد قواه و هي تسعةعشر تنقص عن التمام بواحد و هو من نوع العدد فيلحظ عدد قواه و هي تسعةعشر و هكذا لانها من نوع الصفات المفتقرة في الوجود و التحقق و البقاء الي الذوات و بها يكون التمام فاذا اردت تمام عدد قوي واحد فاضفه الي احد فيتم عدد الوجود الراجح اعني العشرين المستنطقة بالكاف المعبّر بها عن المشية التي هي اكبر آيات الذات و لايلحظ عدد قوي

احد لانه ليس من نوع العدد فلايتم عدد العشرين بواحد منه ه ،
توضيح كلامه اعلي الله مقامه علي الاجمال ان الاحد لايكون مركبا فلايجزي و لايثني و لايرد عليه الكثرة في الظاهر و المعني و لكن الواحد الشخصي مركب لا محالة و المركب التام الكامل يثبت له تمام المقامات العشرين في ظاهره و باطنه فله قبضة من التراب و تسع قبضات من الافلاك و قبضة من المثال الي مقام المسمي الذي هو الذات و بعد ما تمّ و كمل هذه القبضات يتعلق بها نور الاحد الذي هو تمام الكلمة و حقيقة النعمة و آية التوحيد و سرّ التفريد فيصير المجموع عشرين او نقول انه نفس مقام المسمي و لكن من مقام الاسم الي التراب ثمانيةعشر و صورة المجموع من حيث المجموع آخر المقامات فهي تسعةعشر و المسمي فوق الجميع او نقول ان مراتب الجسم ثلثةعشر بملاحظة اربعية العناصر و الغيب من العقل الي المثال ستة فهذه تسعةعشر و فوقها الفؤاد الذي هو نور الله و النفس التي من عرفها فقد عرف ربه و لكل وجه و لا شك ان هذا الامر جار في مجموع الملك و في كل احد من اجزاء الملك ففي مجموع الملك اذا كسرت الجميع بعضه في بعض ظهر نور مشية الله المعبّر عنه بالكاف المستديرة علي نفسها و في اجزاء الملك ايضا يظهر هذا الامر بحسبها فان مع كل شئ رأس من رؤس المشية بالجملة نرجع الي ما كنا بصدد بيانه ،
قال اعلي الله مقامه بعد كلام طويل له في النقض و الابرام : فاقول ان الاحد اذا وقع في الاثبات و الكلام المبتدأ به كما في اوّل سورة التوحيد دلّ بمادته و صورته علي محض التوحيد و الانفراد و التجريد عن جميع الاعتبارات و النسب و الارتباطات و التعلّقات و الغايات و عن كل ما يصدق عليه اسم غير محض الذات البحت فالاحد هو الذي لايصدر منه شئ و لايصدر من شئ و لايصل اليه شئ و لايصل الي شئ و لا في شئ و لا فيه شئ و لا علي شئ و لا عليه شئ و لاينتسب الي شئ و لاينتسب اليه شئ و لايجهل شيئا

و لايجهله شئ و لايتعلق بشئ و لايتعلق به شئ و لايقترن به شئ و لايتجزي و لاينقسم في وهم او فرض او حكم او وجود او وجدان و لايضادّه شئ و لاينادّه شئ و لايشاركه شئ و لايساويه شئ و لايشابهه شئ و لايدانيه شئ و لايستغني عنه شئ و لايعرف بعموم

و لا بخصوص و لا بكلية و لا بجزئية و كلما يجوز حضوره معه بتحقق او تجويز في كون او امكان او بفرض او بذكر او اشارة حسية او عقلية في وجود خارجي او ذهني او نفس امر بكلي ما يجري عليه اسم الامكان فليس باحد حقيقة اذ يلزم من كل ما ذكر او لميذكر من جنس ما ذكر شئ هو احد و شئ آخر و لايكون من يحضر معه شئ غيره في الخارج او في الذهن او في نفس الامر بكل اعتبار و فرض احدا علي الحقيقة لان من هو احد لايكون غير احد و كلما اشرنا اليه و ما لمنشر اليه مما دخل في الامكان لايتناوله لفظ احد الواقع في سياق الثبوت ابتداءا لا باثبات و لا بنفي اما الاثبات فظاهر مما ذكرنا و اما النفي فلان احد و ان اعتبر فيه التجرد عما ذكر و نحوه لايصح ان ينسب اليه ما نفي عنه و انما نفي ما نفي عنه منسوب الي نفس المنفي كما قال الرضا عليه السلام كنهه تفريق بينه و بين خلقه و غيوره تحديد لما سواه و قد ذكر ابي اعلي الله مقامه في الفرق بيانا كاملا احب نقله مجملا و ان طال بنا المقال الا ان المسألة عمدة و لا بد من حلها فان مسائلنا يتفرّع علي ذلك ،

قال اعلم ان الاحد هو الحقيقة المستعلية علي جميع الكثرات الواقعة في مقام العدّ من الواحد فما دونه و هو المهيمن علي ذلك كله و الكل من نوره و شعاعه و ظهوره و لاجل ذلك اعطي الكل اسمه و رسمه و ينتفي الكل بنفيه اذا نفي فاذا قلت مارأيت احدا فلايحتمل ان يكون شئ من مراتب الكثرة الواقعة في مراتب العد مرئيك بخلاف ان تقول مارأيت واحدا فيحتمل حينئذ ان تكون رأيت اثنين او ثلثة او غيرها و اذا قلت رأيت احدا يحتمل كل فرد علي سبيل البدلية فانه يصدق علي كل معدود

و علي كل نسبة حاصلة من قراناتها بخلاف ان تقول رأيت واحدا فلايحتمل ان تكون رأيت الا ذلك الواحد لا الاثنين و لا الثلثة و فرق آخر ان الواحد لاينافي الاجزاء الملتئمة و انما المعتبر في صدق الوصف الالتيام و ليس الاحد كذلك فان المعتبر في صدقه البساطة عن جميع حدود ظهوراته و تركيباتها و لاجل ذلك يجوز ان تقول الف واحد و كرور واحد و لايجوز ذلك في الاحد و يجوز الواحدية الشخصية و النوعية و لا احدية شخصية و لا نوعية و الواحد صفة الاحد و احد تجلياته كالقائم بالنسبة الي زيد فالاحد اذا تجلي بظهوراته في اول مراتب العدّ يسمّي بالواحد فلاجل ذلك لايستوعب الواحد جميع مراتب التوحيد بخلاف الاحد فالواحد بالرازقية غير الواحد في الخالقية و هو غير الواحد في المميتية و هكذا و اما الاحد فهو الرازق الخالق المميت فالاحد لايتغيّر في ذاته ابدا كزيد و اما الواحد يتغيّر في مراتبه كالقائم و الاحد يستوعب الكثرة بظهوره في وحدته و الواحد لايستوعب الكثرة في وحدته و الواحد غيره معه كثير و الاحد ليس من غيره معه شئ و معني الاحد بسيط باصل الوضع و لذلك يصح اطلاقه علي الله سبحانه و معني الواحد مركب باصل الوضع و لذلك لايليق به سبحانه الا بزيادة تخصيص ارادة و نصب قرينة ، انتهي كلامه اعلي الله مقامه .

فاذا عرفت الفرق فاعلم ان الاحدية صفة الاحد القديم فان الله سبحانه ذاته احد بذاته لا باحدية غيرها و لكنها ظاهرة بهذه الاحدية و معني الاحد في الواقع غير الذات البحت البات اذ معناه المحيط الطاوي الحاوي و للمحيط محاط لا محالة و الطاوي ينطوي تحته

اشياء و الله سبحانه لايعدّ شئ من خلقه معه و لا تحته و لا بوجه آخر و اذا قلنا انه احد بذاته لانريد سوي انه هو هو لا ان الله الطاوي الاتري ان الاحد ما يعطي ما دونه اسمه و حدّه و الله سبحانه لايعطي ما دونه اسمه و حدّه بل لا اسم له و لا حدّ فلاتقول للخلق انهم

صفحه ١٢٦

الله الرحمن و لو كان مسمي بذاته بالاحدية موصوفا بها لكان يعطي ما دونه الاسم و شاهد آخر ان اسم الاحد مما يصدق علي الخلق فان المطلقات يوصفون بالاحدية غاية الامر ان احديتها نسبية اذ فوقها احد آخر غيرها سوي الاحد القديم جل شانه و لو كان صفة ذاتية لله تعالي مخصوصة به لماوصف به الخلق و بالجملة فلذلك قلنا ان الاحدية صفة لله و ان قلت انّ ما سوي القديم حادث و كل حادث مركب فيلزم ان يكون الاحدية مركبة اقول اذا لمتكن ذات الله جل شانه فلايضرّك ذلك ايضا غاية الامر ان تركيبها في غاية البساطة و هي بالنسبة الي ما دونها بسيطة و بالنسبة الي ما فوقها مركبة هذا و تركيبها ليس من شئ يكون سبب نقص عليها فان التراكيب الدنيوية العرضية او الخلقية الناقصة من النقص و لكنه من نور الله جل شانه فانه سبحانه قد تجلي عليها بما شاء كيف شاء و لا كيف و ظهر تجليه في المقام بالاحدية فافهم و قد طال المقال مع ما بي من ضيق المجال ثم اعلم ان مقام ظهور هذه الصفة الركن الايسر الاعلي من اركان عرش الله اي ملكه و منه اخضر الخضرة و هو نافذ سار جارٍ طاوٍ حاوٍ لجميع ملكه و ساير الاركان التي فوقه شأنها ارفع من ذلك و هو صفة الله جل جلالُه كما قال في سورة التوحيد قل هو الله احد و هو اول صفة لله و هو منزه عن الخصوصيات عالٍ عن التخطيطات الا انه مبدء جميع الصفات و اليه يرجع الامر كله و هو معكم اينما كنتم و لايخفي عليه خافية و هو المطلع علي السراير الواقف علي الضماير و له الولاية و الحكومة علي كل شئ فافهم .

المقام الخامس مقام الواحدية لله سبحانه ، و الواحدية صفة الواحد كما ان الهوية صفة هو و الالوهية صفة الله و الاحدية صفة الاحد و الموصوف بجميعها هو الذات و الواحدية التي تنبغي لله سبحانه في ذاته غير الوحدة العددية و الشخصية

صفحه ١٢٧

و لكنها بمعني الاحد و اما في هذا المقام فهو الواحد الظاهر في عرصة الاعداد فانه اول صفاته من الكثرات و ذلك قوله عليه السلام في الدعاء لك يا الهي وحدانية العدد و ملكة القدرة الصمد الدعاء ، و هو قطب الوجود و قلب الموجود و آية الاحد و سبيله و وجهه و الاحد بمنزلة الروح بالنسبة اليه و هو مبدؤ الكاينات و اول الموجودات و النقطة تحت الباء و الف الابتداء و اهل الحمد و الثناء انما عرف الله من عرفه به و فيه من صفات الله ما لاتعدّ و لاتحصي و هو ظاهر الذات و الهوية و الالوهية و الاحدية و لولاه لاندرس آثار الدين و خفي توحيد رب العالمين و هلك جميع الخلق الاتري ان بحيوة القلب يحيي جميع الاعضاء و كذلك الامر في الواحد الفرد و جميع ما كان و ما يكون منه و دحيت جميع ارض الاكوان و الامكان من تحته فافهم و تدبر و يكفي هذا القدر من البيان في توحيد الصفات ان شاء الله .

المقام الثالث من المقامات الاربعة في توحيد الافعال و فيه مطالب :

المطلب الاول في بيان الفعل و حقيقته و ما يتعلق به و فيه فصول :
فصل اعلم ان الفعل ما انبأ عن حركة المسمي و الحركة هي اول الكمالات و يقال في تعريفها انها الكمال الاول او الكمال الاول نحو الكمال الثاني و سيجيء بعد في الامور العامة بيانها علي التفصيل و لست بصدد ذكرها الا بما يقتضيه الحال فاقول ان فعل الله سبحانه ليس كفعل خلقه فان فعلهم علي حسبهم و الله سبحانه لا حركة له بذاته اذ لا انتقال له في ذاته بل و لا في صفته فانه احد و الاحد لايتقلب بوجه اذ هو محيط بكل جهة من كل جهة و من كان هذا صفته لاينتقل من حال الي حال و لا من وضع الي وضع و لا من صفة

صفحه ١٢٨

الي صفة و لا من مكان الي مكان بل كل الاشياء بذواتها و صفاتها و جهاتها و افعالها كلها آياته و علاماته و مقاماته و كمالاته و هو ظاهر في جميعها من جميعها فاين الحركة الانتقالية بالذات او بالعرض بل اقول علي الاطلاق اين الكمال الاول نحو الكمال الثاني و لا ثاني اذ الجميع بنسبة واحدة اليه فافهم ان كنت تفهم ،

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا ** * ** و ان لميكن فهم فيأخذه عنا

ففعل الله سبحانه ايجاده و صنعه لا غير و هو مشيته و اعلم انه ليس مشيته كمشية خلقه فان مشيتهم ميلهم في ضمايرهم و الله سبحانه لايميل الي شئ لانه احد فانك قد عرفت سابقا ان مسألة الاحد كلية يتفرع عليها اغلب المسايل فانك اذا عرفت الاحد باليقين لايكاد يشتبه عليك شئ من هذه المسائل فالله الاحد البسيط علي صفة عرفت سابقا لا ميل له الي شئ اذ بالميل ينتقل من حال الي حال و تغيّر الاحوال دليل الحدوث و هو ازلي و يمتنع من الازل ما يجوز في الحدث تعالي الله عما يقول المشبهون فمشيته احداثه يعني اول الخلق فافهم و ان عرفت ذلك فاعلم ان هذه المشية التي عرفت هي الوجود المطلق اي بشرط لا و له القاب في اصطلاح الحكماء و ان لميفد معرفتها كثير فائدة و لكنا نذكرها في المقام لتعرف الاصطلاح فمن اسمائها التعيّن الاول بمناسبة انهم سمّوا الوجود الحق باللاتعيّن و هذا المقام اول التعينات و الرحمة الكلية فانها صفة الرحمن و الرحمن علي العرش استوي و العرش هو المشية التي هي صفة الرحمن و قد يسمّي بها الحقيقة المحمدية صلوات الله عليها و الشجرة الكلية سمّيت بها لكثرة فروعها و ذلك مأخوذ من قوله تعالي في آية النور يوقد من شجرة مباركة زيتونة و ربما تطلق علي الحقيقة المحمدية و النفَس الرحماني الاولي فان النفَس بحركة الفاء مبدؤ الحروف و الكلمات و به يقوم جميعها و كذلك الامر في المشية و قد يطلق ايضا علي المعني

صفحه ١٢٩

الثاني و الارادة و الكاف المستديرة علي نفسها سمّوها بالارادة لانها بمعني المشية بملاحظة و اما الكاف فلان امر الله عبّر عنه بكُنْ فالكاف اشارة الي الكون و النون الي العين و الكون اما نفس المشية او اثرها و الارادة اذا كانت بمعني المشية فهي الكاف و الا فهي النون و خزانة الله بين الكاف و النون و هي الواو الذي يظهر في يكون و بالجملة علي اي حال اِما يكون المشية هي الكون و هو كاف او يكون الكون اثر المشية و المشية

هي الذكر الاول و اول ذكر الكون الكاف لا محالة فان الظاهر عنوان الباطن و المباني دليل المعاني و هو مستدير علي نفسه لانه مخلوق بنفسه كما سيجيء ان شاء الله و الكلمة التي انزجر لها العمق الاكبر فانها كلمة الله و قد انزجر لها العمق الاكبر اي الامكان فخلق بها منه الاكوان و الابداع و وجهه ظاهر و الحقيقة المحمدية و الولاية المطلقة و الازلية الثانوية و الازلية الاولية التي قال اميرالمؤمنين عليه السلام انا الازلية الثانية و صاحب الازلية الاولية و ذلك في مقام البيان و هو قوله كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين ازليين ، و الازلية الثانوية دون الازل الاول في مقام المعاني و ذلك قوله عليه السلام في الزيارة و القضاء المثبت ما استأثرت به مشيتكم ، و منها عالم فاحببت ان اعرف و منها المحبة الحقيقية بملاحظة ان ذاته تعالي المحبة الحقيّة و منها حركة بنفسها بملاحظة انها مخلوقة بنفسها و منها الاسم الذي استقرّ في ظله فلايخرج منه الي غيره يعني لايصير مادة لغيره فهو دايما ساكن في مقام الفعل مستقرّ في ظل الله و هو نفسه بمقتضي قوله يمسك الاشياء باظلتها و هو الاسم المكنون المخزون عنده الذي جعله اربعة اجزاء ثلثة ظاهرة و رابعها مخصوص بالله او هو الجزء الرابع المكتوم و منها صبح الازل و ذلك ما قال اميرالمؤمنين عليه السلام في صفة الحقيقة نور اشرق من صبح الازل فيلوح علي هياكل التوحيد

صفحه ١٣٠

آثاره ، و منها فعل بنفسه و ذلك كالحركة بنفسه و منها عالم الامر من قوله تعالي له الخلق و الامر و كل شئ سواك قام بامرك و من آياته ان تقوم السماء و الارض بامره و منها الصادر الاول و منها الغيب الثاني الذي هو الاول اذ الاول لا ثاني له و منها آدم الاول الذي نكح الامكان حواء الاولي و خرج من بينهما اي من صلب المشية و ترائب الامكان جميع الاكوان و امثال ذلك من الاسماء و لكل وجه و حكمة اشرت الي بعضها و تركت بعضا طلبا للايجاز و الاختصار .

فصل اعلم ان البيان المفصل في خلق المشية و صفتها سيجيء في مقالة المبدء و المعاد ان شاء الله و في المقام نريد ذكر ما يتعلق بالتوحيد فاقول ان الله سبحانه احد علي ما عرفت و الاحد هو البسيط الحقيقي اي من ليس له جزء و لو في الذهن و لايجري عليه التركيب و لايقوم في عرض شئ و لايعدّ معه شئ فلايتصور صدور شئ منه كما لايتصور لحوق شئ به و ورود شئ عليه اذ ذلك شأن المركب المتجزي فان صدور المشتقات من المبادي يعني اقتطاعها منها بالفرعية كما يقتطع فروع الشجر من اصله الاتري الي مشتقات الضرب مثلا كالضارب الوصفي و المضروب و ساير الصفات فان كلها شئون الضرب و تطوّراته في عرصة التفصيل و نسبته اليها كنسبة اصل الشجر الي فروعه فانه هو هو الا انه تطور باطوار و تشعّب بشعب فانقطع الفروع بحسب الظاهر منه و ان كانت متصلة في الباطن و كذلك الامر في المصدر و شؤنه و شعبه و تري علانية ان الضرب غير الضارب و المضروب و امثالهما و هو فيها كالمادة في الصور المختلفة و اما ذاتك التي هي الفاعل الحقيقي فهي المتجلية في الجميع علي ما يقتضيه المحل و هي لمتتصور بصورة شئ منها و لمتتطور بطور من اطوارها بل هي باقية

بصرافتها في جميع حالاتها و لمينقطع عنها شئ و لمتنقطع عن شئ و لمتتصل بشئ و لميتصل بها شئ بل

صفحه ١٣١

هي هي في كل حال و كذلك الامر في الله سبحانه و لله المثل الاعلي بل فوق ذلك بلا نهاية فانه احد تعالي و الاحد لايقف في مقام حتي يصدر منه شئ او يلحق به شئ بل يحيط بجميع الاشياء بل لا غير له حتي ينقطع منه او يتصل به فلا معني لصدور المشية منه فلمتصدر منه و لكنه تعالي تجلي بها لها في مقامها بلا حركة و لا روية و لا طبع و لا قسر بل بلا كيف يعني ان المشية في مقامها تجلي الرب بنفسها فهي مخلوقة بنفسها و ذلك قوله عليه السلام خلق الله المشية بنفسها و هي الخلق الاول و مبدؤ الكل و علة العلل و لما كان خلق جميع الخلق بها و هي مخلوقات مفعولات و كل مفعول موجود بفعل و الفعل فينا ارادتنا و مشيتنا سميت المشية بالمشية لذلك لا ان لله سبحانه مشية كمشية المخلوقين كما في ساير الصفات و ان شئت ان تفرض ذلك في عرصة الظاهر فافرض ان السموات مثلا محالّ المشية لخلق المواليد و الله خالقها بها فهل تكون السموات ضميرا من الله او ما يبدو له او امرا قوليا او غير ذلك حاشا بل هي خلق موجود و رقّ مرزوق قد جعله الله يده في خلق غيره فهو مشيته اي فعله اي مبدأ ساير الموجودات و كذلك الامر في المشية الاولية هي الوجود المطلق المجموعي و النور الاولي و المخلوقة من غير شئ خلقها الله بعلمه قبل المقيدات و بها خلق الموجودات فسمّيت مشية و الا فالله سبحانه لايشاء شيئا بذاته و لايريد شيئا في ذاته و هو هو سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين .

فصل ما اجهل من زعم ان الارادة ذاتية لله و قد مرّ شطر من الادلة في ابطال قولهم و اقول لهم ثانيا بطرز آخر ان الله سبحانه علي قولكم حق الوجود و علي قولنا لا اسم له و لا رسم فاذا كان سبحانه حقيقة الوجود فهو صرف هست بالفارسية و الارادة صفة فعل و الفعل كيف يكون صرف هست فان قلت انه هي هو فهو هو و ان قلت انها غيره و لو بفرض من الفروض فهي غيره

صفحه ١٣٢

فاحسن الجواب يا قائلا بما يخالف مذهب الائمة الاطياب و ضرورة اهل الحق من الاصحاب و اقول ايضا ان الارادة فعل او ذات فان قلت بالاول فشهدت انه غيرها و ان قلت انها عين الذات يلزم التناقض لانك مقرّ بانها غير الفعل و لا شك ان الارادة هي الفعل فافهم و تمام القول مضي فيما مضي فراجع حتي تعرف ما اخذ من اولي النُّهي و ما يُلاك بين اللَّحي بصرف الرأي و الهوٰي .

فصل قد ضلّ و غوي من زعم ان المشية كل الاشياء فان ذلك لايفرض الا اذا فرض ان المشية بسيطة احدية نافذة في الجميع ، فاقول لا شك ان المشية هي الوجود المطلق بشرط لا و بشرط لا بنفسه نفي الاشياء و امكانها فهل يتصور ان الامكان احاط بالاكوان من حيث التعيّن و اعطي الكل اسمه و حده الاتري ان السماء مثلا لايكون وجودا مطلقا بشرط لا اذ هو وجود مقيد بشرط السماوية و الارض هكذا و كذلك جميع المقيدات اعيان ثابتة

في اماكنها فكيف تكون امكانا مع انه قوة الاعيان فافهم و تدبر فهي غيرها و هي من الاشياء بمنزلة حركة يدك من الحروف فان الالف لايكون حركة و لكنها موجودة بحركتك نعم نقول ان المشية لها رؤس بعدد الاشياء كما سيأتي في بيان المبدء و هي قد احاطت برؤسها و هذا كلام حق صدق و كل شئ يكون موجودا برأس المشية المخلوق به فجميع الاشياء و الافعال مخلوقة بالمشية و لا حول و لا قوة الا بالله لا ان المشية تأكل و تشرب و تنكح و تزني نعوذ بالله فافهم و اغتنم و ان قلت ان علي قولك يلزم ان يكون الذات الاحدية نسبتها الي الاشياء هكذا فيجوز ان يقال ان الله اعطي اسمه خلقه و هو اكل و شرب اقول ان الذات امتناع ما سواها و لايعدّ معها شئ بوجه كما مرّ سابقا فراجع .

فصل قد عرفت مما ذكرنا ان حقيقة المشية هي الوجود بشرط لا و مقامه فوق جميع الاكوان فان الوجود بشرط لا مقام الجمع بعد كسر بعض

في بعض بحيث لايبقي لشئ من الاشياء ذكر بالخصوصية و قد عرفت مثاله انه كحركة يدك فان جميع الحروف مذكورة فيها بنحو الاجمال و الوحدة بحيث لايتعيّن و لايتميّز شئ منها عن صاحبه فليس فيها الف غير باء و باء غير الف بل يمكن ان تصاغ بها جميع الحروف فهي الذكر الاول لجميعها فان اول ذكر الحروف الحركة اذ لولاها لماوجدت و لكن قبلها لا ذكر لحرف بوجه من الوجوه و قد يمثّل لها بنفَس الرحمن فانك تري ان بنفَسك يوجد جميع الحروف و هو هواء خارج من ريتك بضغطة و لا تعيّن له و يتعين في مقاطع الفم فجميع ذكر الحروف الملفوظة بعد نفَسك و هو سابق علي كلها و جميع الحروف المنقوشة بعد حركة يدك و هي سابقة علي جميعها و ليس شئ من الحروف قبل الحركة و النفَس بل قوامها بهما و وجودها بهما و لايجري امر احدها عليهما بل لا امر لها معهما اذ هي بحقيقتها بهما و امر الشئ لايجري الا فيما دونه و رأيه لايمضي الا فيما دونه بل اذا كان وجود الشئ بغيره رأيه و امره ايضا به اذ هما فرع وجوده فاذا عرفت المثال فاعلم ان جميع الاكوان و الاعيان بمنزلة الحروف و الكلمات التي نطق بها الله في عرصة الاكوان و هي ايضا الحروف و الكلمات التي كتبها بحركته اي مشيته من مداد الامكان بقلم الايجاد في عرصة التفصيل و لا ذكر لها بالخصوص في المشية و الامكان الذي هو فوق الحروف فذكر جميعها و خواصها و آثارها كلها دون مشية الله و لايسبق عليها سابق بوجه من الوجوه فالكل بمشية الله و هي بمشيتك دون قولك مؤتمرة و بارادتك دون نهيك منزجرة و الكل بوجوداتها مقرون بذلك و لئن سألتهم من خلق السموات و الارض ليقولن الله .

المطلب الثاني في توحيد الافعال و فيه فصول :

فصل بعد ما ظهر لك حقيقة الفعل فاعلم ان احدا من الاكوان لايقدر علي ان يتصرف في مشية الله اذ هي سابقة علي جميعها و لايفوقها فائق غير الله سبحانه اذ الكل مخلوق بها كما عرفت فان السابق علي المطلق هو الحق فالله الفاعل بهذا الفعل و المريد بهذه الارادة لا غير و من زعم ان احدا من خلقه يقدر علي ان يتصرف في مشيته بوجه من الوجوه فقد

اخطأ السبيل و رأيه عليل اذ المقيد وجوده فان في المطلق بل المشية فوق الامكان و لايتجاوزه شئ من الاكوان فكيف يقدر علي التصرف في مشيته فله المشية لا غير و هو واحد فرد فيها و له الخلق و الامر لا غير و منذا الذي يفعل بفعله مع ان الكل بفعله و الاقرار بذلك باللسان و الخيال سهل و لكن معرفته و الايمان به مشكل جدا و كذا الايمان بلوازمه و ان عرفت ما مضي في الفصل الآخر من المطلب الاول لعرفت ذلك باليقين و اذ لميشرك بفعله من خلقه احدا لا شريك له فيه مطلقا اذ عرفت سابقا توحيد ذاته فلايحيط بالمطلق غير الحق و الله هو الحق و لا حق سواه فافهم .

فصل اعلم ان الله سبحانه كان قبل ان يكون كان و الآن علي ما كان و لايمضي عليه وقت و آن فهو ثابت علي ما كان واحدا احدا فردا صمدا و قد تجلي عز و جل بمشيته فخلقها في مقامها و حدها و لميكن معها شئ غيرها اذ لا غير فانه حق و خلق لا ثالث بينهما و لا ثالث غيرهما اما الحق فهو هو و ليس مع مشيته و لا بعدها و لا قبلها بل هو الاحد جل شأنه و اما الخلق فكلهم مخلوقون بالمشية و هي اولهم و بلسان آخر نقول ان جميع الاكوان في قوة المشية فان قلت ان مع المشية شئ كائن فاثبتت الكون قبل وجوده و ان قلت معها شئ ممكن علي الحقيقة فهو هي اذ لو كان ممتازا عنها لماصدق عليها الممكن الحقيقي فافهم فالمشية ليس معها شئ مكوّن ثمّ خلق الله الاشياء في درجتها و رتبتها بها فجميع ما كان مخلوق بالمشية و اذ لا سبب

للخلق غيرها فليس شئ بغيرها و لو كان شئ بغيرها لخرج من تحت سلطانها فجميع الاشياء بها و هي لله فالكل مخلوق بها لله فبطل ما كانوا يظنّون ان الماهية غير مجعولة و يأتي تمام البحث فيها في الامور العامة .

فصل طال ما بحثوا في ان الاشياء هل تستغني من المدد بعد الخلق او هي دايما تحتاج الي مدد من الله سبحانه و ان بالخلق الاول يتم خلق الشئ او هو دايما يحتاج الي خلق جديد و اجاب من اجاب بما يوافق مسلكه و مذهبه و انا ابيّن لك ذلك بما يظهر من الاخبار و صحيح الاعتبار فاعلم ان الله سبحانه هو الكامل بالفعل الدايم في كماله المستغني عن غيره اذ لا غير له و لا فعلية لسواه و قد خلق الخلق بمشيته كما ذكرنا سابقا و هم من مشيته سبحانه كانوار السراج من السراج و المشية من الله بلا كيف و لكنها تحتاج دايما الي فيض جديد من الله اذ الاحد جل شأنه هو الذي احاط بمشيته و لايحيط به شئ و المحاط دايما يحتاج الي فيض جديد من المحيط به و لايستغني عنه طرفة عين ابدا و ذلك واضح لمن نظر في هذه الاوراق من ابتدائها الي هنا فاذا كانت الاشياء جميعها بمشية الله دايما بل هي انوارها و اشعتها و شؤنها فكيف يتصور قيامها بلا مشية يوما افهم ذلك و بلسان آخر نقول ان الشئ يقوم بعلل لولاها لفسد كونه لا محالة علة فاعلية هي يد الله في صنعه و علة مادية بها يتحقق وجود الشئ و علة صورية بها يتحقق ماهية الشئ اما العلة الفاعلية فهي جهتها اي الاكوان الي ربها الذي خلقها و المادية هي جهتها الي مشية الله و الصورية جهتها الي انفسها و انياتها و هي ما دام كونها هي هي تحتاج الي هذه العلل و العلة الغائية هي مهيّجة الفاعل للفعل و هي اصل الكل فهل تقول انها استغنت عن فاعل فكيف يتصوّر العاقل مفعولا بلا فاعل اذ هو اثره و شعاعه او مفعولا بلا مادة و صورة و ان بعدت

طرفة عين عن مشية الله سبحانه لفني مادته فتفني صورته اذ لاتتحقق الا بالمادة فلا بد دايما من

فيض من الله بمشيته ليقوم وجود المعلولات فهي دايما في خلق جديد مرزوقون برزق جديد يفيض عليهم بفيض جديد و ذلك تأويل قوله تعالي أفعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد و الناس جاهلون بهذه المقامات لعدم معرفتهم بالله جل و عز فيزعمون صانعا مثل الصنّاع كالبنّاء مثلا و هو يبني ثم يرفع يده عنه و هو يبقي فيزعمون ان الله خلقهم هكذا و حاشا الرب القديم ان يكون بانيا كالبنّاء فان البناء صانع من جنس الخلق و لايخلق شيئا بالتأثير بل يقرّب بعض الآثار مما خلقها الله العزيز الخبير و يوفقه الله تعالي بالتقدير فيكمل بناءا و يحفظه الله و هو علي كل شئ قدير و اذا رفع يده عنه يبقي اذ خالقه رب الارض و السماء و اما هذا الملك من الله لا من شئ و لا بشئ و لا في شئ و لله المثل الاعلي نقول لتقريب الذهن في الجملة ان الخلق من الله كانوار الشمس من الشمس اذ ليست هي من مادة سابقة غير شعاعها و فيضها و لا صورة لها سوي صفتها و هي قايمة بها قيام صدور فدايما يصدر النور من الشمس و دايما يبقي النور و اذا افلت تأفل انوارها و اذا طلعت تطلع معها و كذلك الامر في خلق الله بل فوق ذلك فجميع الخلق آياته و علاماته و آثاره و تحتاج الي مدده دايما و هو يفيض عليهم دايما هذا و الخلق من الله دايما في مبدأ الصدور و لايجري عليهم الزمان بهذا النظر فان الزمان فرد من افراد مجموع الملك يوقّت به الاجسام المقيدة و هذا النظر في النسبة السرمدية و قد مرّ سابقا بيان ذلك مجملا و يأتي فلايمضي عليها في صدورها من امر الله وقت من الاوقات الزمانية بل الدهرية و الوقت السرمدي تمامه وقت واحد و لمحة واحدة الاتري الي قوله تعالي و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فالخلق دايما حين الصدور و مع الصدور و المشية دايما حين الصدور مع الصدور و لذلك تقول انها فعل فانه لا شك ان الفعل فعل حين الصدور و معه و بعده مصدر فان ضرب الفعلي من الضارب حين الضرب ضرب و بعد مضيه لايبقي

فعل بل الباقي مصدر و لذا تعبّر عنه بلفظ الماضي و لو كان يمضي علي المشية وقت لماكانت فعلا فهي دايما حين الصدور و ان كان اللفظ المعبّر عنها مصدرا كما ان نفس لفظ الفعل ايضا مصدر يعني انه علي زنة المصدر و هو اسم فافهم .

بيان كشفي اعلم انا نري اكوانا و اعيانا لاتعد و لاتحصي ثابتة في مقاماتها موجودة في درجاتها محدودة بحدودها و اذا نظرنا اليها هذا الحين قاطعا نظرنا عنها نجد الامكان المتصور بصورها المتهيئ بهيئاتها و هو الامكان الجايز الارض الجرز و معني كونها من الامكان ان الامكان الآن متصور بها و هو مادتها لا انها كانت في الامكان يوما فامكان و لا اكوان ثم خرج من كمونه الاكوان فاكوان و لا امكان او اكوان دوينه فان جميع ذلك من خيالات المبتدي و لكن الفرض ان الامكان الجايز كمثقال مداد تصوّر جميعه بصورة الحروف فجفّ القلم بما كان و ما يكون فالامكان هذه الساعة في الاكوان و

ليس فوقها امكان و لا اكوان و كذلك المشية شمس تضيء قعر هذا البحر الطمطام لايطلع عليها الا الخالق العلّام و هو الوجود المطلق بلا كلام و هو مطلق هذه الموجودات و الفعل الظاهر في هذه المفعولات و الارادة المتجلية بهذه المرادات و لاتكون الارادة الا و المراد معها فهي دائما محيطة بها متجلية عليها و الله من ورائهم محيط فانصف يا من كشف له الغطاء ماذا يخرج من الامكان و يجب من الاكوان فما معني ان الشئ ما لميجب لميوجد و ماذا يخرج من تحت قدرة الله الفعلية و مشيته الامرية و كل شئ مأمور مقدّر دايما في كل حين فالشئ قبل وجوده و بعده و حين وجوده دايما تحت مشية الله و قدرته و يفعل الله ما يشاء بقدرته و يحكم ما يريد بعزته و الاخبار الدالة علي المراد متواترة في المعني فراجع في مظانها حتي تطلع عليها و من زعم ان احدا من الخلق يخرج من تحت مشية الله يوما فقد اخطأ السبيل و لميهتد في زعمه الي دليل فرأيه عليل .

فصل اعلم ان من تمام توحيد الافعال ان لاتجد لاحد من الخلق فعلا الا لله و قلّ من آمن بهذا الشق من التوحيد و ان كانوا يلوكون بين لحييهم هذا الكلام و اما الشقّ الاول فمما آمن به اكثر الخلق طوعا او كرها و اما هذا الشق فلايؤمن به الا الخصيص و النفوس المرتاضة بالعلوم لاتقنع بصرف الظاهر فلا بدّ لنا من ان نبيّن ذلك حتي يعرف من يعرف فاعلم ان لهذا المطلب بيانات ظاهرية و باطنية اقتصر علي بعضها اما الظاهر فقد عرفت في ما مضي ان جميع الاشياء كائنة بمشية الله سبحانه ايّا كان فعلا او ذاتا فلايخلق احد شيئا الا الله و لايفعل احد شيئا الا بمشيته و حوله و قوته و الله عند لسان عبده و يده فلايقول شيئا الا بمشيته و لايفعل شيئا الا بقوته و لا حول و لا قوة الا بالله فاذا فعل فاعل شيئا يفعله بمشية الله و تقديره لا غير و المقدّر كائن لا غير فاذا اعطاك معطٍ شيئا يكون ذلك بمشية الله و اذا منعك مانع يكون ذلك بمشيته غاية الامر ان الخلق ايادي التقدير و اسباب التدبير و هذا بيان سهل ظاهر و اما البيان الابطن فهو ان مشية الله ظهرت في خلقه و تجلّت بهم فكلهم مرايا للمشية و قوابل تحكيها و جميع ما يصدر منها او بها كلها بمشية الله سبحانه و لولا المشية الفاعلة فيهم لماظهر شئ في الملك و مافعل فاعل و ماسكن و ذلك احد معاني قوله عليه السلام ليس الا الله و فعله ، و قوله و لايدرك مخلوق شيئا الا بالله و بيان ابطن من ذلك و هو مخصوص بمن فتح الله عين بصيرته ان الله سبحانه محيط بجميع خلقه اذ هو احد فلميخل منه شئ و لميناً عنه شئ و لميفرغ عنه شئ فلايري في جميع ملكه نور سوي نوره اذ صار ظاهرا في كل شئ و ذلك قول الحسين عليه السلام في دعائه يوم العرفة علي ما في بعض النسخ : الهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار الي ان قال : أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتي يكون هو المظهر لك متي غبت حتي تحتاج الي دليل يدل عليك ، و فيه في هذه

النسخة : محقت الآثار بالآثار و محوت الاغيار بمحيطات افلاك الانوار الدعاء ، فهو المحيط الذي لميبق لغيره وجودا و قد كررت لك هذا القول ان الله سبحانه له حق الوجود و حقيقته و هو اعظم آيته فانظر في هذا الملك هل تري غير الوجود شيئا او تقف علي شئ

غيره او يبقي اثر لغيره بوجه من الوجوه او حيث من الحيوث لا شك في ان كل شئ يمتنع معه تعالي و لا ذكر لشئ معه بوجه فلا فعل لاحد سواه اذ هو الموجود و غيره مفقود فهو المعطي و هو المانع و هو الآخذ ، قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء و تنزع الملك ممن تشاء و تعز من تشاء و تذل من تشاء بيدك الخير انك علي كل شئ قدير و ماخلقت الجن و الانس الا ليعبدون ماارید منهم من رزق و ماارید ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين بل قال في كتابه و يأخذ الصدقات بل ينسب اليه صفة عباده و سؤالهم و معاملاتهم و لمعرفة هذا السرّ مدرك مخصوص فجميع الفعل لله سبحانه و هو احد في فعله بهذا المعني كما انه احد في صفاته و اسمائه اذ لا اسم و لا صفة لغيره و ذلك من اعجب العجاب ان يكون المنزه عن كل اسم و صفة و فعل صاحب كل اسم و صفة و فعل و هذا حقيقة اخراجه عن الحدين حد التعطيل و التشبيه .

فصل في دقيقة انيقة يرتفع بها الاشكالات و ينسدّ بها باب اغلب السؤالات و وجه الاشكال انا قد بيّنا و شرحنا هنا و في غير المقام ان الله تعالي احد بالذات و الاحد بالذات لاينسب اليه شئ بوجه فكيف ينسب اليه الخلق و المشية سيما اذا كانت المشية بمعني الميل فان الاحد لايميل الي شئ و بساير المعاني ايضا لايصحّ النسبة اذ النسبة بجميع معانيها معدومة بين الممتنع و الموجود و الله هو الباقي الموجود و ما سواه مفقود اي ممتنع بالمرّة فهل هو يشاء بمشية ممتنعة مشاءات ممتنعة او يكون بوجه آخر

و ان عرفت ما اذكره يكشف لك علم الباطن ان شاء الله فاعلم ان حقيقة الذات عدم الصفات و ما يقال انها بمعني صاحبة الصفات يصدق في ظاهر اللفظ و اما في الحقيقة لايكون شئ من الصفات مذكورا مع الذات بوجه من الوجوه فلاينسب اليها بوجه لا فعلها و لا مفعولها و لا علتها و لا معلولها و مرجع الكل الي نفس الخلق ، رجع من الوصف الي الوصف و دام الملك في الملك و تفسخت دونها النعوت ، فما معني ان الله شاء و اراد و ما معني انه خلق و امر و هو هو و لا غير له و بما ذكرنا سابقا يظهر بعض البيان من باطن الباطن و اما في المقام فنذكر ما شاء الله من امر الباطن فاقول قال مولاي سيدالشهداء روحي و جسمي له الفداء و عليه آلاف التحية و الثناء في الدعاء : اللهم منك البدء و لك المشية و لك الحول و لك القوة و انت الله الذي لا اله الا انت جعلت قلوب اوليائك مسكنا لمشيتك و ممكنا لارادتك و جعلت عقولهم مناصب اوامرك و نواهيك فانت اذا شئت ما تشاء حرّكت من اسرارهم كوامن ما ابطنت فيهم و ابدأت من ارادتك علي السنتهم ما افهمتهم به عنك في عقودهم بعقول تدعوك و تدعو اليك بحقايق ما منحتهم و اني لأعلم مما علّمتني مما انت المشكور علي ما منه اريتني و اليه اويتني اللهم و اني مع ذلك كله عائذ بك لائذ بحولك و قوتك راضٍ بحكمك الذي سقته اليَّ في علمك جارٍ بحيث اجريتني قاصد ما اممتني غير ضنين بنفسي فيما يرضيك عني اذ به قد رضيتني و لا قاصر بجهدي عما اليه ندبتني مسارع لما عرفتني شارع فيما اشرعتني مستبصر ما بصرتني مراع ما ارعيتني فلاتخلني من رعايتك و لاتخرجني من عنايتك و لاتقعدني عن حولك و لاتخرجني عن مقصد انال به ارادتك و اجعل علي البصيرة مدرجي و علي الهداية محجتي و علي الرشاد مسلكي حتي تنيلني و تنيل بي امنيتي و تحلّ بي علي ما به

اردتني و له خلقتني و اليه اويتني و اعذ اولياءك من الافتتان بي و فتنهم برحمتك لرحمتك في نقمتك تفتين الاجتباء

صفحه ١٤١

و الاخلاص بسلوك طريقتي و اتباع منهجي و الحقني بالصالحين من آبائي و ذوي لحمتي انتهي ، ذكرته بتمامه لان ابي اعلي الله مقامه احبّ اشتهاره لجلالة قدره و عظم خطره و في الزيارة المعروفة بزيارة الندبة قد آتاكم الله يا آليس خلافته و علم مجاري امره فيما قضاه و دبّره و رتّبه و اراده في ملكوته فكشف لكم الغطاء و انتم خزنته و شهداؤه و علماؤه و امناؤه و ساسة العباد و اركان البلاد و قضاة الاحكام و ابواب الايمان الي ان قال : و من تقديره منائح العطاء بكم انفاذه محتوما مقرونا فما شئ منه (منّا نسخة) الا و انتم له السبب و اليه السبيل الي ان قال : السلام عليك يا صاحب المرئي و المسمع الذي بعين الله مواثيقه و بيد الله عهوده و بقدرة الله سلطانه انت الحليم الذي لاتعجله الغضبة و الكريم الذي لاتبخله الحفيظة و العالم الذي لاتجهله الحمية مجاهدتك في الله ذات مشية الله و مقارعتك في الله ذات انتقام الله و صبرك في الله ذو اناة الله و شكرك لله ذو مزيد الله و رحمته الي ان قال : فالحق ما رضيتموه و الباطل ما سخطتموه و المعروف ما امرتم به و المنكر ما نهيتم عنه و القضاء المثبت ما استأثرت به مشيتكم و الممحو ما لااستأثرت به سنتكم و في نسخةٍ ما استأثرت به سنتكم فلا اله الا الله وحده لا شريك له الزيارة ، و فيها من عجايب الفضائل ما لايتحمله الا المؤمن الخالص الممتحن فافهم ان كنت تفهم و الاخبار الواردة في هذا المضمار كثيرة و انا اشير الي بعض المسألة حتي تعرف الحقيقة فاعلم ان الله سبحانه بذاته تجلّ عن جميع الاسماء و الصفات رفيع عن كل السمات و لاينسب اليه شئ كما ذكرنا سابقا و لكنه سبحانه اختار لنفسه اولياء فجعل ما ينسب اليهم منسوبا اليه و ذلك ما ورد في تأويل قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم قال عليه السلام ان الله لايأسف كاسفنا و لكنه خلق لنفسه اولياء جعل اسفهم اسفه و كذلك بهذا المعني اخبار كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و اولياؤه هم الذين اطاعوه

صفحه ١٤٢

في جميع ما امر و نهي و لميعصوه فمن اطاعه في الظاهر و الباطن يفني انيته بالمرّة فيشتعل بكله بنور الله حتي ينوّر الله امامه و وراءه و يمينه و يساره و ظاهره و باطنه فيصير متقلبا في النور فيدخل في نور و يخرج من نور و في نور فيصير الله كله كما في الحديث المروي في كتب معتبرة و اصول صحيحة انما يتقرب اليَّ العبد بالنوافل حتي احبّه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و في روايةٍ و رجله التي يمشي بها ، ان دعاني اجبته و ان سكت عني ابتدأته الحديث ، و بعد ما وصل الي هذا المقام الشريف و ملك هذا الشرف المنيف يصير صاحب المشية و مالك الارادة اذ يصير محل نور الكينونة و يفارق عرصة البينونة و لايحول بينه و بين ربه حايل مع انه لايشاء الا ما شاء الله و لايريد الا ما اراد الله ففي القدسي عبدي انا رب اقول للشئ كن فيكون اطعني في ما امرتك اجعلك مثلي تقول للشئ كن فيكون انا حي لااموت اطعني فيما امرتك اجعلك مثلي حيّا لاتموت انا مهما اشاء اكن اطعني فيما امرتك

اجعلك مثلي مهما تشاء تكن ، فافهم و مع ذلك الله خالق كل شئ و لايلزم من ذلك ان يكون الخالق غيره و من زعم ذلك كفر بالله العظيم فان المشية لله و هي لاتقوم الا بحامل و حاملها الشائي بها بامر الله سبحانه و ذلك مقام آل‌محمد عليهم السلام ان كنت عارفا بشأنهم و لاتتعجب من ذلك فان اميرالمؤمنين عليه السلام قال كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكوّنين موجودين ازليين ، و اذا كان هذا شأنهم فكيف لايكون القضاء المثبت ما استأثرت به مشيتهم فافهم و اغتنم .

المطلب الثالث في العدل ، و هو من صفاته سبحانه و لما كان ظهوره في افعاله و اغلب المسائل المتفرعة عليه في مقام الافعال اخّرناه الي هنا و في الحقيقة

صفحه ١٤٣

الافعال ايضا صفات و سلف الاصحاب لما ابتلوا بالجبرية و كانوا معاشرين معهم دائما مختلطين بهم و خافوا علي انفسهم و اولادهم و عوامهم ان يتطرق في قلوبهم شبهات الجبرية لعنهم الله عدّوا العدل بخصوصه في اصول الدين ليرتاض اذهان الناس بالاقرار به كما اختاروا مما جاء به النبي (ص) المعاد لئلايدخل في قلوب الناس الريبة بسبب العقايد الفاسدة المنتشرة في العالم بين الناس في المعاد و الا فلا خصوصية للعدل بين صفات الله بالذكر و يجب علي الناس الاقرار بجميعها و كذلك الاقرار بالمعاد مما جاء به النبي صلي الله عليه و آله فانه يجب الاقرار و التسليم لجميعها و من انكر واحدا منها بعد البيان فقد كفر و لكن كان مرادهم ان يرسخ ذلك في القلوب و لايؤثر فيهم شبهات القوم و في هذا الزمان قد شاع و ذاع ذلك بين العوام بحيث يزعمون ان في العدل و المعاد خصوصية في ذلك و يردون علي الحكماء الراسخين اذا قالوا ان الفضل مثلا مثل العدل و يجب علينا الاقرار به و الصلوة مثل المعاد و يجب علينا الاقرار بوجوبها و نقول لهم اما من طريق الاخبار فلميصل الينا حديث خاص بهذا المعني ان اصول الدين خمسة التوحيد و العدل و النبوة و الولاية و المعاد نعم عدّوا في الاخبار ما يجب علينا الاقرار به مفصلا و مجملا من الاصول و الفروع و لميميّزوا ابدا في لزوم الاقرار بما جاء به النبي (ص) بين المعاد و غيره و لا في صفات الله بين العدل و غيره و اما من الادلة العقلية فنقول لهم ماذا تريدون باصول الدين هل تريدون ما يجب علي الانسان الاقرار به من دون تقليد احد من العلماء و الفقهاء او تريدون غير ذلك لا بد لهم من الاقرار باحدهما و لا شك انهم يقرّون بالاول اذ هو صريح كلامهم و ان لميقرّ به احد منهم فنقول ماذا تريدون هل تريدون ما يجب علي الانسان الاقرار به و انكاره كفر او تريدون من الاصل القاعدة التي يتفرع عليها غيرها فان اقررتم بان الاصول

صفحه ١٤٤

ما يستقل به العقل فاقول لا شك و لا ريب ان الناس بعقلهم لايعرفون العدل و شاهد ذلك ان قليلا من الناس من المسلّمين لآل‌محمد (ع) اقرّوا به و منهم كثير لايعرفونه و اقرّوا به عميانا محض التعبد و قليل منهم عرفوا معناه فان كان مما يجوز ان يستقل الانسان بفهمه فجميع الجبرية علي ذلك مصابون اذ نظروا بعقولهم و عرفوا انه نعوذ بالله ظالم لعبيده مع انه يلزم من ذلك العسر و الحرج فان الله اجل من ان يخلق خلقا للمعرفة و هم ناقصون

جاهلون مع انه من الضعف خلقهم و علي الوهن بناهم و لا حول لهم الا بقوته و لا علم لهم الا بتعليمه فكيف يوكلهم الي انفسهم في معرفة العدل الذي هو من اصعب المسايل و اصعب منه امر المعاد كيف يعرف الناس ما لميشاهدوا هذا و ايّ خصوصية بالعدل ليكون هكذا مع انك تري انهم لميقولوا في الصفات الذاتية مع شرافتها ذلك و كذلك المعاد و بالجملة يكفيهم في ردّ ذلك ان احدا منهم لميعرف معني العدل و حقيقة المعاد الا من فتح الله عين بصيرته بل نقول انه ليس للعباد الا معرفة صانعٍ مّا و حجة من عنده مجملا ثم بعد ذلك يجب عليهم التسليم و ليس هنا موضع ازيد من ذلك من البيان و اما من قال ان المراد بالاصول ما يجب الاقرار بها ان قال هكذا فيرده وجوب الاقرار بجميع الضروريات و قد عدّوا فروع الدين ايضا ستة و اقرّوا بوجوب الاقرار بها و ان قال قائل ان المراد القاعدة التي يتفرع عليها ساير المسايل الدينية فيخرج بذلك ايضا المعاد و العدل اذ لايتفرع عليهما قاعدة خاصة لاتتفرع علي غيرهما و ان كل صفة من صفات الله اصل فالاولي ان يقال ان الاقرار بجميع صفات الله من اصول الدين و كذلك الاقرار النوعي بجميع ما جاء به النبي (ص) من اصول الدين و لكنا نقول بقاعدة الحكمة المستنبطة من الاخبار ان دين الله الذي هو الاسلام كشجرة لها اصل و فروع و الاصل هو ما ينبت منه الشئ او يتفرع عليه الفروع و لما نظرنا في

دين الله الذي شرحه آلمحمد (ص) في الاخبار رأينا ان بعضه كالاصل و بعضه كالفرع و الاحكام المترتبة عليها كانت بهذه المنزلة فان الفرع بنفسه لاينبت الا ان ينبت من اصل و الفرع مدده و اصله منه و الفرع لاييبس بجفافه الشجر و الاصل اذا يبس يفني الشجر بالمرة و هكذا فنظرنا في امر الدين فما كان له حال الاصل سميناه اصلا و ما كان له حال الفرع سميناه فرعا و ببيان آخر نقول ما كان منه متعلقا بالذوات اعني كانت تكليفات بالنسبة الي ذوات لاصلاح الذوات سميناه اصلا و هو معرفة الله جل و عز و معرفة رسوله صلي الله عليه و آله و معرفة الامام و معرفة الركن الرابع فانها ذوات اوجب الله لعباده معرفتهم و اذا عرفوهم يحصل لهم ذات الايمان فان روح الايمان كالانسان الكوني بلا تفاوت فكما ان للانسان ذاتا و صفات كذلك لروح الايمان ايضا ذاتا و صفات اما ذات الانسان فهي تحصل له بحكاية النفس الكونية المطلقة كذلك نفس الانسان الشرعي تحصل بمعرفة القدسية الالهية فان المعرفة الحقيقية حكاية النور و معرفتها علي الكمال تؤل الي هذه المقامات الاربعة و قد نقتصر بذكر بعضها لانها معا لايفارق بعضها بعضا فذكر البعض ذكر الكل بالجملة فهذه سبب حدوث ذات روح الايمان او نفس ذات روح الايمان علي ما مرّ الاشارة اليه و لا شك ان المعرفة اذا حصلت تنبت منها جميع الفروع كما ان الانسانية الكونية اذا تعلقت يظهر منها جميع صفات الانسان فاصل الدين علي ذلك المعارف و كذلك نقول ان هذه الاربعة اركان الدين و اما الفروع فهي صفات الانسان الشرعي فانها تنبت من الانسانية و تستمد منها فان الصلوة وحدها او الحج او الاقرار بامر خاص مثلا لاينجي الانسان من العذاب و لكن معرفة هذه الاصول منجية للانسان من عذاب اليم الاتري ان الحيوان اذا اتصف بصفة من صفات الانسان لايعدّ بذلك منهم و

لايحشر معهم فان النسناس يمشي علي رجلين و يعالج بعض الامور و لايعدّ انسانا و لكن اذا تعلق روح الانسان باحد

صفحه ١٤٦

يسمي انسانا و يحشر معهم و ان لميكن متصفا بصفات الانسان لعجزه كالوليد حتي ان السقط ليجيء محبنطئا علي باب الجنة فيقال له ادخل فيقول لا حتي يدخل ابواي قبلي ، و تري ان السقط لميتصف بصفات الانسانية بوجه من الوجوه و كذلك الامر في المعرفة و ساير الاعمال فالعارف من اهل الجنة و مؤمن و ان عصي و المطيع بلا معرفة كحمار الطاحونة يتعب نفسه و يعمل جهده و لايتحرك من عرصة الطبايع فافهم و هذا سرّ ما قلنا ان بتقطع الفروع لايفني الشجر و بتقطع الاصول يفني الشجر نعم بتقطع الفروع يفني زينته فافهم و بالجملة فبالمعرفة يتولد ذات الايمان و بالفروع يحصل الصفات و يكمل الانسان كمالا يبلغ به درجات و مقامات عاليات خلاصة الكلام ان الاصول هذه الاربعة ثم لا شك ان معرفة الله معرفته بصفاته فان معرفة الذات محال ممتنعة و كذلك معرفة النبي معرفته بالنبوة و يلزمها الاقرار بوجوب طاعته و كذلك ساير الصفات المخصوصة به و كذلك معرفة الامام و الركن الرابع فلا وجه لتعداد العدل بخصوصه من الاصول و ما قلنا قول متين محكم و له وجوه اخري لسنا بصدد التفصيل و علي اي حال لما كان عدله سبحانه من صفات كثر الاختلاف فيها و يتفرع عليها فروع كثيرة و يتبين بمعرفتها مسايل غامضة نذكر في هذا المطلب فصولا ان شاء الله ليتبين حقيقة المسألة .

فصل اعلم ان الله سبحانه ذات احدية علي ما مرّ سابقا و الاحد لايثني و لايجزي فليس له جزء و جزء و لا حيث و حيث فان كل مثني و مجزي مركب و كل مركب حادث دون درجة الاحد جل شأنه فهو بنفسه هو و لا غير معه فلايفرض معه نسبة الي شئ باحدي النسب فانها متفرعة علي التركيب اذ لا نسبة الا مع منسوب و منسوب اليه و نسبة لا محالة فلا بد من ان تفرض ذاتا ثم تفرض لها نسبة فان الذات بنفسها لاتكون نسبة فان النسبة صفة عارضية و لا بد من معروض لها فلا بد و ان يكون المنسوب غيرها تقوم

صفحه ١٤٧

به و المنسوبية من متعلقات الاضافة لاتقوم الا بشيئين منسوب و منسوب اليه و لا شك ان المنسوب و المنسوب اليه من عرض واحد فان مع اختلاف العرض لايحصل النسبة هكذا و ان قيل ان النسبة بين العام و الخاص كيف تحصل مع عموم العام و خصوص الخاص و ليسا في عرض واحد اقول انهما ليسا في عرض واحد اي لايجمعهما جنس قريب كفردين متباينين و لكن يجمعهما الامكان الاعلي فانه محال في الحكمة ان يحصل نسبة بين شيئين الا بجامع فالحديد المطلق و السيف و ان لميكونا من مادة خاصة قريبة و لكنهما جميعا ممكن فلذلك تنسب السيف الي الحديد و تقول انه فرده هذا و الخاص مخلوق من حصة من نوعه و صورة و ايّ نسبة انسب من ذلك علي انه مادة نوعية للخاص هذا و النسبة بينهما بملاحظة عموم و خصوص مطلق و اما علي الحقيقة فالمواد العرضية الدنيوية بالنسبة الي الصور الغيبية بينها عموم و خصوص من وجه لامكان تلبس المواد بغيرها و ظهورها علي غير تلك المادة الخاصة ايضا و بالجملة فالنسبة من شرطها وجود

الجامع فكيف تفرض مع الله غيره و كيف تنسبه اليه فان جميع ذلك مما يخالف الاحدية و اذ لا نسبة فلا ميل له بوجه الي شئ فان الميل من المناسبة و اذ لميكن مناسبة بين شئ و شئ فلايميل مع ان الميل ايضا عرض و صفة يبدو للشئ بعد ملاحظة شئ فيلزمه تغيّر الحالات و كل متغير حادث و ان قلت ان الميل ذاتي اقول هل تقول انه عينها من كل جهة فهي هي و ان قلت انه غيرها فهي مركبة و نقول ايضا انه اي الاحد مايل الي جهة خاصة بذاته فهو من عرض الجهة الخاصة و لايكون احدا او تقول انه مايل الي كل جهة فان قلت انه مايل الي كل جهة اقول هل يكون في ذاته مايلا الي كل جهة في كل حين فذلك عدم الميل و ان قلت انه يرد عليه الميول في حالات فاقررت بالحدوث بالجملة فالاحد لايميل الي جهة خاصة فهو سبحانه عادل في ذاته بهذا المعني و لاتزعم ان عدالته صفة زائدة نعوذ بالله من غضب الله فانك

عرفت مما ذكرنا ان عدالته عين احديته و ان عرفت ذلك تعرف انه فاضل مع عادليته فان جميع الملك من فضل نوره و مع ذلك هو رحيم و سبقت رحمته غضبه و هكذا فانه تعالي احد بذاته و لايعرضه صفات مختلفة متكثرة و الصفات المختلفة من الخلق و هو المتجلي بجميعها و ان كانت اضدادا و ان اثبت لذاته ايضا كمالات تثبت كما ذكرنا فان لها جميع الكمالات و هي هي من دون تكثر و تكسر فافهم فانه دقيق و بالكتمان حقيق .

فصل ان الله سبحانه كان قبل ان يكون كان احدا علي ما هو الآن و قد احاط جل شأنه بجميع خلقه فليس شئ من الخلق اقرب اليه من شئ و لا احكي لنوره من شئ بل تجلي سبحانه بجميع خلقه علي نحو سواء هو الذي في السماء اله و في الارض اله ، الله نور السموات و الارض ، الرحمن علي العرش استوي يعني علي الملك احتوي و استولي فالله المحيط بالكل و المستولي علي القل و الجل قريب حين بعده بعيد حين قربه و نحن اقرب اليه من حبل الوريد كيف لا و هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم ، فظهوره سبحانه بالنسبة الي خلقه بالسواء و لا جور في ظهوره ابدا الاتري ان الكينونة التي هي نور الله الاول و اسمه الاعظم الاجل ظاهرة في كل الذوات و الصفات بالسواء فذاتك كون و صفاتك ايضا كون و جمعك كون و لذا يقال ان جميع الملك نور الله فلايري فيه نور الا نورك و لايسمع منه صوت الا صوتك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتي يكون هو المظهر لك متي غبت حتي تحتاج الي دليل يدل عليك و متي بعدت حتي تكون الآثار هي التي توصلني اليك و بالجملة فالله سبحانه محيط بكل شئ و منور لكل شئ و غير محجوب عن شئ الا ان يحجبهم الآمال دونك و لايحيق المكر السيئ الا باهله و الا فهو سبحانه لايحتجب عن شئ بوجه من الوجوه فافهم فقد عرّفتك ان عرفت و اوضحت لك ان بصرت .

فصل اعلم ان الله سبحانه عدل في مشيته لايجور فان المشية هي اول المخلوق خلقها الله بنفسها كلية مطلقة عن جميع القيود و لاتخصّ بشئ دون شئ و لاتتعلق بشئ دون شئ بل هي الوجود المطلق و ذلك شأن الاول ان كنت عارفا بشأن المبادي فان التكثرات جميعها

في الايادي و المبدأ الذي هو مقام اجمالها و اول اذكارها لا اختصاص له بشئ دون شئ و برهان ذلك علي نحو الاجمال انها صفة الاحد و واحديته لا بمعني العدد فلايشاركها شئ و لايشابهها شئ و لا كيف لها كما لا كيف لفاعلها بل هي صفة الفاعل فهي لاكيفه فافهم و تدبر فتكون محيطة بجميع الاشياء و متعلقة بها فالعرش مخلوق بها و الفرش مخلوق بها و الخير مخلوق بها و الشرّ مخلوق بها و الاعالي مخلوقة بها و الاداني مخلوقة بها و نسبتها الي الكل بالسواء اي نسبتها الي الجميع علي زوايا قائمة و هذا معني العدل و الجور احدي زاويتيه حادة و الاخري منفرجة لميله الي جهة فان الجور بنفسه بمعني الميل و المشية ليس فيها ذكر شئ بالخصوص اذ هي امكان فعلي بالنسبة الي الكل و الامكان لايميل الي جهة و حيث اذ الميل ليس الا بالمناسبة الخاصة و المناسبة الخاصة لاتحصل الا بفعلية مخصوصة و فعلية الامكان صرف الصلوح و الصلوح المطلق ليس له فعلية مخصوصة فتدبر و اذ لميكن له فعلية مخصوصة فلا ميل له الي شئ و جهة بل يتعلق بكل مشاء كائنا ما كان بالغا ما بلغ فمشيته تعالي عادلة اي مستوية و كذلك الامكان الجايز هو الارض الجرز و فعليته محض القابلية يعني يقبل كل امر اتاه من عند المشية بلا كلفة و كان امر الله مفعولا و من جانب المشية انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فكلما اراد الله خلق شئ يأمر بمشيته الامكان فيأتمر بما امره من دون اكراه قال الله تعالي ثم استوي الي السماء و هي دخان فقال لها و للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين و سجد له سواد الليل و بياض النهار و مثال المشية

صفحه ۱۵۰

و الامكان السماء و الارض فان السماء امكان فعل و يتحرك بحركة مطلقة بالنسبة علي الارض دايما و يشرق عليها باشراق مطلق هكذا و يمكن ان يحيي بهذه الحركة و الاشراق كل شئ و يقوم به كل شئ و الارض تقبل كل امر و تصلح لكل نبات و حيوان و معدن و جماد و بحسب اجتماع الاسباب المخصصة المرجحة ينبت منها الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب و الحيوان و منهم من يمشي علي بطنه و منهم من يمشي علي اربع و منهم من يمشي علي رجلين و كذلك المعادن المنطرقة و غيرها فلاينبغي ان يقال ان هذه الارض لولا المرجحات الخارجية تصلح للشجر اكثر من صلاحيتها للمدر و لفلان اكثر من فلان فهي عدل مستوية لا جور فيها فافهم .

فصل اعلم ان عدل الله سبحانه جارٍ في جميع ملكه ايضا فان جميع الملك علي نسق العدالة و لا جور و لا انحراف في شئ منها فان معني الجور في المقال ان يجعل شئ اكثر من شئ بلا سبب و شئ اقل و شئ اقوي و شئ اضعف و شئ اكمل و شئ انقص و لايجري ذلك في مجموع الملك لما يأتي و لايتصوّر في اجزائه فانك اذا نظرت الي ملك الله تري كل شئ في حدّه و علي حدّه كاملا في مقامه لا جور فيه و لا حيف بوجه من الوجوه و اما اختلاف المراتب و الحالات فسيظهر لك بعد انه ايضا من جهة القابليات مع انه من العدل الذي لا جور فيه فالارض كاملة في صفة الارضية واقفة في مقام الارضية حاكية للانوار و الارواح بقدر ما يليق بها و لاينبغي لها ان تقول ان الله سبحانه قد جار بي اذ لميمل بها الي جهة غير ما ينبغي لها فافهم فانه دقيق ، توضيح ذلك ان الارض المعتدلة السوي بهذه الصورة و الله سبحانه جعلها هكذا و لميحرفها عما ينبغي لارضية الارض و كذلك السماء

المعتدل هكذا و العرش المعتدل هكذا و هكذا الامر في ساير الاشياء حتي المواليد فانها و ان كانت بعضها اعدل من بعض و لكن كل واحدة منها في حد نفسها علي

ما ينبغي لها من الاعتدال فزيد في حدّ صورته مع هذه المادة التي له اعتداله هكذا و ان كان مشوّها بالنسبة الي غيره فتدبر فان فهم ذلك دقيق و يرفع بعض الاشكالات الواردة علي المسألة بعد ذلك .

فصل و كذلك نقول ان الله لميجر علي احد من عباده بان يسلّط عليه غيره فان العادل المطلق لا ظلم في ملكه مطلقا و لا غشم و ما تري من التغلبات او الافعال و الانفعالات في الملك فان جميع ذلك من فعله سبحانه لا ان لاحد غلبة علي احد فانه ليس من العدل الخلقي في التكوين كون احد غالبا علي احد و لذلك لايغلب شئ علي شئ و لايؤثر شئ في شئ بل جميع الفعل لله و المشية له كما مرّ في توحيد الافعال فلايؤثر شئ في شئ الا بالله و لايغلب شئ علي شئ الا الله نعم هو يجري فعله بالاسباب فلايجوز لاحد ان يتعرّض علي ربّه باني مخلوق مثل فلان فلمَ جعلته عليَّ غالبا فانه يقول ان الفعل لي و قد اجريت علي يديه شيئا و اجريت علي يديك شيئا ثم ان فعل الله سبحانه علي حسب حال رعيته و لايفعل بعباده الا الاصلح ، بيان ذلك انك قد عرفت ان الله سبحانه واحد احد و تجلي بتجلٍّ واحد يدل علي واحديته و لو كان متكثرا لمادلّ علي واحديته و ان دلّ علي احديته ثم ان هذا التجلي الواحد قد ظهر بشؤن مختلفة و صور متكثرة جميعها اجزاء نفسه لا انها تفاصيل قائمة بانفسها فان مثال اجزاء هذا الملك اجزاء كاس منكسر فان مجموعها كاس واحد غاية الامر ان اجزاءه متعددة مختلفة و لكل جزء صورة مخصوصة و لكل صورة مزاج مخصوص لا محالة و لكن المجموع اجزاء شخص واحد هو شخص الملك و ذلك قوله تعالي و ما امرنا الا واحدة و قوله و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر و قال ماتري في خلق الرحمن من تفاوت و قال لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فاذا كان من عند الله واحد فلا اختلاف فيه و الملك الواحد دائر علي قطب واحد هو اسم واحديته و لو كان اجزاء الملك متفاوتة لدارت كل طائفة

علي قطب مخصوص و الاقطاب وحدات متعددة و الوحدات غير الواحد بل هي معدودة فلو كانت المعدودات اسمه لدلّ علي تعدده و اذا لتفاوتت ذاته و اختلف كنهه فلا جرم الملك واحد و يدور علي قطب واحد هو الرب اذمربوب و الرب الواحد يدلّ علي الرب الاحد الذي لميلد و لميولد و لميكن له كفوا احد و اعلم ان ابي العلامة اعلي الله مقامه قال في مثل المقام قولا ينبغي ان يكتب بالنور علي وجنة الحور ، قال : لولا اتصال التدبير و انتظام التقدير لدلّ علي آلهة عديدة و لدار علي اقطاب مختلفة و الله سبحانه واحد فتجليه علي نهاية الارتباط و الانتظام و مقتضي الارتباط و الانتظام ان يكون كل جزء جزء من العالم علي نهج الحكمة و الصواب بحيث لو غيّر عما عليه لاختل النظام و فسد القوام و امثّل لك مثلا تعتبر به و لله المثل الاعلي و هو انه لو كسر كاس و تقطعت و تكثرت تجد كل قطعة منها علي هيئتها فلو وصلت بعضها ببعض لوجدتها تتصل و تصير كاسا واحدة ليس فيها

تفطر و خلل و لو غير كل قطعة منها عن وضعه لاتجدها تتصل اتصالا بلا فطور و ثلم البتة و فسد الكاس فارتباطها بلا فطور يدل علي انها قطع كاس واحدة و تفصيل اناء واحد و لو نقص عنها قطعة لثلم الكاس و لو زيد فيها قطعة لمتحتج اليها و لمترتبط بالباقي البتة و انت لو نظرت الي اجزاء العالم لوجدت كل شئ منها في موضعه يحتاج اليه في موضعه ان يكون علي ما هو عليه و هذا هو نهج الحكمة و الصواب و الصلاح و السداد و لايجري الخلق الموضوع علي الصلاح الا علي نهج الصلاح و كل شئ منه يده سبحانه في احداث ما يحدث به و يجري منه فلاتجري الامور الا علي الصلاح و لايفعل الله بعباده الا ما فيه الصلاح و هو مقتضي واحديته المتجلية بخلقه فلاتتهم ربك فيما يجري في خلقه من التقدير بسرّ التدبير كما سئل علي عليه السلام عن التوحيد و العدل فقال التوحيد ان لاتتوهمه و العدل ان لاتتهمه ، فلايفعل الله بعباده الا

الاصلح و قد روي في القدسي ان من عبادي المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فاكفّه عنه لئلايدخله عجب فيفسده ذلك و ان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا بالفقر و لو اغنيته لافسده ذلك و ان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا بالغني و لو افقرته لافسده ذلك و ان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا بالسقم و لو صححت جسمه لافسده ذلك و ان من عبادي المؤمنين لمن لايصلح ايمانه الا بالصحة و لو اسقمته لافسده ذلك اني ادبّر عبادي بعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير انتهي ، فمن عرف سرّ وحدة الخالق و وحدة التجلي و انتظام الملك و اتصال الخلق لميتهم الخالق جل شأنه في قضائه بين خلقه و اذعن بعدله سبحانه في خلق الخلق علي ما خلق ، هذا تمام كلامه اعلي الله مقامه في المقام و فيه كفاية و بلاغ و ليس فوق كلامه كلام فاعرف منه حقيقة اصلحية فعله و بيانه اعلي الله مقامه كاشف لقول امامه الصادق عليه السلام من العدل ان لاتتهمه و من التوحيد ان لاتتوهمه .

فصل من المسائل الصعبة المستصعبة مسألة الجبر و التفويض و الامر بين الامرين سيما في تكوين الاشياء و في التشريع اسهل و قد اختلفت افهام الناس في ذلك و لا بد في معرفة حقيقة المسألة من مقدمات اذكرها في مسايل :

الاولي قال الصادق عليه السلام في حديث من زعم ان الله يفعل افعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر و من زعم ان الله عز و جل فوّض امر الخلق و الرزق الي حججه عليهم السلام فقد قال بالتفويض فالقائل بالجبر كافر و القائل بالتفويض مشرك فقيل له يا ابن رسول الله فما امر بين امرين فقال وجود السبيل الي اتيان ما امروا به و ترك ما نهوا فقيل له فهل لله عز و جل مشية و ارادة في ذلك فقال اما الطاعات فارادة الله و مشيته فيها الامر بها و الرضا لها و المعاونة عليها و ارادته و مشيته في المعاصي النهي عنها و السخط

لها و الخذلان عليها قيل فلله عز و جل فيها القضاء قال نعم ما من فعل يفعله العباد من خير و شرّ الا و لله فيه قضاء قيل فما معني هذا القضاء قال الحكم عليهم بما يستحقونه علي افعالهم من الثواب و العقاب في الدنيا و الآخرة و في رواية عن ابيالحسن الرضا

عليه السلام الجبر هو الكره فالله تبارك و تعالي لميكره علي معصيته و انما الجبر ان يجبر الرجل علي ما يكره و علي ما لايشتهي كالرجل يغلب علي ان يضرب او يقطع يده او يأخذ ماله او يغصب علي حرمته او من كانت له قوة و منعة فقهر و اما من اتي الي امر طائعا محبّا له يعطي عليه ماله لينال شهوته فليس ذلك بجبر له انما الجبر من اكره عليه او اغضب حتي فعل ما لايريد و لايشتهيه الحديث ، و سئل اميرالمؤمنين عليه السلام عن القضاء و القدر فقال لاتقولوا وكّلهم الله الي انفسهم فتوهنوه و لاتقولوا اجبرهم علي المعاصي فتظلموه و لكن قولوا الخير بتوفيق الله و الشرّ بخذلان الله و كل سابق في علم الله انتهي ، حاصل الاخبار ان الجبر ان تقول ان الله اجبرهم و اكرههم علي المعصية و التفويض ان تقول ان الله وكّل امرهم اليهم و يفعلون ما يشاؤن بقدرتهم بل امر بين امرين و ليس الامر بين امرين شئ مركب من الجبر و التفويض فيثبت بذلك كلا النقصين بل الامر بين الامرين شئ ثالث غيرهما اوسع مما بين السماء و الارض و هو الاختيار و الاستطاعة الثابتة لهم بمشية الله فان قلت ان الكل بمشية الله من دون استطاعتهم فقد قلت بالجبر و ان قلت ان الكل باستطاعتهم فقد قلت بالتفويض و ان قلت ان استطاعتهم بتقدير الله و مشيته و ارادته و لا حول و لا قوة الا بالله فقد قلت حقا فاذا عرفت معناها فاعلم ان الادلة علي بطلان الجبر و التفويض و اثبات الامر بين الامرين كثيرة و انا اريد بيان حقيقة المسألة علي ما استنبطته من اخبارهم صلوات الله عليهم .

الثانية اعلم ان اصل باعث الاشكال و كثرة القيل و القال في هذه المسألة

عدم اطلاع الباحثين علي سرّ بدء الخلق و لو علم الناس كيفية البدأ و لا كيفية له لمااختلفوا و لو كشف الغطاء مااختلف اثنان فاعلم ان الله سبحانه احد كما ذكرنا مرارا و الاحد بذاته لايذكر معه غيره بنفي و لا اثبات فان النفي هو الصلوح و القوة و الاثبات هو سبب الكثرة و الاختلاف و الله منزّه عن كليهما فهو هو وحده لا شريك له واحد احد فرد صمد و لايوصف بصفة كائنة ما كانت بالغة ما بلغت اذ الصفة تشهد بنفسها باقترانها بالموصوف و الموصوف يشهد ايضا بذلك فان الصفة غير الموصوف و باقترانها به صارت صفته و الموصوف غير الصفة و صار موصوفا بسبب تلبسه بها و الاحد جل شأنه لايعدّ معه شئ غيره حتي يوصف به فان غيره خلقه كائنا ما كان اذ حق و خلق لا ثالث غيرهما بينهما و كل ما هو غير الحق خلق فلايعدّ معه حتي يوصف به و ذكر الصفات الذاتية محض مداراة و الا فكمال التوحيد نفي جميع الصفات عنه حتي الفاعلية و الخالقية و الرازقية فان جميعها صفات افعال لاتثبت الا بعد تلبس الموصوف بالفعل و انت تعلم ان الفعل ينبأ عن حركة المسمي و الله سبحانه لايكون متحركا فان المتحرك حادث مسلما و بحركة الافلاك نستدل علي حدوثها فاذا جاز الحركة علي الله يثبت له الحدوث و الله قديم فلايكون متحركا و كلما يجوز في الحدث يمتنع معناه من الازل جل شأنه فللفعل فاعل و للاسم مسمّي و للصفة موصوف و الله قديم بسيط احدي لايحدّ بشئ منها فافهم ان كنت تفهم و الا فاسلم تسلم و سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين ، فاذ لميوصف جل شانه بالصفات مطلقا و لميحدّ بالافعال فكيف يوصف سبحانه و تعالي بالجبر فان نفس الجبر يمتنع معه و كيف يوصف بالتفويض مع

ان اصله يمتنع معه تعالي عن جميع ذلك علوا كبيرا و اما في مقام الكينونة فنقول انها مظهر الاحدية و ان الاحد جل شأنه يمتنع معه ذكر جميع ما سواه كونا و امكانا فانك

صفحه ١٥٦

قد عرفت سابقا ان الاحد لايوصف بحد مطلقا فاذ لا حدّ له مطلقا فلايحدّ بالاشياء مطلقا فلايعدّ معه شئ من الاشياء مع انه تعالي لايحد بالمكان مطلقا اذ هو مأيّن الاين كما انه لايحد بالكيف اذ هو مكيّف الكيف فاذ لا مكان له تعالي فلا معني لقول ان الخلق في مكان الاحد ممتنعون و كذلك ساير ما يتكلم فيه و يسأل عنه كله لايليق به فهو المحيط بجميع امكنتهم و اوقاتهم و جهاتهم و حدودهم و حيوثهم فلا غير له مطلقا و لو في امكنة وجودهم فهو هو وحده فحيث هو لا خلق مطلقا فمَن الجابر و مَن المجبور و من المفوِّض و من المفوَّض اليه افهم و قد بيّن ابي العلامة اعلي الله مقامه نحو هذه المقدمة في كتابه المبارك المسمي بالفطرة السليمة بوجه احسن و اجمل فراجع و ما بيّنته في هذه العجالة يظهر لك حقيقته ان شاء الله .

الثالثة و قد نعبّر عن هذا المقام بالعلم الازلي الذاتي و نقول ان الله سبحانه قد علم بهذا العلم اي العلم الكينوني الازلي جميع خلقه علي ما هم عليه بما يليق بهذا العلم الذي احاط بكل شئ و وسع كل شئ و لايضل ربي و لاينسي و هذا هو المقام الذي قال الامام عليه السلام ما معناه ان الله قد علم كل شئ قبل خلقه ان لو كان كيف كان يكون و علمه اصدق من كل شئ فخلقه علي حسب علمه به فلو سأل سائل لمَ خلقتني هكذا و لماك شيئا مذكورا يقول علمت انك لو كنت كيف تكون فخلقتك علي ما علمتك ، و معرفة هذه المسألة صعبة مستصعبة و اذا عرفت حقيقة ما مضي في العلم تعرفها و بالجملة هذا مقام علم الله فيه به جميع الاشياء قبل تكوينها و يعلمها به بعد تكوينها و وسع كرسي علمه السموات و الارض و ما بينهما و ما تحت الثري و هو بكل شئ عليم فلميظلم احدا بسبق علمه بشئ غيره عليه و لميظلمهم بمحو اسمهم عن لوح علمه بل يعلم جميع الاشياء بالسواء من المبدء الي المنتهي و بهذا العلم يكونون و لو لميعلمهم كيف كان يأمرهم بامر كن

صفحه ١٥٧

و كيف يريد شيئا مع عدم علمه به و كيف كان فاعل كن نفس فاعل يكون فافهم ذلك و لاتكن من الذين يزعمون ان الله لايعلم الاكوان الا في مقام وجودها و زمان وجودها و بعدها و قبلها لايعلمها الا بالاجمال فانهم صغّروا ربهم بذلك و نسبوه الي الجهل نعوذ بالله بل علمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها بلا فرق فان عرفت حقيقته بحيث لمتشرك به و لمتقل بما يقول به وحدة الوجوديين فاشكر الله علي ما رزقك من الفهم و الا فاسلم تسلم و لاتتكلم فيما لست اهله ،

يا باري القوس بريا لست تحسنه ** * ** لاتفسدنها و اعط القوس باريها

و كذلك نقول انه لميعلم شيئا بما ليس عليه فلو علم هكذا لكان جبرا بل علم كل احد علي ما هو عليه من نفسه و ذاته و صفته و ذلك من عين العدل و كذلك لميفوّض علمه ذلك الي احد فانه لايحيط بعلمه ذلك سواه اذ لايحيط بنفس الكينونة سواه و قد قال و لايحيطون بشئ من علمه الا بما شاء اي ما تعلق به المشية و العلم الكينوني قبل المشية فلميوكّل الي

احد و لميفوّض الي احد حتي ان آلمحمد سلام الله عليهم لايعلمون هذا العلم بوجهٍ مّا و ان قلت كيف تسلب عنهم هذا العلم في مقام بيانهم مع ما قال اميرالمؤمنين عليه السلام كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكوّنين اقول فهم نفس علمه و معلومه و الله عالم بهم و نفس العلم من حيث نفسه لايكون عالما فانك اذا علمت شبح زيد مثلا لايكون الشبح عالما بل انت عالم و الشبح معلومك الذي هو علمك بملاحظة فافهم و لايجوز افشاء السر اكثر من ذلك و لو كان غير هذا الزمان لماتكفلت هذا القدر من البيان ايضا .

الرابعة اذا عرفت ما بيناه سابقا في عدله تعالي في مشيته لايبقي لك اشكال في عدم الجبر فيها و لكن من باب تمام البيان نقول ان الله سبحانه خلق

صفحه ١٥٨

المشية بنفسها كما في الخبر لا بمشية سابقة و لا ارادة قائمة سواها فانها سابقة علي كل مخلوق و بها خلق جميع الاشياء فكيف تخلق بمخلوق سابق عليها و لا مخلوق و الله سبحانه بنفسه لايكون سبب خلقها و علتها فانه تعالي احد و الاحد باحديته طوي كل علة و معلول و لايرتبط بشئ خاص حتي يصير سبب شئ و لايصدر منه شئ حتي يكون علته بل العلل بانت منه كالمعلولات و قد تجلي بكلها بالسواء و قد مرّ سابقا اشارة الي عدم كونه علة و قد كذب من زعم ان الله سبحانه كالسراج و سطع منه خلقه كالانوار و الخلق من خاصيته و قائمون بوجوده لا ايجاده و قيامه لا اقامته فان الخلق بارادته و مشيته ان شاء خلقهم و ان لميشأ لميخلقهم فانه احد و الاحد لايحدّه خاصة و لايلازمه شئ و بالجملة اذا لميكن علة مشيته فالمشية مخلوقة بنفسها و ان قلت فلمَ تقول انها مشيته و خلقه اقول عرفنا ذلك مما دلّنا عليه كونها له و دلّنا علي ذلك احاطة الاحد بها و بيان ذلك من الاسرار و ان عرفت الاشارات المندرجة في هذه الينابيع التي اجراها الله من قلبي علي قلمي ببركة الغوث الاعظم تعرف حقيقة ذلك ثم معرفة حقيقة كون المشية مخلوقة بنفسها ايضا من المشكلات و سيأتي شرحه في علم البدأ ان شاء الله و مرادي هنا محض الاشارة فاعلم ان المشية مركبة من حيثين نفس و هي العلم و الوجود و جهة الرب و انيّة و هي الماهية و جهة الطبع و عرفنا ذلك بما رأينا في آثارها فانك قد عرفت مما مضي علي نحو الاجمال في توحيد الذات في بيان بساطة الله جل شأنه ان بالافراد تستدل علي مطلقها فانا ننظر الي الاجسام الجزئية و نري كلها مركبة من مادة و صورة و نري انا اذا سلبنا عنها الصور بطل الجسم و اذا سلبنا عنها المواد ايضا بطل الجسم فان الصورة بلا مادة مثال و ظل و المادة بلا صورة شبح و ظل و الجسم مركب من مادة و صورة اذ هو جوهر قابل فالجوهر بلا قابلية لايكون جسما اذ يصدق علي الصور الخالية عن القوة و الاستعداد ايضا

صفحه ١٥٩

و القابلية بلا جوهر صرف عرض لايقوم و هو محض مثال فالجسم جسم مع بقاء التركيب فلما رأينا ذلك في الاجسام الجزئية عرفنا ان مطلقها هكذا غاية الامر انه فوق الاعراض الخاصة فصورته مطلق العرض فافهم فانه بيان شريف قلَّ من التفت اليه و

كذلك بعد ما نظرت الي المشاءات التي جميعها افراد المشية ان كنت عارفا تري جميعها وجودات مقيدة فان سلبت عنها القيد يبقي الوجود البحت و هو العلم الذي فوق المشية و المشائية و ان رأيت القيد فقط فهو وصف و عرض لايقوم الا علي جوهر و بلسان آخر نقول انه صورة و تحققها بالمادة فان الشئ قايم بمادته و صورته قيام ركن لولاهما لبطل الشئ بالمرّة و الصورة قايمة بالمادة قيام تحقق و كذلك المادة فالمشاء مشاء بمادته و صورته و اذا رأينا ذلك عرفنا ان المشية لها وجود لا محالة و قيد هو صورتها غاية الامر انها فوق القيود الجزئية فقيدها الاطلاق فقلنا انها وجود مقيد بالاطلاق فافهم و هذا معني التزييل الفؤادي الذي قالوه مشايخنا و يلوكونه الناس بين لحييهم بلا معرفة فللمشية وجود و هو وجودها و علم الله بها كما في الافراد فان وجود كل احد هو العلم الازلي به و به خلقها الله كما خلق كل موجود بوجوده فالكل مخلوق بنفسه و المشية مخلوقة بنفسها و مخلوقيتها اطلاقها فالمراد من كونها مخلوقة بنفسها ان اطلاقها ثابت بوجودها و كلها لله و اذا كانت مخلوقة بنفسها فهي هي هكذا ثابتة قائمة لله و لميخلقها الله من العدم حتي يمكن ان يتصور عدمها و وجودها بعده فتفطن و انصف منذا اجبر و ظلم المشية الثابتة القائمة السرمدية حاشا ان يكون الامر هكذا و لاتزعم ان حاصل هذه البيانات المتشابهة ان المشية لاتكون مخلوقة لله حاشا ان يكون الامر هكذا و لو زعمت هكذا ماوقفت علي مرادي و لكني اقول ان الله خلقها بنفسها في مقام وجودها و هي حادثة محتاجة و لكنها خلق هكذا فاذا كان فعلها و انفعالها بنفسها فالكل بميلها لا غير فلايفرض الجبر في مثل المقام و ان قلت يلزم من ذلك التفويض

صفحه ١٦٠

اقول التفويض فعل المفوِّض و لا فعل لله غير تلك المشية فاين التفويض مع ان المشية فانية في جنب نور الله و الله اولي بها فلايفرض التفويض بل امر بين امرين و كذلك هذه المشية محيطة بجميع المشاءات و ظهر نورها في كل شئ بحسب قابليتها علي ما سيجيء .

الخامسة اعلم ان اول مخلوق بعد المشية بها الامكان الجايز و هو من مشية الله سبحانه كالدخان من النار فلولا الدخان لماظهرت و لولاها لماحصل بل هو من المشية بمنزلة المصدر من الفعل فانه مشتق من المشية و جميع الاشياء مخلوقة منه بل اذا دققت النظر فيه تري انه حيث انفعال المشية و لذا نقول ان المشية هي الامكان الفعلي و هذا الامكان هو المفعولي و المفعول الحقيقي هو انيّة الفعل و عبوديته فعلي ذلك لاينفصل عن المشية بل حكمه ما قلنا في المشية و في الانفعال المحض لايفرض الجبر و علي فرض كونه غير المشية نقول انه نورها و النور عند منيره مخلوق بنفسه و برهان ذلك علي التفصيل يظهر بعد ان شاء الله و اجماله ان النور علي صفة منيره فان كان المنير مخلوقا بنفسه يكون النور ايضا مخلوقا بنفسه و بوجه آخر نقول ان الشئ لايكون منيرا الا بسبب انارته و انارته فعله و هو نفس اثره فلا فعل للمنير غير نفس النور حتي يخلق به و لا عمل له سواه و لذا يكون معه ما دام كونه منيرا فهو موجود بنفسه يعني اوجده المنير بنفسه لا بايجاد سوي نفسه و هذا الامر جار من الدرة الي الذرة فكل اثر عند مؤثره القريب مخلوق بنفسه و مؤثرية المؤثر نفس الاثر كما ان انيته نفس الاثرية فاذا عرفت ذلك فاعلم ان

الامكان الاول اي الوجود المقيد و الارض الجرز في جنب مشية الله مخلوق بنفسه و نفسه هذا الوجود المشهود منه و هو فيه آية الوجود الموصوف بالاطلاق في المشية و مقيديته مقام مخلوقيته و هي آية اطلاق المشية فاذا كان مخلوقا بنفسه فهو بنفسه الفاعل و بنفسه المنفعل و نفسه

صفحه ١٦١

لاتجبر نفسه البتة بل تفعل علي حسب ارادته و تنفعل علي حسب ارادته و ليس ذلك بالتفويض اذ ليس هذا الوجود المذكور الا آية الكينونة فيه و لم‌يخلق الا به فكيف يتصوّر التفويض بل امر بين امرين فافهم .

السادسة ثم خلق الله الاكوان و الاعيان من هذا الامكان بلا جبر و لا تفويض و معرفة حقيقة هذه المسألة من الامور الصعبة و لكن اعرني لبّك حتي تقف علي المراد بحول الله و بركة الحجة و اعلم ان حقيقة هذه المسألة من اسرار آل‌محمد عليهم السلام و ان ابي العلامة اعلي الله مقامه بيّن بعض اسرارها لان الناس اتوه جاهلين و غافلين فدخل المدينة علي حين غفلة من اهلها و هتك قليلا من الاستار و كشف عن بعض الاسرار و عرفوا ببركته بعض المطالب و خرجوا عن حد الجاهلية و اغلبهم اليوم عارفون ببعض الاسرار مع انهم لم‌يقفوا حدّ التسليم و لم‌يفوزوا بحدّ اليقين مع ان الشيطان غلب علي بعضهم و جلس وراء اسماعهم و اعينهم للاستراق فكلما تفوّه الانسان بسرّ من الاسرار يبادرون الي الانكار و يطلعون الاغيار علي مكنونات صدور الاخيار مع انه ينبغي ان تغطي عن الانظار و لادري هل يحسدون الناس علي ما آتاهم الله من فضله او يجحدون بها و استيقنتها انفسهم ظلما و عتوّا او كانوا منكرين قبل ذلك و ظهر احقادهم اليوم و بالجملة صار الامر الي ما صار و رجعوا قهقري الي الجاهلية الجهلاء و لذا لايقتدر الانسان علي الكشف عن اكثر المسائل كما كشف ابي مع ان ما بيّنه كان كافيا و لكن هؤلاء صرفوا الناس عن النظر اليها معتذرا بانها من المتشابهات و بالجملة فمع ما انا فيه لااتمكن من بيان المسألة واضحا نيّرا و لكني لاابخل عن الاشارة فاقول ان الله سبحانه احد علي ما مرّ سابقا و الاحد غني مطلق لايفرض له الفقر و الحاجة بوجه من الوجوه فان الفقر من الفقدان و الوجود الذاتي فعلية صرفة و الفقدان صفة الامكان و هو خالق الامكان و اذ لايكون محتاجا و لا فاقدا

صفحه ١٦٢

فلايقتضي شيئا مع ان الاقتضاء صفة الحدوث فانه لايكون الا بعد القضاء و هو فعل القبول فلا بدّ من وجود قاضٍ بقضائه قبله و ذلك محال و الله هو القاضي و وجه آخر ان الاقتضاء من الميل و الميل لايحصل الا للحادث و وجه آخر ان الاقتضاء من صفات الاضافة لايحصل الا بوجود شئ آخر فانه لا معني له بغير ذلك و لايعدّ مع الله غيره حتي يقتضيه بل هو هو و غيره ممتنع معه و لا معني لان يقال انه اقتضي نفسه و القول بذلك خطاء و من اثبت لذاته سبحانه ميلا و ارادة لم‌يعرفه ثم انا نقول ان الاقتضاء صفة و الصفة عرض لا محالة فهل تقول انه من كل جهة ذات الاحد فهو اقتضاء مطلق فيلزمك الاقرار بانه عرض فلا بد من جوهر يقوم به غيره و هذا قول لايتفوه به عاقل فهو تعالي

بنفسه لايقتضي خلق شئ و لايقتضي عدم خلق بل لايقتضي سلب صفة عنه مطلقا و ان ما نقول تعبير عما في الضمير و الا فهو سبحانه فوق معاني جميع الالفاظ المركبة كما انه فوق جميع خلقه و كذلك مشيته سبحانه فوق جميع الاقتضاءات الكونية اذ هي مقام نفي جميعها بل هي فعل مطلق و الفعل المطلق لايقتضي الا مفعولا مطلقا هو نفس مفعوليته لفاعله الاتري الي فعلك المطلق الصادر منك فانه لايقتضي الرضا و لا الغضب و لا الحب و لا البغض و لا الحلم و لا شيئا آخر مطلقا و بعد ما ظهر في القابلية البدنية ظهر بانواع الافعال و كذلك الامر في الآفاق انظر الي الشمس فان لها نورا واحدا علي لونها و صفتها و لايقتضي لونا غير ما هو عليه و لكنه بعد ما اشرق علي الزجاجات المتلونة ظهر من ورائها علي الوانها و كذلك الامر في مشية الله فانها فعل مطلق اذ هو مبدأ جميع الخلق و المبدأ واحد لا محالة و الاقتضاء لا شك انه صفة المقتضي فالمقتضي المطلق الواحد لايقتضي الا امرا مطلقا فلايقتضي المشية الاكوان المختلفة فبالنسبة اليها نقول انه لا اقتضاء لها مطلقا و كذلك الامكان بحر سيّال متشاكل و جميع الاكوان و الاعيان في قوته

و صلوحه و القوة عدم صرف فان معناها انه يمكن ان يتصور بصور مختلفة و لكن نفسه امكان لا فعلية فلايقتضي الا امرا مبهما مطلقا فالاكوان المختلفة و الاعيان الثابتة في اماكن وجوداتها لمتخلق الا باقتضاء انفسها و دعائها بألسنة قوابلها و السنة القوابل و دعواتها و اقتضاءاتها ليست الا صرف انفعالها بفعل الله سبحانه اذ لايتصور وجودها قبل الايجاد حتي تقتضي الايجاد بل هي مخلوقة بايجاد الله سبحانه و لكن انوجادها مقترن بايجاد الله و وجودها حاصل من هذا الفعل و الانفعال فهي من مشية الله كالمفعول المطلق لا المفعول به و مثال الخلق الكسر و الانكسار فان الكسر لايظهر الا بالانكسار و الانكسار لايوجد الا بالكسر فلا بدّ من وجودهما حتي يتم وجود كسرك و ظهوره بل لولا الانكسار لماكان الكسر كسرا بل هو فعل مطلق و صار كسرا بانكسار الكأس فافهم و الاسماء المختلفة للفعل جميعها بحسب الانفعالات فانك اذا ضربت احدا بالخشب فقَبلَ ضربك اي صار مضروبا يقال ضربت و الا يقال حركت الخشب ان قَبلَ الحركة و تحرك و الا يقال اردت تحريكه و لميتحرك ثم اذا وقع خشبك علي زيد و انكسر يده يقال كسرتها و ان انخدش يده يقال خدشت و ان انجرحت يقال جرحت و ان مات زيد بذلك يقال قتلته و الكل واحد من عندك و اختلف في الظهور و هكذا الامر في المقام و الفرق ان لك مفعولا به يظهر فعلك عليه بهذه الصور و نفس المفعول به مفعول حقيقي للمشية فافهم فانه مشكل و ان قلت لمَ صار مفعولها متعددا مختلفا مع وحدتها اقول حصل الاختلاف بحسب القرب و البعد من المشية فان المشية مطلقة و نورها ينفذ من غاية القرب الي ما لايتناهي بلا كيف فكلما كان في غاية القرب منها يكون اوحد و ما كان في غاية البعد صار متشققا حتي بلغ بكثرة عالم الاجسام و بعد ما بلغ الكثرة مبلغ السموات و الارض سهل الخطب في وجه تكثر الخلق علي النهج المقرر في مقامه و بالجملة فالتشقق و الاختلاف لغلبة برد

البعد و الا فاصل شعاع المشية واحد لا اختلاف فيه و ان شئت زيادة البيان فترقب حتي يأتيك بعد ان شاء الله و بالجملة فكل الخلق مخلوقون بفعل و انفعال و لايتصور الفعل بلا انفعال و لا الانفعال بلا فعل فاين الجبر و التفويض فان الجبر فعل بلا انفعال و انت عرفت انه لايمكن ذلك مع ان الله سبحانه بنفسه لايقتضي امرا و الفعل بلا انفعال ليس الا من اقتضاء الفاعل و ميله بخصوصه الي شئ و الله لايقتضي شيئا هكذا فكيف يفعل شيئا بلا انفعال ، هذا و نقول ان اصل الفعل بلا انفعال محال من المخلوق كان او الخالق فالجبر امر محال ممتنع بالمرّة و قد اشتبه الامر علي الناس حيث يتفكرون اليوم بحسب اختيارهم اني لو كنت كفلان كان احسن و لايعلم كيفية خلقه فيزعم ان الله جعله هكذا بلا انفعال منه فيقول انه اجبرني نعوذ بالله و لو عرف انه خلق بفعل الله و انفعال منه لمااتهمه بذلك فافهم فانه مشكل و كذلك التفويض ان يكون انفعال بلا فعل فانه بمعني توكيل الامر الي الخلق و ليس من الخلق الا القبول و الانفعال و القبول و الانفعال من غير فعل ممتنع فالجبر و التفويض كلاهما ممتنعان و لكن امر بين امرين و هو الفعل و الانفعال و الامر و الايتمار و النهي و الانتهاء و كذب من اخذ شيئا من الجبر و شيئا من التفويض فان القول بكل واحد منهما كفر بالله و المركب من كفرين لايكون ايمانا فتدبر و بوجه آخر ابطن من ذلك نقول ان الله سبحانه قد جعل علة كل شئ نفسه بمعني ان لمشيته سبحانه رؤسا بعدد خلق الله و رؤس المشية سرمدية لاتتصوّر حدوثها بالحدوث الدهري و الزماني فلميمض وقت من الاوقات الزمانية و الدهرية لمتكن هذه الرؤس و ليس حدوثها الا كحدوث نفس المشية فانها جميعها فروع شجرة المشية و هي الشجرة المباركة الزيتونة و العلة اذا كانت قائمة لا بد من وجود معلولها معها قال الامام عليه السلام لاتكون الارادة الا و المراد معها ، فكما ان بوجود المشية المطلقة يقوم مجموع

الملك دائما كذلك بوجود رؤسها تقوم معلولاتها في اماكن وجوداتها دائما فكل شئ مخلوق بنفسه و ثابت في مقامه دائما و اذا كان مخلوقا بنفسه فالفعل و الانفعال كلاهما بحسب طبعه و لايلزم ان لايكون الشئ مخلوقا لله بذلك فان حاصل الكلام ان حيث اعلاه فعل الله الخاص به فالله الخالق له بفعله المتعلق به فتدبر فاين الجبر و اين التفويض و لكن الاشكال و الداء العضال في ان الناس يزعمون جميع الملك هذه الدنيا و مقام الخلق هذه الارض و وقتهم الزمان و التركيب منحصرا في التراكيب الدنيوية و يرون انهم لميكونوا في زمان فتركب اجزاؤ بدنهم في زمان و يزعمون ان عدم الجبر كون الشئ باطلاعهم و ارادتهم في خيالاتهم و يزعمون انهم لميكونوا قبل هذا التركيب فلميطلعوا بخيالهم علي خلقهم و لميخيّروا امرا بارادتهم فيقولون ان الله قد ظلمنا و جبرنا نعوذ بالله و الله سبحانه اعزّ من ذلك .

فصل لما ذكرت بقاء الخلق و ثباته في مقام وجوده احببت ان ابسط هذا البيان حتي يظهر سرّه بالعيان فاجمع لبّك لعلك تعرفه ان كتب لك فاعلم انه قد ثبت بضرورة الاسلام و صريح كلمات امراء الكلام عليهم افضل السلام ان الله تعالي كامل بالفعل ليس في كماله مثل خلقه اذ الخلق لايملكون جميع كمالاتهم دائما بالفعل بل لكل خلق كمال بالفعل و قوي بحسبه فان جميع ما سوي الاحد الواجب ممكن راجحا كان او جايزا فله قوّة بحسبه حتي

ان المشية السرمدية تستفيض دائما من ربها و الفيوض الآتية كلها في قوتها غاية الامر ان الله يعطيها من نفسها و اوقاتها واحدة لا ان آتيها غير ماضيها و مرّ سابقا بيان ذلك بقدر اقتضاء هذه العجالة و اما الاحد جل شأنه فهو الواجب بكله الاحد بكله و الوجود بكله فلايفرض له قوة فهو كامل في جميع ما له بالفعل و لا شك و لا ريب ان كماله خلقه فان ذلك ايضا ثابت بضرورة اهل الحق و ان جماعة امة النبي اهل الحق و ضرورتهم متّبعة لا رأي

صفحه ١٦٦

كل مصنّف و هوي كل مؤلّف و فتوي كل مفتٍ فان من لميتبع الحق خارج عن دين الحق و عن جماعة الحقيين فاذا قال قائل ان كمال الله ذاته و صفته ذاته فذلك قول صوفي لايعتني به الا ان يقال انه كامل بالذات و كماله الذاتي ذاته كساير الصفات الذاتية و اما كماله الآئي و الوصفي فخلقه لا محالة و كل احد يعرف ان كمال الكامل غيره فانه فضل نوره و لا شك ايضا ان جميع خلق الله كماله و ذلك ايضا مما لا شك فيه فان كلها شئون الكينونة و ظهوراتها و آياتها و لذلك قيل انه ليس الا الله و صفاته و اسماؤه و في الخبر ليس الا الله و فعله و في الدعاء لايري فيه نور الا نورك ، فجميع الخلق نوره و نوره كماله و بوجه آخر نقول انهم معلومه و معلومه نفس علمه بلا شك و قد قال عليه السلام ان علمه كماله فالخلق كماله و الله سبحانه كامل احد و الاحد الكامل لايفقد كمالا يترقبه و لاينتظر جمالا يفقده فهو واجد جميعها ابدا ازلا في مقامها اذ لا شك ان الخلق لايكون في رتبة ذات الاحد فهو يجدها في مقامها العالي في علوّه و الداني في دنوّه فهو صاحب المشية و واجدها في مقامها و لاينتظر حدوث المشية لنفسه و كذلك واجد للامكان في مقامه و لايفقد كمال الامكان حيث هو ابدا و كذلك واجد للاكوان في مقامها كلا في حدّه و رتبته و قد جفّ القلم بما كان و ما يكون و هذا الامر الذي ذكرت دائم ابد فافرض ان الاكوان ثابتة في مقامها دائما علي ما هي عليه و الامكان فوقها علي الامكانية دائما و المشية فوقها و الكينونة محيطة بها و الاحد محيط بها دائما و في التمثيل و لله المثل الاعلي نقول ان السراج المشتعل معه انواره ما دام بقائه و اذا فني السراج يفني الانوار و الا فلا و اذا كان السراج قديما دائما فانواره قديمة الا ان السراج بالفرض قديم ذاتي و الانوار قديمة وصفية و القديم الوصفي مخلوق حادث لافتقاره في وجوده الي غيره فان كل قائم بغيره حادث و كل قائم في سواه معلول و ان قلت فما معني الخلق و التقدير اقول

صفحه ١٦٧

ذلك محض التعبير عما عرفه الضمير فانه لما استضاء لنا قلنا اضاء لنا فافهم و قد مرّ سابقا بعض حديث عمران فراجع حتي تقف علي بعض الاسرار فاذا عرفت ذلك فاعلم ان كل قابلية ثابتة في مقامها و حدّها و هي تسأل الاحد بلسان الحال الوجود فيفيض عليها من مشيته الوجود بقدر استعدادها فكيف يتصور في هذه الاحوال الجبر او التفويض فافهم و ان قلت كيف بالتراكيب الزمانية و انا نجد حدوثها و تجددها اقول ذلك بالنسبة الينا و نحن نسبح في بحر الزمان و نجد كل آن امرا جديدا و الا فهي بالنسبة الي الله و لا نسبة ثابتة قائمة و لا ماضي له و لا غابر و هو الآن يطلع علي ما يكون و كان و ما يأتي حاضر

لديه كما مضي و يحكي نور ربه و الله يفيض عليه و لكنا لنقصاننا لانطلع عليها الا بقدر ما شاهدناه و ليس ان الزمان يمضي علينا بل هو ثابت في مقام وجوده و لكنا نمضي فيه و كذلك الدهر لايمضي علينا بل نحن نتدرج في مقاماته فنرفع درجة بعد درجة و هذا من الامر الذي لايؤمن به الا مؤمن ممتحن و معرفة حقيقته في غاية الصعوبة و اسأل الله ان يلهمني حقها و يوفّقني علي درجه في هذه الرسالة .

فصل لما اتينا علي ما اردنا بيانه من امر الجبر و التفويض في الاكوان ناسب ان نذكر سرّ الاختيار و الاحسن ان اروي الكلام عن ابي العلامة اعلي الله مقامه فان له كلاما في حقيقة الاختيار يكشف به جلّ المعضلات قال في رسالته المسماة بلب‌اللباب : اعلم ان المختار لايكون مختارا الا ان يكون ذاته خارجة عن جهتي الاختيار صالحة للتجلي بهما و هذا هو الاختيار الفعلي او صالحة للتصور بهما و هو الاختيار الانفعالي و لايفرق بينهما الا قليل فالمختار الفعلي له قوة التجلي فهو امكان التجلي باحد شقّي الاختيار و الامكان الفعلي و اما شقّا الاختيار فهما فعليان خاليان عن القوة و الاستعداد الشخصي في عرصتهما و ان كان لهما الاستعداد النوعي و اما المختار الانفعالي فله قوة

التصور بكلا وجهي الاختيار فهي الامكان الانفعالي المقيد و امكان الانخلاق و التصور فايهما اورد عليه ليس بالذي لميكن صالحا له و لميرض به و لميتصور و لميقبل و لميمل و ليس بالذي اجبر علي ما ليس فيه و ما لميكن صالحا له و هذا هو معني اختيار الاشياء في ذواتها لا انهم كانوا ثم ترددوا بين الامرين فاختاروا احدهما فانهم لميكونوا و بهذا الاختيار يوجدون فاختيار الكاين احد الامرين هو الاختيار الفعلي كاختيار زيد القيام علي القعود فالله الاحد المستوي نسبته الي كل شئ و لا نسبة مختار باختيار ذاتي و اختياره عين ذاته الاحدية ثم تجلي بالوجود المطلق و الامكان الراجح المستوي نسبته الي كل شئ بحيث ليس شئ اولي به من شئ فجعله اختياره الفعلي لما يشاء و قدرته الفعلية علي ما يشاء ثم خلق به الوجود الجايز و الامكان الجايز المستوي نسبته الي جميع الصور الصالح لقبول كل صورة ثم اكمن مشيته و اختياره الفعلي فيه و القي مثالها في هويته فاجتمع فيه القوة الفعلية و القوة المفعولية و قد انصبغ القوة الفعلية بصبغه فيه كما ينصبغ المثال في المرآة فتقوي كل صورة كامنة فيه بذلك المثال الواقع فيها المصبوغ بصبغها الذي هو فيها كالروح في الجسد و خرجت من القوة الي الفعلية و تقوي تلك القوي مع عدم تعيّنها في بادي نظرك بذلك المثال الملقي في هويتها فلاجل ان كمال الكامل يقتضي ان يكون ما في الامكان في الكون و ما في الكون في الامكان و لايعقل ان يكون الاحد الموجود الغير المتناهي بلا كمال و لايعقل ترقبه لكمال و زيادة كماله و نقيصته و الذي ليس له بعض الكمالات ناقص قابل للزيادة و النقصان حادث و الذي ليس له كمال انقص و الله سبحانه كامل لا نقص فيه و لا نهاية فتلك الفعليات في محالّها ثابتة ابدا ليس انه خلق قوة بلا تعيّن فمكثت ثم اخرجت منها بل ذلك تعبير عن ترتّب الايجاد و مراتب الذوات فتلك الفعليات فعليات في محالها ابدا قوي في امكانها ابدا و تلك الفعليات ابدان ارواحها المثل

الملقاة في هوياتها المنصبغة في مرآتها و ليست تلك المثل الا هي من حيث الاعلي و قد خلقت بها فهي مخلوقة بنفسها في محالّها و ايّ اختيار اعظم من هذا و اكمل حيث جعل الله نفس المفعول يدا له في احداث نفسه فلاجل ذلك صارت البسايط بعد قبولها صورها مضطرة فيما اختارته و لا مقوي لساير القوي الكامنة فيها فلاتخرج من العدم الي الوجود و صارت ملكية لاجل ذلك فافهم ذلك ، اقول حاصل كلامه اعلي الله مقامه و رفع في الخلد اعلامه ان الاختيار الواقعي لايحصل لشئ الا لمن كان خارجا عن الحدود فان من كان محدودا كيف يختار في نفسه مع ان نفسه نفس ذلك الحد و هو مضطر في ذلك الحد فان التثليث مع صورة التثليث كيف يكون مختارا في اختيار غيره فانه بنفسه تثليث و لايملك غير ذاته و اما اذا كان بريئا عن الحد الخاص فهو مختار اي يختار ما يشاء ففي الحقيقة المختار هو الله تعالي لانه خارج عن جميع الحدود واحد محيط بكلها ثم جميع من دونه اختياره نسبي فاول الموجود الوجود المطلق و هو مشية الله و فعل مطلق لايخصّ مفعولا دون مفعول بل يصلح لخلق كل شئ به فهو مختار بالنسبة الي المفاعيل و ان كان مضطرا بالنسبة الي خالقه فانه مقيّد بالصلوح فلايقدر علي اختيار الحقية و الله هو الحق و لاتقولوا علي الله غير الحق ، فالمشية بالنسبة الي الله ملك لا اختيار لها و لكنها بالنسبة الي المفاعيل مختارة باختيار فعلي و كذلك الامكان مختار باختيار انفعالي و ان كان مضطرا بالامكانية و يصلح للتصور بجميع الصور المتضادة بل يصلح للمناقضات و يريد اعلي الله مقامه من قوله ثم تجلي بالوجود المطلق و الامكان الراجح الي آخر ان الامكان الجايز منبث في جميع الاكوان لا انه منفصل عنها و قد تصور بصور الاكوان فافرض الامكان كمقدار مداد كتب به الكتاب فجميع المداد في الحروف المنقوشة لا انه بمعزل عنها و المداد المطلق نسبته الي جميع الحروف

بالسواء يعني انه في ضمن كل واحد منها و فرقه مع المداد المذكور انه لميتقطع بل هو بجميعه في كل حرف و ما تقطع في الحروف ظهوره لا نفسه فتدبر و كذلك الامكان الراجح الذي هو المشية قد تعلّق بالجايز و لاينفصل عنه كالنار الظاهرة في الدخان و ليس منفصلا عنه ابدا و كذلك الامكان الجايز ايضا لايكون منفصلا عن الاكوان و الاكوان ثابتة في مقامها دائما و هي مخلوقة من الامكان ففي الامكان جميعها قوة و هو يختار في التصور بكل صورة و اما نفس الكون من حيث الكون فلا اختيار له بل هو ملك من ملائكة الله و لكنه مختار بالنسبة الي العين ، مثال ذلك ان البحر من حيث مائيته يختار التصور بصورة البحر و النهر و غيرهما و لكن صورة البحرية مضطرة في البحرية و لا حجة لها علي الله لم جعلتني بحرا لان الله جعله في قوة الماء و قد تصور الماء بصورة البحر باختياره و كذلك البحر بالنسبة الي الامواج مختار و كذلك الامواج بالنسبة الي الصور المختلفة مختارة و الماء في ضمن البحر و البحر في ضمن الامواج فافهم هداك الله الي سواء الصراط فكل شئ في مادته النوعية مختار بالنسبة الي الاشخاص و في المادة الشخصية مختار بالنسبة الي الاعراض و الصفات و هكذا ينتهي الامر الي منتهي الشخصيات و هو ملك في غاية ضعف الاختيار و اذا كان الامر هكذا فاين الجبر و لميفعل الله بعباده ما لاينفعلون به و اين التفويض مع ان الله هو الولي و هو من ورائهم محيط .

فصل و لما اتينا علي بيان الامر بين الامرين في التكوين ناسب ان نذكر سرّه في التشريع حتي يظهر بطلان الجبر و التفويض في جميع المقامات فاعلم ان الله سبحانه خلق بمشيته اول ما خلق العقل كما ورد عن النبي صلي الله عليه و آله اول ما خلق الله العقل و في خبر انه اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش و بعد ما اكمل خلقه امره بالادبار فادبر الي الروح

صفحه ۱۷۱

و منه الي النفس و منها الي الطبع و منه الي المادة و منها الي المثال و منه الي الجسم و معني ادباره تصوره بظله بصورة الاسفل ثم نزل من الجسم الذي هو سابع البسته الي العرش و منه الي الكرسي و منه الي الافلاك حتي انتهي بها جميعا الي التراب و ماتت كلها حتي صارت عظاما رميمة فامره الله ثانيا بلسان الافلاك التي هي محال مشيته بالاقبال و لما كان شاعرا في الجملة بقدر احساس امر الآمر الكوني احسّ بامر الله سبحانه فنادي ملبيا مقبلا و اول قدمه المعدنية فلما صار معدنا صار فيه المعدنية بالفعل و ساير المراتب في قوته ثم وصل اليه نداء اقبل ثانيا فصعد قدما آخر و صار نباتا ثم صعد ثالثا و صار حيوانا علي التفصيل الذي سيجيء بيانه بعد ان شاء الله ثم سار قدما و صار انسانا كونيا اي الحيوان الناطق و جميع هذه الصور في قوة العناصر و تصلح لجميعها و كل ما فعل السماء فيها انفعلت من دون كره لانها في قوتها ثم ان الانسان الكوني بمنزلة الامكان للصور الشرعية الواردة عليها فانه يمكن ان يكون مؤمنا و كافرا هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن ، فان اتصف بصفة الايمان يكون مؤمنا و ان اتصف بصفة الكفر يكون كافرا و بعد ما تمّ قابليته تجلي الله له بمشيته من الشارعين صلوات الله عليهم كما تجلي بمشيته من الافلاك و المشية واحدة لا اختلاف فيها قال الله تعالي و ما امرنا الا واحدة و بعد ما ظهرت من القوالب الكونية سميت مشية كونية و بعد ما تجلت من القوابل الشرعية سميت مشية شرعية لا ان المشية اثنتان و امر المشية الكونية القاء شعلاتها و امر المشية الشرعية اشراقاتها و يعبّر عن الاول بكُن و يعبّر عن الثاني بصَلِّ و صُمْ و امثالهما فبعد ما استعد الانسان الكوني للاستفاضة منها يقبل اليها فيتنور بنورها و يستضيء بضيائها علي حسب اقباله و جميع الصور الشرعية في قوته من اسفل المقامات الي اعلاها و تظهر فيه بحسب قبوله و اذا انكر امر الآمر الشرعي و لميقبله يظطلم بظلمة الكفر و هو قابل لكليهما

صفحه ۱۷۲

و الآمر الشرعي في امره كالآمر الكوني فان الآمر الكوني لا خصوصية له بشئ دون شئ بل فعله يجري في كل شئ و امره يتعلق بكل شئ و كذلك الآمر الشرعي امره يتعلق بكل شئ انا ارسلناك كافة للناس فكل من ائتمر بامره يستفيض بفيضه و من كفر فان الله غني عن العالمين و الشارع لايظلم احدا في قبول امره فانه آمر و الخلق قابل فافهم ذلك و ان قلت ان القبول و الردّ كله بمشية الله و لايسبق احد مشية الله فاي لوم علي من انكر و اي مدح علي من اقرّ اقول بلي كل شئ بمشية الله و لا فاعل سواه و هو يهدي من يشاء و يضل من يشاء و لايلزم من ذلك الجبر بوجه فاصغ لما اقول حتي تفوز بالمأمول اعلم ان

مشية الله علي ما عرفت سابقا واحدة و هي امكان فعلي فليس فيها تعلّق خاص بامر من الامور و الناس يزعمون ربّهم كشخص من الاشخاص و ارادته ضميره فيقدر ما يشاء بارادة خاصة منه باقتضائه فينسب اليه انه شاء هكذا و هكذا و الامر بعكس ذلك فانه بذاته لايخص شيئا و لايقتضي شيئا و فعله ايضا مطلق و لايخص شيئا و قد تعلّق بالمفاعيل و انصبغ بصبغها فهو الذي وفقك علي فعل مطلق فان ذهبت الي الايمان تذهب بتوفيقه و ان ذهبت الي الكفر تذهب بمشيته و هي خذلانه و انما مثلنا كمن جلس سفينة و خيّره ربانيها في المسير الي طريق نجات و طريق هلاك فاختار طريق الهلاك فسار بها اليه و ليس ذلك الا باختياره و ان كان هو عاجزا عن التصرف في السفينة و اجرائها علي الاستقامة و غيرها فافهم فالمشية المتعلقة بمن اهتدي هادية له و المشية المتعلقة بمن ضلّ مضلّة فهو يهدي من يشاء الي صراط مستقيم و هو يضل من ضل و من يهدي من اضل الله و كذلك النبي المنذر المبشر ينذر و يبشر و يهدي بمشية الله المنصبغة فيه فالله الهادي و انك لاتهدي من احببت و لكن الله يهدي من يشاء فتدبر حتي تقف علي المراد ان شاء الله و من ذلك اعرف ان لله مشيتين مشية محبوبة و مشية مبغوضة و المشية المبغوضة تسمي بخذلان الله

و ربما نقول ان الايمان من فعل الله و امره و الكفر ليس من فعله و امره و مرادنا ان امر الله الشرعي ليس امر كفر او انه بنفسه لايكون امر كفر بل هو امر رشاد و لكن في بطن القابلية انصبغ بصبغ الكفر فعن المفضل عن ابيعبدالله عليه السلام قال لا جبر و لا تفويض و لكن امر بين امرين قال قلت ما امر بين امرين قال مثل ذلك مثل رجل رأيته علي معصيته فنهيته فلمينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لميقبل منك فتركته كنت انت الذي امرته بالمعصية و عن الرضا عليه السلام و قد ذكر عنده الجبر و التفويض فقال الاعطيكم في هذا اصلا لايختلفون فيه و لاتخاصمون احدا الا كسرتموه قالوا ان رأيت ذلك فقال ان الله عز و جل لميطع باكراه و لميعص بغلبة و لميهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم و القادر علي ما اقدرهم عليه فان ائتمر العباد بطاعته لميكن الله عنها صادّا و لا منها مانعا و ان ائتمروا بمعصيته فشاء ان يحول بينهم و بين ذلك فعل و ان لميحل و فعلوه فليس هو الذي ادخلهم فيه ثم قال عليه السلام من تضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه ، و في هذين الحديثين كفاية و بلاغ ، فحاصل الكلام ان الله سبحانه خلق الخلق و وفقهم بتقديره علي كل صفة و الشارع صلوات الله عليه امرهم و نهاهم فمن آمن به و صدّقه صار مستحقا للنعيم و ذلك بمشية الله و محبته و رضاه و من لميصدق به صار مخالفا و ذلك بمشية الله و سخطه و غضبه و اما ما ورد ان الخير لله و منه و الشر من نفس الانسان فبيانه يقتضي رسم فصل خاص .

فصل اعلم ان الله سبحانه خلق اول ما خلق مشيته علي ما عرفت سابقا و ركبها من قبضتين لا بمعني انهما اثنتان بل هما في غاية الاتصال في المنظر و هما قبضتا انيتها التي هي علي خلاف كينونة الله و روحانيتها التي هي ظهور كينونة الله و آيته فيها فانيتها طبيعتها و روحانيتها نفسها التي خلقها الله

بها الاثري انه يقال ان المشية هي الوجود المطلق فوجودها حيث الكينونة و اطلاقها حيث الطبيعة و الصورة فانه حدّها و صورتها و هي علي خلاف كينونته عز و جل اذ الكينونة منزهة عن الاطلاق و التقييد و صورة المشية الاطلاق فلما كان الوجود حيث كينونة الله يكون نورا و خيرا و لما كان انيتها علي خلاف الكينونة تكون ظلمة غاية الامر ان ظلمة المشية علي حسبها فانا لانريد من الظلمة في جميع المقامات الكفر و الفسق نعوذ بالله بل صرف القيد عندنا ظلمة مخالفة للاحدية ثم لا شك ان الكينونة لله و لذا نقول كينونة الله لا كينونة غيره اذ ليس لنفس الكينونة جهة ظلمة بالمرّة فكلها لله و في الله و من الله و الي الله فلاتحكي الا عن الله و كلما يصدر منها ينسب الي الله و اما الاطلاق فهو مقام العدم و الفقدان و الامكان و لاينسب الي الله و ان كان عبدا مخلوقا و رقّا مرزوقا فجميع ما منه من صفات الفقدان راجع اليه لا الي الله الاثري انك تصف ربك بصفات وجودها فتقول هو ثابت قيوم كاين مكوّن و لاتصفه بصفة اطلاقها فلاتقول انه عادم مبهم كلي صالح افهم ذلك فانك لاتجد هذه المسألة بهذا الوضوح في كتاب و اما ما يقال ان المشية مطلقا اسم الله و فعله و آيته فذلك بملاحظة ان وجودها لايفارق اطلاقها و هي الصورة الحاصلة من تركيب الوجود و الاطلاق و لو فارق وجودها علي فرض المحال اطلاقها لصار الاطلاق ممتنعا صرفا و لما كان الامر هكذا يقال انها فعل الله مع انها في غاية البساطة كما اشرنا اليه فكان حكم تركيبها زايلا و وجودها عين ماهيتها و بالعكس ثم ان الله سبحانه خلق جميع ما خلق من شعاع مشيته المركبة و لا شك ان النور علي صفة المنير فجميع الكاينات ركبت من نور و ظلمة و وجود و ماهية لان المنير هكذا فلها وجودات نشوها من وجود المشية و ماهيات نشوها من ماهيتها غاية الامر ان القوابل الكونية حكت هاتين المرتبتين علي ما ينبغي للاكوان من الخصوصيات ففي كل كون وجود علي حسبه و هو

آية نفس المشية و العلم و ماهية علي حسبه و هو آية الاطلاق و الاطلاق في القابلية المخصصة مقيد لا محالة و ان كان له ايضا اطلاق بالنسبة و لكنه بالنسبة الي اطلاق المشية مقيد و لذلك قلنا ان الاكوان وجودات مقيدة و كذلك الامر يجري في الاعيان و قد يعبّر عن هذين بالنور و الظلمة فالنور حيثه اي الموجود الي الكينونة و ظلمته حيثه الي نفسه و هي طبيعته و هو روحه و في القدسي يا آدم روحك من روحي و طبيعتك علي خلاف كينونتي ، فجميع ما هو صفة كمال و خير و بركة من وجودات الاشياء و جميع ما هو صفة شرّ و فقدان من الماهية و الوجود لله فكلما منه لله و الماهية علي خلاف كينونة الله فجميع فعلها ايضا راجع اليها افهم ذلك مع ان الكل بمشية الله و العبد لايملك من نفسه شيئا و امثّل لك مثالا و هو ان الشعلة المرئية مركبة من نارية و دخان فجميع نورها و شعاعها و حرارتها من النار و جميع ظلمتها و غلظتها من الدخان فما من النار نازل من عندها و ما من الدخان صاعد منه الي نارية الشعلة مع ان اصل نارية الشعلة من النار الغيبية و الدخان بما فيه حاصل من حرارة النار فلولاها لماحصل دخان و ان لميحصل دخان كيف يصدر منه فعل و كذلك رؤية الدخان بالنار و مشاهدة فعله ايضا بواسطة

ضوء النار فافهم فلذلك يقول عليه السلام في الدعاء خيرك الينا نازل و شرّنا اليك صاعد و اما بملاحظة ان الكل بتقدير العزيز الخبير يقول طوبي لمن اجريت علي يديه الخير و ويل لمن اجريت علي يديه الشر ، فتدبر فانه مشكل و لما اتينا علي هذا البيان الشريف لا علينا ان نبين حقيقة حصول الشقاوة و السعادة ايضا فان معرفة هذه المسألة ايضا في غاية الاشكال .

فصل اعلم ان الاخبار في المقام مختلفة فمنها ما يدل علي ان الشقي من شقي في بطن امه و السعيد من سعد في بطن امه و منها ما يدل علي ان السعادة و

الشقاوة بعد التكليف لا قبله و منها ما يدل علي انهما من عالم الذر فاعلم ان السعيد في الواقع و الحقيقة من سعد باتباع النبي صلي الله عليه و آله و الشقي من شقي بمخالفته و لاتتعلقان بذوات الاشخاص قال الله تعالي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و قال حكاية عن ابرهيم عليه السلام من تبعني فانه مني و قال فمنهم شقي و سعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و شهيق و اما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها و لا بد لنا من بيان هذه المسألة بطريق الايجاز و الاختصار حتي يقف الناظر علي الحق ، فاعلم ان الله سبحانه اذا اراد خلق عبد يجري الاسباب حتي يدخل نطفة ابيه في رحم امه فيخلق الانسان في الرحم من نطفة امشاج علي الوضع المعلوم المذكور في مقامه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسي العظام لحما ثم ينشأه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين و في جميع الحالات هو خلق صالح للخير و الشر و السعادة و الشقاوة ثم يكون وليدا و رضيعا و فطيما و دارجا *اذا دب و نما* .

و خماسيا *اذا بلغ خمسة اشبار* .

و مثغورا *اذا سقطت رواضعه* .

و مثغرا *اذا اثغر* .

و مترعرعا *ما جاوز عشر سنين* .

و ناشئا *اذا جاوز حدّ الصغر* .

و مراهقا و يافعا *ما قارب عشرين سنة* .

و ما لم‌يبلغ الحلم لايجري عليه حكم السعادة و الشقاوة بالذات و ان جري عليه حكم والديه و لكنه اذا مات في بعض هذه الاحوال لايحشر كافرا و لا مؤمنا و في القيمة يكلف بالدخول في نار الفلق و لو كان مصوّرا بصورة الكفر و الايمان كان كالبالغين هذا و نري ان الانبياء يبشرون و ينذرون و يحمدون علي الايمان و يلومون علي الكفر و لو كان الطفل في رحم امه متصورا بالسعادة و الشقاوة لصار التبشير و الانذار لغوا و الحمد و اللوم عبثا ، هذا و الايمان و الكفر صفة الفعل فما لم‌يعمل الانسان لايسمي عاملا فان كان عمله ايمانا يسمي مؤمنا و ان كان كفرا يسمي كافرا و لا عمل في الرحم و العمل ايضا لا بد و ان يكون عن عقل

فان الله سبحانه لايخاطب سواه و لايكلف عداه و الحيوان لايكون عمله مناط الكفر و الايمان فما لميتعلق به العقل لايسمي مؤمنا و لا كافرا و ذلك مما قام به ضرورة الاسلام فليس المراد من الام في قوله عليه السلام السعيد من سعد في بطن امه الخ ، الام الدنياوية و ان قلت ان المراد من ذلك قابلية الجنين فان من خلق للسعادة يسمي سعيدا و من خلق للشقاوة يسمي شقيا و كل ميسر لما خلق له اقول لا شك ان الامر لو كان هكذا لمادعا الانبياء من عرفوا انه خلق للشقاوة و لميكن لهم و لا لله حجة عليه اذ خلقه الله هكذا و لميك شيئا و بالدليل الكشفي العياني نقول ان السعادة هي صفة السعداء و هي الايمان و الايمان هو التصديق و الاقرار بما جاء به الانبياء سلام الله عليهم و الشقاوة خلاف ذلك و الطفل في رحم الام بل بعد الولادة لميتصف بهما و هما في قوته لا محالة فان كل شئ فيه معني كل شئ و نطفته خلقت من هذا التراب الذي يصلح لكل شئ فصورة السعادة التي هي صفة عليين في كمونها و كذلك الشقاوة بل جميع الصفات و السمات في قوتها نعم القوة ربما تكون قريبة و ربما تكون بعيدة و لكن بالقوة القريبة ايضا لاتوصف الشئ بفعليتها الاتري الي الدخان فان النار في قوته القريبة و الماء في قوته البعيدة و هو لايوصف بهما مطلقا لان ما هو منه بالفعل الدخانية و كذلك حال النطفة و ان كانت قريبة بالسعادة لجهات الا انها لاتوصف بها فلايجوز ان يقال لاجل القوة انها سعيدة او شقية كما ان زيدا لايوصف بالكاتبية بمحض القوة الا بعد تحصيل ملكتها فليس معني السعادة في بطن الام ذلك ايضا و لكن معني ذلك علي الحقيقة يقتضي بيانا خاصا فاعلم ان الوالدين اثنان والد البدن الكوني و والد الانسان الشرعي و كذلك الوالدة و الكفر و الايمان و السعادة و الشقاوة من صفات الشرع و لاتتعلق بالكون بلي في مقام الكون سعادة و شقاوة بحسبه فان السعيد الكوني من كان بشرا سويّا و شقيه بالعكس و اما

السعيد و الشقي الشرعيان فمن سعد او شقي بالولادة الشرعية لا غير فبعد ما تمّ البدن الكوني الذي هو بمنزلة القابلية للانسان الشرعي يحضنه الاب و الام الشرعيان فيكلفه الاب الشرعي بالقاء نوره عليه فيتنور بنوره و يتصور بصورة الايمان و الكفر في رحم الولاية و فيها يختلف الصور كما قال صلي الله عليه و آله لا اختلاف في الله و لا فيَّ و لكن الاختلاف فيك يا علي ، و قال الله تعالي يصوركم في الارحام كيف يشاء فالسعيد من تصور بالسعادة في بطن ام الولاية و الشقي من شقي في بطن ام الولاية لا غير فافهم قال ابو عبدالله عليه السلام ان الله خلق خلقه جميعا مسلمين امرهم و نهاهم و الكفر اسم يلحق الفعل حين يفعله العبد و لميخلق الله العبد حين خلقه كافرا انه انما كفر من بعد ان بلغ وقتا لزمته الحجة من الله فعرض عليه الحق فجحده فبانكاره الحق صار كافرا الحديث ، و اما بيان ذلك علي التفصيل فله مقام غير هذا المقام .

تنبيه سئل موسي بن جعفر (ع) عن معني قول رسول الله صلي الله عليه و آله الشقي من شقي في بطن امه و السعيد من سعد في بطن امه فقال الشقي من علم الله و هو في بطن امه انه سيعمل اعمال الاشقياء و السعيد من علم الله و هو في بطن امه انه سيعمل اعمال السعداء قيل له فما معني قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسّر لما خلق له فقال ان الله عز و جل خلق الجن و الانس ليعبدوه و ذلك قوله عز و جل و ماخلقت الجن و الانس الا

ليعبدون فيسّر كلا لما خلق له فالويل لمن استحب العمٰي علي الهدي . اقول قد بيّن و اوضح عليه السلام ان السعادة و الشقاوة ليستا في رحم الام الظاهرية و لكن الله سبحانه يعلم بكل شئ قبل وجوده و بعده فان الاشياء برُمّتها معلومة لله قبل ان تكون مشاءة مخلوقة قال الله تعالي هل اتي علي الانسان حين من الدهر لميكن شيئا مذكورا قال الامام عليه السلام في معناه كان شيئا و لميكن مقدرا مذكورا فهو سبحانه يعلم بعلمه الازلي كل شئ في مقامه و حدّه علي ما ينبغي لازله

و لايعتريه الزوال و لايعرضه تغيّر الاحوال و علمه بها قبل كون الاشياء كعلمه بها بعد كونها و قد مرّ سابقا بيان العلم بوجه شافٍ و طرز كاف و ان احببت الاطلاع عليه فراجع فالله سبحانه يطلع علي زيد قبل كونه في صلب ابيه و قبل كونه في رحم امّه و يعلم سعادته و شقاوته و حالاته و ما يعرض عليه الي آخر عمره و حشره و نشره فالسعيد سعيد في علم الله قبل كونه و ان لميسعد و هو يعلم انه سيسعد و هكذا و قد خبط من زعم ان الله لايعلم الشئ قبل وجوده في الزمان بالتشخص فان ذلك قول من لميطلع علي حقيقة علمه سبحانه و اما قوله عليه السلام في شرح : كل ميسّر لما خلق له ، فبيان لصلاحية كل احد لعبادة الله سبحانه فان الله سبحانه خلق جميع الخلق للعبادة كما اشعر بذلك في محكم كتابه و كلهم يقوون علي العبادة فانها ليست الا مما هو من شان الانسان فكل ميسر للعبادة فافهم ذلك و اتقنه فاذا عرفت ذلك فاعلم ان السعادة و الشقاوة اختيارية فان المجبور من كان له اقتضاء خاص من صورته التي هي عليها فيقهرها قاهر علي صورة غير ما هو عليه مع انه لميكن في قوته ذلك و اما اذا كان شئ صالحا للتصور بشيئين او اشياء و صوّره المصوِّر بصورة منها فلايكون ذلك جبرا مثال ذلك التراب مثلا فانه يصلح للفخار و اللبنة فاذا صاغه المصوِّر علي صورة منهما لايكون ذلك جبرا بل هو امر بين امرين فافهم ، هذا و الايمان و الكفر و السعادة و الشقاوة بعد التكليف و العقل و الله سبحانه يهدي العبد و يضلّه باختياره عن عمد و شعور فاذا شاء السعيد ان يرجع شقيا يمكنه ذلك و ان شاء الشقي ان يرجع سعيدا يمكنه ذلك و ليستا الا كساير صفات الانسان من علمه و جهله و قيامه و قعوده فتدبر و لما اتينا علي مجمل من امر السعادة و الشقاوة لا علينا ان نذكر شطرا من امر الاستطاعة .

فصل قد اختلف مذاهب الناس في امر الاستطاعة فبعضهم ذهب الي ان العبد

يستطيع علي شئ مطلقا و كل فعله منه و بعض زعم انه لا استطاعة له مطلقا اقول ان ذلك ايضا متفرع علي ما بيّناه سابقا و نزيد بيانا علي ما مضي ان الله سبحانه واحد في ذاته و صفاته و افعاله و لا شريك له فيها و من اشرك به في واحدة منها لميعرفه و اشار الي غيره و قد كان قبل الكون و الامكان و الآن علي ما كان و لايغيّره الدهور و الازمان و تجلي اول ما تجلي بلا كيف لمشيته بنفسها اي خلقها في مقام وجودها و حدّ شهودها و هي فعله المطلق و النور المشرق و الضياء اللامع و الشعاع الساطع قد اشرق من صبح الازل و لاح علي هياكل التوحيد و مظاهر التفريد اي الاكوان آثاره و سطع منها انواره

بل هي انواره و هو المنير المؤثر لجميعها و هو بمنزلة الفعل المطلق منك و الخلق كصفاتك و اعمالك فان جميعها آثار فعلك المطلق و ظهوراته و قد اختلفت بحسب القوابل المختلفة و ما امرنا الا واحدة فقيامك بنفسه اثر فعلك و استقامته و اعوجاجه ايضا اثر فعلك و مشيك اثر فعلك و بطوء و سرعته ايضا اثر فعلك و الاثر قائم بمؤثره قيام صدور فهل يمكن او يعقل او يجوز ان يقال ان قيامك او بعض صفاته قائم بنفسه من دون فعلك ان هذا الا اختلاق فانه ليس لك صفة مطلقا الا بفعلك و كذلك الامر في المقام و لله المثل الاعلي فان جميع الملك آثار فعله سبحانه و ليس الا الله و نوره و فعله و جميع الاشياء قائمة بمشية الله و ان من شئ في الارض و لا في السماء الا بسبعة بمشية و ارادة و قدر و قضاء و اجل و اذن و كتاب فانت بنفسك اثر مشيته و فعلك ايضا اثر مشيته و عوارض فعلك ايضا اثر مشيته و جميع الاشياء بقضاء الله و من اعجب العجاب قول من يقول بعدم مخلوقية الفعل اي فعل العباد و تأويلهم ما ورد من الاخبار الدالة علي ان كل شئ بقضاء الله ان القضاء بمعني الاعلام و ذلك بانهم لميعرفوا ربهم فهم لامره منكرون و لكن الحق ان كل شئ مخلوق لله و مع ذلك لايلزم جبر ابدا و بالجملة

فجميع الاشياء و ما يتعلق بها كلها مخلوقة لله بفعله فان قلت ان العبد مستقل باستطاعته علي العمل اخطأت فان الاثر بنفسه لايستطيع علي شئ و ان قلت انه شريك لمشية الله سبحانه فقد احلت لان الاثر بنفسه لايقوم مع مؤثره حتي يشاركه في امره و ان قلت انه لايستطيع علي شئ فقد احلت فان الخلق آثار مشية الله و المشية تستطيع علي كل شئ فانها امكان كل شئ بالامكان الفعلي و الاشياء جميعها ايضا امكانات فان الاثر يشابه صفة مؤثره لا محالة الاتري الي انوار السراج انها جميعها ضيئة مثل السراج ملوّنة بلونه حارة مثله و كذلك الامر في الاشياء و لذا تري ان جميعها قادرة متحركة حيّة فاعلة و هكذا بحسب قربها و بعدها من المشية و مع ذلك لايستقل شئ منها باستطاعته بل استطاعته قائمة بمشية الله كما ان وجوده قائم بمشية الله و اعلم ان الاستطاعة بمعني الطاقة و هي القوة علي العمل و الله قد جعل لكل انسان قوة علي العمل ثم كلفه دون طاقته و لاينبغي نسبة الاستطاعة الي الله كما فعل النصاري حيث قالوا هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء فانها قوة و الله منزه عنها بل هو القادر بالفعل و لذا قال الامام عليه السلام ليس الاستطاعة من ديني و دين آبائي و انا اتبرك بذكر حديثين شريفين في المقام ليظهر معناها و ما يجوز منها و ما لايجوز ففي العوالم من كتاب لابيعبدالله عليه السلام الي عبدالرحيم القصير كتبه علي يدي عبدالملك بن اعين و سألت رحمك الله عن الاستطاعة للفعل فان الله عز و جل خلق العبد و جعل له الآلة و الصحة و هي القوة التي يكون العبد بها متحركا مستطيعا للفعل و لا متحرك الا و هو يريد الفعل و هي صفة مضافة الي الشهوة التي هي خلق الله عز و جل مراتبه في الانسان فاذا تحرّكت الشهوة في الانسان اشتهي الشئ و اراده فمن ثَمّ قيل للانسان مريد فاذا اراد الفعل و فعل كان مع الاستطاعة و الحركة فمن ثم قيل للعبد مستطيع متحرك فاذا كان الانسان ساكنا غير مريد للفعل و كان معه الآلة و هي القوة و الصحة

اللتان بهما تكون حركات الانسان و فعله كان سكونه لعلة سكون الشهوة فقيل ساكن فوصف بالسكون فاذا اشتهي الانسان و تحركت شهوته التي ركبت فيه اشتهي الفعل و تحرّك لقوة المركبة فيه و استعمل الآلة التي يفعل بها الفعل فيكون الفعل منه عند ما يتحرّك و اكتسبه فقيل فاعل و متحرك و مكتسب و مستطيع اولاتري ان جميع ذلك صفات يوصف بها الانسان و فيه مرّ اميرالمؤمنين عليه السلام بجماعة بالكوفة و هم يختصمون في القدر فقال لمتكلمهم بالله تستطيع ام مع الله ام من دون الله تستطيع فلميدر ما يرد عليه فقال اميرالمؤمنين عليه السلام ان زعمت انك بالله تستطيع فليس اليك من الامر شئ و ان زعمت انك مع الله تستطيع فقد زعمت انك شريك معه في ملكه و ان زعمت انك من دون الله تستطيع فقد ادعيت الربوبية من دون الله تعالي فقال يا اميرالمؤمنين لا بل بالله استطيع فقال اما انك لو قلت غير هذا لضربت عنقك ، و في هذين الحديثين الشريفين كفاية و بلاغ عن جميع الاشكالات .

فصل لما ان فرغنا من بيان كليات ما يتعلق بتوحيد الافعال ناسب ان نذكر شطرا من امر البداء فانه ايضا من امهات المسائل و لا شك ان الله سبحانه يبدو له في امور بل بدا له في امور عظيمة كالامامة و غيرها و ماعبد الله بشئ مثل الاقرار بالبداء و لا بدّ لتنقيح البيان من ذكر مقدمات :

الاولي قد ظهر مما مرّ سابقا ان الله سبحانه ذات احدية قديمة لايعتريه تغيّر الاحوال و لايعترضه الحدوث و الزوال و لايجري عليه شئ مما اجراه في خلقه و لايغيّره عما هو عليه شئ من ارادته بل هو هو وحده احدي ابدي سرمدي فلايبدو له في ذاته شئ ابدا بل لايشاء في ذاته بالمشية الاولية شيئا فضلا من ان تتغيّر مشيته علي خلاف ما زعم الزاعمون ان ارادته ذاتية ثم ان الله سبحانه تجلي الي علمه الازلي الكينوني و هو اللوح عند الله و قد احاط

بجميع ما كان و ما هو كاين من الامكانات و الاكوان و قد ثبت في علمه هذا ما شاء و اراد و بدا له او لميبد له و ليس هنا محل البداء بوجه فانه لايضل ربي و لاينسي ثم خلق بعلمه هذا مشيته كما مرّ سابقا و هي واحدة واحدية المعني سرمدية لاتتغير و لاتتبدل و لاتتخصص بل هي صرف امكان الاشياء اي الامكان الفعلي و في الامكان غير المكوّن المعيّن لايحتمل حدوث شئ خاص فضلا من تغييره هذا و هي سرمدية و جميع السرمد نقطة واحدة لايمضي عليه الاوقات و لايعتريه الحالات فكيف يعرضه البداوات بل هو فعل مطلق صرف بحت بات انظر الي فعلك الذي هو آية فعل الله فيك هل هو الا فعل مطلق غير مقيّد بانواع افعالك و شؤنها و بعد ما تجلي في اعضائك و مشاعرك حدث ضرب و نصر و اكرم و علم و فهم و غير ذلك و في مراتب التجليات يمكن تبدل الضرب بالاكرام و النصر بالاهانة و اما في مقام الفعل فالكل فعلك و هو امكان الجميع فلايتغير عما هو عليه الا بحسب التجلي فيما تجلي به لا غير و كذلك الكلام في نفس الامكان الجائز الذي هو بمنزلة المداد للاشياء التي هي بمنزلة الحروف و الكلمات للكتاب الكوني

فانه بنفسه امكان صرف و ليس له اختصاص بخلق دون خلق و صلوح بحت فلا تعيّن له باحد دون احد فافهم ذلك فانه دقيق و بالتدقيق فيه حقيق و قد اخذ الله منه بقلمه الاول و كتب حروف الكاينات فلا بداء في المقام من حيث نفسه ايضا الا بالنظر الذي سيجيء بيانه فان البداء في مقام التعينات ثم ان الاشياء في درجاتها و مقاماتها بعضها مما خرج من تحت القضاء و امضي فذلك ايضا مما امضي و لا بداء في وجوده فان زيدا بعد ما خلق صار موجودا و لايمكن ان لايكون موجودا بعد الوجود و ان كان يمكن حصول البداء فيما يتعلق به من بقائه و دوامه و ساير اعراضه و كل ما وجد منها ايضا لا بداء في وجوده بل يحصل البداء لله تعالي في ابقائه فمعني البداء في امثال ذلك بعد الوجود ازالتها و ابقاؤها لا عدم ايجادها .

الثانية روي عن ابيالحسن الاول عليه السلام لايكون شئ في السموات و الارض الا بسبعة بقضاء و قدر و ارادة و مشية و كتاب و اجل و اذن فمن قال غير هذا فقد كذب علي الله او ردّ علي الله و سئل العالم عليه السلام كيف علم الله قال علم و شاء و اراد و قدّر و قضي و امضي فامضي ما قضي و قضي ما قدر و قدر ما اراد فبعلمه كانت المشية و بمشيته كانت الارادة و بارادته كان التقدير و بتقديره كان القضاء و بقضائه كان الامضاء فالعلم متقدم المشية و المشية ثانية و الارادة ثالثة و التقدير واقع علي القضاء بالامضاء فلله تبارك و تعالي البداء فيما علم متي شاء و فيما اراد لتقدير الاشياء فاذا وقع القضاء بالامضاء فلا بداء فالعلم في المعلوم قبل كونه و المشية في المنشأ قبل عينه و الارادة في المراد قبل قيامه و التقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها و توصيلها عيانا و قياما و القضاء بالامضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الاجسام المدركات من ذي لون و ريح و وزن و كيل و ما دبّ و درج من انس و جن و طير و سباع و غير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تبارك و تعالي فيه البداء مما لا عين له فاذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء و الله يفعل ما يشاء الحديث ، بيّن عليه السلام في هذا الحديث الشريف ان البداء قبل الامضاء و اما بعد الامضاء فلا بداء و قد ظهر لك مما بيّنا ايضا ان البداء فيما يمكن فيه وجود الشئ و اما المشية فهي صرف صلوح الفعل و هي الذكر الاول و لاتختص بشئ دون شئ حتي يقال انه بدا لله في كذا و كذا فيها فما معني ما روي و كذلك لا شك في وحدانية المشية فما معني اربعية الفعل و سبعيته اذ روي في الابداع و المشية و الارادة ان الفاظها متعددة و معناها واحد و لا بدّ من تفصيل في الجملة لتبيين ذلك فاقول ان المشية بنفسها واحدة و يدل علي ذلك اخبار كثيرة و هي امكان لكل شئ مادتها الامكان الفعلي لكل الاشياء و صورتها الامكان الراجح الانفعالي لجميع الاشياء و لا بد لتمام خلق المشية من فعل

و انفعال و ابان عن ذلك قوله عليه السلام خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشية ، فلها حيث فعل و انفعال و لما كانت بتمامها الذكر الاول و هو الامكان و الصلوح فاعلاها الامكان الفعلي و اسفلها الامكان الانفعالي ففي مقام ذاتها ليس شئ سوي نفسها و هي هي و قد تجلت في ظهوراتها و فيها تعددت مراتبها و اوليٰها سميت بالمشية و الثانية

بالارادة و الثالثة بالقدر و الرابعة بالقضاء و هو مقترن بالامضاء و قد مرّ سابقا بعض الاشارة و ازيدك ايضاحا للبيان ان جميع هذا الملك تفاصيل مشيته و شؤنها و قد تجلت حتي ملأت اصقاع الغيب و الشهادة و لا شك انها مركبة من غيب و شهادة و فعل و انفعال ففعليتها التي هي غيبها ظهرت في اعالي الملك اي غيبه و انفعالها ظهر في الاسافل اي شهادته و لذا صار الغيب يد التقدير في ايجاد الشهاديات و الشهادة مقام الايتمار و الانفعال و كليات مراتب الغيب اربع الفؤاد و العقل و الروح و النفس و مراتب الشهادة بازائها اي هي ظواهر الغيوب فانه لا غيب الا بالشهادة فبازاء الفؤاد الطبيعة و هكذا الي الجسم فالمشية بعد ما ظهرت بالفؤاد ظهرت بالذكر الاول و الهمة فانه مقام الامكان الصرف و الارض الجرز و لا ذكر لشئ من الاكوان و الاعيان فيه الا بالصلوح و الاجمال فهو في غاية الاجمال و لذلك لميغير جلوة المشية عما هي عليه و بعد ما ظهرت في العقل تعيّنت في الجملة بالمعنوية لانها لون العقل فصارت اقرب الي التعيّن و الامضاء فصارت مقام العزم و العزم بعد الهمّة مسلما و هو الثبوت علي الشئ و اتمام علي المشية و ظهورها في الروح صار تفصيله اكثر و هو البرزخ بين القضاء و الارادة و هو مقام القدر اي الهندسة و تقدير الشئ من طوله و عرضه و غير ذلك و المقام الرابع مقام ظهورها في النفس و هي مقام تمام الشئ و ابرامه و به يكون الامضاء فيتم بهذه الاربعة خلق غيب الشئ و يكمل و لا شك ان ظهور المشية في كل مرتبة دنيا بواسطة علياها و لذلك قال

عليه السلام ان الارادة مخلوقة بالمشية و القدر بالارادة و القضاء بالقدر ، فاربعية مراتب المشية في هذه المقامات لا في نفسها كما انك في نفسك تهمّ علي فعل شئ و لا اختلاف في همّك بوجه و لكن بعد ما ظهر همك في مشاعرك البرزخية يظهر بالعزيمة و بعد ما ظهر في حسّك يظهر بالهندسة فتتصور شئون فعلك و جهاته فتخرجه من الباطن الي الظهور فتدبر ثم لا شك ان الظهور تمام البطون و الظاهر عنوان الباطن فالمراتب الغيبية ظهورها في عرصات الشهاديات اذ هي انفعالاتها و انيّاتها فالفؤاد ظاهر في الطبيعة و لا بدّ منها له لتمامه و كماله و الطبيعة ايضا مقام المشية في الشهادة اذ هي متعلقه و لذا يقال ان الطبيعة يد الله في خلق الاشياء و حاملها جبرئيل حامل الخلق و العقل ظهوره في المادة فان العقل هو الماء الاول الغيبي و المادة الماء الاول الشهادي كما ان الطبيعة مقام الياقوتة نظر الله اليها بنظر الهيبة فذابت و المادة مقام ذوبان الطبيعة و غيبها العقل مظهر الارادة فالمادة ايضا مظهر الارادة في عالم الشهادة اذ هي متعلقها و هي منها كالدخان من الشعلة و كذلك المثال مقام ظهور الروح البرزخ بين بحر المعني العقلي و الصورة النفسية و الروح مقام ظهور الهندسة و هي في الشهادة في عرصة المثال و لذا نقول ان هنا حصل الصور التفصيلية و الجسم ظهور النفس و هي مقام ظهور القضاء و بعد ما خرج الشئ من تحت هذه المراتب الي الجسم صار ممضي و لايحتمل بعد فيه البداء و لكن في ساير المراتب يحتمل البداء ثم اعلم ان كل شئ فيه معني كل شئ و ليس شئ الا بهذه الاربعة و الثلثة من متمماتها كما سيأتي الاشارة اليها ففي كل عالم من هذه العوالم ظهر مراتب المشية كاملة فعلها و انفعالها و ذلك ان لكل عالم من الدرّة الي الذرّة سماوات و ارض كما

قال الله تعالي و ما امرنا الا واحدة و قال ماتري في خلق الرحمن من تفاوت و سماواتها في كل عرصة ظهور فعلية المشية و ارضوها ظهور انفعالها فسماوات عالم العقل ظهور مظاهر الفعل

صفحه ١٨٧

فظهر في عرشه بالمشية و في فلك البروج بالارادة و في فلك المنازل بالقدر و في افلاكه بالقضاء و العناصر الاربعة انفعالاتها و هكذا الامر في جميع العوالم حتي انتهي الي عالم الاجسام فمراتب الفعل في سماواتها و الانفعال في عناصرها فافهم هذه القاعدة الشريفة حتي تقف علي المراد ان شاء الله .

الثالثة اعلم ان الاصل في الفعل هذه الاربعة و اما الاذن فهو مع جميعها فان الفعل من المشية لايجري الي الارادة الا باذن من الله فاذا شاء و اذن يكون الارادة بالمشية و الا فلا و اذا اراد يجري بارادته القدر باذن من الله و كذلك يجري به القضاء باذن من الله فان الاذن مع الجميع في كل حال و لايؤمن بذلك الا من فتح الله عين بصيرته و اما الاجل و الكتاب فانهما من شئون القدر فان القدر هو تقدير كل اموره و الاجل تعيين مدّة بقاء الشئ و ذلك من لوازم الهندسة او من القضاء او من كليهما فان الصانع اذا صنع السرير ربما يصنعه بحيث يدوم الي شهر او سنة و كذلك تقدير الاجزاء ربما يصنع الالواح و المسامير و العضادات بحيث يدوم الي سنة او شهر او غير ذلك و اما الكتاب فهو تقديرات المقدّر مما يجري عليه طول دهره و ذلك ايضا متعلق بالقدر و القضاء و بها يتم خلق الشئ و يمضي و لولاها لماقام شئ في ملك الله عز و جل ،

فاذا عرفت هذه المقدمات فاعلم ان ما لميخرج الي عرصة الكون الذي هو الامضاء يحتمل تغيّره و تبدله و تقدمه و تأخره و امثّل لك مثالا ان صورة اللبنة في قوة الطين و حركة الملبِّن و ما لمتخرج من قوتهما هي في الامكان بجميع ما يتعلق بها فيمكن ان تستخرج و يمكن عدمها و تقدمها و تأخرها و غير ذلك و لكن اذا خرجت الي الفعلية فلا بداء اذ امضيت و لايتعقل فيما كان ان لايكون نعم بحسب مادّتها تصلح لغيرها فيمكن ان يمحي صورة اللبنية و يثبت غيرها و لايمحي الا ما يكون و لايثبت الا ما لميكن و يمحو الله ما يشاء و يثبت و عنده ام الكتاب و كذلك الامر في جميع ملك الله فكل ما لميخرج

صفحه ١٨٨

الي الامضاء يمكن البداء فيه و لكن ذلك في مقام مظاهر الفعل لا بالنسبة الي نفسه فان نفسه بنفسه ممضي و لا ذكر لشئ فيه الا بالصلوح و ليس شئ فيه اقرب من شئ حتي يحتمل البداء فان كل ما يخلق به يكون في اول خلقه و اما بحسب المظاهر فربما يقرب شئ و يبعد و يبدو و انا اضرب لك مثلا من الظاهر فاعلم ان السموات محالّ مشية الله كما مرّ و الله سبحانه يخلق ما يشاء بها و هذه النجوم ايادي تقديره و ذلك معني ما روي ان الله يوحي ما يشاء الي روح القدس و الروح يلقيه الي النجوم فتجري بمشية الله و بمزاجاتها و نظراتها يختلف انواع تقديرات الله و يخلق بها انواع الكثرات و لو لمتكن الا صورة واحدة لماخلق الا نوع واحد من الخلق و القرانات الفلكية نسبتها الي المواليد مختلفة فرب قران يكون ظاهر المشية في صنع شئ و رب قران يكون ظاهر الارادة و ظاهر القدر و ظاهر

القضاء بل قران واحد ربما يكون بالنسبة الي شئ مشية و بالنسبة الي شئ آخر ارادة و هكذا مثلا قران العطارد و المشتري نوعا يكون سبب حدوث الرياح و اختلاف الهواء فهو بالنسبة الي حدوث الرياح قضاء قريب من الامضاء اذا لميمنع مانع و بالنسبة الي برد الهواء بسبب هبوب الرياح قدر و بالنسبة الي انعقاد الرطوبة في بدنك و حدوث الزكام ارادة و بالنسبة الي حدوث الحمي فيك من الزكام مشية و قس علي ذلك ساير الاحكام و لكنك ما لمتحم يحتمل البداء و كذلك ما لميبرد الهواء و لميحدث الزكام يحتمل البداء بسبب الموانع الخارجية بل ما لميمض مطلقا يحتمل البداء و لو حين القضاء و لذلك امروا صلوات الله عليهم بالدعاء قبل حلول البلاء بل ينبغي ذلك قبل القضاء فان بعد القضاء قلّ ما يبدو لله في الشئ فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الانبياء و الائمة صلوات الله عليهم ربما كانوا ينظرون الي مقام المشية و الارادة و القدر و القضاء و يخبرون عن شئ و كان يبدو لله فيه و ذلك لانهم لميكونوا ينظرون

الي جهة البداء و ربما كان يقدّم وعدهم و يؤخر كما في قوله تعالي الم غلبت الروم في ادني الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين و اخّره الله من بضع سنين الي سنوات و اشعر بذلك ايضا في قوله لله الامر الآية ، و لذلك قال اميرالمؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لاخبرتكم بما كان و ما يكون الي يوم القيمة يمحو الله ما يشاء و يثبت الآية ، و لذلك قال عليه السلام نحن لانوقِّت و قال كذب الوقّاتون و لايخص ذلك بالظهور بل كلما لميخرج بعد من الامكان لله فيه المشية فلايجوز التوقيت مطلقا .
تنبيه اعلم ان البداء مخصوص بما دون المشية اذ هو فيما يمكن و يتعلق به المشية و اما العلم الازلي فلا بداء فيه بوجه بل ثبت فيه جميع ما يشاء الله و يقدّره و يمضيه او لايمضيه و يبدو له فيه و لايخفي علي الله خافية و لايعزب عن علمه مثقال ذرة و وسع كرسيه السماوات و الارض و من زعم ان الله يبدو له في علمه فقد اخطأ و اقرّ بالنقص و البداء من علمه و هل يبدو له الا فيما علمه و هذا اللوح هو اللوح المحفوظ و ام الكتاب التي عند الله و لايطلع عليها احد الا الله حتي آلمحمد صلوات الله عليهم في مقام المعاني و الابواب و الامامة و القطبية و هم دايما واقفون تحت هذا العلم في مقام الاستزادة و قد قال الله تعالي قل رب زدني علما و قالوا صلوات الله عليهم لو لمنزدد لنفد ما عندنا و قال الله تعالي لقد انزلنا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و ذلك مقام نفس الله التي قال عيسي علي نبينا و آله و عليه السلام تعلم ما في نفسي و لااعلم ما في نفسك مجملا هذا اللوح كتاب احصي فيه كل شئ من المشية فما دونها و علمه مخصوص بالله و ذلك قوله عليه السلام ما معناه ان لله علمين علما مكنونا مخزونا عنده لايعلمه احد سواه و علما علمه انبياءه و رسله و نحن نعلمه انتهي ، و ينزل من علمه ذلك بوحي خاص الي آلمحمد بقدر ما يشاء و بالجملة حقيقة هذه المسألة من

السر المكنون و لميؤذن لنا في كشفه و من رزقه الله فهمه يلقيه اليه من اشارات كلامي و غيره لايعرفه و اما من المشية الي التراب فظهر علومها علي ما ذكرنا و اعلم ان لوح

المحو و الاثبات مقام المركبات و لايمكن محو و اثبات في غير مقام التركيب و لما كان ظهور المراتب الغيبية في الشهادة و ظهور الشهاديات في عرصة الاجسام علي ما اشرت اليه سابقا و سأنبّه عليه في علم النشأتين ان شاء الله فيكون عرصة المحو و الاثبات هذا العالم فيمحو الله ما يشاء و يثبت ما يشاء و يؤخر ما يشاء و يقدم ما يشاء و يؤتي الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يعزّ من يشاء و يذلّ من يشاء و يحيي و يميت و هو علي كل شئ قدير و لايخرج شئ من تحت قدرته و سلطانه و هي بمشيتك دون قولك مؤتمرة و بارادتك دون نهيك منزجرة و كل شئ سواك قام بامرك فافهم ثبّتك الله بالقول الثابت في الدنيا و الآخرة .

المقام الرابع في توحيد العبادة و فيه فصول :

فصل اعلم ان الله سبحانه هو المعبود بالحق و لا معبود سواه اذ لا رب عداه و حقيقة هذه المسألة من المسائل المستصعبة و قلّ من وقف علي حقيقتها و لذلك قلّ من عرف ربه و عبده حق عبادته فمنهم من كفر به من حيث لايعلم و منهم من اشرك به و منهم من صدّ عنه و مايؤمن اكثرهم بالله الا و هم مشركون و النمرقة الوسطي هم الذين عبدوه حق عبادته و عرفوه حق معرفته و انا اسأل الله لي و للمؤمنين ان يجعلنا من العابدين الموحدين و اعلم ان مجمل هذا الكلام مسلّم انه المعبود لا غير و ما سواه باطل مضمحل ماخلا وجهه الكريم و لكن معرفته مشكلة و انا اريد ان اكشف حقيقة هذه المسألة بحول الله و قوته .

فصل اعلم ان المعبود الحقيقي هو الاحد جل شأنه الذي احاط بكل شئ و لايحيط به شئ فان المعبود الذي يطاع و العبد هو العامل بمقتضي العبودية اي الايتمار بامر المعبود و الطاعة له و العبادة هي العمل بمقتضاها و اذا كان الله احدا محيطا بجميع ما سواه فلا موجود سواه حتي يكون معبودا و ما عبدوه من الاصنام ان هو الا اسماء بلا معني اذ المعني بالاسم هو الشئ الموجود القائم و لا موجود سوي الله جل شأنه الا و هو قائم بامره و لا باقي غيره فلايستحق العبادة غيره و قد انزل الله في بيان ذلك آيات كل منها بحار من العلم للعالمين قال الله عز و جل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا و ان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ، ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شئ و هو العزيز الحكيم ، و تلك الامثال نضربها للناس و مايعقلها الا العالمون ، انظر الي الاسرار و الحكم التي ادرجها الله في هذه الآيات الكريمة فاولا قال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء ، فبيّن انهم ليسوا باولياء في الواقع الخارج و لكنهم اتخذوهم اولياء بظنونهم الكاسدة كمثل العنكبوت الخ ، و في ذلك وجوه من الحكم منها ان بيت العنكبوت من فضلة بدنه و هؤلاء ايضا اخذوا اولياء من فضول الملك لا اصوله او من فضول حقايقهم فان الله قد جعل حقيقة كل شئ آيته و هم تركوها و اخذوا من دون الله اندادا و كذلك يكون ولايتهم من خيالات عابديهم و الخيال فضل بدن الانسان و هم عبدوا خيالاتهم لا الواقع الخارج و وجه آخر تشبيه الاولياء المكذوبين بانهم كبيت العنكبوت فانه اوهن من كل شئ و لا بقاء له و لا ثبات و لو تمثّل المعدوم في ملك الله بشئ لتمثل باوهن الاشياء و لذا جعله مثلا و وجه آخر ان بيت العنكبوت مأوي الشيطان و قد باض و فرخ

في صدور اوليائهم و شركائهم ليردوهم عن الهدي ثم قال تعالي ان الله يعلم الخ ، و في ذلك وجوه منها التهديد و هو اشد تهديد و ذلك مثل قوله و اتخذوا

من دون الله اندادا لعلهم ينصرون الي ان قال فلايحزنك قولهم انا نعلم ما يسرّون و ما يعلنون اي نجزيهم لعلمنا بحالهم و منها انه تعالي قال ان الله عالم بما يدعون اي محيط به فهو اولي به فهو الولي كما قال الله هو الولي فكيف يعبدون من ليس له الولاية المطلقة فافهم فكم من خبايا في زوايا اخفيتها عن الشيطان و امليتها علي ملائكة الرحمن فان عرفتها فاشكر الله علي ما افهمتك و ان لمتعرفها فارجو الثواب من الله و قال انما تعبدون من دون الله اوثانا و تخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه و اشكروا له اليه ترجعون ، انظر كيف بين حال الاوثان بقوله تخلقون افكا اي تفتعلون افكا اذ لا وجود لهم و لايملكون رزقكم و الرزق عام يشمل جميع الامداد الشرعية و الكونية الظاهرية و الباطنية و مالكها هو الله الذي هو الولي المطلق و الوجود الحق و الاسترزاق في الواقع هو عبادة الله فتأمل حتي تعرف هذا البيان المجمل و لاينبغي طلب الرزق الا ممن يكون مالكه و قال اذ قال لابيه و قومه ماذا تعبدون ءافكا آلهة دون الله تريدون فبين ان ارادة غير الله ليس الا لمحض الافك و قال قال اتعبدون ما تنحتون و الله خلقكم و ما تعملون يعني انتم تصنعون آلهة و تعبدونها هذا شئ عجاب مع انكم و مصنوعكم مخلوقون لله و قال لقد جئتمونا فرادٰي كما خلقناكم اول مرّة و تركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم و مانري معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم و ضلّ عنكم ما كنتم تزعمون و قال ام لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق و يدعون الي السجود فلايستطيعون و قال قل اروني الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم و غير ذلك من الآيات الدالة علي المراد كثيرة و لايخفي اسرارها علي الموقنين فالله سبحانه هو الرب الذي احاط بجميع الملك و العباد و المعبودين و عباداتهم

و اعمالهم و هو الذي امرهم في الكون و الشرع و لا امر لغيره و اليه يرجع الامر كله اذ له الخلق و الامر فلاينبغي العبادة الا له تعالي و جميع ما سواه حكاة انواره و نقلة آثاره في جميع ما لهم و بهم و منهم و فيهم فكيف يجوز عبادتهم مع انه لايؤل اليهم شئ من الامور فافهم فقد بيّنت لك حقيقة المسألة بحول الله و قوته .

فصل اعلم ان العبادة قسمان كونية و شرعية فانها بمعني الايتمار و الاطاعة فاذا كان الامر في الكون بلسان حملته فالايتمار به عبادة كونية و ان كان في الشرع هكذا فالعبادة شرعية فاما في الكون فالله سبحانه كان قبل الكان ثمّ احبّ ان يعرف بالتجلي في الامكان و الاكوان فامرهم بلسان مشيته و امره ايضا نفس مشيته من دون قول كما قال عليه السلام فهي بمشيتك دون قولك مؤتمرة و بارادتك دون نهيك منزجرة و كان امره ذلك متعلقا بالتكوّن لا غير و ذلك قوله تعالي انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون و قد اطاعه و عبده في امره هذا كل كون و عين و امكان و لميتخلف عنه تعالي شئ و هو اجل من ان

يأمر فلايطاع و بهذا النظر جميع الخلق مؤمنون و لايعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون و قد سجد له سواد الليل و بياض النهار اذ صار محيطا بكل شئ فقهر و غلب امره كل شئ و لا امر لشئ سواه معه و لميشركه احد في امره فلميشركوا بعبادته احدا و كذلك اطاعوه في ساير الاوامر الكونية الصادرة من محالّ مشيته الاتري انه بحرارة الشمس يتسخن كل شئ و بالريح ينفعل كل شئ و ظهور هذا الامر يختلف بحسب القوابل فكل يأتمر بحسب قابليته و الكل مطيعون لامره منقادون لقوله و لايسبق احد مشيته و كذلك اطاعه كل شئ في توحيده بلسان حاله اذ ليس شئ في الارض و لا في السماء الا و هو يوحّد الله سبحانه بفطرته التي فطره عليها و ذلك ان الله سبحانه خلقه لمعرفته و هي غاية الايجاد

و القادر المختار الذي ذل كل شئ له و قهر كل شئ اذا فعل فعلا لغاية لا بدّ من ظهورها و العاجز او الذي لا اختيار له ربما يفعل فعلا لغاية و لاتظهر الغاية لضعف الفاعل و الله منزّه عن ذلك هذا و العلة الفاعلية هي هي العلة الغائية صعودا و الفاعل الذي هو يد الله في صنع الاشياء محيط بكل شئ و ظاهر في كل شئ أولميكف بربك انه علي كل شئ شهيد اي موجود في غيبتك و حضرتك و قد ثبت في الحكمة ان العلة فوق معلولها دايما و لو مدّت يدها عنه لفني عن آخره مع انك قد عرفت انها العلة الغائية صعودا فالغاية ظاهرة في كل شئ فكل شئ حاكٍ لنور الله عارف به موحّد له و ذلك قوله تعالي يسبّح لله ما في السموات و ما في الارض و بالجملة ففي الكون جميع الخلق مطيعون عابدون لايعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون .

فصل في العبادة الشرعية ، اعلم انه بعد ما عمر الديار بذكر الجبار و شاء الله ان يكمل قوابل خلقه باستخراج ما لهم من القوي ارسل اليهم رسلا مبشرين و منذرين و هم نفس لسانه الكوني الذي امر به اولا بالتكون غاية الامر انه ظهر بالنفوس الانسية في تلك العرصة لمصالح ملكية كما ان ما يريد استخراجه من القوي هو الخلق الاول المخلوقون به و لو ارسل اليهم غيره لماكان يفيد ارسال الرسل فائدة لان الشئ لاينفعل كاملا الا بعلته التامة الاولية و ما تري من انفعال المعلولات من علل غير عللها الاولية فذلك من باب ان العلة الكلية التي هي علة العلل ثابتة فوق المعلولات و ان كانت مختلفة المراتب و العلل التي دونها هي اياديها فاذا فعلت فعلا بعلّة و رفعت تقدر علي التصرف فيه بعلّة اخري و لذا تري انه يبقي معلولات بعد عللها المتصلة و لو لمتكن علة العلل ثابتة لماقام عمود و مااخضر عود و اذا اراد الله سبحانه اظهار امر بالكمال بحيث لاينقص في جهة من الجهات فلا بدّ من اظهار نفس العلة الكاملة فلذا اظهر امره الكوني الاولي الذي هو قاهر علي كل شئ في

لباس البشر و ذلك قوله تعالي انزلنا اليك روحا من امرنا و الروح هو شعاع الامر و جلوته في قالبه صلي الله عليه و آله اذ لايتصور نزول الامر بنفسه فتدبر و بعد ما نزل في هذا اللباس امرهم من غير بتّ عليهم بل امرهم و ابقي لهم اختيارا و اختيارهم بقدر

حكايتهم من الامر الاول كونا فان الاختيار الواقعي ليس الا لله سبحانه و مشيته مختارة لانها نوره و شعاعه و كل احد يختار في امره بقدر حكايته للمشية و لذلك يكون الانسان اختياره اكثر من كل شئ لان تعلّق مشية الله به اكثر فاذا كانت باقية علي الصرافة الاولية تكون محبوبة لله مطيعة له كما قال الله تعالي ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و من تغيّرت فيه بحسب قابليته المنكوسة تبقي علي اختيارها و لكنها تختار الباطل و من هذا البيان يظهر لك اسرار كثيرة و مرّ سابقا في بيان السعادة و الشقاوة و الجبر و التفويض بعض اسرار ذلك و بالجملة في هذه العرصة قام الانبياء و الاولياء بامر الله و بلّغوا ما انزل اليهم من امر ربهم فاطاع من اطاع و كفر من كفر و في هذا المقام وجد كفر و ايمان و شرك و اسلام فجميع ذلك بالنسبة الي الداعين و اما بالنسبة الي الله سبحانه فالكل مطيعون لامره منقادون له و لايكفرون به و العبادة المحبوبة لله سبحانه هي العبادة الشرعية و بها يتقربون و في الدرجات العاليات يتنعمون و اما العبادات الكونية فهي سبب التقرب بقدر خروج الاكوان من قابلية الامكان و ذلك منتهي حظّهم بل ذلك جنّتهم فان الامكان عدم و العدم اشدّ عذاب و الله سبحانه يخيّر اهل النار بين عذاب النار و الفناء الابدي فيختارون العذاب علي الفناء بل عذاب اهل النار ليس الا بنضج جلودهم بل جميع الاوجاع و العذاب الدنيوية ايضا بالفقدان كما لايخفي علي المتأمل فنفس وجود الاكوان جنتهم و ذلك جزاء ايتمارهم بامر كُن و في الشرع امروا بالايمان اي امر الله روح الايمان المستجن في القوابل بالوجود علي نحو الاختيار بلسان النبي و امره ذلك الاوامر الشرعية

فكل من اطاع امره ذلك خرج روحه من قوته و من عصي لميخرج من قوته الروح فصار مخالفا و الشرع يوافق الكون بحسبه و يجب علي كل احد ان يوحد الله في عباداته الشرعية و الموحّد من اطاع الرسول صلي الله عليه و آله و خلفاءه و المشرك من خالفهم .

فصل اعلم ان الاكوان كلها دواعي يدعون الي انفسهم بحسب فعليتهم لان الاكوان مظاهر كينونة الله جل و عز و كل ذي فعلية بقدر فعليته آيتها و شعاعها و لا شك ان جميع الاثر للكينونة فالمظاهر بقدر حكايتها مؤثرة و يعبّر عن تأثيرها بالدعوة نعم القوابل الانسانية ربما تكون دعوتها باللسان و ذلك ايضا تأثيرهم الا ان سبيل ظهور اثرهم السنتهم بالنطق و ساير بدنهم ايضا بخلاف الباقي فان آثارهم من سبل ابدانهم التي هي ظواهر ارواحهم فاذا كانت الكينونات من الكاينات العليينية و الفعليات الكاملة تكون محبوبة لله لقربها من مشيته التي هي محبوبة و اذا كانت من الكاينات السجينية و الفعليات الناقصة تكون مبغوضة لله لبعدها عن المشية و لا معني للقرب و البعد الا ذلك فالكاينات العليينية دواعي الحق لانها تدعو الي مرضات الله جل شانه و الدواعي السجينية تدعو الي مساخط الله و نقول ان الناطق من لسان القوابل الطيبة في الشرع هو الله جل شأنه لقربها من الله و الناطق من لسان غيرها الشيطان مع ان الكل اتوه طائعين في الكون فان الشيطان قبل ظهور شرع آدم علي نبينا و آله و عليه السلام كان من العابدين و بعد ظهوره لميبطل عبادته ذلك بل الآن علي ما كان كما في ساير الاكوان و لكنه عصي في طاعة آدم و ضلّ

و اضلّ و بالجملة فالناطق ان كان من المقربين فالمصغي اليه و متّبعه عابد لله و ان كان من المبعدين فالمصغي اليه و متّبعه عابد للشيطان و ذلك قوله عليه السلام من اصغي الي ناطق فقد عبده فان كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله و ان كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان ، و ان عرفت ذلك تعرف وجها من

وجوه قوله عليه السلام بعبادتنا عبد الله و لولانا ماعبد الله فتدبر .

فصل اعلم ان الله سبحانه احد بذاته كما مرّ في مواضع و الاحد بذاته طوي باحديته غيره من الاسماء و الصفات و غيرها طي الامتناع فلايعدّ معه شئ غيره و حيث هو ليس الا هو لا حاسّ و لا محسوس و لا شاهد و لا مشهود و ينقطع دونه جميع الاشارات و يبطل جميع التعبيرات و يجلّ عن الاسماء و الصفات فمن العابد و المعبود و من الساجد و المسجود فان الاسماء ان كانت لها معانٍ فهي حقة و الا فهي كلمات مهملة فهل يكون المعني هو الذات فهي هي و ليس شئ سواها و لاينسب اليها شئ فان كانت ربا فهي رب اذلامربوب و ان كانت معبودة فهي معبودة اذ لا عابد فكيف تعبدها مع انه لا ذكر لك معها و ان قلت ان معانيها غير الذات فالمطلوب ثابت الا ان الكلام في معرفة حقيقة ذلك هذا و قد ثبت في الحكمة ان المشتقات من مبدء واحد في الظاهر و الباطن في درجة واحدة فان الضرب مبدأ يشتق منه الضارب و المضروب و غيرهما من المشتقات و كذلك الامر في المعني فزيد الضارب مثلا و عمرو المضروب من مادة واحدة و الا لماوقع فعله عليه فافهم ذلك فانه دقيق و كذلك الامر في جميع المراتب الغيبية و من ذلك العابد و المعبود و العارف و المعروف فلا بد و ان يكونا من عرض واحد فان القديم جل شانه لايكون معبودا للحادث كيف و المعبود لا بدّ و ان يكون معروفا و قد قال اميرالمؤمنين عليه السلام اول عبادة الله معرفته و قال لماعبد ربا لماره ، و محال ان يعرف ذات الاحد جل شأنه فانه لاتدركه الابصار و لاتحويه خواطر الافكار و لاتمثله غوامض الظنون في الاسرار فلا بدّ علي ذلك من ان يكون المعبود من الآيات و العلامات و لا شك ايضا ان الخلق لايكون معبودا و قد كفر بالله من عبد غيره و من هذين الاشكالين يلزم الحيرة و لايكشف الحقيقة الا ببركة حكمة مشايخنا (اع) .

فصل اعلم ان الله سبحانه بذاته بعيد عن حدّ ادراك الخلايق فان الادوات تحدّ انفسها و الآلات تشير الي نظائرها و الله سبحانه فوق جميعها بما لايتناهي و لذلك اختار لنفسه مظاهر في الكون و الشرع يتمكن الخلق من ادراكهم و اخذ الاوامر الكونية و الشرعية عنهم و سيجيء بعد ان شاء الله في النبوة و الامامة بيان ذلك علي ما ينبغي فاما في الكون فجعل الاكوان بحسب شأنها و فعليتها محال مشيته و السن ارادته فيؤدون الي الخلق اوامره و نواهيه الكونية المتعلقة باكوان الخلق و لما كانوا برُمّتهم آياته و مقاماته و علاماته صار طاعتهم طاعته و عبادتهم عبادته و لولاهم لماظهر امر الله و ماسطع نوره و ماعرفه احد من خلقه فالسماء مثلا مظهر امر الله سبحانه باقبال العقل من البُعد الابعد الذي سار اليه في نزوله الي القرب الاقرب و هو يؤدي عن الله سبحانه امره ذلك فكل من

اطاعه يعدّ مطيعا لله و قد مرّ سابقا الاشارة اليه و كذلك في الشرع خلق لنفسه اولياء جعل طاعتهم طاعته بظهوره لهم فيهم منهم فكل من اطاعهم اطاع الله و هم الانبياء و الاوصياء صلوات الله عليهم فهم اَلسنة ارادة الله سبحانه و اعلم ان الشارع اسم الله و صفته كما ان المكوِّن اسمه و صفته و قد ظهر اسمه المكون في الاكوان بحسب حكايتهم للكون و اسمه الشارع في جماعة مخصوصين فاطاعتهم اطاعة الشارع و لما صاروا بانفسهم مطيعين لله بحيث صاروا بانفسهم فانية في جنب الله باقية به دعوا باسمه الشارع بل بساير اسمائه تعالي كما قال عليه السلام نحن والله الاسماء الحسني التي امر الله ان تدعوه بها و في الزيارة السلام علي اسم الله الرضي و وجهه المضيء ، فالحجج صلوات الله عليهم صاروا اسماءه و ذلك شأن كل فان في جنب المفني فيه اذ يصير منبأ عنه لا عن نفسه و الاسم ما انبأ عن المسمي فاذا افني نفسه احد في جنب الشيطان يصير اسمه و اذا صار احد فانيا في جنب الرحمن يصير اسمه بل نفسه

صفحه ١٩٩

كما في الزيارة السلام علي نفس الله القائمة فيه بالسنن و عينه التي من عرفها يطمئن و قال انا الذات انا ذات الذوات للذات ، فاذا صار بهذه المنزلة يصير كل معاملة معه معاملة مع الله بل يصير الله ناطقا من لسانه ناظرا من عينه باطشا من يده بل يصير نفس بصره و سمعه و يده و لسانه كما قال انما يتقرب اليَّ العبد بالنوافل حتي احبه فاذا احببته كنت بصره الذي يبصر به و سمعه الذي يسمع به و يده التي يبطش بها و في رواية قال و رجله التي يمشي بها ان دعاني اجبته و ان سكت عني ابتدأته ، فكل من امتثل اوامر الشارعين و من روي عنهم و قام في مقامهم يعدّ عابدا لله سبحانه و كل من خالفهم يصير مخالفا فمن كفر بهم كافر و من اشرك بهم احدا من قوالب الشياطين مشرك و الخالص في مودّتهم و طاعتهم موحّد قال الله تعالي من يطع الرسول فقد اطاع الله و قال قل ان كنتم تحبّون الله فاتبعوني يحببكم الله و قال ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا ، و قال اميرالمؤمنين عليه صلوات المصلين في صفة النبي صلي الله عليه و آله اقامه مقامه في ساير عوالمه في الاداء اذ كان لاتدركه الابصار و لاتحويه خواطر الافكار و لاتمثّله غوامض الظنون في الاسرار لا اله الا الله الملك الجبار و عنهم عليهم السلام بنا عبد الله و لولانا ماعرف الله و عنهم عليهم السلام بعبادتنا عبد الله و لولانا ماعبد الله و قال اميرالمؤمنين عليه السلام ايها الناس انيبوا الي شيعتي و التزموا بيعتي و قال عليه السلام سلمان باب الله في الارض معرفته ايمان و انكاره كفر ، بالجملة قد صار من الضروريات ان اطاعة الانبياء و الحجج اطاعة الله و كل عارف يعرف ان معرفتهم معرفة الله .

فصل روي عن اميرالمؤمنين عليه السلام انه قال من عبد الله بالوهم ان يكون صورة او جسما فقد كفر و من عبد الاسم دون المعني فقد عبد غير الله و من عبد المعني دون الاسم فقد دلّ علي غايب و من عبد الاسم و المعني

صفحه ٢٠٠

فقد اشرك و عبد اثنين و من عبد المعني بوقوع الاسم عليه فعقد به قلبه و نطق به لسانه في سرّ امره و علانيته فذلك ديني و دين آبائي و سأل هشام اباعبدالله عليه السلام عن

اسماء الله و اشتقاقها ، الله مما هو مشتق قال فقال لي يا هشام الله مشتق من اله و الاله يقتضي مألوها و الاسم غير المسمّي فمن عبد الاسم دون المعني فقد كفر و لم‌يعبد شيئا و من عبد الاسم و المعني فقد كفر و عبد اثنين و من عبد المعني دون الاسم فذاك التوحيد الخبر ، اعلم ان مراده عليه السلام من العبادة بالوهم ان يكون صورة او جسما كما عمل عليه عامة الخلق اذ يزعمون ربهم شخصا كمثل خلقه و يتوهمون انه في مكان كالسماء او فوقه فيخاطبونه بالمخاطبات و من فعل ذلك عن علم فقد كفر بل من اعتقد انه تعالي بذاته موصوف بصفاته فزعم ان ذاته محدودة بالمعبودية فقد كفر لانه تعالي احد و لايحدّ بالعابد و المعبود بل الكل نوره و اما عبادة الاسم دون المعني به فعبادة غير الله و هو كفر فان الاسم اسم اذا كان حاكيا عن المسمي كالشعلة في حكايتها عن النار الغيبية و لايكون ذلك الا بعد الفناء التام في المسمي فاذا صار فانيا هكذا لايري بالاسمية فما يراه العبد و يعرفه بوصف غير وصف المسمي لايكون اسما و عبادته كفر و من هذا الباب نرد علي الصوفية الملاحدة اذ يقولون بتصوّر صور مراشدهم في القلب و تخاطبهم بما يخصّ بالله سبحانه فنقول لهم اما اولا فهؤلاء الفساق هياكل الشيطان فلايجوز مخاطبتهم بما يليق بالرحمن و ثانيا اذا عرفت انه مرشدك فهو لايكون اسما و علي فرض كونه من اسماء الله و صفاته كالانبياء و الاولياء فاذا عرفته بالشخصية خرجت عن ملاحظة الاسم فان الاسم اسم اذا لم‌ير و لم‌يعرف الا بظهور المسمّي فانت حينئذ عبدت غير الله و كذلك يبطل هذا الحديث الشريف عمل من ظنّ ان في العبادات ينبغي التوجه الي الانبياء و الائمة فان النبوة و الامامة صفة المخلوق و الانبياء ليسوا بنبوتهم اسماء الله و لايجوز التوجه اليهم فافهم

فانه دقيق و لولا خوفي من فرعون و ملأه لكشفت عن المسألة حتي تعرف حقها و لكن الكتمان في الصدور اولي من تحمل مشاقّ الامور و قوله عليه السلام من عبد المعني الخ ، ذلك لان ظهور المعني في الاسم لا محالة فاما في الكون فجميع الملك اسماء و صفات و اما في الشرع فاختار الله لنفسه اسماء الكمال و الجمال و الجلال و لايليق به غيرها فظهوره في المنزلتين في اسمائه لا غير و في غيرها لا ظهور له كما تري في نفسك اذ هي آيته ان ظهورها في بدنك لا غيره من الابدان فمن دعاك في غير بدنك لم‌يجدك ابدا الا في الصلوح و القوة و من دعاك من غير بدن دعا من لم‌يدركه و قد احال علي غايب و علي فرض كونك درّاكا سامعا لدعوته لايكاد يجدك كمن يدعو ميتا آدميا علي قبره فانه و ان كان يسمع دعاءه الا انه اي الداعي لايدركه و الآثار مترتبة علي الادراك لا علي الالفاظ فافهم فانه دقيق فمن دعاه من غير سبيل اسمائه فكأنه لم‌يعبد شيئا و لاينتفع به في آخرته و ان اجزأه في ظاهر الشرع و هذه عبادة اكثر الفقهاء القشريين الذين لم‌يعرفوا ربهم و لكنهم اصلحوا ظواهر اعمالهم و من هذا الباب نقول ان الذين لم‌يعرفوا ابواب الائمة و ماشاهدوهم يكون زياراتهم و اعمالهم كلها ظاهرية و لاتفيد لهم كثير فائدة لانهم لم‌يعرفوا امامهم الا بما توهّموه و لايعرف المعني الغيبي الا بما ظهر في اسمه نعم ربما يتفضلون صلوات الله عليهم ببعض الفيوض من الابواب المفتوحة اليهم من اسمائهم و صفاتهم و ذلك فضل منهم لا انهم يستحقون ذلك اذا اتوا البيت من غير بابه و ليس البر ان

تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البر من اتقي و أتوا البيوت من ابوابها و بالجملة فهذه العبادة ايضا خطاء و ليس عبادة و قوله من عبد الاسم الخ ، فاعلم ان من فرّق بين الاسم و المعني و عبدهما معا فقد اخطأ و دعا مع الله الها آخر و ذلك في الظاهر و اما في الحقيقة فالاسم اذا عدّ مع المسمي لايكون اسما كما مر و المعني لايظهر الا من

الاسم فهو اذا وجد الاسم و المعني اثنين فلميجد الاسم و لميجد المعني و عبد خلقين لا انه عبد الله و غيره فان الله سبحانه لايعدّ مع غيره و ليس من له شريك هو الله و يشعر بذلك قوله عليه السلام عبد اثنين ، فانه لايريد من ذلك الله و اسمه فان ذلك كفر و لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اذ يلزم من ذلك كونه في عرض المعدودات و لكنه مراده عليه السلام انه عبد اثنين هما غير الله اذ ليس اسما و لا معني بلا اسم فافهم فانه دقيق و بالتدقيق فيه حقيق و قوله من عبد المعني الخ ، فذلك ان تنظر الي الاسم كاشفا سبحة الاسمية بان تشاهد منه المسمّي لا غير مع انه بنفسه ايضا هكذا لانه لاينبئ الا عن مسماه ففعلك يصير حقا لمطابقته لجعل الله كما انك تنظر الي الشعلة و تري النار فذلك ايقاع الاسم علي المعني فتقول بلسانك يا الله و تعتقد في ضميرك المعني به و هو الذي تحيّر فيه الخلايق كما تقول بلسانك زيد و تعتقد في ضميرك شخصه فافهم و اغتنم و اما قوله عليه السلام في حديث هشام من عبد المعني دون الاسم فذاك التوحيد ، فذلك لان النظر الي الاسم ليس لاجل نفسه بل لظهور المعني فالنظر اليه نظر الي المعني و عبادته عبادة المعني و هو يوقع العابد علي معناه البتة و اعلم ان مشاهدة الحقيقة من الاسماء شأن حقيقتك و لايصل اليها غيرها فلا بدّ للمشاعر الظاهرة و الباطنة من ذكر الله باسمائه و صفاته اذ هي تجلياته فيها بحسبها و لكل مرتبة اسم خاص بها و لكن الحقيقة تعرف منها المعني و لما كنت انت تلك الحقيقة و بدنك و مشاعرك آلات عبادتك تكون انت عابدا لله لانك مدرك المعني و الاسماء و الصفات اسباب الوصول و مظاهر النور و قمص الظهور فتذكرها بآلات عبادتك فلايقال انت عبدت الاسم كما انك تريد زيدا و تدرك نفسه بنفسك و تذكر اسمه بلسانك و تصوّر هيئته اي هيئة بدنه في خيالك و يقال انت اردت نفس زيد و لكن مشاعرك اسباب ادراكه فتطلب قمص ظهوره فافهم فقد والله اسقيتك ماءا غدقا و لاتري

حقيقة المسألة اوضح من ذلك في كتاب .

فصل اعلم ان المعبود هو الله جل شأنه و لكن الخلق لايصلون اليه و لايقدرون علي خدمته مع انه لا خدمة له و مراده تعالي من امره بالعبادة انتفاع الخلق لا غير و امرهم و نهاهم بحسب صلاح وجودهم و الغاية ترجع اليهم و لذلك جعل الله لهم جهات عبادة من خلقه و امرهم بالتوجه اليها للعبادة و الخدمة و هي ما تنفعهم من الخلق بحسب حالهم بل ربما جعل اعداءه جهات الخدمة و العبادة في المعاملات معهم من الجهاد و غيره بحسب صلاح الزمان و بعد ما عرف العبد معبوده يجب عليه التوجه الي جهة خدمته و ليكن نظره حين التوجه اليها الي ربه لا الي الجهة فان الجهة مخلوقة و لاتكون ربا و من العبادات

الصلوات و الدعوات و صارت واجبة علي الانسان و يجب علي الانسان عبادة ربه بادائها علي وجوهها و توجهه الي ربّه فيها و لكن الخلق لميكونوا يقدرون علي ذلك لانهم ذووا جهات و المحدود لايقدر علي التوجه الي من هو خارج عن كل جهة فلذا اختار لاهل الارض بيتا من مادة العناصر و سرّ اختياره من الجمادات انها ساكنة لاتتحرك و باقية مدي الدهر لاتزول فلو كان الوجهة انسانا او حيوانا ربما كان ينتقل من دار الي دار و من جهة الي جهة و الناس كانوا غافلين فربما كانوا يتوجهون الي غير جهته مع ان له بحسب الطبع اجلا قليلا و بعد موته يبقي الناس بلا وجهة و لميكن يكمل ذلك بالتبادل اي قيام قبلة في مقام قبلة اذ يلازم ذلك في امر الصلوة من المحظور ما لايحصي و كذلك النباتات آجالها قليلة و تفني بسرعة فلذلك اختار الله بيته من الجمادات مع ما في الاقبال اليها و التواضع لها نحو انكسار و خضوع للبشر و لذلك وجوه أُخر و كذلك اختار في السماء لاهلها الضراح و اختار في الارض لجماعة قبل الاسلام بيت المقدس و اختار لحملة العرش العرش فيجب علي اهل كل عرصة التوجه الي وجهتهم و صرح بذلك في كتابه حيث قال و لكل وجهة

هو مولّيها و كذلك اختار لاهل ساير العوالم بيوتا و هي البيوت التي اشعر بها في كتابه حيث قال في بيوت اذن الله ان ترفع و يذكر فيها اسمه و امر في مقام آخر بجعلها قبلة حيث قال اجعلوا بيوتكم قبلة و هي البيوت النورية منها عرشية و منها كرسية و منها سماوية بل يحتمل قويا ان يكون منها من اعالي الهواء و من كرة النار و لايعرف ذلك الا اهل الاسرار و سرّ ذلك في سطوع الانوار في آناء الليل و اطراف النهار من كل سماء بواسطة جميع ما فيه الي ان يقع النور علي الديار مع ان الله لايكلف نفسا الا ما آتاها نعم يشترط الصعود من درجة التراب الكثيف و ذلك لايكون الا بعد الحيوة في الجملة اي حيوة القلب و مهاجرة ارض الموت فافهم فانه دقيق و لست بصدد بسط هذه المسايل في هذه الرسالة فان وضعها لبيان الكليات و اذا اردت زيادة البيان فراجع الي سائر رسائلي في ذلك بل في الفطرة السليمة و طريقالنجاة من رسائل ابي (اع) كفاية و بلاغ و الي هنا اختم المقالة الاولي اذ اتيت علي ما هو المقصود اذ لااريد الا بيان الكليات و لاتعرض في هذه الرسالة للجزئيات .

المقالة الثانية في النبوة و فيها مقامان :

المقام الاول في النبوة العامة و ما يتعلق بها من المسايل الكلية مما يجب علي الانسان الاعتقاد بها و لاتعرض للجزئيات اذ يطول بي المقال و عمدة مرادي ذكر المسايل الالهية بالمعني الاعم مما هو غير المعارف اذ مشايخنا اعلي الله مقامهم بسطوا القول فيها بما لا مزيد عليه و رتّبت هذا المقام علي مطالب :

المطلب الاول في اثبات لزوم وجود الانبياء بانواع الادلة بقدر ما يقتضيه هذه العجالة و قد اقام ابي اعلي الله مقامه علي ذلك ادلة ظاهرية و باطنية

في الفطرةالسليمة و ارشادالعوام الذي هو في الحقيقة ارشاد الحكماء الراسخين و لا حاجة الي اعادتها في هذه الينابيع فان التكرار يوجب الملال فانا اذكر نحوا آخر من البرهان لتضاعف منافع الخُلّان و انبساط قلوبهم بزيادة الايقان و حفظهم من خطوات الشيطان و شبهات ابناء الزمان فلا بد من ذكر فصول محتوية علي اصول من الادلة المعينة علي الوصول :

فصل اعلم ان الله سبحانه احد كما مرّ سابقا و الاحد جل شأنه كامل بالفعل فان الناقص لايكون احدا فان كل ناقص محدود بالفقدان فانه يملك شيئا و يفقد شيئا فيصير متعينا بما يملكه فلايكون احدا و اما الذي يجمع جميع الكمالات بما لايتناهي فهو الاحد الذي لايتناهي و لا بد و ان يكون كمالاته جميعها بالفعل فان القوة لاتكون كمالا اذ هي الفقدان و العدم ، هذا و القوة شأن الامكان و الامكان محتاج حادث و تعالي عن ذلك الغني القديم فلا بد لك من الاقرار بكماله تعالي و كمالاته غير ذاته اذ الكمال اثر الاتري ان اول الكمال الحركة الايجادية و هي غير الذات فما دونها غيرها بطريق اولي فكماله خلقه و بنحو آخر من برهان المجادلة نقول ان الكمال عين ذاته من جميع الجهات او غيرها و لو من جهة فان كان عينها من جميع الجهات فهو هي فاين الكمال و لا شئ الا الذات و ان قلت انه غيرها و لو من جهة فهو خلقها و لايجمع معها بالادلة التي مرّت سابقا هذا و قولي من جهة مداراة و الا فالله سبحانه بريء من الجهات جميعها و الخلق صاحب الجهات بكله فالخلق غيره بكل جهات نفسه فكماله خلقه فانواع خلقه التي هي شئون كمالاته لا بدّ و ان تكون غير متناهية فانها لو كانت متناهية لدلت علي تناهي الاحد الاتري ان افراد المياه كلها ماء و مصوّرة بصورة البرودة و الرطوبة و بذلك تستدل علي ان المطلق الاعلي جوهر بارد رطب اذ لو كان غير محدود بالبرودة و الرطوبة لماصار افراده

مقصورة علي ذلك كما ان افراد العنصر المطلق اي الجسم الطبيعي الذي هو دون الافلاك غير مقصورة علي مزاج واحد لانه فوق جميعها و كذلك باختلاف الافراد في كل مقام نستدل علي حدّ احاطة مطلقها و احديته الاضافية فالله سبحانه الذي هو الاحد الحقيقي و لا احد سواه و المحيط الحقيقي و لا محيط غيره و اللانهاية الاولية كيف يحدّ خلقه فلا بد و ان يكون كمالاته التي هي آثاره غير متناهية لتدل علي رب خالق كامل مطلق فاذا عرفت ذلك اقول هل يكون الخلق الكامل الجامع للصفات الكمالية من كمال الكامل المطلق ام لا ، لااراك تنكر ذلك بل هو اولي بالدلالة علي الكامل من النواقص فالكامل الذي لا نهاية لكماله اذا لميخلق خلقا كاملا هكذا كان نقص كماله فلا بد من وجوده و بوجه آخر من الموعظة نقول ان عدم خلق الكاملين من كمال الخالق او من نقصه لا شك ان عدم خلق مثلهم نقص و الله سبحانه لايفعل ما يدلّ علي نقصه .

فصل ان الله ذو الفضل العظيم و المنّ القديم و الفضل العظيم فضل لايساويه فضل فاضل فانظر بنظر الانصاف هل يكون فضل علي العباد اعظم من ان يخلق الله جماعة يجعلهم ابوابه و صراطه و بهم يكمل عباده و يفتح عليهم ابواب نعمته و غير ذلك مما يترتب علي وجود الانبياء من الآثار لا شك ان ذلك الفضل من الله كما قال في محكم كتابه هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و ان

كانوا من قبل لفي ضلال مبين و آخرين منهم لمايلحقوا بهم و هو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم فصاحب الفضل العظيم لايخلّ بهذا الفضل البتة و لايمنعه و بوجه آخر نقول فضل الاحد لايتناهي فلا بد من ظهور فضله بما لايتناهي و لو لميخلق ما هو من اعظم الفضايل لكان نقصا في الفضل و هو تعالي منزه عن ذلك .

صفحه ٢٠٧

فصل ان الله عز و جل حكيم و قد بيّن ابي اعلي الله مقامه نتيجة حكمته تعالي و انا اذكرها مجملا لعدم خلو كتابي عنها فاقول ان الله حكيم و الحكيم لايعبث و لايلهو و لايلعب فلميخلق الخلق عبثا ، ربنا ماخلقت هذا باطلا بل قال و ماخلقت الجن و الانس الا ليعبدون اي ليعرفون ، فالعلة الغائية معرفته و توحيده و ذلك في قوة العباد لا فعليتهم كما هو مشهود و وجه ذلك انه تعالي خلقهم من غاية البعد الابعد ليسافروا في سيرهم اليه في جميع الديار و يشاهدوا كل الانوار و غاية البعد ظاهر الامكان و في قوته جميع الاكوان و الله خلقهم منه للوصول الي اعلي درجة العرفان و ذلك لايمكن لهم بانفسهم لنقص الفقدان فان العادم للشئ لايصير باعثه و ذلك ظاهر لمن كان له عينان و لو كان يمكن ذلك لكان يمكن ان يكوّن الشخص نفسه و ذلك ممتنع اذ فاقد الوجود لايكون موجدا افهم ذلك فانه قاعدة كلية تجري في مواضع كثيرة فلا بدّ في الحكمة من وجود مكملين كاملين في صفة المعرفة و التوحيد و لا شك ان المكمل لشئ لايكون مكملا اذا كان محتاجا فيه الي المتكملين فانهم فاقدون له و هو واجد فلا بد و ان يكون المكمل في صفة المعرفة غنيا عن جميع الخلق عالما بنفسه و لا شك انه النبي فان غير الانبياء لايكون بهذه الصفة فلايجوز في الحكمة الاخلال بوجود اشخاص هكذا و نقول ايضا من هذا الباب ان الاناسي مخلوقون لغاية و لحصول الغاية لا بدّ من تمدنهم فانهم لو تفرّقوا في الاطراف في البراري و الفلوات و رؤس الجبال الشامخات و الجحور و المغارات لماحصل هذه الغاية العظيمة منهم بل لميكونوا متمكنين من ذلك لكثرة حوايجهم فان ساير الحيوانات ليس لهم حاجة الي غير ربهم و ان الله خلق لهم ما يكتفون به في عيشهم بخلاف الانسان فانه في جميع اموره يحتاج الي غيره من صغره الي موته و كل واحد منهم بنفسه لايقدر علي سدّ جميع حوايجه و رفع مهماته فلا بدّ من اجتماعهم في القري

صفحه ٢٠٨

و البلدان لرفع الحوائج و انجاح المطالب و لاجل ذلك خلقهم الحكيم مختلفي الطبايع ليذهب كل الي سبيل و يكسب امرا خاصا بطبعه و يرفع حاجة من ابناء جنسه و لو لميجعل ذلك من طبعهم لماحكموه بل لايكادون ينجحون طلبة كما تري عيانا في الاعمال الشرعية الخارجة من حدّ الطبيعة مع ما سمعوا من عواقبها انه لايقبل اليها الا المؤمنون و اما الامور الطبيعية سواءا كانت من الشريعة او غيرها تريها مروجة مرغوبة فيها و كذلك اذا كان طبايعهم متّحدة لطلب جميعهم امرا واحدا و اختل النظام و فسد الامور بلا كلام فلا بد من اختلافها و مع اختلافها يكثر النزاع بينهم كما لايخفي علي العاقل و فسد امر التمدن و في ذلك بوارهم فلا بد ان يجعل الحكيم الذي لميخلّ في جزئي من الجزئيات بينهم رئيسا حاكما عليهم حتي يرفع من بينهم التشاجر و النزاع و يضع كل شئ موضعه و

كذلك لا بدّ و ان يكون هذا الحاكم خارجا من حدّ الطبايع اذ لو كان مقهورا مثلهم للطبايع لصار كاحدهم و لا بد من وجود حاكم له فهو من الافلاك لا من العناصر و فوقهم لا من جنسهم و كذلك لا بد من علمه و حكمته فان الجاهل لايقدر علي الحكومة و غير الحكيم لايعرف السياسة و وضع كل شئ موضعه و اصلاح امر الناس و لا بدّ و ان يكون عالما علي الضماير مطلعا علي السراير فان الجاهل كيف يقدر علي الحكومة بالحق الاتري الي الحكام و السلاطين الجهلة لعدم اطلاعهم علي البواطن ينصبون في المحلات و الشوارع عيونا ليخبرونهم عن حالات رعيتهم و مع ذلك يشتبه عليهم امور كثيرة كما لايخفي و لكن الحاكم بالحق يطلع علي الغيوب و يقف علي المحاسن و العيوب و كذلك لو كان بنفسه عاصيا مثل الرعية لماصار امين الله في ارضه و ماقدر علي الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و ماوصل الي مقام الفعلية فان نقص جميع الخلق عصيانهم و لو كانوا برُمّتهم متقين لصاروا كاملين فالحاكم الكامل معصوم مسلما حتي ان السلاطين الجبابرة

لايختارون للحكومة المغصوبة من كان متجاهرا بالفسق فلاتغفل فالحاكم معصوم لا محالة غاية الامر ان الحاكم الكلي معصوم كلي و الجزئي معصوم جزئي و كذلك لايجوز ان يكون ساهيا اذ يحتمل مع جواز سهوه ان يسهو في الاحكام و حفظ الانام و من جمع هذه الشروط يكون نبيا فمن الحكمة نصب الانبياء بين الناس فافهم .

فصل ان الله سبحانه عادل و العادل لايجور و لايظلم و قد خلق خلقا متكثرا في انواع شتّي و جعل لكل شئ اثرا خاصا فمنها شفاء و منها مهلك و منها داء و منها دواء و كذلك جعل للاعمال آثارا و للاشخاص آثارا فلهم مصالح و مفاسد و ذلك من الامور المسلّمة التي لاينكرها عاقل و لست بصدد بيانها و لكني اريد الاستنتاج منها و ان ابيت الا الدليل مع انها من المسلّمات بل المشهودات فراجع الي ما ذكرناه في توحيد العبادة من تأثيرات الاكوان ، الحاصل ان الله سبحانه جعل آثارا مختلفة و لايعلمها الا هو و خلق خلقا ناقصين جاهلين في غاية البعد و لايعلمون آثار الاشياء و مصالحها و مفاسدها و ربما يستعملون ما يضرّهم فيهلكهم و يعملون ما لاينفعهم و لا سبيل لهم الي علم ذلك بوجهٍ من الوجوه اذ لايعرفونه بانفسهم و لايدركون ربّهم حتي يتعلموا منه فانصف من نفسك و اجعلها حكما أمن العدل ان يتركهم سدي فيهلكون او ينصب لهم عالما بالصلاح و الفساد و الخير و الشرّ فيعلّمهم و يوقفهم لا شك ان الثاني موافق للعدل و الله سبحانه لايخلّ بذلك نعم ليس من العدل ان يجبرهم علي طاعته و لميفعل ذلك بل جعل لهم الخيار و علّمهم طريق السلامة بوجود الانبياء الاطهار .

فصل ان الله سبحانه قادر مطلق و القادر المطلق يفعل ما يشاء بقدرته و لااريد من هذه القدرة الذات فان الذات منزّهة عن الآليّة و السببية و لذا

نهوا صلوات الله عليهم عن ان يقال انه خلق بالقدرة بل المراد القدرة الوصفية و هذه القدرة لاتتناهي و نستدل علي قدرته بهذا الخلق العظيم و وجود القادرين و امثال ذلك و القادر المطلق يقدر علي خلق منظم موافق للحكمة مسلّما و يقدر علي غير ذلك و اذا كان

القادر حكيما هل يخلق الخلق بما يوافق الحكمة اولي او خلافه لا شك ان الاول اولي و هو لايترك الاولي مع انا نجد انه عاب علي انبيائه بترك الاولي و لا شك انه لاينتظم امر الملك الا بوجود حاكم سايس فالقادر الحكيم لايخلّ بهذه الحكمة و كذلك نقول بوجه آخر انه خلق الخلق للمعرفة بلا شك و لا سبيل لهم الي معرفته الا بما اريٰهم من آياته فانصف من نفسك هل يريهم آية جميع صفاته يكون اسهل و اهنأ و ابلغ الي المعرفة ام لا ، لا شك في الاول فنصب بيننا آيات لصفاته مطلقا و هم الانبياء و الاولياء و من صفاته قدرته و اراناها في انبيائه بما خصّهم به بين خلقه و لولا وجودهم لماعرفناها كاملة .

فصل اعلم ان الله سبحانه احد و الاحد لاينسب اليه شئ و لاينسب الي شئ و لايتصل بشئ و لايتصل به شئ كما بيّناه سابقا في توحيد الذات فان جميع النسب و الاضافات مما يليق بالخلق المركب الحادث و الله احد و منزّه عن ذلك فان النسبة يلازم وجودها وجود منسوب و منسوب اليه و هي من عرض واحد لا محالة فان الاعلي لاينسب الي اسفله و بالعكس و اما اذا كانا من عرض واحد فيحصل النسبة بينهما و ذلك امر مشهود يعرفه كل احد و الله سبحانه ذات احدية و لايقوم معها احد من الخلق فكيف يتصور انتساب الخلق اليها فكل نسبة ينقطع هنالك و تفسخت دونها النعوت و بطلت الاوصاف برُمّتها فعلي ذلك لايحصل بين الله و بين خلقه علاقة السببية و المسببية و العليّة و المعلولية مع انها من اشدّ العلايق فانه قد ثبت في الحكمة ان السبب اعلي درجة مسببه و العلة اعلي درجة معلوله و الله سبحانه اعلي من جميع خلقه

فلايكون سبب شئ من خلقه و قد كذب من زعم ان الله سبحانه علّة الخلق و ان روي لفظ يقرب من هذا من الانبياء صلوات الله عليهم اِما يكون افتراءا عليهم او يكون له وجه غير ظاهره اذ قد ثبت بضرورة جميع الاديان ان الله منزّه عن صفات جميع خلقه و لايعتريه ما يخصهم فهو تعالي لايفعل شيئا بذاته اذ ذاته تعالي لاتكون علة و سببا مع انهما من المتضايفات و تعالي عنها خالق البريات قال عليه السلام ما معناه ابي الله ان يجري الاشياء الا بالاسباب فجعل لكل شئ سببا و لكل سبب بابا و لكل باب مفتاحا و مفتاح جميع الابواب عندنا ، انتهي حاصل الخبر و تلك الاسباب هي محال مشيته التي هي السبب الاعظم و العلة الاولي في الملك و تري الاسباب علانية فبالشمس يسخّن و بالقمر يبرّد و بالنجوم يظهر ما يتعلق بكل واحد من الامور و بالسموات مطلقا يربّي عامة المواليد و قد غفل عن ذلك جماعة و منعوا تأثير النجوم زعما منهم ان ذلك شرك بالله و لكني اقول ان اقرّ الانسان باستقلالها بالتأثير اشرك بالله و لكن ان قال انها ايادي صنعه و محالّ فعله و مظاهر امره لايضره ذلك بل هو الحقّ لا غير و لاينكر ظهور الآثار منها الا مُكابر اذ هو امر مشهود و بالجملة فنري علانية ان الله قد جعل لخلق كل شئ سببا و علة ظاهرة بيّنة لولاها لماخلق هذا الشئ ابدا و اذا نظرت الي ذلك و عرفته بالعيان انصف من نفسك هل يكون الامر في جميع الملك بنسق واحد ام لا فان قلت ان الامر في الكل ليس علي نسق واحد ، يلزمك انكار النقل و العقل اما النقل فصريح كلام الله لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا و قوله ماتري في خلق الرحمن من تفاوت و اما العقل المستنير بالنقل ان جميع الملك آثار مشية الله و هي واحدة لا اختلاف فيها فجميع آثارها هكذا و

لذلك انواع أخر من الادلة لست هنا بصدد تفصيل ذلك و ان قلت ان الكل بنسق و وضع واحد ، يلزمك الاقرار بانّ امر الله جارٍ

صفحه ٢١٢

هكذا في جميع الامور الكونية و الشرعية فكما ان كونك لايتم الا بوجود سبب كوني كذلك شرعك يحتاج الي سبب شرعي فان فاقد الشئ لايوجده بنفسه فلا بد و ان يكون في كلتي النشأتين مكمّلون كاملون في الصفة الملحوظة هذا و لايتصوّر ان يكون الشخص مكمّل نفسه في الانسانية الشرعية كما انه لايكون مكمل نفسه في الانسانية الكونية فلا بد من وجود اشخاص كاملين في هذه الصفة حتي يخرجوا ما استجنّ في الصدور و استكمن في القوي من غرايب الامور فافهم .

فصل اعلم ان الله سبحانه واحد متفرد زايدا علي ساير كمالاته و لا شك ان الخلق آثاره غاية الامر ان ذاته منزهة عن المؤثرية و المؤثر اسمه الاعظم اي الكينونة لا من حيث نفسها بل في مشيته فتدبر و ليس هنا محل بسط الكلام فيه و سيجيء بيانه في مقامه ان شاء الله و لا شك ان الاثر علي صفة المؤثر فلا بدّ و ان يظهر انواره و صفاته في خلقه و ذلك قوله تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق و قال و كأين من آية في السموات و الارض يمرّون عليها و هم عنها معرضون و ادلة ذلك في الاخبار و الآثار كثيرة لاتحصي و قد ارانا جميع آياته في ملكه يعني ارانا آثار صفاته في ملكه الاتري انك تستدل علي حكمته بما تري من آثارها و علي قدرته بما تري من آثارها و هكذا تستدل علي جميع صفاته بالملك بل اراك جميعها في نفسك و لكن الناس اكثرهم لايعقلون و لذلك اطلق القول نبيه صلي الله عليه و آله و قال من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ففيك آية جميع صفاته بحسبك و لولا ذلك لماامرك بمعرفته من نفسك فافهم هذا الكلام المجمل و ما تري من الآثار المترتبة علي الاذكار ليس الا بسبب تكمّلها فيك بالمداومة عليها و لو لمتكن في قوتك لماتكمّلت بالذكر و يأتي بيان ذلك في مسألة التكميل و بالجملة فمن اسمائه الاحد و قد جعل

صفحه ٢١٣

جلوته في مجموع الملك و في نفسك اما آية الاحد في الملك فالوجود المقيد و فيك نفسك و ذاتك و كذلك اراك آية الواحدية فيك و في الملك اما في الملك فالعقل الذي هو وسط الكل و الحاكي عن وحدة ربّه اذ لا شريك له و كذلك جعل فيك عقلا هو القطب و المركز و الواحد الذي يرجع اليه جميع مشاعرك و اعضائك و كذلك جعل في كل عالم آية الاحدية و الواحدية و ذلك سرّ لايعرفه الجاهل و العالم يري انه لا مفرّ منه ففي كل عالم حقه آية الاحد فيه و عرشه آية الواحد و كذلك في ظاهر بدنك اراك آية ذلك فالروح آية الاحد لاحاطته بجميع البدن و اللحم الصنوبري الذي هو قلبك آية الواحد لا لنفسه بل لظهور العقل فيه و كذلك في عالم الاناسي برُمّتهم لا بدّ من ذلك فان مجموع الاناسي حكمهم حكم انسان واحد لادلة كثيرة مرّ الاشارة الي بعضها ففي الاناسي ايضا آيات للاسماء و الصفات و يشعر بذلك قوله تعالي و في انفسكم افلاتبصرون فلا بدّ و ان يكون فيهم آية للاحد جلّ شأنه به يعرفون الاحد و آية للواحد و آية الاحد هو الخاتم المحيط بالكل و آية

الواحد ساير الانبياء و المرسلين او آية الاحد اولوا العزم من الرسل و آية الواحد ساير الانبياء او مرسلوهم و لكل وجه و من قال بعدم لزوم وجود الانبياء انكر كون الاثر جامعا لصفة مؤثره فافهم و كذلك من لوازم وحدته اتّساق امر الخلق و انتظامه و لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فلا بدّ و ان يكون في الخلق جميع ما يحتاج اليه في بقائه و انتظامه حتي يدلّ علي ربّ واحد ففيه السبب و المسبب و العلة و المعلول و الفاعل و المفعول و القابل و المقبول و الكامل و المتكمل و من العلل العظيمة الانبياء سلام الله عليهم فلو اخلّ الحكيم بوجودهم يلزم عدم انتظام امر الملك و عدم كماله و تشتته و تفرّقه فدلّ علي آلهة متعددة فان الفساد دليل التعدد و الصلاح دليل الوحدة .

فصل قد ثبت بالادلة القطعية ان الله لطيف صاحب اللطف و قد اطنب الكلاميون القول فيه و قالوا ما قالوا بآرائهم الكاسدة و عقولهم الناقصة و لا بد لنا من بيانه في المقام لاناطة اغلب المسايل عليه في الحكمة و الاصول فاقول ان اللطف بحسب اصطلاحهم ما يقرّب العبد الي الطاعة و يبعده عن المعصية بحيث لايؤدي الي الالجاء و لعلّ من هذا الباب قوله عليه السلام في خبر لا جبر و لا تفويض قيل فماذا قال لطف من ربك بين ذلك ، و قد قالوا انه إما يكون من فعل الله او من فعل المكلف فمن الله تهيئة الاسباب و من الخلق طلب الخير ثم اختلفوا في وجوبه علي الله و عدمه فعن المعتزليين و بعض من الشيعة انه واجب عليه و عن الاشاعرة و جماعة من الشيعة انه لايجب عليه ، دليل من عثرت علي قوله من الاولين ان اللطف يحصل به غرض المكلف فيكون واجبا و الا لزم نقض الغرض ، بيان الملازمة ان المكلِّف اذا علم ان المكلَّف لايطيع الا باللطف فلو كلفه من دونه كان ناقضا لغرضه كمن دعا غيره الي طعامه و هو يعلم انه لايجيب الا ان يستعمل معه نوعا من التأدب فاذا لميفعل الداعي ذلك النوع من التأدب كان ناقضا لغرضه و استدل الاشاعرة بان اللطف انما يجب اذا خلا عن جهات القبح لان جهة المصلحة لاتكفي في الوجوب ما لمينتف جهات المفسدة فلم لايجوز ان يكون اللطف الذي يوجبونه مشتملا علي جهة قبح لايعلمونه فلايكون واجبا و بالجملة بياناتهم الناقصة كثيرة و كلها ناشئة من عدم معرفتهم بالله فاقول قد ثبت مما سبق ان الله ذات احدية و الاحد منزّه عن كل حدّ فان الحدّ نهاية لا محالة فان كل محدود متناهٍ بما هو خارج عن حدّه و كل متناهٍ متنقص و كل متنقص قابل للزيادة و الله القديم منزّه عن ذلك فانه من خواص الحادث فتدبر و لا شك ان وجوب شئ له حدّ اذ يمتنع معه خلافه فلايكاد يصدر منه خلافه ، هذا و نقول ان اللطف بالمعني المصطلح هل يكون صورته تعالي او يكون صفة فعله فان قلت

انه صورة ذاته فقد اقررت بان ذاته فعل فله فاعل غيره و الفعل صفة و لا بدّ لها من موصوف و الله لايكون صفة و ان قلت انه صفة فعله اقول انك لاتقرّ بوجوب الفعل عليه فكيف تقرّ بوجوب عرضه هذا و وجوبه هل يكون بذاته او بايجاب الله فان قلت بالاول اقول هل هو الله او غيره فان قلت انه هو اقول فلاينسب الي خلقه اذ هو احد كساير صفاته الذاتية و ان قلت انه غيره فاقررت بتعدد القدماء و ان قلت بالثاني اقول فلايجب علي نفسه

اذ هو اوجبه لحكمة و ان شاء غيره و بالجملة لايجب علي ذات الاحد شئ بل هو قادر مطلق و غني مطلق يفعل ما يشاء بقدرته و يحكم ما يريد بعزته حتي في السؤال الشيطاني ان الله يقدر علي ان يدخل السماء بكبره في البيضة بصغرها نقول ان قدرة الله لاتتناهي و لاتحدّ بشئ و لكنه لا بد في حدوث الاشياء من قابلية و هذا مما لايكون و ان قيل فكيف الامر في الخلق الاول مع عدم القابليات اقول ان القابليات و ان لمتكن قبل الفعل الا انها مع الفعل كما مرّ في مسألة الجبر و التفويض فمنه الفعل و من القابل الانفعال فلايفعل الا بحسب انفعاله و ان قيل ان الانفعال ايضا من فعله اقول بلي و لكنه اظهره من القابل فظهر منه علي حسبه فتدبر و ان قيل هل يقدر في مثل المقام علي رفع المانع اقول المانع كبر السماء و صغر البيضة و هو قادر علي رفعهما و لكنه بذاته غني و منزّه عن الاقتضاء فلايفتقر الي فعل و لايقتضي شيئا بذاته ابدا و السماء مع صورة الكبر لايقتضي الصغر و كذلك البيضة فهذا مما لايكون لنقص القابل لا الفاعل و بالجملة فالله قادر مطلق و غني مطلق و لايحدّ ابدا بوجوب شئ عليه اذ هو قيد و قد خلق الخلق لظهور كماله و سطوع نور جماله و دلالته عليه سبحانه فلا بدّ و ان يكون الخلق علي اكمل الوجوه و اتمّها ليدلّ علي كماله كما مرّ سابقا فيجب للخلق في الخلق اشياء لا لله سبحانه فانه لايكون مقيّدا بشئ حتي بوجود الخلق اذ يمتنع معه ذكر كل شئ و لكن

للخلق يجب اشياء و امثّل لك مثالا و لله المثل الاعلي فاقول انك باختيارك تنحت بابا لا بان تكون مقهورا عليه بمعني انك ان شئت تنحته و ان شئت لاتنحته و لكن في كون الباب بابا يجب عضادات و الواح و مسامير و يجب تركيب بعضها علي بعض حتي يحصل الباب فاذا قلت ان الواجب في الباب هذا ليس معناه انه واجب عليك فانك فاعل مختار فافهم و كذلك الله ربّنا و فوق ذلك فلايجب عليه شئ حتي كونه ذا مشية و ارادة و كذب من زعم انه يلزمه الخلق فانه لايلزمه شئ و قد خلق باختياره خلقا للغاية الملحوظة و هي المعرفة و الفوز بالنعم و هكذا ساير الفوايد و في خلق الخلق و كمالهم و ظهور الغاية منهم يجب امور منها اللطف اذ لولاه لماعرف احد سبيل الوصول الي الغاية بل لايكادون يعرفون شيئا مطلقا بل بناء الكون و الشرع علي اللطف فليس اللطف واجبا علي الله و لكن لخلق الخلق فيهم يجب اللطف و من اعظم اللطف وجود الانبياء و الحجج في كل الازمان و الله سبحانه لميخلّ به اذ قوام خلقه بذلك اذ الخلق بانفسهم لايقدرون علي الاخذ عن الله اذ خلقهم بحسب قابليتهم لا بحسب نفسه و القضاء بحسب الاقتضاء ففيهم ناقصون جاهلون عاجزون بل كلهم هكذا في بدء امرهم اذ خلقهم من التراب اذ ساير مراتب البسايط و الغيوب لميقتض استخراج خلق متكثر منه و الله سبحانه بذاته لايقتضي شيئا و التراب كان صالحا مقتضيا لذلك فخلق خلقه المتكثر منه فالخلق في اول امرهم ناقصون لا محالة و لايقفون مع غلبة النباتية و الحيوانية عليهم موقف النفس القدسية الالهية حتي يقتدروا علي استماع الوحي من الله تعالي فلا بدّ من وجود كاملين في الملك حتي يطلعوا بالوحي علي جهات الحسن و القبح فيعلموا الخلق و هذا من لطف الله علي خلقه و من ذلك اعرف حقيقة الامر في كل مقام فانه ثبت لك ان اللطف واجب في قوام الخلق و بعض قالوا انه واجب علي الله فانصف هل يجوز في اللطف ان يغيب الحجج بالكلية و ينقطع

السبل اليهم بالمرة و يسدّ باب العلم بالصلاح و الفساد بالمرة ام لا ، لا شك ان الاول خلاف اللطف بالمرّة بل من اللطف وجود حجة في الملك و فتح باب العلم بالصلاح و الفساد و الله سبحانه لايخلّ بذلك البتة و ما نقول ان الامام وجوده لطف و غيبته لطف آخر لانريد من ذلك غيبته و سدّ الابواب اليه و انقطاع الحجج بل غيبته بشخصه لطف مع وجود حججه في الخلق و فتح باب العلم بالاحكام و الا لبطل النظام و لميحصل المرام و بقي الخلق كالانعام .

فصل لو بنيت علي اثبات المطلب بكل اسم من اسماء الله جل شأنه لطال بي الكلام مع ان مرادي الاختصار فاختم هذا النحو من الاستدلال بهذا البيان الكلي و يستخرج منه جميع المطالب بل يظهر من ذلك اسرار كثيرة من اسرار آلمحمد عليهم السلام فاعلم ان الله سبحانه كان قبل الاكوان و الامكان بلا نهاية كما هو بعدها بلا نهاية كاملا بالفعل لا كما يزعمه الزاعمون ان كمالاته التي هي غيره في ذاته مفصلة او مجملة فان ذلك شرك بالله و قد مرّ بطلانه سابقا بل ذاته سبحانه ذات كاملة بذاتها غنية عما سواها و كمالاتها الوصفية ثابتة في مقاماتها و هو تعالي عالم بجميعها بالعلم الازلي الذي لا انقطاع له و احاط بكلها و سبحان من هو هكذا و لا هكذا غيره و هذا العلم فوق المشية كما مرّ سابقا اذ هو تعالي قد علمها و شاءها علي ما علم و خلقها علي ما شاء و كلها مخلوقة له تعالي اذ حق و خلق لا ثالث بينهما و لا ثالث غيرهما و قد خلق اول ما خلق اسماءه و صفاته اذ هي ما تنبئ عنه تعالي و لا شك ان اشرف خلقه ينبئ عنه لقربه من مشيته تعالي و المشية هي النبأ العظيم الذي لميختلفوا فيه اذ كل اتوها طائعين و بعد ما اكمل خلق الاسماء و الصفات اراد تكميل الادوار و عمارة الاكوار بها اذ هي الاسباب التي اشار اليها في كتابه و طمع فرعون الانية و العبودية الوصول اليها و لميبلغ مراده و اتبع ذوالقرنين واحدا منها اذ لميكن نبيا و لا شك ان التكميل الكامل

لايحصل الا بنزول نفس المكمل الي المتكمل اذ لا بد من اتصاله به حتي يضعف بقوته ضدّه و يستخرج منه مثله و لايحصل ذلك الا بالمناسبة الاتري ان الاجسام لايتكملون بالارواح الا بعد نزولها اليها فان النبات لايخرج منه الحيوانية الا اذا اتصل ببدن حيوان او نزل اشعة الافلاك في الاجسام المتناسبة اليه و الا فلايكاد يكمل بغير ذلك فلذلك امر الله الاسماء بالنزول الي الآثار في قوالب مثلها و ينبئك عن ذلك قول سيدالشهداء عليه آلاف التحية و الثناء و روحي له الفداء امرتني بالرجوع الي الآثار و كسوة الانوار فارجعني اليك منها مصون السرّ عن النظر اليها الخ ، فنزلت الي كل عالم حتي انتهت الي ذلك العالم و كملت المطلقات علي غاية الكمال الملحوظة فيها ثم سارت راجعة في الصعود و كملت في القوالب الشخصية مراتب الشخصيات كاملة حتي رجعت الي حيث بدأت و من تلك المنازل منزل الاناسي فلا بدّ فيها من ظهور الاسماء و الصفات لها بلباسها و الله سبحانه لميخلّ بهذه الحكمة العظيمة فجعل لاسمائه و صفاته مجالي بل قوالب تحكيها و يتكمل بها جميع الخلق و كذلك تقدير العزيز الحكيم و هم الانبياء و الاولياء سلام الله عليهم

.
فصل اعلم ان الله سبحانه ذات يمتنع ادراكها اذ لايدرك المشاعر الا ما تحويه و الله سبحانه لايصير محويا و لايحتويه احد من خلقه و هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و مع ذلك خلق الخلق لمعرفته و العلم به و السير اليه اذ مراده من الخلق ظهور اسمائه و صفاته فيهم و هم مع ذلك محجوبون عن ادراكه تعالي باقون في جهالتهم و نقصانهم محتجبون بحجب انياتهم فمن الحكمة ان يظهر لهم في مجالي من سنخهم ليعرفوه فيها و بها و منها لا اني احتم عليه نعوذ بالله بان ذلك واجب عليه بل ابيّن حكمة صنعه انه صنع هكذا فلاتغفل فتجلي الله سبحانه في انبيائه و رسله و حججه لهم

صفحه ٢١٩

فالانبياء بظواهرهم عباد امثال الناس و ببواطنهم آياته و علاماته كما قال الله في محكم كتابه قل انما انا بشر مثلكم يوحي اليَّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا و لايشرك بعبادة ربه احدا اي انا بشر في الظاهر و اوحي اليَّ بجعل الالوهية في سريرتي و قد هتك الستر لغلبة السرّ و جذب الاحدية لصفة التوحيد ، فمن كان يرجو لقاء ربه اي البعث و في يوم البعث يزورون ربهم لظهور باطن النبي في الجملة منه لا علي نحو الكمال لعدم طاقة الخلق ، فليعمل الي آخر اي لايشرك بالانبياء و الاولياء و ليعبد الله بولايتهم و بالجملة حاصل الكلام ان الله سبحانه ظهر لخلقه بهم و لولا ذلك لماتمكّن احد من الخلق من معرفته و ان قال قائل لمَ لميظهر بذاته و لمينزل الينا مع قدرته اقول لا معني لظهور الذات الا ذلك فان الظهور غير الذات و كلما هو غيرها خلقها فظهرت بظهورها و اسم الظهور النبي و الولي فلا محيص عن الاقرار بذلك و يكفي هذا القدر من البرهان الحكمي فان الناس قلّ ما يقنعون به .
فصل قال الله تعالي ادع الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي احسن فلما اتيت علي دليل الحكمة اريد ان استدل عليه بالموعظة و المجادلة ، فاقول اجعل عقلك الذي جعله الله حجته فيك لتعرف حجته الظاهرة به حكما و احكم به فان دليل الموعظة لايعرف الا بالعقل هل وجود رجال علماء حكماء كاملين معصومين اولي و احسن و اكمل او عَدَم وجودهم ، لا شك ان الاول احسن و اكمل و الله سبحانه هل يترك الاولي و الاكمل مع قدرته عليه من غير باعث لا شك انه لايترك ذلك لانه نقص في الحكمة فجعل في ملكه رجالا هكذا لا محالة و بوجه آخر من الموعظة نقول لمنكري النبوة انا او اياكم لعلي هدي او في ضلال مبين و لا شك ان الانبياء ان كانوا صادقين في ادعائهم لنجا مصدقوهم مسلما و هلك الباقون و ان كانوا كاذبين نعوذ

صفحه ٢٢٠

بالله لكنا جميعا علي السواء اذ ذهبتم الي جهة و ذهبنا الي جهة و الله سبحانه علي قولكم لميرسل نبيا لينذرنا فلايعذبنا بفعالنا و هذا نوع استدلال مستنبط من الكتاب و السنة و يليق علي منكري النبوة رأسا و اما الذين يقرّون بلزوم وجود نبي و يتمسكون باهل الباطل فنقول لهم افمن يهدي الي الحق احق ان يتبع امن لايهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون .

فصل في دليل المجادلة و اقتصر فيه علي حديث ارويه عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق الذي اتي اباعبدالله عليه السلام فقال من اين اثبتت انبياء و رسلا قال ابوعبدالله عليه السلام انا لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنّا و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيما لميجز ان يشاهده خلقه و لا يلامسوه و لا يباشرهم و لا يباشروه و يحاجّهم و يحاجّوه فثبت ان له سفراء في خلقه يعبّرون عنه الي خلقه و عباده و يدلونهم علي مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم في خلقه و ثبت عند ذلك انه له معبّرين و هم الانبياء و صفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس في احوالهم علي مشاركتهم لهم في الخلق و التركيب مؤيدين من عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك في كل دهر و زمان ما اتت به الرسل و الانبياء من الدلايل و البراهين لكيلاتخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدلّ علي صدق مقالته و جواز عدالته و هذا الحديث الشريف يكفي عن ادلة كثيرة و ان كان بناء الناس علي عدم الاستدلال بالكتاب و السنة في اثبات التوحيد و النبوة لانهما من الاصول التي ينبغي اثباتها بالادلة العقلية و الكتاب و السنة حجتان بعد العلم بحجية النبي و لكنا قد ثبت لنا و الحمد لله حجيتهم و صدقهم و كثرة استدلالنا عليها لتكميل العقول و ارتياض النفوس فلذلك نستدل عليهما بهما مع ان المراد من دليل العقل ما يعرفه العقل السليم و يتيقن به و لا شك ان كلماتهم صلوات

صفحه ٢٢١

الله عليهم ناشئة من العقل الكلي المستنير بنور الله و ان لميعرف ذلك الا الاقلون هذا و في هذه الاخبار استدلال منهم بالادلة العقلية فبرواياتها لفظا و معني ملكنا النشأتين العقل و النقل و تركنا ما عليه بناء القشريين من الادلة التي هي مثال الفوم و القثاء و البقل .

المطلب الثاني في بيان درجات الانبياء و عددهم و ما يتعلق بذلك بقدر مسيس الحاجة اليه و فيه فصول :

فصل اعلم ان للانبياء درجات مختلفة بحسب حكايتهم للمبدأ و ان كانوا مشتركين في بعض الصفات كما ان افراد الاناسي مختلفون بحسب مراتبهم و ان كانوا مشاركين فيما يخص بالانسان و ذلك ان لكل شئ صورة مقومة بها هو هو و لو تغيّرت او نقص منها شئ او زاد عليها شئ لتغير الشئ عن ذاتيته كالعشرة مثلا فانها عشرة بهذه الاجزاء الخاصة فلو تغيّرت بالزيادة و النقصان لماكانت عشرة و كذلك الامر في جميع الاشياء جنسا كان او نوعا او شخصا اذا تغيّر مقومة الشئ تغيّر عما هو عليه فالماء ماء بالصورة المائية و هي البرودة و الرطوبة و الماء الخاص ماء خاص بهذه الخصوصية و الجسم جسم بصورته الخاصة التي هي فصله و نعبّر عن المقومة بالنفس و الاشياء هي هي بنفوسها و ذلك امر واضح فالاشياء باقية ببقاء نفوسها و لكن لها متممات اي كمالات و ظهورات دونها سواء كانت من آثارها او غيرها تظهر فيها و هي متغيرة متبدلة و لايتغير بتغيرها المقومة ابدا مثال ذلك ان زيدا له صورة هو بها هو و هي صورته الذاتية التي بها يمتاز عن غيره و هي باقية ثابتة لاتتغير و لو تغيرت علي فرض المحال لماكان زيد زيدا و هي ما تراه دايما و تعرفه به و له متممات من صفاته و اخلاقه و بدنه و غير ذلك من اعراضه العامة الداخلة و الخارجة

و هو يتقلب فيها دايما و هي متغيرة متبدلة و زيد ثابت في جميع حالاتها اذ ليس قوامه بمتمماته بل هي اعراض تقمصها لمصالح في ايام و كذلك الانسان المطلق له صورة مقوّمة يكون انسانا بها و هي فصله عن غيره من انواع الحيوان علي اصطلاح و لكن علي اصطلاحنا لايشارك الانسان ساير الحيوانات في جنس الحيوان و لكن المراد محض تمثيل في المقام فالانسان بصورته يكون انسانا و لو تغيّر عن صورته لماكان انسانا و له افراد هي متمماته كل منها واقف في حدّ و مقام و هو بتمامه ظاهر في كل فرد فرد منها و لو تغيّر صورته الذاتية في فرد بزيادة او نقصان او تبدل جوهر الي غيره لماصدق علي هذا الفرد الانسان و نحن نري انه يصدق عليه اسم الانسان فلا بد من ان نقول ان الفصل ثابت في جميع الافراد و لكن خواصها مختلفة و اعراضها متفاوتة و اختلاف الدرجات باختلاف حكايتهم للكمالات و وقوفهم في انواع الدرجات بنسبة بعضهم الي بعض انظر الي العرش و الكرسي و الافلاك و العناصر و غيرها من افراد الجسم فان الجسم ثابت في كلها بصورته التي هي ما به هو هو الاتري انك تقول في حدّه انه جوهر قابل و كل افراده جوهر قابل نعم هي في حكاية الكمالات لاختلاف الدرجات مختلفة فبعضها سماء و بعضها ارض و بعضها نبات و بعضها جماد و لكن الكل جسم فالاختلاف في مقام نسبة بعضها الي بعض لا بالنسبة الي الجسم المطلق فانه مادة نوعية بصورتها و المادة النوعية و صورتها نسبتها الي الاشخاص بالسواء و كذلك الامر في الانبياء فان للنبوة صورة نوعية و هي فصلها و لا بدّ من ثبوتها في جميع الافراد اذ لو لمتظهر في واحد منهم لماثبت له اسم النبوة و الكل نبي نعم لهم درجات بنسبة بعضهم الي بعض فمنهم في مقام عرش عالمهم و منهم في الفرش فالعرش مقام نبوّة الخاتم صلي الله عليه و آله و الكرسي مقام اولي العزم من الرسل و الافلاك مقام الرسل و الارض مقام غيرهم من الانبياء و لكن هناك نكتة دقيقة احبّ الاشارة

اليها و هي انّا نقول ان الصورة الانسانية مثلا صورة كاملة و نقول في وصفها انها عالمة ذاكرة فاكرة عاقلة حكيمة نَزِهة نبيهة و كذلك نقول في النبوة انها النفس القدسية الالهية و نصفها بما نصفها من الكمال و نسلب النقص عنها بالمرّة و لا شك ان كمالاتها و كمالات نفس الانسان ذاتية و نري في افرادهما بل في افراد ساير المطلقات ايضا انها ربما تكون فاقدة لاكثر كمالات مطلقاتها و مع ذلك يصدق عليها اساميها و هذه مسألة صعبة فاعلم ان المطلق علي ما عرفت مقام المادة و الصورة النوعيتين و مقام النوع مقام الامكان و لا تعيّن فيه لشئ من كمالات الاشخاص التي دونها بل هي قوتها اي صلوح الظهور و التصور بها الاتري الي الجسم المطلق فانك تقول انه مطلق لكل الافراد ظاهر بجميعها و تقول في حدّه انه جوهر قابل و القابلية هي الصلوح و القوة لا الفعلية فهو قوة جميع الكمالات الجسمية و ما سمعته منّا انه واجد لكمالات ما دونه نريد انه واجدها في ذاته بالابهام و في مقام وجودها بالخصوصية بل الكمالات الخاصة في مقام الافراد و هي خارجة عن ذات الجسم و اذا كان تعريف الجسم انه جوهر قابل فهو المتصور بالكامل و

الناقص و اللطيف و الكثيف اذ هو قابل للتصوّر بكلها فاذا تصوّر بصورة التراب يكون الترابية احدي جلواته و هو ظاهر فيها بصورته و هو الجوهر القابل و اذا كان ذلك صورته فلايضرّه الظهور في السماء و الارض و هو هو فيهما و الارض من حيث ارضيتها فاقدة للسماء و من حيث جسميتها قابلة لها و هي جسم بقبولها و كذلك في الانسان المطلق فان كمالات الانسان في قوته لا فعليته الاتري ان الامام عليه السلام قال في تعريفه ان له خمس قوي و خاصيتان و القوة غير الفعلية و الخاصيتان مترتبتان علي خروج القوي و ما لمتخرج لاتبرزان و لميسمّهما عليه السلام باسم القوة لانهما نتيجتا هذه القوي و ليستا امرا زايدا علي القوي بل هما ثمرة القوي بعد الفعلية و بالجملة فالعلم و الحلم و الفكر

و الذكر و النباهة قوي الانسان فالانسان جوهر قابل لها كما ان الجسم جوهر قابل لاعراضه فليس من شرط صدق اسم الانسانية علي الفرد كمال العلم و الذكر بل اذا صار قابلا لذلك يسمّي انسانا و هذا مذهب آلمحمد عليهم السلام و لذا نقول ان جميع بني آدم يحشرون في زمرة الاناسي حتي الاطفال و المجانين فان المناط القابلية و امتياز الانسان من الحيوان بقابليته بل الامر هكذا في الحيوان فان الحيوان جوهر قابل للسمع و البصر و الذوق و الشم و اللمس و لذلك تسمّي الاعمي بالولادة حيوانا و لو كان من صورته فعلية البصر لماسمّي حيوانا بل من الحيوانات من يفقد مشعرا او اكثر في خلقته بل ربما لايكون له الا اللمس و مع ذلك تسمّيه حيوانا فالمناط في ذلك ظهور النوع بصورته النوعية و هي القوة اي قوة الاشخاص و كذلك الامر في الانبياء صلوات الله عليهم فان النبوة المطلقة لها مادة هي نور اول ما خلق الله صلي الله عليه و آله و صورة كاملة نورانية و هي الروحانية المطلقة و النفسانية الكلية الالهية و لها خمس قوي بقاء في فناء و نعيم في شقاء و عزّ في ذلّ و صبر في بلاء و فقر في غناء و لها خاصيتان هما نتيجة الكل و هما الرضا و التسليم و هذه في نفس هذه النفس بالقوة كالسمع و البصر و الذوق و الشمّ و اللمس في الحيوان المطلق و هذه الصورة المقدسة و القوي ثابتة لجميع الانبياء سلام الله عليهم و لكن اختلافهم بحسب فعلية هذه القوي في قوابلهم الشخصية و لكن هنا مسألة اخري يجب التنبيه عليها و هي ان القوة قوتان قوة ميتة و هي صرف الصلوح و قوة حيّة ثابتة و هي فعلية مبهمة مطلقة مثال الاول صورة التثليث و التربيع بالنسبة الي الشمعة فان الشمعة فاقدة لفعلية التثليث و التربيع و هما في قوتها اي تصلح للتصور بهما فاذا تصوّرت بهما يصيران فعلية لها و لكن القوة الحية ليست هكذا بل تسمي قوة بالنسبة الي الشخصيات و الا فهي في نفسها فعلية و هي كالروح الحيواني مثلا في ادراكه فانه بنفسه درّاك مطلق و دراكيته بالفعل

و لكن خصوص السمع و البصر مثلا في قوته يعني ان الدرّاك المطلق اذا نظر في العين و منها يري فخصوصية الرؤية لاتكون بالفعل مشخصة الا في العين و لكن الدراكية ايضا له بالفعل و هي حقيقة الرؤية فافهم و كذلك الامر في قوي المشية فانها و ان كانت قوة

للكمالات الخاصة الا انها كاملة مطلقة و لها حقيقة جميع الكمالات و لذا نقول ان المشية يثبت لها جميع الكمالات بالفعل فتدبر فان ذلك مسألة شريفة دقيقة و من هذا الباب تصف الانسان بالسميع و البصير و الذائق و الشامّ و اللامس و العالم و الحكيم و الذاكر و الحليم و النبيه في حال اتصافه بها و غيره و من هذا الباب نقول ان الله بصير اذ لا مبصر و سميع اذ لا مسموع و عليم اذ لا معلوم و بالجملة نرجع الي ما كنا بصدده فالانبياء برُمّتهم يملكون النفس الكلية و لذا يسمون انبياء و لجميعهم هذه القوي ثابتة و التفاوت فيهم بحسب الفعلية الخاصة فمنهم وقفوا في مقام الكلية و الاحاطة و منهم وقفوا دون ذلك باختلاف الدرجات كما في الاناسي فان اختلاف الدرجات بحسب العلم و ساير الصفات .

فصل اعلم ان للانبياء مقامات كثيرة كلياتها ترجع الي ثلثة منهم اولوا العزم من الرسل و منهم الرسل و منهم الانبياء و لكن جزئياتها كثيرة و ان لمتكن بكثرة الاناسي و ذلك ان الله سبحانه احد و لميصدر منه اولا الا الواحد و هو مشيته و هي و ان لمتبلغ درجة البساطة المطلقة لان الله لميخلق شيئا فردا قائما بذاته و لكنها في غاية الوحدة و البساطة التي تجوز في الخلق لانها نور اشرق من صبح الازل و فعل مطلق و مبدء الخلق فلاينبغي فيها الكثرة ثم من بعدها مقام ساير الانوار و درجات الخلق و كلما كان اقرب منها يكون اشبه بها و كلما كان ابعد يكون اقلّ شباهة كما تري في نور السراج فكلما يكون اقرب من السراج يكون اضوء و انور و كلما يكون ابعد يكون اظلم فمبادي الاكوان اوحد و اكمل و اقوي و ادوم و اباعدها انقص علي

حسب درجاتهم و تفاوت منازلهم و تكثرهم اكثر فاول ما خلق الله بعد المشية في غاية الوحدة و لذا نقول ان حقائق آلمحمد سلام الله عليهم في غاية الوحدة و كلهم واحد و كمالهم واحد بل مظاهرهم ايضا في غاية الوحدة و المناسبة لا اختلاف بينهم و لذلك يملك آخرهم ما يملك اولهم و كلهم نور واحد و روح واحد ثم دونهم في هذه الصفة الانبياء فليسوا بكثرة الاناسي و لا بوحدة الائمة و لذا تري بعضهم يخالف بعضهم في الصفات و الكمالات و يختلف درجاتهم في الدنيا و الآخرة و لذا يتفاوت جهات خدمتهم في الملك فبعضهم يؤمر بالظاهر كما في موسي و بعضهم يؤمر بالباطن كما في خضر علي نبينا و آله و عليهم السلام و لكن ائمتنا صلوات الله عليهم كل منهم مأمور بجميع الجهات و كلهم حجج الله علي اهل الارض و السماء و الفالف عالم ثم دون الانبياء مقام الاناسي فكثرتهم ازيد من الانبياء و اقل من الجن و فيهم ايضا كاملوهم دائما اقل و المؤمن قليل المؤمن اقل من الكبريت الاحمر و لذا لايتجاوز في عصر من الاعصار عدد النقباء اثني‌عشر او ثلثين و عدد النجباء سبعين او مأة و اما ساير الناس فعددهم آلاف الوف و كذلك من بعدهم عدد الجن اكثر ثم الملئكة فان الله لميخلق خلقا اكثر من الملائكة كما في الخبر و المراد اما ان اصحاب الشعور منهم عددهم اكثر و اما ان الملائكة بالمعني الاعم عددهم اكثر من الكل فان الملئكة باحد المعاني تشمل ما سوي الشياطين و عددهم اكثر منهم بمرّات او غير الجامعين و الجامعون اقل قليل و الا فبالقواعد الحكمية عدد الحيوانات اكثر من الملئكة بالمعني الاخص و عدد النباتات اكثر من الحيوانات و الجمادات اكثر من الكل فتدبر و ليس لي الآن اقبال الي بسط الكلام في هذه المسألة لقلّة محصولها فعدد الانبياء اقلّ من

جميع الاناسي ففي كل زمان ينحصر عددهم في جماعة مخصوصين و في زماننا ينحصر باربعة و هم الاركان صلوات الله عليهم ظاهرا ثم في الانبياء

ايضا اكملهم اقلّهم كما في الاناسي فان اولي العزم لميتجاوزوا خمسة و خرج كل منهم في زمان و مضي ازمنة كثيرة من بعده حتي بعث من في مقامه او اعلي او اسفل الي ان انتهي الي الخاتم و ختم به البعث ثم من بعدهم الرسل و عددهم ثلثمائة و ثلثةعشر رجلا بعدد اصحاب بدر ثم من بعدهم الانبياء عددهم اكثر من الكل .

فصل في بيان مقاماتهم صلوات الله عليهم ، اعلم ان الله سبحانه اول ما خلق خلق العقل و هو اول خلق من الروحانيين عن يمين العرش و هو القلم الذي نبت في حافة بحر صاد و هو بحر تحت عرش الله و ذلك قوله تعالي ص و القرآن ذي الذكر و قوله تعالي و كان عرشه علي الماء و هو عين النون الذي ذكره تعالي في قوله ن و القلم و ما يسطرون او غيره و الانظار مختلفة و التعبيرات متفاوتة و هذا العقل المبارك هو اول صادر من مشية الله و هو منها بمنزلة الشعلة من النار و بعد ما اشتعل بنور المشية صدر منه نور و هو الروح المطلق و يعبّر عن ذلك بنزوله و ادباره و الا فهو بذاته لمينزل من مقامه كما سنبيّنه في مقامه ان شاء الله و هذا الروح هو الروح الملكوتي و به حيوة جميع ملك الله و قوامه و هو البرزخ بين النفوس الصورية و العقل المعنوي و السفير منه اليها و هو بمنزلة المردنجي الحاكي عن الشعلة لمن وراءه او النور الساطع منها عليه و هو اشبه كل شئ بالعقل الا ان له اختصاصا مّا ، ثم سطع منه نور و لما كان هذا النور ابعد من العقل صار حدوده اكثر من العقل و الروح فصار نفسا كلية و هي مقام اول التعينات و كلما صار ابعد من المبدء صار اقلّ مطاوعة لامر العالي فصار شعوره اقل حتي انتهي به الي هذا التراب المشهود فخرّ العقل هنا ساجدا و لميبق لنفسه حيوةً و لا قواما في جنب نور الله و لاتزعم ان بين كلامنا انه اشرق الي ما دونه لا انه ادبر بنفسه و بين قولنا انه خرّ ساجدا هنا تعارضا فان لكل وجها و اهل العلم لايجدون تعارضا

ثم ناداه الله من التراب بامر اَقْبِلْ كما خلقه اولا من الامكان الاول بامر كُنْ و قد يعبّر عن كُنْ ايضا باقبل كما في حديث ان الله قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل ، فالامر الاول متعلق بوجوده و ذلك اقباله من الامكان بعد ما كان ثابتا قائما بالعلم فانه ادبر من هذا المقام و صار فعلياته بالقوة و مات في الامكان ثم خلق منه و ذلك ما نقول ان الله علم ثم شاء ثم اراد ثم قدّر ثم قضي ، فبعد ما اقبل اراد الله ان يريه ملكوته فامره بالادبار ثانيا لاستكمال ما علمه منه فنزل حتي مات ثانيا في التراب فان الظاهر عنوان الباطن و قد علم اولوا الالباب ان الاستدلال علي ما هنالك لايعلم الا بما هيٰهنا ثم امره بالاقبال ثانيا كما اقبل اولا فصعد صاعدا ما صعد من عرصة التراب و تكمل حتي خرج من قوته ظاهر الفلك اي الطبيعة الخامسة الواقعة علي العناصر فان الافلاك طبيعة خامسة فصار حينئذ نباتا ثم وصل اليه النداء ثانيا و هو نداء مستمر يسمعه طالبوه و غفل عنه من لايكون طالبا للترقي الي الدرجات فاطاع امر الآمر و تلطف بنفس هذا النداء مرّة

ثانية و القي منه الفضول و الاعراض فخرج من كمونه باطن فلك القمر اي مثاليته التي هي نفس الحيوة القمرية فصار حيوانا درّاكا متحركا بالارادة ثم وصل اليه النداء مرة اخري و اصغي اليه كرّة بعد اولي فخرج منه ارواح ساير الافلاك متدرجا لا مرّة واحدة فصار حيوانا ناطقا كاملا في حيوانيته بل حصل له ساير المشاعر ايضا و صار مولودا مثاليا لخروج المشاعر البرزخية من كمونه ثم وصل اليه النداء فخرج من كمونه النفس الانسانية و اما الجن و الملائكة فهم من اطراف الوجود و ان كان يجوز ان يقال انهم قبل الانسانية يخرج من كمونهم الملكية و الجنية و من هذا الباب ورد ان الاكراد قوم من الجن و لكن لطرفيتهم لايعتني بذكرهم ثم ان لاصحاب النفوس الانسانية اختلافا فان كان ظهور النفس فيهم ضعيفا و لميبلغ حدّ الكمال و بروز الصفات الانسانية كاملة يعدّون

انسانا جزئيا كالاناسي الجزئيين و هم الذين حصل لهم فكر و روية و علوم و ذكرٌ مّا بحسب شأنهم و درجتهم فاذا كمل فيهم النفس يكونون كُمّلين و تفاصيل درجاتهم و مقاماتهم ستجيء بعد ان شاء الله ثم لما وصل اليه النداء ثانيا اقبل اقبالا حتي وصل الي مقام الروح الملكوتي و اعلم ان من غاية البعد الذي هو الجماد لميقبل الا بعض اجزائه الصالحة و الغلائظ باقية في مقامها ثم من النبات ايضا لميبلغ جميع اجزائه الحيوانية بل له طوافي و رواسب و بقي الراسب و صعد الطافي و هكذا في كل مقام سقط جماعة و ان كان اصل المراد الوصول الي درجة العقل حتي يكون العود علي البدأ و لكن الله سبحانه لايظلم احدا و يفعل بهم بحسب قوابلهم فمن كان قابليته ضعيفة بقي في الدرجة السافلة و صعد القوي و بلسان آخر نقول ان القبضة المتخذة من التراب ان كان رطوبة انفعالها كثيرة تطاوع فعل الفاعل في كل الاحوال و الدرجات و تأتمر بامر الآمر و تصعد حتي تبلغ منتهي الكمال و من كان رطوبته قليلة يقف اذا يبست فمنهم من يبست في رطوبته النباتية فوقف هنا و منهم من طاوعت الي الحيوانية و يبست هنا و هكذا ففي كل درجة و مقام وقف جماعة و لميصعدوا و لذا اختلف مدارج الخلق و بالجملة بعد ما وصل الي الروح يفتق له مشاعر روحانية ملكوتية و الواصلون اليها مختلفون فمنهم من لميبلغ درجة الكمال يعني لميغلب عليه الروحانية حتي يقهر ساير مراتبه بالمرّة و يصير الحكم و الاثر للروح بالمرة فلانسانيته مقتضيات يجول فيها و لكن له روح ملكوتي اذا غفل عن انسانيته و توجه اليه يظهر فيه حكم الروح و ذلك كمن صار صاحب الخيال و لكن لميغلب عليه بحيث يقتدر علي التخيل في كل حين لغلبة الحيوانية عليه فاذا نام مثلا يغفل عن الظاهر فيري في المنام و منهم من يكون اعلي من هذه المرتبة و ربما يتخيل في يقظته و لكن لايري عالم المثال مكشوفا ضيئا كالدنيا و منهم من يري ضيئا في يقظته كاصحاب الرياضات فانهم كلما ارادوا

ان يتفكروا يتيسر لهم ذلك و كذلك حال الانبياء سلام الله عليهم فمن لميغلب عليه الروحانية لايقدر علي النظر بعين روحه في اليقظة ابدا و لكن اذا نام و غفل عن انسانيته يري الملئكة النازلين عليه بالوحي و يسمي هذه الجماعة بالانبياء و ربما يسمعون الصوت

ايضا في يقظتهم كصوت السلسلة و يحتمل ان يكون سماع الصوت مقاما آخر فوق الاول او دونه و لكل وجه و اذا غلب عليهم الروحانية حتي اشتعل دخان انسانيتهم بنور النبوة يرون في اليقظة و النوم و يسمعون الصوت و في بعض الاخبار عدّوا منهم اهل النكت في القلب و النقر في الاذن و هو ادون من الرؤية او هو من السماع و منهم من صعد من هذه المقامات و بلغ من خلوصه و خرق حجاب انيته مقام الكلية فاشتعل بالروحانية الكاملة فصار اشبه الخلق بالائمة عليهم السلام و هو مقام اولي العزم و هم الذين لميغفلوا عن الله طرفة عين و لميعصوا كعصيان آدم و شأنهم ارفع من ان يذكر و اعلم ان المراد من الملئكة المذكورين حملة الوحي من الله بوحي تأسيسي او تأكيدي و الا فنوع الملائكة مكشوفون للانبياء دائما و لايعقل عدم رؤيتهم لهم اذ الملئكة خلقوا من آثارهم بل ربما يرونهم من هو ادون منهم كما ورد في اخبار منها ما رواه اسحق بن عمار ما معناه انه رأي جماعة يصلون عند قبر الحسين عليه السلام و لميعرفهم و سأل الصادق عليه السلام عنهم فقال هم جماعة من الملئكة مرّوا بالحسين (ع) يوم عاشورا و لمينصروه فامرهم الله بالنزول الي قبره و وقوفهم هنا شعثا غبرا و كذلك بعض الاصحاب غيره شاهدوا الملئكة او علامتهم و بالجملة فالانبياء صلوات الله عليهم كانوا يرون الملئكة بلا شبهة بل الملئكة كانوا يستفيضون منهم الفيوض و الامداد فانهم سكنة السموات و الارضين و الانبياء فوق الملكوت بل اقول ان الملئكة خدّام شيعة آلمحمد عليهم السلام فكيف لايظهرون للانبياء و هم مؤثروا الشيعة لااقول ان كل الشيعة يرونهم بل اقول انهم خدّامهم كما في الخبر

ان الملئكة لخدامنا و خدام شيعتنا و ليس شرط الخدمة رؤية المخدوم للخادم الا بمعجزة الامام كما مرّ او بنحو آخر و الله اعلم به نعم عند ظهور الامام عليه السلام يرونهم معاينة بل ربما يرونهم ساير الناس كما يرونهم في عالم المثال و حين الموت و في القبر ، الحاصل فالملئكة يرافقون الانبياء و يعاشرونهم و لكنه لاينزل الملئكة عليهم بوحي خاص في اليقظة بل نوم كنوم ابرهيم او الهام من الله كما ورد في الخبر .

فصل في ذكر بعض الاخبار في مقاماتهم و خواص رتبهم ، عن بريد عن ابيجعفر و ابيعبدالله عليهما السلام في قوله و مارسلنا قبلك من رسول و لا نبي و لا محدّث قلت جعلت فداك ليس هذه قراءتنا فما الرسول و ما النبي و المحدّث قال الرسول الذي يظهر له الملك فيكلّمه و النبي يري في المنام و ربما اجتمعت النبوة و الرسالة لواحد و المحدّث الذي يسمع الصوت و لايري الصورة قال قلت اصلحك الله كيف يعلم ان الذي رأي في المنام هو الحق و انه من الملك قال يوقع علم ذلك حتي يعرفه و سئل ابوعبدالله عليه السلام عن الرسول و عن النبي و عن المحدّث فقال الرسول الذي يعاين الملك يأتيه بالرسالة من ربّه يقول يأمرك كذا و كذا و الرسول يكون نبيا مع الرسالة و النبي لايعاين الملك ينزل عليه النبأ علي قلبه فيكون كالمُغمٰي عليه فيري في منامه قلت فما علمه ان الذي يري في منامه حق قال يبينه الله حتي يعلم ان ذلك حق و لايعاين الملك و المحدّث الذي يسمع الصوت و لايري شاهدا و قيل ذكر المحدّث عند ابيعبدالله عليه السلام فقال انه يسمع الصوت و لايري الشخص فقيل له اصلحك الله كيف يعلم انه كلام الملك قال انه يعطي السكينة و الوقار حتي يعلم انه كلام الملك و سمع ابوجعفر عليه السلام يقول ان الله

اتّخذ ابرهيم عليه السلام عبدا قبل ان يتخذه نبيا و اتخذه نبيا قبل ان يتخذه رسولا و اتخذه رسولا قبل ان يتخذه خليلا و اتخذه خليلا قبل ان يتخذه

صفحه ٢٣٢

اماما فلما جمع له هذه الاشياء و قبض بيده قال له يا ابرهيم اني جاعلك للناس اماما فمن عظمها في عين ابرهيم قال يا رب و من ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين و عن ابيجعفر عليه السلام قال الانبياء علي خمسة انواع منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به و منهم من ينبأ في منامه مثل يوسف و ابرهيم عليهما السلام و منهم من يعاين و منهم من ينكت في قلبه و يوقر في اذنه و عنهما عليهما السلام قال الانبياء و المرسلون علي اربع طبقات فنبي منبأ في نفسه لايعدو غيرها و نبي يري في النوم و يسمع الصوت و لايعاين في اليقظة و لميبعث الي احد و عليه امام مثل ما كان ابرهيم علي لوط و نبي يري في منامه و يسمع الصوت و يعاين الملك و قد ارسل الي طائفة قلّوا او كثروا كما قال الله ليونس فارسلناه الي مائةالف او يزيدون قال يزيدون ثلثينالفا و نبي يري في نومه و يسمع الصوت و يعاين في اليقظة و هو امام مثل اولي العزم و قد كان ابرهيم نبيا و ليس بامام حتي قال الله تعالي اني جاعلك للناس اماما قال و من ذريتي بانه يكون في ولده كلهم قال لاينال عهدي الظالمين اي من عبد صنما او وثنا و عن ابيجعفر عليه السلام في قول الله عز و جل و لقد عهدنا الي آدم من قبل فنسي و لمنجد له عزما قال عهدنا اليه في محمد و الائمة من بعده فترك و لميكن له عزم فيهم انهم هكذا و انما سمّي اولوا العزم اولي العزم لانهم عهد اليهم في محمد و الاوصياء من بعده و المهدي و سيرته فاجمع عزمهم ان ذلك كذلك و الاقرار به و قال الرضا عليه السلام انما سمّي اولوا العزم اولي العزم لانهم كانوا اصحاب العزايم و الشرايع و ذلك ان كل نبي كان بعد نوح عليه السلام كان علي شريعته و منهاجه و تابعا لكتابه الي زمان ابرهيم الخليل عليه السلام و كل نبي كان في ايام ابرهيم و بعده كان علي شريعة ابرهيم و منهاجه و تابعا لكتابه الي زمن موسي عليه السلام و كل نبي في زمن موسي عليه السلام و بعده كان علي شريعة موسي و منهاجه و تابعا لكتابه الي ايام

صفحه ٢٣٣

عيسي عليه السلام و كل نبي كان في ايام عيسي عليه السلام و بعده كان علي منهاج عيسي عليه السلام و شريعته و تابعا لكتابه الي زمن نبينا محمد صلي الله عليه و آله فهؤلاء الخمسة اولوا العزم و هم افضل الانبياء و الرسل عليهم السلام و شريعة محمد صلي الله عليه و آله لاتنسخ الي يوم القيمة و لا نبي بعده فمن ادعي نبوة بعد نبينا او اتي بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه انتهي ، و هذه الاخبار بعضها من الاخبار الصعبة و لا علينا ان نحلّ الاشكال في بعضها علي نحو الاجمال و الاختصار و لا قوة الا بالله .

فصل من الاحاديث الصعبة ما ورد في معني اولي العزم و غيرهم انه عليه السلام قال في تفسير الآية و عهدنا الي آدم الي آخر الآية عهدنا اليه في محمد و علي الخ ، فيلزم من ذلك تهاون الانبياء بامر الولاية مع انه من اعظم الامور و كيف يتصور ذلك في شأنهم مع انهم

صلوات الله عليهم من اثر الائمة و الاثر لايكاد يتخلف عن مؤثره ابدا و لايخفي عليه امره الاتري الي السراج و نوره فهل يتصوّر ان لايكون نور السراج مشايعا متّبعا له في حال من الاحوال حاشا كيف و اصل نوره و وجوده منه في الحقيقة و نفس الامر و كذلك الامر في الانبياء فانهم من نور آلمحمد سلام الله عليهم و لايتصوّر تخلفهم عنهم هذا و تري علانية في الشيعة جماعة اذا عرض عليهم امر الولاية يقبلونه من غير مهلة فورا مع انهم في جميع احوالهم فرع الانبياء سلام الله عليهم بضرورة المسلمين اقول و من الله التوفيق ان هذا العرض و عدم الاقبال ليس في الشرع التكليفي فان الانبياء هم الذين عاهدوا اممهم في امر الولاية و لكن ذلك في اكوانهم كما في معصية آدم عليه السلام فانه لميعص ربه في الشرع فانه معصوم مطهر و لكنه عصي في الكون و ذلك ان الله خلقهم من نور آلمحمد سلام الله عليهم كما مرّ سابقا و وقعت الانوار في درجات مختلفة بحسب القرب و البعد كما ان نور الشمس ينبثّ من مقام قرب الشمس الي غاية

البعد الابعد في درجات متفاوتة مختلفة فمنها في غاية القرب الاقرب و منها في غاية البعد الابعد و بينهما مراتب لعدم الطفرة فما كان في غاية القرب يكون اشبه بها و ما كان في غاية البعد يكون شباهته اقل و ذلك امر ظاهر كذلك الامر في الانبياء فبعضهم وقعوا في غاية القرب من آلمحمد سلام الله عليهم فصاروا علي صفتهم من دون اختلاف بينهم و بينهم الا في العبودية و الولاية الكلية و الا فمن جميع الجهات يكون النور علي صفة منيره و لذلك احاطوا بجميع ما دونهم و علموا علم ما كان و اما ما ورد في عدم علمهم بما يكون ففيه اسرار ليس هنا محل بيانه و يحتمل ان نشير اليه في الجملة بعد ان شاء الله و هؤلاء الانوار لايكادون يغفلون عن مؤثرهم طرفة عين لانهم غير مقيدين بقيد يمنعهم عن النظر اليهم صلوات الله عليهم فان الغفلة عن المؤثر ليس الا لوجود القيود المانعة و الا فهو المتجلي في حقيقة الاثر بنحو الاحاطة الاحدية هذا و غفلته عن مؤثره غفلة عن نفسه كما ان تذكره له تذكره لنفسه فمن انهمك في القيد ينسي نفسه و من لا قيد له لاينسي نفسه ابدا فهم في جميع الحالات متذكرون لمؤثرهم فلايكادون يتخلفون عنهم ابدا و لو في جزئي من الجزئيات و يعبّر عن ذلك بعدم التأني في امر الولاية و عزمهم عليه و اما الادنون فلميبقوا علي الصرافة الاولية فلايثبت لهم الاحاطة الكلية فاذا نظروا الي جهة ربما يغفلون عن جهة و ربما يغفلون عن المؤثر الحقيقي لنقصان قابليتهم و ان لميشتغلوا بما يخالفه ايضا لعصمتهم و يعبّر عن هذا البعد بالعصيان و عدم العزم و ذلك عصيان وجودي كوني و سيأتي في بيان عصمتهم ايضا زيادة بيان فاولوا العزم من صار فانيا في جنب الولاية الكلية بحيث لميبق لهم انيّة و غيرهم من لميكن بهذه الدرجة فافهم و تدبر ان شاء الله و من المشكلات ايضا اثبات الامامة لبعض دون بعض فاعلم ان الامام في اللغة من يؤتمّ به و من ذلك امام الجمعة و الجماعة قال في المعيار و الامام القرآن و النبي و كل خليفة

من خلفائه الاثنيعشر (ع) و العالم المقتدي به و قيّم الامر المصلح له و قايد الجند و من يؤتم به في الصلوة فاذا علمت ذلك فاعلم ان الامامة لها معان متفاوتة بحسب الدرجات فقد

تعم بحيث تشمل كل من يقتدي به مطلقا في الحق و الباطل فيقال ائمة الحق و ائمة الضلال و ذلك قوله ائمة يدعون الي النار و ائمة يهدون بامرنا و يوم ندعو كل اناس بامامهم و قد تخصّ باهل الحق و تشمل جميع السابقين الذين يرمق آثارهم و يتبع اعمالهم و اقوالهم و معناها في مثل المقام محض كون الشخص متبوعا و لو في امر من الامور و قد تخصص ايضا بمعني اخص فلايسمّي كل متبوع اماما بل من كان جامعا لصفات الكمال متبوعا في كل الاحوال يسمّي اماما كما في حديث همام في صفة المؤمن انه خصّ الجامع لهذه الصفات باسم الامامة دون غيره و بهذا المعني يخصّ اسم الامام بعد الائمة الاطياب بجميع الانبياء و كاملي الشيعة و لذلك يسمّي حجة كل زمان بامامه و قال عليه السلام من مات و لميعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية ، و قد تخصص الامامة بمن كان معصوما في جميع الاعمال و لايخطي و لايسهو و هذه امامة فوق امامة الباقين و تخصّ بالانبياء سلام الله عليهم فان غيرهم من الكاملين و ان بلغوا مبلغ الامامة بالمعني الاعم الا انهم لايكونون معصومين من السهو و النسيان فهم ائمة فيما لميسهوا فيه و لمينسوه لا مطلقا و لكن الانبياء لايعرضهم ذلك و لكنهم ايضا لايكونون ائمة في جميع الامور الجزئية و الكلية اذ ربما يفقدون كمالا و يتركون الاولي مع انهم لايكونون ائمة لجميع الناس فرب نبي يكون اماما بالنسبة الي جماعة و مأموما لغيره فان الرسل ائمة علي الانبياء و فضّل الله النبيين بعضهم علي بعض فبهذه الملاحظة يخصّ الامامة بالرسل و لذلك سمّي الله يعقوب و اسحق اماما و لكنهم ايضا دون درجة اولي العزم و لايكونون ائمة علي جميع الانبياء و المرسلين فالامامة الكلية فيهم مخصوصة باولي العزم منهم و هذه هي

صفحه ٢٣٦

الامامة التي مقامها فوق الرسالة و طلب ابرهيم هذه الامامة لبعض ذريته و قال الله لاينال عهدي الظالمين ثم فوق ذلك امامة تخصّ بالائمة الاثنيعشر و الخاتم صلوات الله عليهم و هذه امامة عامة خاصة لاتليق الا بمن اشهده الله خلق السموات و الارض كما في قوله تعالي ماشهدتهم خلق السموات و الارض و لا خلق انفسهم و ماكنت متخذ المضلين عضدا و هم الامة الوسط الذين قال الله فيهم و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء علي الناس و هذه امامة حقيقية يعني يكونون قدوة في الكون و الشرع لجميع الخلق و ائمة علي جميعهم كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام في صفة العوالم الغيبية و حال اهلها انه لا حجة لهم سواي و كذلك هم ائمة للقلم و اللوح و لجميع ذرات الوجود من الغيب و الشهود و ائمة لجميع الانبياء و المرسلين فهذه الامامة مخصوصة بهم لاتليق بسواهم فتدبر و من المشكلات صفة المحدث فان الظاهر المشهود لعامة الناس ان المراد من المحدث في هذه الاخبار هم الائمة صلوات الله عليهم و ورد بهذا المعني ايضا اخبار انهم محدّثون و في بعض الاخبار ان رتبة المحدّث دون درجة الانبياء و لايستقيم علي ذلك ان يكون ذلك من مقاماتهم اذ هم افضل من الانبياء و الرسل سوي الخاتم صلي الله عليه و آله و في بعض الاخبار وصفوا بعض كبار الشيعة بالمحدّثية كما ورد في صفة سلمان انه كان محدّثا قيل مَن يحدّثه قال امامه و في رواية ملك كريم و في رواية ان لكل زمان محدّثا انتهي ، اقول انه لا بد من ذلك فان حجة الله هي الحجة البالغة و لا بدّ في كل زمان من وجود من كان مطلعا علي مرضات الله و مسخطه و لايطلع احد عليها الا بوحي من عنده او بحديث و

الوحي مخصوص بالانبياء و الحديث بالاولياء لاتقل انه يكفي الكتاب و السنة عن الحديث الغيبي فان علم الكتاب و السنة عندهم و لايطلع علي مكنون سرّهم سواهم فلا بدّ من سفير بينهم و بين الخلق و سيجيء بعد بيان ذلك ان شاء الله و علي ان يكون

المحدّثيّة من مقامات الشيعة نقول توصيفهم نفسهم بالمحدّث لاينافي ذلك فانهم واجدون لكمالات من دونهم لا محالة كما يوصفون بالانسانية مثلا او نقول انه يحدّثهم ربهم و هم يحدّثون شيعتهم و الفرق بين المقامين ظاهر .

فصل اعلم ان الاخبار في عدد الانبياء مختلفة ففي حديث عن رسول الله صلي الله عليه و آله ان الله بعث اربعةآلاف نبي و كان لهم اربعةآلاف وصي و ثمانيةآلاف سبط الحديث ، و قال في مقام آخر بعثت علي اثر ثمانيةآلاف نبي منهم اربعةآلاف من بنياسرائيل و في رواية عن الرضا عن آبائه (ع) قال قال النبي صلي الله عليه و آله خلق الله عز و جل مائةالف نبي و اربعة و عشرينالف نبي انا اكرمهم علي الله و لا فخر و خلق الله عز و جل مائةالف وصي و اربعة و عشرينالف وصي فعليٌّ اكرمهم علي الله و افضلهم و عن ابيعبدالله (ع) قال لصفوان يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي قال قلت مادري قال بعث الله مائةالف نبي و اربعة و اربعينالف نبي و مثلهم اوصياء بصدق الحديث و اداء الامانة و الزهد في الدنيا و مابعث الله نبيا خيرا من محمد (ص) و لا وصيا خيرا من وصيه و قيل لرسول الله (ص) يا رسول الله كم النبيون قال مائةالف و اربعة و عشرونالف نبي قيل كم المرسلون منهم قال ثلثمائة و ثلثةعشر جما غفيرا قيل من كان اول الانبياء قال آدم قيل و ماكان من الانبياء مرسلا قال نعم خلقه الله بيده و نفخ فيه من روحه ثم قال اربعة من الانبياء سريانيون آدم و شيث و اخنوخ و هو ادريس عليه السلام و هو اول من خطّ بالقلم و نوح و اربعة من العرب هود و صالح و شعيب و نبيك محمد (ص) و اول نبي من بنياسرائيل موسي و آخرهم عيسي و ستمائة نبي قيل يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة كتاب و اربعة كتب انزل الله تعالي علي شيث عليه السلام خمسين صحيفة و علي ادريس ثلثين صحيفة و علي ابرهيم

عشرين صحيفة و انزل التورية و الانجيل و الزبور و الفرقان انتهي ، و المشهور من عددهم انهم مائةالف و اربعة و عشرونالفا و بهذا العدد لهم اوصياء بل هو كالمجمع عليه بين الشيعة و قال الصدوق عليه الرحمة ان ذلك اعتقادنا و يحتمل ان يكون ما ورد في اقلّ من هذا العدد عدد كبرائهم مع ان اثبات الاقل لاينافي الاكثر و اما حديث صفوان فيحتمل فيه التصحيف و لماقف علي قول بهذا العدد و علي ايّ حال لانحتاج الي تحقيق في المقام بعد ما وضع الله عنا معرفتهم باشخاصهم و عددهم كما في الخبر و يكفينا الاقرار بنوعهم نعم يجب الاقرار بالذين ذكر الله اسماءهم في كتابه للزوم الاعتقاد بما نزل به الكتاب و كذلك يجب معرفة الاركان كما في حديث الخيط قال عليه السلام أوتدري ما المعرفة المعرفة اثبات التوحيد اولا ثم معرفة المعاني ثانيا ثم معرفة الابواب ثالثا ثم معرفة الامام رابعا ثم معرفة الاركان خامسا ثم معرفة النقباء سادسا ثم معرفة النجباء سابعا ، و يظهر

من هذا الحديث ان معرفة ادون من النجباء لا مدخل له في الايمان و في حديث آخر في المعرفة عدّ عليه السلام غيرهم ايضا و سيجيء بعد ان شاء الله بيان ذلك و لما كان معرفة الاركان خامس شروط الايمان لا علينا ان نذكر فصلا خاصا في فضلهم و وصفهم .
فصل قد ثبت بالادلة القطعية ان اربعة من الانبياء احياء لميموتوا و هم عيسي و ادريس و الياس و خضر عليهم السلام و الانبياء و ان كان جميعهم احياء عند ربهم يرزقون و قد ورد في المؤمن انه حيّ في الدارين و لكن ساير الانبياء علي الظاهر تركوا اجسادهم الدنيوية و هؤلاء الاربعة لميتركوا ابدانهم في الظاهر و اختفوا فاما الثلثة فرفعهم الله اليه و اما خضر فخفي ببدنه و المرفوعون ايضا سايرون في الدنيا و كانا خضر و الياس يأتيان النبي صلي الله عليه و آله و الائمة عليهم السلام و يحضران الموسم كل سنة و يلتقيان كما في الاخبار و ما نزل في القرآن في عيسي اني متوفيك و رافعك اليَّ

فلايلزم ان يكون قبل ذلك بل يحتمل ان يكون اخبارا عن زمان موته او يكون التوفي بمعني الرفع الي السماء و مثله في القرآن موجود الاتري الي قوله تعالي الله يتوفي الانفس حين موتها و التي لمتمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت و يرسل الاخري و النايم يرفع بروحه الي السماء مع حيوته فلايلزم ان يكون بالموت و كذلك في عيسي ماقتلوه و ماصلبوه بل رفعه الله اليه و عبّر عن ذلك بالتوفي و بالجملة بعد ما قام ضرورة الشيعة بل الاسلام بحيوة هؤلاء لايبقي شكّ لمؤمن فيها و قد روي في الخصال عن احدهما عليهما السلام قال لاتخلو الارض من المؤمنين و لايكونون اقل من اربعة و ذلك ان الفسطاط لايقوم الا باربعة اطناب و العمود في وسطه انتهي ، و القراين تدل علي ان المراد من الاربعة هم الاركان فانهم الذين يقوم بهم فسطاط العالم و الامام عليه السلام هو العمود و القطب الذي منه نشو كل شئ و لا علينا ان نبيّن شطرا من حكم اربعية الاركان فاعلم ان الله سبحانه ذات احدية منزهة عن التركيب لما مرّ سابقا في التوحيد و قد تجلي اول ما تجلي بمشيته جل شأنه بنفسها كما قال عليه السلام خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الاشياء بالمشية ، و هي مقام الفعل و اول الظهور و عرشه الذي كان علي الماء و استوي برحمانيته عليه فصار العرش غيبا في ذاته و هي في غاية الوحدة و البساطة الاولية التي تمكن في الخلق و لكنها لاتخلو من تركيب فان الله سبحانه لميخلق شيئا فردا قايما بذاته و قال الله في كتابه و من كل شئ خلقنا زوجين فلا بدّ من تركيب فيها و ينبأ عن ذلك قوله عليه السلام خلق الله المشية بنفسها ، فثَمَّ نفس و مشية و النفس حيثها الي الله خالقها و يد الفاعل فيها و المشية هي حيث الانيّة و العبودية و الامكان و الفقدان و لا شك ان بينهما بونا بعيدا فما من الله نور صرف و فعلية محضة و كمال صرف و لذا قد يعبّر عنه بالعلم و قال عليه السلام بالعلم خلقت المشية و لايتصوّر في علمه تعالي

نقص ، هذا و ان لميكن نفس المشية حقيقة العلم و لكنها علميتها لله و علميتها آية العلم الازلي فهي علي صفته لا محالة و في جميع ذلك حيث الانية بخلافها فلايكادان يأتلفان الا برابطين حكَمين و ذلك قوله تعالي ان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله و حكما من

اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما و قال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان و قد قال عليه السلام في معني البرزخ امر بين امرين فله حيث الي الاعلي و حيث الي الاسفل فهما شيئان فالحيث الي الاعلي حكم من اهله و الحيث الي الاسفل حكم من اهلها هذا و الحيث الاول لقربه من الاعلي في غاية الحرارة فان الحرارة ما يحرق الشئ و يفتّت اجزاءه و يبيد تركيبه و يلطف رطوبته و يصعدها فيقطع اوصاله كما هو مشهود و ما من الله هكذا اماسمعت ما رواه المجلسي ان لله سبعينالف حجابا لو كشفت لاحرقت سبحات وجهه ما انتهي اليه بصره من خلقه ، فما من الله حار مسلّما و مع حرارته يابس اذ جمد تحت امر الله لايخالفه و جفّ علي ما وضعه الله عليه و يبس تحت احاطته فحيث فعل المشية اي نفسها حار يابس و حيث انيّتها بارد لبعده عن المبدأ فان اصل الحرارة من نور الذات و البرودة من العبودية فكلما بعد من نور الذات يغلب عليه البرد و اليبس ايضا لقلّة رطوبة مطاوعته فان النار العليا و ان قلنا انها يابسة الا ان يبسها لكثرة مطاوعتها لا لجفافها و لكن جهة الانية قليلة المطاوعة و يكفي في قلّة مطاوعتها عدم خروج جميع كمالات الكينونة في فعليتها فهي باردة يابسة و قد ثبت في الفلسفة التي هي مرآة الحكماء ان يابسين لايكادان يأتلفان و يتركبان ابدا مع ان بينهما منافرة تامّة و البرد يفرّ من الحرّ دائما و بالعكس فلا بدّ بينهما من رطوبة لثبوت التركيب و الازدواج و الرطوبة بنفسها لاتقوم فلا بدّ من ان تضمّ مع الحرارة او البرودة فانهما من الفاعل و الرطوبة و اليبوسة من القابل و القابل بلا فاعل لايقوم و بالعكس فان كانت

الرطوبة البرزخية مع البرودة لاتناسب النار فان البارد الرطب رطوبته مائية تقتضي التسفل و القرب من التراب بل اذا قرب منه النار فان كانت غالبة يبطل حكمها بالتفريق و التبخير كما تشاهد بل بينهما عداوة تامة و النار مع التراب اوفق لمقام اليبوسة و ان صار الماء غالبا يبطل حكم النار لاجل ذلك و ان كانت الرطوبة مع الحرارة تصير مصادقة للنار منافرة مع التراب بالكلية و لذا يقال في الرمل ان النقطة النارية منافرة مع المائية و لها مصادقة مع الهوائية و مسالمة مع الترابية بل يقال ان النار تطلب الهواء الذي يليها و الهواء الماء و الماء التراب و كذلك يقال الهواء منافر مع التراب بالكلية فان الهواء حارّ و التراب بارد و هو رطب و هو يابس فكيف يتركبان فلا بدّ في الحكمة من وجود رطوبتين و ذلك ما يقال في الفلسفة ماء من رطوبتين فافهم فلا بد من وجود حكَم رطب من العالي الذكر و حكَم رطب من اهل الانثي و الاول حارّ و الثاني بارد و لايكون برد البارد بقدر برد التراب و لا حرارة الحار بقدر حرارة النار فالماء بسبب برده يمازج التراب فيعده للتركيب و برطوبته يميل الي الهواء فيمتزج معه و كذلك الهواء بحرارته يميل الي النار و يجعلها صالحة للتركيب و برطوبته يميل الي الماء فبسبب ذلك يحصل الخلط و المزج فينعقد الذوائب في الجوامد و تنحل الجوامد في الذوائب كما يقال في الفلسفة نار حايلة و ارض سايلة و ماء جامد و هواء راكد فيحصل المولود من هذه الاربعة و لذلك يقال ان كل شئ مربع الكيفية و بالجملة يعبّر عن هذه المراتب الاربع في الاخبار بالمشية و الارادة و القدر و القضاء و قد يعبّر عنها بسرّ السّرّ و سرّ مستسر و سرّ مقنع بالسرّ و سرّ لايفيده الا سرّ و قد يعبّر مشايخنا عن هذه المراتب في عالم الامر بالباطن و الباطن من حيث

البطون و الظاهر و الظاهر من حيث الظهور و لما كان بناء مشية الله التي هي علّة الكاينات و سبب الموجودات علي هذه الاربع يكون بناء جميع الخلق علي ذلك لان

صفحه ۲۴۲

الكل آثار مشية الله و الاثر يشابه صفة مؤثره لا محالة هذا و كل شئ عند مؤثره القريب مخلوق بنفسه فيجري فيه ما ذكرنا في المشية بلا تفاوت و لذا يكون بناء الجميع علي الاربع فاصول الايمان اربعة و كلمات التوحيد اربع و التسبيحات اربعة و مراتب التوحيد من حيث الظهور اربع و الذات فوقها محيطة بها و اكابر الانبياء اربعة شيخ الانبياء و خليلهم و كليمهم و روحهم و نبينا بمنزلة الذات فيهم و اركان العرش اربعة و اركان بيت المعمور اربعة و اركان الكعبة البيت الحرام اربعة و حملة العرش اربعة و اكابر الملائكة اربعة و العناصر اربعة و الاخلاط في الانسان اربعة و كليات الارواح اربعة و الجهات اربع و هكذا بناء جميع الملك علي الاربع و لذا صار قوام الملك بالاربع الخلق و الرزق و الموت و الحيوة و العوالم الغيبية اربعة و الشهادية اربعة و قوله تعالي و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اشارة الي ذلك فاربعة من الاولين حاملوا عرش الغيب و اربعة من الآخرين حاملوا عرش الشهادة و لذلك صار مقامات الائمة اربعة البيان و المعاني و الابواب و الامامة فلذلك يكون عدد الاركان ايضا اربعة و جميع هذه الاربعات له خامس يكون بمنزلة الطبيعة الخامسة في الاربعة و للاركان ايضا خامس و هو الامام عليه السلام و هو خامس الاربعة فافهم ذلك ان شاء الله ، هذا في الظاهر و اما في الباطن فنقول ان جميع ما في الغيب من المشية فما دونها بل اعلاها لا بدّ من ظهورها في الاسفل و ذلك امر ثابت في محله فان الظهور تمام البطون و الفعل تمام القوة و كليات الحكمة ما لمتكن تامّة في ظهورها تامة في بطونها كانت الحكمة ناقصة من الحكيم ، فلا بدّ من ظهور الغيوب في الشهادة لتمامها و كمالها و قد قدّر الله سبحانه ذلك و اراك آيته فيك الاتري ان الله سبحانه جعل لك عقلا معنويا و هو قلبك و وسطك كما قال عليه السلام العقل وسط الكل و جعل له فيك آية في الظاهر لظهوره في بدنك الجسماني

صفحه ۲۴۳

و لولاها لماظهر فيك العقل و هو قلبك اللحماني و كذلك جعل لك نفسا غيبية و اظهرها في صدرك و كذلك جعل لك مشاعر برزخية و اظهرها في بطون الدماغ و هكذا الامر في الدنيا و لولا الشهادة لماكاد يظهر الغيب بل اثبتنا في المباحثات و بعض الرسائل ان وجود الروح فوق بدنه الدنياوي لا قبل و لا بعد فقبل ان يتولد المولود في الدنيا لا ذكر له في الخزائن العالية الا علي نحو الابهام و كذلك وجودها بوجود البسايط الكلية و لولاها لماوجد غيب و لا شهادة و قد قال عليه السلام الغيب ما لميكن و الشهادة ما قد كان فلا روح الا بالبدن و الروح في البدن كالمعني في اللفظ و لولا لفظ لماكان معني ،
فاذا عرفت ذلك فاعلم انه لا بدّ في الملك من وجود قطب كلي لحكاية الذات الظاهرة التي هي العلم و نفس المشية و هو الامام الاعظم و العماد الاقوم به يظهر نور الازل و وجه الحق لميزل و وجود اركان اربعة لحكاية اركان المشية و هي المشية و الارادة و القدر و القضاء و لولاهم لماظهرت فلايكاد يخلق شئ لعدم وجود محالّ المشية و اوكار الارادة و

اكمام القدر و اماكن القضاء فانه لا بدّ للفعل من حامل و حامله فاعله و الفاعل في الظاهر مشتق من الفعل و لكنه يدلّ علي ذات الفاعل الظاهرة في الفعل و كذلك الامر في الاركان و ان كانوا مخلوقين بمشية الله جل شانه الا انهم يدلون علي الذات و منهم يظهر جميع اسرار الوجود و بهم يعبد المعبود و ارادة الله في مقادير اموره تهبط اليهم و كل ما يشاء الله سبحانه يحرّك من بواطنهم ما اكمنه في قلوبهم من مشيته و اجراه بهم و اما الامام عليه السلام فهو فوق الذكر و فوق معرفة الخلق و لكنه استوي برحمانية الله علي عرش الاركان فصار عرش وجودهم غيبا في ذاته فلمبيق انيّة لهم فصاروا ادلّاء علي مرضات الامام و بهم يحفظ الله العباد و يسوس البلاد و لجزئيتهم بالنسبة الي الامام وكّل الله كل واحد منهم بجهة خاصة من خلقه و يخدمه فوج خاص من ملئكته فعيسي علي نبينا و آله و عليه السلام

صفحه ٢٤٤

موكل بالخلق و يخدمه جبرئيل مع افواج من الملئكة و هو يد الخالق و محل المشية و روح من امر الله و كلمته التي القاها الي مريم الامكان فخلق به ما كان من غير اب سابق و لا ابن لاحق اذ شأنه اجل من النسب لما ملك من جليل الحسب و قد اظهر الله علي يديه الخلق فكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فيصير طيرا باذن الله و يبرئ الاكمه و الابرص و يحيي الموتي باذن الله و كان ينبئهم بما يأكلون و ما يدّخرون في بيوتهم ، الايعلم من خلق و هو اللطيف الخبير و ذلك شان جميع اولي العزم من الرسل كما تري في طير ابرهيم و عصي موسي و بالجملة فعيسي حامل الخلق يعني انه من تجليه و الركن الاسفل الايسر من اركان العرش و النور الاحمر الذي منه احمرّت الحمرة و العنصر الناري في الاسطقسات و الحرارة و اليبوسة في الطبايع و الصبغ و الفتي الشرقي في المولود الوسيط و الركن العراقي في الكعبة و الايسر المؤخر في الضراح و المشرق من الجهات و الصفراء من الاخلاط و الصبا من الرياح باعتبار و الدبور باعتبار و يخدمه جبرئيل مع اعوانه الثلثة و خدّامه التسعين في العوالم الثلثة و هرمس عليه السلام حامل الحيوة يعني انها من تجليه و الركن الايمن المؤخر من اركان العرش و النور الاصفر و العنصر الهوائي و الحرارة و الرطوبة في الطبايع و الدهن و الاصفر الشرقي في المولود الهرمسي و الركن اليماني في الكعبة و الايمن المؤخر في الضراح و الجنوب من الجهات و من الرياح و يخدمه اسرافيل مع اعوانه الثلثة و خدّامه الثلثين و الياس عليه السلام الغايب من الناس حامل لركن الرزق يعني انه من تجليه و الركن الايمن الاعلي في العرش و النور الابيض في اركانه و العنصر المائي في الاسطقسات و البرودة و الرطوبة في الطبايع و البلغم في الاخلاط و الفتاة الغربية في المولود الوسيط و الركن الغربي في الكعبة و الايمن المقدم في الضراح و المغرب من الجهات

صفحه ٢٤٥

و الصبا او الدبور من الرياح و يخدمه ميكائيل مع اعوانه الثلثة و خدّامه الثلثين في العوالم الثلثة و الخضر عليه السلام حامل ركن الموت في الملك يعني انه من تجليه و الركن الايسر الاعلي من العرش و النور الاخضر و العنصر الترابي و البرودة و اليبوسة

و السوداء و الشمال و الارض المقدسة في المولود الوسيط و الركن الشامي من الكعبة و الايسر المقدم في الضراح و الشمال من الرياح و هكذا الامر في ساير المناسبات في كل و يظهر الامر علي الاريب بادني تأمل و خلاصة المراد ان جميع الملك بيد هؤلاء الاربعة و اعلم انه لا اختلاف بينهم في الواقع بل هم في غاية الاتحاد الممكن في مقامهم و كأنهم روح واحد في قوالب اربعة و ما لاولهم يثبت لآخرهم في الجملة و لكن من باب انهم ليسوا مثل امامهم في الاحاطة لميؤمر جميعهم بجميع امور الملك و الامام وحده حاكم علي الكل و اعلم ان النقباء بمنزلة الايادي لهم في اجراء الامور و يخدمونهم و يحتمل قويا ان يكون عددهم اثنيعشر لان يخدم كل واحد من الاركان ثلثة منهم فيوكل الي كل واحد جهة من الجهات و حيثا من الحيوث لايشاركه فيه غيره لان وحدة الناطق قاعدة كلية جارية في جميع الملك و بوحدته يستدل علي وحدة الرب فكل واحد فرد في جهة خدمته و يخدمه جماعة من النجباء و هم اعوانه و يجوز ان يقال ان الحاكم علي الاركان ايضا عيسي عليه السلام و الثلثة خدّامه و يخدم كلا من الثلثة ثلثة او اربعة من النقباء و يشهد بذلك ما ورد ان عيسي وزير الحجة عليه السلام زمان ظهوره و لايقال ان ساير الانبياء في منزلته مع انهم معه لا محالة فهم ايادي عيسي في وزارته فافهم و اغتنم و لاينافي ذلك ما نقول ان ناطق النقباء ايضا واحد فان لهم قطبا يدورون حوله مع ان جهات خدمتهم متعددة و الواحد فوارة الفيوض لهم فتدبر و ليس هنا محل اقامة البرهان لذلك و بالجملة فالاركان عددهم اربعة و هم قايمون دايمون لايموتون الي يوم ينفخ في الصور

و لكن النقباء و النجباء يبدلون و لذلك سمّوا بالابدال .

فصل لايرد علينا فيما قلنا ان قوام الملك بوجود الاركان انه مضي ازمنة و دهور لميكونوا في الملك فكيف يقال ان قوام الملك بوجودهم و كذلك الامام و النقباء و النجباء فانه لا شك في عدم وجودهم في الظاهر قبل آدم و كذلك في ازمنة غالب الانبياء بل في زماننا ليسوا في الظاهر و ان كانوا في الباطن ، اقول ان لذلك اجوبة منها ان وجودهم في زمان من الازمنة يكفي عن جميعها اذ الزمان بمنزلة بحر متلاطم تيّاره متراكم زخّاره فاذا وقع في وسطه مثلا صخرة و حدث منها موج يؤثر في جميع اطرافه و كذلك اذا قام في الزمان قايم يؤثر في جميعه الاتري الي ما ورد ان حمرة السماء في الغدوة و العشي من اثر شهادة ابيعبدالله عليه السلام مع انها كانت قبلها بلا شك و كذلك تري ان النبي (ص) اثّر في آبائه الاكرمين و صاروا برُمّتهم مؤمنين و كذلك في الاركان و غيرهم من الذين يقال ان وجودهم شرط بقاء العالم و قوام بني آدم و ساير الوجوه كثيرة اشير الي بعضها في ساير المقامات ان شاء الله .

المطلب الثالث في بعض كليات فضائلهم مما يجب الاعتقاد به و فيه مناقب :

المنقبة الاولي في عصمتهم و فيها فصول :

فصل مما يجب الاعتقاد به من فضايلهم عصمتهم صلوات الله عليهم فانه لا شك و لا ريب انهم معصومون عن العصيان و السهو و الخطاء و النسيان بل قام بذلك الضرورة و خلاف الشاذ شاذ و لكن لما كان بناؤنا علي بيان الحقايق ابيّن في المقام حقيقة المسألة و كتب الاصحاب مشحونة ببيان الظواهر و ان شئت فراجع فاعلم ان الله سبحانه و تعالي

خلق اول ما خلق من الامكان العقل و هو احبّ الخلق اليه اذ كان اشبه الاشياء بمشيته و لذلك يكون فعالا في

صفحه ٢٤٧

الملك مؤثرا فيه عالما به و هو قلم قدرة الله يكتب به ما كان و ما يكون و هو نور لا ظلام فيه الا بقدر استمساك وجوده و هو انيته التي بها قوامه و هي مع كونها ظلمة لايثبت لها حكم الظلمة لاشتعالها بتمامها بالنور الاتري ان الشعلة مثلا يقال انها مركبة من نور و ظلمة و لكن ظلمتها بتمامها مشتعلة بالنور بحيث لميبق لها سواد فليس الا النور و قد بيّن الله تعالي ذلك في قوله يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي فهذه النفس الطيبة اي الانية النيرة صارت من العقل و اخته و علي طبعه و قد بيّن ذلك العقل الناطق صلي الله عليه و آله قيل له ألك شيطان قال بلي و لكن اسلم ، فان شيطانه انيته و هي مسلمة مؤمنة فللعقل الاول نقطة من الظلمة نيّرة و اصلها و عمودها في اسفل سافلين و لها في هذه المرتبة نقطة من النور بقدر استمساك وجودها و قد يمثّل لذلك بمثلثين متداخلين يكون رأس مخروط كل واحد عند قاعدة الآخر و بهذا الحساب يتفاوت النور و الظلمة من الاسفل الي الاعلي ، فالعقل الذي هو مبدأ النور لايكاد يخالف امر الله في جزئي و لا كلي بل صورته في الحقيقة محبوبة لله و قد امر الناس باتباعه مطلقا و ذلك تأويل قوله ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و الظلمة التي هي مبدأ الشرور جميع عملها مخالف لرضا الله فان الله لما خلقها قال لها اقبلي فادبرت بسرّ اختيارها الذي جعله الله فيها من شعاع مشيته و قال لها ادبري فاقبلت و روي انه قال للجهل و هو هذه الظلمة ادبر فادبر فقال اقبل فلميقبل و لكل وجه فجميع فعلها علي خلاف رضا الله سبحانه في القليل و الكثير و ان كان بصورة الخير كما قال عليه السلام لايبالي الناصب صلي ام زني صام ام سرق انتهي ، لان جميع فعله علي خلاف ما امر الله فان الصلوة المأمور بها صلوة باطنها الولاية كما قال عليه السلام من اقام الصلوة فقد اقام ولايتي ، و صلوة الناصب علي خلاف ذلك فان باطنها البراءة فالعقل

صفحه ٢٤٨

الاول لايعصي ابدا و الظلمة التي هي الجهل لاتطيع ابدا و ذلك امر بيّن و الخلق المركبون منهما عملهم علي حسب نورهم و ظلمتهم و عقلهم و جهلهم و يأتي بيان ذلك في مباحث الوجود و الماهية ، فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الله عز و جل لايبعث نبيا الا كامل العقل كما قال الله تعالي في كتابه أفمن يهدي الي الحق احق ان يتبع أمن لايهدي الا ان يهدي ، و قال رسول الله صلي الله عليه و آله ماقسم الله للعباد شيئا افضل من العقل فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل و افطار العاقل افضل من صوم الجاهل و اقامة العاقل افضل من شخوص الجاهل و لابعث الله رسولا و لا نبيا حتي يستكمل العقل و يكون عقله افضل من عقول امته الخبر ، و قال ابوعبدالله عليه السلام في حديث جنود العقل و لايجتمع هذه الخصال كلها من اجناد العقل الا في نبي او وصي نبي او مؤمن قد امتحن الله قلبه للايمان و اما ساير ذلك من موالينا فان احدهم لايخلو من ان يكون فيه بعض هذه الجنود حتي يستكمل و ينقي من جنود الجهل فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الانبياء

و الاوصياء و انما يدرك ذلك بمعرفة العقل و جنوده وفّقنا الله و ايّاكم لطاعته و مرضاته انتهي ، فالنبي عقله افضل من جميع امته و الا فلايكون حجة عليهم فان الشارع هو العقل لا محالة و هو الروح الذي يؤيّد الانبياء و يسددهم و هو الاب السماوي الذي كان يذكره عيسي علي نبينا و آله و عليه السلام و زعم الجهّال ان مراده هو الله فاذا صار النبي كامل العقل يبطل فيه حكم النفس الامارة فلايكاد يتبعها في شئ من الاشياء فيصير مطيعا في جميع حاله نعم لهم درجات في مقامهم بنسبة بعضهم الي بعض و ان كانوا مشاركين في نوع العصمة فاول الانبياء الذي هو خاتمهم لايخالف امر الله بوجه من الوجوه لا في مقامات الربوبية و لا في مقامات العبودية و سيأتي ان شاء الله ذكر بعض فضايله صلي الله عليه و آله بعد و اما السايرون فهم في درجات دونه و ربما يتركون الاولي في بعض المقامات

و ذلك لانه لميظهر فيهم حقيقة العقل بكليتها فانهم واقفون في مقام الروح الملكوتي الذي هو اول تنزلات العقل فالخاتم و الائمة عليهم السلام لايكادون يتركون الاولي في جزئي و لا كلي غيبي او شهادي و اما الانبياء الذين يتركون الاولي فاما يكون تركهم له قبل بعثتهم او بعدها ايضا ففي حديث جوّز عليه السلام لهم الصغاير قبل البعثة و المراد منها ترك الاولي لا محالة لا المعصية التي هي من شأن الرعية و في اخبار اخر اطلق القول في ذلك لا بلفظ ترك الاولي بل بلفظ التأني و التأمل في قبول الولاية كما في اخبار الميثاق و الذي يحكم به الادلة الحكمية ان النبي مع وجود روح القدس فيه لايكاد يعصي ابدا و ذلك من المحال و لكن الكلام فيما قبل التعلق او حين قبضه و لا بد لنا من بيان سبب العصيان في الجملة حتي يظهر الامر في ذلك فاعلم ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد في ذات نفسه لايميل الي شئ و لايقتضي شيئا اذ نقول انه لايكون مركبا و هو احد فليس معه غيره بوجه من الوجوه فهذا الميل و الاقتضاء المفروض هل يكون عين ذاته تعالي او غيرها فان كان عينها فهي هي و ان كان غيرها فيلزم من ذلك تركيبها من نفسه و اقتضاء خارج عنها و كل مركب حادث هذا و الاقتضاء لايكون الا مع فرض مناسبة بينه و بين ما يقتضيه و المناسبة لاتفرض الا فيما اذا كان له وجه نسبة و هو غير ذاته لا محالة مع انه يلزم من ذلك ان يكون شبيها بخلقه و يعدّ معه غيره و بالجملة جميع ذلك صفة الحادث و الله ذات قديمة نسبته الي جميع خلقه بالسواء و فيما مرّ في التوحيد كفاية و بلاغ فراجع فهو تعالي بذاته لايعطي احدا شيئا بميله و ارادته الخاصة و لكن القوابل اَلسنة داعية تدعو الله بلسان حالها و قولها ما تقتضيه و سؤالهم باذنه و اذنه هو الاجابة غاية الامر ان قبل السؤال يسمّي اذنا للسؤال و بعده يسمّي اجابة و السؤال و الجواب كلاهما بمشيته و لايسبق احد مشيته تعالي و لايؤمن بذلك الا اهلُ المعرفة الكاملة فكل قابلية اقتضت

الصعود يصعدها الله و كل قابلية اقتضت النزول ينزلها الله تعالي و ذلك قوله تعالي ادعوني استجب لكم و قوله مايعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فما لميقتض قابلية من القوابل الحيوانية لايجعلها الله حيوانا من قِبَل نفسه و ما لميقتض قابلية الانسانية لايجعلها الله انسانا

و هكذا الامر في النبوة و الامامة و الخاتمية فالعطاء علي حسب القابلية و ذلك ما يقال ان الارواح علي صفة الابدان فانه ما لميكن البدن جاذبا لروح الاسد لايعطيه الله روح الاسد و ما لميكن البدن صالحا لروح الانسان لايجعله الله انسانا و من هذا الباب يستدلون اهل القيافة بظواهر الابدان علي الارواح و من هذا الباب اهل السيميا يسخرون النجوم بالاتصاف بما يخصّها في ظواهر ابدانهم و لذلك امروا الانبياء صلوات الله عليهم في كل حال باصلاح القوابل حتي في مظانّ البلايا الفادحة و لميأمروا بالتدبير في التقدير اذ ليس ذلك الا شأن العزيز الخبير مع انه من عنده امر مطلق و لذا يحتمل البداء اذ يمكن قلب القوابل دايما و بالجملة فما لميكن القابلية صالحة للنبوة لايجعلها الله نبيا و مرادنا من هذا الصلوح القوة القريبة لا البعيدة فان في القوة البعيدة كل احد صالح لها بل كل حجر يصلح لها و لكن اخراجها منها يستدعي توجها خاصا من المكمل و الله سبحانه لايقتضي ذلك و صلوح النبوة لايكون الا لمن كان معتدلا في طبعه من نطفته الي آخر يومه فان روح القدس روح معتدل من جميع الجهات فانه علي طبق مشية الله جل و عز و لايخالف امر الله في شئ و امر الله الاولي الحقيقي الاعتدال الذي هو ظاهر التوحيد و سرّ التفريد فلايظهر الا في المعتدل الكامل و لايكون ذلك الا فيما اذا اعتدل من بدأ امره فان النطفة من بدئها اذا كانت منحرفة يصير العلقة ايضا منحرفة و كذلك المضغة و العظام و اللحم جميعها ينحرف عن الاعتدال و اذا صارت النباتية منحرفة لايكاد يتعلق بها الحيوانية المعتدلة ابدا فان الابدان جواذب الارواح بل اقول لا بد و ان يكون اصل

هذه النطفة ايضا معتدلا في صلب الاب و ترائب الام بل لا بدّ و ان يكون معتدلا في الغذاء الذي اكلاه فان ذلك امر طبيعي محسوس لايكاد يشك فيه الحكيم بل العاقل الاتري ان الاب مثلا ان كان مبتلي بمرض مزمن يرثه منه ولده غالبا الا ما شذّ و ندر و ذلك ايضا بسبب عرض خارجي الاتري ان الطوايف غالبا مشابهون في حالاتهم و اعمارهم و خصالهم حتي ان ذلك يؤثر في بلوغهم و حيض نسائهم و نفاسها و ليس ذلك الا لاثر طبع الآباء و الامهات في النطف اذ ليست الا بعض البدن و جزئه و لذا يكون ولد الشخص جزؤه و هذا سرّ ان الولد يرث والديه بل ذلك ايضا سرّ وراثة القرابة اذ مرجعهم الي اصل واحد غاية الامر ان الاقرب اولي فلا بد و ان يكون اب النبي معتدلا ايضا غاية الامر ان اعتداله بحسب اقتضاء النطفة بل ربما يقال انه محفوظ ما دام كون نطفة النبي في صلبه و بالجملة فاذا اعتدل نباتية البدن يعتدل حيوانيته فيعتدل انسانيته ايضا اذ اعتدالها بحسب اعتدال البدن بل من شدّة الاعتدال يتعلق به الشعور في بطن امه كما في قصصهم و ما كان من امر يحيي حين كان في بطن امه معروف فليس حال جنينهم كساير الاجنة و لا وليدهم و لا رضيعهم فاذا كان انسانيتهم بهذا الاعتدال فكيف يتصوّر فيهم العصيان مع ان العصيان من الفطرة المبدلة و اما الفطرة المستقيمة فجميع عملها علي حسب رضا الله بل غير الانبياء اذا اعتدلوا لايعصون الله اذ جميع الطاعة ما يوافق الصورة الانسانية المعتدلة و جميع المعصية من الشيطانية المنحرفة فاذا صار الشخص انسانا معتدلا في غاية الكمال لايعصي ربه ابدا و قد غفل عن ذلك بعض من الذين لميعضّوا علي العلم بضرس قاطع فقسموا الامور قسمين قسما مما يخصّ النبوة و قسما

مما يخصّ البشرية فجوزوا السهو و النسيان فيما يخصّ البشرية للانبياء بل للخاتم نعوذ بالله و لميجوزوهما فيما يخص النبوة فاقول ان السهو و النسيان ليسا من مختصات النفس الانسانية فان النفس الانسانية دهرية و الدهريات محيطة بالامور

صفحه ٢٥٢

الجزئية التي دونها و ما تري من السهو و الخطاء و النسيان في الاناسي فمن حيوانيتهم و نباتيتهم الاتري ان في الجنة لايسهون و لاينسون بل في القبر و القيامة ايضا فيتذكرون جميع اعمالهم بل نفس الكافر تتذكر جميع ما مضي منها و لاتسهو ابدا و جميع النفوس بالساهرة و تأويل الساهرة انهم لايغفلون و لكن الغفلات من الحيوانية فانها لجزئيتها اذا توجهت الي جهة تغفل عن جهة و من النباتية فاذا غلب عليها الرطوبة تنسي و تسهو و لذا يعالج الناسي بالادوية و لو كان نفسه ناسية لمانفعها العلاج فالبشر ان كان غير كامل في الانسانية يغلب عليه العصيان و السهو و الخطاء و اذا صار كاملا فيها يقلّ سهوه و نسيانه مسلما بل اذا غلب عليه الكمال لايكاد يسهو بعد و لاينسي و لكن لايبلغ هذه الدرجة من الكمال الا الانبياء صلوات الله عليهم فان الانسانية ما لمتبلغ في عالمها عرشها لايتعلق بها روح النبوة و اذا بلغت مقام العرش يتعلق بالشخص روح جامع لايكاد يسهو بعد ابدا و ذلك امر مسلّم فان السهو من غلبة الجهتية علي الشخص و اما اذا غلب عليه الاطلاق لايرد عليه السهو نعم في مقام التشخص لايكادون يقدرون علي النظر الي جميع الجهات و الحيوث بنظر واحد و ليس ذلك من باب جهلهم او سهوهم او نسيانهم فانها في مقام زوال الصورة عن المشعر و قيل في الفرق بين السهو و النسيان السهو زوال الصورة المعقولة عن الجوهر العاقل و ارتسامها في الحافظة لها و النسيان زوالها عنهما معا اقول هذا الفرق المذكور لايجري علي القواعد الحقّة لجهات ستظهر لك في الامور العامة ان شاء الله و الحق ان الفرق بينهما ان في مقام النسيان يعلم الانسان مراده و يمحي عن الخيال صورته لحيلولة الرطوبات المانعة للحكاية عن النفس فيعلم الانسان انه نسي و الجهل هو فقد الشئ في النفس ايضا و السهو فيما اذا علم النفس في نفسها و غفلت عن معلومها لباعث من الاسفل بحيث لايلتفت الي ان مراده غير ما يقول مثال ذلك انك اِما لاتعرف زيدا باسمه و لا بهيئته فذلك

صفحه ٢٥٣

هو الجهل و اما تعلم في نفسك و يمحي عن خيالك و انت تعلم انك كنت تعلمه فذلك النسيان علي ما يظهر من الخبر و اما اذا غفلت عما كنت تعلمه و تصورته بغير صورته و سمّيته بغير اسمه و تزعم ان ذلك هو الحق فذلك السهو و اما اذا ذكّرك احد ربما تتذكر و لايلزم ان لاتتذكر كما زعموا و اما الشك فهو في حال الترديد بين شيئين لايترجح احدهما عندك فاذا ترجح احد فهو الظن و الطرف الآخر الوهم ، هذا ما يظهر من وضع استعمال الالفاظ في لغة الفصحاء و جميع ذلك من نقص الانسانية بسبب غلبة الرطوبات الفاسدة علي مشاعر الانسان و المشعر المعتدل لايجري عليه شئ من ذلك فاذا تعمد مثلا احد في النظر الي جهة و ترك النظر الي جهة لايسمي ذلك ناسيا و لا ساهيا بالمعني المعروف نعم ربما يستعمل اللفظان بوجه آخر مثلا يقال سها عنه اي تغافل عنه و ذلك

لايكون الا عن عمد او يقال نسيه اي تركه و لايكون الترك الا عن عمد فاذا رأيت في كتاب الله لفظا من هذه الالفاظ بالنسبة الي الانبياء او في الاخبار بالنسبة اليهم و الي الائمة ليس الا من هذا الباب لا الوجوه المعروفة فقوله تعالي في صاحب موسي اني نسيت الحوت ليس النسيان الا بمعني الترك الاتري ان الله نسب الي نفسه النسيان فقال نسوا الله فنسيهم و الله سبحانه لايضل و لاينسي فالنسيان في المقام بمعني الترك لا غير و من هذا الباب ما نسبوا الي انفسهم في الاخبار و بالجملة فلايتمشي علي الانبياء السهو و النسيان مع انه ورد انه مابعث الله نبيا الا ذو مرّة سوداء صافية ، و من كان ذا مرة سوداء صافية لايكاد ينسي ابدا فتدبر و قد اجملت القول في المقام الا اني بيّنت بيانا كليا .
فصل ان لي بيانا كليا شريفا في العصمة ينكشف به اكثر المعضلات و يتّضح به اكثر المبهمات ، فاعلم ان الله سبحانه خلق انبياءه و رسله علي صورة محبته لا غير فرضيهم اولياء و اصطفاهم لغيبه و ارتضاهم لحكمه و امره و جعل

صورتهم نفس صفته و امر غيرهم بمتابعته فيهم اي باتباع صورهم اذ المراد من الخلق بروز صفات الله جل شانه فيهم و هم صفاته جل شأنه و المطيع من اتبعهم و العاصي من خالفهم و لا طاعة لله الا في طاعتهم و لا عصيان الا في مخالفتهم و هم نفس صفة الله فكيف يتعقل فيهم العصيان فافهم ذلك و امثّل لك مثالا لتوضيح المطلب فاقول ان السراج نيّر بذاته اي بالنار الظاهرة فيه و هي ذاته لا غير و جميع الاجسام الغليظة مظلمة و ينبغي لها اكتساب النور من السراج اذ هي فاقدة له فكل ما توجه منها الي السراج يتنوّر و ما لميتوجه اليه لا نور له فمن لميجعل الله له نورا فما له من نور ، فالنيّر من كان مقبلا اليه و المظلم من كان مدبرا عن وجهه و اما نفس السراج فلايتصور ظلمته من نفسه فان ذاته نيّرة و كذلك الامر في الانبياء فانهم بانفسهم مستضيئون بنور الله جل شأنه و نفس صورتهم المطاعية فكيف يتصوّر في ذاتهم عدم المطاعية و اصل العاصي و المطيع في مقام الرعية فالمطيع من اتبعهم و اقتبس من نورهم و العاصي من خالفهم و لميقتبس من نورهم فما اجهل من شك في عصمتهم و كذلك نقول ان ذاتهم الذكر فكيف يتصوّر في من ذاته الذكر النسيان بل اقول ان ذات انسانيتهم كاملة في قواها و من قواها الذكر و حيوانيتهم لاتغلب علي انسانيتهم حتي يتمشي فيهم النسيان فذات انسانيتهم متذكرة عالمة حليمة متفكرة نبيهة بالفعل دايما و حيوانيتهم لاتؤثر فيهم الا بقدر ظهور انسانيتهم عليها و لذا ورد في شأن الانبياء انه ينام اعينهم و لاينام قلوبهم بخلاف ساير الخلق فان قلوبهم ايضا تنام الاتري انك لاتملك نفسك في حال نومك و لكنهم في حال نومهم لايفقدون الاختيار ابدا و شرح ذلك طويل و ليس هنا محل ذكره .
تنبيه ان قلت اذا كانوا معصومين بذواتهم فلم ينسبون الي انفسهم العصيان و يسألون ربهم الغفران كما في قول يونس عليه السلام لا اله الا انت

سبحانك اني كنت من الظالمين و غير ذلك من الآيات في استغفارهم و عصيانهم اقول للجواب وجوه منها ان ما ذكرت فيهم بالنسبة الي ذواتهم و هم معصومون بعصمة الله في

مقامهم و اما بالنسبة الي الدرجات العالية فهم غير معصومين فالانبياء بالنسبة الي الائمة الاطياب مقصّرون و ان كانوا في انفسهم معصومين فان السراج نيّر في ذاته بلا شك و لكنه بالنسبة الي المشعل مظلم و المشعل بالنسبة الي الشمس مظلم و هكذا الامر فيهم فان حسنات الابرار سيئات المقربين فاذا قال المشعل رب اني مظلم يعني بالنسبة الي الشمس ثم هل يكون المشعل مثلا معاقبا لقصوره ام لا ، اقول اما بالعقاب الشرعي فلا لان العقاب الشرعي مترتب علي التكليف الشرعي و لايكلف الله نفسا الا ما آتيها و لميؤت نفسا الا ما كان في درجتها لا غير و اما العقاب الكوني فنعم و هو نفس تنزله عن الدرجة العالية و ان قلت فلم يستغفرون الله مع انهم غير مكلفين بما هو خارج عن درجتهم اقول بهذا الاستغفار يترقون و يبلغون مقام القرب و ذلك تكليفهم الاتري الي نفسك انك حين وقوفك في الدرجة الاولي من مدارج الايمان لاتكون مكلفا بما يخصّ اهل الدرجة الثانية و لاتعاقب بترك عمل ينبغي لهم و لكنك مكلف بالعبادة و الاستغفار في مقامك و باستغفارك تصعد الي الدرجة الثانية ثم تكلّف بما هو من شأنهم الاتري انه ورد في ابيذر انه لو علم ما في قلب سلمان لكفّره و مع ذلك لايعدّ ابوذر الا من المؤمنين لانه ليس من شأنه معرفة ما علم سلمان اذ علم سلمان علم محمد و علي صلي الله عليهما و آلهما و لايطيق ذلك احد سوي من كان من اهل البيت الاتري الي ما ينسب الي مولينا سيد الساجدين :

انی لاکتم من علمي جواهره ** * ** کیلایري العلم ذو جهل فیفتتنا
لقد تقدّم في هذا ابوحسن ** * ** الي الحسين و وصي قبله الحسنا
و ربّ جوهر علم لو ابوح به ** * ** لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا

و قال اميرالمؤمنين عليه السلام في خطبته بل اندمجت علي مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية في الطويّ البعيدة انتهي ، فكيف يطيق مثل هذا العلم ابوذر و اقرانه و مع ذلك لايكلفهم الله بذلك كما قال لايكلف الله نفسا الا وسعها و لكن اباذر في مقامه يستغفر الله دائما و استغفاره سبب ترقيه و كذلك الامر في الانبياء سلام الله عليهم و منها ان الاستغفار و الدعاء و الاقرار بنفسها عبادة كالصلوة و ليس من شرطها وجود الذنب في الانسان فتدبر و منها و هو ابطن و اعلي و هو ان جميع الخير من الله سبحانه و العبد بنفسه لايملك شيئا و هو دايما واقف موقف السؤال و الله بمرصد الاجابة كما قال ادعوني استجب لكم و هم سلام الله عليهم يسألون ربهم باقرارهم بالذنوب التي هي ما من حيث انفسهم علي حذو قول الشاعر :

اذا قلت ماذنبت قالت مجيبة ** * ** وجودك ذنب لايقاس به ذنب

و لكن هذا البيان مخصوص باهل العرفان .

فصل اعلم ان الله سبحانه خلق جميع خلقه من غاية البعد الابعد من مقام الموت و الفناء و الاضمحلال و هو مقام التراب و في استخراج ما في كمون التراب من آيات الله في الاياب لا بد من التدبير علي نهج الحكمة و الصواب كما هو مقرر في الفلسفة لدي اولي الالباب فلا بد من حلّه و عقده و تصعيده و تصفيته مرتبة بعد مرتبة و درجة بعد درجة حتي يستخرج ما في كمونه و بغير ذلك لايمكن تكميله علي ما ينبغي و يظهر لك سر ذلك اذا نظرت الي خلق النبات و المعدن و غيرهما و لا شك ان ذلك لايحصل الا بتعذيبه بالنار

الحلّالة لتحل اجزاءه فيخرج بذلك غرائبه التي منعته من الوصول الي الدرجة العالية و عقده بعد بما ينبغي و لا شك و لا ريب ان في كل درجة من الدرجات و مرتبة من المراتب يقتضي هذه المادة نوع تربية خاصة و حلّ مخصوص فانك لو عملت في المادة اللطيفة بما يقتضيه المادة الكثيفة لفسدت البتة و لو عملت في المادة

صفحه ۲۵۷

الكثيفة بما يناسب اللطيفة لفسدت لا محالة و لذلك دبّروا الحكماء في صنعتهم تدبيرا حكيما و هو انهم يفصلون اولا بين الروح و النفس و الجسد فيدبرون في كل واحد بما يناسبه و بعد ما بلغ كل واحد درجة الكمال يركبون بينها و لذلك قدّر الله الموت لتخليص الاجساد الطيبة الطاهرة الدهرية من الاجساد الدنيوية فيخرج الله الروح و النفس من الجسد فيطهره في القبر و لو سلط الله علي الجسد ما يسلط عليه في القبر مع وجودهما فيه لفسدتا و لكن الرب الحكيم يخرجهما و يحفظهما في مخزنه فيطهر الجسد في القبر ثم يفصل بين الروح و النفس بين النفختين فيطهرهما و بعد ما طهرت الاركان يركب بينهما في الآخرة فيقوم مولودا طيبا طاهرا و كذلك الامر في تربية العباد من الانبياء و الاولياء في سلوكهم فانهم في كل درجة و مقام يقتضون روحا بحسب قابلية ابدانهم فاذا اراد الله سبحانه تصعيدهم من هذه الدرجة يتوفي منهم الروح المتعلق بهم فيشتغل البدن بما يخصه من العصيان و الغفلة فيذكرهم و يقومون بالتوبة و البكاء و الحسرة و المشاق فيتطهر اجسادهم و يتعلق بهم روح اعلي و هذا سرّ القبض و البسط في المؤمنين و الانبياء فان المؤمن مثلا ما دام فيه روح الايمان لايكاد يعصي الله و لكنه واقف في مقامه و لايصعد لعدم اقتضاء جسده مقاما اعلي و لايصير قابلا لذلك الا بان ينحل انحلالا فلا بدّ من ان يخرج منه روح الايمان حتي يعذّب تعذيبا يليق به لانحلاله فاذا اخرج منه الروح يعصي الله لا محالة فان الذي لايعصي روح الايمان فاذا سلب عنه الروح يشتغل بالمعصية فاذا رجع اليه الروح يتذكر فيشتغل بالتوبة و الانابة و يحصل له الخضوع و الانكسار فيترقي درجة و ذلك قوله عليه السلام لايزني الزاني و هو مؤمن ، و اما الانبياء فكذلك اذا اراد الله ترقيتهم يسلب عنهم روح النبوة طرفة عين و لكن لايسلب عنهم روح الايمان فلايعصون الله و لكن يتركون الاولي و قد عبّروا عليهم السلام عن ذلك بان الله وكّلهم الي انفسهم

صفحه ۲۵۸

و بعد ما رجع اليهم روح النبوة الذي هو روح القدس يشتغلون بالاستغفار و التوبة و نار التوبة و البكاء و الندامة ترقيهم الي درجة اعلي فان بكل توبة و بكاء ينحل اركان البدن و يتطهر و ينعقد بعد فافهم و هذا سرّ ما كان يصدر من الانبياء من ترك الاولي و الا فنفس روح النبوة لايترك الاولي ابدا و هذا السرّ سار في جميع من دخل عرصة التشخص الا ان الامر في كل احد بحسبه حتي ان الامام عليه السلام قال يقبض عنا فلانعلم و يبسط لنا فنعلم ، غاية الامر ان الامر فيهم بحسبهم و اذا سلب عنهم الروح الاعلي لايسلب عنهم روح النبوة العامة التي فيهم فلايعصون الله فيما امرهم و لايتركون الاولي و لكن يقبض عنهم بعض ما يتمنون من الانوار الالهية و الفيوض الصمدانية في طرفة عين و ليس ذلك

بان يسلب عنهم مطلقا فانهم الفيّاضون الي من هو ادون منهم فكيف يمكن سلب الفيض عنهم بالكلية و لكن ذلك بالنسبة الي ابدانهم و اما في المقام الاعلي فهم واجدون لجميع الكمالات لايفقدون شيئا منها اذ لو فقدوا كمالا في اعلي درجتهم لسلب عن جميع الملك اذ هم العلة التامة و اذا سلب شئ عن العلة لسلب عن جميع الملك فان السراج مثلا لو فقد لونه لفقد عن جميع الانوار و لكن في مقام ابدانهم ربما يسلب عنهم يعني ان روحهم الاعلي يتوجه الي ربه و يترك البدن و حاله فيعبّر عن هذا الحال بالقبض و من هذا الباب ما روي ان الامام حين يشرب السم ينساه مع انه لا شك انهم لاينسون و لكن يؤمرون بالتوجه الي الاعلي فلايعلمون و ليس ذلك نقص فيهم .

المنقبة الثانية في معجزتهم و فيها فصول :

فصل قد بيّنا فيما مضي ان الله سبحانه لطيف عادل فلايظلم عباده و من عدله و لطفه انه لايكلفهم الا بما آتاهم و قد قال في كتابه لايكلف الله نفسا الا ما آتاها و قال الامام عليه السلام في تفسيره اي عرّفها و لا شك ان المعرفة مطلقا من صنع الله لا من صنع العباد كما ورد في اخبار و الله سبحانه

يعرّفهم ثم يكلّفهم و قد ارسل اليهم الانبياء لتعريفهم نفسه و هدايتهم الي سبيله مع انهم كانوا علي صورة البشر فانه ليس من الحكمة ارسال غير البشر الي البشر لانهم لايكادون ينتفعون بغير جنسهم فجعل الرسل من جنسهم فلا بدّ و ان يفضّلهم علي ساير البشر بصفات يمتازون بها عن غيرهم فيعرفونهم بها و منها المعجزات فخصّهم بها ليمتازوا بها عن ساير الناس فقاموا بين الخلق بمعجزات و خوارق عادات لاتمام الحجة و اظهار النعمة و لو لميكن لهم معجزات لماكان يعرفهم الناس لان النبوة ليست علامة في ظواهر الابدان يعرفون بها و ان قلت ان عصمتهم و علمهم كانا يكفيان علامة اقول بلي و لكن معرفة ذلك ليس حظّ كل احد فانهما ايضا ليسا علامة في ظاهر البدن حتي يعرفهما كل احد و لكنهما من الصفات النفسانية يستدل عليهما بدليل مع ان الجاهل لايعرف العالم فمن اين يطلعون الناس الجهال علي علمهم و اما العالم فيكتفي بعلمهم بل يراه معجزة و لذا نقول ان القرآن من حيث ما يحتوي من غرايب العلم ليس معجزة للجهال بل هو معجزة للعلماء و كذلك العصمة معجزة لاهل الفهم لا عامّة الناس و لكن المعجزة امر مشهود محسوس يراه كل احد فان موسي علي نبينا و آله و عليه السلام كان يلقي عصاه و تصير حيّة تسعي و يراها كل عالم و جاهل و يعرف انه فوق درجة ساير الناس اذ لايقدرون علي مثل ذلك فالله سبحانه لكمال لطفه بعباده و رحمته جعل لهم المعجزات و الآيات البينات حتي يهدي من هدي عن بيّنة و يضلّ من ضلّ عن بيّنة .

فصل في بيان حقيقة الاعجاز بوجه ظاهر ، اعلم ان الله عز و جل خلق ما خلق من عرصة الامكان و حلّاه بحلية الكون من نور كينونته التي هي مؤثر الاكوان فتعيّن كل واحد بما خصّه الله به بحسب قابليته من كمالات كينونته و لذلك نقول ان الصورة كائنة ما كانت اشرف من المادة و قد يعبّر عن ذلك بان الله خلقهم بحسب علمه و لذلك يكون لكل كون اثر في امكانات الاشياء

بحسبه فافهم فان ذلك سرّ من الاسرار كتموه العلماء الا عن الاخيار و قد اشرت اليه بقدر ما يقتضيه المقام و اعلم ان لامكانات الاشياء درجات و قد وقفوا فيها بحسب لطافتهم و كثافتهم و حكوا من نور الكينونة بقدرهم و وجدوا من الكمال و الآثار بقدر كونهم فالجماد مادته واقفة في اسفل سافلين و حكت من كمالات الكينونة الجمادية و صار اثرها بحسبها و فقدت ساير الكمالات فهي واجدة لكمالها بالفعل و جميع الآثار العالية عليها في قوتها و المادة النباتية صاعدة عن مقامها بدرجة و لذلك حكت كمالها مع كمال ازيد يخصّها فالنبات واجد لما وجده الجماد و ازيد و يعجز الجماد عن اتيان ما يخصّه و كذلك الحيوان مادته فوق مادتهما فتحكي كمالا فوق كمالهما مع ما لها من كمالهما فيعجز الحيوان النبات و الجماد عن الاتيان بمثل ما وجده فيدعي بين الجمادات و النباتاتِ الفلكيةَ و يستدل بما يخصّ روحه الفلكي و كذلك الانسان يملك روحا اعلي من ارواحها لصفاء مادته و لطافة قابليته فيملك كمالاتها و كمالا ازيد منها و ذلك معجزته بالنسبة اليها فيقول لها انا مولود من سنخكم بظاهري و لكن روحي من الملكوت الاعلي و لذلك يظهر مني آثار الملكوتيين فانا احفظ ما اري و انتم يا حيوانات تنسون و انتم يا نباتات و جمادات لاتدركون و انا اعلم الغيب و انتم لاتعقلون و هكذا يظهر لهم ساير صفاته و هم يعجزون عن الاتيان بمثلها و لكن ساير الاناسي يشاركونه في هذه المعجزات و اما مادة الانبياء فصارت ارفع و اعلي بمرّات و لذلك تعلّق بهم روح من امر الله ففي ظواهرهم يشاركون ساير المواليد الا انهم الطف و اشرف منهم و لكن بواطنهم روح قدسي من امر الله تعالي فيملكون كمالات عجيبة غريبة يفقدونها ساير الاناسي ففعلهم معجز لهم و لكن جميع الانبياء مشاركون في نوع المعجزات و اذا صارت المادة ارفع و اعلي يتعلق بها جميع كمالات الكينونة بل نفسها فتصير حاكية للذات الظاهرة فتحكي

جميع كمالات الاكوان بشئ ازيد فتصير صاحب المعجزات بالنسبة الي الانبياء ايضا و ليس وراء عبادان من قرية ، فافهم و تدبر حتي تعرف حقيقة المعجزات فكل من صار صاحب روح اعلي يحكي من كمالات الكينونة اكثر فيصير صاحب المعجز بالنسبة الي من هو دونه .

فصل اعلم ان النبي لايكون نبيا حتي يتقوي عقله و لا شك ان كل روح يتعلق بالشخص علي الكمال يظهر منه آثاره كما تري ان الروح النباتي بعد ما تعلق بالجماد يظهر منه قوي النبات و كذلك الروح الحيواني بعد ما تعلق بالنبات يظهر منه آثاره و هكذا و ما تري في نوع بني آدم من ضعف آثار الانسانية الا في قليل منهم فذلك لعدم كمالهم في الانسانية فهم في حكم البرازخ مثلا و ان اخرج من كمونهم الانسانية الي يوم القيمة و كذلك الامر في الاعالي فبعد ما تعلّق العقل باحد علي الكمال يظهر منه آثاره البتة و لا شك ان العقل هو القلم الذي كتب الله به حروف الكاينات و هو اول الموجودات و علة جميع ما دونه فاذا كمل في احد يظهر منه آثاره البتة فمن خواصه علمه بالغيب و احاطته بما كان و ما يكون و تأثيره في كل شئ فلا بدّ و ان يكون النبي صاحب هذه الكمالات و ان قلت ان الانبياء

يعدّون في السلسلة في مقام الروح فكيف يملكون هذه الفضايل اقول ان الروح برزخ بين العقل و النفس و البرزخ امر بين امرين يري فيه من اثر الاعلي و الاسفل الاتري الي خيالك فانه برزخ بين الدهر و الزمان بل الغالب عليه جهة الزمان و مع ذلك تري فيه اثر الدهر بالعيان الاتري انه يري الحال و الماضي بلا تفاوت و ينظر الي كل الارض في طرفة عين فكيف حال اعالي البرزخ مع قوة الدهرية فيها و كذلك الامر في الروح فانه برزخ بين العقل و النفس فله من آثار العقل و النفس فما فيه من اثر العقل معجزته و هم درجات بعضهم في اعالي عالم الروح متصلون بالعقل و بعضهم في الاواسط و لميظهر لي انهم

صفحه ٢٦٢

يكونون في اواخر درجة الروح المتصلة بالنفس ام لا و الاوفق بالقواعد ان يكونوا في هذه الدرجة ايضا و اما حقيقة العقل فلاتكمل الا في آلمحمد عليهم السلام و لذلك يكون معجزتهم عامة فيأتون بمعجزات جميع الانبياء و اما الانبياء فكانت معجزاتهم خاصة و قد اتي كل واحد من سنخ ما كان شايعا في زمانه فاتي موسي عليه السلام بالعصا و اليد البيضاء لما كان الشايع في زمانه السحر و اتي عيسي باحياء الاموات و ابراء الاكمه و الابرص لما كان الشايع في زمانه الطب و نبينا صلي الله عليه و آله و ان اتي بالقرآن لما كان الشايع في زمانه الفصاحة و لكنه اتي بمعجزات جميع الانبياء ايضا كما لايخفي علي من تتبع في الاخبار بل اتي الائمة الاطهار بمعجزة جميعهم و يكفي هذا القدر من البيان في بيان حقيقة المعجزات و لا بد و ان نعنون فصلا خاصا في بيان الفرق بين المعجز و السحر و الكهانة فان ذلك مسألة عظيمة و لا بدّ من بيان حقيقة كل واحد اولا بقدر ما يقتضيه الحال و لا قوة الا بالله .

فصل قد اختلفت الاقوال في بيان حقيقة السحر و قال كل في تعريفه شيئا فقيل انه كلام او كتابة يحدث بسببه ضرر علي من عمل له في بدنه او عقله و قال آخر انه كلام او كتابة او عمل يحدث بسببه اثر علي من عمل له في بدنه او عقله او قلبه و ثالث قال بالثاني مع اشتراط المباشرة و رابع بزيادة العقد و الرقي في الجنس و خامس بانه عمل يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها علي افعال غريبة و اسباب خفية و سادس باستحداث الخوارق سواءا كان بالتأثير النفساني او الاستعانة بالفلكيات فقط او بتمزيج قوتها بالقوي الارضية او بالاستعانة بالارواح الساذجة و قال سابع بعد الردّ عليهم ان المرجع في ذلك الي العرف و الذي يظهر منه و من التتبع في موارد الاستعمال انه عمل يوجب حدوث امر منوط بسبب خفي لا بمعني ان كل ما يكون كذلك سحر بل بمعني ان السحر كذلك و قال بعض انه اقسام ثمانية

صفحه ٢٦٣

الاول سحر الكلدانيين و تفصيل مذاهبهم و اقوالهم لايليق بهذا الكتاب و مجمل قول فرقهم ان المدبر في هذا العالم الكواكب و الساحر عندهم من عرف القوة الثالثة الفعالة من تركيب شعلات النجوم و ما يليق بها و معرفة ما يليق بالعوالم السفلية و يعرف المعدّات ليعدّها و العوائق لينحيها بحسب الطاقة البشرية و القسم الثاني سحر اصحاب الاوهام و

النفوس القوية و هو يكون بتجريد النفس عن الشواغل البدنية و عن مخالطة الخلق و امورهم و به يحصل تأثير هنا في جميع ما تريده من الاشياء و توجد صورته في ذهنها و تقتدر بذلك علي الاتيان بما هو خارق العادة و القسم الثالث الاستعانة بالارواح الارضية و هي الجن و هو يحصل بالرقي و الدخن و التجريد و هو المسمّي بالعزايم و عمل تسخير الجن و القسم الرابع التخييلات و الاخذ بالعيون التي لاينكر اغلاطها في رؤية الساكن متحركا و بالعكس و الصغير كبيرا و بالعكس و القسم الخامس الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات علي النسب الهندسية تارة و باقسام اخر و القسم السادس الاستعانة بخواص الادوية المزيلة للعقل و القسم السابع تعليق القلب كما انه لو ادعي الساحر الاسم الاعظم و ان الجن يطيعونه و ينقادون له و اذا سمع السامع لضعفه يرعب و يضعف قواه و يتمكن الساحر من فعل ما يشاء و القسم الثامن السعي بالنميمة و قال جماعة في موضوع السحر انه روح في روح كما ان الطلسم روح في جسد و الكيميا جسد في جسد اقول ما ذكروا في تعريفه و اقسامه كلها مخدوشة من جهات لست بصدد ردّها فان مفاسد التعريفات ظاهرة بيّنة للمتأمل و الاقسام المذكورة ايضا هكذا فان اكثرها من باب تأثيرات الاشياء و العلوم و اما الكهانة فهي عند الاكثر علي ما في المحكي عنهم عمل يوجب طاعة بعض الجانّ للشخص و اتباعه بحيث يأتيه بعض الاخبار الغيبية و جميع ذلك اقوال الناس و المتبع عندنا ما ورد عن آل‌محمد عليهم السلام ففي البحار في احتجاج

مولانا الصادق عليه السلام مع الزنديق قال الزنديق فمن اين اصل الكهانة و من اين يخبر الناس بما يحدث قال ان الكهانة كانت في الجاهلية في كل حين فترة من الرسل كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون اليه فيما يشتبه عليهم من الامور بينهم فيخبرهم باشياء تحدث و ذلك في وجوهٍ شتّي من فراسة العين و ذكاء القلب و وسوسة النفس و فطنة الروح مع قذف في قلبه لان ما يحدث في الارض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلم الشيطان و يؤدّيه الي الكاهن و يخبر بما يحدث في المنازل و الاطراف و اما اخبار السماء فان الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع و هي لاتحجب و لاترجم بالنجوم و انما منعت من استراق السمع لئلايقع في الارض سبب يشاكل الوحي من خبر السماء و ليس علي اهل الارض ما جاءهم عن الله لاثبات الحجة و نفي الشبه و كان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثم يهبط بها في الارض فيقذفها الي الكاهن فاذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحق بالباطل فما اصاب الكاهن من خبر مما كان يخبر به فهو ما اداه اليه شيطانه مما سمعه و ما اخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه فمذ منعت الشياطين عن استراق السمع انقطعت الكهانة و اليوم انما تؤدي الشياطين الي كُهّانها اخبارا للناس بما يتحدثون به و ما يحدثوه و الشياطين تؤدي الي الشياطين ما يحدث في البعد من الحوادث من سارق سرق و من قاتل قتل و غايب غاب و هم بمنزلة الناس ايضا فيهم صدوق و كذوب ، الي ان قال فاخبرني عن السحر ما اصله و كيف يقدر الساحر علي ما يوصف من عجايبه و ما يفعل قال ان السحر علي وجوه شتّي منها بمنزلة الطب كما ان الاطباء وصفوا لكل داء دواء فكذلك علم السحر احتالوا لكل صحة آفة و لكل عافية عاهة و لكل معني حيلة و نوع منه آخر خطفة و سرعة

و مخاريق و خفّة و نوع منه ما يأخذ اولياء الشياطين عنهم قال فمن اين علم الشياطين السحر قال من حيث عرف

صفحه ٢٦٥

الاطباء الطب بعضه تجربة و بعضه علاج قال فما تقول في الملكين هاروت و ماروت و ما يقول الناس بانهما يعلّمان الناس السحر قال انهما موضع ابتلاء و موقف فتنة تسبيحهما اليوم لو فعل الانسان كذا و كذا لكان كذا و لو يعالج بكذا و كذا لصار كذا اصناف سحر فيتعلمون منهما ما يخرج عنهما فيقولان لهم انما نحن فتنة فلاتأخذوا عنا ما يضرّكم و لاينفعكم قال أفيقدر الساحر ان يجعل الانسان بسحره في صورة الكلب و الحمار او غير ذلك قال هو اعجز من ذلك و اضعف من ان يغيّر خلق الله ان من ابطل ما ركبه الله و صوّره و غيّره فهو شريك لله في خلقه تعالي عن ذلك علوا كبيرا لو قدر الساحر علي ما وصفت لدفع عن نفسه الهرم و الآفة و الامراض و لنفي البياض عن رأسه و الفقر عن ساحته و ان من اكبر السحر النميمة الحديث ، فظهر من هذا الحديث الشريف سرّ الكهانة و السحر و اما المعجز فهو كرامة الله جل شأنه علي عبده و صاحب المعجز يفعل ما يفعل من امر الله و لايحتمل فيه الخطاء مع ما بين الامرين من عظيم الفرق فاما الكاهن فقد عرفت ان شأنه الاخبار عن الغيوب من طريق النجوم او الفراسة او اخبار شياطينه و الساحر شانه التأثير في الامور العادية من طريق الاسباب كالمعالجات الطبية او بعض الشعبذات او تأثير جزئي من النفس في بعض الامور و الا فهو لايقدر علي تغيير و تبديل في الملك فان غاية تدبيره ان يحتال لسلامة آفة بدواء او بدعاء او بعمل كما هو المعمول عندهم او بشعبذة كخفّة و سرعة في عمل فيسحر اعين الناس كما هو المعمول عند اهل الافرنج و امثال ذلك و الا فلايقدر علي ان يقلب خلقا من صورة الي صورة او يغيّر تقديرا و لو كان شأنه ذلك فلمَ كانت السحرة يجعلون سحرهم سبيل عيشهم و لميكونوا يدبرون لانفسهم ثروة و سلطنة و لمَ لميكونوا يقتلون اعداءهم بسحرهم و بالجملة فالساحر اضعف من هذه التأثيرات في ملك الله و اما صاحب المعجز فهو محل تقدير الله جل شأنه و قد شارك

صفحه ٢٦٦

السبع الشداد فصار فعالا في ملك الله في مثل الافلاك بل صار مؤثرا في الافلاك كما لايخفي بعد ما بلغ حدّ الضرورة ان الشمس ردت لسليمان و لامير المؤمنين و نبينا صلي الله عليه و آله شق القمر باصبعه الشريف شقتين و امثال ذلك من تأثيراتهم في الافلاك فاين هذا من السحر و الكهانة و ان كان المعجز ايضا باسباب اذ ابي الله ان يجري الاشياء الا بالاسباب و لكن اسبابه غير اسباب السحر بل اسبابه اسباب السموات التي اراد فرعون ان يصعد اليها فمنع و الشياطين كانوا يسترقون السمع دونها فمنعوا بعد ظهور نبينا صلي الله عليه و آله و بالجملة فالفرق بينهما كثير بقي الكلام في كيفية ادراك الناس ذلك فان هذا فرق غيبي غير مشهود فمن اين يعلم الناس ذلك اقول يعرف الفرق بالاقتران بساير الصفات فاذا رأيت الشخص موصوفا بالصفات الكمالية متقيا زاهدا عالما عاملا صادقا عابدا ناسكا معرضا عن الدنيا مقبلا الي الآخرة داعيا الي الله جل شأنه كل حين غير غافل

عنه فانت تتيقن بكونه من اهل الله فاذا ادعي النبوة و اتي بالمعجز في وقت يجوز بعثة الانبياء فهو من الانبياء و اذا اتي بخارق عادة و لميدع النبوة فهو من الاولياء الذين نصبهم الله في كل قرن فافهم و لايلزم مما ذكرنا ان لايكون المعجز دليلا بل هو دليل بنفسه الا ان معرفة المعجز من السحر يحتاج الي ما ذكرنا لدي الجاهل و اما العالم فلايحتاج الي ذلك ايضا اذ يعلم ان الساحر لايقدر علي فعل المعجز ابدا و السحرة بانفسهم اذا لميكونوا من اهل الاغراض يعرفون ذلك كما كان في سحرة فرعون فانهم عرفوا ان فعل موسي عليه السلام ليس من سنخ فعلهم فآمنوا به و صدقوا بنبوته و دليل آخر يفرق به بين السحر و المعجز و هو تسديد الله جل شأنه و تأييده فان الله سبحانه قال في محكم كتابه في مواضع عديدة ان الساحر لايكاد يغلب ابدا قال الله تعالي لايفلح الساحر حيث اتي و قال قال موسي ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين و قال ايضا في بيان سحرهم و عدم

واقعيته سحروا اعين الناس و استرهبوهم و جاؤا بسحر عظيم و قال يخيل اليه من سحرهم انها تسعي انظروا الي الآيتين قد صرّح الله تعالي بانهم سحروا اعين الناس فكان عملهم من قبيل المعالجات اليدية من باب الليميا او كان محض تخييل و ذلك محض تأثير في خيالاتهم او لايكون الا في العين و من باب ادراكهم الباطل تخيّلوا باطلا كما انك تري شيئا علي خلاف ما هو عليه و تخيّله علي ما رأيته فافهم و اما في فعل موسي قال الق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فظهر من ذلك ان لقفها امر واقع اذ لميقل يخيّل اليه انها تلقف كما قال في حبالهم و عصيهم و قال في موضع آخر اذا هي حية تسعي و هكذا في يده يقول ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء و بالجملة المعجز امر واقعي بخلاف بعض اقسام السحر و اما بعض اقسامه فربما يكون واقعا و لكنه من الباب المذكور و الله سبحانه يظهر بطلانه للناس فان الله لايهدي كيد الخائنين فان الساحر لايكون متقيا و لا عالما و لا ناسكا بل هم رجال فسّاق فجّار يبطل الله امرهم في اقل من طرفة عين .

فصل من المسايل المعضلة كيفية صدور المعجزات من صاحب المعجز و لما كان هذه المسألة من المسايل الصعبة مع انها اصل اصيل في حكمة الفضائل اريد ان اذكرها في المقام و قل من التفت الي حقيقة هذه المسألة الشريفة فاعلم ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد يمتنع معه ما سواه مما يعدّ فلايتصل بشئ و لايتصل به شئ و لايصدر من شئ و لايصدر منه شئ لميلد و لميولد و لايقترن بشئ و لايقترن به شئ و لميكن له كفوا احد فلايكون بذاته علّة شئ و لا سببا لشئ بل يخلق ما يخلق بمشيته و ارادته و هي من خلقه و قد خلقها بنفسها و كذب من زعم انه علّة كل الاشياء او علّة المعلول الاول كما انه كذب من زعم انه لايريد خلق شئ نعوذ بالله و انما الخلق خلقوا بحسب قابلياتهم فمن صلح للتكون تكوّن من دون خلقه نعوذ بالله بل

ان من شئ في السماء و الارض و ما بينهما الا بسبعة بمشية و ارادة و قدر و قضاء و اذن و اجل و كتاب و من زعم انه يقدر علي نقص واحدة فقد كفر بالله جل شانه فهي اسباب خلق الخلق اذا اجتمعت في خلق شئ يخلق و الا فهو باق في خزانة الامكان لايكاد يخرج ابدا فتدبر فان ذلك قاعدة كلية ثم قد ثبت في الحكمة ان المشية و ساير مراتبها في نفسها كلية مبهمة مطلقة و لذا نقول انها امكان للفعل و لا شك انه يشترط المناسبة التامة بين المعلول و العلّة و السبب و المسبب فلايكاد يخلق المخلوق الخاص بالمشية المبهمة و كذلك هي في اعلي مدارج الامكان لايطلع عليها افئدة الخلق فكيف ينفعل منها الخلق الواقف في اسفل مدارج الخلق مع غاية كثافته و كيف يأتمر من امر المشية مع انه لايقدر علي سماع امرها فلذلك و لغيره من الاسرار و الحِكَم جعل الله سبحانه لمشيته ظهورات في عرصة خلقه باختلاف درجاتهم لحكايتها و ابلاغ امرها ففي كل عالم من العوالم ظهرت المشية و ساير مراتبها في افلاكها و لذا صارت الافلاك في كل عالم سبعة و في هذا العالم ايضا ظهرت في افلاكها و لذا يفعل الله ما يشاء في هذا الملك بقدرته الظاهرة في الافلاك و جميع الآثار ناشئة منها لانها بلطافتها صارت حاكية لفعل الله سبحانه بل لا اثر لشئ الا بقدر فلكيته و لذا يقال ان اثر كل شئ بمزاجه و المزاج ظهور الفلكية في الاشياء فانه الطبع الخامس لكل شئ كما ان الافلاك الطبيعة الخامسة و الاخبار و الآيات الدالة علي ان الافلاك محالّ المشية كثيرة و قد قال الله في كتابه و في السماء رزقكم و ما توعدون و قال و اوحي في كل سماء امرها و كذلك الاخبار مروية في مظانّها فاذا اراد الله خلق جسم من الاجسام من هذه العناصر التي هي ظواهر الامكان يأمر الفلك ان يدور عليها فيلقي شعلاته فيها و يخرج من كمونها ما استجنّ فيها فدار بذلك ما دار و اخرج منها ما اخرج و لما كان المواليد حاصلة من تركيب

شعلاتها مع العناصر صارت مركبة من فلكية و عنصرية فاذا غلب عليها جهة العناصر و خفيت الفلكية صارت جمادية و نباتية و اذا صارت العناصر غالبة مع ظهور الفلكية في الجملة صارت حيوانا بحسب اختلاف مراتب الحيوانات الي ان تصل الي الانسانية الكونية و بعد ما ظهر فيها الفلكية تؤثر فيها البتة لان الفلك ظاهر المشية و لكن يختلف تأثيره من المولود بحسب قوته و ضعفه ففي الحيوانات مثلا و الاناسي ما فيها من الافلاك يكون مؤثّرا الا ان في نواقصهم يكون آثارها ناقصة فربما لاتتجاوز ابدانهم كما تري ان الحيوان يحيي بروحه بدنه فيمشي و يهمهم و يريد و يدرك و هكذا و لكنه لايقدر علي التأثير في غيره و كذلك الانسان مثلا اذا ظهر فيه الخيال يؤثر في بدنه في الجملة بقدره فيتخيل و يظهر آثاره في بدنه و لكنه لايقدر علي ان يؤثر في غيره ابدا و هكذا في ساير مراتب الافلاك اذا ظهرت في المولود ناقصة تؤثر بحسبها ناقصا و ذلك امر بيّن و اذا ظهرت كاملة تشتد آثارها لا محالة بقدر كمالها فاذا غلب علي احد روح الحيوة كما يؤثر في بدنه يؤثر في غيره ايضا بقدرها فيحيي غيره و ان لميكن متصلا به في الظاهر و كذلك اذا غلب علي احد الخيال مثلا يؤثر في غيره كما يؤثر في نفسه فيكمل خيالات ساير الخلق ايضا بل ربما يقدر علي التأثير بخياله في الجماد و النبات ايضا و من هذا الباب ما يقال ان الوجودات الذهنية من الكاملين تؤثر في الخارج و هذا مقام خطير و له رياضة

عظيمة و قد اري الله خلقه آية ذلك في الجملة انه اذا وقع شئ في الخيال من الطيرة او الرؤيا او غير ذلك يؤثر في الخارج كما يؤثر الفلك بلا فرق فان الفلك جسم دخاني تعلق به روح فعلي و هذا ايضا هكذا و الفرق في العموم و الخصوص و هكذا يجري الامر في ساير المراتب فاذا علمت ذلك فاعلم ان المولود لايصير نبيا حتي اذا بلغ العرش بمعني بروز جميع السموات و الكرسي و العرش من كمونه علي نحو الكمال فاذا خرجت الجميع

من قوته هكذا يتعلق به النفس الكلية المتعلقة بالملك اذ لا فرق بينه و بين الملك في القابلية و الاستعداد و ليس المناط في تعلّقها كبر المادة و صغرها بل المناط الصفاء في حدّ تصلح لحكايتها و كذلك الامر في جميع الغيبيات في ظهورها فان الدخان مثلا اذا بلغ من الصفا حدّا صار صالحا لحكاية النار يحكيها كبيرا كان او صغيرا غاية الامر ان الكبير مشعل و الصغير سراج و الا فلا فرق بينهما في حكاية النار و كذلك الامر هنا فان الروح البخاري مثلا اذا بلغ مبلغا صار قابلا لحكاية القمر يحكيه كبيرا كان او صغيرا غاية الامر ان الفلك قمر الدنيا و فلك الانسان و الحيوان روحهما و قمرهما و هكذا الامر في الباقي و اعلم ان المناط في المقام الاعتدال و اللطافة فربما يكون فلك الاشخاص اشدّ تأثيرا من فلك الملك و بالجملة ليس المقام موقع بسط هذه المسألة اكثر فاذا بلغ المولود في الصفاء و اللطافة مبلغ العرش يتعلق به النفس الكلية المتعلقة بمجموع الملك و معها العقل لا محالة لانها مادة النفس لايفارقها فيصير الشخص نبيا و صاحب التأثيرات الكلية النفسانية في هذا المُلْك فان جميع التأثيرات الجارية في المُلْك من الافلاك و هذا الرجل افلاك واقعا فهو مؤثر بل آثاره اقوي بمراتب لاسرار كثيرة ليس هنا محل بسط القول فيها بل هو يؤثر لقوته في الافلاك ايضا و كيف ينكر ذلك من شاهد الآثار الجزئية من الناس فان عين العاين تؤثر و ليس ذلك الا من قوة اثر نفسه بسبب حسده فلانحتاج في بيان كيفية المعجزة الي تأويل فكلما اراده صاحب المعجز يفعله بسمواته و الامر اليه بل يؤثر اذا شاء في الفلك و يديره علي حسب مراده نعم لايغيّرون نوع خلق الله و يفعلون ما يشاؤن من المعجزات باسباب شخصية مهما امكن مثلا اذا اراد الله سبحانه خلق الذهب من ارض يدير عليها الافلاك في سنوات حتي يستخرج من كمونها و صاحب المعجز يقدر علي ادارة الفلك في لمحة بقدر ما يلزم في صنع الذهب لان يجعل التراب ذهبا و لكنه لايفعل ذلك

لما يترتب عليه من المفاسد في الملك و لكنه يصنع مثل ذلك بافاضة شخصية من دون واسطة الفلك المحيط و هذا شأنهم في اغلب الامور و لكن نوع تكميلهم واحد مع الخلق الطبيعي و قد لايغيّرون الخلق في الخارج و يؤثرون في النفوس و العيون اذا كان التأثير في الامر الخارجي مضرّا بامر الملك و ليس ذلك من باب السحر و الشعوذة لما عرفت ان الشعوذات محض سرعة و خفة في اليد و السحر اذا كان بتأثير روح في روح جميعه من باب تعلق الشياطين و اما ذلك فبامر من امر الله و سرّ من سر الله و انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ، فافهم ذلك و اتقنه فاني قد كشفت عن حقيقة المعجزة و الحمد لله .

المنقبة الثالثة في ذكر بعض ما يلزم من ساير فضائلهم صلوات الله عليهم و قد بيّن ابي

اعلي الله مقامه كليات من فضائلهم في كتابه الشريف و كلامه المنيف الفطرة السليمة الناشئة من الفطرة الالهية و لانحتاج الي تكرارها في المقام الا بقدر الحاجة في الجملة فمن ارادها فليراجع في هذا الكتاب المبارك و لكني اذكر لك وجها آخر من فضائلهم بطرز رشيق و لسان رفيق فاصغ لما اقول ان كنت من سالكي الطريق ففيها فصول يبين فيها اصول ينتفع بها طلّاب الوصول و لا قوة الا بالله العلي العظيم .

فصل اعلم ان الفضايل هي الصفات الكاملة و الصفات اعم من المثالب و المناقب فان كانت موافقة للمشية المحبوبة تسمّي فضايل و مناقب و محامد و الا فبالعكس ففضائل كل فاضل ظهورات ذاته في عرصة المظاهر و اصلها من الذات فانها هي الكاملة الا ان الكمالات في قوتها اي قوة تجليها لا تطورها و تصوّرها و قد تتجلي في مقام المجالي و المظاهر التي تسمّي بمواقع الصفات بالكمالات المتشخصة المتعينة و قد فصّل بيان ذلك ابي العلامة اعلي الله مقامه في الفطرة السليمة و مرادي هنا محض الاشارة اليها من باب المقدمة فالذات ان صارت كاملة و هي كاملة لا محالة و جمع لها المظاهر و المجالي علي نحو

الكمال تتجلي فيها علي ما ينبغي لها و ان لميجمع لها المظاهر يبقي الكمالات في قوتها ابدا و ان شئت الدليل علي ما ذكرنا فاصغ لقول مولانا اميرالمؤمنين عليه صلوات المصلين في بيان النفوس فانه وصفها بالقوي لا بالفعليات فانه عليه السلام قال للنفس النباتية خمس قوي و كذلك للحيوانية و للانسانية و للقدسية فهي في اصل النفوس التي هي الذوات قوة و اذا جمعت لها الاسباب تتجلي فيها فتظهر بحسبها الاتري الي الحيوان مثلا فانه بصير بالقوة يعني انه يصلح لان يتجلي في البصر فاذا كان له بصر يتجلي اليه بالرؤية و الا فهو درّاك مطلق و كذلك الانسان مثلا فانه يقدر علي ان يتجلي بالفكر فاذا حصل مشعر التفكر يتفكر و الا ففكره يبقي في الامكان و ذاته شاعرة مطلقة و لذا نقول ان العمل و الرياضة و التعلم لاصلاح المشاعر لا لتكمل الذوات فانها كاملة بالخلقة و لاتتغيّر عما هي عليه ابدا فاسع جهدك في تربية المشاعر لحكاية تجلي الذات علي ما تريد و هذه قاعدة كلية في جميع المواليد فان النبات مثلا لنفسه قوة الجذب و الدفع و الامساك و الهضم فاذا كانت عناصره قوية معتدلة تحكي هذه الكمالات علي الكمال و الا فلا فان شئت ان تزيد في جذب نبات كمل ناريته بحرارة خارجة يصير جذبه اكثر و لايتغير النفس النباتية عما هي عليه اذ هي قوة و القوي لاتتغير و من هذا الباب نقول ان زيدا زيد في جميع حالاته من صغره الي كبره مع انه يتجلي في صفات مختلفة و حالات متفاوتة و بالجملة فعلي ذلك دليل الكمال ظهور الآثار من البدن فانه لو لميظهر منه لدل علي عدم كمال المشاعر و عدم صلاحيتها للحكاية و كون نفس الذات كاملة لايفيد شيئا لان كمالها علي ما عرفت فالمدعي للنبوة مثلا ان ظهر آثار ذات النبوة من بدنه بالفعل يعدّ نبيا و الا فلايعدّ نبيا ابدا لان النبي من كان كامل الاركان فكل من ادعي النبوّة انظر اليه فان كان ما يخصّ ذات النبي من الكمالات ظاهرا منه باهرا فصدِّقه بالنبوة و الا فلا .

فصل اعلم ان لهم صلي الله عليهم نوعين من الفضايل نوعا من حيث عبوديتهم و نوعا من حيث ربوبيتهم فان كل مولود مركب من هذين الحيثين كما ينطق به الاخبار و الآثار غاية الامر ان كل احد له هذان الحيثان بحسبه و في الانبياء كلا الحيثين كاملان بحيث قد خصّهم الله بهما من بين خلقه اما الربوبية فظاهرة و اما العبودية فخصّهم الله بها في مواقع من كتابه و يظهر من ذلك ان لها وجه خصوصية بهم صلوات الله عليهم و سأبيّن وجه الاختصاص بعد ان شاء الله ففي ذواتهم نقول ان الله قد ركّبها من حيث ربوبية و حيث عبودية و لكن الحيثين فيها في غاية التشاكل و الاتحاد فان عرصة الذات عرصة الوحدة و الانبساط و اجزاؤها ليست سابقة عليها اذ هي سرمدية بل اجزاؤها معها و لاتتفرق و لو في النظر و لكن الاختلاف في المخبر و يدرك بالتزييلات الفؤادية و اذ كانت نفس الاجزاء في غاية البساطة و الوحدة فيها فكيف بما يخصّها من الكمال فهو في قوتها سواءا كان من خواص ربوبيتهم او عبوديتهم و بعد ما اراد الله ظهورها و تجليها في القابلية اخذ لها بدنا من شأنين شأن الزمان و شأن الدهر و الدنيا و الآخرة و الغيب و الشهادة و النفس و الطبيعة فركّبه منهما و اظهر الذات منه فتجلت فيه به لا بها كما ان النار الغيبية تجلّت للدخان به لا بها فاظهرت من دهرية البدن صفات ربوبيتها و من زمانيته عبوديتها و العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما خفي في الربوبية وجد في العبودية و ما فقد في العبودية اصيب في الربوبية و اعلم ان الغيب لايخلو من العبودية كما ان الشهادة لاتخلو من الربوبية و لكن قوة الربوبية و سلطنتها في الغيب و لذلك ينادي الربّ هنالك لمن الملك اليوم لله الواحد القهار و ذلك فوق الطبيعة و لذا ينادي بذلك بعد نفخ الصور و صعق من في السموات و الارض و في الشهادة سطوة العبودية و مقام الجبابرة و الشياطين الي يوم الوقت المعلوم الذي هو مبدأ الغيب و لايعلمه الا هو فافهم

صفحه ٢٧٤

و ذلك في كل احد و كل مقام بحسبه و قد مرّ سابقا اشارةٌ مّا الي ذلك .

فصل اعلم ان العبودية قسمان شرعية و كونية اما الثانية فهي عامة و ان من شئ في السموات و الارض الا آتي الرحمن عبدا و كلهم اتوه طائعين و يسبحون له و صفة عبوديتهم انهم اطاعوا امره و لميخالفوا حكمه بل هم معصومون بهذا اللحاظ اذ كلهم ملئكة الرحمن و لميتخلفوا عن مشيته الكونية طرفة عين و هي بمشيتك دون قولك مؤتمرة و بارادتك دون نهيك منزجرة و الله سبحانه اجل و اعز و اسني و ارفع من ان يعصي في الكون اذ قدرته استطالت علي كل شئ و عزته غلبت علي كل شئ و قوته قهرت كل شئ فلايخرج شئ من سلطانه هذا و لميأمرهم جبرا و لميسلب عنهم الاستطاعة كرها بل امرهم اختيارا الاتري الي قوله ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين و هو لايظلم احدا و لكن امره سبحانه في الكون امر يقبل اليه كل احد اشتياقا و يطلبه كل موجود عشقا فانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له بالاشراق و الافاضة الغيبية كُن فيكون بكمال الاشتياق فان الامكان يشتاق الي التكوّن اشتياق المرأة الي الاولاد و الارض الي النبات مع انه قوة مختارة نسبتها الي شقي الوجود و العدم الكونيين بالسواء و لكنه محب للتكون لانه اثر كينونة الله تعالي فاذا اتاه امر من مشيته يطيعه بحسب طاقته و يخرج منه كل ما كان مستمعا لوحيه تعالي و اما ما كان من القوي فيه ميتة فلاتحيي و ما انت بمسمع من في

القبور و ليس حياتها ايضا من الكمال و ذلك ما نقول ان ما كان من الاكوان فيها دلالة علي كمال الله سبحانه اخرجت من القوة و ما كانت منها دالة علي نقص او عدم كمال ماخرجت و لاتخرج ابدا فتدبر و بالجملة ففي الكون جميع الاكوان اتوه طائعين و أتمروا بامره و امتثلوا قوله فانوجدوا علي حسب طبايعهم و لميعصوه ابدا و اما العبودية الاولية في الوجود الثانوي في الظهور فهي العبودية الشرعية و قد تجلّي الله لهم في مشيته الشرعية كما تجلّي

صفحه ۲۷۵

لهم اولا في المشية الكونية و ذلك بعد اتمام خلقهم في الذر و اكمال شرايط القبول فيهم و ذلك قوله عليه السلام جعل لهم ما اذا سألهم اجابوا انتهي ، يعني جعل لهم قابلية القبول و الاجابة و عالم الذر فوق هذا العالم طولا لا قبله عرضا فالتكليف في الذر فوق التكليف في الدنيا و قول الله الظاهر من لسان مشيته الشرعية في الذر فوق قول الشارع الظاهر من لسانه في الدنيا و قوله تعالي الست بربكم و محمد نبيكم و عليّ امامكم ، غيب هذه الاحكام و الشرايع طرّا ففي هذه العرصة بعض الناس اجابوا امره و اتبعوا قوله علي الخصوص في المواقع التي امر الله ان يقبل العباد اليه منها و بعضهم اجابوا و اطاعوا نوعا و لميخالفوه اذ هم اقل من ذلك فافهم ذلك فانه نكتة دقيقة و لميكشف عنها القناع الي يومي هذا فان الخلق احقر من ان يخالفوا قول الله تعالي في الشرع و الكون و لكن العصيان في ترك الموقع و الاقبال من غير السبيل و الضلالة للتخلف عن الدليل الاثري ان جميع الخلق طُرّا يقرون برب نوعي و لو في الحال من دون القال حتي البهائم و ذلك ليس الا باطاعة الرب اذ ناداهم بقوله الست بربكم ، غاية الامر ان بعضا اقرّوا به من حيث امرهم فصاروا مؤمنين و بعضاً اقرّوا به من غيره فسمّوا كافرين و قد عبّر الامام عليه السلام عن ذلك ببيانين في حديثين ارويهما عن ابي اعلي الله مقامه عن ابيجعفر عليه السلام ان الله عز و جل خلق الخلق فخلق من احب مما احب فكان ما احب ان خلقه من طينة الجنة و خلق من ابغض مما ابغض و كان ما ابغض ان خلقه من طينة من النار ثم بعثهم في الظلال فقيل و ايّ شئ الظلال قال المتر الي ظلك في الشمس شيئا و ليس بشئ ثم بعث منهم النبيين فدعوهم الي الاقرار بالله عز و جل و هو قوله عز و جل و لئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ثم دعوهم الي الاقرار بالنبيين فاقرّ بعضهم و انكر بعض ثم دعوهم الي ولايتنا فاقر بها والله من احب و انكرها من ابغض و هو قوله جل و عز ماكانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من

صفحه ۲۷۶

قبل ثم قال كان التكذيب ثَمَّ و عن ابيعبدالله عليه السلام في قوله و اذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و اشهدهم علي انفسهم الست بربكم قالوا بلي ، قيل معاينة كان هذا قال نعم فثبتت المعرفة و نسوا الموقف و سيذكرونه و لولا ذلك لميدر احد من خالقه و رازقه فمنهم من اقرّ بلسانه في الذر و لميؤمن بقلبه فقال الله و ماكانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل انتهي ، فبيّن عليه السلام ان جميعهم اقروا بالربوبية له تعالي و لكنهم لميقرّوا بالانبياء الذين هم مظاهر الرب و السنته الداعية اليه فيهم و لذلك قال ابوعبدالله عليه

السلام في حديثه ان بعضهم اقرّوا باللسان و بعضهم بالقلب فان من لميعرف موقع صفة الربوبية بقلبه لايكون مؤمنا فان الايمان ما عقد به القلب و لايعقد الا بشخص اشتعل بنور ربه و من لميكن ايمانه هكذا يكون اقراره بمحض اللسان و لايفيد ذلك شيئا لعدم ثباته فافهم فكل من اقر بالانبياء و الائمة من حيث انهم محال نور الله سبحانه يكون مسلما مؤمنا و من لميقرّ بهم و لكنه اقرّ برب فهو من المقرين باللسان كساير اقسام الحيوان ثم هم مختلفون في معرفته اذ بعضهم اشار الي غايب من دون معرفة شئ و بعضهم اتخذ الهه هواه و بعضهم اتخذ الاصنام و هكذا و كل اقرّوا بالرب و لايقدرون علي التخلف عن نداء الست بربكم ثم في الاقرار بالنبوة و الولاية ايضا يكون الامر هكذا و هذا من السرّ المكنون فانهم و ان انكروا شخص النبي الحق و الولي بالصدق و لكنهم لاينكرون اصله غاية الامر انهم اقرّوا به من حيث لايعرفون و سمّوه من عند انفسهم بما يعرفون و زعموه غير من نصبه الله في عرصة الذّرّ و الا فنوع البشر من طبعه ان يتّخذ لنفسه رئيسا سايسا فالكل اطاعوا ربهم نوعا و لكن الاختلافات اتت في القوابل الشخصية فافهم فكل من اطاعه من حيث امر سمّي عبدا شرعيا و من كان مخالفا لرضاه في عمله و عقيدته اي لميأته من بابه لايسمّي عبدا شرعيا و ان كان عبدا كونيا فان العبد حروف اسمه ثلثة تدل علي باطنه فان الاسماء

الحقيقية دلايل الحقايق فعينه علمه بخالقه اي من الوجه الذي ظهر له و الا فذاته اجل من ان يعرف فانه تعالي كما قال عليه السلام تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة و تدركه المرائي لا بمعاينة و تدركه الاوهام لا بالاحاطة بل تجلي لها بها و بها امتنع منها ، اي تجلي لها باوهام طيبة من سنخها و امتنع منها بانفسها الخبيثة البعيدة عن الله فعلم العبد بربه من اوليائه و فيهم و بهم لا غير و اما الباء فبونه عن ساير الناس و غيرهم من الاشياء التي عبدوها مدّعوا الحرية و نصبوها لهم ائمة و ابوابا و وسايط و الدال دنوّه من خالقه و ظهر لك انه لايمكن الدنو من الله بذاته فانها منزهة عن المداناة و المباينة و لكن المراد الدنو من وليه و ظاهره و معناه بولايته و الاقرار بفضله و من كان موصوفا بهذه الصفة موسوما بهذه السمة يكون عبد الله علي الحقيقة و لا شك ان احدا من الخلق لميعبد الله بهذه العبادة مثل الانبياء فانهم معصومون لايخالفون الامر الشرعي الظاهر لهم من الله بواسطة الخاتم الظاهر لهم في درجتهم فانه الشارع الحقيقي بل هو النبي الحقيقي المرسل من عند الله لا غير و ساير الانبياء مرسلون من عنده و ينبأون عنه و ذلك تأويل قوله صلي الله عليه و آله لعلي عليه السلام انت مني بمنزلة هٰرون من موسي الا انه لا نبي بعدي ، اي لا نبي غيري و مثل ذلك كثير في اصطلاح اهل اللغة فانهم يقولون ليس بعد فلان فارس مثلا او رجل و يراد منه انه فرد في ذلك و لايماثله غيره في هذه الصفة و هكذا قوله لا نبي بعدي يعني غيري و يشهد بذلك وجود الانبياء معه و بعده و لو كان المراد عدم وجودهم للزم عدم كونهم فانه لا شك في وجود الاركان معه و بعده و ان قلنا ان المراد البعدية بالمعني المعروف للزم تأويل قوله بنحو من انحاء التأويل كأن نقول يريد لا نبي مبعوثا او صاحب شريعة و اما علي الوجه المذكور فالامر ظاهر فانه النبي الحقيقي و ساير الانبياء انبياؤه

اذ هم مظاهره و آياته و علاماته و قد اثبتنا ذلك في الكتب التي صنّفناها في الفضايل فهو النبي

المبلغ عن الله فقط و قد ادّي الي كل مخلوق امره و حكمه و شرعه و منهاجه و الانبياء سلام الله عليهم اطاعوه في جميع اوامره و نواهيه حتي سمّوا عباد الله سبحانه علي الحقيقة اذ علموا بربهم في الخاتم و بانوا من الخلق و دانوا منه و لذا ذكرهم الله في كتابه باسم العبودية في مواضع فقال في نوح ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا و قال في زكريا كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا و قال حكاية عن عيسي عليه السلام قال اني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا و قال و اذكر عبدنا داود ذا الايد انه اوّاب و قال و وهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد و قال و اذكر عبدنا ايوب اذ نادي ربه اني مسني الشيطان بنصب و عذاب و قال و اذكر عبادنا ابرهيم و اسحق و يعقوب اولي الايدي و الابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكري الدار و امثال ذلك من الآيات في شأن الانبياء سلام الله عليهم كثيرة و قد شرّف الله نوع عباده بان لميجعل للشيطان عليهم سلطانا فقال حكاية عن ابليس قال رب بما اغويتني لازيّنن لهم في الارض و لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط عليّ مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين و ان جهنم لموعدهم اجمعين انظر الي هذه الكرامة التي شرّف الله عباده بها فان الشيطان قال لازينن لهم في الارض و لاغوينهم اجمعين فجعل صنعه تزيين ما في الارض للغاوين و اغواءهم من هذا الحيث و استثني العباد المخلصين فنفي الله سلطانه عن عباده مطلقا بتزيين ما في الارض و غيرها فلايقدر علي التصرف فيهم بوجه من الوجوه و لميصفهم بصفة اشعارا بان العباد هم المخلصون و غيرهم ليسوا عبادا و قد سمّي الله غير العباد بالغاوين و الاستثناء منقطع بملاحظة الشرع لان الغاوين ليسوا من العباد في الشرع و لذا اطلق القول و قال ان عبادي ليس لك الخ ، و لو كان الغاوون منهم

لماطلق لفظ العباد بل كان يصفهم بوصف كما وصف ابليس و قال الا عبادك منهم المخلصين فبنص قول الله تعالي الشيطان لايقدر علي التصرف في ظواهر الانبياء و بواطنهم بوجه فهم عاملون برضا الله سبحانه و عابدون له فكل من ادّعي النبوة لا بدّ و ان يكون موصوفا بصفة العبودية و مجملها ما ذكرنا سابقا من دلالات حروف العبد و جزئياتها لاتعدّ و لاتحصي و انا اشير الي بعضها فلا بدّ و ان يكون ازهد من جميع امته بل من جميع الامم فانه لو لميكن ازهد من جميع الخلق لماصار مقبلا الي الله سبحانه بكله فانه لايكاد يجتمع في قلب احد حب الدنيا و حب الله فانه ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه فاذا رأيت الرجل حريصا في الدنيا فاعرف من ذلك انه لايكون نبيا و ان اتي بخوارق العادات فان الشيطان اذا سلّط علي احد ربما يظهر من يده بعض خوارق العادات و كذلك يكون مرتاضا فان من لميكن مرتاضا لايكاد يعتدل مزاجه شرعا علي ما ينبغي فلايصحّ منهاجه فلايصير قابلا للروح القدسي فلايكاد النبي يشبع من الطعام و لايكاد يكثر

من المنام و امثال ذلك مما هو شأن الكاملين مما يطول بذكره الكلام فان الرجل الاكول النوّام لايكون صالحا للعلم فضلا من النبوة و كذلك لا بدّ و ان يكون عابدا ناسكا كما سمعت من الانبياء سلام الله عليهم فان العبد لا بدّ له من العبودية فاذا رأيت الشخص فارغا من العبادة غافلا عن الله فاعرف من ذلك انه لايكون نبيا و كذلك لا بد و ان يكون متذكرا فانه يدعي انه نبأ الله جل شانه و النبأ لايتصور غفلته فلا بد من ان يكون ذاكرا بلسانه و قلبه في كل الاحوال و من نسي ربه فربه ينساه و من نسيه الرب جل شأنه يضلّه و لايهديه فلايكون قابلا لهداية غيره و كذلك لا بدّ و ان يكون موحّدا في جميع حالاته من بدأ عمره الي منتهي اجله فانه لايتصوّر في الانبياء ان يكونوا مشركين حيناً مّا لادلة كثيرة لو بسطنا القول فيها لطال بنا الكلام و جاوزنا حدّ المرام و كذلك يلزمه جمع

جميع صفات العبودية و لو عصي ربه لهوٰي و قد قال رسول الله صلي الله عليه و آله لو عصيت لهويت .

فصل و لهم صلوات الله عليهم صفات من حيث الربوبية لا بد من فعليتها فيهم فمنها كونهم مؤثرين في جميع الخلق اذ حقيقة النبوة مؤثرة جميع الملك اما الانوار فظاهر انها من نورهم و اما الظلمات فكلها من ظل نورهم و لايخرج شئ من تحت سلطانهم حتي انهم لو ارادوا تبديل السماء بالارض لكانوا قادرين علي ذلك باذن الله و قد مرّ سابقا بيان ذلك في الجملة و يأتي بعد ان شاء الله في فضايل الائمة صلوات الله عليهم ما فيه كفاية و بلاغ و منها كونهم مستجاب الدعوة فان ذلك ايضا فرع كونهم مؤثرين فان جميع امر الله يجري من ايديهم باذنه فاذا دعوا ربهم في امر من الامور يستجاب لهم لا محالة غاية الامر انهم ربما يدعون و لايتصرفون بامر خاص فيجري الامر علي طبيعة الملك بتأثيرهم فربما يمدّ في الاستجابة زمانا كما كان في دعاء نوح عليه السلام و ربما يريدون اجراء الامر بالمعجز فلا تأخير فيه و انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فافهم ذلك و اما ما كان من دعاء يونس عليه السلام و تغيّره بدعاء الامة فليس ذلك لعدم استجابة دعائه او تصرّف الغير في فعله بل اجاب الله له دعاءه و بعد ما توسّل الامة به و تابوا و دعوا الله مخلصين له الدين اجاب الله لهم فصرف عنهم البلاء فلميكن صرف البلاء ايضا الا من يونس فافهم و اما ما تري في كتاب الله من عدم قبول استغفار ابرهيم لابيه آزر اي عمّه فليس ذلك لعدم استجابة دعائه و كذلك في استغفار النبي لامته و عدم غفران الله او دعائه لرفع الاختلاف بعده بين الامة و عدم قبوله كما في الخبر فان امثال هذه الدعوة ليس دعاء حتم بل الدعاء قسمان قسم يدعو النبي و يريد استجابته فيجيب الله له دعاءه اذ لايخلف الله الميعاد و قسم يدعو بمعني عرض حاجته مع رضائه بقضاء الله و ميله ان يكون الامر

هكذا لانه مما يحبه الله و لكن لايشاؤه فليس ذلك لعدم استجابة دعائه فتدبر و استغفاره و استغفار ابرهيم لميكن الا لعفوهما عن الامة تكريما لله و تعظيما له و عدم قبول الله لميكن الا لتكريم النبي صلي الله عليه و آله و بالجملة فدعاء نبي الله يستجاب بداهة من غير نكير و كذلك لهم علم فوق علم الرعية فانه لايمكن ان يكون نبيا مع جهله بما يعلمه الامة و ان

كان بعضهم اعلم من بعض كما في كتابه تعالي تلك الرسل فضّلنا بعضهم علي بعض منهم من كلّم الله و رفع بعضهم درجات الآية ، و ما في الكتاب من نسبة الجهل اليهم كما في قصة موسي و خضر و قصة سليمان و نملة و امثال ذلك فمن المتشابهات و ينبغي ردّها الي المحكمات فانه كيف يتعقل ان يكون سليمان جاهلا بما علمه نملة ام كيف يتصوّر ان يكون موسي مع انه من اولي العزم جاهلا بما علمه خضر مع انه في زمانه من امته اذ لميكن خضر صاحب شريعة فكان من امة موسي بالبداهة اذ لميكن في زمانه شرع آخر فجهل الانبياء له وجه و هو انهم صلوات الله عليهم علموا كل شئ في مقام حقيقتهم لايكادون يجهلون و لايفقدون و لكن في مقام شخصيتهم لايبقي لهم الاحاطة الحقيقية و ذلك شأن كل فرد بالنسبة الي مطلقه فان الجسم مثلا مطلق محيط بجميع الاجسام التي دونه و لكن بعد ما تجلي الي جسم جزئي من الاجسام لايبقي له هذه الاحاطة في هذا الفرد فهو محيط في مقامه بجميع الجزئيات و لكن في هذا الجزئي لا بدّ له من النظر الي كل ما يريد علمه فاذا نظر الي شئ من الاجسام علمه و اذا لميتوجه الي حيث جهله فجهله لعدم توجهه و كذلك حال موسي فانه كان حين توجهه الي ما امر به غافلا عما كان خضر مأمورا به و كذلك خضر عليهما السلام كان غافلا عما امر به موسي و كانا غافلين عما امر به الصياد و لميكن ذلك الا لتوجههم الي جهة اخري نعم خضر لكونه في الدرجة السافلة لميكن عالما بجميع علم موسي بل كان فيما كان يعلمه

ايضا مستمدا من موسي و اما تعلم سليمان من النملة فبمعني نظره الي هذا العلم حين نظره اليها لا ان النملة كانت عالمة بذلك و لميكن سليمان عالما فافهم فالقاعدة الكلية في هذه المسألة انهم علماء الا انهم في مقام الشخصية ربما يغفلون عن جهة و منها انهم يملكون الاسم الاعظم و حقيقة الاسم الاعظم من المشكلات فانه في الحقيقة ليس حروفا و لكنه مقام من المقامات و الانبياء بقدر ما يملكون من هذا المقام يقال انهم ملكوا الاسم الاعظم و هو مقام ربوبيتهم صلوات الله عليهم فبقدر ربوبيتهم يجدون الاسم الاعظم و قد عبّروا صلوات الله عليهم عن حقيقته بكلمة تامة لها ثلث و سبعون حرفا و ذلك انه ظاهر في ملكه تعالي و قد تعلق به و به خلق الملك و مراتب الخلق من اسفله الي اعلاه عشرة اما المقام الاعلي فهو مقام ظهور المسمي و هو حقيقة الاسم و في غاية الاتحاد و الثاني و الثالث في غاية الاجمال فعبّر عنها بالثلاث لعدم الكثرة فيها و السبعة الباقية مقام تفصيل الاجمال فلكل واحدة عشرة مقامات من الارض الي العرش تمام العشرة و كل منها حرف اذ ليس كلمة تامة فعبّر عليه السلام عن كل واحدة بحرف فقال حروف اسم الاعظم ثلث و سبعون حرفا واحدة منها مخصوصة بالله و هو مقام الاسم الاعلي الذي علمه عند الله تعالي اذ هو مقام نفس المشية و باعث الارادة و الشمس التي تضيء تحت بحر الامكان و لايعلمها الا الله تعالي و الباقي و هي اثنان و سبعون مجموعة عند الخاتم صلي الله عليه و آله اذ هو العالم بكل شئ و اما ساير الانبياء فلكل منهم حرف او حروف بحسب شأنهم فعند آدم علي نبينا و آله و عليه السلام خمسة و عشرون حرفا و عند نوح عليه السلام بهذا القدر او ثمانية علي روايتين و عند ابرهيم عليه السلام ثمانية احرف او ستة احرف علي روايتين و عند موسي اربعة احرف و عند عيسي حرفان و كان منها حرف عند صاحب

سليمان فاتي بسرير بلقيس في اقل من ان يرتد اليه طرفه و روي ان الله اعطي آدم اثنين و سبعين حرفا و يتوارثها

صفحه ۲۸۳

الانبياء و لكل وجه و بالجملة جميع الحروف الا واحدة اليوم عند مولانا صاحبالزمان (ع) و يحتمل ان يكون الاركان اربعتهم حاملين لها و ان لميكن واحد منهم جامعا لها و جميع ما سمعت من الانبياء سلام الله عليهم من المعجزات و الآثار الغريبة كلها بقوة هذه الاسماء التي هي رتب و مقامات لهم و اما سرّ زيادة الحروف التي عند آدم علي ما عند ابرهيم و موسي و عيسي او عندهم و عند نوح فله وجوه من الحكمة بيّناها في مباحثاتنا منها انه كان مبدأ و قد بعث حين لميكن انسان بل لميكن البلاد معمورة و الارض مدبرة و قد بعث لاصلاح الملك و الخلق فاعطاه الله سبحانه من الحروف اكثر من الباقين و كذلك نوح علي ان يكون صاحب خمسة و عشرين فانه الآدم الثاني مع انه يستحقها لعلو مقامه اذ هو شيخ الانبياء سلام الله عليهم و اما الباقون فبعثوا حين انتظام الملك بالنسبة و اصلاح العباد و عمارة البلاد فلميكونوا يحتاجون الي اكثر مما اعطاهم الله جل و عز ، هذا في ظاهر القول و اما في الحقيقة فان اولي العزم في مقام حقايقهم يملكون اكثر من غير اولي العزم من حروف الاسم الاعظم و لكن في الدنيا يتصرفون بها بقدر مسيس الحاجة اليها فاذا احتاجوا الي حرف يظهرونه و يتصرفون به و اذا احتاجوا الي حرفين يتصرفون بهما و هكذا و بقدر ما يظهرون منها ينسب اليهم و ان ملكوا اكثر من ذلك كما ان كلا منهم يقدر علي معجزات لاتعدّ و لاتحصي و لكنهم اظهروا بعضها بقدر حاجة الخلق اليه و ذلك امر بيّن مسلّم و بذلك يجمع بين الحديثين المختلفين فيما كان عند شيخ الانبياء من الحروف فانه عند البعث قبل الغرق ربما كان يعمل بثمانية و بعد خراب الدنيا و هلاك الخلق ربما كان يعمل بخمسة و عشرين فافهم ذلك و اتقنه ثم اعلم ان للانبياء فضايل كثيرة و لما كان بناؤنا علي الاختصار و الاجمال تركنا تفصيلها و قد بيّن ابي الاستاذ اعلي الله مقامه فضايلهم اكثر من ذلك و الحوالة علي كتابيه الكبيرين

صفحه ۲۸٤

فطرةالسليمة و ارشادالعوام اعلي الله نورهما و زاد في فيضهما .

المقام الثاني في اثبات النبوة الخاصة و ذلك من المسايل الصعبة و اغلب الناس لميقفوا علي دليل مورث لليقين بها الا بعض الادلة العادية التي لاتسمن و لاتغني من جوع حتي ان بعضا قال كما في المحكي عنه انه لايثبت النبوة الخاصة بالادلة العقلية لانها من الامور الجزئية و شأن العقل الناقص درك الامور الكلية نعم قد جمع الهمداني في كتابه مفتاحالنبوة بعض الادلة القريبة من الادلة العقلية و احسن و اجاد و لكنها مع ذلك ناقصة لاتورث اليقين القطعي في الانسان بحيث لايدخل في قلبه شك و شبهة من الشيطان و لكن الله تعالي قد منّ علينا معاشر الشيخية في هذا الجزء من الزمان ببركة مشايخنا اعلام الدهر و نواميس العصر اعلي الله لهم المقام و حشرهم الله مع الائمة عليهم آلاف السلام بادلة عقلية واضحة نيّرة يحصل بها اليقين بنبوته (ص) بل لنا ادلة كشفية يكشف بها عن حق المسألة و لما كان المسألة عمدة بل عليها بناء الدين و قوام الشرع المبين لا بد لنا من

ذكر ادلة في المقام و اعلم ان ابي (اع) بيّن ادلة عقلية اثبت بها نبوته باسمه و رسمه و نسبه و انا اشير الي ما ذكر بالاجمال لانه لا بدّ من ذكرها و ازيد ادلة اخري في مطالب و فصول و لما قال الله تعالي لنبيه ادع الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي احسن نذكر من كل سنخ ادلة علي ذلك ان شاء الله .

المطلب الاول في اثبات نبوة محمد صلي الله عليه و آله بدليل المجادلة بالتي هي احسن و فيه فصول :

فصل قد مرّ سابقا في المقام الاول لزوم وجود الانبياء في الملك و عدم خلوّه منهم بادلة عقلية كثيرة و لايبقي لعاقل شك بعد ذلك فانه لو خلي الملك

عن نبي او حجة قائم من عند الله بوصاية نبي لساخ الارض و فسد السماء و ان ابيت ذلك لضعف عقلك لاتنكر فساد نوع الاناسي و بطلان امرهم و نغص عيشهم فان مدارهم بوجود السايس العالم الماهر و السلطان القاهر فلو خلي الزمان عن وجوده لآلوا الي الفساد كما كانوا اول مرّة و ان قال قائل انا نري اهل الافرنج مثلا و بلاد الشرك يعيشون بغير نبي و وصي و شرع و امرهم في غاية الاعتدال و نهاية الانتظام اقول ان عيشهم و انتظام امرهم ببركة ما حفظوه من الانبياء من الشرايع و الاحكام و استنبطوه من شريعة نبينا من المسلمين ، هذا و نقول ان انتظام الامور ليس هذا الذي تدعونه بل لميبق فيهم الا صرف امور ظاهرية و انتظامات بدنية و لكن فسد دينهم و شرعهم و لاتكاد تجد فيهم ما كان يوجد في السابقين من الترقيات الي ارفع الدرجات و الوصول الي السموات نعم بلادهم معمورة في الظاهر بحسب بعض الصنايع اليدية التي هي من شأن الحيوانية و ذلك ايضا ببركة ما بقي في ايديهم من شرع موسي و عيسي و ما اقتبسوه من نبينا صلي الله عليه و آله هذا و النصاري يقرّون بان عيسي حافظ لهم و هو من ورائهم و ان كانوا قائلين بموته و بالجملة فشرط انتظام امر الخلق علي الحقيقة وجود الحجج و الانبياء و الله سبحانه لايخلّ بهذه الحكمة فان داعي بعث نبي او قيام وصي في زمان من الخلق موجود دايما و من الله سبحانه العطاء بحسب الدواعي اليس اصل بعث الانبياء لاحتياجهم الي نبي و اليس احتياجهم لنقصهم و قلّة عقلهم و عدم اطلاعهم علي مرضات الله و مسخطه و ذلك دايما فيهم موجود فلا بد من وجود نبي فيهم دايما او من يقوم مقام النبي و هو وصيه المعصوم بعصمة الله المحفوظ بحفظ الله و ذلك مسلّم لا شك فيه و لا ريب يعتريه فاذا عرفت ذلك اقول لا شك و لا ريب ان الانبياء صلوات الله عليهم بعثوا تترى الي زمان عيسي علي نبينا و آله و عليه السلام و ماتوا كلهم الا اربعة و هم ايضا قد غابوا و اما المخالفون فلايقرّون بحيوة

الاربعة ايضا فيما اظن و عدم اقرارهم برفع عيسي و عدم قتله مسلّم و بعد عيسي علي نبينا و آله و عليه السلام قام الحواريون الي زمان قليل و غابوا بعد ذلك و لميكونوا معروفين الا لرجال و علي ما هو المقرر الثابت عند المسلمين ان التورية و الانجيل رفعا و ليسا في ايدي اليهود و النصاري و اما ساير الصحف السماوية و شرايع الانبياء

الماضين فلايشكّ احد في رفعها و لا وصي لهم ايضا في الدنيا بالبداهة و كذلك اليوم ليس لعيسي و موسي وصي عالم في مثل يوشع و شمعون الصفا و اقرانهما بين اليهود و النصاري بلا شك الا علماء جهلة لايعرفون الهر من البر و لميبق من شرعهم في ايديهم شئ الا بقدر الكحل في العين و علماؤهم لايطلعون علي احكامهم فضلا من جهّالهم و علي قولنا ليس في ايديهم كتاب ربهم و علي قولهم ايضا فقد الكتاب الاصل و الموجود منها من تصانيف علمائهم و علي فرض حقيّتها لاتغني من جميع شرايعهم مع انا نجدها مشحونة ببعض الاخبار العجيبة التي لايشك العقل السليم في كذبها كشرب الانبياء الخمور و غناء داود نعوذ بالله و تغنّيه بالمزمار و ما نسب الي لوط فان النبي اعز و اجل من ذلك و هو معصوم بلا شك فهذه الاخبار التي درجت في هذه الكتب تدل علي انها ليست من عند الله و علي فرض كونها من عند الله لا شك و لا ريب ان الكتاب وحده لايجزي عن جميع ما يحتاج اليه الامة بل لايغني من شئ الا بوجود حافظ فان الكتاب وحده لو كان كافيا لكان يكفي عن وجود النبي نفسه فلمَ لمينزل الله كتابا الي الناس و يأمرهم فيه باطاعته و العمل به فحسبك دليلا علي لزوم وجود الانبياء ان الله قرن كتبهم و شرايعهم بوجودهم فبنفس هذا الدليل نقول يلزم ان يكون للنبي وصي بعده يشرح كتابه و يفصّل آياته و يبيّن شرعه و لذا استمر الامر علي ذلك الي زمان عيسي و اما بعده فاقول ان كان الناس مأمورين يومنا هذا باتباع شرع موسي او شرع عيسي فمن الوصي الحافظ لدينهما و حامل علمهما و اين الكتاب

و الشرع فلا بدّ لك ان تقول باحد القولين إما ان تدعي بقاء الشرع و الكتاب و الوصي او تقول ان الملك لايحتاج الي نبي و وصي فبعد ما رأينا ان نبوة الانبياء انقطعت و شرايعهم ارتفعت و اوصياءهم لميأتوا و قام محمد بن عبدالله صلي الله عليه و آله و اتي بشرع و كتاب و احكام و قام من بعده اوصياؤه واحدا بعد واحد و اظهروا دينه و بيّنوا فرايضه و سننه و احكامه الي ان غاب وصيه بحسب الظاهر و لكنه نصب بعده خلفاء كما كان بعد عيسي الي زمان نبينا و بعد موسي الي زمان عيسي و احكموا يوما فيوما شرعه و دينه و هو باق الي يومنا هذا و انهدم من بين ساير الملل آثار شرعهم و دينهم عرفنا ان نبي الله هو نبينا يومنا هذا فانه لو لميكن هو النبي كان يلزم علي الله تعالي اظهار نبي آخر فافهم و تدبر و ان ابيت ما قلت هل تأبي ان مذهبا من المذاهب و ملة من الملل ليس امر شرعهم و علمائهم بانتظام الاسلام و لايأبي ذلك الا جاهل مكابر فانا نطلع علي جميع البلدان و مذاهبهم و سيرهم فان فساد امر الباقين ظاهر بيّن و الكلام في اليهود و النصاري و هم بانفسهم لميبقوا علي دينهم و لميعتمدوا الي ركن وثيق و قد تفرقوا ايضا علي اقوال و فرق و لا جامع بينهم و اما في الاسلام فنري بينهم علماء صلحاء نقباء نجباء و يظهر منهم الآثار و يتلألأ منهم الانوار و لو لميكن الحق معهم لميظهر منهم ما كان يظهر من الاوصياء الاخيار و الحجج الكبار بل من اعجب العجاب انا نري امر الشرع اظهر و ابين و احكم من زمان وجود النبي صلي الله عليه و آله فمن ذلك اعرف انه لو كان لله حق في خلقه و له دين لكان هو الاسلام دين محمد (ص) و الا فلا .

فصل نقول لاهل الاديان من اليهود و النصاري و المجوس لا شك ان الانبياء الماضين

اخبروا بمجيء محمد صلي الله عليه و آله و ان في التورية و الانجيل و الزبور و كتاب المجوس ذكره موجود و قد اجمعوا علي ذلك و قد قام الضرورة بحيث لايشكّ في ذلك عاقل ان رجلا قام

من العرب من حيث وعد الانبياء في صفة قالوا و في التورية و الانجيل موجودة الآن و ادعي النبوة فان ذلك مما لايجهله اريب و لايشك فيه لبيب فانصف من نفسك اذا ابتلينا بامر هكذا كيف نعرف صدقه من كذبه لا شك في ان صدق كل شئ و كذبه يعرف بآثاره فالانبياء يعرفون بآثار النبوة فلا بد من تصديق من ادعي النبوة في زمان يجوز فيه اتيان الانبياء و اتي بما اتي به ساير الانبياء فانا صدّقنا بنبوة موسي لما اتي من الآيات البينات و ما جمع له من العلامات و صدقنا بنبوة عيسي لذلك و كذلك صدقنا بنبوة غيرهم ايضا لذلك و لا شكّ ان محمدا صلي الله عليه و آله اظهر معجزات كثيرة و اتي بآيات عديدة طبق آيات ساير الانبياء مع ما كان له من صفات الانبياء كما قال ماكنت بدعا من الرسل و لا شكّ ان جماعة من اهل الملل من احبارهم و رهبانهم صدّقوه و آمنوا به مع انهم اعلم بالتورية و الانجيل من اللاحقين كعبدالله بن سلام و نظرائه فان قال قايل من اين نعلم صدق اتيانه بالمعجزات فلعلها مكذوبة اقول من حيث تعرف صدق اتيان غيره بمعجزات مع انك لمتشاهدهم بعينك و بناء العالم علي تصديق اخبار المخبرين بل في زمان الانبياء كان بناء الناس علي ذلك فان كل نبي كان يبعث في بلد و مقام مخصوص و منه ينتشر خبره و لميكونوا يشهدوه جميع الخلق فان موسي كان نبيا و شرعه كان عاما و كان يجب علي جميع اهل الارض اتباع شرعه و لميسافروا برُمّتهم اليه و لميشهدوا معجزته بل آمنوا بصرف الاخبار و كذلك الامر في يومنا هذا اتانا اخبار كثيرة بلغت حدّ التواتر ان نبينا صلي الله عليه و آله اتي بالمعجزات البينات فكما يصدقون اهل هذا الزمان نبوة موسي باخبار الثقات انه اتي بالمعجزات يجب عليهم التصديق بنبوة محمد صلي الله عليه و آله لذلك و ان ابيت الا المشاهدة اقول ان حجتنا هي الحجة الواضحة و الحمد لله ان كان معجزات ساير الانبياء معجزات فانية اذ فنيت باعراضهم عنها و موتهم اتي

محمد صلي الله عليه و آله بانواع المعجزات فمنها ما كانت مثل معجزات ساير الانبياء اتي بها حينا مّا كشق القمر و انطاق الحصي و الشمس و غير ذلك و لميبق بعد ساعة الاتيان منها الا خبرها و منها ما كانت باقية الي زمان و لميبق الي زماننا و لكن كتابه معجزة دايمة باقية و هو الآن موجود و ان قال قايل انا لانعرف وجه كونه معجزة و لايقوم ذلك لنا دليلا اقول هل الاخبار بالغيب معجزة ام لا ، لا شكّ في ذلك فانه كان من معجزة عيسي عليه السلام و كتابنا مشحون باخبار عديدة بالغيب ظاهرة بيّنة كقوله الم غلبت الروم الخ ، و ظهر صدق حكمه بعد تسع سنين و اخباره بغلبة الاسلام و قوته و ضعف اليهود يوما فيوما و امثال ذلك و كذلك اخباره (ص) بالمغيبات موجودة بل اخبار اوصيائه صلوات الله عليهم بالمغيبات موجودة في الكتب و قد ظهر صدق خبرهم فايّ دليل ادل علي صدق نبوته من ذلك .

فصل دليل النبوة المعجز علي ما هو الظاهر البيّن و قد كان الامم الماضية يقرّون بنبوة الانبياء بالمعجزات و قد قام نبينا مدعيا للنبوة بضرورة جميع الناس و جعل معجزته قرآنه كما جعل موسي معجزته في عصاه و يده و عيسي احياء الاموات و ابراء الاكمه و الابرص و الاخبار عما ادّخروه و اكلوه و هكذا و قد منّ الله علي نبينا بابقاء معجزته دايما الي يوم يبعثون و كان له ساير المعجزات ايضا الا ان الاصل ذلك كما في ساير الانبياء فاذا عرفت ذلك اقول ان كتابه موجود الآن و قد تحدّي فيه و قال لئن اجتمعت الانس و الجن علي ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا و قال ام يقولون افتريٰه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لميستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله و ان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون و قال ام يقولون افتريٰه قل فأتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم

صادقين انظر الي تحديه في كتابه و في الماضين سمعوا ذلك و اجتهدوا حتي انه صار بعضهم لبعض ظهيرا و لميقدروا علي الاتيان بمثل آيات منه و هو الآن موجود بين ايدينا فكل من يدعي انه لايكون معجزة فليأت بمثله و ان لميقدر فليقر بانه ليس من كلام البشر بل اقول جميع العلماء ان اجتمعوا لايقدرون علي الاتيان بمثله و ان الاعاجم و اهل الافرنج و الترك ان لميعرفوا وجه الاعجاز بحسب الفصاحة و البلاغة و ساير ما يتعلق بالعربية يتمكنون من تصديق العارف بذلك فليجمعوا جماعة من اهل اللسان من غير اهل العدوان حتي يأتوا بمثله فان اقرّوا بالعجز كما اقرّ السابقون فليقرّوا بنبوته صلي الله عليه و آله و ما اجهل جماعة قاموا في آخر الزمان و كتبوا بايديهم مزخرفات سمّوها بالبيان و نسبوها الي الله الرحمن و هم يعرفون بطلان قولهم و سخافة رأيهم كما اقرّ بذلك جماعة منهم و ان لميعرف ذلك الجهال و بالجملة اقول لو كان يقدر احد علي الاتيان بمثله او مثل آيات منه لاتي و انتشر خبره و اثبت في التواريخ و الكتب فانه امر عظيم و العادة تحكم بعدم التهاون بمثله كيف و قد اثبتوا اصغر من ذلك من اخبار الماضين بل اثبتوا خلاف ذلك مما قاله الناس من الآيات المكذوبة و يضحك منها الثكلي و من اعجب العجاب ان القرآن كتاب علم و احاديث حكمة و قد ثبت بضرورة جميع اهل الملل ان نبينا صلي الله عليه و آله كان اميّا و اذا اتي الامي بكتاب او اثارة من علم لعلمنا بالضرورة انه فوق البشر و ليس ذلك الا بنزول الوحي من عند الله او بحديث من السماء و ذلك شأن الانبياء و الحجج لا غير .

المطلب الثاني في دليل الموعظة علي نبوته (ص) و فيه فصول :

فصل اعلم انه لا شكّ في عدل الله و لطفه فاذا اتمّ لعباده الحجة بشئ يؤاخذهم بتركها و الا فلا و ذلك من الضروريات عند المليين و كلامنا في المقام

معهم فاقول لا شك ان الانبياء الماضين مضوا و لميبق منهم وصي و شرع تام كامل ينفعنا و ما بقي من شرعهم ايضا لاينفعنا بلا وصي حاكم من عندهم فاذا لميكن الخاتم

الذي بعث نبيا للزم الاقرار بان العباد غير مكلفين لعدم وجود حجة بينهم فاذا ثبت ذلك نقول اذا قبلنا نبوة محمد بن عبدالله صلي الله عليه و آله نكون مصابا محفوظا من عقاب الله باليقين فانه لايخلو من احتمالين اِما يكون نبيا او لا ، فعلي الاول اصبنا في طاعته و علي الثاني لايعاقبنا الله بذلك لانه لميرسل الينا حجة و الانبياء الماضون ليسوا حججا لنا فان اهل كل زمان يحتاجون الي حجة لانفسهم لما مرّ سابقا من الادلة و الله لايعاقب احدا الا بعد اتمام الحجة عليه و اما اذا لمنصدقه و لمنؤمن به فيحتمل ان يعاقبنا الله فالاولي التسليم له و هذا طرف السلامة .

فصل جري عادة الله في الامم السالفة بانه اظهر امر انبيائه و نصرهم و ايّدهم و ابطل امر اعدائهم كما فعل بفرعون ذي الاوتاد و ثمود الذين جابوا الصخر بالواد و قوم نوح لما كذبوا الرسل و نري محمد بن عبدالله (ص) قام بهذا الامر و عامل الله معه مثل ما عامل مع انبيائه و عامل مع مكذبيه بمثل ما عامل مع مكذبي ساير الانبياء فاظهر امره و شرعه و دينه و قوي اركانه و شيّد بنيانه و اعلي سلطانه و انار برهانه و ذلك يدل علي ان الله رضي عنه و صدّقه فطريق السلامة الاخذ بهذا الطريق و هو اولي بالاتباع من غيره فافهم .

فصل لا شكّ في نبوة عيسي للنصاري و موسي لليهود فاقول لهم ان موسي و عيسي اتوا في كتابيهما بخبر محمد (ص) و هما معصومان ببداهتنا و بداهتكم و لايغريان بالباطل ببداهتنا و بداهتكم و هما الآن مطلعان علي حالنا و حالكم و الله من ورائهما محيط رقيب و الله يري و هما يريان ان محمدا صلي الله عليه و آله قام و نسخ شرعهما و حكمهما و مع ذلك

صبرا علي ذلك و لميرسلا من يقيم دينهما و يبطل امره و كذلك الله ربنا فهل تقولون انهما صبرا علي ابطال دين الله الذي وكله اليهما او تقولون عجزا عن ذلك او تقولون ارسلا من يحفظ الدين و جواب كل واحد ظاهر فانهم لايقدرون علي الاقرار بواحد من الشقوق و ان قال قايل منهم لمَ لميرسلوا الينا واحدا ان نصدق به مع رأفتهم و رحمتهم اقول لا حاجة الي ذلك بعد ما اخذوا بانفسهم الميثاق من بنياسرائيل لمحمد و اوصيائه صلوات الله عليهم و قيام محمد بالعلامات التي ذكروها في التورية مع ان الاحبار و الرهبان صدقوا به اغلبهم و اوصياء عيسي الذين كانوا في زمانه صدقوا بنبوته فاذا ثبت ذلك بالمجادلة اقول فطريق السلامة الاخذ بقول محمد و اتباعه و اذا سألنا ربنا و موسي و عيسي عن ذلك نقول انت يا ربنا اذنت لنا و عرفنا ذلك بانك لمتبطل امره فافهم هذا الدليل البديع الجديد من اقسام المواعظ القشرية .

المطلب الثالث في دليل الحكمة للنبوة الخاصة و قد مرّ في المقدمة انه مخصوص باهل الفؤاد و فيه فصول :

فصل اعلم ان الله عز و جل كان في جلال قدسه متوحّدا في ربوبيته متفردا و لميكن له شريك في كمال من كمالاته و لا صفة من صفاته فاول ما تجلي تجلي باول مخلوق له به فيه منه و قد بيّنا ذلك مفصلا في غير المقام و لانريد هنا الا محض الاشارة اذ لسنا بصدد التفصيل و كان اول تجليه سبحانه كاملا في جميع صفاته اذ كان اثر الكامل و اثر الكامل

كامل و قد سبق في وجوده جميع الخلق و له اثر و كمال لا محالة و اثره نوره فسطع من وجهه نور كما سطع نوره من وجه الله سبحانه و هذا النور المقدس هو نور الانبياء صلي الله عليهم ثم سطع من وجوه الانبياء ايضا انوار و خلق منها الاناسي او الطيبون منهم و كذلك دار الامر بذلك الي ان انتهي في قوس النزول الي الارض

التي هي في آخر القوس ثم في الاقبال الي الله تعالي سبق في الظهور كل ما كان متأخرا فاول المقامات في الظهور في الدنيا مقام الجماد ثم من بعد وصوله الي درجة الكمال يظهر عليه النبات ثم من بعد وصوله الي مقام الكمال و درجة الاعتدال يظهر عليه الحيوان و كذلك بعد ما وصل الحيوان الي درجة الكمال يظهر عليه الانسان و كل ذلك بعد ختم دورتهم و سيرهم في تمام فسحتهم فان للجماد فسحة وجود اذا بلغ اعلاها يظهر عليه النباتية فمنهم من بلغ و صار جمادية النبات و منهم من سقط في ساير الدرجات و المراتب فلذلك بعد تولد المرتبة العلياء يوجد ايضا من مواليد الدرجة السفلي و تحت ذلك اسرار جمّة و حكم كثيرة ثم بعد ما بلغ الانسان اشدّه و استوي و بلغ اعلي مراتب فسحة وجوده يتعلق به نور مؤثره فيصير نبيا و لكن لايبلغ جميعهم هذه المرتبة فمنهم من يقف في الادني و يصير امة و منهم من يصعد و يصير نبيا و بعد ما كمل النبي في نبوته و سار في جميع درجات النبوة و رأي من آيات ربه الكبري فوقف من ربه في قاب قوسين او ادني صار مظهر نور الخاتم و محل بروزه فيتجلي صلي الله عليه و آله فيه و لكن لايبلغ جميع الانبياء هذه الدرجة و يبلغ منهم واحد او ما شاء الله في العوالم المختلفة هذه المرتبة و في الدنيا لميبلغ هذا المقام الا واحد فبعد كمال الانبياء في درجاتهم و مقامهم لا بدّ من ظهور الخاتم صلي الله عليه و آله و قد ظهر بعد ختام النبوة و لو لميظهر لماانقطع ظهور الانبياء و دعوتهم و لما رأينا انقطاعهم عرفنا انه ختم امرهم و ظهر السرّ الاعظم ثم ان سأل سائل عن سرّ عدم تولد الانبياء من بعد الخاتم كما يتولد من ساير الاسناخ اقول ان ذلك لحكم اخر و ما كل ما يعلم يقال و ما كل ما يقال حان وقته و ما كل ما حان وقته حضر اهله و لكل كلمة مع صاحبها مقام .

فصل اعلم ان الله سبحانه حكيم و الحكيم لايعبث و لايلغو و قد وقفنا

علي حكمته من وجوه منها انتظام خلقه و ترتّب اجزاء ملكه بعضها علي بعض فخلقه الخلق ليس الا لفائدة مهمّة قد بيّنها في كتابه و قال و ماخلقت الجن و الانس الا ليعبدون ، و في القدسي قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف ، و المعرفة وجدان المعروف و ذلك لايمكن الا بظهوره لهم في مقامهم و حدّهم كما قال اميرالمؤمنين عليه السلام تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة و تشهد له المرائي لا بمحاضرة لمتحط به الاوهام بل تجلي لها بها و بها امتنع منها انتهي ، فهو سبحانه لما خلقهم لمعرفته و عبادته تجلي لهم ليقتدروا علي النظر اليه و معرفته و ذلك في كل عالم بحسبه و تجليه الدال عليه في جميع العوالم هو الخاتم صلي الله عليه و آله اقامه مقامه في ساير عوالمه في الاداء اذ كان لاتدركه الابصار و لاتحويه خواطر الافكار و لاتمثّله غوامض الظنون

في الاسرار لا اله الا الله الملك الجبار فهو صلي الله عليه و آله في كل عالم من العوالم و مقام من المقامات تجلي لعباد الله ليعرفوه و يعبدوه و لو لم‌يظهر لماعبد الله مطلقا حتي ان الانبياء و الاولياء و ساير الحجج لا بدّ لهم من معرفة هذه الوجهة العظيمة و التوجه الي هذه القبلة الشريفة ثم ان ظهوره صلي الله عليه و آله في كل عالم بعد استعداد القوابل و كمال الاركان و قوة المشاعر و ذلك لايمكن الا بتكميل المكملين و هم الانبياء فلا بدّ و ان يظهروا اولا في كل عالم لتكميل القابليات ليظهر بعدهم اشرف الآيات و في هذا العالم ايضا ظهر اولا ساير الانبياء ثم ظهر الخاتم من بعدهم فافهم ذلك و اتقنه .

فصل قد اتفق جميع المسلمين علي ان الخاتم اول الخلق و سلّم لذلك المليّون من حيث لايعلمون اذ يعترفون بانّ الانبياء سلام الله عليهم اشرف الخلق و يقرّون بانه اشرف من جميع الانبياء الا الذين كفروا منهم كالذين قالوا بالوهية عيسي و اذا كان اشرف من الاشرفين فهو اول الخلايق اجمعين

و ان لم‌يقرّ واحد فرضا بخاتم نقول لا شك ان للخلق اولا و الاولية في غير الزمان ليست كالاولية الدنياوية فان الاول فيها في عرض الثاني و الثالث و لكن الاول الدهري و السرمدي سابق في الطول و كل مقدّم في الطول فوق من هو تحته علي الحقيقة و اذا كان مؤثرا لكل من دونه فيكون محيطا بهم واقفا عليهم و الخاتم صلي الله عليه و آله محيط بجميع من دونه بالمؤثرية في الكون و جميع الخلق آثاره فان كل خلق ان كان من النوريين يكون اثر نفسه و ان كان من الظلمانيين فهو اثر ظله فهو الظاهر في الكل لان المؤثر اظهر في آثاره منها و اولي بها منها و اوجد في مكانها منها الاتري الي الجسم المطلق بالنسبة الي افراده هل تري في الاجسام العلوية و السفلية و الفلكية و العنصرية شيئا سوي الجسم فلا ظهور الا للجسم و لا وجود الا له و لا حكم و لا اثر الا له فتبارك من جعل الجسم محيطا بهذه المنزلة و اذا كان الامر في الجسم الذي هو اخس مراتب الخلق هكذا فما ظنك باول الخلق الذي هو اقرب الخلق من الله بل هو مقامه و علامته و لا شكّ ان العلامة لاتكون علامة الا اذا وجد فيه من ذي العلامة اثر او آثار و لما اطلق الامام عليه السلام في صفة الائمة لفظ العلامات و الآيات عرفنا انهم علامات الله من كل حيث فيجب ان يكونوا في جميع الآثار و الصفات علامته لا من حيث واحد و لا شك ان النبي (ص) يثبت له هذه الصفة بل اكثر و هو افضل من آله في جميع الصفات و ذلك ثابت في محله فهو صلي الله عليه و آله اشرف العلامات لله تعالي ففيه من احديته تعالي بقدر دلالته عليه تعالي بالاحدية و ذلك قوله عليه السلام في محمد و آله بهم ملأت سماءك و ارضك حتي ظهر ان لا اله الا انت ، فالله سبحانه اظهر لنا احديته و بساطته و طيّه للاشياء باول خلقه فجميع ما تري في الملك ظهورات آل‌محمد سلام الله عليهم و آياته و جميع الابدان في الملك مرايا ظهور نورهم و جميع الحجج اعضاؤهم و جوارحهم و جميع اوليائهم السنتهم و في

الشرع نقول ان الخاتم مؤثر الانبياء و جميع النورانيين آثاره و آثار آثاره و هو الظاهر من الانبياء بل اقول ان النبي الحقيقي الواقعي هو الخاتم بايّ معني كان فانه اِما من النبأ بمعني الخبر فهو النبي اي المنبئ او من النَّبْوَة بمعني الرفعة فهو النبي اي الرفيع و هو المخبر عن الذات و المرتفع عن كل الآيات و كل نبي صار نبيا بسبب حكاية نوره و رفيعا لكونه مظهرا لنوره فهو اول الانبياء و آخرهم و اول الحجج و آخرهم و اول كل خير و آخره و ينبأك عن كل ذلك قوله تعالي و تقلّبك في الساجدين و الانبياء هم الساجدون و قال عليه السلام الا و انا نحن النذر الاولي و نذر الآخرة و الاولي و نذر كل زمان و اوان و قال عليه السلام ان لنا مع كل ولي اذنا سامعة و عينا ناظرة و لسانا ناطقا و قال خليفته انا الاول انا الآخر انا الباطن انا الظاهر و قال انا الآمل و المأمول ، فاذا كان الامر هكذا فهو الظاهر من الانبياء و المرسلين و الملائكة المقربين و الحجج المكرمين و المؤمنين الممتحنين فارني غير محمد (ص) حتي اثبت لك وجوده و نبوته و لا غير له و لا لوصيه فهو الكل و وصيه الجل فماذا اقول في من جميع الانبياء وجوهه و آياته و نسبة الكل اليه نسبة الاثر الي المؤثر بلا تفاوت نعم بدنه الشريف من بين الآثار كان احكي لكمالاته و ان كان نسبة الجميع واحدة بالنسبة الي ذاته فافهم ذلك و اتقنه بقي الكلام في ظهور اشرف الابدان انه هل ظهر ام لا ، لا شكّ في انه ظهر بدن ادعي المحمدية العظمٰي و ماكان بدعا من ساير الابدان الماضية و ثبت بالتواتر انه ادّعي مثل ادعائهم و اتي بمثل ما اتوا فلا مكذّب له كما لا مكذّب للعرش ان ادعي الجسمية فافهم هذا الدليل الشريف الذي جددت به نحو الادلة و اظهرت من بواطن الحكمة .

المطلب الرابع في اثبات نبوته بشخصه و اسمه و حسبه و ما يخصّه و قد تكفّل

ابي الاستاد انار الله برهانه و اعلي الله مقامه لتميز الاسم و النسب و الكنية و البلد و دار الهجرة و لم‌يسبق بمثله و انا ازيد علي ما ذكره بعض الخصوصيات ليظهر الامر علي العارف بالحكمة ان شاء الله ففيه فصول :

فصل نريد ان نعرف من العقل زمان ظهور الخاتم ببدنه الخاص ، قد ثبت في الحكمة ان امر الله في المولود الكبير و الوسيط و الصغير واحد بلا تفاوت الا في بعض الجزئيات التي هي من خاصة الرتبة و الا فالنوع واحد ففي المولود الصغير الذي هو الانسان نري ان الله سبحانه يخلقه في ستة اطوار و هي التي بينها في كتابه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسوة اللحم ثم انشاء خلق آخر و لا بدّ له من سيره في هذه الاطوار حتي يكمل بدنه و يصلح للعيش في الدنيا و ورد في بعض الاخبار من الائمة الاطهار سلام الله عليهم ان مدة تقلّبه في كل طور من تلك الاطوار اربعون يوما و يجوز الاستدلال علي ذلك بقوله تعالي و واعدنا موسي ثلثين ليلة و اتممناها بعشر فتمّ ميقات ربه اربعين ليلة فايام الكمال اربعون و لايتيسر بغير ذلك لان بها يتمّ مراتب القابلية و المقبول فالاخبار الدالة علي الاربعين موافقة للكتاب و ورد انه في عشرين و هو يطابق اقوال الطبيعيين و حكم التجارب و المشاهدة ان مدّة تقلب الاطوار اقلها ستة ايام و اكثرها تسعة و لكن الاول اوفق بالكتاب و السنّة و عمل اصحاب السلوك و يمكن لنا الجمع بينها بانه يتغير صورة النطفة في ستة ايام و تنتضج في عشرين و تكمل في اربعين او نقول ان المراد من الاربعين ايام

الشأن و من العشرين تمام التدبير اولا و آخرا و ليس هنا محل تحقيقه و الا فقد رأينا بالعيان ان الطفل الساقط بعد اربعين يوما تامّ الخلقة سيّما اذا كان ذكرا و يكون تمام صورة الولد علي الستة شهرا و علي التسعة خمسة و اربعين يوما و قد جرت التجارب بان ما كان مدّة تمام الصورة يكون حركته في ضعفها و تولده في ثلثة امثال مدّة الحركة فاذا تمّ خلقه في شهر يتحرك في

شهرين و يتولد في ستة اشهر و الانسان يتحرك غالبا في الشهر الرابع و ما تمّ خلقه في اكثر المدّة يتولد في تسعة اشهر و علي اقلّ المدّة يدور في ستة اشهر فاذا كمل المولود ستة اشهر و دخل في السابع و تولد يعيش و اما بقاؤه في الرحم الي تسعة اشهر في الغالب فلانتضاجه و قوته و الا فهو في الشهر السابع كامل تامّ و ربما يتولدون و يعيشون فانه شهر القمر و الحيوة و القوة و القدرة و اما في الثامن فلايكاد يعيش لانه يربيه فيه الزحل و هو كوكب الموت فاذا تولد المولود فيه يموت و اما في التاسع فيربيه المشتري كوكب الروح فيعيش كاملا لولا المانع و بالجملة بعد تمام ستة اشهر يعيش الولد لولا مانع خارجي كما كان في يحيي و مولانا ابيعبدالله الحسين عليهما السلام و قد قال الله تعالي و حمله و فصاله ثلثون شهرا و قال و الوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتمّ الرضاعة فاذا كان اتمام الرضاعة حولين فمدّة الحمل ستة اشهر كاملا و قد ورد في تأويل الآية ان الرضاعة احد و عشرون شهرا و لكن ذلك اقل مدة الرضاع و اقل منه اجبار بالولد و ذلك علي حساب ان يكون مدة الحمل تسعة اشهر ثم انه يختلف حال المواليد بحسب قوتها و ضعفها و كليتها و جزئيتها و كمالها و نقصها و لذلك يختلف مدة تقلبها في الاطوار فالهرّة مثلا تتولد في سبعين يوما و الشاة في ستة اشهر و هكذا فاذا عرفت ذلك فاعلم ان مولود الملك ايضا امره هكذا في الكون الشرعي و الشرع الكوني و كلامنا في الكون الشرعي فاوّل انعقاد نطفة مولود الانسانية في زمان بعث آدم علي نبينا و آله و عليه السلام و في زمان نوح عليه السلام انقلب علقة و في زمان ابرهيم صار مضغة و في زمان موسي تولد فيها العظام و كسي عليه اللحم بحرارة وجود الانبياء الذين كانوا بينه و بين عيسي و بعد ما تمّ خلق الصورة تعلق الروح الحيواني بالعالم في زمن عيسي عليه السلام و لذا صار حكمه باطنيا بالنسبة الي شرع موسي و كان شرعه ظاهريا و تمّ المولود

الكامل الي زمان الخاتم (ص) فتولد الانسان الشرعي و لما كان الامر في كل عالم بحسبه و التربية بحسب وضعه يتغيّر طول مدة سير المولود الكلي في الاطوار و يتفاوت الاتري انك اذا اردت تغيير طبع شخص يتيسر لك ذلك بادني تدبير في ايام قلايل و لكن اذا اردت تكميل جماعة و تغيير طبعهم يطول المدّة لا محالة و هكذا الامر في الملك فيطول مدّة تغيير النطفة الي العلقة و هكذا بل اعراض الملك تمنع من جري الامر علي السير الطبيعي فربما يقدّم امر و يؤخّر فان نوح عليه السلام بعد ما غرق قومه جدّد الامر لا محالة و لذلك طال الامر من اول امره الي زمان ابرهيم و ذلك لانه ربّي جماعة فهلكوا و

ماتوا فقام فيهم مدّة مديدة حتي خلق الله له جماعة ثانية فربّاهم و لذا كان طول المدّة من زمان ولادة آدم الي ولادة نوح اثنين و اربعين سنة و ستمائة و الف سنة منها ثلثون و تسعمائة سنة زمان حياته و قد عاش الي اثني و تسعين و خمسمائة و الفين علي قول و في كتاب الله تعالي انه دعا الف سنة الا خمسين عاما و كان بينه و بين ابرهيم زمانا قليلا فان ابرهيم تولد في ثلثة و عشرين و ثلثمائة من الالف الرابع و لميكن بينه و بين موسي مدة فانه تولد في اوائل المائة الثامنة من هذا الالف و بالجملة تغيّر المدة بحسب الاوقات بحسب الاعراض فاذا عرفت ذلك فاعلم ان القواعد الحكمية حاكمة بانه لايقل زمان تربية نوع طفل الملك من ستةآلاف سنة مقام كل شهر من اقل مدة حمل المولود الصغير الف سنة و ذلك بملاحظة ان مراتب الخلق عشرة من المسمّي الي الجسم و لكل مرتبة عشر مراتب من الجماد الي اعلي المقامات و هي هذه الجمادية و المعدنية و النباتية الحيوانية و الملكية و الجنية و الانسانية و النبوة و الامامة و الخاتمية و لكل واحد يثبت من العرش الي التراب فمن ضرب هذه العشرات يحصل الف مرتبة في كل طور من الاطوار مدّة تربية كل طور بسير شمس النبوة في فلك الامر و الولاية سنة و سير قمر الولاية اثنيعشر دورة و اسرار

ذلك كثيرة و لذلك قرّر لكل نبي اثناعشر وصيا عدد البروج و الشهور فتمام بقاء كل مولود في رحم الاوصياء و الاولياء ستة اشهر فبعث الخاتم الذي هو صاحب شرع الوليد بعد ستة اشهر كل شهر الف سنة او نقول ان مدة حمله تسعة اشهر كاملا بل شئ اقل كما هو العادة في اغلب الاطفال و ذلك بان نقول بان لكل مولود مأة مراتب من الجمادية الي الاعلي و من الجسم الي اول السلسلة و لكل مقام منها ثلث كيان و اربع كيفيات فهي سبعة و الحاصل من ضربها فيها سبعمائة سنة و يربي كل مرتبة بدوران كل فلك من الافلاك و الكرسي و العرش فهي تسعة عدد اكثر ايام مدّة التقلب و من ضرب التسعة في سبعمائة يحصل ستةآلاف سنة بزيادة ثلثمائة و قد تولد المولود قبل كمالها بسنوات فبعث النبي في المائة الثانية من الالف السابع فبحكم القواعد الحكمية المضبوطة يجب ان يكون بعث خاتم بعد تمام ستةآلاف .

فصل قد ثبت في الحكمة ان قلب الارض مكة و قد دحيت الارض من تحتها كما دحي ساير اعضاء المولود من تحت قلبه فان القلب اول ما يحيي بل اول ما يخلق من البدن علي قول و آخر ما يموت و كذلك الامر في الارض فان مكة موضع مجتمع الزبد يوم خلق علي الماء و دحيت الارض من تحته ثمّ لا شكّ ان الخاتم اول ما خلق الله و هو قلب الكل و وسطهم و يدور عليه جميع الدواير و يستمد منه جميع الخلق اذ هو اول مخلوق بالمشية و اول مستمدّ منها و جميع الخلق يحتاجون الي المشية في الفيوض و الامداد التي يجريها الله بها و اول ما خلق الله هو الواسطة بينها و بين ساير الخلق فالكل يدور عليه للاستمداد و هو يدور عليهم للامداد و هذا شأن القلب و القطب و لاتزعم ان ذلك منتهي شأن الخاتم بل القطبية آخر الدرجات له و له فوقها مقامات و لسنا بصدد التفصيل و مرادنا الاجمال لئلايطول بنا المقال فاذا عرفت هاتين المقدمتين فاعلم ان الامر في العالمين واحد بلا اختلاف

و ماتري في خلق الرحمن من تفاوت لان الخالق واحد و قد خلق بمشية واحدة من امكان واحد بلا كيف فمن اين يأتي الخلاف فافهم ذلك فاني اجملت الكلام و لكنه في الحقيقة كلام مبسوط في عبارة مجملة قال الله تعالي و ما امرنا الا واحدة ففي الانسان نري ان روحه الذي هو قلبه و وسطه و منه كل حياته و فيضه يتولد اولا في القلب اللحماني و لكن منه لايجري حكمه في جميع البدن الا بالاجمال و يحصل منه فيه حركة القبض و البسط لا غير و لكن بعد ما جري الدم منه الي الدماغ ينتشر امره و حكمه و ارادته من الدماغ الي ساير الاعضاء و كذلك الامر في مجموع الملك بهذا المنوال فالخاتم الذي هو قلب الكل و وسط الكل ينبغي ان يكون ظهوره في مكة التي هي ام القري و قلبها و وسطها ثم يهاجر منها الي المدينة التي هي بمنزلة الدماغ للارض و شمالية مكة و جهة المِرّة السوداء و مارسل الله من رسول الا و هو صاحب مِرّة سوداء صافية و ادلة هذا المطلب الشريف عندنا كثيرة و لكنا نقتصر علي الاجمال .

فصل ان ابي الاستاد اعلي الله مقامه قد بيّن حق القول مفصلا في حكمة اسمائه الشريفة و كُناه فلا حاجة الي بسط القول فيها و لكن بقدر عدم خلوّ كتابنا عنها نذكر بعض الوجوه فاعلم ان الله سبحانه ذات احدية كما ذكرنا مكررا و قد كان وحده كما هو الآن و لا شريك له و لا شبيه و احب ان يعرف مع انه لميكن معه حاسّ و لا محسوس فخلق ما خلق للمعرفة كما قال كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكي اعرف ، و لميكن يمكن معرفته في غيبه الا بتجليه لهم و ذلك ثابت مبرهن و لا شك ان اول التجليات علي صفة المتجلي من جميع الجهات فهو الاحد الوصفي للاحد الذاتي و هو نقطة البيان و لايفيد ذلك الا لنفسه فتجلي لهم ثانيا به في اول خلقه اذ هو اولي بان يكون مجلاه من غيره هذا و هو الحجاب الاعظم فكيف يتيسر التجلي لغيره من غير سبيله فتجلّي به له فيه و منه لجميع خلقه و بعد ما تجلّي الرب الاحد

جل شأنه اليه اشتعل بنور الله الاحد جل شأنه فحصل في مقام التجلي جهتان جهة الي الرب الاحد جل شأنه و جهة الي نفسه و جهته الي نفسه لا محالة مركبة من اربعين جزءا ، ثلثون جزءا من مقامات القابلية و عشرة من مراتب المقبول كما شرحنا و بيّنا ذلك مفصلا في غير المقام فصار المجلي الاعظم و الاسم الاجل الاكرم حاكيا للاحدية و حاويا لمقامات العبودية و لما كان في عرصة الحقيقة الاسماء مناسبة للمسميات انزل الله له في هذه العرصة اسما مركبا من المقامين فالاحد اسم للنور فيه و الميم اسم لمراتبه فهو احمد و لكنه في سماوات عرصة الخلق حيث لميلحقه كثير عرض و بعد ما نزل من السماء الي الارض ابدل الالف ايضا بالميم و شدّ ميم الوسط و ذلك ان الالف آية الله و مقام الوحدة و فيه ستّ صفات من صفات الله جل شأنه الوحدة و الاولية و الاستواء و كونه مع كل شئ و عدم شئ آخر معه و انقطاعها عن كل شئ و كون معناها الالفة و بعد ما بَعُدَ هذا التجلي عن الفلك الذي هو مقام الوحدة و البساطة قلب الفه ميما فانه ظاهر الالف و مقام تغلّظه فان الالف حرف الغيب و اللاهوت و الميم حرف الحيوان بقواعد اهل الجفر و حرف

الملك كما في الخبر و ظهوره بين المتكثرات فيه لا محالة مع انه اذا ظهر يظهر في تمام مراتب القابلية و المقبول فان مراتب القابلية ثلثون و مراتب المقبول عشرة فالمجموع اربعون و استنطاقه ميم و ضعف ميم الوسط فيذكر الآخر في اللفظ و لايكتب و ذلك لان كل شئ مركب من مادة و صورة هما غيبه و شهادته و ربوبيته و عبوديته ففي السماوات هما في غاية البساطة و الوحدة فلايري و لايذكر الا واحد و اما في الارض فيكثر التفصيل فيفصل بين الغيب و الشهادة كما بين الروح و الجسد فلايري في الخارج روح غير الجسد بل هما كأنهما واحد و لكن في التقرير يميز بينهما فلذلك ضعف الميم فصار الاسم محمد فسار في السماء و الارض و رجع الي الآثار فاكتسي الانوار و اقتبس نار التوحيد

صفحه ٣٠٣

من جميع الاشجار فرجع الي ربه عودا كما اتي به منه بدءا حتي يكون البدأ علي العود و لما اكتسب في عوده تفاصيل اخر لخص لها الواو الدال باول قواه علي الايام الستة التي خلق الله الملك فيها و بباطن قواه علي المراتب الاربععشرة المكتسبة في القوابل المطهرة و ذلك سرّ من الاسرار فسمّي في العود علي منبر الوسيلة محمودا و هذا الواو هو بعينه واو يكون لا غير و منه يتشقق جميع الاشياء هكذا : واو الف لام فاء ميم و هكذا ، هذا بملاحظة علم الحروف و الاسماء و اما بملاحظة المعني اقول بعد ما اراد الله ان يعرف تجلي بحمده و ثنائه فان الحمد اول الصفات و اخصّها كما قال في كتابه سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين و لذلك صار تحية اهل الجنة فيها سلاما و يدخلونها بسلام و آخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين فانهم اولا يزورون المرسلين من الانبياء و المحدّثين كما قال الله تعالي و مارسلنا من رسول و لا نبي و لا محدّث علي قراءة اهل البيت و بالاستشفاع بهم يزورون نبيهم و ذلك قوله تعالي وجوه يومئذ ناضرة الي ربها ناظرة ، و قوله عليه السلام اذا تنعم اهل الجنة بالجنة تنعم اهل الله بلقاء الله و قال عليه السلام النظر الي الله النظر الي نبيه ، فهنالك يقولون الحمد لله رب العالمين فالحمد اصل الصفات و اولها و لذا صار سورة الحمد ام الكتاب و هو عند الله تعالي و جميع الصفات الكمالية مجموعة هنا و هو تمام شكر الله تعالي و لذا ورد ان من قال الحمد لله حمده بتمام الشكر و اعلم ان الحمد ظاهر الاحد و الاحد الظاهر فباطنه الكينونة الاحدية و ظاهره الحمد و قد ابدل الالف بالميم لذلك و ظاهره بيان الشكل المثلث و باطنه المربع و بالجملة اسراره كثيرة و مرادنا الاختصار و ابي الاستاذ اعلي الله مقامه و انار برهانه تكفّل لبيان بعض اسراره العجيبة و ان شئت فراجع فاوّل ما خلق الله حمده و قد حمد الله بذلك نفسه اي اثني به نفسه فعرف

صفحه ٣٠٤

به و به حمده الخلايق جميعا اذ لولاه لميعرف احد حمد ربه كما في الخبر ما معناه ان الملائكة زعموا انا منعمون فقلنا الحمد لله رب العالمين ، فالحامد من اتصف بالحمد اي عرفه و اتصل بولايته و الكافر من لميعرفه فتدبر فعلي ذلك هو احمد اي نفس هذا الحمد صار سبب حمد الحامدين فان باب الافعال يستعمل لهذا المعني كثيرا و لما صار هذا

الفعل علما له صار غير منصرف اذ لاينصرف بتمام الحركات لعلوّ شانه و وجه آخر ان الله ارسل حمده الي جميع العالم فلما ارسله الي اهل السموات تجلي لهم به ليظهر منه نوره الكينوني الذي هو بيانه فظهر الفه لعدم مانع من ظهوره فدعي في السماء باحمد و بالجملة لما كان هو سبب حمد الحامدين سمي احمد ثم ان الحامدين لميعرفوا ربهم الا فيه و به فانه معني ربهم و ظاهره كما قال عليه السلام اما المعاني فنحن معانيه ، فلميحمدوا ربهم الا فيه فهو المحمود من حيث نورانيته كما ان في مقام المعرفة العارف يعرفه بالنورانية لا غير فان الله سبحانه لايعرف و كيف يعرف او يوصف من كنهه تفريق بينه و بين خلقه فلميعرف احد سواه و لميحمد احد سواه غاية الامر ان ذلك من حيث النورانية يعني انه بتمامه في هذا المقام نور ربه فهو في الملأ الاعلي محمود لجميع الخلق بل هو محمود الله اذ حمده و وصفه بالثناء الجميل لخلقه في الكتاب التكويني و التشريعي و هو محمود لنفسه اذ لميعرف من ربه سوي نفسه فحمد نفسه التي هي رب العالمين و ذلك تأويل قوله تعالي الحمد لله رب العالمين اي نفس محمد صلي الله عليه و آله فهو محمود الله و خلقه في جميع العرصات الغيبية و لما نزل في الدنيا حمدوه اهل الدنيا ثانيا فصار محمدا اي حمدوه حمدا بعد حمد فهو محمود في الدنيا و الآخرة و الغيب و الشهادة و اللفظ الدالّ علي ذلك محمد و روي فيما سأله اليهودي عن وجه تسميته بمحمد و احمد فقال صلي الله عليه و آله اما محمد فانّي محمود في الارض و اما احمد فاني محمود في السماء الحديث ، فلما ثبت ان اول ما خلق الله ينبغي ان يكون مسمّي

صفحه ۳۰۵

بهذه الاسماء في الحكمة فاعلم ان بدنه الشريف في الدنيا ينبغي ان يكون غير ملوّث بالاعراض المغيّرة للاسماء و الصفات فانه ان غيّره الاعراض لمابقي علي الاعتدال و ماصار حاكيا كاملا لنور اول ما خلق الله و ان لميغيّر بدنه الاعراض فاسمه الغيبي صادق علي بدنه الشهادي فان الله لايغيّر ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم و اما ساير الناس غير الانبياء و الكليين فيغيّر ابدانهم بالاعراض فربما يكون ارواحهم في الغيب مسمّاة باسم فيتغيّر اسماؤهم في الدنيا بالاعراض و يدل علي ذلك الاخبار الواردة في الخلط و اللطخ فرُبّ حسَن يسمّي قبيحا و رب قبيح يسمي حسنا و لذا تري ان المؤمنين و الكفار يتسمون باسماء متماثلة و اما الانبياء و المرسلون و الحجج المطهرون فليس امرهم هكذا الاتري الي ما ورد في سرّ اسم داود انه سمي بذلك لانه داوٰي جرحه بوُدّ و هكذا الامر في غيره فلذلك لا بدّ و ان يكون اسم الخاتم في الدنيا ايضا هذه الاسماء فافهم ذلك و قد بيّنت بعض الاسرار هنا مما كتمه ابي (اع) في بيانه و ذكره بالاشارة .

فصل في ذكر بعض القابه المنصوصة ، اعلم ان الله سبحانه كان في كينونته الازلية مخفيا عن الابصار محجوبا عن الانظار بمعني انه امتنع عنه الاغيار لا بانه احتجب بالاستار فان الحجاب حدّ و هو منزه عن الحد فاحبّ ان يعرف في مقام اول تجليه و نوره الذي هو مشيته تعالي كما قال كنت كنزا مخفيا اي في الكينونة فاحببت ان اعرف اي في المشية فخلقت الخلق لكي اعرف و المشية هي اول ما خلق الله و ثبت ان اول الخلق هو محمد صلي الله عليه و آله فاذا كان هو مقام احببت ان اعرف و به يعرف الله فهو حبيب الله و لا

شك انه صلي الله عليه و آله عبد ربه قبل جميع الخلق كما قال لو كان للرحمن ولد فانا اول العابدين و لميعص ربه في امر من الاوامر في عرصة من العرصات فهو العبد

صفحه ٣٠٦

الحقيقي فهو عبدالله و ذلك قوله تعالي لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا و لا شك انه النور فانه اول جلوة لله تعالي و اذا طلع يمحو به جميع الظلمات بل يخرّ بطلوعه جبال الانيات و يمحو به الكفر كما في الخبر فهو الماحي و لما كان اول جميع الخلق و منه البدأ يكون فاتحا و لما كان اليه العود و لذا قال انا و الساعة كهاتين و قال الله و حشر لسليمان جنوده ، و قال عليه السلام ان الينا اياب هذا الخلق و علينا حسابهم فهو الخاتم و لما كان هو امر الله في حشر الخلايق فانه المنير للكل و المنير يحشر انواره فهو الحاشر ، و قال صلي الله عليه و آله و انا الحاشر يحشر الناس علي يدي و في رواية علي قدمي و لما كان محيطا بجميع الخلق اولهم و آخرهم و هو الاول و الآخر فهو العاقب او لانه يظهر بعد جميع الانبياء و لا نبي بعده و قال (ص) انا العاقب الذي ليس بعده احد و لما كان هو الموقف في جميع القيمة في فصل القضاء فان اول ما خلق الله هو يده في ذلك سمّي موقفا و لما كان مقفيا لجميع النبيين في ظهوره او في مقامه الاعلي يسمّي مقفيا و لما كان اول الخلق لا خلق قبله يكون مظهر اسم الرحمن المستوي علي العرش فهو رسول الرحمة و لما كان هو صلي الله عليه و آله ماحيا للذنوب لغلبة نوره خصّ الله امته بالتوبة دون ساير الامم كما في دعاء الصحيفة فهو رسول التوبة و لما كان في حقيقته نور الله و في ظاهره مثال النور سمّي في القرآن سراجا منيرا و ضرب به مثلا في قوله الله نور السموات و الارض مثل نوره الآية ، و لما كان اول خلق الله و جميع الخلق اثره يكون شاهدا عليهم و لما كان اول ما خلق الله و خلق في ام الملك اي اول الملك كما يقال ام الرأس و يراد القحف يكون اميّا او يكون اميا لانه بعث في الاميين اي ذريته الذين هم اول ما خلق الله او يكون اميا لانه قصد ربه و ربه

صفحه ٣٠٧

قصده او يكون اميا لانه في ظاهره بعث في ام القري او يكون اميا لانه لميتعلم عند الناس بل خلق عالما لا كما زعمه الناس انه لميعرف الخط نعوذ بالله بل كان عارفا بجميع الخطوط و الالسنة كما كان يظهر منه ذلك و لما كان قايما مقام الله في جميع العوالم و الامور يكون قيّما فانه بظاهره قيم و في باطنه قيّوم و لما وطأ علي جميع الكاينات بمعني ان كلها تحت قدمه يكون طه و لما كان سميعا لقول ربه و لايسمع احد صوته سواه و هو يبلغ الي جميع الخلق امر ربه سمّي يس علي ما في الخبر و بمقتضي علم الجفر نقول ان سين ظاهر الالف و نظيرته و هو تمام مراتب الواو الذي هو اشارة الي الالف الغايب عن درك الخلق فهو المسمّي بسين و لذا اشرف تحية للمرسلين في قول الله تعالي سلام علي المرسلين اذ صار مبدأ السلام و هو اصل اسم الله في قوله بسم الله فان اصل الاسماء وساطها علي الحق و لذا صار قوة بيّنته معه واحدة لعدم الاختلاف فيه و بالجملة القابه اكثر من ان تحصي و اقتصرنا ببعض ما ورد به الآيات و الاخبار الصحيحة و اعلم ان هذه الصفات تثبت لنفسه الشريفة و لكنه لما كان في بدنه صلي الله عليه و آله طاهرا

مطهرا خاليا عن الاعراض يجب ان يكون فيه ايضا مدعوا بهذه الاسماء كما يقال لبدنه اول ما خلق الله و الخاتم فافهم ما منّ الله به علينا و انظر بنظر الانصاف هل يبقي شك بعد ذلك في ان محمدا صلي الله عليه و آله المبعوث في العرب هو الخاتم و هذه الاسرار مما لميذكرها ابي اعلي الله مقامه .

فصل في كناه ، اعلم انه صلي الله عليه و آله السفير بين الله و خلقه و هو الباب و الجناب و به يخلق الله الخلق و يرزقهم كونا و به يؤدّي الي كل خلق ما ينبغي له كونا و كذلك في الشرع به خلق الله ارواحهم و عقولهم و به رزقهم العلم و الايمان و الدين فهو قاسم الارزاق الكونية و الشرعية و قاسم الجنة للمطيعين و النار للعاصين و شاع في العرب انهم يكنّون صاحب صفة او ملازم شئ او حامله به فهو ابو القاسم في مقام اول ما خلق الله و بوجه آخر

نقول ان جميع هذه الصفات شأن الولي فان نشو التفاصيل كلية من مقام الولاية فوليه القاسم قاسم الارزاق و قاسم الجنة و النار و لا شك ان وليه من امته و نبي الامة ابوهم و لذا قال انا و علي ابوا هذه الامة ، فهو ابوالقاسم و قد ورد الخبر بالمعنيين و كذلك لكونه اول ما خلق الله و الاول هو المبدء و الاصل يكون ابرهيم خليل الله ابنه في الحقيقة و ان انعكس الامر في الدنيا فصار من ذرية ابرهيم فهو ابو ابرهيم بل ابو جميع الانبياء و لكن بملاحظة ان ابرهيم اشرف الانبياء و المرسلين علي قول ابوه ابو الكل او يكون ابا ابرهيم لانه برّ و هيم فانه احسن الي جميع الخلق بالوجود و الحيوة و عطش للقاء ربه فصار ابابرهيم و نزل عليه جبرئيل بهذه الكنية و لكن لاتخصّ به و لكن ابوالقاسم مع اسمه من مختصاته و لذا نهي ان يسمّي احد بمحمد و يكنّي بابيالقاسم فان محمدا اباالقاسم هو لا غير و اما ساير كُناه فمما لايخصّه و لميرد بها حديث خاص .

فصل اعلم ان الخاتم صلي الله عليه و آله في ظهوره في الدنيا لا بدّ و ان يتجلي في بدن طيّب طاهر من جميع الجهات و الحيوث فاول الشروط التي يجب ان يجمعها ان يكون طاهر المولد فان غيره لايصلح لذلك و لا شك في هذه المسئلة بل لا بد و ان يكون نطفته متقلبة في اصلاب و ارحام طيبة طاهرة فانه لا شك في ان النطفة فاضلة طينة الوالدين فاذا كان طينتهما خبيثة يؤثر خبثها في البدن العرضي الاتري ان الامراض تسري في النطفة و حالات الوالدين تظهر في الولد و الشباهة الصورية تشهد بذلك و اذا تأثّر البدن يتشكل الروح فيه بصفته و لذلك ورد في طوائف و قبايل ان المؤمن لايخرج من اصلابهم و ارحامهم و ورد النهي عن مناكحة الاراذل و الاوباش و السَفِلة ، نعم بحكم الاعراض قد تتغيّر الاحكام فيخرج الحي من الميت و يخرج الميت من الحي و لذلك ايضا حِكَم أُخَر و اما بدن الخاتم فلايعرضه شئ ابدا لانه في غاية الاعتدال فلا بدّ و ان يكون نطفته في اصلاب شامخة و ارحام مطهرة

في غاية الشرافة و الخصاصة و لا شك ان الشرك و الكفر يؤثران في البدن كما ان الايمان يؤثر فبواسطة السجدة للاوثان و عبادة الاصنام يتغيّر حال النطفة و المعصوم

الحقيقي من جميع الجهات لايربّي في صلب هكذا بل يضرّ بحاله العصيان فضلا من الكفر و ذلك امر مسلم بديهي و اما ما تري من خروج المؤمن من الكافر فذلك لان المؤمن لايكون معصوما فله جهة ظلمة و هو من تأثير كفر الكافر فيه و لكن اصله من عليين و هو طاهر مطهر من صلب محمد و علي و كذلك خروج الكافر من المؤمن ليس الا من جهة عرض المؤمن و الحاصل ان ذلك في عالم الخلط و اللطخ فيخرج هذا من هذا و هذا من هذا و اما المعصوم الكلي فليس له عرض خبيث يجتلب من الكافر فتدبر فلايخرج من كافر و لايخرج منه كافر و ما تري في بعض اولاد الائمة (ع) فذلك من قبل الامهات و بالجملة لا بدّ و ان يكون آباؤه صلوات الله عليه و عليهم صاحبي الشرافة الظاهرة و الباطنة و لا بدّ و ان يكونوا من اشرف الخلق كما انه اشرف الخلق فهو من العرب الذين هم اشرف الناس و اعدلهم و اعدل الاقاليم و افضل البلدان كما مرّ و اعلم انه في مقامه الاعلي لايتكلم الا بالعربية لانها افصح الالسنة و لسان الله و لسان الملائكة و بها نزل القرآن و هو عرب لذلك و لانه يعرب عن الله علي نحو الكمال و بدنه الشريف لميتغيّر بالاعراض فصار من العرب العرباء و لما كان اشرف قبائل العرب قريش لا بدّ و ان يكون منهم و لما كان اشرف القريش بنوهاشم فلا بدّ و ان يكون منهم و ذلك امر بيّن لا شك فيه و لا ريب يعتريه فان الذي يكون اشرف الخلق مطلقا لا بدّ و ان يكون بحيث لايقدر احد علي الافتخار عليه حتي ان في جدّاته كان تسع عواتك و لو كان في جدات احد عاتكة واحدة كان يفتخر علي غيره و لذا قال صلي الله عليه و آله انا ابن العواتك .

فصل اعلم ان جميع ما سوي الله مركب اذ هو الاحد الحقيقي لا غير و هو لميخلق شيئا فردا قائما بذاته للذي اراد من الدلالة عليه فاول

ما خلق الله مركب من وجود و ماهية غاية الامر ان تركيبه بحسبه و الوجود في كل شئ جهة الفناء في جنب الله و الاضمحلال و لذا ليس له انانية و جميع اشارته الي ربه تعالي و به يعرف العبد ربه و يعبده و لايشرك به احدا و الماهية جهة الانية و العبودية و هي علي خلاف كينونة الله و ذلك قوله تعالي في القدسي يا آدم روحك من روحي و طبيعتك علي خلاف كينونتي ، فله صلي الله عليه و آله هذان الحيثان ثابتان و لولاهما لميكن هو هو و لكن لكونه اول ما خلق الله يكون طبيعته مؤمنة مسلمة كما قال (ص) ما معناه لكل احد شيطان فقيل ألك شيطان قال بلي و لكن اسلم ، فنفسه التي هي طبيعته صارت متصلة بوجوده الذي هو مطيع لله و عبده منورة بنوره كما قال تعالي يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي فالوجود فيه عبد الله لانه عبده في كل شئ حتي ظهر منه الربوبية التي هي كنهه و ماهيته لما دخلت في العباد صارت آمنة من عذاب الله و دخلت الجنة في زمرة العباد ثم لايخفي ان الوجود هو الذكر و الماهية انثي و الوجود في كل شئ هو الاب و الماهية هي الام فان الاب مقام السيلان و الام مقام الصورة و من الاب المادة و من الام الصورة و هما في الخلق الاول في غاية الاتحاد و بعد ما امره الله بالنزول الي ساير عوالمه للاداء تفصّل اجزاؤه لزيادة التفصيل فظهر وجوده في العقل و ماهيته في النفس فصار العقل عبد الله و خاطبه بايّاك آمر و اياك انهي و لذا يكون العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان و صارت النفس متصلة به

و زوجته التي خلقت من ضلعه الايسر و مطيعة له في جميع الاحوال فصارت آمنة فان كل راضية مرضية آمنة و العقل اب و النفس امّ و بعد ما نزل ثانيا في عالم الشهادة ظهر الابوة في المادة و الامومة في المثال و كذلك في الاجسام ظهر العقل في العرش و النفس في الكرسي الي هذا العالم فظهر المادة في الاب و الصورة في الام و لذا يكون مادة البدن

صفحه ۳۱۱

جميعها من نطفة الاب فمنها العظام و الاعصاب و امثال ذلك و صورة البدن من الام و منها اللحم و الجلد و امثال ذلك و لذا يكون شباهة الاولاد بالاب في الباطن و بالام في الظاهر و لان الغيب و الشهادة مطابقان و الظاهر عنوان الباطن ما لميغيّره مغيّر خارجي يجب ان يكون اسم ابيه عبدالله و اسم امه آمنة فان من لايكون امره هكذا غيّره المغيّرات و الا فبناء الملك علي ذلك و الي هنا بيّن ابي من اسرار اسم ابيه و امه بوجه من الوجوه و انا ذكرت لك ايضا بهذا الوجه و ازيدك انه يجب ان يكون جدّه شيبةالحمد و ابو جده هاشم فان الاب الاعلي الاعلي للولد مقام الذكر الاول و المادة النوعية و الجدّ مقام الصورة النوعية المتخذة من الام العليا و الاب مقام المادة الشخصية و لذا كان صفة النبي ظاهرة من وجه هاشم بغرّة بيضاء و من عبدالمطلب بنور بيّن ظاهر من وجهه و ساير بدنه و من عبدالله كان اظهر و ابين و لما كان الامر هكذا فالجد الاعلي مقام الطينة العليا اي غيب الغيب و قد عرفت انه في اصله قاسم ارزاق الخلايق فجدّه الاعلي هاشم الرزق و الثريد للذين يحجّون بيت الله الظاهري و الباطني ثمّ قد عرفت ان غيب غيبه مقام الحمد لله و قد ظهر الحمد في غيبه الذي هو العقل فالغيب محل ظهور الحمد فهو شيبة الحمد اي جبل الحمد و قد ظهر نوره من العرش في جدّه فسمي شيبةالحمد اي جبل الحمد او سمّي شيبة لظهور الشعر الابيض الدال علي الكمال و قوة العقل في رأسه ثم انه ايضا لُقّب بالعبد و لكنه لميوصف بعبدالله كولده بل هو عبدالمطلب و المطلب ايضا اسم من اسماء الله في الحقيقة فانه الذي يطالب العباد بالعمل و يجازيهم فهو عبدالمطلب و في ولده الشريف ظهر سرّ الله فصار عبدالله فافهم هذه الاسرار التي لاتجدها عند ساير الناس و الحمد لله ثم انك قد عرفت ان الوجود مقام الفناء و الاضمحلال فلا بدّ و ان يظهر سرّ ذلك في عبدالله الذي تعيّن فيه صفات النبي فصار ذبيحا و ان فداه الله بذبح عظيم فصار باقيا في فنائه و قد افتخر النبي بذلك

صفحه ۳۱۲

و قال انا ابن الذبيحين و الذبيح الآخر اسمعيل و كان امر عبدالله اعجب فان ابرهيم كان يريد ذبح اسمعيل بالوحي و عبدالمطلب اراد ذلك بالالهام و فدي الله اسمعيل بكبش و فدي عبدالله بمائة ابل فتدبر في ذلك .

فصل اعلم انه صلي الله عليه و آله مظهر سلطان الله و لا قبل له اذ هو اول ما خلق الله و مظهر استيلاء الله و الرحمانية المستوية علي العرش و لميولّ عليه في الفالف عالم احد و لا شكّ ان الاب ولي بحكم الله علي اولاده و ذلك حكم شايع فلاينبغي للنبي ان يكون له اب و كذلك الام لها ولاية و حكم علي الاولاد في الحكمة و كذلك اب التربية له حكم و ولاية و لا شك ان الابن في الدنيا لايتولد الا من اب و ام فلذلك ينبغي ان يموت ابوه و امه

بعد تولده منهما فيكون يتيما و اما الجدّ الذي له الولاية الغيبية فلايضر ان يكون حافظا لبدن الولد في ايام معدودة فبقي من بعد عبدالله عبدالمطلب في سنوات ثم مات قبل ان يبلغ النبي سن المراهقة و كذلك ابوه الغيبي الذي هو بردة بعد ما ادّي اليه الوصاية مات فورا فالحكمة تقتضي بكونه يتيما من الوالدين و المعلم و لكن من باب ان الطفل بحسب العادة لا بد و ان يكون له مربٍّ و مربّيه في العوالم الغيبية جهة الوجود لا الماهية لا بد و ان يربيه و يحضنه في الدنيا من كان قايما مقام الاب بلا ولاية و هو العمّ فصار مربيه عمه و لما كان جهة الوجود الذي يربيه في العوالم الغيبية الوجود الذي هو ابو نفسه و انيته لا بد و ان يكون مربيه عمه الذي هو ابو وصيه الذي هو نفسه و اعلم انا ذكرنا سابقا ان الوجود زوج الماهية و ذكرنا هنا ان الوجود اب النفس و لا بد من الاشارة الي هذا السرّ لئلايخفي الامر علي من لا علم له فاعلم ان الوجود في الحقيقة هو ذات الشئ و حقيقته و هي فوق الماهية و الماهية مقام ظهوره و نفس الماهية مركبة من مادة و صورة و مادتها جهة الوجود فيها و لذلك اسرار جمّة كثيرة و اما الوجود الذي هو حقيقة الشئ و ذاته فلايقارن الماهية

و لايركب معها و هو فوقها و سيأتي بيان هذا السرّ في الامور العامة في بيان صدور الخير و الشر من الانسان فالوجود الذي هو مادة صورة الماهية زوجها و الماهية من ضلعه الايسر و اما الوجود الذي هو ذات الشئ فهو الاصل و المنشأ و المبدأ فهو الاب و لذا سمّي الله في الانجيل روح القدس بالاب السماوي فتدبر و لذا قلنا ان في العالم الظاهر لا بد و ان يقوم مقام الاب العمّ الذي هو ابو نفسه التي هي وصيه كما سيجيء بعد ان شاء الله و لما كان نفس الشئ اشدّ شئ طلبةً له فوصيه طالب له فكنية ابيه ابوطالب و في الظاهر زعموا انهم كنّوه به لمقام طالب ابنه و كذلك هو اول الخلق و المبدأ فرد لا قرين له ففي البدن ايضا لا بدّ من ظهور هذا الحكم فلا اخ له بعد البعث و لا اخت اذ هما جزء الانسان خلقا من مادته ثمّ ان النبي صلي الله عليه و آله خلق لله في جميع مقاماته المتعلقة بنفسه و الخلق يحتاج الي المدد و الرزق ففي مقام ذاته يمدّه الله بنفسه كما خلقه بنفسه و تفصيل هذا الامداد و الاستمداد كثير و في مقام ماهيته مدده من المادة التي هي جهة الوجود و المعنوية و في عرصة الكون جهة فيضه من العقل المعنوي و هكذا في جميع العوالم النازلة مدده من ظهورات العقل و ذلك قوله تعالي انزلنا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و قال تنزل الملائكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر و قال عز و جل و ايّدهم بروح منه و ورد اخبار كثيرة في انه مؤيّد بروح القدس مطلقا و لكن في العوالم السافلة يستنزل الرزق من صورة العقل فاصله من العقل و سبيل نزوله من النفس اذ الصورة حدّ المادة و لازمتها و لاتنفكّ عنها ابدا الاتري ان جميع اضائة الشعلة من نارها و لكن لاتظهر الا من صورتها بل يظهر النور بلون الصورة و شكلها فلا بدّ لكل مستضيء ان يستضيء من صورة الشعلة و لا سبيل اليه من غيرها و لذا قال النبي صلي الله عليه و آله انا مدينة العلم و عليّ بابها ، بل نقول ان ظاهر النبوة في الدنيا

يستمد من باطن الولاية كما ان الشمس التي هي مظهر العرش تستمد من الكرسي فافهم ذلك و في الامهات الظاهرية ايضا اللبن من الاب و قد ظهر من ثدي الام فلذلك نقول ان رزق بدنه الشريف لا بد و ان يكون ايضا من جانب العقل الظاهر من نفسه و في الدنيا يكون الامر بحسبها لا محالة فاختير لرضاعته امرأة صالحة مؤمنة عاقلة و ظهر سرّ عقلها في اسمها فاسمها حليمة و لميكن لبنها من الاب الظاهري اذ لميكن لبنها الخلقي الا من ثدي واحدة و ببركة يده الشريفة جري من ثديه الاخري لبن من الغيب ثم انه صلي الله عليه و آله اول ما خلق الله و قد ظهر في كل عالم بعرشه ففي مقام ذاته امر جميع الملك بيده و في مظاهره امر كل الملك بيده اذ عرش كل مملكة يد الله في الامر و النهي هذا في الكون و في الشرع في جميع العوالم يكون حاكما شارعا و بيده الامر و النهي و حافظا للناس فهو الراعي لهم فلا بدّ و ان يرعي في طفوليته غنما لتحصيل هذا الكمال لبدنه الشريف و لميبعث نبي الا و امر بذلك و الزرع لاسرار جمّة فافهم هذه النكات التي يحيي بها القلوب و يزيد للانسان يقينا في دينه .

فصل اعلم انه صلي الله عليه و آله اول الخلق و مبدؤهم كما ذكرنا ذلك هنا و في ساير الرسائل مكررا و لا شك ان المبدأ محل اشتقاق جميع الفروع و هو الفعل و هو مركب من مادة و صورة فان ضَرَبَ مثلا الذي هو مبدؤ جميع الصيغ له مادة و هي حروف اصله و صورة و هي صورة الفعل و المبدأ هو الهيئة المركبة لا الحروف و اخطأ من زعم ان الضاد و الراء و الباء مبدأ فانها حروف لا معني لها و لكن بعد التركيب تصير مبدءا فكلما يشتق من ضَرَبَ يشتق من الضاد و الراء و الباء بواسطة هذه الصورة المشهودة لا غير و لميشتق منه الا المصدر وحده فان الواحد لايصدر منه الا الواحد *قولي الواحد لايصدر منه الا الواحد في المقام صحيح لان الاثر علي صفة المؤثر بلا شك و اما ما سمعت منا في الردّ علي الملا صدرا في قوله ان الواحد لايصدر منه الا الواحد فذلك لانه يعتقد ببساطة المخلوق الاول بهذا الدليل فنردّ عليه ذلك بان الله بسيط احد و لميصدر منه شئ فان الحادث لايصدر من القديم بل خلق المشية لا من شئ بنفسها و الله لميخلق شيئا فردا قايما بذاته و مرادي من الواحد في المقام الواحد المركب لا الاحد ، منه (اعلي الله مقامه) .*
و الاختلافات

في مقام آخر و المصدر هو المفعول الحقيقي له و صدوره منه بواسطة صورته لا غير فافهم الاسرار و اضبطها ثم يشتق من المصدر ساير المشتقات و المصدر لكونه مفعوله و صادرا منه يغلب عليه جهة الطبيعة و الاسمية و الوصفية و لذا يصير معمولا للفعل و ان كان عاملا لمسحة الفعل في الاسماء و الصفات و قلبه ساكن يدرك بالسكون بخلاف الفعل فانه خلق ساكن لايدرك بالسكون فالغالب علي المصدر جهة الانوثة فهو بنت الفعل و جميع المشتقات من الفعل صادرة من بنته و حقيقة بنته ايضا مأخوذة من صورته الاولية فهي من نفسه و ايسره و لايشتق منها ايضا شئ الا باشراق نفس الفعل عليها ثانيا و لولا ذلك لماخرج منها شئ فجميع المشتقات من بنته و اشراق نفسه و هذا السرّ سار في جميع ملك الله و لاتزعم انه محض قول و استحسان نعوذ بالله الاتري الي الشمس فانها تشرق و اشراقها فعلها حين الصدور و بعده مصدر مسلما و جميع الانوار تشتق من اشراقه و هكذا قس علي ذلك جميع امر ملك الله فالمخلوق الاول صدر من نفسه التي هي الامكان الراجح

خلق هو الامكان الجايز و الامر المفعولي و خلق باشراق الامكان الراجح عليه جميع الاشياء و الامكان الراجح قلبه متحرك و الامكان الجايز قلبه ساكن و هو الامر المفعولي و الاول الامر الفعلي و خلق منهما جميع الاكوان و في الغيب ايضا يكون الامر بهذا المنوال فان العقل ظاهر الفعل و اشتق منه النفس كما قال عليه السلام في

تعريف النفس موادها التأييدات العقلية و تولد من النفس جميع المواليد و لميكن ذلك الا باشراق العقل عليها فاذا عرفت هذا المعمي فاعلم ان امر غيب النبي بتمامه لا بدّ و ان يظهر في بدنه لعدم منع الاعراض غاية الامر انه يظهر بحسبه اي بحسب البدن فلا بدّ و ان يكون له بنت هي المشتقة الحقيقية من نفسه الاولية التي هي ولاية النبي كما قال تعالي انما وليكم الله و رسوله و يكون جميع ذريته منها و لكن لايصدر من المصدر شئ الا باشراق الفعل و الا فنفسها ميتة فلا بدّ و ان يظهر الولاية الغيبية في بدن بشري غير بدنه الشريف لعدم امكان مناكحة البنات فينكح بنته الشريفة حتي يحصل منهما الذرية فعلي عليه السلام مسحة الولاية في فاطمة و تأييد العقل و الامكان الراجح و الامر الفعلي المتحرك و لذا قال صلي الله عليه و آله عليّ نفسي ، و الآية صريحة في انه نفسه و اما في فاطمة فقال انها بضعة مني اذ هي مشتقة منه و لايضرّ هذه النفسية المناكحة الجسمانية فان النكاح من الامور البدنية و هذه الاحكام من الحكم الغيبية كما ورد في اخبار كثيرة ان كلهم نور واحد و طينة واحدة و لايلزم من ذلك ان يكون علي مناكح نفسه و ذلك امر ظاهر بيّن و لكن الجهّال المنكرين لفضائلهم ينكرون امثال ذلك و يوردون علينا بايرادات يضحك منها الثكلي و بالجملة نرجع الي ما كنا بصدده فنقول ان بهذه القاعدة يلزم ان لايكون له ولد غير فاطمة و لكن لما كان صلي الله عليه و آله في بدنه جامعا لجميع الكمالات و لميرد عليه نقص مع انه في غاية الاعتدال فلايجوز انقطاع نسله بالكلية فان ذلك مرض و يحدث من عدم اعتدال الصلب فلذلك ولد له ولد ذكور و اناث و ماتوا و الباقي له فاطمة الزهراء التي كانت معه من الجنة و عالم الغيب ثم اعلم انا ذكرنا سابقا في سرّ القابه ان منها طه و نزل بذلك الكتاب و اسراره كثيرة اقتصرنا بواحدة منها فعلي الوجه المذكور انه سمّي طه لانه وطأ علي جميع الكاينات كما قال له جبرئيل في

ليلة المعراج وطأت موطئا لميطأه احد قبلك ، و هو مقام حق الملك و ليس معه احد غيره و الوطأ لايكون الا بالقدم و القدم جهة اسفل الانسان و نفسه و انيته فالطاء اسم نفس النبي و الهاء المركب معه اسم اعلي درجته و رأسه فانه تثبيت للثابت و علامة مقامات التوحيد و اخر في اللفظ لان في الصعود ينعكس الامر ففي الدنيا بعد ما اشتق منه بنته سميت بالطاء و وجه آخر ان الطاء آخر مقام الآحاد و هو مجمع الكل و مرجع جميع الاعداد كما ان فاطمة اصل جميع الائمة صلوات الله عليهم و مرجع الكل اليها و لذلك جعلها جبرئيل اصلا في حديث الكساء فقال فاطمة و ابوها و بعلها و بنوها ، فسميت طاءا ثم جمع مع الطاء كماله الشهودي و الظهوري فان الفاء كماله الشهودي و الميم و الهاء كماله الظهوري لانه يتفصل في الدنيا المجملات و يظهر الخفيات فسميت فاطمة ، هذا و له

وجوه اخر منها انها نفس النبي و نفسه لاتحتاج الي التعلم من غيرها بل لاتحتاج الي الاستفاضة مطلقا فهي فطيم من الامهات فسمّيت فاطمة و منها ان الناس بحب نفس النبي ينجون من العذاب لعدم ادراكهم لغيبه فمحبّوها مفطومة من النار فهي فاطمة فافهم فلا بدّ و ان يكون للنبي بنت واحدة مسماة بفاطمة و ذكرنا حكم القابها في الرسالة القاسانية في شرح الحديث المروي في فضلها يوم القيمة و لا اقبال لي الآن الي بسط القول في امثال ذلك فان الناس لايعتنون بامثال هذه العلوم و اذا لميكن متحفظ للعلم يقلّ اشتياق الانسان الي البيان .

فصل اعلم ان البدن العنصري من كل احد من اول تولده ليس في حدّ الكمال الذي ينبغي له لان الامر في الدنيا يجري علي العادة الا ان يغيّر بالمعجز و هو لايجري الا في مقام الحاجة بامر الله سبحانه و هو عند الابلاغ و اظهار الامر فان الانبياء الذين هم اصحاب المعجزات لايظهرون معجزتهم لانفسهم بل يجرون في جميع الامور علي عادة الملك الا في مقام الحاجة لاتمام الحجة الا فيما هو من طباعهم و لايتغيّر و ان كان معجزا بالنسبة الي غيرهم كعلمهم

و حلمهم و صفاتهم المتعلقة بالنفس الكلية و من الامور التي تجري بالعادة امر ولادتهم و نشوهم و نمائهم و ان كان يظهر منهم بعض المعجزات في بطون الامهات او بعد الولادة فلاتمام الحجة لا غير فاذا كان الامر هكذا يكون نوع ترقيهم كترقي ساير الناس و ان كان الامر فيهم بحسبهم كما تري في حالاتهم الظاهرة في الصغر و الكبر انها مثل ساير الخلق فوليدهم كوليد الناس و رضيعهم كرضيع الناس و خماسيهم كخماسيهم يعني في النوع بالنسبة الي حالهم و ان كانوا في جميع هذه الاسنان اعدل و لذا كان نشوهم و نماؤهم اكثر و ينبأك عن جميع ذلك قوله تعالي قل انما انا بشر مثلكم يوحي اليَّ انما الهكم اله واحد فعلي ذلك نقول ان الله سبحانه جعل في الاطفال رطوبة فاضلة لئلايحترقوا بحرارة الآباء و الامهات فيفسد بنيتهم و لايكمل نماؤهم و لذا تري ابدانهم في غاية النعامة و اللطافة بحسب حالهم كما تري ان النبات في ابتداء تولده و خروجه من الارض له رطوبة زائدة تظهر من لونه و ضخامة ورقه و يكون نماؤه اكثر من كبره لذلك و كذلك حال الاطفال و قد ضرب الله للانسان في بدئه و عوده مثل النبات في مواضع من كتابه فحاله اشبه شئ بالنبات لا محالة و ذلك امر ظاهر بيّناه في مباحثاتنا و بعض رسائلنا و لا اشكال فيه فالطفل لا بد له من رطوبة فاضلة و لذلك يشترطون الفلاسفة في تركيباتهم ان يكون لها رطوبة فاضلة تدوم من اول العمل الي آخره حتي يكمل تركيب المولود و لو يبس المركب قبل الكمال يحترق بحرارة النار و لايقبل التربية و يفسد الاتري الي الخشبة ان كانت رطبة يمكن تدبيرها بايّ نحو تريد و بعد الجفاف اذا اردت تقويمها مثلا تنكسر فلذلك جعل الله رطوبة الطفل كثيرة ، هذا و سرّ ذلك بوجه آخر انه مخلوق من الماء و ربّي في الرحم منبع الرطوبات و غذي من الدم الذي له رطوبة كثيرة و بعد التولد يغذّي باللبن و هو ايضا رطب في الغاية فلذلك يكون الطفل في غاية الرطوبة و لذلك يكثر نزلاته

من عينه و خيشومه و فمه و يؤثر في مزاجه حرارة الملك و حرارة الوالدين حتي يشد لحمه و عظمه و يقل رطوباته و لا شك ان الرطوبات الفاضلة الغليظة سبب غلظة الروح البخاري فلايصلح حينئذ لحكاية الروح الانساني و يحجب الابخرة بينه و بين البدن و لذا تري اطفال العامة انهم لايشعرون شيئا بل هم في بدء ولادتهم يكونون اقل شعورا من بعض الحيوانات و لكن ذلك ايضا امر نسبي و ليس جميع الاطفال امرهم بمنزلة واحدة و لكن ذلك حال طفوليته بالنسبة الي كبره و كذلك حال الانبياء و الاولياء في صغرهم بالنسبة الي كبرهم و ان كانوا في الارحام اعقل من جميع الانام فاعرف ذلك و لاتقصر في شأنهم ثم بعد ما فطم الطفل من الرضاع و شدّ لحمه و عظمه و تغذي من الجوامد و تأثر من حرارة الملك و الوالدين و المربين يزيد شعوره يوما فيوما حتي اذا بلغ خمسا و عشرين فيقل رطوباته و يتقوي فيه الحرارة الغريزية و يضعف فيه النباتية لقلة الرطوبة فلايتطول بعد ذلك و لكن ربما يزيد في عرضه ثم من بعد ذلك يزيد عقله بالتجارب حتي اذا بلغ اشدّه و استوي في اربعين سنة و ذلك غاية ترقية العامة و منتهي كمالهم و لايزيدون علي ذلك ثمَّ من بعد الاربعين ينزلون يوما فيوما حتي يبلغوا ارذل العمر في ثمانين او تسعين فلايعلمون بعد علم شيئا و يبلغون الي حدّ الطفولية كما لايخفي و اما الكاملون فذلك فيهم بحسب شأنهم و ربما يضعفون بعد الاربعين في الابدان و يزيد فيهم الايمان و لذا يكونون في جميع الاسنان في حال الشباب كما قال الله تعالي في اصحاب الكهف انهم فتية آمنوا بربهم هذا في الحكمة الطبيعية و بالقواعد المضبوطة عندنا من الحكم الالهية نقول ان الشئ لايكاد يوجد و لايكمل الا بقابل و مقبول فالاول من مقام العبودية و الثاني من الربوبية و هما في كل مولود بحسبه فان الجماد مثلا قابليته مقام عناصره الكمية التي لا بدّ في تركيبه منها و مقبوله النفس الجمادية و النبات قابليته الجمادية و مقبوله

النفس النباتية و الحيوان قابليته النباتية و الجمادية و مقبوله النفس الحيوانية و الانسان مقبوله النفس الانسانية و الثلثة قابليته و مجمل القول ان الروح الاعلي الذي هو ذات الشئ هو المقبول و بدنه القابلية و لكنا نقول نوعا ان مراتب القابلية تدور علي ثلثين مرتبة و المقبول علي عشرة و لكن في مقام الجماد و النبات و الحيوان و الانسان الناقصين لمتتفصل هذه المراتب كاملة و اما في الانسان الكامل فجميع المراتب متفصّلة علي نحو الكمال و ذلك ظاهر بادني تأمل الاتري ان الجماد ليس فلكيته ظاهرة متفصلة عن الارضية و لكنها في غيبها و قس علي ذلك ساير المراتب و الانسان الذي كمل فيه الي عرش مرتبته كمل فيه جميع المراتب الاربعين و لا شك ان مقام النبوة ايضا مقبول و قابليته المقامات السابقة لما عرفت ان الروح الاعلي مقبول فما لميكمل مراتب القابلية لايظهر روح النبوة فيها علي نحو الكمال بحسب العادة البشرية نعم النبي له مقام في اعلي الخلق قبل ظهوره و بعده و يظهر كل حين باذن ربه من ايّ بدن شاء و كذلك الامام كما صحّ عندنا ان عليا عليه السلام ظهر لفرعون و لسلمان و ظهر بعد موته في مواطن و لكن حكم العادة كمال ظهور هذا الروح بعد كمال المراتب و ذلك لايحصل علي نحو الكمال الا بعد اربعين سنة ففي كل سنة يكمل مرتبة من مراتبه لااقول انه لميكن نبيا قبل

اربعين سنة بل كان نبيا في رحم امه بل كان نبيا و آدم بين الماء و الطين و لكن شرط كمال البدن في حكاية تمام النور ان يعبد الله و يروض نفسه في اربعين سنة و ان قلت علي ذلك بعد اربعين سنة يكمل له النبوة المطلقة لا الخاتمية و هو قد ادعي الخاتمية حين البعثة اقول ان ظهور الخاتمية من النبوة بكمال هذه المراتب الاربعين فاذا بلغت باعتدال بدن الخاتم يتعلق به روح الخاتم مع النبوة المطلقة و ان كان يتغيّر حالته و ترقيته بعد ذلك ايضا الي تمام عمره بل طول الدهر و قد قال الله تعالي قل ربّ زدني علما و بوجه آخر

نقول ان المولود لايبلغ حدّ الكمال الا بعد اتمام الاسفار الاربعة السفر من الخلق الي الحق و فيه و منه الي الخلق و فيهم و ذلك حصل له (ص) في اربعين سنة يعني في مقام بدنه و بالجملة لهذه الاسرار و لغيرها ينبغي ان يبعث الخاتم بعد اربعين سنة و ان كان قبله نبيا و لميتشرع بشرع احد فحاصل الكلام انه كان نبيا في صلب آبائه بل الفالف دهر قبل الدنيا و لكن روّض بدنه الشريف في اربعين لانه سن الكمال ثم انا نقول انه صلي الله عليه و آله في بدنه الشريف يترقي يوما فيوما لا محالة و ذلك مما لاينكره عاقل و ان كان في جميع حالاته اول ما خلق الله و سابقا علي جميع الخلق فانا اذا قلنا ان العرش مثلا يترقي دايما لايلزم من ذلك ان يكون حينا مّا في عرض السموات بل هو دايما في الترقي الي الله تعالي و يترقي الي ما لا نهاية له بلا نهاية فافهم فاني اكرّر هذا القول لئلايشتبه عليك الامر و اعلم ان المتصرف في هذا البدن الشريف هو نفس الخاتم اذ هو الكامل بالفعل لانك عرفت انه مشية الله فاذا تيقنت بذلك فاعلم انه بعد ما بعث بالنبوة لا بدّ و ان يروض نفسه حتي يكمل فيه حقايق الامامة و ان كان اماما من بدء امره الا ان اسرار الامامة تكمل فيه لا محالة و ذلك لايكون الا في عشر سنين لظهور اسرارها في تمام مراتب المقبول السافل الذي هو بمنزلة القابل لهذا المقام ثم من بعد هذا العشر لا بدّ ان يروض نفسه عشر سنين اخر لتكمل مدارج الخاتمية فيه و من بعد ذلك له سنة لتكميل مقام الاسمية و لكون الاسم مقام الوحدة و البساطة و يختصّ امره بالظهور في اعلي مراتبه لايحتاج الي سنوات كثيرة مع ان السير الذي يسيره الخاتم في اعلي درجة الكمال فوق الحد و الحصر ففي سنة يظهر الاسم الاعظم فيه علي نهج الكمال ثم بعد ذلك يحصل له مقام المسمّي ايضا في سنة ثم من بعده يسير في مقام لا اسم له و لا رسم فيبطل انيّته بالمرّة و يفني وجوده بالمرّة و يموت بنفسه و يحيي بالله فلايطيق البدن العنصري بعد ذلك

حمل روحه و لايسعه الدنيا فيخرج الي جوار ربه اي الكينونة العليا و هذا السير الجليل و الرياضة الشاقّة يحصل في ثلث و ستين سنة فلا بدّ و ان يكون الخاتم تمام عمره ذلك و لايلزم من ذلك ان لايصدق عليه هذه الاسماء قبل ذلك فان جميع المراتب المذكورة من فسحة وجود الخاتم الاتري ان الانسان من بدء تعلق نفس الانسانية به الي منتهي كماله يسمّي انسانا و هو في جميع هذه الحالات يملك الصورة الانسانية و يصدق عليه العالم الذاكر الفاكر الحليم النبيه الراضي المسلم و لكن مع ذلك هو في بدء امره في الارض و في الآخر في السماء و كذلك النبي من حين كونه في صلب آدم كان نبيا و يملك جميع هذه

المراتب فكان آدم يتقرب به الي الله و يوم رحلته ايضا كان هكذا و لكنه سار في جميع هذه المراتب من بدأ امره الي ختمه علي نحو الكمال .

فصل قد مرّ سابقا بعض الحكم في بعثته في مكة و هجرته الي مدينة و ازيد علي ما مرّ سابقا انه حجة من الله و الحجة لا بدّ له من ان يكمل بدنه اولا لانه اقرب الخلق منه و ما لميكمل بدنه لايقدر علي تكميل غيره بل لايكون حجة الا بعد تكميل بدنه ثم ينبغي له ان يدعو اهل بيته الي الله سبحانه و يكمّلهم لانهم اقرب الخلق بعد بدنه منه و هم اعوانه و اياديه بل ان كان الحجة كاملا في الغاية لا بدّ و ان يكون وصيه معه من اول امره و ينذره قبل اهل بيته الا ان يمنع مانع و اذا منع مانع من ظهوره يكون معه في الغيب لا محالة و اما نبينا فكامل من جميع الجهات فلا بدّ و ان يكون وصيه معه فلينذره اولا ثم ساير اهل بيته ثم يستعين بهم علي ساير اقربائه الاقرب فالاقرب ثم من بعدهم يجب ان ينذر اهل بلده فان من لميصلح اهل بلده لايقدر علي اصلاح غيرهم نعم لما كان الامر في الدعوة و الهداية علي الاختيار عليه ان يدعوهم و لا اكراه في الدين بعد ما تبيّن الرشد من الغي فمن اهل البيت و اهل البلد كل من قبل الهداية يهتدي و من لميقبل فلا عذر له عند

الله و اما الحجة فعليه الهداية فلذلك ينبغي ان يقف النبي اول امره في مكة و يدعو الناس علي الترتيب المذكور الي سبيل الله و قد فعل هكذا و وجه آخر من البواطن انه قبل اكمال خمسين لا بدّ له من الوقوف في مكة و حومه حول بيت الله لاستكمال المراتب المذكورة سابقا فان جميعها من مقامات العبودية و لاتصلح الا في حرم الله بالاستمداد منه بواسطة بيته و بعد الاستكمال التام يحصل له الانقطاع التام و يصير بنفسه محل جميع الفيوض و لايحتاج بعد الي غير نفسه و في جميع الامور يطوف حول نفسه و يستمد من نفسه بنفسه فلايحتاج بعد الي بيت غير قلبه نعم في بدنه الشريف يحتاج الي الاقبال الي بيت المقدس او الكعبة و لكنه يكفي منه تولي شطره و شطر المسجد و شطر الحرم في ايام الدنيا علي ظاهر الشرع و ان لميكن يحتاج الي ذلك في الواقع بعد الخاتمية كيف و المؤمن الذي خلق من شعاع نوره يكون اشرف من الكعبة فكيف يحتاج الخاتم اليها في الاستمداد نعم قبل استكمال المراتب الخمس لان سيره في مقامات الاحدية الوصفية و الواحدية يمكن ظهور نورها من الكعبة له و لكن بعد ما وصل الي درجة الخاتمية الكاملة الاولية صعد من جميع الحدود و وقف وراء السدود و شاهد عين المعبود في ذاته بلا حجاب و تحت ذلك اسرار كثيرة لايكشف عنها النقاب الا لاولي الالباب و ان قلت ان الائمة ايضا امرهم هكذا اقول بلي و لكنهم لهم ايضا مقامات فوق ذلك و كلامنا في صرف الامامة القطبية و ليس هنا موضع بسط هذه المسألة و ان المراد محض الاشارة الي بعض جهاتها فلهذه الاسرار و غيرها لا بدّ من وقوف خاتم الانبياء صلي الله عليه و آله و عليهم في مكة عشر سنين ثم يخرج منها الي المدينة مهاجرا الي الله و كما انه بعث بعد اربعين لاستكمال المراتب بعث بعد الهجرة بالجهاد و السيف و لميؤمر بذلك قبل الهجرة .

فصل اعلم ان كتاب كل نبي شرح صورته الشرعية و الكونية و شرعه

شرح صورته الشرعية فان الله سبحانه بعد ما خلق نبيه في حدّه و مقامه و عالمه ادّبه و ربّاه فان كان من اولي العزم او في حكمهم ربّاه من عنده بغير واسطة بشر ظاهر آخر غيره و صوّره في احسن صورة و هي احسن التقويم الذي قال الله تعالي في كتابه خلقنا الانسان في احسن تقويم اي اعدله و ان كان ناقصا في حدّه و فرعا لغيره رباه بواسطة اصله و الاصول هم اولوا العزم و صاحبوا الشرايع و من في حكمهم كداود صاحب الزبور و ادريس صاحب الصحف فربّاهم الله في مقامهم و درجتهم و صوّرهم بصورته المحبوبة التي اختارها الله بمشيته المحبوبة و تطوروا بها و الفروع في درجتهم و مقامهم اتصفوا بصفات اصولهم و تخلقوا باخلاقهم غاية الامر انهم امروا من عند الله بلا واسطة بشر ان يتصفوا بصفات اصولهم بخلاف ساير الناس اذ امروا بواسطة بشر و هم كانوا معصومين لايعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون و ساير الرعية لايكونون هكذا ثم بعد ما نزلوا في الدنيا نزلوا بانفسهم و ما يخصّها من الصفات في ابدانهم الشريفة و اظهروا صفتهم بل و نفسهم في كتابهم و شرعهم فكان بدنهم الشريف بيان صورتهم في عرصة الاشخاص و كتابهم بيان صورتهم في عرصة الكلمات و الحروف فاذا عرفت ذلك فاعلم ان كتاب نبينا صلي الله عليه و آله و شرعه صورته الشريفة في عرصة الكلمات و الحروف و الاحكام فصورته الكلامية علي حسب صورته البدنية كما ان كتب ساير الانبياء و صحفهم و شرايعهم علي حسبهم فاذا عرفت ذلك فاعلم ان ساير الانبياء لميكونوا منحصرين في شخص فان عددهم بلغ الي ازيد من مائةالف فان كان نوح من اولي العزم كان ابرهيم ايضا من اولي العزم غاية الامر ان نوحا كان اشرف من ابرهيم في بعض الاشياء و لكن نوعهم من عرض واحد كنوع الاناسي فانهم نوعا في عرض واحد و ان كان بعضهم اشرف من بعض و كذلك الامر هنا و اما الواحد الذي هو الفرد و لا شريك له فهو الخاتم صلي الله عليه و آله و هو مظهر توحيد الله تعالي فهو في نفسه فرد واحد و قد اعجز

القوم طُرّا عن التشبه به و كذلك الامر في كتابه الذي هو صورته الشريفة لا بدّ و ان يكون معجزا يعني يعجز جميع الخلق عن الاتيان بمثله كما ان كلهم يعجزون عن التشبه به و منذا يقدر علي ذلك و هو اول ما خلق الله و لايسبقه سابق و لايلحقه لاحق و لايفوقه فائق و عجز كل الخلق عن ذلك باقرار انفسهم و وجه آخر لانحصار كتابه و عدم اتيان احد بمثله انه مرآة وجهه صلي الله عليه و آله و هو صلي الله عليه و آله كما عرفت مبدأ جميع الخلق و المبدء جامع لجميع كمالات المشتقات ففي كتابه احصي كل شئ و مافرط فيه من شئ و لايقدر احد علي الاتيان بكتاب مثله لان جميع الخلق دونه في الدرجة .

فصل في بعض اسرار اسم وليّه صلي الله عليه و آله و بعض صفاته ، قد ظهر مما بيّنا سابقا ان كل شئ مركب من قابلية و مقبول لانه لايتم الشئ الا بهما و ذلك مما لا بدّ منه و قد عرفت سابقا ان كليات مراتب القابلية ثلثون و مراتب المقبول عشرة فيتم ميقات الرب في كل شئ في اربعين و ذلك سرّ سار من اول ما خلق الله الي ادني الخلق غاية الامر ان كل شئ يجمعها بحسبه فاذا عرفت ذلك فاعلم ان مراتب القابلية بمنزلة النفس بل هي نفس الشئ و انيته و المقبول مقام ربوبيته و فعليته لله سبحانه و نفس الخلق الاول جهة ولاية الله

فيه و ربوبيته جهة نبوته و ذلك لان مقام النبوة مقام الارتفاع عن جميع الخلق و القرب من الخالق فلا تعلّق له بالخلق ابدا و اما مقام نفسه فمقام ارتباطه بالخلق و نسبته اليهم و الولاية هي الاسم المضاف فانه لايكون الولي وليّا لنفسه بل هو ولي بالنسبة الي غيره ممن احاط بهم فليس الذات من حيث ذاتيتها وليّا لاحد اذ لاتنسب الي غيرها و لكن بالنسبة الي من احاطت بهم تكون وليّا فالولاية لاتثبت الا لجهة قابلية النبي صلي الله عليه و آله فنفسه وليّه اي ولاية الله فيه و اما جهة مقبوله ففوق الاسم و الوصف فافهم ذلك ان شاء الله فنفس النبي صلي

صفحه ٣٢٦

الله عليه و آله يسمّي باللام لان الاسماء علي حسب المسميات كما ان مجموع القابل و المقبول كانا يسميان بالميم فاللام نفس الميم في الملأ الاعلي ثم انه قد ظهر لك ايضا مما مضي ان اول ما خلق الله مقام المشية و لا شك ان المشية مشية بصورتها لا بمادتها فان مادتها كون صرف اعم من المشية و المشاء كما ان الضاد و الراء و الباء اعم من ضرب الفعلي و المصدري و الفاعل و غيرها و هي حروف سارية في كلها و بعد ما اتصفت بصورة الفعل صار فعلا و ذلك امر بيّن ظاهر ان شاء الله عند اهله و المشية هي امر الله سبحانه الذي قال في كتابه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فامره الذي هو مشيته كُن و لذا ورد ما معناه انه امر بلا لفظ بل شاء ما شاء ، و الكاف و النون عددهما سبعون فلذلك يكون باطن نفس النبي السبعون كما ان ظاهرها ثلثون و ظهر ذلك في زبره و بينته فصار عدد اللام سبعين بزيادة واحد هو اجمال المقبول فيه و لولاه لماحصل التركيب و المزج كما ثبت في الفلسفة ان حصول الملغمة التامة بين الروح و الجسد لما في الجسد من الروحانية الخفية التي هي سبب اتصال اجزائه و اذا صعدت الروح من الجسد بعد الملغمة تذره ترابا مكلّسا متفتتا لصعود روحانيته مع الروح المضاف اليه بالمناسبة و هذا اشرف اقسام التكليس فلولا ما في الولاية من رايحة النبوة لماحصل بينهما الامتزاج و قد عبّر عن ذلك رسول الله صلي الله عليه و آله بالياء الدالّ علي المتكلم في قوله عليٌّ نفسي ، بل اقول ان تمام الميم في غيب اللام و لذا صار بينته اذ هما متصلان و بيّن ذلك وليّه في قوله ظاهري امامة و وصية اي اللام و باطني غيب ممتنع لايدرك اي الميم و يظهر بعد التكسير و بالجملة فعدد اللام في الظاهر ثلثون و في الباطن احدي و سبعون ثمّ ان اول ما خلق الله نزل نازلا في العوالم السافلة بامر الله الي ان نزل في هذا العالم في عرشه و كرسيه و لما كان هذه العرصة عرصة التشقق و التفصيل تفرّقا في الظاهر الاثري

صفحه ٣٢٧

انّ روحك يملك جميع المشاعر علي نحو البساطة و الوحدة فسمعه عين بصره و بصره عين لسانه و هكذا و في مقام البدن حصل بينها التشقق و الاختلاف فظهر السمع في الاذن و البصر في العين و هكذا و ذلك امر بيّن ففي هذا العالم ايضا ظهر المعني في العرش و الصورة في الكرسي فهما مشاركان في الحكاية عن اول الخلق الا ان العرش باب المعني و الكرسي باب الظاهر فهما اخوان في الحكاية عن الغيب اذ هما بابان من ابواب الغيب و

قد ظهرا في الافلاك بالشمس و القمر فالشمس صارت مظهر العرش و القمر مظهر الكرسي الا ان نور الشمس ايضا يكون من العرش بواسطة الكرسي فانه الواسطة بينهما و نور القمر من الكرسي بواسطة الشمس فالشمس هي العرش الجزئي في عرصة الافلاك و القمر هو الكرسي الجزئي و هما مظهر النبوة و الولاية في الافلاك و كل واحد ابن عم للآخر و كذلك بعد ما ظهر النور في عرصة الشخصية ظهر في عبدالله الذي هو بمنزلة العرش في العالم اي عالم الاناسي و ابيطالب الذي هو بمنزلة الكرسي و قد ظهر منهما شمس النبوة و قمر الولاية و هما ابنا عمّين و لما كان كلاهما فرع النفس الغيبية الكلية الاولية قلنا ان النبي الظاهر يستمد من الولي الباطن و لكن الولي الظاهر يستمد من النبي الظاهر و الولي الباطن من النبي الباطن و بالجملة فالولي في الحقيقة نفس النبي و في الظاهر ابن عمه فسمّي باللام لظهور هذا السرّ الكامل و لما كان عرصة الدنيا عرصة التفصيل و كل ما في الغيب بالاجمال يفصل هنا تفصل اللام بزبره و بينته في طرفيه فاخذ في اول الكلمة العين الدالّ علي الامر و في آخره الياء و هو الالف في الحقيقة فان الالف اذا نزل الي الدنيا يصير ياءا و الياء اذا صعد يصير الفا فوليّ النبي عليٌّ و قد يذكر اللام في القلب و يبدل العين بالواو ليدل علي تمام المراتب الستة فيؤتي في صدره بالواو الدالّ عليها و هو واو يكون و الياء هو ظهور مراتب المقبول فيه فيكون وليا فافهم ذلك و اغتنم و قد اسقيتك ماءا غدقا

ثم انك قد عرفت ان الولاية الباطنة حقيقة صورة النبي و النبوة الظاهرة تستمد منها فهي بمنزلة القابلية لها في الظاهر و ان كانت مقبولة في الباطن و في عرصة الظاهر لاتستكمل ايضا الا بكمال القابلية و المقبول و المقبول ظاهر في الولي و منه اذ هذا الملك عرصة التفصيل بخلاف الملك الغيبي فانه عرصة الاتصال فلذلك ينبغي ان يكون ولادة النبي الظاهر قبل الولي الظاهر بثلثين سنة لاستكمال مراتب القابلية و عيشه مع الولي قبل البعثة عشر سنين لاستكمال مراتب المقبول فيبعث النبي و لوليّه عشر سنين ثم لان الولي الظاهر قايم مقام النبي الظاهر لا بد و ان يسير فيما سار و يترقي بقدر ما ترقي غاية الامر انه فرعه في جميع الامور فلا بدّ و ان يكون عمره في الدنيا بقدر عمر النبي فان البقاء في الدنيا ليس الا لاستخراج ما استجنّ في قابلية الانسان و استخلاص روحه و الاستخلاص الكامل يحصل لهم في هذه المدّة و لما كان جميع امورهم الظاهرية يوافق القواعد الكلية لا بدّ و ان يكون جميع هذه الاحكام واقعة فيهم كما مرّ سابقا لعدم منع الاعراض و عدم لحوق الامراض و كذلك نقول ان الولي لما كان بمنزلة النفس له لا بد و ان يكون مخزن علمه و ناصره و معينه في جميع الاحوال و صار الامر هكذا ثم اعلم ان تمام كل شئ و كماله في ثلثة اكوان و اربع كيفيات و يحصل من ضرب الثلاث في الاربع اثناعشر و لا بدّ و ان يتكمل في قوابل الخلق هذه المراتب من الشرع و لما كان الدنيا عرصة التفصيل لايمكن اظهار جميع ما يكمل المراتب من الصفات من واحد و ان كان جامعا لها و تكميل الخلق بيد الولي و النبي منذر و الهادي المكمل هُوَ الولي فلا بدّ و ان يظهر نور الولاية لتكميل القوابل من اثنيعشر قالبا لاظهار هذا الامر و تكميل القوابل بتأثير الفواعل فصار الاوصياء و الائمة من بعد النبي اثنيعشر و بالجملة الاسرار في

هذه المقامات اكثر من ان تعدّ و تحصٰي و ان مولاي و سيدي ابي الاستاد اعلي الله مقامه قد بيّن اسرار الاولياء

صفحه ۳۲۹

و لذلك اجملت القول فيها هذا و ان هذه العلوم مخفية عن الاغيار مستورة بالاستار و طلابها اقل قليل و لذلك اجمال القول فيها احسن مع ان اكثر الناس يزعمون انها استحسانات و لا واقعية لها مع انها من الحكم الاولية الواقعية و قد استدل بامثالها الائمة الاطياب صلوات الله عليهم علي الامور الخفية و تحت ذلك اسرار جمّة كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و نحمد الله الذي وفّقنا علي اثبات نبوة حبيبه بما عجز عنه الاكثرون و لميعرفه الا الاقلّون و له المنّة علينا .
فصل مما خصّنا الله به بين ساير الخلق دليل التسديد و به نثبت حقيّة كل مدعٍ من بطلانه بوجه سديد و بغير ذلك لايكاد يحصل القطع للانسان و ان القوم اغلب ادلتهم ادلة قشرية لاتسمن و لاتغني من جوع و لاتنفع احدا و لاتطمئن بها النفوس و اما هذا الدليل الشريف فمما يسكن اليه النفس و يطمئن القلب و يستحكم به الايمان و قد صنّف مولاي و سيدي ابي الاستاذ و السيد الاستاذ اعلي الله مقامهما فيه رسايل مخصوصة اضافة علي ما في كتبهم من بيانه متفرقا و قد اوصي ابي الاستاد (اع) بتشييد هذا البرهان اصحابه يوما و اصر حتي اني ماقمت من مجلسه الا عازما علي تصنيف رسالة خاصة فيه و صنّفتها و سمّيتها بالبرهان القاطع و عرضتها عليه و صنّفت من بعده ايضا رسالة في ذلك سمّيتها بعين‌اليقين مع ما ذكرته في رسائلي متفرقا و بينته في مباحثاتي بالسنة مختلفة و اذكر هنا ايضا منه بقدر الحاجة في اصول :
اصل اعلم ان الله سبحانه حكيم بلا شبهة لما نري من آثار حكمته فانك اذا رأيت مقدار ساعة معتدلة في الغاية و نظرت فيه بتدبّر و وجدت جميع الفلكات مصوغة علي ما ينبغي و موضوعة في حدّها و مقامها و كل فنر و فاندول و مسمار و ملوي فيه علي ما ينبغي و يدور كل يوم في غاية الاعتدال تقول ان صانعه حكيم و ان لمتره و لمتعرفه بل انت تعرفه بمحض انك تري دورانه

صفحه ۳۳۰

في كل يوم و ليلة بالاعتدال فضلا من ساير الحكم الملحوظة فيه و كذلك بعد ما نظرت في هذا الفلك الدوّار و النجم السيّار و الكرسي الكُبّار مع ما فيه من منازل و بروج مركوزة فيه و لاتري له من فروج و ساير ما فيها من الآثار العجيبة و القرانات الغريبة التي يتحيّر الالباب و تبحر العقول في درك جزء من جزئيات صنعته و ما تري في هذا الهواء المتراكم الزخّار من انواع الحكم و التدابير التي لايبلغها افهام الاخيار فضلا من ساير اولي الايدي و الابصار و ما بينها من انواع الطيور المختلفة بالوان مختلفة و هيئات غير مؤتلفة و صفات متشتتة فابيض و احمر و اصفر و اخضر و مركب من الوان و كبير و صغير ذو صفيف و دفيف و غيرها مما لو عدّها الحكيم لرجع تائها متحيرا و هو حسير و كذلك في خلق الارض في هذا المزاج و اللون و الوضع الحكيم مع ما فيه من جبال راسيات و معادن عجيبات و النباتات و الحيوانات و الاناسي التي خلقها من اعجب

العجاب لتيقنت بحكمته تعالي من غير شبهة و من لميتيقن بذلك لايكون الا لضعف علمه و قصر نظره او لعدم يقينه بنفس الصانع و اما من كان عارفا به لايكاد يشكّ في هذا الامر العظيم و الخطب الجسيم فاذا عرفت حكمته تعالي اقول هل يتصوّر في حكيم هكذا ان يكون فعله لغوا و عبثا ، ما هكذا الظن به تعالي و لايصدر منه فعل هكذا و هذا صنع العابث اللاغي فضلا من انه تعالي احد و الاحد بنفسه لايقتضي فعل شئ ابدا اذ لا اقتضاء له كما مرّ و سيجيء فجميع ما يفعله بعباده ليس الا بحسب اقتضاء المقتضيات و هي لاتقتضي خلاف الحكمة فان الحكمة وضع الشئ في موضعه و اللغو ما هو بخلاف ذلك فلا مقتضي في الملك للغو اي لايقتضي وجوده مكانا فالله لايفعل بعباده اللغو بل لما كان فعله بمقتضي القوي القريبة فلايفعل بهم الا الاصلح بحالهم و شأنهم فجميع فعله موافق للحكمة بلا شبهة و لا كلام و ذلك مما لايشتبه علي احد من الخلق .

اصل بعد ما ثبت انه لميخلق الخلق الا لفائدة نقول ان غاية الغايات و منتهي الفوايد المعرفة و الوصول الي اعلي الدرجة و سائر الفوايد الملحوظة كلها موصل اليها مثلا نقول خلق الله الشمس لفوايد منها ان يخلق بحرارتها النبات من الارض و خلق النبات لان يكون غذاءا للحيوان و خلق الحيوان لينتفع به الانسان لان يتقوي علي العمل و يسعي في سلامة نفسه ليكون عاملا في ارض الله و يعرف حكم انواع الخلق ليزيد فكره و يقوي مشاعره ليزيد عقله ليزيد عبادته ليخرج من قوته فؤاده ليعرف ربه و يصل الي جوار قربه ثم لا فائدة لذلك غير نفسه لانه غاية الغايات و فائدة الفوائد و لما كان هو المنتهي نقول مطلقا انه الفائدة الكلية ثم لا شك ان الحكيم لايلاحظ الا غاية يمكن الوصول اليها و اسباب الوصول اليها ايضا في ملكه مجتمعة و لو كان غير ذلك لخرج عن حاصل الحكمة هذا و هو حكيم قادر يري الغاية و يقدر علي ان يخلق خلقا يصل اليها و لميخالف اياها بقدرته و حكمته فالخلق يقدرون علي الوصول الي هذا المقام الخطير من غير نكير غاية الامر انه لايحصل لهم الا من بابه و ربما يسلك الجهّال في سبيل من غير الباب الذي جعله الله فلايصلون اليه و يزعمون انه لايمكن الوصول الي المطلب و قد ابي الله الوصول من غير الباب و لايسبق مشية الخلق مشيته و لكن الناس اكثرهم لايعقلون و اما اذا دخلت اليه من بابه لوصلت الي مرادك .

اصل من اعظم الاسباب للوصول الي الغاية العلم بكيفية السلوك فان الانسان ما لميعلم ذلك لايقدر علي السلوك الي ربه و لا شك ان الخلق خلقوا من غاية البعد الابعد و ان نزلوا من القرب الاقرب و لميكن يمكن غير ذلك فان الخلق المتكثر منشأه من غاية البعد و غايةُ القرب مقام الاتحاد و الانبساط و لذلك نقول نزلوا متوحدا و صعدوا متكثرا و ان اردت ان تعرف ذلك فانظر

في النبات فان الله سبحانه هو الزارع للنبات بنص القرآن و قد انزله من سماء مشيته الي هذه الارض في صورة واحدة و هيئة متحدة و هي المطر المشهود المرئي فاخرج من بعد ذلك من الارض الوانا مختلفة من الثمار و الاشجار و الازهار و الاوراد و غيرها فافهم

ذلك و سيجيء بعد في السلسلة الطولية بسط هذه المسألة فمعدن الاختلاف الاسفل و خلق الله الخلق منه كما تري و لا شك ان التراب الذي هو امّ جميع الخلق ميت لا حيوة فيه و جاهل لا علم له و لا عقل و بعد ما ترقي الي عرصة النبات لايزيد الا حيوة نباتية و يحصل له الادراك بقدر ذلك و بعد ما ترقي الي الحيوان يزيد حيوانية و ادراكا بقدرها ثم لايصعد بهذه الاسباب الموجودة فوق ذلك اذ لا بدّ من ان يكون المكمل كاملا في صفة حتي يخرجها من قوة المتكمل و ليس في هذه السموات الظاهرة فعلية سوي الحيوانية و ما سمعت من قولنا ان الحيوة مخصوصة بفلك القمر و ساير الافلاك فعليات ساير المشاعر و الكرسي فعلية نفس الانسان نريد من ذلك غيوبها لا ظواهرها فانها في الظاهر حيوانات سايرة فلا بدّ من وجود مكمّل لاستخراج ساير المستجنات في القوابل و ليس ذلك الا الحجج و الانبياء اذ هم اصحاب الفعليات الكاملة اعني ان من كان صاحب فعلية كاملة حقة هو الحجة و يجب علي الناقصين الرجوع اليه للاشتعال بنوره و فعليته و لو لميفعلوا لبقوا كالبهايم هايمين كما تري في الناس المعرضين عن حجج الله صلوات الله عليهم ثم ان درجات المكملين مختلفة فمنهم من لا فعلية له سوي الانسانية و منهم من صعد من هذه الدرجة و المرتبة الي عالم الارواح الملكوتية فصار نبيا و منهم من صعد الي العقل فصار اماما و خاتما و هكذا و هم المكملون للقوابل الناقصة و الارواح الراقدة في قبور ابدان الناس و اذا بلغهم اصوات الدعاة يحشرون منها حفاة عراة مجيبة دعوة الداع و بغير ذلك لايمكن تكميل القوابل الميتة .

اصل قد عرفت مما مضي سابقا ان الله ذات احدية و الاحد لاينتهي

صفحه ٣٣٣

الي شئ و لايحدّ بشئ فان كل محدود محدود بغيره مما في عرضه و كل من هو هكذا يحاط لغيره لا محالة و ربنا فوق كل شئ و لايحيط به شئ و هو الذي احاط بكل شئ علما فلا بدّ و ان يكون ظهوراته و آياته غير متناهية الي آية غيره و لا معدودة فان دليله آياته فاذا انتهت الي غيرها لدلّت علي رب محدود متناهٍ الاتري انك لمتجد الماء المطلق و لكنك بعد ما وجدت افراده متناهية الي افراد التراب عرفت ان نفسه متناهية الي التراب المطلق و كذلك من جميع حالات المياه المقيدة تستدل علي حالات الماء المطلق و لاتزعم من تمثيلي ذلك ان الله سبحانه مطلق و الخلق افراده و لكنه تعالي لايكون مقيّدا بقيد الاطلاق و التقييد بل امره اعظم من ذلك فلكونه تعالي احدا ظهوراته و آياته غير متناهية و كذلك نقول ان الاحد لايتناهي ظهوراته في العداد ايضا فلا بدّ و ان يكون انواع ظهوراته متكثرة فانه ان كان ظهور الواحد الجامع من سنخ واحد لا شك انه يدل علي كونه مصوّرا بهذه الصورة اذ لو كان صورته فوقها لكان افراده متضادّة الاتري الي الماء الذي ذكرناه في التمثيل انا لما وجدنا كلما ظهر فيه الماء جسما باردا رطبا و لميظهر في غيره عرفنا ان ذلك صورته اذ لو كان فوق الطبايع الخاصة لظهر في اخواته ايضا و لكن العنصر الكلي لكونه فوقها ظهر في جميعها و لكنه لميظهر في السموات و اما الجسم المطلق فلكونه فوق جميع الافلاك و العناصر و ظاهرا في جميعها عرفنا انه لايكون مصوّرا بصورة واحدة منها فهو لايكون محدودا بالسماوية و الارضية فبالمضادة بين الاجسام الجزئية عرفنا انه لا خصوصية له منها فاذا كان الامر هكذا في آياته تعالي فكيف الامر فيه تعالي و لذلك

قال عليه السلام بمضادّته بين الاشياء عرف ان لا ضدّ له ، فآيات الاحد جل شانه و تعالي غير متناهية في العداد فلا بدّ و ان يكون في خلقه من اسناخ مختلفة و انواع متشتتة بل لا بدّ و ان يكون من كل سنخ اثنان و ذلك قوله تعالي و من كل شئ خلقنا

صفحه ٣٣٤

زوجين و قال ثمانية ازواج من الضأن اثنين و من المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين و من الابل اثنين و من البقر اثنين الآية ، و ذلك لانه لو كان كلها من سنخ الذكر لدل علي ذكوريته و لو كان الكل من سنخ الاناث لدل علي انوثيته بل لميرض الا انه خلق الوحشي و الاهلي حتي يدل علي خروجه من كل حدّ بل جعل صور الافراد مختلفة متضادة ايضا لتدل علي احديته و بالجملة ليس المراد بسط هذه المسألة و لكني اردت ان لايخلو كتابي من بيانها فنرجع الي ما كنا بصدده فاقول لو كان الملك محتويا علي الحق من غير باطل لدل علي كونه محدودا بالحق و لو كان محتويا علي الباطل لدل علي كونه محدودا به مع انه منزه عن كل صورة فلا بد و ان يكون في الملك حقا و باطلا و نورا و ظلمة ثم ان لذلك جهات اخري و حيوثا اشرنا الي بعضها في غير المقام فهو الذي خلق النور و الظلمة و الخير و الشر و كل شئ و لايكون محدودا بشئ .

اصل اعلم ان الله عادل و من عدله ان لايظلم احدا و لايجبرهم فلو خلق خلقه بحيث لايقدرون علي اكتساب الحق او الباطل للزم من ذلك اجبارهم فان العبد لايملك الا ما ملّكه الله سبحانه فان خلقه علي صورة الحق لايقدر علي اكتساب الباطل و بالعكس بل لو جعل واحدا منهما اغلب فيه مع وجود ضدّه للزم من ذلك جبرهم اذ الخلق يشتاق بطبعه الي ما هو الغالب فيه و يصعب عليه الاتصاف بغيره فلذلك خلقهم بصورة الامكان فقبل الدعوة لايكون احد مؤمنا و لا كافرا بل هو شخص قابل للهداية و عدمها فزيد يوم ولد مثلا يمكن ان يكون مؤمنا و كافرا و عالما و جاهلا و كاملا و ناقصا و مشية الله ايضا تعينه و تساعده في جميع الاحوال فسبحانه و تعالي ما احكم خلقه و اتقن صنعه و لكن الكل في قوة العبد فلايملك بالفعل شيئا منها و هو بنفسه لايقدر

صفحه ٣٣٥

علي اخراج شئ منها من القوة الي الفعلية فلا بدّ في الحكمة و العدل ان يجمع اسباب الجميع في الملك و من اعظم الاسباب وجود المكمل فلا بدّ و ان يكون مكمل للحق و مكمل للباطل اعني حجة من عند الله يهدي الي الرشد و حجة من الشيطان يغوي الي الهلاكة و العبد يكون مختارا بمشية الله المختارة المساعدة له في طلبهما و لو كان الامر بخلاف ذلك للزم الجبر فلذلك جعل الله في ملكه داعيين امامين امام حق و امام باطل دايما الي يوم يستخرج جميع مستجنات الصدور فاذا ختم العمل يهلك الباطل لاجتثاثه و يقوم الحق لبقائه و ثباته و ذلك من القضاء المحتوم الذي لايغيّر اذ ذلك مقتضي عدله و لايتغيّر عدل الله سبحانه ابدا .

اصل كما انه يجب ان يكون داعيان قائمان في ملك الله يجب ان يكونا معروفين يعرفهما كل مكلف بصفتهما و لو لميكن الامر هكذا لماتم الحجة و ان الله سبحانه صاحب الحجة

التامة الكاملة كما قال في كتابه لله الحجة البالغة و قال اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا و قال قد تبين الرشد من الغي و لا شك ان الحق و الباطل خارجان من الامور البدنية فانهما من الامور النفسانية و لايمكن التوصل اليها الا بالادلة فان الامور الظاهرية مكشوفة محسوسة بالحواس ملموسة بالاخماس و يدركها جميع الناس فان الذكورة تعرف من الانوثة بالعين و اللمس و الناس لايحتاجون في معرفتهما الي دليل غير نفسهما و كذلك السواد من البياض و الوجاهة من القباحة و هكذا نعم من فقد مشعر شئ ربما يستدل عليه بالادلة فان من ليس له عين مثلا يستدل علي طلوع الصبح بصوت الديك و اذان المؤذنين و امثال ذلك من انواع البراهين الخارجة و الداخلة و اما من كان له عين فاذا تبيّن له الخيط الابيض من الخيط الاسود يعرف ان الصبح طالع و اهل الكشف دايما مهديّون و اهل الدليل غالبا ضالّون

لايعرفون و اما الصفات النفسانية فامور خفية لاتظهر لاهل الاسماع و العيون الا ان يكون الانسان من اهل النفس فيعرفها و اما اهل المشاعر الظاهرة فاستدلالهم عليها بالادلة الخارجية المدركة بها و لذا لاتكاد تعرف حسن الخلق الا بما تراه من حالات الشخص من ظاهر بدنه و كذلك لاتعرف سوء الخلق الا بما تشاهده من حالاته و هكذا العلم و الذكر و الفكر و ساير الصفات النفسانية و منها الحقيّة و البطلان و النبوة و الامامة و الوصاية و النقابة و النجابة فان كل واحدة منها تعرف من ضدّها بالصفات و العلامات الظاهرة فاطلب في جميع هذه الموارد الدليل حتي تهتدي الي سواء السبيل و لذلك قال الله تعالي قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين .

اصل مقتضي عدل الله سبحانه ان يجعل صفات كل مدعٍ بالباطل شبيهة بقرينه من الحق فان كان الشخص مدعيا للنبوة بالباطل لا بدّ و ان يأتيً بصفات باطلة شبيهة بصفات الانبياء في الجملة و كذلك ان ادعي الامامة بالباطل و هكذا و لكن ذلك في الفتنة الكبري و البلية العظمي و اما اذا لميرد الله ذلك فربما يدعي النبوة من لايعلم الهر من البر كما ادعي السامري الربوبية لبقرته المصنوعة من زينة القوم و لكن ربما يدعي احد النبوة بالباطل و يأتي بسحر عظيم كما فعل مسيلمة او يدعي الامامة و يسند اليه بعض خوارق العادات بل ادعي فرعون الربوبية و ظهر منه التأثير في النيل و وجه آخر ان الله سبحانه جعل الداعين بالباطل لان يقبل اليهم الناس الذين خلقوا للباطل و لو كان اهل الباطل في الدنيا موصوفين بما يليق بهم من الجهل و الحماقة و العجز و الفسوق و العصيان و غيرها لمابقي لاحد عذر يتمسك به في الاقتداء بهم بل لميكونوا يقتدرون علي ذلك لان للناس حوائج كثيرة لا بدّ من وجود مَن يقضيها لهم و لو كان اهل الباطل علي ما يليق بهم من العجز لماقدروا علي الرجوع اليهم و كانوا يأتون اهل الحق طوعا او كرها كما تري انه اذا غلب الحق يوما

يقبلون الناس اليه و لو بالنفاق و بذلك لايحصل مراد الله فانه يريد ان يميز الخبيث من الطيب و اتمام الحجة فلذلك قدّر الله ان يكون اهل الباطل مشابهين لاهل الحق في الجملة و

لذا تري فيهم زهّادا عبّادا مرتاضين علماء و لكنهم مع ذلك اهل الباطل و ليس زهدهم و عبادتهم الا لغير وجه الله و رياضتهم اما للرياء و السمعة او محض الوصول الي بعض الدركات من جهة الباطل فان في مقابلة كل سماء ارضا و مقابل كل جنة نارا الا الجنة الثامنة فانها لا مقابل لها لانها فوق الاضداد و ان جميع ما في عرض الاضداد له قرين من انيته لا محالة و لذلك قال عليه السلام انما سمّيت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق ، و قال لمفضل في علامات ظهور الامام عليه السلام ما معناه انه يقوم اعلام كلها تشبه الحق ﻫ ، فلاجل ذلك لايطمئن نفس الانسان باغلب البراهين فان المعجزة مثلا في الصورة الظاهرة تشبه السحر كما كان في سحرة فرعون و موسي و كذلك سحر ساير السحرة و كذلك في العلم بالنسبة الي العلماء مثلا فربما يأتي المدعي بالباطل بعلوم باطلة تبحر منها العقول و يعجز عن الاتيان بمثلها الفحول كما تري في مميتالدين ابنعربي فانه لايقدر علي الاتيان بمثل ما اتي من العلوم من طريق الحق الا النجيب الكامل فكيف يمكن الاستدلال بهذه الامور الظاهرة علي الحق مع هذه الفتنة العمياء نعم من تراكم الادلة ربما يحصل القطع للانسان بحقيّة احد و لكن لايقدر علي دركها كل احد كما اثبتنا نبوة شخص الخاتم بالادلة القطعية و بعد تراكمها لايشك العاقل في نبوته و لكن بواحدة واحدة من الادلة كيف يطمئن القلب و يسكن النفس فانا اثبتنا مثلا بالادلة ان الخاتم اسمه محمد صلي الله عليه و آله و لايلزم من ذلك ان كل محمد خاتم اذ ربما يشاركه في اسمه غيره من اهل الباطل بل ربما يشاركه في اسم ابيه و امه و لكن لايمكن ان يقوم احد يجمع جميع الصفات المختصّة بالخاتم و يكون اسمه محمدا و احمد و محمودا و اسم ابيه عبدالله و اسم امّه آمنة و جدّه

عبدالمطلب و هاشما و عمه اباطالب و ابن عمه و وصيه و زوج ابنته و ابي ذريته عليّا و يكون من العرب و يقوم من مكة و يهاجر الي المدينة و يدعي النبوة و يأتي علي وفق دعواه من العلوم و المعجزات و ينزل عليه الكتاب و لايكون خاتما و لكن تراكم هذه الادلة لايحصل الا عند آحاد الناس في ازمنة طويلة و لا شك انه اذا قام النبي او الامام او حجة من الحجج و اظهر دعوته و اتي ببينته يجب علي خاص الامة و عامها التسليم له و الاقرار بنبوته و القبول منه و لذا نقول لا عذر لاحد من الناس في الاقرار بحجية كل حجة اظهر امره هكذا و الوقوف بعد بالاعذار غير المشروعة حرام و نري اناسا يسمعون دعوة رجل الي الامام و يظهر امره و يقيم حجته و مع ذلك يتوقفون في امره بمحض الخيالات الناشية من الماليخوليا مثل انه ربما يكون جاهلا و يظهر العلم او يكون فاسقا و يظهر الزهد فالواجب علينا التوقف في امره حتي يتراكم الادلة فانه ربما لايتراكم الادلة لاحد بل سبيل اليقين امر آخر اسهل و اهنأ من جميع ذلك و ان كنت عارفا بالسيرة تعرف شاهد ما ذكرنا في ان الخاتم صلي الله عليه و آله بعد ما قام بالامر قال اني رسول الله ثم اتي بمعجزته يعني القرآن و ساير ما اتي من المعجزات لميكن الا محض التفضل و الا لميكن واجبا عليه الاتيان بغير القرآن ثم من آمن به سمّاه مؤمنا و من لميؤمن به إما قتله او حكم عليه بحكم خاص و نجّسه و اذلّه و لو كان الصبر الي تراكم الادلة جايزا لصبر عليهم لا محالة و كذلك الحال في جميع الحجج بل الامر اسهل و اهنأ فان النبي اثبت حقيّته

بالاعجاز ثم نص علي خلفائه سلام الله عليهم فهم لايحتاجون في اثبات حقيّتهم الي برهان غير نص النبي و جميع ما يطفح منهم من الآثار العجيبة لميكن الا محض تفضّل علي الناس او لانها من لوازم الامامة فان السراج اذا استخلف سراجا يكون له نور لا محالة نعم ربما كانوا يحتاجون الي المعجزات للذين لميروا النبي و لميحصل لهم اليقين بنبوته

صفحه ٣٣٩

بالاخبار و الا فامر الوصاية في حدّ نفسه يثبت باثبات النبوة و كذلك الامر في حججهم و خلفائهم من شيعتهم فانهم لايحتاجون في اثبات امرهم الي برهان سوي ان الحجة امرنا بالرجوع اليهم نعم لتمييز الصادق منهم من الكاذب وصف الامام اهل الحق منهم و الباطل فكل من وجدناه موصوفا بما وصف الامام من علامات الحق نقبل منه بلا عذر كما نصّ لنا عليهم بهذا اللفظ و قال لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا و قد عرفوا بانا نفاوضهم سرّنا و نحملهم اياه اليهم و بالجملة طال المقال لتذكير الرجال في الجملة بقدر ما يقتضيه الحال و الا فليس هذا المقام محل بسط هذه المسألة و مرادنا محض بيان ان الصفات مشابهة في الجملة و ان لميكن بينها مشابهة تامة فان السراب يشبه الماء في بريقه و لمعانه و العطشان البعيد يشتبه عليه الامر فلا بد من فارق بتّي فوري يحصل به القطع بحقية اهل الحق و ذلك لان الله هو المعلم و لايعلم احد الحق من الباطل سواه و هو يهدي السبيل و يهدي من يشاء الي صراط مستقيم و قال لنبيه صلي الله عليه و آله انك لاتهدي من احببت و لكن الله يهدي من يشاء فلا بدّ في الحكمة ان يدل عبده الي الحق و قد ورد اخبار كثيرة في ان المعرفة من صنع الله و لايعرف احد شيئا الا بالله فلا بد من ان يوضح السبيل و يهدي الي الرشد فانا نري ان العالم الشيعي الحق يبيّن العلوم و يقف علي الرسوم و يعبد الله تعالي و العالم السني ايضا هكذا في الصورة الظاهرة فبمحض العلم و العبادة لانهتدي الي الحق و كذلك في الاكبرين نبينا صلي الله عليه و آله قام بالنبوة و تفل في البئر فنبع ماؤه و مسيلمة لعنه الله ادعاها و تفل في البئر فغار ماؤه و لا فرق بين النبع و الغور في كونهما خارق عادة بمحض التفل و ان كان النبع في نفسه اشرف و السحرة القوا حبالهم و عصيّهم فاذا يخيّل اليه من سحرهم انها تسعي و موسي القي عصاه فاذا هي حيّة تسعي و بحسب الظاهر لو لميكن غلبة موسي عليه السلام

صفحه ٣٤٠

لميكن فرق في رؤية الناس و ان كان في الواقع امر السحرة محض التخييل و سحر اعين الناس و امر موسي واقعا كما هو ظاهر من صورة الآية و الله سبحانه قد ابي ان يري الحق باطلا و الباطل حقا و لو فعل هكذا لماأتّضح حجته و لمابقي له حجة علي عباده اذ هم لايعرفون من قبل انفسهم فتدبر في مطاوي هذه الكلمات حتي تعرف المخرج من هذه البلية العظمي و الداهية الكبري و انه ينحصر امرك في ان تقول ان الله اتمّ الحجة بايضاح المحجة او تقول انه رضي منا في معرفة الحق بادلة ظنية لاتسمن و لاتغني من جوع او تقول انه تعالي لميرد منا شيئا و خلقنا لنأكل و نشرب و نلهو و نلعب و نتبع من شئنا فاختر لنفسك ما تحلو فانه لايحصل اليقين يومئذ بحقية الخاتم و غيره بمحض هذه الادلة المعروفة فردا فردا فانك ان قلت ان موسي ضرب بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتاعشرة

عينا يقول المدعي ان فرعون لعنه الله اجري النيل بعد ما انقطع ماؤه و ان قلت ان الخاتم مثلا انطق الحصي يقول ان اهل الافرنج بالشعبذة يظهرون نظائر ذلك و هكذا كل هذه الادلة ادلة عادية لاتوصل الانسان الي اليقين الا بما منحنا الله سبحانه بفضله و جوده فنقول ان الله جعل لاهل الحق علامة و لاهل الباطل علامة و ان كانتا شبيهتين في الجملة و لكنه يسدد اهل الحق و يؤيّدهم و يخذل اهل الباطل و يدحضهم .

اصل نتبرك اولا بذكر آيات تدل علي تسديد الله جل شأنه الحق و اهله و خذلانه الباطل و اهله و ان الله لايخلف الميعاد ، قال الله تعالي انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة و مأواه النار و ما للظالمين من انصار فاذا لمينصر الله المرء و لا رسله و لا ملئكته و لا احد من اوليائه يخذل و قال تعالي و من اظلم ممن افتري علي الله كذبا او كذّب بآياته انه لايفلح الظالمون فاذا لميفلح المفتري و صار ظالما بذلك يفتضح و يظهر بطلان امره مسلما و قال سبحانه يريد الله ان يحق الحق بكلماته و يقطع دابر

صفحه ٣٤١

الكافرين ليحق الحق و يبطل الباطل و لو كره المجرمون ، و قد ورد في تأويل هذه الآية انه يريد ان يفعل ذلك و لميفعل بعد و لميرد الامام (ع) منه ان الله لميحق الحق فان الله يحق الحق دائما و لكن اراد ان احقاق اليوم باتمام حجته و انارة برهانه و ابطال الباطل بادحاض حجته و سيأتي يوم يقطع دابرهم اي نسلهم فلاتري في الارض غير المؤمن و حينئذ يحق الحق كاملا و انما يريد ان يفعل ذلك و لمايفعل و قال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم و شهدوا ان الرسول حق و جاءهم البينات و الله لايهدي القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله و الملائكة و الناس اجمعين خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب و لا هم ينظرون فاذا لميهدهم و اضلهم و لعنهم و طردهم كيف يشتبه امرهم فان الملعون علي لسان الله و الملائكة و الناس يظهر جميع قبائحه و لايختفي امره ابدا و قال سبحانه أجعلتم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد في سبيل الله لايستوون عند الله و الله لايهدي القوم الظالمين و الاستدلال بها مثل الآية السابقة و قال سبحانه أتقولون علي الله ما لاتعلمون قل ان الذين يفترون علي الله الكذب لايفلحون متاع في الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون فمن افتري علي الله لايفلح ابدا فلايشتبه امره نعم يعيش في الدنيا الدنية اياما ثم يدخل نار جهنم و قال تعالي فلما القوا قال موسي ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لايصلح عمل المفسدين و يحقّ الله الحق بكلماته و لو كره المجرمون فقد صرّح تعالي انه سيبطل السحر و لايصلح عمل المفسدين ابدا و يحقّ الحق و يثبته و ذلك ميعاده فانت اذا رأيت ثبوت امر احد و بطلان امر معانديه فاعرف من ذلك بطلان المعاندين لان الله لميصلح امرهم و قال تعالي ذلك ليعلم اني لماخنه بالغيب و ان الله لايهدي كيد الخائنين و ذلك استدلال يوسف علي

صفحه ٣٤٢

برائته من الخيانة فقال اني لو كنت خائنا ماكان الله ليهديني و يفلح حجتي بانطاق الصبي و اراءة الآيات و اقرار النسوة و اقرار زليخا علي نفسها فهذه اسباب الهداية و ثواب

المهتدين و الهداية الي طريق السلامة ثم اعلم ان الهداية امر مطلق شامل للامور الدنيوية و الاخروية فاما الهداية في الدين فان يهدي الله احدا الي دينه الحق الذي ارتضاه لعباده المؤمنين و يعينه و ينصره علي طلب الحق و الهداية في العلم ان يهدي الانسان الي العلم الحق و يهديه الي سواء السبيل و يكشف له عن المبهمات و يحلّ له المعضلات و الهداية في الدنيا ايصاله الي اسباب الثبات و النجاة و الدوام و العزة و الخير بالحجة و الهداية في الآخرة الظفر بالجنة و لقاء الله و الآيات السابقة و الآتية تدل علي عموم الهداية فالله سبحانه يهدي المصلح بجميع انواع الهداية و قال الله تعالي ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله و لهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله و اولئك هم الكاذبون فبعد ما عرفت معاني الهداية تعرف ان الذين لايؤمنون بآيات الله لايهديهم الله و لهم عذاب اليم فلايثبت امرهم و لايقيم عوجهم و لايقويهم و لايعينهم و لايدخلهم الجنة و هكذا و قال سبحانه و الق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ان ما صنعوا كيد ساحر و لايفلح الساحر حيث اتي فالساحر مطلقا لايفلح حيث اتي و الساحر مطلق يعم النمّام لانه (ع) قال اكبر السحر النميمة فلايكاد ينجو الساحر لانه لا فلاح له ابدا و قال سبحانه ان الذين يحادّون الله و رسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم و قد انزلنا آيات بينات و للكافرين عذاب مهين فكل من حادّ الله و رسوله مخزي و كل من ادعي بالباطل من المحادين لا محالة فاذا رأيت احدا يدعي بحضرة الله و لميخزِه فاعلم ان ذلك المدعي علي الحق بحسب عدته و لو كان باطلا لأخزاه علي حسب وعده و ليس اخزاؤه في كل مقام بقتله و انفصام عمره بل يكفي ادحاض حجته و اظهار بطلانه

صفحه ٣٤٣

بايّ نحو امكن و قال و من اظلم ممن افتري علي الله الكذب و هو يدعي الي الاسلام و الله لايهدي القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم و الله متم نوره و لو كره الكافرون و هو ظاهر في ان الله سبحانه يتم نوره اي يكمله يوما فيوما و يظهره و المفتري اظلم من كل احد و قد قال هنا و مرّ سابقا ان الله لايهدي القوم الظالمين فكيف بالاظلمين و قال قل جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وجه الاستدلال ان الباطل مطلقا لايقاوم الحق فبمحض طلوع شمس الحق يزهق ليل الباطل و قال بل نقذف بالحق علي الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق و لكم الويل مما تصفون وجه الاستدلال انه لا بدّ و ان يدمغ الحق الباطل و يهلكه بقوة برهانه و غلبة حجته و لايتبين الحق عن الباطل و الرشد من الغي و لايقوم لله حجة الا بذلك و قال تعالي و جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب ، و ان قيل ان ذلك اخبار عن صنعه بهم و بايّ دليل تجري الحكم في كل مقام اقول الاتري قوله تعالي فكيف كان عقاب فيظهر من ذلك ان عقابه تعالي لمن يجادل بالباطل لادحاض الحق ، هذا و قد قال تعالي سنة الله التي قد خلت من قبل و لنتجد لسنة الله تبديلا و لنتجد لسنة الله تحويلا و قال و ما امرنا الا واحدة فلايتغيّر حكم ذلك بحكم الآية و قال سبحانه و لو تقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين و ذلك في الحقيقة استدلال النبي صلي الله عليه و آله علي حقيّته و يدل ذلك علي انه لميتقول علي الله و كان صادقا و لو تقوّل لاخذ بيمينه بتضعيف برهانه و اظهار بطلانه و اخذ وتينه و كل مَن هذا شانه يفعل به الرب هكذا هذا و نري ان

انبياء الله في استدلالهم استدلوا بمشاهدة الله دعوتهم و لايريدون من ذلك محض رؤيته اذ ربما كان مسلما عند بعض المخالفين و لا محض عقابه في الآخرة فانه لايفيد فائدة في الدنيا فانهم كانوا يدعون الناس

الي انفسهم في الدنيا و العاقل لايدعو الناس الي نفسه بدليل اني لو كذبت ليعذبني في الآخرة اذ ربما يقول ذلك الكاذبون ايضا و لايفيد فائدة و لكن مرادهم من الاستدلال بعلمه و مشاهدته انه يري و يظهر بطلاننا اذا كنا من المبطلين فعلم الله سبحانه بحال الداعين و المدعوين شاهد صدق و دليل محكم قال الله سبحانه و اسرّوا النجوي الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر و انتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء و الارض و هو السميع العليم فابان صلي الله عليه و آله ان الله يعلم قولي و هو سميع به عليم فلو علم انه سحر كان عليه ابطاله و ازهاقه و مع ذلك تهديد لهم انكم اذا اسررتم و تناجيتم بالاثم لئلايطلع عليه المؤمنون يعلمه الله فيعذبكم بذلك و قال كفي بالله شهيدا بيني و بينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا و من يهدِ الله فهو المهتدي و من يضلل فلنتجد لهم اولياء من دونه فاستشهد علي حقيّته بشهادة الله و رؤيته لهم و قال حكاية عن رسل عيسي و القوم قالوا ما انتم الا بشر مثلنا و ماانزل الرحمن من شئ ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فاستدلوا علي حقيّتهم و صدق دعواهم بعلم الله سبحانه فبعد هذه الآيات لايبقي شك في ان الله يسدد اهل الحق و يدحض اهل الباطل .

اصل في سرد بعض الاخبار الواردة في المضمار و لايضرّنا الاستدلال بها في مثل المقام بعد ثبوت امامة الائمة صلوات الله عليهم ببركتهم في غير المقام و لايلزم من ذلك دور و اعلم ان الاخبار الدالة علي تسديد اهل الحق كثيرة متواترة في انواع مختلفة و كذلك الاخبار الواردة في ابطال الباطل و انا اذكر من كل نوع بعضا روي في اكمالالدين عن ابيعبدالله عليه السلام انه قال ابي الله ان يعرّف باطلا حقا ابي الله ان يجعل الحق في قلب المؤمن باطلا لا شك فيه و ابي الله ان يجعل الباطل في قلب الكافر المخالف حقا لا شك فيه و لو لميجعل هذا هكذا ماعرف حق من باطل ، اقول بعد ما ابي الله فلايطمئن قلب

المؤمن بالباطل و لايكاد يعرف الحق باطلا و كذلك الكافر لايكاد يتيقن بباطله و لكن ذلك في بدأ امرهم قبل ان يطبع علي قلوبهم و لكن اذا طبع علي قلوبهم و زاغوا بغلبة الاغراض و الامراض و غيرتهم الاعراض يشتبه عليهم الامر و عنه في قول الله عز و جل و اعلموا ان الله يحول بين المرء و قلبه قال يحول بينه و بين ان يعلم ان الباطل حق و عنه قال لايستيقن القلب ان الحق باطل ابدا و لايستيقن ان الباطل حق ابدا ، و هذا ايضا حكم بتّي و ذلك نوع من تسديد الله سبحانه انك اذا رأيت ان قلبك لايسكن ببطلان احد و تتزلزل فيه دايما مع خلو قلبك عن العرض و المرض و عدم ثبوت برهان من عند الله علي بطلانه فاعرف انه حق من عند الله و من هذا القبيل ورد غير ما رويناه ايضا و نحن نروي بعضا من كل نوع و سمع عليه السلام يقول ان مما اعان الله علي الكذّابين النسيان انتهي ، فالحمد لله علي هذه النعمة و بعد ذلك كيف يشتبه امر الكاذب بالصادق و ذلك امر

مجرب ان الكاذب لايكاد يتّحد قولاه فانت اذا سألته اليوم عن مسألة يجيب بجواب كذب و اذا سألته غدا عنها بعينها يجيب بخلاف قوله و اما الصادق فقوله دايما مأخوذ من اصل و لايتكلم الا من عند ربه فقوله دايما واحد و عنه عن آبائه عن علي عليهم السلام قال ان علي كل حق حقيقة و علي كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوا به و ما خالف كتاب الله فدعوه و قال ابوعبدالله عليه السلام خبر تدريه خير من عشر ترويه ان لكل حق حقيقة و لكل صواب نورا و عنه انه قال للزنديق الذي سأله من اين اثبتت الانبياء و الرسل قال انا لما اثبتنا ان لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق و كان ذلك الصانع حكيما متعاليا لميجز ان يشاهده خلقه و لايلامسوه فيباشرهم و يباشرونه و يحاجّهم و يحاجّونه ثبت ان له سفراء في خلقه يعبّرون عنه الي خلقه و عباده و يدلونهم علي مصالحهم و منافعهم و ما به بقاؤهم و في تركه فناؤهم فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم في خلقه و المعبّرون عنه جل و عز و

هم الانبياء و صفوته من خلقه حكماء مؤدبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للناس علي مشاركتهم لهم في الخلق و التركيب في شئ من احوالهم مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمة ثم ثبت ذلك في كل دهر و زمان فما اتت به الرسل و الانبياء من الدلايل و البراهين لكيلايخلو ارض الله من حجة يكون معه علم يدل علي صدق مقالته و جواز عدالته ، انظر الي كلامه عليه السلام فانه جعل من علامة الرسول كونه مؤدبا بالحكمة مؤيدا بها فالنبي لايخالف الحكمة في مورد من الموارد و جميع امره و فعله و حالاته موافق للحكمة و كذلك يقول حجة يكون معه علم الخ ، فالرسول الحق له علامة يعرف بها و لايشتبه امره ابدا و قيل له جعلنا الله فداك قوله تعالي و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و انك لتهدي الي صراط مستقيم قال يا بامحمد خلق اعظم من جبرئيل و ميكائيل كان مع رسول الله يخبره و يسدده و هو مع الائمة عليهم السلام يخبرهم و يسددهم ، اقول بهذا المعني اخبار متواترة فاذا كان النبي مؤيدا بروح القدس لايكاد يشتبه امره بغيره و كذلك ورد اخبار في انه كان مع الانبياء و الاولياء و ينطق من لسانهم فلايشتبه امر الحق ابدا و عن ابيجعفر عليه السلام ان روح القدس لاتلهو و لاتلعب فلايشتبه امر اللاعب و اللاهي به و سمع ابوعبدالله عليه السلام يقول لبعض اصحاب قيس الماصر ان الله عز و جل ادّب نبيه فاحسن تأديبه فلما اكمل له الادب قال و انك لعلي خلق عظيم ثم فوّض اليه امر الدين و الامة ليسوس عباده فقال عز و جل ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهيٰكم عنه فانتهوا و ان رسول الله صلي الله عليه و آله كان مسددا موفقا مؤيدا بروح القدس لايزل و لايخطي في شئ مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله و عنه قال و ماعلم رسول الله صلي الله عليه و آله ان جبرئيل من قبل الله عز و جل الا بالتوفيق

انتهي ، فاذا رأيت احدا يدعو الي الله و يوفّقه الله و يمدّه باقامة حجته و انارة برهانه و ترقيته في العلم و الحكمة فاعلم انه من عند الله و لو كان من عند غير الله لابطل امره و

لميوفقه و من تفسير الامام عليه السلام في ضمن قوله تعالي ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية ، في محاجّة رسول الله صلي الله عليه و آله لليهود يا اخوة اليهود ان الدعاوي يتساوي فيها المحقون و المبطلون و لكن حجج الله و دلائله تفرق بينهم فتكشف عن تمويه المبطلين و تبيّن عن حقائق المحقين و رسول الله محمد لايغتنم جهلكم و لايكلفكم التسليم له بغير حجة و لكن يقيم عليكم الحجة التي لايمكنكم دفاعها و لاتطيقون الامتناع من موجبها الي ان قال : فهذا رب العالمين قد وعدني ان يظهر لكم ما تقترحون ليقطع معاذير الكافرين منكم و يزيد في بصائر المؤمنين منكم قالوا قد انصفتنا يا محمد فان وفيت بما وعدت من نفسك من الانصاف و الا فانت اول راجع من دعواك النبوة الحديث ، انظر كيف استدل صلي الله عليه و آله علي حقيته بالتسديد و التقرير من الله تعالي و رضي بذلك اليهود و كذلك يجب علي كل احد ان يرضي عن انبياء الله بتصديق الله و كفي به حاكما و نصيرا و عن جابر عن ابيجعفر عليه السلام في خبر يذكر فيه الائمة و هم المعصومون المطهرون الذين لايذنبون و لايعصون فهم المؤيّدون الموفّقون المسددون بهم يرزق الله عباده و بهم يعمر بلاده و بهم ينزل القطر من السماء الحديث ، و قيل للرضا عليه السلام ان في سواد الكوفة قوما يزعمون ان النبي لميقع عليه السهو في صلوته فقال كذبوا لعنهم الله ان الذي لايسهو هو الله الذي لا اله الا هو قيل قلت يا ابن رسول الله و فيهم قوم يزعمون ان الحسين بن علي لميقتل و انه القي شبهه علي حنظلة بن اسعد الشامي و انه رفع الي السماء كما رفع عيسي بن مريم و يحتجون بهذه الآية و لنيجعل الله للكافرين علي المؤمنين سبيلا فقال كذبوا عليهم غضب الله و لعنته فكفروا بتكذيبهم

النبي اخباره بان الحسين بن علي سيقتل والله لقد قتل الحسين و قتل من كان خيرا من الحسين اميرالمؤمنين و الحسن بن علي و ما منا الا مقتول و انا والله لمقتول بالسم باغتيال من يغتالني اعرف ذلك بعهد معهود اليَّ من رسول الله اخبر به جبرئيل عن رب العالمين و اما قول الله عز و جل و لنيجعل الله للكافرين علي المؤمنين سبيلا فانه يقول و لنيجعل الله لكافر علي مؤمن حجة و لقد اخبر الله عن كفار قتلوا النبيين بغير الحق و مع قتلهم اياهم لميجعل الله لهم علي انبيائه سبيلا علي طريق الحجة ، فظهر من هذا الحديث الشريف ان التسديد و التأييد باقامة الحجة و ان لايغلب باطل علي الحق في البرهان لا المال و الاولاد و العمر و السلطنة بل يصير اهل الحق في يد اهل الباطل مقهورين مظلومين مقتولين و مع ذلك هم منصورون بظهور حجتهم و حقيّة علمهم و عملهم فلاتغفل و لكن الناس اكثرهم لايعقلون و اري جماعة يستدلون علي ابطال حق ذي حق بموته و فقره و بلائه و لا دلالة في شئ من ذلك علي بطلانه بل اهل الحق دايما مبتلون و البلاء هدية الله اليهم و لميكن نبي و لا وصي الا و هو مبتلي بنحو بلاء و اشدّ الناس بلاءا نبينا و ائمتنا و لميكن ذلك الا لتقربهم من الله و لكن الشأن في قوة برهانهم و عزّة اسمائهم انظر الي شريعة نبينا صلي الله عليه و آله انها تتقوي يوما فيوما و يتضعف غيرها حتي ان اعداءه يصدقون بحقيّة احكامه مع انه كان مظلوما و اولياؤه كانوا مغصوبين مظلومين و جميع الرواة عنهم كانوا في هذا الحال و مع ذلك بلغ امرهم الي اعنان السماء و ان شئت ان تعرف مثل ذلك علانية انظر الي احمد بن زينالدين اعلي الله مقامه في اعلي عليين انه

قام لنشر فضايل ساداته و اعلان حكمتهم و اسرار علومهم بلا ناصر و لا معين و لا قرابة و لا عوين و لا مال و لا سلطان و لا سيف له سوي حق البرهان و لم‌يصدّقه الا جماعة قليلة من المؤمنين و انكره الاكثرون و المنكرون كانوا افواجا و لهم جميع اسباب القوة في الدنيا من الجاه و المال

صفحه ۳۴۹

و الاولاد و القبايل و كان بعضهم مجتهدين اولي فتاوي و احكام و قد جمعوا و عزموا علي ابطال امره بانواع الاقسام حتي انهم تمسّكوا باهل السنة و الجماعة لذلك و مع ذلك نصره الله و اعزّ جنده و هزم الاحزاب وحده فاظهر امره و ادحض حجة اعدائه و قطع دابرهم و لم‌يبق منهم عالم مطاع و لا كتاب معمول به و لا مرشد مرتاض و لا حلقة من مردتهم و لا برهان يفيد لاحد شيئا و اظهر يوما فيوما بطلان قول علمائهم و اغراض مقلديهم و اعلي يوما فيوما اسمه و اوضح حقيّته حتي صار اعداؤه مادحيه يومنا هذا ، و الفضل ما شهدت به الاعداء ، و بالجملة فهذا معني التسديد لا ما زعمه الناس و كذلك اليوم انظر الي حال الناس فاخرج من بينهم كل من لايصلح للعلم الحق طائفة بعد طائفة حتي ينحصر الامر لك في طلبة العلم فاخرج منهم كل من عاداه و خالفه اذ ثبت لك حقيته و بطلان معانديه فينحصر الامر في الطلاب من احبائه فاخرج منهم من لايصلح لان يعدّ من العلماء فلايبقي لك الا اناس معدودن فانظر فيهم فكل من وجدته بنفسه مذبذبا حيرانا لايقف علي قول و رأي و لايظهر الله منه علما كافيا و برهانا قاطعا فاخرجه من الحلقة و كذلك اخرج منها كل من تكلم بما ظهر لك بطلانه من الكتاب و السنة و ضرورة المذهب و خالف مراد شيخنا و لم‌يقف علي علمه و هكذا تعرف حال كل احد حتي تقف علي من يتبع شيخه حذو النعل بالنعل و القُذّة بالقُذّة و يظهر العلم و الحكمة و يري منه آثار التوفيق ساعة بعد ساعة و آثار الزيادة و الترقية في العلم و الحلم و الزهد و الورع يوما فيوما و انفصام حجج مخالفيه يوما فيوما و خوف الناس منه و ارتعاش الناس من سطوته فذلك هو الحق من ربك و معرفته للقلوب السليمة اسهل من شرب جرعة من الماء اذا دخلت من بابه و بالجملة كان مرادنا رواية الاخبار علي نهج الاختصار و اخبار الباب اكثر من ان تحصي فثبت و الحمد لله بالكتاب و السنة ان اهل الحق مسددون مؤيّدون .

صفحه ۳۵۰

اصل اذا عرفت بالبرهان ان الله تعالي يسدد الحق و اهله فاعرف حقيّة نبينا و صدق دعواه بتسديد الله اياه و الاشارة الي وجه تسدده و تأيّده لتنبيه الغافلين و ايقاظ الراقدين انه صلي الله عليه و آله قام بامره في فترة من الرسل و طول هجعة من الامم و الناس بين يهود و نصاري و مجوس و عبدة الاوثان و الاحجار و الاشجار و البهائم و كفّار غافلين لايقرّون باله و كلهم مع ذلك جاهلون غافلون و لايطلب احد منهم دينا الا اقل قليل منهم و كانوا معاندين للحق و اهله و انت تري آيتهم في يومك هذا ان الناس بطبعهم معاندون للحق مرافقون لجميع الخلق و لو لم‌يكونوا علي منهاجهم كما تري علانية جماعات من الذين تسمّوا بمسلمين و تلبسوا بلباس المؤمنين مختلفين في الآراء و العقايد منازعين في الامور حتي انك لو كشفت عن ضمائرهم لرأيت بعضهم اعداء بعض و مع ذلك كلهم

مجتمعون في عداوة الحق فاذا ذكرت عندهم الحق و اهله يتفقون مع عداوتهم و منازعتهم و مخالفتهم علي اطفاء نور الحق فتحسبهم من شدة اتفاقهم علي ذلك جميعا مع ان قلوبهم شتّي فاذا كان هذا حالهم بعد تربية الاسلام و دخولهم بحسب الظاهر في حوزة اهل الايمان فما ظنك بحال جماعة لميشاهدوا نبيا و لميروا وليا و عاشوا كالبهائم حياري تائهين و تقلدوا لآبائهم و اتبعوا آراءهم حتي ان عداوة جماعة منهم للحق كان في حدّ كانوا يتجسسون عن النبي في صغره ليقتلوه لما اخبرهم اهل الكتاب و الكهنة بكونه نبيا هذا قبل بعثته فما ظنك بحاله بعد بعثته فعاش بين جماعة هكذا و هو يتيم وحيد فريد لا اب له و لا ام و لا اخ و لا اخت و لا ناصر و لا معين و جميع اعمامه و اقربائه من قريش و بنيهاشم كانوا اعداءه الا ابوطالب و بعض ولده و حمزة و خديجة و الباقون دايما كانوا بصدد قتله و اذيته بل رجموه مرّة بالاحجار و شتموه كرّات و عدّوه مجنونا و حبسوه في بعض جبال مكة و منعوا عنه الطعام و الشراب و كانوا يمنعون الناس عن ملاقاته و استماع قوله و هكذا آذوه بانواع الاذي

فانصف في نفسك في حال هكذا هل جري العادة بحياة الانسان فضلا من علوّ اسمه و ظهور امره لا شك في انه لو لميكن ما كان لميبق حيا بل كان ينبغي ان يموت من الجوع و العطش فضلا من سائر الصدمات مع انه صلي الله عليه و آله كان في حال الفقر و الفاقة بحيث لميكن له مال بقدر ان يصرف في معاشه او اهبة سفره في هجرته و مع ذلك كله انظر كيف نصره الله و اعزّه و اعلي اسمه و اذلّ عدوه فقتل كبار اعدائه بيده و جعلهم عبيده و اماءه خرج من مكة فردا و رجع يوم فتح مكة في حال فرّ الاكابر من خوفه كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة و علا سلطانه بحيث لميبق في الارض سلطان الا ذلّ له الا اقل قليل و فتح له البلاد و سخر له العباد و قد جعل بنات السلاطين اماءا لادني رجل من امته و قد جعل الكتاب الذي كانوا يعدّونه سحرا حرزا يحترز به السلاطين العظام و شرعه فوق جميع الاحكام ، انظر الي آثار تسديد الله و تأييده انه هكذا ينصر عبده فمن ذلك اعرف انه الحق من عنده تعالي و كذلك بهذه القاعدة السديدة تعرف حقيّة كل من يدعي امرا فان رأيت ان الله نصره فاعرف انه الحق و اعلم انه لايلزم تسديد الباقين بهذه القاعدة و قد مرّ سابقا ان التسديد الشايع الجاري في جميع المسددين تسديد دليلهم و برهانهم و لكن النبي لكونه مبدءا و صاحب شريعة لو لميتسلّط علي الخلق و لميركب علي اعناقهم لميكن يظهر امره و ينتشر حكمه هذا و لو قتل باسيافهم لماقام للاسلام عمود و مااخضر له عود اذ لميكن نبي بعده يبعث فيظهر تمام شرعه مع انه لميجرِ عادة الله بان يقتل اولوا العزم من الرسل بسيوف الاعداء و كانوا مسلطين علي الناس قاهرين غالبين فلذلك لميرضَ له الا هذا النحو من التسديد و اما من بعده فيكفي التسديد باقامة البراهين البيّنة فاذا قام شخص و اتي علي مدعاه برهانا قاطعا يصدق و لو قطعه اعداؤه اربا اربا و لو لميقدر علي اظهار امره كما كان في الانبياء الماضين و الاوصياء فاياك اياك ان يشتبه عليك امر و تنكر حقا

بقلّة المصدقين فيمكن ان يقوم احد مدعيا لامر مع البرهان و لميصدقه الا واحد ثم يقتل باسوأ قتل فانه مسدّد مؤيّد لا محالة و قد قتل الناس من انبياء بنياسرائيل من اول الفجر الي طلوع الشمس سبعين نبيا ثم جلسوا في اسواقهم و باعوا و اشتروا و لميبالوا بما صنعوا من الفعل القبيح و لميكشط السماء و لميخسف الارض فان عادة الله جرت بمظلومية اهل الحق و بالجملة هذا الامر ظاهر بيّن و لكني اري المشبهين يوسوسون في صدور الناس بامثال هذه الشبهات و لذلك بسطت القول في الجملة لرفع الاشتباه و يكفي هذا القدر من البيان في النبوة ان شاء الله و اما فضائل الخاتم صلي الله عليه و آله فهي اكثر من ان تعدّ و تحصي قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا و لكني في هذه الينابيع اتبرك بذكر بعضها مع فضائل الائمة عليهم السلام في مقام واحد بعد الامامة و ذكرت من فضائل الانبياء سلام الله عليهم سابقا بعضها و يشاركهم الخاتم صلي الله عليه و آله فيها بل هو اصلها و منشأها و مبدؤها فان العصمة اصلها له و فرعها في ساير الانبياء و المعجزة اصلها له اذ هو مؤثر الكل و فرعها للباقين و كذلك ساير الفضائل و سيجيء ان شاء الله بيان ذلك مفصلا بعد ذلك و لا قوة الا بالله العلي العظيم و اما المعراج و ان كان بنفسه مسألة معضلة و معرفتها صعبة مستصعبة و ينبغي ذكرها في مثل المقام و لكن لما كان مرادي ذكر الكليات التي تتفرع عليها ساير المسائل اقتصرت عليها و تركت بيانها و ارجو من الله سبحانه ان يعرف الطالب من الكليات المندرجة في هذه الرسالة الشريفة جميع المسائل في الفضائل و غيرها ان كان من اهل الخبرة و البصيرة .

المقالة الثالثة في الامامة و فيها مقامات :

المقام الاول في اثبات الامامة و هي في يومنا هذا امر ثابت لايحتاج الي دليل و برهان و لكن من باب التيمن و التبرك بذكرها نتبرك بذكر بعض الادلة ان شاء الله و ان احببت تفصيل الادلة فراجع كتب مولاي و سيدي ابي العلامة اعلي الله له المقام كالفطرة السليمة و ارشادالعوام و في هذا المقام فصول :

فصل اعلم ان وجه الحاجة الي السايس امر ثابت قائم دائم ايا كان فان كان وجه الحاجة كون الناس مدني الطبع مختلف المزاج لعمارة المدينة بذلك و بسبب اختلافهم يكثر حاجتهم الي السايس لمنعهم عن الشقاق و النفاق و امرهم بالاتفاق فذلك امر دائم لايزول فان الخلق من يوم خلقوا مدنيوا الطبع مختلفوا المزاج الي يوم يحشرون و لو كان امرهم بخلاف ذلك يوما لزال اجتماعهم و تفرقوا في الارض و الجبال مثل البهائم و الحشرات و ماحصل منهم الغاية المنظورة فلا بد من اجتماعهم دايما و لايكاد يتفق طبايعهم يوما مّا لحكم كثيرة منها انهم من عرصة التفصيل و الاختلاف و هي العناصر المختلفة غير المؤتلفة و قد قبض الله منها لخلقهم قبضات مختلفة لان اياديه سبحانه في قبضها مختلفة اذ هي شعلات هذه النجوم و هي مختلفة بحسب القرانات و المزاجات كما لايخفي بل انواع اختلافاتهم متشتتة حتي ان اهل الاعصار يختلف امزجتهم و حالاتهم فيكثر بذلك بينهم التنازع و قد مرّ سابقا في النبوة شطر من حكم ذلك فلا بدّ في حكمة الله عز و جل ان ينصب بينهم حاكما معصوما مطهرا خارجا من حدّ الطبايع عالما بالمضارّ و المنافع و الا

لماحصل الغاية و مابقي الخلق سالمين فانهم باختلاف طبايعهم كان يفني بعضهم بعضا و يهلك بعضهم بعضا فان الصفراوي يعادي البلغمي و يهلكه و البلغمي يعادي الصفراوي و يهلكه كما تري ان النار تعادي

صفحه ٣٥٤

الماء و مهما سلّطت عليه ابادته و غيّرته و افسدته و كذلك الهواء لو سلّط علي واحدة منهما و كذلك الامر في التراب فالمولود الحاصل منها امره هكذا فان كل شئ يحبّ مجانسه و يتقوي به و يبغض مخالفه و يتضعف به فيسعي في افنائه دائما الا ان يمنعه مانع فلا بدّ من وجود حكم بينهم يحفظهم من ذلك و هو حجة الله عليهم فالحاجة ماسّة الي وجود حجة لله دائما و ذلك مما لا شك فيه و لا ريب يعتريه و غير ذلك من الادلة الظاهرية علي لزوم وجودهم في جميع الازمنة كثيرة و لكن الزمان تغيّر و الخلق ترقوا و لايقنعون بالادلة الظاهرية فلا بد من ذكر بعض الادلة الحكمية الغيبية الالهية النبوية علي ذلك فاصغِ لما اقول حتي تفوز بالمأمول .

فصل اعلَم ان الله سبحانه ذات غايبة عن الانظار عالية عن رؤية الابصار فانه تعالي فوق كل شئ بلا نهاية فلاتدركه الابصار و لاتحويه خواطر الافكار و لاتمثّله غوامض الظنون في الاسرار لا اله الا الله الملك الجبار و ذلك امر ثابت في جميع القرون فان احدا لايعرف ربه و لو في القيامة و لاتزعم ان الخلق يستغنون عن معرفة الله يوما او يقتدرون علي دركه و معرفته يوما فانه تعالي لايكاد يجانسهم يوما مّا ابدا فلايدركونه يوما و يحتاجون الي معرفته لانها العلة الغائية كما مرّ سابقا فلا بدّ من مرآة له تعالي في كل عصر و زمان حتي تحكي عنه و تدل الخلق اليه ففي الازمنة السابقة بعث الانبياء متوالية و بعد الخاتم لايقتضي الحكمة بعث الرسل فقام اوصياؤه للدلالة علي الله فلو لميقم امام من عند الله بعد الخاتم يحكي عن الله لفسد نظام الملك و ماحصل المعرفة التامة الكاملة به تعالي لعدم وصول الناس الي الذات و عدم تنزل الذات اليهم فتدبر في ذلك .

فصل اعلم ان الله سبحانه ذات احدية لاتثنّي و لاتجزّي فتكون مركّبة فان كل مركب حادث زائل و هو تعالي قديم جل شأنه و قد تجلّي بامر واحد

صفحه ٣٥٥

و هو و ان كان مركبا في الواقع الا انه مركب بتركيب لاينافي الوحدة و البساطة و ذلك قوله تعالي و ما امرنا الا واحدة فامره تعالي واحد و الامر الواحد لا اختلاف فيه و كذلك الامر المفعولي الصادر منه ايضا واحد لانه ظهوره فلا اختلاف فيه ماتري في خلق الرحمن من تفاوت ، فظاهره مع باطنه و باطنه مع ظاهره و كل واحد منهما وفق صاحبه و الظاهر عنوان الباطن و الغيب اصل الشهادة و قال عليه السلام الظهور تمام البطون و البطون تمام الظهور كليات الحكمة ما لمتكن تامة في ظهورها تامة في بطونها كانت الحكمة ناقصة من الحكيم ، فجميع ما هو ثابت في الغيب لا بد له من عنوان في عالم الشهادة و جميع ما هو ثابت في الشهادة لا بد له من اصل في الغيب فاذا رأينا شيئا في هذا العالم نستدل به علي الغيب و الا فلا و ذلك امر مسلّم بديهي الا ان درك حقيقته لايخلو من صعوبة فاذا رأينا في الملك ابدانا حيوانية نستدل بها علي الروح الحيواني الغيبي و اذا

رأينا ابدانا انسانية نستدل بها علي الروح الانساني الكلي و ان لميكن في جزء من اجزاء هذا الملك بدن يحكي عنه لايستدل عليه لا محالة و كذلك الامر في ابدان الحجج صلوات الله عليهم بالنسبة الي اسماء الله و صفاته فان بوجود الحجج نستدل علي وجود اسماء الله و صفاته بالفعل و ان قلت ان القوابل الكونية كالسماء و الكرسي و العرش تحكي عنها اقول انها قوابل مفردة و غاية حكايتها عن اسماء جزئية و لاتحكي عن الاسم الجامع مع ان كل واحد منها مبهم في حدّه و لايحكي الا بالابهام فلا بدّ من وجود حجة جامع مركب من جميع القبضات حتي يصلح لحكاية الاسم الجامع متعينا و لو لميكن هذا الوجود لبقي الاسم المبارك في قوة الملك كما انه لو لميكن قابلية الدخان لماخرج النار الغيبية من كمون الاشياء و بقيت في قوتها و ان حكي بعض الاشياء نورا و بعضها حركة ضعيفة و بعضها حرارة بلا نور و لكن حقيقتها تبقي مختفية حتي تظهر قابلية مستعدة لحكاية جميعها و كذلك الامر في الاسم الجامع

فانه لايظهر في غير القابلية الجامعة و ساير القوابل تحكي جهاته و حيوثه و بعض ظهوراته ثم لا شك ان حاجة الخلق الي الاسم الجامع دائمة فانه الذي به قامت السموات و الارضون و خلقت الخلايق اجمعون فان جميع الاسماء الجزئية شؤنه و اياديه و لا عمل لها بدونه كما ان صفاتك الجزئية جارية بفعلك المطلق فلايمكن ان لايكون الاسم الجامع بالفعل و يكمل الخلق فان هذا شئ محال فلا بدّ و ان يكون حامله ثابتا قائما دائما و هو الحجة من الله بل اقول ان ساير الحجج لايحملون الا ظاهره و الحامل الحقيقي له آلمحمد سلام الله عليهم فلا بدّ و ان يكون واحد منهم دائما قائما في هذا الملك غاية الامر ان وضع الملك يتفاوت يوما فيوما و في كل يوم يقتضي ظهورهم بوضع خاص و لباس مخصوص بل ربما يقتضي زمان من الازمنة خفاؤهم اياما و تأثيرهم من وراء الحجب و ذلك بحسب مصلحة الملك و الخفاء لاينافي الوجود الفعلي فافهم ذلك و تدبر .

فصل اعلم ان امر الله سبحانه واحد في جميع ملكه كما ذكرنا و ماتري في خلق الرحمن من تفاوت ، فجميع ما في الانسان الصغير في الانسان الكبير بلا فرق و ان ابيت الا الدليل القشري الطبيعي اقول ان الانسان ولد هذا العالم الكبير و قد خلق بين السماء و الارض و السماء ابوه و الارض امه و لذا اشتهر في الالسنة و الافواه الآباء العلوية و الامهات السفلية و بعد ما قدّر الله خلق انسان او شئ يلقي شعلات الكواكب في رحم الارض او رحم انسان و الامر فيهما واحد فيستخرج بها ما استجنّ في قابلية الارض من مثلها علي تفصيل سيجيء في علم البدأ ان شاء الله و لا شك انها لاتخرج من مكمنها الا ما هو بالفعل فيها و ذلك امر مسلّم ان المكمل لايكمل الا مثله فعلي ذلك جميع ما في الملك ينبغي ان يكون في الانسان اذا بلغ حدّ الكمال و لذلك نقول انه قد جمع جميع ما في هذا العالم حتي الجبال

و القلال و الاشجار و الانهار لانه ولد الملك و الولد يشبه والديه و لو نوعا فنحن بعد ما نظرنا في الانسان الصغير رأينا ان الله سبحانه قد جعل له قلبا و اعضاءا و جوارح و

جعل القلب حاكما علي جميع الاعضاء و جميع الاعضاء دائرة عليه مستمدة منه و هو ممدّ للكل و منه حياتها و بقاؤها و هو اول حي منها و آخر ميت و لايكاد ينتظم ملك البدن بدونه و هو المدرك من كل المشاعر و المصلح لجميعها الاتري انه اذا خلج في رجلك شوك تجعل رجلك الاخري اسطوانة لها و تنصبها عليها و تقوس ظهرك و تفتح عينك و تصل بين اصبعيك لاخذ الشوكة و ان لمتقدر علي ذلك تستعين بآلة اخري انظر منذا يجمع بين الاعضاء المختلفة و يجعل بعضها معين بعض سوي القلب و ان قلت ان نفس الاعضاء تفعل هكذا اقول ان كانت انفسها فاعلة لذلك فلمَ لاتفعل هكذا حين نومك و توفي روحك و حين غفلتك عن البدن فانا نري انك حين غفلتك ربما تضرب يدك علي عينك و لاترضي بفعالك فيظهر من ذلك ان القلب هو الجامع لها المؤلف بينها و هو الذي يعينها علي ذلك و يصلحها و كذلك الامر في هذا الملك اذا رأيت ان اجزاءها تعين بعضها بعضا و ينتفع بعضها من بعض و يدور بعضها علي بعض و يصلح بعضها بعضا فاعرف من ذلك ان للملك قلبا هو الذي يأمر و ينهي و يصلح و الا فالاعضاء المختلفة كيف تعين بعضها بعضا و تصلح بعضها بعضا و ان ذلك امر ظاهر بيّن و انا استدل في المقام ايضا بنحو استدلال هشام ان البدن الانساني بهذا الصغر لايصلح الا بالقلب و هو الحاكم عليه و الملك العظيم بهذا العظم كيف يصلح بلا قلب فان الملك العظيم اولي بذلك من الملك الصغير .

فصل اعلم ان النبي صلي الله عليه و آله بعث لان يكون آية التعريف و التعرّف و لولاه لماعرف الله جل شأنه اذ هو القائم مقام الله في الاداء و لا شك انه صلي الله عليه و آله ايضا فوق مشاعر الخلق لانه اول الخلق حيث

لا سماء مبنية و لا ارض مدحية و لا ملك و لا جن و جميع الخلق انواره بل صنايع يده فلايكادون يعرفونه ابدا فلايحصل الفائدة التي خلقه الله لها و هي المعرفة كما اشرت فلا بدّ و ان يجعل الله بينه و بين الخلق بابا حتي يعرفوه و يتمكنوا من الوصول اليه و التمسك بحبله و الاعتصام به و الانتفاع منه فلذا جعل وصيّه بابه و صراطه و ذلك قوله صلي الله عليه و آله في الحديث المتواتر انا مدينة العلم و علي بابها و كذلك قال انا مدينة الحكمة و علي بابها ، فلا بدّ من الدخول اليها من الباب و من اراد غير ذلك لايكاد يصل اليه ابدا قال الله تعالي في محكم كتابه و أتوا البيوت من ابوابها فمحمد صلي الله عليه و آله باب الله و لكنه غيب ممتنع لايدرك و الامام بابه و صراطه و هو من حيث اعلاه متصل بالنبي و من حيث اسفله متصل بالخلق فالخلق يهتدون به الي النبي الذي هو المراد و المقصود و القائم مقام الله و لكونه قائما مقام الله يكون المقصود بالذات هو هو و الامام سبيله و لايكاد يسبقه افئدة الخلايق و لو بكشف السبحات و لايعرفون غيره و لو بطي المراحل الي خالق البريات اذ هو غاية الغايات و نهاية النهايات فافهم الاشارات في ضمن العبارات فلا بد من وجود الامام في حياة النبي و بعده دائما و محال ان ينطق النبي بدونه و لذلك لميبعث بالنبوة الا بعد ظهور الولي عليه السلام و لولاه لمانطق ابدا اذ لميكن ثمرة لدعوته لان الناس لميكونوا يعرفونه هذا و قد مرّ سابقا ان الولي نفس النبي و النبي عقله و العقل مادة و النفس صورة و ظهور المادة جميعها بواسطة الصورة و لولاها لماعرف المادة اذ هي

جوهرة سائلة غير محدودة و التعريف و التعرّف ينحصر في الحدّ و الصورة و لذا يقال تعرف الاشياء باضدادها و المادة السايلة لا ضدّ لها و لذا لا اختلاف فيها و ذلك قوله (ص) لا اختلاف في الله و لا فيَّ و لكن الاختلاف فيك يا علي ، فالذات بريئة عن الاختلافات لانها احدية و النبي (ص) ايضا فوق الحدود لانه معنوي لايقع عليه اسم و لا شبه فالاختلافات كلها

في مقام النفس التي قال الله تعالي فيها عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، و قال علي عليه السلام اي نبأ لله اعظم مني ، فافهم فظهر لك من هذا الدليل الشريف ان الولي وجوده لازم مع النبي و بعده في جميع الاحوال .

فصل لما صار الاصل و العماد في المعرفة الولي و هو باب الي النبي صلي الله عليه و آله فلا بدّ من وجود ولي دايم له في الملك بعد ظهوره سواءا كان النبي بنفسه ظاهرا ام لا لان ظهوره و غيبته علي السواء بالنسبة الي الولي اذ هو يطلع عليه بل هو موصول به و يستمد منه و لكن الخلق محرومون عن دركه و لكن وجود الولي امر لازم في الملك الي يوم ينفخ في الصور و لو اخلّ الله سبحانه بهذه الحكمة لماعرف بعد و صار الخلقة لغوا و لذا جعل اوصياءه متعددين هذا و كان يمكن ان يكون له وصي واحد ثابت قايم حي دايم و لكن مرّ سابقا الاشارة الي ذلك في الجملة و سيجيء ان شئون الوصاية اثناعشر و لا بد من ان يحملها اثناعشر بل كان اوصياء جميع اولي العزم بهذا العدد الشريف و لذا نصّ عليه الله في كتابه بقوله ان عدة الشهور عند الله اثناعشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات و الارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلاتظلموا فيهن انفسكم و لو كان مراده تعالي شهور السنة لماصرّ عليها بهذا الحد و ماجعلها دينا قيّما فان امر الشهور و السنوات اهون من ذلك عند الله الاتري انه تعالي لميبيّن امر الاسابيع و الايام بهذا النحو بل في السنة ايام متبركة لميذكرها الله في ظاهر كتابه و لو كان امر عدد الشهور بهذه العظمة لكان امر ايامها و لياليها ايضا عظيما و كان الاحري ذكرها و الاصرار عليها و مع ذلك نري انه تعالي بيّن امر الشهر بهذا الابرام و لميذكر من اجزائها شيئا فعرفنا من ذلك ان المراد من هذه الشهور غير شهور السنة بل المراد منها غير الظاهر و صريح الاخبار ان المراد منها الائمة صلوات الله عليهم و كذلك يقول في بنياسرائيل بعثنا منهم اثنيعشر

نقيبا و بعد ما ضمنا هذه الآيات الي آيات اخر عرفنا ان امر الله في جميع الاعصار واحد و قد قال تعالي لنتجد لسنة الله تبديلا و قال و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر او هو اقرب فالاوصياء في جميع الاعصار بهذا العدد لا محالة و كذلك اوصياء نبينا اثناعشر بل يدلّ علي ذلك قوله ماكنت بدعا من الرسل فليس وضعه وضع بديع فوجود هذا العدد من الاوصياء يدل علي ان عدد السابقين ايضا كان هكذا و اما ساير الانبياء فكانوا من الاوصياء سلام الله عليهم كعلماء امة النبي (ص) من اوصيائه كما في الخبر المعروف علماء امتي كانبياء بنياسرائيل و ليس مراده (ص) ان شأن العلماء شأن الانبياء و لكن

المراد انهم رواة من الاوصياء مثلهم و بالجملة فلا بدّ من تعدد الاوصياء في الحكمة و اقيم علي ذلك دليلا آخر بوجه آخر .

فصل قد عرفت مما بيّناه من البيانات في هذه المقالة و مما مرّ في النبوة و التوحيد ان الله سبحانه لم‌يرسل انبياءه و لم‌ينصب حججه الا لمعرفته فالائمة صلوات الله عليهم منصوبون للدلالة علي الله سبحانه و هداية الخلق اليه و لا شك و لا ريب ان الدلالة الواقعية علي المطابقة لاتحصل الا لنفس صفة الشئ و الا فما هو غيرها لايدلّ عليه و لذا نقول ان الدلالة في الواقع للشبح المنفصل عن الشبح المتصل و هو الدليل لا غير *الدليل هو المرشد الي المطلوب فان كان بطريق الانتقال من الكلي الي الكلي يسمّي برهانا و ان كان بالانتقال من الكلي الي البعض يسمّي استقراءً و ان كان بطريق الانتقال من البعض الي البعض يسمّي تمثيلا و اسم الدليل يطلق علي كل ما يعرف به المطلوب و البرهان اخصّ منه و الحجة تستعمل في كل ما ذكر و ان كان الاستدلال من المعلول الي العلّة يسمّي برهانا انيّا و ان كان من العلة الي المعلول يسمّي تعليلا و لميّا ، منه (اعلي الله مقامه) .*

و بعد ما وقع شبحه في اللفظ دلّ اللفظ

عليه بهذا العكس فالدلالة في اللفظ هي الشبح المنفصل عما في القلب في اللفظ و لكن علماء القشر لم‌يعرفوا حقيقة ذلك و عرفوها بانها كون الشئ بحيث يلزم من العلم به العلم بشئ آخر و بالجملة فالدليل الحقيقي هو الوصف و هو الآية فالدليل الي الله سبحانه لايكون الا صفته و اسمه و لما كان غاية نصب الحجج علي ما ذكرنا الدلالة الي الله بذاته و وحدته سبحانه جعلهم بحيث يدلون علي ذلك من صفاتهم و افعالهم و حالاتهم و غير ذلك و ذلك مسلّم فيهم صلوات الله عليهم و سيجيء بعد ذلك اشارة الي ذلك و مما نريد في المقام بيانه انا نري ان الله سبحانه عبّر عن توحيده جل شأنه باثني‌عشر حرفا في كتابه و هي لا اله الا الله و لا شكّ ان المباني تدلّ علي المعاني سيّما في الفاظ كتاب الله سبحانه و اخبار الانبياء اذ هي خالية عن الاعراض فكل لفظ من الفاظهم يطابق المعني و يناسبه لا محالة بخلاف الفاظ ساير الناس اذ ربما يتلفظون بما لايناسب المعني و لذا تري ان الائمة صلوات الله عليهم يستدلون بحروف كتاب الله علي معاني غيبية و كذلك يستدلون من الاخبار بكلمة كلمة فبعد ما وجدنا ان حروف التوحيد اثناعشر عرفنا ان الدال علي توحيده سبحانه هذا العدد لا اقل من ذلك و لا اكثر و لو كان اكثر من ذلك لبيّن حرفا آخر لا محالة و هي عدد هو الدال علي هويته بحروفه و صورته الجامعة المركبة و كذلك وجدنا انه تعالي ركّب للدلالة علي توحيده ثلثة احرف مرجعها الي اثنتين اللام و الالف و الهاء ، و الهاء في الحقيقة هو الالف الاتري انه جعل زبر الهمزة التي هي الالف المتحركة مع ان البناء علي ان يجعل زبر كل حرف سميّه فالظاهر من هذا الوضع ان الهاء اسم الالف مع انه تفصيله في المقامات الخمسة و يشهد بذلك قرب مخرجه مع الالف المتحركة و اما الالف الساكنة فلا مخرج لها ليدلّ علي ان الاحد جل شانه منزّه عن الحدود و الامكنة و الجهات و بالجملة فرجوع حروف التوحيد الي الالف و اللام و الالف حرف النبوة و اللام حرف الولاية كما مرّ سابقا فاذا

عرفت بعض اسرار كلمة التوحيد فاعلم ان آلمحمد صلوات الله عليهم كلمات انسية و مثل ذلك موجود في كتاب الله الاتري الي قوله بكلمة منه اسمه المسيح فهم كلمات الله و قد عرفت ان الله سبحانه اظهرها و نطق بها للدلالة عليه و علي توحيده فالقي فيها شبح وحدته لا محالة و نوره حتي دلّوا علي احديته سبحانه و قد عرفت ان ظهور توحيده في اثنيعشر و لذلك جعل حروف كلمة التوحيد اثنيعشر فعددهم اثناعشر لذلك فهم كلمات توحيد الله و ذلك قوله عليه السلام و حروف لا اله الا الله في الرقوم المسطرات و قال بهم ملأت سماءك و ارضك حتي ظهر ان لا اله الا انت ، و قد مرّ سابقا بعض حكم ذلك و من ضمّ بعضها الي بعض يظهر له ان شاء الله حكم كثيرة .

فصل قد مرّ سابقا ان داعي وجود الحجة المعصوم في الارض امر دايم لاينقطع سواءا كان من الدواعي الظاهرية او الباطنية فان قلت وجه لزوم وجودهم جهل الخلق بالحلال و الحرام و احكام الملك العلّام و فاقتهم الي سايس يحفظ البلاد و يسوس العباد فان ذلك امر دايم لاينقطع ابدا و ان قلت وجه الحاجة وجود الواسطة بين الخلق و بين الله تعالي ليكونوا بابه و صراطه و سبيله اقول ان داعي ذلك موجود دايما و كذلك كل ما عددته من الحكم كلها امر دايم لاينقطع فوجود الحجة ايضا امر دايم لاينقطع و ليس لاحد ان يقول ان الخلق يستغنون عنه يوما مّا و لذا ورد في اخبار متعددة ان الارض لو خلت من الحجة لساخت مع انه كان فيها حجة في زمان و الحجة القايمة في زمان لايرفع حاجة اهل زمان آخر فتسيخ الارض و يهلك الخلق بفقده فكيف يخلّ الله سبحانه بهذه الحكمة العظيمة و كذلك نقول حكمة دوام وجود الحجة تحكم بلزوم اتصال الحجج سلام الله عليهم و عدم الطفرة بينهم فلايمكن ان ينقطع الحجة يوما و ما سمعت ان بين عيسي و نبينا صلي الله عليه و آله كان زمان الطفرة ليس المراد انه لميكن في هذا الزمان حجة قايم بل المراد انه لميكن انبياء معروفون مشهودون

و لكن كان لله حجج متوالون يحفظون شرع عيسي و كذلك بين آدم و ادريس لميقطع حجج الله بل كانوا مختفين لمصلحة الخلق فان بناء الظهور و الخفاء علي حسب صلاح الملك و ربما سمع بعض الناس من مشايخنا حكمة اولية و ثانوية و انه ربما يحكم بوجود شئ في الحكمة الاولية و تغيّرها في الحكمة الثانوية فزعموا ان وجود الحجة ايضا من ذلك و ليس الامر كما زعموه فان قوام الحقايق في الحكم الاول ان كان بوجود الحجة فكيف يبقي العرض بغير وجوده الاتري ان قوام الانسان بحقيقته بالقلب و قوام بدنه العرضي ايضا بالقلب و قد جعل الله لبدنه العرضي قلبا عرضيا نعم العرض اقتضي عدم ظهور القلب في عرصته علي ما ينبغي له بل ظهر بالبدن العرضي و لو لميظهر له بوجه لمات و فسد فاعرف حقيقة كلام الحكماء و لاتكن من الغافلين نعم ظهور الحجة علانية بين الناس بان يكون معروفا مشهودا لكل احد ربما لايحصل لمصالح و لكن لايرفع تدبيره عنهم و ليس خفاؤه الا بعدم معروفيته بالصفة لا بوجه آخر كما ورد في غيبة الامام انه يطأ فرشهم و لايعرفونه فافهم فان ذلك امر دقيق لايحتمله الا ملك مقرب او مؤمن ممتحن و هذا من حديثهم الصعب المستصعب و ربما يزعم الزاعم ان الامام في غيبته ليس في الدنيا ابدا بل هو في عالم المثال و ربما يستدلون علي مرادهم بما رأوه في كتب مشايخنا

انه في هورقليا و لم‌يعرفوا مرادهم و ان اردت ان تعرف الحق فاصغ لما اقول ان لكلام مشايخنا محكما كمحكم الاخبار و متشابها كمتشابهها و لا بدّ لكل حكيم من محكم و متشابه فانه لاينحل الاسرار الا بالعبارات المتشابهة و الدستور في المتشابهات الردّ الي المحكمات و اما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و قد ثبت بضرورة الشيعة ان الامام حي و هو في الدنيا و لايشكّ في ذلك الا جاهل مرتاب و قد صرّح مشايخنا في مواطن كثيرة كتبا و لسانا ان مذهبنا ما عليه عامة الناس لا غير و لا شك ان عامة الناس يدينون ببقائه في الدنيا مع بدنه العرضي المولود من امه نرجس فكلما يخالف

ذلك باطل فقولهم انه في هورقليا متشابه و لاينافي هذا القول و حلّه منوط بحلّ معني هورقليا فانك اذا عرفت معناه تعرف كونه في هورقليا و اعلم ان هورقليا هو الجزيرة الخضراء و هي شمراخ و طيبة او يكون طيبة منزل في جبل شمراخ و هو في الجزيرة الخضراء و ليس كونه هنا منافيا لوجوده في جميع الملك كما كان الامر هكذا في حال ظهورهم فانهم كانوا بابدانهم في مواطنهم العرضية او موضع خاص من الارض و مع ذلك كانوا محيطين بالدنيا مطلعين عليها شاهدين و كانوا يظهرون لمن شاؤا في ابدان عرضية و كذلك الامر يومنا هذا بلا فرق و يكفي هذا القدر من بيان هذه المسألة و فيه الاشارات لاهله و بالجملة فالاحكام الثانوية لاتقتضي انقطاع الحجج بل افتتاح الخلق كان بالحجة و اختتامهم به ايضا و لايرتفع الحجة من الارض ابدا و ما ورد من ارتفاعهم قبل نفخ الصور باربعين يوما لايراد منه ارتفاع وجودهم فانهم احاطوا بجميع الملك و المحيط لايصعد و لاينزل و لكن المراد ارتفاع التدبير فانهم يوكلون الخلق حينئذ الي انفسهم ليموتوا كما ان الروح حين الموت يرفع نظره و تدبيره عن البدن و يتوجه الي الدماغ فاذا عرفت ذلك فاعلم انه لايمكن الفصل بين الحجتين ابدا فان غير الحجة كائنا من كان محجوج و المحجوج لايقوم مقام الحجة فكلما مات حجة او غاب لا بدّ من قيام حجة بلا فصل بعده و من قال بجواز الفصل قال بجواز الطفرة و قد عرفت انه محال فان معني الفصل كون زمان بلا حجة و لو كان قليلا و قد عرفت بطلان ذلك و بالجملة الادلة القايمة علي وجود الحجج لاتنحصر بل جميع ذرّات الوجود تدلّ علي ذلك و ان اردت احصاءها لطال بي المقال فاقتصر بما ذكرته .

المقام الثاني في الامامة الخاصة و قد صار الامر في ثبوت امامة الاثني‌عشر (ص) كالشمس في رابعة النهار و قد تكفّل الاصحاب لاثباتها بانواع الادلة و البراهين

و لسنا بصدد ايضاح ما اوضحوه و تكرير ما بيّنوه و لكن محض عدم خلوّ كتابنا عن ذلك ايضا نبيّن بعض الادلة الظاهرية و الباطنية في المقام و ارجو من الله ان يلهمني بعض البراهين البديعة لذلك ان شاء الله ففيه فصول :

فصل من الامور البينة ان من عرف وجه حاجة الخلق الي الامام و حكمة نصبه للانام لايكاد يشتبه عليه امر الامامة و لايجعلها لغير اهلها فان الله سبحانه وضع الامام في الخلق

لفايدة مهمّة لايقدر علي ابرازها و اظهارها غير الامام و غيره يحتاج اليه و لايرفع حاجة نفسه و غيره و من شك في عدم صلاحية الغاصبين لحق الائمة عليهم السلام لعله من قلة معرفته و عدم اطلاعه علي اسرار ذلك فاقول اعلم ان الله سبحانه كان قبل الكون و الامكان و لميكن معه شئ مما كان فاوّل ما خلق ان خلق مشيته الكاملة الجامعة لجميع الكمالات الحاوية لكل الفضائل علي نحو البساطة و الكلية و خلق بها العقل علي طبق مشيته و مقتضي محبته فقال له ماخلقت خلقا احبّ اليَّ منك و لااكملتك الا في مَن احبّ ، و ليس ذلك الا لكونه طبق مشيته التي هي محبته و بعد ما اكمل خلقه امره بالادبار الي منتهي الخلق لملاحظة الانوار و مشاهدة الآثار فقال له ادبر فادبر بمقتضي الامر المفيد للوجوب و التكرار الي غاية الآثار التي ليس بعدها درجة و لا دونها مرتبة و هي مقام التراب الميت الذي لا حيوة له و لا شعور و لما وصل الي هنا في الادبار ناداه ربه ان اقبل اليَّ فشرع في الاقبال من طريق الادبار الا انه نزل مطلقا و صعد مقيّدا لسيره في العرصتين و ملاحظة الدورتين و وقوفه علي الطتنجين و نظره في المغربين و المشرقين و لا شك انه في كل عالم نزل تلبّس بلباس اهل هذا العالم و اتّصف بصفتهم و ترك صفته و بقيت في القوة و من هذا الباب ما تري في التراب من الموت و الجهل و النقص و عدم القدرة مع انه تنزّل العقل فهو في مقامه هذا بنفسه لايقدر علي الصعود و الخروج من قوة التراب فان المراتب العالية في قوته و القوة عدم صرف و في العدم لاترجّح و لا اقتضاء وجود

الا بوجود مكمّل مرجّح و هو الفاعل المكمل فكل ما وجد في الملك مكمّل لصفة من الصفات التي فيه يخرجها الله من قوته بذلك و الا فلايكاد يخرج شئ من العدم ابدا فبحركة السموات و دورانها علي الارض يخرج من كمونها ما استجنّ فيها مما هو بالفعل في السموات و هي النباتية و الحيوانية و لااريد من الحيوانية محض الحيوة البهيمية و السبعية مثلا بل المراد الانسانية الكونية ايضا فانها من الحيوانية فبالافلاك يكمل القوي و المشاعر ايضا و لكن الانسانية الشرعية لاتخرج من جميع القوابل بهذه الافلاك و لذلك اختار الله في ملكه حججا اولي فعلية في صفة العقل الذي يريد الله اخراجه من كمون الارض ليكملوا القوابل و يخرجوا من بطونها ما فيها من مستجنات الفضايل فلا بدّ و ان يكون الحجج صاحبي العقول الكاملة و الا لماقدروا علي تكميل غيرهم و ذلك امر بديهي لا شك فيه فان الحرّ اذا لميبلغ حدّ الكمال لايسخّن البارد بل يصير مغلوبا له ان كان غالبا عليه و مكافئا ان كان مثله فلا بدّ من كمال الشئ في فعليته حتي يؤثر في غيره فلايجتبي الله سبحانه لتكميل العقول المستجنّة و الارواح الميتة و القوي الراقدة الا ذوي عقول كاملة و ارواح ثابتة فاذا ثبت لك هذا المطلب ببرهان الحكمة فانصف ان بعد رسول الله صلي الله عليه و آله هل كان عليّ اعقل الناس و اكملهم و اجمعهم لكمالات رسول الله او غيره من الثلثة الذين خالفوا ، لااظن احدا من العامة و الخاصة ان ينكر فضل اميرالمؤمنين عليه السلام علي غيره بل جميعهم مقرّون بذلك بل قال ابنابيالحديد الحمد لله الذي قدّم المفضول علي الفاضل و ان عمر كان يقول لولا علي لهلك عمر و ان ابابكر كان يقول اقيلوني اقيلوني فان فيكم من هو اولي منّي بالخلافة و بالجملة من الامور الضرورية التي

لايشك احد فيها ان عليا كان اعقلهم و اعلمهم و اقضاهم و اسبقهم اسلاما و ايمانا فهو اولي بان يكون مكمّلا بل لميدّعِ احد لابيبكر و عمر علما و لو كان يحتمل في ابيبكر علم و عقل لكانوا

صفحه ٣٦٧

يستدلون بهما علي اولويته بالخلافة ، هذا و العامة عقلاؤهم لاينكرون اولوية اميرالمؤمنين بهذا الامر و لكنهم يقولون انه طوي عن الخلافة كشحا لفراغه للعبادة و ما رأي من الصلاح فاقرارهم باولويته لازم عليهم و ادعاؤهم انه ترك الخلافة عن رضا منه ادعاء لميثبت فلا شك ان بعد نبي الله سبحانه اولي الخلق بالولاية و الهداية اميرالمؤمنين لانه كان صاحب الفعلية في الامر الذي اراد الله من خلقه و لما كان مرادنا بيان الحقايق تركنا ذكر اقرار العامة و رواياتهم في فضله و كماله صلي الله عليه و قد تكفّل الاصحاب لبيان ذلك ثم ثبت بضرورة جميع المسلمين فضل الحسنين عليهما السلام من طرق الروايات و الدرايات و لميدع احد حتي من اعدائهم فضلا لغيرهم عليهم فهم المكملون لما ثبت ان المكمل هو الافضل الاسبق و كذلك فضل ساير الائمة الاطهار ظاهر كالشمس في رابعة النهار .

فصل ان الامامة و الولاية صفة خفيّة لاتدرك بالابصار كما ذكرنا في النبوة فانها من الصفات النفسانية و لا بدّ من استنباطها من اسباب خارجية كنصّ من عالم بذلك او ظهور آثار مخصوصة الاتري انك برؤية زيد مثلا لاتعرف انه من العرب الا ان ينصّ عالم به علي عربيته او يتكلم بلحن العرب فتعرف انه منهم و كذلك لاتعرف زيدا بنفسه بمحض رؤيته الا ان يقول عارف به انه زيد او يظهر منه الآثار الخاصة بزيد و كذلك الامر في الامام فان الامامة ليست صفة ظاهرة علي الوجوه بل هي امر خفي فاذا نصّ رسول او امام معلوم الامامة علي امامة رجل فهو و الا فان ظهر منه الآثار المحكمة المختصة بالامامة فالتعويل عليها و الا فليس لاحد من الامة ان يعتقد بامامة احد من الخلق اذ هم لايعرفون و ان التعريف من الله و ليس للناس من الامر شئ في ذلك و الامر في واحدهم و الوفهم بالسواء فان جميعهم جاهلون بهذا الامر فاذا اجتمعوا برأيهم ايضا علي رجل انه امام لايقبل منهم اذ آحادهم لايعرفون الامام و كذلك جماعتهم

صفحه ٣٦٨

فان اجتماع الجهّال و كثرة عددهم في رأي ليس دليل حقيّته فان ما كان مناط البطلان في واحد منهم يكون في جميعهم كما ان جميع البشر الجاهلين بصفة الجن لو اجمعوا علي قول واحد في حدّ الجن لايقبل ذلك منهم فان جميعهم يقولون عن رأيهم و لميقفوا علي حدّ الجن فرأيهم عليل و قولهم باطل و ان هم الا يظنّون و اما العالم بصفته بالمشاهدة او الرواية عن عالم صادق فقوله صحيح و رأيه متّبع و ان قيل ما تقول في قول رسول الله صلي الله عليه و آله لاتجتمع امتي علي ضلالة فاذا اجتمعوا علي شئ يكون حقا مطلقا اقول انه دليل علي عدم ارتفاع الحق من الامة لانه قد ثبت في الحكمة ان الحق لايرتفع من العالم و ساير الامم خرجوا من الحق بانكارهم لرسالته فانحصر اهل الحق في امته و هم جماعتهم لايجتمعون علي ضلالة اذ بذلك يلزم رفع الحق بالمرّة او ثبوته لغيرهم و

كلاهما باطلان و لكن لايدل ذلك علي ان آراءهم حق فان آراء آحادهم فاسدة و من اجتماع آراء فاسدة لاينتج الحق لا محالة فلاتغفل فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الامة بانفسهم لايعرفون الامام ابدا اذ ليسوا بانفسهم ائمة و لاينزل عليهم وحي من الله و لايطلعون علي الغيب و جميعهم في ذلك شركاء واحدهم و اكثرهم و جميعهم فلا بدّ و ان يكون امامهم منصوصا عليه بنصّ خاص من رسول الله صلي الله عليه و آله او يثبت امامته بظهور آثار الامامة منه و بغير ذلك لايثبت الحق سواءا اجتمعوا او تفرقوا فان اجتماعهم اجتماع جهّال و افتراقهم افتراق جهّال و حديث رسول الله صلي الله عليه و آله يدل علي عدم ارتفاع الامام الحق بالمرّة و اجتماع الامة علي امام ضلالة لا علي ان اجماعهم بنفسه دليل شئ فان ذلك امر مسلّم مشهود ان من اتفاق جاهلين لايتولد علم حق بل كلاهما باطلان و لو كان اجماع هؤلاء الجهّال الاقشاب دليل شئ لكان اتفاقهم علي عدم نبوّة الخاتم صلي الله عليه و آله دليلا مع ان جمعيتهم اكثر ، هذا و نقول علي فرض تسليم حقيّة اتفاق الامة قال رسول الله صلي الله عليه و آله جماعة امتي

اهل الحق و ان قلّوا ، فليس مراده من الامة جميعهم و علي فرض ان نقول بقولهم ان مراده جميع الامة في الحديث اقول ان جميع الامة لميجمعوا علي خلافة ابيبكر بل بعضهم حضر في سقيفة و بعضهم لميكونوا هنا و بعضهم كانوا في اطراف البلاد و لميجمع جميعهم علي خلافته و حصل الاستقلال في خلافته يوما فيوما و لميكن البيعة بتراضٍ عن جميعهم و من كان عارفا بالسيرة يعلم ان اغلبهم تبايعوا خوفا و علي فرض ان نقول ببيعة جميع المتبايعين عن تراضٍ لميكن ذلك في وقت واحد بل كان تدريجيا و الاجماع التدريجي لايكون حقا اذ يرجع الكلام الي حقيّته قبل حصول الاجماع فان خلافة ابيبكر قبل حصول الاجماع هل كانت حقا ام لا فان كانت حقا فدليلها ماذا و ان كانت باطلا فاتفاق الناس حصل علي باطل ، هذا و علي فرض تسليم جميع ما يقال اقول لا شك ان عليا و الحسن و الحسين سلام الله عليهم و فاطمة عليها السلام و جماعة من الاصحاب لميتبايعوا مسلّما اولا و كان بيعتهم آخرا ايضا كرها فلميحصل اجماع و بالجملة جميع ما نقول محض مداراة و الا فاجماع الجهّال لايكون مناط شئ ابدا فان جميعهم جهال و آحادهم جهال و قول رسول الله صلي الله عليه و آله ان دل علي الاجماع يدل علي جميعهم و منهم الامام علي الحق اذ هو اول الامة و اصلهم و هو لايكون علي باطل بالبداهة فباجماع الناس لايعرف الحق ابدا فلا بدّ من نصّ رسول الله صلي الله عليه و آله علي وصيه و كذلك نصّ كل وصي في الملك علي وصي بعده شخصا او نوعا و لا بدّ من ظهور الآثار منهم اذا لميكن نص و لكن كلامنا هذا محض المداراة و الا فالنصوص قائمة و الآثار موجودة و الحمد لله فانظر بنظر الانصاف دون الاعتساف هل نصّ رسول الله صلي الله عليه و آله علي احد من الامة سوي علي عليه السلام لااظنّ احدا من الناس يقول انه نصّ علي احد غير اميرالمؤمنين عليه السلام و كذلك لميظهر الآثار و العلامات من غيره فان سألت الناس

برُمّتهم حرّهم و عبدهم و ذكرهم و انثاهم و صغيرهم و كبيرهم من كان بعد رسول الله صلي الله عليه و آله صاحب المعجزات و الدلالات و الآيات البينات ليقولن علي بن ابيطالب عليه السلام و لان سألتهم من كان اولي بالولاية ليقولن علي بن ابيطالب عليه السلام و بذلك يتم الكلام فان المنكر بنفسه اذا اقرّ بالمدعي فلا سبيل له الي الانكار و كذلك امر النص و الادلة في ساير الائمة عليهم السلام اوضح من الشمس في رابعة النهار .

فصل نصوص النبي صلي الله عليه و آله علي امامة الائمة صلوات الله عليهم اكثر من ان تعدّ و الخصم مقرّ ببعضها و لكن نريد بحول الله و قوته ان نبيّن هذا الامر العظيم من كتاب الله سبحانه فاعلم ان المجمع عليه بين جميع المسلمين يومنا هذا كتاب الله فان الخاصة و العامة جميعهم يقرّون به و قد قام ضرورة الاسلام بحجيته فانه حجة الله بيننا و سبيلنا الي السماء و لا محيص لاحد من الاقرار به فاذا ثبت امر بالكتاب المستطاب ليس لاحد ان ينكره و قد تكفّل ابي العلامة و استاذي الفهامة لاستخراج هذه المسألة المعضلة من كتاب الله عز و جل بما استدل به من بعض الآيات فاقول ثبت لنا من كتاب الله سبحانه انه لا بدّ من وجود الحجة بين الناس دائما و لايهلك الله احدا الا باقامة الحجة عليه قال الله تعالي و ماكان ربك مهلك القري حتي يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا و ماكنا مهلكي القري الا و اهلها ظالمون و قال لله الحجة البالغة و الحجة البالغة لا شك انها لاتقوم بمحض قيام حجة يوما مّا و خلوّ الارض بعده عنه و كذلك قال و ان من امة الا خلا فيها نذير فلا بدّ من ان يبعث النذير الي جميع الامم و قال يوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم و جئنا بك شهيدا علي هؤلاء فعرفنا من ذلك ان كل امة من الامم لهم شهيد و الخاتم شهيد الشاهدين و قال و يوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لايؤذن للذين كفروا و لا هم يستعتبون و امثالها عديدة فعرفنا من هذه الآيات الكريمة

انه لا بدّ من وجود حجة شهيد لله في كل عصر و زمان و لو لميكن الامر هكذا للزم العبث او الظلم و الله سبحانه نفي عن نفسه الظلم في آيات و اثبت لنفسه الحكمة في آيات فلايظلم عبيده ابدا و لا حجة لاحد من الخلق علي الله سبحانه بل له الحجة عليهم دائما ثم انا نظرنا في الامة فرأينا جماعة يدعون ان رسول الله (ص) هو الحجة و من بعده كتاب الله و احاديثه حجة فنظرنا في ذلك ايضا الي كتابه انه قال انما انت منذر و لكل قوم هاد فعرفنا ان في الخلق هداة من بعد رسول الله صلي الله عليه و آله و رأينا انه يقول مايعلم تأويله الا الله و الراسخون في العلم و قوله و الراسخون ان كان كلاما مستأنفا ينحصر علم الكتاب بالله و الراسخون في العلم يقولون آمنا به و لا بدّ حينئذ من مفسّر من عنده و هو الهادي و ان كان عطفا علي الله فهم يعلمون تأويل الكتاب و الله لا غير فبكلا الاحتمالين ينحصر الامر بهم اي الذين يعلمون فبصريح الكتاب لايقوم الكتاب حجة الا بوجود مفسّر و هو العالم به و قال الله هل يستوي الذين يعلمون و الذين لايعلمون فهم لايستوون عند الله مسلّما فالعالم حجة علي الجاهل و الهداة هم العلماء المهديون لا محالة لقوله أفمن يهدي الي الحق احق ان يتبع ام من لايهدي الا ان يهدي فما لكم كيف تحكمون فثبت بهذا الدليل القطعي البتي ان الهادي من كان مهتديا و بعد رسول الله صلي الله عليه و آله هداة مهديون بالبداهة و يجب علي جميع الناس ان يتبعوهم و هم المؤمنون الذين قال الله و من يتبع غير

سبيل المؤمنين نولّه ما تولي ثم اردنا ان نعرف صفة الهداة المهتدين من كتاب الله فرأينا انه قال و الله لايهدي القوم الكافرين و كذلك قال و الله لايهدي القوم الفاسقين و قال ان الله لايهدي من هو كاذب كفّار و قال ان الله لايهدي من هو مسرف كذّاب و قال ان الله لايهدي كيد الخائنين و قال فان الله لايهدي من يضلّ و اذا نظرت في هذه الآيات و غيرها مما في معناها تعرف صفة من هداه الله فانك تري انه نفي

هدايته عن الكاذبين و الظالمين و الخائنين و الفاسقين و من عمومها تعرف ان غير المعصوم لايكون مهتديا فان كل من هو غير المعصوم ظالم و ان لميظلم الا نفسه فانه يشمله اسم الظالم و كذلك الخائن و الفاسق امرهما ظاهر فهم غير مهتدين و قد قال تعالي الذين آمنوا و لميلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون فغيرهم لايكون مهتديا و من يهدي من اضلّ الله و من لايكون مهتديا لايكون هاديا لقوله تعالي ان الله لايهدي من يضلّ فكيف يهدي الي الله و قد اضلّه و قال قل أندعو من دون الله ما لاينفعنا و لايضرنا و نردّ علي اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الي الهدي ائتنا قل ان هدي الله هو الهدي و امرنا لنسلم لرب العالمين فمن هداه الله لايتبع الشيطان و لايتحير في دينه ابدا و هو اولي بان يكون هاديا من غيره و قال أفمن يهدي الي الحق احق ان يتبع ام من لايهدي الا ان يهدي ثم بعد ما نظرنا في كتاب الله وجدنا انه جعل الهدي صفة الانبياء و جعلهم ائمة للناس و قال و نجيناه و لوطا الي الارض التي باركنا فيها للعالمين و وهبنا له اسحق و يعقوب نافلة و كلا جعلنا صالحين و جعلناهم ائمة يهدون بامرنا و اوحينا اليهم فعل الخيرات و اقام الصلوة و ايتاء الزكوة و كانوا لنا عابدين فهذا صفة الهادين و هم الائمة و قال و لقد آتينا موسي الكتاب فلاتكن في مرية من لقائه و جعلناه هدي لبنياسرائيل و جعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون فظهر من هذه الآية ان هذه الائمة الهداة هم الصابرون الموقنون و قال و وهبنا له اسحق و يعقوب كلا هدينا و نوحا هدينا من قبل و من ذريته داود و سليمان و ايوب و يوسف و موسي و هرون و كذلك نجزي المحسنين و زكريا و يحيي و عيسي و الياس كل من الصالحين و اسمعيل و اليسع و يونس و لوطا و كلّا فضلنا علي العالمين و من آبائهم و ذرياتهم و اخوانهم و اجتبيناهم و هديناهم الي صراط مستقيم ذلك هدي الله يهدي به من يشاء من عباده

و لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب و الحكم و النبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك الذين هدي الله فبهديٰهم اقتده قل لااسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكري للعالمين فظهر من هذه الآيات الكريمات ان الهداة من سنخ انبياء الله و هم المجتبون و يجب الاقتداء بهم و بالجملة بعد ذلك راجعنا كتاب الله فوجدنا انه خصّ الامامة بجماعة موصوفين بصفات خاصة و قال و اذ ابتلي ابرهيم ربّه بكلمات فاتمهنّ قال اني جاعلك للناس اماما قال و من ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين فظهر من هذه الآية ان الامامة مخصوصة بجماعة خاصة لا كل احد و هم المهتدون

الهادون المجتبون لا غير فظهر من هذه الآيات الكريمات ان الامامة مخصوصة بالمعصومين و غيرهم لايليق بذلك فانه ظهر لك انها شأن الانبياء و الاوصياء لا غير و اذا نظرت في هذه الامة وجدت ان احدا لميدع العصمة لاحد الا لهذه الجماعة المخصوصين حتي ان العامة لميدعوا العصمة لائمتهم الداعين الي النار و ائمتنا صلي الله عليهم بانفسهم ادعوا العصمة لانفسهم و سددهم الله علي ذلك ثم بعد ما نظرنا في كتاب الله رأينا انه تعالي اجاب دعاء ابرهيم عليه السلام فجعل منهم ائمة يهدون الي الله تعالي حيث يقول آتينا آل ابرهيم الكتاب و الحكمة و هم من الاميين الذين قال الله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكّيهم و يعلّمهم الكتاب و الحكمة فهؤلاء من الاميين و لا شك ان جميعهم لميكونوا مسلمين و ان كانوا من آل ابرهيم و قد قال و من ذريّتنا امة مسلمة لك فهذه الصفة مخصوصة بجماعة عيّنهم في الآية قال ربنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذريّتنا امة مسلمة لك و ارنا مناسكنا و تبْ علينا انك انت التواب الرحيم ربّنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يعلّمهم الكتاب و الحكمة و يزكّيهم انك انت العزيز الحكيم و من يرغب عن ملّة ابرهيم الا من

سفه نفسه و لقد اصطفيناه في الدنيا و انه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربّه اسلم قال اسلمت لرب العالمين و وصّي بها ابرهيم بنيه و يعقوب يا بنيّ ان الله اصطفي لكم الدين فلاتموتن الا و انتم مسلمون فظهر من هذه الآية الكريمة ان هذه الجماعة الذين خصّهم الله بالكتاب و الحكمة ليسوا جميع الاميين و لا كل العرب بل هم طائفة بعث الله فيهم رسولا فهؤلاء ليسوا من بنياسرائيل لان الآية في دعاء ابرهيم و اسمعيل فهم من آل اسمعيل و لا من ساير العرب لانهم ليسوا من المجتبين الذين آتاهم الكتاب و الحكمة كما مرّ في الآية السابقة فانك قد عرفت ان الكتاب و الحكمة مخصوصان بالصالحين المجتبين و المجتبون هم الانبياء كما صرّح الله بذلك في مواضع من كتابه فمن الاميين من ذرية ابرهيم جماعة مخصوصون بهذه النعمة و هم الذين بعث الله فيهم الرسول و قد ظهر لك مما بيّناه سابقا من الذكر الحكيم ان الكتاب و الحكمة مخصوصان بالهداة و هم المعصومون و هم ائمة و ظهر هنا ايضا ان الرسول منهم فبعد ما نظرنا في كتاب الله وجدنا انه تعالي قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيرا و قد ثبت باجماع الناس ان الآية مخصوصة باهل البيت و نزل في اهل الكساء فهم المعصومون الطاهرون المطهرون و الرسول مبعوث فيهم لا غير فهم ائمة يهدون بامر الله و وجدنا رسول الله صلي الله عليه و آله نص عليهم لا غير بالامامة و نزل من عند الله تعالي قل لااسألكم عليه اجرا الا المودة في القربي و قال و آتِ ذا القربي حقه فغير اهل الكساء من ساير الذرية داخل في الآية ايضا و هم من اهل البيت لان الله امر بمودتهم و ايتائهم حقهم و خرج غير الاثنيعشر منهم بالاجماع و لانهم ليسوا مطهرين معصومين فليسوا ائمة و الائمة هم الجماعة المخصوصون فافهم و قرّ به عينا فان ذلك مما منّ الله به علينا دون ساير الناس و اما عددهم فقد ظهر مما ذكرنا سابقا و سنة

الله جارية لاتتخلف فهم اثناعشر لا محالة ثم اردنا ان نعرف من كتاب الله اول خلفائه من الائمة عليهم السلام فوجدناه يقول انما وليّكم الله و رسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة و يؤتون الزكوة و هم راكعون و قد ثبت بالاجماع ان مقيم الصلوة و مؤتي الزكوة حال الركوع هو علي عليه السلام فهو الولي و نزل يوم نصب عليا بالخلافة اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الاسلام دينا و قد قال قبل ذلك بلّغ ما انزل اليك من ربك و ان لمتفعل فمابلّغت رسالته و قال رسول الله في معناه بلّغ ما انزل اليك في عليّ ، او كانت الآية في نزولها هكذا و سرق الناس اسمه منها فالامر مخصوص به و قال ماكان لاهل المدينة و من حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله و لايرغبوا بانفسهم عن نفسه و نفس رسول الله علي عليه السلام بنص آية المباهلة حيث قال و انفسنا و انفسكم فحرام علي الناس ان يتخلفوا عن رسول الله و يرغبوا عن نفسه هذا و تري علانية ان الله انزل هذا صراط عليّ مستقيم علي كون عليّ اسما و لكن الناس قرأوا محض العداوة علي المعروف مع انه لايستقيم المعني الا بكلفة كما لايخفي علي العاقل ثم ان الامامة بعده ثابتة في ذريته لقوله تعالي و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم و ماالتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين و لا شك ان عليا عليه السلام اول المؤمنين و اذا كان هاديا للامة بعد رسول الله صلي الله عليه و آله و امامهم و وليهم يكون ذريته ملحقين به في مقامه و لولا ساير الآيات و النص و ما نزل في ولد نوح انه ليس من اهلك لثبت بهذه الآية الامامة لجميع الذرية و لكن خرج من خرج منهم بالدليل فانه مرّ من دعاء ابرهيم و اسمعيل من ذريتنا امة مسلمة لك فبعضهم ملحقون بهم لا كلهم بنصّ الآية و البعض هم المتبعون له و للنبي علي الحقيقة لقول ابرهيم من تبعني فانه مني و التابع الحقيقي هو المعصوم و آية التطهير

مخصوص ببعض الذرية لا جميعهم فبعض ذرية علي ملحقون به لا كلهم و لا شك ان بينهم لميثبت صفات الهداة الا للائمة صلوات الله عليهم فانهم الصادقون و الله سبحانه لايهدي الكاذبين و الصادقون في زمان رسول الله (ص) هم علي و فاطمة و الحسنان عليهم السلام بنص آية المباهلة اذ قال فنجعل لعنة الله علي الكاذبين فاهل الصدق الواقعي بلا ارتياب هم الذين دعاهم للمباهلة و هم هم مسلّما فهم المهديون و كذلك نزل آية التطهير اولا فيهم فهم الذين هداهم الله و اجتباهم و اصطفاهم و امرنا في كتابه بان نكون مع الصادقين و قال بهداهم اقتده فهم الائمة لا محالة فبعد علي عليه السلام الامامة في ولده و لا شك ان الحسن (ع) اولي بالامامة بعد علي عليه السلام لقول الله اولوا الارحام بعضهم اولي ببعض و قوله السابقون السابقون اولئك المقربون فالحسن اول الائمة بعد ابيه ثم يثبت بعده للحسين عليه السلام و هكذا من بعده في ذريته الي القائم عليهم السلام و اما عدم ثبوته في ولد الحسن عليه السلام بعده فلسبق الحسين عليه السلام عليهم و السابقون السابقون اولئك المقربون و اولويته بقربه من رسول الله صلي الله عليه و آله و من بعده لمينتقل الي ولد الحسن لقوله تعالي و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا و وليه بعده اولاده ، هذا و من الباقر عليه السلام الي آخر الائمة كلهم من ذرية الحسنين عليهما السلام لان ام الباقر عليه السلام بنت الحسن عليه السلام و اما فضل الائمة علي فاطمة عليها

السلام مع انها من اهل البيت فلقوله تعالي الرجال قوامون علي النساء و قوله فضّل الله المجاهدين علي القاعدين درجة و بوجه آخر نقول ان الله تعالي يقول فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك علي هؤلاء شهيدا ففي كل امة شهيد و في هذه الامة مسلّما شهيد و لما كان من يوم بعث النبي الي يوم القيمة شرعه دائما و لا بدّ من وجود شهيد في كل امة فلا بدّ من تعدد الشهداء في امته و كل احد لايليق بالشهادة

صفحه ٣٧٧

بل هي شأن المعصوم المطهر عن جميع الذنوب و قد قال الله تعالي في المعاملات الظاهرية و اشهدوا ذوي عدل منكم فكيف يرضي بشهادة غير العادل في هذا الامر العظيم و الخطب الجسيم مع ان جميع امر القيامة يرجع الي شهادة الاشهاد و قد عظّم الله القيامة بقوله يوم يقوم الاشهاد فالشهيد من كان معصوما مطهرا عالما حكيما و قال الله في ذم طائفة ماشهدتهم خلق السموات و الارض و لا خلق انفسهم و ماكنت متّخذ المضلين عضدا فمن اشهده الله هو الهادي و غيره ضالّ فهو مضلّ و بالجملة فلا بدّ في الامة من شهيد و هو العدل المعصوم لما ذكرنا و لقوله و كذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء علي الناس و الامة الوسط هم العدول المعصومون لا شرقيون و لا غربيون و هم في هذه الامة من آل ابرهيم لقوله تعالي و جاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم و ماجعل عليكم في الدين من حرج ملّة ابيكم ابرهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل و في هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم و تكونوا شهداء علي الناس فاقيموا الصلوة و آتوا الزكوة و اعتصموا بالله هو موليٰكم فنعم المولي و نعم النصير و لا شك ان المراد من هذه المسلمين و المخاطب بهذه الآية غير عامة الناس و قرائن ذلك في نفس الآية و في غيرها موجودة منها قوله جاهدوا في الله حق جهاده فان غير المعصوم لايقدر علي ذلك و الله سبحانه يقول لايكلف الله نفسا الا وسعها و ذلك فوق طاقة الناس الاتري في قوله اتقوا الله حق تقاته ان الله نسخه بقوله اتقوا الله ما استطعتم فالناس مكلفون بالجهاد في سبيله بقدر استطاعتهم و آلمحمد مكلفون بحق المجاهدة و هكذا قوله ليكون الرسول الي آخر تري في قوله نبعث من كل امة شهيدا الي آخر و في هذه الآية ان الرسول شاهد الشهداء و الشهداء هم الامة الوسط و الهادون لا المضلّون و كذلك قال اجتباكم و ذلك مخصوص بالانبياء و قد عدّهم الله في عداد انبيائه قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه و قال

صفحه ٣٧٨

اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم و ممن حملنا مع نوح و من ذريّة ابرهيم و اسرائيل و ممن هدينا و اجتبينا اذا تتلي عليهم آيات الرحمن خرّوا سُجدا و بكيّا و قال ايضا بعد ذكر جماعة من الانبياء و ذرياتهم و اجتبيناهم و هديناهم و قال في يوسف كذلك يجتبيك ربك و يعلّمك من تأويل الاحاديث و لا شك ان الله لايعدّ الامة الذين يعصون ربهم و لايطيعونه مثل الانبياء و لايجتبي الا المصطفين الاخيار قال ابرهيم من تبعني فانه مني فهؤلاء المجتبون هم الذين قال الله بعد ذكر الانبياء و من آبائهم و ذرياتهم و اخوانهم و اجتبيناهم و هديناهم الي صراط مستقيم فظهر من ذلك ان المراد غير ساير الائمة فالاسلام المذكور غير اسلام ساير الناس بل هو صبغة الله و دينه و دعا ابرهيم و اسمعيل

ان يجعل الله بعض ذريتهما امة مسلمة و قال الله عز و جل قل ان صلوتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك امرت و انا اول المسلمين و لا شك انه ليس في عداد الامة و قال الله قد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم و هذه الانفس انفس المسلمين الذين هو اولهم و بالجملة قال في هذه الآية ايضا هو موليٰكم و لا شك ان الله اولي بالمعصوم و الا للزم ان ينسب اليه السيئات ايضا و تري انه نسب جميعها الي الشيطان و قال صريحا في آية اخري الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الي النور و الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات و قال ذلك بان الله مولي الذين آمنوا و ان الكافرين لا مولي لهم و قال في مقام آخر فاليوم لايؤخذ منكم فدية و لا من الذين كفروا مأويٰكم النار هو موليٰكم و بئس المصير و لا شك ان المؤمن الحقيقي هو المعصوم و عليّ اميرهم فقوله هو موليٰكم شاهد علي ان المخاطب غير العاصين و كذلك قوله نعم النصير قال الله ان تنصروا الله ينصركم و الناصر الحقيقي هو المعصوم و بالجملة فهؤلاء المسلمون هم

شاهدون و هم الامة الوسط و هم ولد ابرهيم و رسول الله اولهم لقوله انا اول المسلمين و لا شك انه اول الائمة و قد مرّ سابقا ان الكتاب و الحكمة في ذرية ابرهيم و قال الله ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا و المصطفون هم المعصومون و هم بنص القرآن ذرية رسول الله فهم الداعون الي كتاب الله و وارثه فهم ائمة الناس يدعون الي ما انزل الرسول به و هو الكتاب و الحكمة و بالجملة مرادي محض القاء الكليات و الا فيمكن الاستدلال علي امامتهم بآيات كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و كذلك يمكن الاستدلال ببواطن القرآن علي اشخاصهم سلام الله عليهم و لكن مرادي الاستدلال بالظواهر مع الاختصار فاقتصرت بما ذكرت و قد استدل ابي الاستاذ (اع) علي ذلك بآيات اخر في كتابه الشريف المسمّي بالفطرة السليمة و ان شئت فراجع .

فصل قد ذكرنا انه يجب ان يكون الامام صاحب الآثار و العلامات فان الامامة هي امانة الله التي قال في كتابه انا عرضنا الامانة علي السموات و الارض و الجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا و الامام عضد الله الذي قال في كتابه ماشهدتهم خلق السموات و الارض و لا خلق انفسهم و ماكنت متخذ المضلين عضدا فالامام الذي هو الشهيد علي كل شئ عضد الله جل شأنه و لا شك ان عضده اقوي من كل شئ و قادر علي كل شئ و كذلك قال الله تعالي في صفة الامام و كل شئ احصيناه في امام مبين و تأويل الامام بالكتاب خلاف ظاهره و تفسيره بظاهر معناه اولي بالحجية و الاستدلال فنقول ان الله تعالي قال في صفة الامام ان كل شئ احصي فيه فعلي ذلك لايفرط فيه من شئ من الامور الكونية و الشرعية و الغيبية و الشهادية و الجبروتية و الملكوتية و الملكية و اقول علي نحو المجادلة ان الله يقول و كل شئ احصيناه في امام مبين فهل السموات شئ ام لا ، لا شك في انها شئ فاحصاها الله فيهم و السموات مؤثرة فاعلة فاذا كانت في الامام فلا بدّ

من ان يظهر منه آثارها و منها الروح الملكوتي و به حيوة جميع الملك و حركته فلا بدّ و ان يكون حركة جميع الخلق بوجوده كما قال عليه السلام بكم تحرّكت المتحركات و سكنت السواكن ، و كذلك منها القلم فانه شئ و جميع الخلق مخلوق بالقلم بلا شك و كذلك المشية شئ و الارادة شئ و القدر و القضاء شئ فالله احصٰي جميعها في امام مبين فاذا كان الامام محل المشية و الارادة و كُمّ القدر و القضاء و عين القلم فلا بد من ان يكون صاحب الآثار فان المشية بلا اثر محال فان الشمس بلا نور و السراج بلا حرارة امر غير معقول فبنصّ القرآن لا بدّ و ان يكون حامل امانة الله الذي هو الامام صاحب المعجزات و خوارق العادات و كذا قال في كتابه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق و انت تعلم ان القرآن لايتكلم فالمراد منه الكتاب الناطق و هو الانسان لا محالة و قد قال الله في صفته الرحمن علّم القرآن خلق الانسان علّمه البيان فهو الكتاب الناطق لا محالة و الانسان هو حامل الامانة و هو الامام فهو الناطق علي الاطلاق بالحق فمن آثار الامام النطق بالحق و كذلك مرّ سابقا و في المقام انهم الشهداء و انت تعرف بعقلك ان عرفت ان الشهادة لاتستقيم بالنظر الظاهري و الخيالي فان الامام شاهد الكل كما ان النبي شاهد الكل بنصّ القرآن و بالنظر الظاهر لايري الا ما يواجهه الشخص و بالخيال لايتصور الا الصور الشخصية الظاهرية و ما يدرك بالحواس الظاهرة فلا بدّ من ان يكون الشهادة الدائمة بوجه آخر و لا شك انه شاهد لجميع الحوادث في جميع الآنات و الا لماصدق الشهادة لكل شئ فلا بدّ و ان يكون ذلك بالاحاطة و بغيرها لايستقيم المعني و كذلك عرفت في الفصل السابق ان الله سبحانه اذهب عن الامام الرجس فلايعصي الله ما امره مطلقا و يفعل ما يؤمر كائنا ما كان و اقول لمن يدعي الامامة انّا نغضّ عن ساير آثار الامامة مما ذكرها الله في بواطن القرآن و لكن يجب عليك الاتيان بهذه العلامات الظاهرة من العلم

و النطق بالحق و المعجزات و غيرها مما نصّ الله عليها في ظاهر القرآن فان علامة الصدق البرهان قال الله تعالي قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فالصادق معه برهانه فمن ادعي الامامة بالصدق معه برهانه لا محالة فتدبر .

فصل قد بيّنا سابقا دليل التسديد و هو قرّة عين كل ضرير و يحصل به اليقين للعالم الخبير و ازيدك بيانا آخر منه هنا يكشف به حقيقته ان شاء الله فاجمع لُبّك حتي تقف علي المراد فاعلم ان الله سبحانه كان قبل خلقه في قدس جلاله و نزه جماله كاملا لاينتظر لنفسه حدوث كمال و لميزد من خلقه الخلق شيئا من صفات الجمال و سمات الجلال بل كان واجدا لكل كمال بالفعل من غير شائبة نقص في ذاته و ذلك من المطالب المشكلة التي لاتنحل الا بفهم حقيقة الاحدية و من عرفها لايشكّ بعد في كماله سبحانه و لما اراد خلق الخلق خلق اولا نفس تلك الارادة بنفسها من غير سبب و لا علّة و لا غاية و لا كيف اذ جميع الخلق مسبوق بارادته و ليس قبلها شئ و لا لاشئ بل لا قبل لها في الحقيقة و هي دائرة علي نفسها في نفسها و المخلوق بالنفس كامل لا محالة اذ النقصان الفقدان و هو لايجري فيمن اقتضي الوجود بنفسه بحيث لميحتج في وجوده الي مرجّح غيره مع ان جميع ما تري في الخلق كله قائم بارادة الله و ليست الا آثارها و لايتصور ان يصدر من الناقص هذه الكمالات و ما سمعت من كلمات اكابرنا ان المشية قوة لايريدون من هذه

القوة العدم فانها لو كانت عدمية لماوجد خلق ابدا لان القوة الصرفة لاتقتضي الوجود و لاتصير علة خروج الممكنات من الامكان بلا مرجّح لتساوي طرفي الممكن و مع ذلك يبقي علي امكانه و لا مرجح اذ الله سبحانه لايقتضي وجود الممكن و لا عدمه و لا غير اذ ما سواه مخلوق بمشيته و الكلام فيها فنفس خلق الخلق دليل فعلية المشية و كمالها و لكن مراد مشايخنا من كونها قوة انها الذكر الاول المطلق و تفاصيلها

صفحه ۳۸۲

في مشاءاتها فالمشية ايضا كاملة فيّاضة و هي صفة الله الكامل فلاتغايره و الا لماكانت صفته و قد خلق الله اول ما خلق نورا كاملا فعليا واجدا لجميع الكمالات في غاية القرب و وجه كماله قربه من المنير فان النور كل ما كان اقرب يكون اشبه بصفة منيره و المنير وجود مطلق فالنور ايضا وجود كامل الا انه وصفي و لذا يقال انه مقيّد فهو نور كامل دائم باق حي شاهد و سراج منير و منه يظهر جميع اسماء الله و صفاته و علاماته ثم خلق من ظل هذا النور ظلمة في غاية البعد و هي في جميع الصفات مخالفة للنور لان تمام الوجود لنفس النور فلايبقي لظله وجود من حيث الا بقدر استمساكه و عدم الوجود من كل حيث نقص و فقدان من كل حيث فكل صفة و كمال تثبته للنور ضدّه يثبت للظلمة فهو الحي و هي ميتة و هو الباقي و هي فانية و هو القادر و هي عاجزة و هكذا ، فجميع صفات النقص صفات العدم و من هذا الباب ربما نقول ان الماهية عدمية اذ لا وجود لها و لذلك شبّهها الله بالزبد يذهب جفاء و الشجرة المجتثة التي لا قرار لها و اما ما نورده علي القوم في قولهم ان الماهيات اعدام فمن باب ان مرادهم من الماهية الصورة فنقول ان الصورة وجودية و وجودها وصفي و اما الماهية التي هي الظلمة فلا شك في فنائها و عدميتها قال الله تعالي و ما انت بمسمع من في القبور و قال مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لايبصرون و قال كل شئ فان و يبقي وجه ربك ذو الجلال و الاكرام و لكن العدمية ايضا ليست بالفناء الصرف فانّا ذكرنا ان وجودها من فضل النور و قد بيّن الله ذلك في قوله ذهب الله بنورهم فافهم و بالجملة فمقتضي النور الوجود من كل جهة اذ وجوده حقيقي و مقتضي الظلمة العدم و الامكان من كل جهة فوجودها امكاني و لا فخر فيه و لا ذخر فالوجود لما صار علي صفة الله صار محبوب الله و مقرّبا منه تعالي و خاطبه فقال ماخلقت خلقا هو احبّ اليَّ منك

صفحه ۳۸۳

و ماكملتك الا فيمن احبّ ، و خاطب الظلمة بخلاف ذلك ثم خلط بين هذين و خلق منهما خلقا كثيرا علي الاختلاف فصار الغالب علي بعض النور و علي بعض الظلمة و بعض تساوي نوره و ظلمته حتي خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و بلغ الامر في طرفي المركبات حدّا كأنه صار المولود نورا بسيطا او ظلمة بسيطة فان المخلوق الاول الذي هو اقرب المركبات من النور ضعف فيه الظلمة بحيث لميبق منها الا بقدر ما لا بدّ منه في حياة الشئ و آخر المخلوق الذي هو في غاية البُعد من النور و القرب من الظلمة صار بعكس ذلك فغلب علي الاول حكم النور و ظهر منه آثار ربه و صفاته و علاماته و علي الثاني آثار الظلمة و الجهل فصار الاول داعيا الي ربه بالطبع اي الوحي من عند الله اذ

ليس طبعه انيته بل طبعه الربوبية و الثاني داعيا الي الشيطان بالطبع اي الوحي من الشيطان اذ طبعه الشيطنة فصار الاول امام المؤمنين يهدي بامر الله الي صراط الله و الثاني امام الظالمين و الفاسقين و من ائمة الكفر الذين صرّح الله باسمهم في القرآن فالامام بالحق نور و يظهر منه اسماء الله و صفاته و كمالاته قال الله تعالي انا ارسلناك شاهدا و مبشّرا و نذيرا و داعيا الي الله باذنه و سراجا منيرا و بعد ما ارسل موسي عليه السلام بالآيات الي فرعون قال اريناه آياتنا كلها فكذّب و ابي و امام الكفر ظلمة و يظهر منه آثارها و ذلك امر بيّن لا شك فيه و لايقدر الظلمة علي اظهار النور و ما يخصّه و ليس للنور اظهار الظلمة و ما يخصّها فجميع ما يصدر من امام الحق خير و نعمة و بركة و مرضاة الله سبحانه و جميع ما يصدر من امام الباطل شرّ و بلاء و خسران و مسخط الله جل شأنه و اذا ترائي الباطل يوما مّا و ظهر بصورة الحق سيظهر الله امره فانّ

ثوب الرياء يشفّ عما تحته ** * ** و ان التحفتَ به فانك عاري

و ابي الله ان يشبّه امر الباطل بالحق و الحق بالباطل الا ان يظهره و ان ذلك مما لايمكن فانك ان استوقدت نارا من وراء حديدة لايمرّ عليها زمان

الا تظهر منها آثارها و اذا جعلت وراءها بردا شديدا يظهر منها آثاره و محال في الحكمة ان يشتبه هذا الامر فافهم ذلك و اتقنه .

فصل لا شك و لا ريب انه قام في هذه الملة البيضاء بعد نبيها صلي الله عليه و آله جماعة ادعوا الخلافة و الوراثة من رسول الله صلي الله عليه و آله مع انا نعلم باليقين و القطع انه يلزم ان يكون خليفة بعده فان الارض لاتخلو من حجة ابدا و قد قام الخلفاء بالحق و ادعي جماعة الخلافة بالباطل و هم كانوا متضادين منافرين في الصفات فطريق معرفتهم في يومنا هذا النظر في صفاتهم و علاماتهم فان الذوات فوق احساس المخلوقات فلما نظرنا في صفاتهم وجدنا بعضهم موصوفين بصفات اهل الحق و بعضهم موصوفين بصفة اهل الباطل فكل من كان بصفة اهل الحق عددناه من الحق و غيره من اهل الباطل و ذلك مما لا شك فيه و هذا معني تسديد الله و تأييده فان آلمحمد سلام الله عليهم قاموا بالخلافة و الوراثة و كانوا موصوفين بصفة النبي صلي الله عليه و آله في جميع ما علمناه و سمعناه منه و جماعة قاموا مدعين لهذا الامر و تقمّصوا امر الخلافة و بعد ما تجسسنا في حالاتهم و صفاتهم وجدناهم منافرين لرسول الله صلي الله عليه و آله في الصفات و العلامات و الفرق بينه و بينهم كما بين الليل و النهار فعرفنا من ذلك ان الحق في الائمة الذين قاموا علي صفته و ذلك امر بيّن لايشتبه علي احد و ليس لاحد ان يتصف بجميع صفات النبي رياءا و سمعةً فانه كان نبيا معصوما و غير المعصوم لايقدر علي التشبه بالمعصوم في جميع الامور بل في امر من الامور الجزئية و يكفي هذا القدر في ادلة الامامة .

المقام الثالث في بعض فضايلهم و صفاتهم و علاماتهم و ذلك بحر ضلّ فيه السوابح ، و لا بدّ في معرفتهم من معرفة صفاتهم و فضلهم و لولاها لماحصلت المعرفة

بل جعلوا صلوات الله عليهم من كمال الدين الاقرار بفضائلهم و ورد ان الانكار لفضائلهم هو الكفر ، فلا بدّ من معرفتها و هي و ان كانت لاتعدّ و لاتحصي قال الله تعالي و ان تعدّوا نعمة الله لاتحصوها و قال لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا و لكن من باب ان الميسور لايسقط بالمعسور نذكر بعض الكليات علي نهج الاختصار للتيمن و التبرك بذكر فضلهم في هذه العجالة ففي هذا المقام مطالب :

المطلب الاول في انهم اول ما خلق الله و لايسبقهم شئ و لما كان هذه الفضيلة من امّهات الفضايل و يتفرّع عليها مسايل كثيرة في فضائلهم قدّمناها علي الباقي و لما كان هذا المقام للنبي و لولده اثبت اولا كونه اول الخلق ثم اتبعه بذكر ولده اعلم انه قد اجمع جميع المسلمين علي ان رسول الله صلي الله عليه و آله اول ما خلق الله بحيث قد صار في يومنا هذا من الضروريات فان كل من دخل حوزة الاسلام و المسلمين يعرف انه من ضرورتهم ان النبي صلي الله عليه و آله اول ما خلق الله بل اقول ان جميع المليين متفقون علي ذلك و ان لميعرفوا شخصه الاتري ان كلهم يقرّون و يعترفون بان محمدا صلي الله عليه و آله خاتم الانبياء و قد اخذ عليهم الانبياء سلام الله عليهم ميثاق ولايته و الاقرار بنبوته غاية الامر ان بعضهم اقرّ بشخصه و بعضهم ينتظر امره انه سيظهر و لكنهم لاينكرون فضله علي جميع الانبياء و لا شك انهم السابقون فهو اسبق السابقين و بالجملة لا شك في انه اول ما خلق الله و قد نطق بذلك كتاب الله جل و عز قال الله تعالي قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين و قد اختلفوا في معني الآية الكريمة و ليس مرادنا بيان اختلافاتهم اذ هي خارجة عما نحن فيه و كلامنا في قوله انا اول العابدين و لا شكّ ان جميع الخلق عبدوه و ان من شئ الا يسبح بحمده و لكن لاتفقهون تسبيحهم و كل

اتوه طائعين قال الله تعالي ان كل من في السموات و الارض الا آتي الرحمن عبدا ، و في الدعاء انت اله كل شئ و كل شئ يعبدك و يسبح بحمدك و يسجد لك و منه انتهي كل شئ الي امرك ، فبالكتاب و السنة جميع الخلق عباد له و يعبدونه و قد صرّح في كتابه ان رسول الله اول العابدين فهو اول ما خلق الله و اذا دل صريح الكتاب علي شئ و وافقه الخبر الصحيح مع الاجماع الضروري فالاقرار به ايمان و انكاره كفر و قال الله تعالي قل انني هداني ربي الي صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا و ماكان من المشركين قل ان صلوتي و نسكي و محياي و مماتي لله رب العالمين لا شريك له و بذلك امرت و انا اول المسلمين و لا شك ان جميع الخلق اسلموا لله كونا كما قال له اسلم من في السموات و الارض ، هذا و ان الدين عند الله الاسلام بحكم الكتاب و لا دين سواه و لا شك ان جميع خلقه دان له بالعبودية فكلهم مسلمون كونا و هو اول المسلمين و كذلك قال تعالي قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين و امرت لان اكون اول المسلمين و لايعارض هذه الآية قول موسي سبحانك تبتُ اليك و انا اول المؤمنين فان مراده اول من آمن من بنياسرائيل بانك لاتري علي حذو قول السحرة انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين يعنون اول من آمن في ذلك المشهد لا اول من آمن من الموجودات و كما يقال ان حمزة سيد الشهداء مع ان اباعبدالله عليه السلام سيد الشهداء فان حمزة سيد شهداء

احد و هو عليه السلام سيد شهداء العالم فبينهما فرق كثير و لانقول ذلك برأينا بل بالادلة القطعية فانه لا شك ان ابرهيم خير منه فقوله اول المؤمنين ليس علي عمومه و كذلك نوح خير منه و كذلك نبينا خير منه بالاجماع هذا و قد قال الله تعالي النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم فاذا كان موسي اول المؤمنين فالنبي اولي به منه فهو الاول لا موسي فتدبر و هذه الآية الكريمة ايضا احد الشواهد من كتاب الله عز و جل

علي اوليته اذ قال النبي اولي بالمؤمنين من انفسهم و ازواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم اولي ببعض في كتاب الله و انت تعلم ان جميع ما سوي الله مؤمن به و بمشيته سبحانه كونا و الجمع المحلي يفيد العموم و لا مخصص في المقام حتي نقول ان المراد المؤمنون الشرعيون فالمراد جميعهم و النبي اولي بكلهم و اذا كان المراد من المؤمنين الكونيين و الشرعيين فالاولوية ايضا كونية و شرعية لا محض الحكم الشرعي الظاهري كاولوية الاب و السابق الي مكان في المسجد مثلا و امثالهما بل الاولوية التي لاتثبت الا للمحيط بما دونه يعني انه اوجد في مكانه منه و اظهر من وجهه منه و اقدر منه عليه و امثال ذلك و اما قوله ازواجه امهاتهم ففي الشرع الظاهر ظاهر و اما في الباطن فالمراد من الازواج اولياؤه فانه لا قرين له غيرهم فان الزوجة مخلوقة من نفس الزوج كما قال تعالي خلق لكم من انفسكم ازواجا و حوّا خلقت من ضلع آدم الايسر اي نفسه و لميخلق من نفس رسول الله الا الائمة و فاطمة سلام الله عليهم و ذلك قوله تعالي قد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم و المراد من قوله انفسكم اهل البيت سلام الله عليهم بقرينة قوله بالمؤمنين فانه لو كان المراد من الانفس المؤمنين لماكان الحاجة الي تكراره و كان يكفي بكم رؤف رحيم ، و ان كان المراد من انفسكم جميع الخلق و رأفته مخصوصة بالمؤمنين لزم كونه من انفس الكفار و المنافقين و هو باطل بالعقل و النقل و قد قال تعالي ماكان محمد ابا احد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و لو كان من انفسهم لكان اباهم بالبداهة اذ ليس المراد نفي الابوة الظاهرة فان ذلك امر ظاهر مع ان نفي الابوة الظاهرة ليس مقدمة لاثبات الرسالة فسياق الكلام يشهد بان المراد نفي الابوة الباطنة و هي تنتفي لعدم كونهم من نفسه و لو كانوا من نفسه لكانوا ولده فان الولد جزء الوالد فالمراد من انفُسكم آلمحمد سلام الله عليهم هذا علي قراءة الانفس بضم

الفاء و قد كانت فاطمة عليها السلام تقرء انفَسكم بفتح الفاء و هي قراءة نفيسة و ان قلت ما تقول علي تأويلك في القراءة الاولي في قوله ما عنتم ، اقول ان الكلام فيه كقوله تعالي عفي الله عنك لم اذنت لهم و كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تأخر و مثل ما ورد في الدعوات الكثيرة من اقرارهم بالذنب فان جميع ما نقوله فيها يجري في المقام و يحتمل ان يكون المخاطب بما عنتم غيرهم فان مثل ذلك في كتاب الله كثير و ورد في الاخبار ايضا في تفاسيرهم نظيره ان يكون بعض الآية في رجل و بعضه في رجل آخر و بالجملة فازواج النبي في عالم الحقيقة من كانت من طينته و نفسه و لايشاركه فيها سوي الائمة

صلوات الله عليهم كما سيظهر لك بعد ان شاء الله فازواجه اي الائمة امهاتهم اي مبادي الامة و اصولهم فلهم الولاية عليهم فان الام و ان لمتكن لها الولاية في الامر في الظاهر في الشرع و لكن لها الولاية في عالم الحقيقة و قد سلب الولاية عن الامهات الظاهرية لنقصان عقولهن فانهن نواقص العقول نواقص الحظوظ نواقص الايمان فلو ثبتت لهن ولاية الاولاد لربما اوقعنهم في المهالك كيف و سلب الله عنهن الاختيار في انفسهن و اموالهن فكيف يثبت لهن الولاية علي غيرهن فبحكم العرض الظاهري سلب الاختيار عنهن مع ان الولد جزؤهن و من فاضل طينتهن و اما الامهات الواقعية فلايجري عليهن هذا الحكم فهن اولي بالمؤمنين و ذلك قوله تعالي انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا و هم الائمة فتدبر و قوله و اولوا الارحام الخ ، اما يكون المراد منهم في الباطن الائمة كما مرّ سابقا في تأويل الآية بهم او يكون المراد منهم الشيعة فانهم اولاد محمد و علي عليهما السلام و المؤمنون اخوة و كل من كان منهم صاحب الامر و الحكم يكون اولي و له الولاية و ذلك قوله تعالي و لتكن منكم امة يدعون الي الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و اولئك هم المفلحون و بالجملة ليس مرادي الا محض الاستدلال لا تأويل الآيات و قال الله تعالي يا ايها

الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله و رسوله و اتقوا الله ان الله سميع عليم و قوله الذين آمنوا مطلق يشمل جميع المؤمنين من الاولين و الآخرين و قد نهاهم الله عن التقدم بين يدي الله و رسوله و ليس ذلك محض الآداب و الرسوم المتعارفة فانها خلاف الفطرة و الله سبحانه لايأمر الا بمقتضي القوابل و لاينهي الا بمقتضاها فاذا كان رجل يقتضي التقدم بذاته يقدمه الله و اذا كان احد يقتضي التأخر يؤخره و ليس ذلك من غير حكمة فبعد ما رأينا انه تعالي نهي جميع خلقه المؤمنين به كونا و شرعا عن التقدم علي الرسول صلي الله عليه و آله عرفنا انه المقدم بالذات و الا لمانهي عن ذلك و لاتزعم ان هذا الوجه من استدلالاتنا محض كلام فانك اذا نظرت الي اخبار آلمحمد عليهم السلام تري ان بناءهم في الاستدلال بالاخبار و الآيات علي ذلك و قال الله تعالي تبارك الذي نزّل الفرقان علي عبده ليكون للعالمين نذيرا و العالمون جمع محلّي يفيد العموم فهو نذير الله في جميعها و النذير اشرف من المنذرين علي المفعول لانه حجة الله عليهم فهو اشرف و افضل منهم لا محالة و يكفي هذا القدر من الآيات في اثبات كونه (ص) اول ما خلق الله و اما الاخبار فهي كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و قد ذكرنا اكثرها في الكتابالمبين و اروي في المقام حديثين من باب التبرك و التيمن ففي العوالم عن جابر بن عبدالله قال قلت لرسول الله صلي الله عليه و آله اول شئ خلق الله تعالي ما هو فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ثم اقامه بين يديه في مقام القرب ما شاء الله ثم جعله اقساما فخلق العرش من قسم و الكرسي من قسم و حملة العرش و خزنة الكرسي من قسم و اقام القسم الرابع في مقام الحبّ ما شاء الله ثم جعله اقساما فخلق القلم من قسم و اللوح من قسم و الجنة من قسم و اقام القسم الرابع في مقام الخوف ما شاء الله ثم جعله اجزاءا فخلق الملئكة من جزء و الشمس من جزء و القمر و الكواكب من جزء و اقام القسم الرابع في مقام

الرجاء ما شاء الله ثم جعله اجزاءا فخلق العقل من جزء و العلم و الحلم من جزء و العصمة و التوفيق من جزء و اقام القسم الرابع في مقام الحياء ما شاء الله ثم نظر اليه بعين الهيبة فرشح ذلك النور و قطرت منه مأةالف و اربعة و عشرونالف قطرة فخلق الله من كل قطرة روح نبي و رسول ثم نفست ارواح الانبياء فخلق الله من انفاسها ارواح الاولياء و الشهداء و الصالحين ، فظهر من هذا الحديث الشريف ان محمدا صلي الله عليه و آله اول ما خلق الله قبل جميع الكاينات و عنه في تفسير قوله تعالي كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف قال قال رسول الله صلي الله عليه و آله اول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره و اشعة من جلال عظمته فاقبل يطوف بالقدرة حتي وصل الي جلال العظمة في ثمانينالف سنة ثم سجد لله تعظيما ففتق منه نور علي عليه السلام فكان نوري محيطا بالعظمة و نور عليّ محيطا بالقدرة الحديث ، و هو طويل شريف و يكفي هذان الحديثان الشريفان في المقام فان بناءنا في هذه الرسالة الشريفة علي بيان البواطن و الدقايق .

فصل اعلم ان آلمحمد سلام الله عليهم منه بلا شك و لا ريب و ذلك امر بيّن نطق به الكتاب و السنة و الادلة العقلية الكثيرة التي لاتعدّ و لاتحصي اما من الكتاب فقوله تعالي حكاية عن ابرهيم فمن تبعني فانه مني و لا شك انهم صلوات الله عليهم اتبعوه بحقيقة المتابعة بحيث لميخالفوا عنه في صغير الامور و كبيرها اذ كانوا معصومين بنص آية التطهير و اذا كانوا متابعين له علي الحقيقة فهم منه و كذلك مرّ سابقا قوله تعالي الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم الآية ، و لايلحق به الا من كان من جنسه فآله من جنسه لا محالة و الا لميكونوا يلحقون به و قال في ردّ جماعة قالوا ان الملئكة بناته نعوذ بالله و جعلوا له من عباده جزءا فيظهر منه ان الولد جزء الوالد و لا شكّ ان الائمة اولاد النبي حقيقة فهم جزؤه و الجزء حكمه حكم الكل لا محالة

و كذلك قال الله تعالي في صفة الذريّة و اذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم و لايمكن ذلك الا بان يكونوا من طينة الآباء و الائمة لكونهم ذرية النبي يلحقون به و يكونون من جنسه و هو اولي بالمؤمنين من انفسهم فهم ايضا اولي بهم و كذلك مرّ في شرح الآية الكريمة في صفة الازواج انهن اولي بالمؤمنين و اولي الارحام بعضهم اولي ببعض و هم الاوليون لكونهم ملحقين بالنبي (ص) و قال الله عز و جل في كتابه انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا الآية ، و المؤمنون الذين وصلوا مقام الاولوية آلمحمد عليهم السلام اولهم اميرهم و هو اميرالمؤمنين عليه و آله السلام فهم اولياء المؤمنين و الولاية لاتثبت الا لاول الخلق و غيره لا ولاية له في الواقع و الحقيقة كما سيظهر لك ان شاء الله في الادلة العقلية و الاخبار الواردة في انهم منه كثيرة ففي الخبر اولنا محمد و اوسطنا محمد و آخرنا محمد و في الزيارة اشهد ان ارواحكم و نوركم و طينتكم واحدة طابت و طهرت بعضها من بعض و سمع رسول الله صلي الله عليه و آله و هو يخاطب عليا عليه السلام و يقول يا علي ان الله تبارك و تعالي كان و لا شئ معه فخلقني و خلقك روحين من

نور جلاله فكنا امام عرش رب العالمين نسبّح الله و نقدسه و نحمده و نهلله ذلك قبل ان يخلق السموات و الارضين فلما اراد ان يخلق آدم خلقني و اياك من طينة واحدة من طينة عليين و عجننا بذلك النور الحديث ، و عن ابيجعفر عليه السلام انه قال ان الله سبحانه تفرد في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلك النور محمدا و عليا و عترته ثم تكلم بكلمة فصارت روحا و اسكنها في ذلك النور و اسكنه في ابداننا فنحن روح الله و كلمته احتجب بنا عن خلقه الحديث ، و ورد اخبار صريحة في ان جميعهم اول ما خلق الله اروي بعضها في المقام قال ابوجعفر عليه السلام لجابر يا جابر كان الله و لا شئ غيره و لا معلوم و لا مجهول فاوّل ما ابتدأ من خلق خلقه ان خلق محمدا و خلقنا اهل البيت

معه من نوره و عظمته فاوقفنا اظلة خضراء الحديث ، و قال علي بن الحسين عليهما السلام ان الله عز و جل خلق محمدا و عليا و الائمة الاحدعشر من نور عظمته ارواحا في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبحون الله عز و جل و يقدسونه و هم الائمة الهادية من آلمحمد صلوات الله عليهم انتهي ، و الاخبار الواردة في ذلك كثيرة روينا بعضها في كتابالمبين و ان شئت فراجع و كونهم من نور واحد و طينة واحدة و اول ما خلق الله من ضروريات الشيعة و لايشك احد في هذه المسألة اجمالا و ان كانوا جاهلين بنتايجها .

فصل في بيان المسألة من الادلة العقلية الحكمية الالهية ، اعلم ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد امتناع جميع ما سواه معه بالنفي و الاثبات فلا ذكر لشئ معها و لاتزعم من قولنا ذلك ان الاشياء ممتنعة في درجة ذاته كما يتبادر الي ذهن المبتدي من لحن الكلمات فان ذاته تعالي لاتكون واقفة في درجة من الدرجات و لا حدّ من الحدود بل هي محيطة بجميع الاشياء موجودة في جميع اماكن وجوداتها فامتناع الاشياء معها امتناعها في رتبة وجوداتها اذ هي معها قال الله تعالي هو معكم اينما كنتم و ذلك كلام مشكل فاذا كانت الذات امتناع جميع الموجودات فلاينسب اليها شئ منها و لاتتصف بها و لاترتبط و لاتتصل و لاتضاف بنحو من الاضافات بل لاينبغي ان يضاف اليها شئ من الاعراض من ايّ مقولة كان بل هي منزهة عن الجواهر بل لايكون ذات لغيرها اذ هي هي اذ هي وحدها وحدها منزهة عن جميع السمات مقدسة عن كل الصفات و جميع ما يقال او قيل من المدلول و الدليل كلها راجع الي غيرها فللاسماء مسمّيات و للموصوفات صفات و للافعال مفاعيل و للمفاعيل افعال و للخلق ذات و للذات صفات و رجع من الوصف الي الوصف و دام الملك في الملك و جميع ما عبّرت عنه الالسن و ادركته المشاعر مخلوق فافهم ذلك فان ذلك قاعدة كلية ، فاذا عرفت ذلك فاعلم ان عرصة الخلق في نفسها لها مبدأ

و منتهي و ليس مبدؤها ذات الله و لا منتهاها بل هي محيطة بالمبدء و المنتهي و انا امثّل لك مثالا انك ذات منزهة عن الضرب و لايرد علي ذاتك شئ منه و لاتوصف به بل هو فعل محدث في مقامه و اشتقّ منه مشتقات في عرصته فللمشتقات في عرصتها مبدء و منتهي كلها راجع الي الضرب بدؤها منه و عودها اليه و لايرجع شئ منها الي ذاتك و

كذلك الامر في الملك له مبدؤ ملكي و ليس هو من الذات و لا فيها بل هو اصل الملك و مرجع الكل اليه و هو ذات الذوات و اصل الاصول و مبدؤ المبادي و رب الملك و فاعل الافعال و الا فالذات القديمة منزهة عن جميع ذلك الاتري انك تقول في قوله تعالي انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون ان فاعل كُن و فاعل يكون شئ واحد مستتر فيهما و هو الكاين لا محالة لا الذات البحت بل فاعل اراد ايضا غيبه و هو المريد و هو الذات الظاهرة بالارادة لا الذات الاحدية فانك قد عرفت القاعدة الكلية ان الذات امتناع جميع الاشياء فلايذكر معها شئ مريدا كان او مرادا ، شيئا كان او مشية او مشاءا ، تعالي عن ذلك علوا كبيرا فمرجع الملك الي رب الملك و هو الرب اذمربوب و هو الذي في السماء اله و في الارض اله لا الذات التي لا سماء معها و لا ارض ، افهم ذلك فانه دقيق فلهذا الملك مبدؤ مرده اليه و هو قبل المشية لا محالة فان المشية فعل و الفعل منوط بفاعل قبله و ان لميوصف بالفاعلية الا فيه و هو الذات المحيطة بالمشية و المشاءات جميعها و هي وصف الله الاجل الاعلي و كماله و العلم الذي قال عليه السلام في صفته انه لا خالق و لا مخلوق بل من كماله و نفسه التي قال في كتابه و يحذركم الله نفسه و بيّنه الامام عليه السلام في حديث و قال يحذركم ان تجعلوا محمدا مصنوعا و ليس المراد من ذلك انه الذات البحت البات بل كما عرفت سابقا فاوّل الخلق و مبدؤ الكل هذه الذات المقدسة و هي في غاية الوحدة و البساطة اذ لايتصور الاثنينية في المبدأ فان مبدء كل متكثر واحد لا محالة و ان ابيت الا الدليل اقول كل ما كان اثنان

يسبقهما جامع لهما لا محالة اذ لو لميكن فوقهما جامع لماعدّا اثنين و ذلك امر مسلّم و الجامع فوق الاثنين غير الرب اذلامربوب جل شأنه فهو من الخلق و هو واحد اذ لو كان اثنين للزم ما ذكرنا فتدبر فالذات التي هي مبدؤ الخلق واحدة لا اختلاف فيها و لا تعدد و يثبت لها جميع الكمالات اذ لو كانت فاقدة لكمال للزم عدم وجود هذا الكمال في الملك فان للخلق مبدءا و هي مبدؤ الكل فهي واجدة للكل علي الحقيقة و قد خلق الله جميع ما خلق من نورها و هو الفعل المطلق الذي خلق منه كل شئ بصدوره منه كصدور نور السراج من السراج فان ما من السراج نور واحد لا اختلاف فيه و قد ظهر في القوابل المختلفة و ظهر من كل قابل بلونه و صفته الاتري الي السراج ان له نورا في ذاته و بعد ما اشرق علي المردنجي الاحمر تلوّن النور بلونه ففشا منه نور احمر و بعد ما اشرق بالحمرة المستنبطة من المردنجي علي جدار اخضر يحصل لون آخر مركب من الحمرة و الخضرة و يسطع منه بهذا اللون و هكذا الامر في خلق الخلق من المبدأ الي المنتهي و الكل بفعله تعالي و قد ظهر في المرايا المترتبة المختلفة و حصل له شئون و انوار و الكل من ذلك الفعل و هو الذكر الاول لها اذ منه الفاعل و القابل لا غير و هو اثر الذات الاولي التي هي كينونة الله و نفسه و ذاته الظاهرة فمرجع الجميع اليها و الكل انوارها و شؤنها كما تري فيك ان فعلك اثرك و جميع صفاتك شئون فعلك و الكل آثارك و آياتك و علاماتك منك بدأت و اليك تعود .

فصل اعلم ان الاثر وجوده لمؤثره و لا بقاء له من نفسه بل جميع وجوده و امره و فعله و اثره للمؤثر بل لايري من الاثر الا المؤثر فانت اذا نظرت الي الاثر لمتر منه الا المؤثر

كما تري ان اشعة السراج جميعها وجوهه و مظاهره و لايري منها غير نفس السراج و فطرة الخلق جرت بذلك فان جميع الخلق يسمّون انوار السراج بالسراج و انوار الشمس بالشمس و صفات زيد بزيد و افراد

كل مطلق باسمه فان ذلك امر جبلي و ليس ذلك الا لانهم لايرون من الافراد الا المطلق المنير فانه اظهر في كل افراده منها و لذلك قال ابوعبدالله الحسين عليه السلام أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتي يكون هو المظهر لك ، و من هذا الباب ما يقال اعرفوا الله بالله فانه اظهر من كل شئ و ليس شئ آخر غيره يدل عليه بل هو دليل نفسه و مظهرها فافهم فانه دقيق فالذات الاولية التي هي المؤثرة للكل هي ظاهرة من جميع الآثار و تري من جميعها و تدعي باسمها من جميعها كما انك تدعو القائم باسم زيد و القاعد باسمه و الراكب باسمه و تحمل الجميع عليه من غير نكير فتقول زيد قائم قاعد راكب نائم مع ان ذاته في ذاتها غير محدودة بشئ منها و مع ذلك تكون كلها و كذلك الامر في الذات الاولية التي هي ذات الذوات و لاتزعم ان مرجع ذلك الي القول بوحدة الوجود او وحدة الموجود نعوذ بالله فان القائلين بوحدة الوجود قالوا ان ذات الاحد تطورت باطوار و بعد ما فنيت الاعراض يرجع الكل الي الاحد القديم جل شانه هذا قائلهم يقول :

و ما الخلق في التمثال الا كثلجة ** * ** و انت لها الماء الذي هو نابع

و قالوا في هذا المعني ابياتا كثيرة لست بصدد ذكرها و كذلك القائلون بوحدة الموجود قالوا ان جميع الخلق من مادة واحدة و كلامنا غير كلامهم بل كلامنا ان جميع الخلق انوار للكينونة الاولي مع انهم في درجات مختلفة من مواد متفاوتة و الكل يمتنع مع الله تعالي فالفرق بين قولنا و قولهم كالفرق بين الحق و الباطل و الكفر و الايمان و بالجملة فالآثار جميعها ظهورات مؤثرها بل الكل اسماؤه و صفاته فانت اذا نظرت الي الاسماء و دعوت المسمّي بها تكون صادقا البتة و اذا نظرت اليها و دعوتها بمعناها الذي هو المسمّي لكنت صادقا البتة فافهم هذه المقدمة السديدة الشريفة .

فصل لا شكّ في ان جميع الآثار و الصفات تحكي عن المؤثر فانه حقيقتها

و لكن الصفات بعضها لبُعدها عن المؤثر تغيّرت فطرتها الاولية فلاتحكي عن جميع شئون المؤثر علي ما ينبغي و بعضها اقرب فشباهته بالمؤثر اكثر و حكايته لشؤنه و كمالاته اشدّ و ان شئت ان تعرف مثال ذلك علي الحقيقة انظر الي الشمس و انوارها الساطعة فان ما في الهواء نورها و ما في الارض نورها و ما في الصحن بلا حجاب نورها و ما في الاظلال نورها فانه لولا النور لماظهر الظل ابدا فما تري انك تري في الظل و تقرؤ السطور فكل ذلك من نور الشمس لا نفس الظل فان نفسه ظلمة غير مرئية و لا مظهرة للغير و لكن مع ذلك تسمّي النور الظاهر في الصحن بالشمس و النور الظاهر في الظل بلون الظل و لاتسمّيه باسم الشمس و ليس ذلك الا لتغيّر لونه و صفته و كذلك افراد الانسان المطلق جميعهم انواره و انت تسمّي الكل باسم المنير اذا حكي بعض كمالات المؤثر الذاتية و شؤنه و اما اذا كان احد فاقدا لجميع الكمالات الا واحدا علي غاية

الضعف كالشباهة الصورية العرضية مثلا لايسمّي بالانسان و لذا تري ان الله اخرج جماعة من حدّ الانسانية و يتفاوت مراتب الانسانية في الافراد بحسب اختلافهم و لذلك نقول ان الانسانية تقبل الاشتداد و الضعف فزيد اكثر انسانية من عمرو و عمرو اقل انسانيته من زيد مع ان الحقائق بانفسها فوق الاشتداد و الضعف بل الوجود بهذا المعني ايضا يقبل الضعف و الاشتداد فان الموجود من حيث وجوده اضعف من الموجود من حيثين فافهم و كذلك الامر في المقام فان الكل آثار للكينونة الاولي و لكن بعضهم في غاية البعد الابعد فلميحكوا منه الا صرف تكوّن و فقدوا سائر الصفات و لذلك لايسمّون باسمها في الشرع و اما من كان حاكيا لكمالاتها و صفاتها يدعي باسمها و لكن بحسب كمالاتها و حكايتها فافهم ذلك فانه دقيق و بالكتمان حقيق و الاثر الكامل هو من كان حاكيا لجميع كمالاتها و صفاتها غير فاقد لشئ منها و اذا بلغ بهذه المنزلة ينسب اليه جميع ما ينسب الي المؤثر و يصل الي المؤثر جميع ما يصل اليه فيوصف

بجميع ما وصف به المؤثر و اما ساير الآثار فليس امرهم هكذا الا بعد الغض عن الخصوصيات و ان شئت ان تعرف ذلك علي الحقيقة انظر الي بدنك بالنسبة اليك فانك تقول لجميع بدنك زيد مثلا و ليدك ايضا تقول زيد و نسبة نفسك الي تمام بدنك و بعضه بالسواء و كلاهما يحكيان عنك في نسبة واحدة و انت اذا سميت بدنك باسمك صدقت و اذا سميت بعضك به صدقت و لكن اذا اردت ان تنسب الي بدنك جميع صفاتك كنت صادقا و اما اذا اردت ان تنسب الي يدك جميع ما تنسب الي نفسك ماكنت صادقا الا بعد الغضّ عن خصوصية اليد فافهم ذلك و مثال آخر اقرب من ذلك انك تقول لزيد قائم و قاعد و راكب و فاعل مطلق و تقول لكل واحد منها انه زيد و لكن لاتنسب الي القايم من حيث انه قايم انه قاعد او راكب الا بعد الغض عن الخصوصية و النظر الي زيد فيه و اما الفاعل الذي هو اكبر الصفات فينسب اليه جميع الاسماء و الصفات فتقول انه قائم و قاعد و راكب و غيرها فافهم ذلك و اضبطه فانه قاعدة شريفة .

فصل اذا عرفت ذلك فاعلم ان النور الاعلي الاول و التجلي الاعظم الاجل هو الخاتم لملك الله و الفاتح و الاول الآخر و الظاهر الباطن و هو حقيقة آلمحمد سلام الله عليهم و لا مجال لاحد لانكار ذلك بعد ما صرّحوا صلوات الله عليهم في اخبارهم بذلك قال اميرالمؤمنين عليه السلام كنا بكينونته قبل مواقع صفات تمكين التكوين كائنين غير مكونين موجودين ازليين و قال انا الاول انا الآخر انا الظاهر انا الباطن و انا بكل شئ عليم ، و جميع الخلق آثارهم و انوارهم و اشعتهم صلوات الله عليهم قايمون بهم صادرون منهم ففي الزيارة القضاء المثبت ما استأثرت به مشيتكم و الممحو ما لااستأثرت به ارادتكم ، و هم اولي بجميع الوجودات و الماهيات و الصفات و الاسماء و الاعراض و الجواهر منها و بهم ملأ الله سماءه و ارضه حتي ظهر وحدته في ذاته و صفاته و افعاله و عبادته و لكن الخلق لايصلحون للحكاية التامة عنهم و ان

كان جميعهم اسماءهم و صفاتهم و يصحّ انتساب الكل اليهم و يدعون بجميعها و قد اشار الله الي ذلك بقوله و تقلبك في الساجدين و غير ذلك من الآيات الصريحة عند اهلها و لكن مع ذلك لاينسب الي كل اسم ما ينسب اليهم صلوات الله عليهم الا بعد الغض عن الخصوصية بالمرّة الاتري ان اميرالمؤمنين عليه السلام يقول في بعض خطبه انا آدم و نوح و ابرهيم ، فعلي ذلك آدم اسمه و مع ذلك لاينسب الي آدم من حيث الآدمية جميع ما ينسب الي علي (ع) و كذلك مرّة يقول انا النجم و الشمس و القمر و مع ذلك لاينسب الي الشمس و القمر ما ينسب اليه و ليس ذلك الا لان نسبة هذه الاسماء اليه ليست الا كنسبة القائم الي زيد فبعد كشف سبحة الآدمية و النوحية تقول ما تقول في شأنه و اما مع خصوصية الصورة فان آدم و نوحا لمن المرسلين و لهما صفة المرسلين و ان عرفت هذا المطلب الشريف تعرف الامر في التوجهات كلية فانك تتوجه الي الكعبة لانها اسم من اسماء الله تعالي و اذا نظرت الي الكعبة مواجها لصورتها ناظرا اليها لاتقدر ان تناجي ربك فيها فانها ليست الا الكعبة البيت الحرام و لكن بعد الغض عنها تناجي ربك مقبلا اليها و كذلك الامر في جميع ملك الله تعالي فالابدان الجزئية لاتصلح لانتساب جميع ما يليق بالمؤثر اليها و لكن الله تعالي اختار ابدانا كاملة حاكية لجميع شئون اول الكائنات و هي ابدان محمد و آلمحمد صلوات الله عليهم يبلغ عددهم بحسب الارواح اربعةعشر لا خصوصية الابدان الجسمانية اذ ربما كانوا يظهرون في ابدان متعددة كما ظهر اميرالمؤمنين (ع) في ليلة واحدة في اربعين بدنا و كلها كان حاكيا لاول الكاينات فافهم هذه الاسرار حتي تطلع علي مطالب شريفة .

فصل هذا الذي ذكرنا في اثبات مطلق الاولية لا كونهم اول ما خلق الله اذ عرفت ان مقامهم فوق الفعل و المفعول لااقول انهم غير مخلوقين لله تعالي كلا بل هم مخلوقون و لكن لهم في مقام العلم الازلي موقف خاص بهم هم

صفحه ٣٩٩

في ذلك المقام قبل المشية و المشاءات و غيرهم و ان كانوا معلومين بالعلم الازلي الا ان مقامهم دون آلمحمد عليهم السلام بمنازل كثيرة و لعدم فعليتهم لايثبت لهم مقام من ذلك اذ اثبات المقامات بحسب الفعليات لا غير و بالجملة فآلمحمد عليهم السلام لهم مقام ثابت قبل المشية و لكن لهم ظهور و مقام في اول الاكوان يصدق عليه اسم اول ما خلق الله منها و ذلك اول المظاهر الكونية و التعينات الجوهرية الكلية و هذا المقام نور المقام الاول و لقد بيّن ذلك روحي فداه بقوله اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، و نور النبي غيره لا محالة و هو من الاكوان و قوله اول ما خلق الله روحي ، فان الروح غير الذات الاتري انك تقول روحي و تريد مرتبة غير ذاتك و هذا النور المقدس عرش استواء حقيقة نبينا و هو غيرها و هو العقل الذي قال اول ما خلق الله العقل ، و هو القلم الذي خلق به ما كان و ما يكون فهذا اول ما خلق الله بالمشية و لهذا ورد في الخبر المشهور اول ما خلق الله القلم ، و كذلك قد يعبّر عنه بالماء لانه مادة كل الخلق و ذلك قوله اول ما خلق الله الماء ، و لا شك ان ظهور المؤثر في المادة فانها يده في اظهار امره الكوني و الشرعي الاتري انه يقال ان الخشب المطلق مؤثر لجميع الاخشاب المنحوتة و هو اولي بها منها في كل الامور و اظهر منها بلا نقاب و لكن يده في الخشب المصور بصورة الباب نفس الخشب

الذي هو المادة لتلك الصورة الخاصة و ذلك امر ظاهر بيّن فجميع ما يصل الي الباب مثلا من الخشب اللابشرط يصل اليه بواسطة الخشب بشرط لا و رأسه المتعلق بهذا الباب الخاص و هكذا الامر في العالم الاعلي فالمادة في كل مقام يد المؤثر في الامر و لذا يعبر عن المادة الاولي بالقلم فانه يد الكاتب في كتابته و جميع ما يصدر منه من الخطوط يصدر منه بواسطة القلم فالمادة الاولي بعد الامكان الجايز المطلق هي العقل و هي الماء المخلوق منه كل شئ و هي الحقيقة المحمدية المعروفة في الالسنة و الافواه و لكنها ليست

صفحه ٤٠٠

حقيقته في الواقع بل حقيقته نور الكينونة و اعلم ان مشايخي اعلي الله مقامهم لميظهروا هذا الامر العظيم في هذا الحد لغلبة التقية نعم عبّروا عن تلك الحقيقة المباركة بالبيان و هي في الواقع هكذا و لكن الناس اكثرهم لايعقلون و لكني كشفت القناع في هذه الرسالة عن وجهها في الجملة و كم من خبايا في زوايا و قد جعل الله لكل شئ وقتا و ما كل ما يعلم يقال و لا كل ما يقال حان وقته و لا كل ما حان وقته حضر اهله و بالجملة فاول ما خلق الله من الاكوان روح الخاتم و نوره و هو من نوع المخلوقين بالمشية و اما العلم فلايكون مخلوقا فان المخلوق مخلوق بالفعل و الفعل مخلوق بالعلم و قد بيّن مولانا الباقر عليه السلام هذا المطلب الشريف لجابر الذي هو مخزن الاسرار قال يا جابر كان الله و لا شئ غيره لا معلوم و لا مجهول فاوّل ما ابتدأ من خلق خلقه ان خلق محمدا و خلقنا اهل البيت معه من نوره و عظمته فاوقفنا اظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء و لا ارض و لا مكان و لا ليل و لا نهار و لا شمس و لا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس ، انظر في مطاوي كلامه عليه السلام كيف بيّن الاسرار حيث بيّن ان وجودهم قبل المعلوم و المجهول فان المعلوم ما يمكن ان يعلم و هو مما دون القدر و المجهول هو القدر الذي لايطلع عليه الا الواحد الصمد و قوله لا شئ غيره ، يعم المشية و المشاء و قوله اول ما ابتدأ الي آخر ، يريد منه المعية الحقيقية اي الوحدة لا المعية التفصيلية فاوقفنا اظلة خضراء يريد منها النفس و ذلك قوله السلام علي نفس الله القائمة فيه بالسنن ، و ان النفس خضراء و باقي الخبر ظاهر و اما قوله ابتدأ من خلق خلقه ، له وجوه فاِما يريد انهم اول كل خلق خلقه مع انهم خارجون عنهم او يريد بيان كونهم مربوبين له فان الكينونة لاتكون الها بل هي ذات ظاهرة لله فتدبر و اما كيفية ابتداء ذلك النور فكما قال الصادق عليه السلام في حديث اعلم ان النور لميكن باطنا في الذات فظهر منه و لا ظاهرا

صفحه ٤٠١

منه فبطن فيه بل النور من الذات بلا تبعيض و غايب في غيبه بلا استتار و مشرق عنه بلا انفصال كالشعاع من القرص و النور من الشعاع الخبر ، فمخلوقيته صدوره من الله لا بحركة بعد سكون و لا بنطق بعد سكوت و لا بكيف من الكيوف و لا بوجه من الوجوه و ان عرفت صدورا هكذا فانت انت .

فصل اعلم ان العقل الذي ذكرناه هو مبدأ الاكوان و اول الادوار و المبدأ لا اختلاف فيه فانه من مشية الله سبحانه كالمصدر من الفعل و المصدر في غاية الاتحاد بالنسبة الي ساير المشتقات مع انه معنوي لانك قد عرفت انه مادة لجميع الصور و المادة لا اختلاف فيها

فلا تعدد في مقام العقل و مثاله فيك صرف شعورك فانه لا تخصص له بعلم دون علم و فهم مسألة دون مسألة و جميع هذه الخصوصيات تظهر في المشاعر فما كان من قبيل المعاني النسبية ففي الواهمة و المعاني الجزئية في العاقلة و ما كان من الصور الجزئية ففي المتخيلة و العالمة و الحس المشترك في كل واحدة منها ما يخصّها و اما نفس الشعور فهو صرف الادراك و الانفعال و مثاله في الملك العرش فان جميع الخصوصيات في الكرسي و الافلاك و لا اختلاف في نفس العرش بل هو اطلس اي عارٍ عن جميع القيود و الخصوصيات و الالوان و الامزجة و غيرها و حركته ايضا حركة بسيطة غير مختلفة بخلاف الكرسي فانه ذو شئون و كثرات من البروج و المنازل و الكواكب المتعددة و لذا يكون منشأ جميع الامور الحادثة المختلفة و الافلاك ايضا هكذا فالعقل لا اختلاف فيه مع انه مبدأ الكل و لكن مع ذلك تفصيله من المشية و الامكان اكثر فيثبت له اقل مراتب الكثرة في عين الوحدة و ذلك ان كل موجود يوجد في ثلثة اكوان كيان روحاني به حيوته و كيان جسداني هو وقاية للروح فانه لا جسد الا بالروح و لا روح الا بجسد ثم لا شك ان الروح بعيد عن الجسد في الوصف و الجسد بعيد عنه فلايلايمان و لايتركبان الا بوجود ثالث برزخ بينهما و هو النفس و ذلك قوله تعالي مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان فباي آلاء ربكما تكذبان

ثم ان هذه الاكوان كل كون منها مركب من اربعة اجزاء كيفية غاية الامر انها في كل شئ بحسبه ففي عالم المعني بالمعنوية و في عرصة الصورة بالصورية و في الجزئي بالجزئية و في الكلي بالكلية و ذلك ان كل شئ له اعلي و اسفل اعلاه جهته الي ربه و هي في غاية الحرارة لانها يد الفاعل في ايجاده و اسفله جهته الي نفسه و هي في غاية البرودة لبعدها عن المبدأ و هي مقام الطبيعة و الانيّة و كلاهما يابسان لايلتئمان فبينهما حرارة و رطوبة من جانب العالي و برودة و رطوبة من جانب السافل فبهذه الاربعة الاركان يتولد كل مولود و ذلك قوله تعالي و من كل شئ خلقنا زوجين و الزوجان اربعة بلا شك فيصير تمام المراتب اثناعشر تمامها اجزاء مولود واحد و كلها مخلوقة مع نفس المركب لاتسبقها ثم لها صورة جامعة هي مقام المجموع من حيث المجموع و مقام المزاج الظاهر فيها المتسلط عليها فهذه اربعةعشر فمقام العقل تفصيله يبلغ اربعةعشر و لكن في غاية الاتصال و الاتحاد فانه لايتصور فيها التكثر لما مرّ فروحه عين نفسه و نفسه عين جسده كالمولود الهرمسي فانه و ان كان من روح و نفس و جسد و ماء و ارض و صبغ و دهن و لكن جميع اجزائه صارت واحدة من دون اختلاف فصار بكله ماءا و بكله هواءا و بكله نارا و بكله ترابا و بكله روحا و نفسا و جسدا و بكله صاعدا و هابطا و ذلك شأن الواحد المعنوي فمن هذا الباب نقول ان العقل واحد بلا اجزاء مع انه مركب في الحقيقة من هذه المراتب و هذه الاربعةعشر مقامات المعصومين صلوات الله عليهم فان المزاج المستولي علي الكل هو النبي و الصورة الجامعة هي اميرالمؤمنين عليه السلام و الاثناعشر الائمة مع فاطمة عليها السلام او يكون الصورة الجامعة هي فاطمة عليها السلام و الاجزاء هم الائمة و لايورث ذلك كونها افضل منهم لجهات حكمية *من تلك الجهات ان الصورة الجامعة هي مقام الامكان و هو قوة بالنسبة الي الافراد كالجسم بشرط لا بالنسبة الي العرش و الكرسي و السماوات و الارض فانه امكان لها اعلاه*

الامكان الراجح و اسفله الجايز و الفعليات كائنة ما كانت اشرف من القوة و القوة بمنزلة الام لها فافهم ، منه (اعلي الله مقامه) .

ليس هنا محل ذكرها ، هذا و بعد ما عرفت

وحدتهم في الحقيقة و الواقع لايشتبه عليك الامر فان كلهم نور واحد .

فصل اعلم ان جميع ما خلقه الله في اعلي الخلق لا بد من نزوله الي الدنيا و ما خلقه الله في الدنيا لا بدّ من صعوده الي العليا و ينطق بذلك قوله تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق فجميع الآيات الغيبية ظهرت في السموات و الارض و قال الله تعالي و ما امرنا الا واحدة فامره في الغيب و الشهود واحد بلا اختلاف قال الصادق عليه السلام العبودية جوهرة كنهها الربوبية الحديث ، فلما خلق الله العقل في الغيب اختار له بدنا في كل عالم من العوالم لظهور ما خفي فيه من البواطن و تفصيل المجملات و لكن اختار له في كل عالم من العوالم بدنا معنويا كليا بالنسبة و هو البدن العرشي فعرش كل عالم ظهور العقل فيه كما ان كرسي كل عالم ظهور النفس فيه و هكذا و ذلك قوله عليه السلام في صفة بدئهم حيث قال المفضل للصادق عليه السلام ما كنتم قبل ان يخلق الله السموات و الارضين قال عليه السلام كنّا انوارا حول العرش نسبّح الله و نقدسه حتي خلق الله سبحانه الملائكة فقال لهم سبّحوا فقالوا يا ربنا لا علم لنا فقال لنا سبّحوا فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا الا انا خلقنا من نور الله و خلق شيعتنا من دون ذلك النور فاذا كانت يوم القيمة التحقت السفلي بالعليا و سمع رسول الله صلي الله عليه و آله يقول كنت انا و علي عن يمين العرش نسبح الله قبل ان يخلق آدم بالفي عام انتهي ، فعرش كل عالم من العوالم مظهر نورهم فيه و لذا يكون العرش قطب ساير اجزاء العالم و جميع الفيوض يصل اليها منه و كلها يدور عليه بالاستمداد

و منزلته من العالم منزلة القلب من الانسان ثم لما اراد الله خلقهم في عالم الاجسام اخذ من طينة عرش عالم الاجسام اي عناصره و ركبها فظهروا من المولود المركب منها فان عناصر ساير العالم لاتصلح لحكاية نور اول ما خلق الله تعالي فان الروح لايظهر في بدن الا بالمناسبة التامة الاتري ان روح الحيوان لايظهر الا في بدن مخصوص به لا غير و روح الانسان لايظهر الا في بدن مخصوص به و كذلك روح القطب لايكاد يظهر الا في بدن مناسب به و لايناسبه الا ما كان من قطب الاجسام فتدبر فلذا اختار الله سبحانه لظهورهم في كل عالم بدنا من سنخ قطب ذلك العالم فعلي ذلك هم اول ما خلق الله في كل عالم من العوالم فان قطب كل عالم اول ما خلق الله منه حتي ان قلب الانسان الذي هو قطب بدنه اول ما خلق الله منه ثم يخلق منه ساير اعضائه و جوارحه فكذلك هذا البدن الخاص بالائمة عليهم السلام في هذا العالم اول ما خلق الله من الاجسام و ان كان مخلوقا في جزء خاص من الزمان فانه ليس المراد من الاولية الاولية الزمانية حتي يورد عليه سبق ازمنة عليه و لكن المراد منها الاولية الرتبية و الاشرفية و لا شكّ في ذلك لما عرفت انه لايليق بالاشرف الا اشرف الابدان مع ان المناط في الحكمة ليس الصورة التعليمية و الاعراض الزايلة بل المناط المادة المتصورة بها و الحادث في جزء من الزمان الصورة

التعليمية و البدن العرضي و الا فالمادة عرشية سابقة علي جميع المركبات الفلكية و العنصرية و بالجملة فحاصل الكلام ان آلمحمد عليهم السلام حقيقتهم اول الكاينات و مظاهرها ايضا اول بالنسبة اعني ان اول المظاهر اي العقل سابق علي جميع الكاينات و عرش عالم الارواح الذي هو مظهرهم في عالمها سابق عليها و علي جميع ما دونها و دون اول مظاهرهم و هكذا .

فصل اعلم ان حجة الله في الحقيقة من يقوم به الحجة في اصل التكليف الذي هو الغاية و هي المعرفة و قد خلق الله الخلق لها و اقام الحجة للتعريف

و لا شك ان المراد من المعرفة معرفة الله فلايقوم الحجة الا بوجود ظاهر الله و بغير ذلك لايحصل المعرفة التامة و لايقوم الحجة البالغة و قد عرفت مما اشرنا اليه انهم اول الكائنات فهم اول المظاهر و ساير المظاهر تكون مظاهر بحسب حكايتهم عنه اذ لاتصل الي الله الا بواسطته و لذا ورد في الزيارة انتم السبيل الاعظم و ورد اخبار اخر دالّة علي ذلك سيأتي بعد في البيان و المعاني فالحجة الاولي الواقعية لله تعالي آلمحمد و ساير الحجج حججهم و الآيات آياتهم كما قال السجاد عليه السلام في حديث الخيط حيث قال جابر يا سيدي العجب انهم لايدرون من اين اتوا قال اجل ثم تلا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا و كانوا بآياتنا يجحدون و هي والله آياتنا و هذه احدها و هي والله ولايتنا يا جابر الخبر ، و اذ كانوا هم الحجة من عند الله لا غير فلا مبلّغ سواهم في الحقيقة و لا شك ان المبلغ لايكون مبلغا الا اذا ظهر في لباس امته و الحجة لايكون حجة الا اذا لبس عليه ما يلبسون كما قال تعالي و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا و للبسنا عليه ما يلبسون و في ظاهر الظاهر يأول قوله لبسنا الي البسنا اي كسونا عليهم مثل لباسهم فلا بدّ و ان يظهر الحجة الاعظم في جميع العوالم الالفالف بلباس اهل العوالم و الا لماصح الابلاغ و قد قال اميرالمؤمنين عليه السلام في اخبار متعددة ما معناه انه الحجة و الامام علي جميع العوالم ، فظهروا في كل عالم لهم و بلّغوا و ادّوا عن الله و اظهروا احديته غاية الامر ان اظهارهم علي حسب اقتضاء ذلك العالم كظهورهم و كذلك هم في كل عالم اول ما خلق الله من اهل ذلك العالم و اما ما ذكرت ان ساير الحجج حججهم فاعلم ان الله قد ظهر بهم لهم و لساير الناس فصاروا حجة الله لكل احد و قد ظهروا في الانبياء و الحجج و ظهروا بهم لساير الناس و ذلك قوله عليه السلام ان لنا مع كل ولي اذنا سامعة و عينا ناظرة و لسانا ناطقا و قال الا و انا نحن النذر الاولي و نذر الآخرة و الاولي

و نذر كل زمان و اوان ، فافهم ذلك فانه دقيق و قد ظهروا فيهم للناس بحسب صلاح الازمان و ظهروا بلباس خاص بهم ايضا بحسب صلاح الزمان و لست في المقام بصدد بيان ذلك .

فصل اعلم ان الادلة علي كون النبي و آله اول ما خلق الله كثيرة لاتحصي و لكن مرادي محض الاشارة الي بعضها و لما ذكرت البرهان مجملا من الكتاب و السنة و الاجماع و دليل الحكمة لا عليَّ ان اثبت ذلك بالمجادلة و الموعظة ايضا فان معرفة طرق الاستدلال

في المسائل الكلية من اللوازم فاقول من باب المجادلة ان لهذا الخلق المشهود اول ام لا ، لايشك عاقل في ان له اولا فان ذلك مسلّم اذ ليس جميع الخلق في عرض واحد حتي يفرض كون جميعهم دايرين علي مركز واحد فانه لا شك ان الروح قبل الجسد و العقل قبل الروح و المطلق قبل المقيد و العلة قبل المعلول فانها كأنها من الامور المسلّمة الاولية فاذا كان الامر هكذا فمن هذه الدنيا التي هي آخر العوالم الي غايتها حدّ معلوم تنتهي اليها بلا شك فانه قد ثبت ان كون نهاية الشئ في مقام دليل علي ثبوت مبدء له و ان لميدرك المبدأ فانه اذا كان خيط رأسه عندك و رأسه الآخر في غاية البعد منك بحيث لاتدركه لكان انفصام رأسه دليل انفصام رأسه الآخر فلهذا الملك مبدؤ ينتهي اليه لان له منتهي نحسّه و ندركه و لا شك ان المبدأ اشرف الخلق لا اخسهم بل هو اشرف خلق الله من كل جهة حتي يصدق عليه المبدئية من كل حيث و الا لكان مركبا من مبدأ و غير مبدأ و هذا خلاف الفرض و الاشرف من كل حيث ليس من الرعية بل هو من الانبياء و من اشرفهم لاختلافهم في الدرجات فهو من اولي العزم البتة و درجات اولي العزم ايضا مختلفة فهو اشرف من جميع اولي العزم من الرسل و قد ثبت باجماع جميع المسلمين مفصلا و اجماع الملل مجملا ان محمدا صلي الله عليه و آله اشرف من ساير اولي العزم هذا و هو صلي الله

عليه و آله ادعي لنفسه ذلك و سدده الله عليه و السابقون من الانبياء اخبروا بوجوده و شرافته فاذا عرفت كونه اول ما خلق الله بالمجادلة نقول بهذا الوجه لاثبات كون الائمة ايضا اول ما خلق الله انه صلي الله عليه و آله ارسل من عند الله لابلاغ امر معهود و تكميل شئ معلوم لاينبغي ذلك لغيره و لو كان يقدر علي ابلاغ هذا الامر العظيم غيره لماوكله الله لهذا الامر فان الله حكيم لايفعل العبث و لا شك ان ارسال اول ما خلق لابلاغ امر يقدر عليه كل حجة لغو و تضييع له فهو موكل بامر فوق طاقة ساير الانبياء و لا شك ان وصي كل نبي لا بد و ان يكون من سنخه لان الوصي موكل بتكميل ما ارسل به النبي و لو لميكن من سنخه لماقدر علي ابلاغ امره الا ان يكون وصيا في امر خاص و هو غير الوصي المطلق فلا بد ان يكون اوصياء الخاتم صلي الله عليه و آله من سنخه و الا لماقدروا علي تكميل شرعه و احقاق حقه و اقامة دينه و لذا قال صلي الله عليه و آله لوصيه صلي الله عليه انت مني بمنزلة هرون من موسي و قال الله تعالي حكاية عن موسي لااملك الا نفسي و اخي و قال اخي هرون فعلي ذلك عليٌّ اخو رسول الله و الاخ لايكون الا من طينة اخيه فهو من رسول الله و لذا قال عليٌّ نفسي و كذلك قال في ساير اوصيائه كقوله حسين مني و انا من حسين و بالجملة فاوصياؤه صلي الله عليه و آله منه فهم جميعا اول ما خلق الله فافهم و تدبر ثم ان انواع الادلة الجدلية في المقام كثيرة و لكن المراد الاشارة و من باب الموعظة اقول ظهور المبدء في الخلق لتكملهم منه اقرب و انفع لاستخراج ما كمن فيهم من نوره فان تكمّل كل شئ من سنخه البتة و لو لميظهر لتكميلهم لماخرج من مكامنهم ما اختفي من نور المبدء الا بعسر شديد و الله لايترك الاقرب و الاصلح يقينا و ظهوره بعد جميع الانبياء و المرسلين اولي فان الانبياء يكمّلون القوابل و

يعدّونها للتكمل منه و قبل تكملهم بما دون نور المبدأ لايتكملون به البتة فان الطفرة محال و السير

صفحه ٤٠٨

من الاسفل الي الاعلي من غير سبيل الوسط ممتنع فالاولي ان يبعث اولا ساير الانبياء الحاملين للنور الادني ثم يبعث الخاتم بعدهم و الله سبحانه لايترك الاولي و لا شك ان محمدا خاتم الانبياء لانه ادعي ذلك و لميبطل الله امره و لميدحض حجته و لو لميكن خاتما لكان الاولي ان يدحض الله حجته و لايغوي عباده فانه لايرضي لعباده الكفر فان الايمان اولي و بالجملة هذه دستور في طريق الموعظة فان المراد منها الاخذ بطرف اليقين الخالي من الضرر مسلما .

فصل اعلم ان كونهم اول ما خلق الله اصل جميع فضايلهم و من العجب ان الله سبحانه جعل هذه الفضيلة العظيمة ضرورية فان كل الشيعة يقرّون بذلك مع انهم لايعرفون حقيقته الا من اتي الله بقلب سليم و امتحن الله قلبه للايمان حتي ان جماعة مع اقرارهم بهذا الاصل العظيم ينكرون اكثر ما يترتب عليه و قد جعل الله الاصل ضروريا حتي لايشتبه الامر فانه لو كان الاصل غير بديهي لكان لهم الحجة بان يقولوا ماعرفنا و انا كنا عن هذا غافلين و لكن بعد ما صار من ضرورياتهم يكون لله الحجة عليهم و لما كان بناؤنا علي القاء الكليات لسنا بصدد ذكر الجزئيات مع انها لاتعدّ و لاتحصي و لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا و لكني اذكر بعضا بطريق الاشارة و عليك باستنباط الجزئيات فاقول اذا كانوا اول ما خلق الله فجميع الملك صادر من امرهم شرعا و كونا و جميع الخلق صنايع لهم كونا و شرعا و موادهم و صورهم من نورهم او ظل نورهم فهم اولي بكل موجود من نفسه و اظهر في مكانه منه في الدنيا و الآخرة و مرجع الكل اليهم و مرد الامور جميعها مطلقا اليهم و الثواب و العقاب و الحساب و الكتاب عليهم فان جميع الامور راجعة الي المبدأ و هم المبدأ الاتري ان في هذا الملك لايقوم شئ الا بالجسم المطلق و لايصدر شئ الا منه و لا فاعل سواه و لا مؤثر غيره و المواد من مادته و الصور من صورته و الوجود كله له و الامر له و الحكم له

صفحه ٤٠٩

و هكذا الامر فيهم صلوات الله عليهم و كذلك الامر في لزوم متابعتهم فان اول ما خلق الله اولوا الامر المطلق و لا محيص لاحد من اتباعهم في الكون و الشرع و ان جميع ما صدر من اوامر الله تعالي صدر منهم و بسببهم و بالجملة نتايج هذه الفضيلة اكثر من ان تحصي و لست في المقام بصدد ذكر جميعها و سيظهر لك كلياتها في ذكر مقاماتهم ان شاء الله .

المطلب الثاني في ذكر بعض فضايلهم مما يتعلق بالبيان و فيه فصول بعد مقدمة :

مقدمة قد ثبت لنا بالنقل و العقل ان محمدا و آله صلوات الله عليهم لهم مقامات اربعة و هي البيان و المعاني و الابواب و الامامة و يجب علي الناس معرفتهم بها و من لميعرفهم في هذه المقامات صار معرفته ناقصة و لا علينا ان نذكر شطرا من الادلة النقلية في المقام لاثبات المقامات لهم صلوات الله عليهم فاقول قال الله تعالي في محكم كتابه الرحمن علّم

القرآن خلق الانسان علّمه البيان و تكرار لفظ علّم و القرآن و البيان يشهد بان هذين العلمين متفاوتان و ان البيان غير القرآن فان البيان مقام النقطة و القرآن مقام التفصيل اذ قال قرآنا فرقناه لتقرأه علي الناس علي مكث و قال كل شئ احصيناه كتابا و قال و لا رطب و لا يابس الا في كتاب مبين ، هذا و لو كان البيان نفس القرآن لماكرّره و لو كان شيئا من امور الخلق لكان في القرآن بنص الآيات فهو امر خارج منها و قد قال علّم القرآن علي الاطلاق و خصّ علّم البيان بالانسان و في ذلك نوع تخصيص فانه قد علّم القرآن ملائكته و الجن كما يشهد بذلك قوله قل اوحي اليَّ انه استمع نفر من الجن الخ ، و لكن علم البيان مخصوص بالانسان الذي خصّه بالامانة و الانسان الحقيقي هو الخاتم و اهل بيته فعلم البيان مخصوص بهم و علمه ليس كساير العلوم فان ساير العلوم حضور اشباح الاشياء او اعيانها

عند العالم و اما البيان فهو ذات و حقيقة و لا شبح لها و لا عين غير ذاتها و علم الذات نفس الذات فعلّمه البيان اي جعله بيانا قال الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة البيان الاسم الاعظم الذي به علم كل شئ و سئل الرضا (ع) عن قوله تعالي الرحمن علّم القرآن قال الله علّم القرآن قيل فقوله خلق الانسان علّمه البيان قال ذاك اميرالمؤمنين علّمه الله بيان كل شئ يحتاج اليه الناس و كذلك قال تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق اولميكف بربك انه علي كل شئ شهيد و هذه الآية في الشرع مخصوصة بهم بل يمكن ان يقال ان جميعها في الشرع و المراد من الآيات نفس آلمحمد عليهم السلام و لميرهم اياهم في الدنيا علي الآئية و النورانية و قال سنريهم يعني بعد في الرجعة في الآفاق و في انفسهم يعني يملأون مشارق الارض و مغاربها و بالجملة لما كان المراد الاستدلال بالظواهر نقتصر بها ليسهل الاقرار به للخصم فاقول في الكون اري آياته الكونية جميع الخلق و اما في الشرع فيخص ذلك بهم و من اتبعهم و اما ساير الناس فهم غثاء و كأين من آية في السموات و الارض يمرّون عليها و هم عنها معرضون و قال كذبوا بآياتنا فالمعني بقوله سنريهم جماعة خاصة و قد اراهم آياته و الآية لاتكون آية الا اذا ظهر منها ذو الآية فهي البيان فقال سنريهم البيان و اراءة الحقيقة بالكشف لا محالة و الكشف لايحصل الا بايجاد المشعر المناسب للمُدرَك علي المفعول و قد ثبت في الحكمة ان آية الله لاتدرك الا بها فلا بد من جعلها فيمن يشرفه بادراكها فقوله سنريهم اي بجعل الآية فيهم و يكشف عن ذلك قوله في انفسهم فانها لو لمتجعل فيها لمارآها فيها فتدبر ثم يظهر من نفس الآية ان المراد منها البيان حيث قال حتي يتبين لهم انه الحق اولميكف بربك انه علي كل شئ شهيد ، و قال مولانا الصادق عليه السلام في شرحه اي موجود في غيبتك و حضرتك ، فتلك الآية مشعر يعرف بها الله تعالي و لايعرف الله الا بالبيان فافهم ذلك بالعيان

و قال الله تعالي و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب و لا الايمان و لكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء و من كان صاحب هذا الروح يكون صاحب المعاني

و المعني اي الظاهر و لا ظاهر الا بالباطن و الباطن هو البيان و قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان و ايّدهم بروح منه و في مقام الابواب قال الله تعالي اهدنا الصراط المستقيم و المراد من الصراط الائمة عليهم السلام كما في آية اخري هذا صراط عليّ مستقيم و قد قرأوا عليَّ علي ان يكون حرف الجر مع الياء و لكن العاقل لايشك في ان نزوله علي خلاف ذلك فالصراط مضاف و عليّ اسم مضاف اليه و قال رسول الله (ص) يا علي الصراط صراطك فافهم و قال ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا فلا سبيل الي الفيض مطلقا غيره و قال ماشهدتهم خلق السموات و الارض و لا خلق انفسهم و ماكنت متخذ المضلين عضدا و هم الهادون المهديون فهم اعضاد و الاعضاد ابواب و قال ليس البر ان تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البر من اتقي و أتوا البيوت من ابوابها و هم ابواب بيوت الرحمة و الفيض و امثال ذلك من الآيات كثيرة و الآيات الناصة علي الامامة ايضا كثيرة مرّ شطر منها فراجع و اما الاخبار في المقام فاما بحسب المعني فكثيرة و لكني اريد رواية ما ورد باللفظ فعن جابر عن علي بن الحسين عليهما السلام في حديث طويل قال له جابر الحمد لله الذي منَّ علي بمعرفتكم و الهمني فضلكم و وفقني لطاعتكم و موالاة مواليكم و معاداة اعدائكم قال صلوات الله عليه يا جاير أوتدري ما المعرفة المعرفة اثبات التوحيد اولا ثم معرفة المعاني ثانيا ثم معرفة الابواب ثالثا ثم معرفة الامام رابعا ثم معرفة الاركان خامسا ثم معرفة النقباء سادسا ثم معرفة النجباء سابعا و هو قوله تعالي قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا و تلا ايضا و لو ان ما في الارض من شجرة اقلام و البحر يمدّه من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم يا جابر

اثبات التوحيد و معرفة المعاني اما اثبات التوحيد فمعرفة الله القديم الغائب الذي لاتدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير و هو غيب ستدركه كما وصف به نفسه و اما المعاني فنحن معانيه و ظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته و فوّض الينا امور عباده فنحن نفعل باذنه ما نشاء و نحن اذا شئنا شاء الله و اذا اردنا اراد الله و نحن احلّنا عز و جل هذا المحل و اصطفانا من بين عباده و جعلنا حجة في بلاده فمن انكر شيئا و ردّه فقد ردّ علي الله (جل ظ) اسمه و كفر بآياته و انبيائه و رسله الحديث ، و عن جابر عن ابيجعفر عليه السلام انه قال يا جابر عليك بالبيان و المعاني فقلت و ما البيان و المعاني فقال عليه السلام اما البيان فهو ان تعرف ان الله سبحانه ليس كمثله شئ فتعبده و لاتشرك به شيئا و اما المعاني فنحن معانيه و نحن جنبه و يده و لسانه و امره و حكمه و كلمته و علمه و حقه و اذا شئنا شاء الله و يريد الله ما نريده و نحن المثاني التي اعطانا الله نبينا و نحن وجه الله الذي ينقلب في الارض بين اظهركم فمن عرفنا فامامه اليقين و من جهلنا فامامه سجين و لو شئنا خرقنا الارض و صعدنا السماء و ان الينا اياب هذا الخلق ثم ان علينا حسابهم و قد عبّر الصادق عليه السلام عن هذه المقامات باسماء اخر في حديثه قال ان امرنا هو الحق و حق الحق و هو الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن و هو السرّ و سرّ السرّ و سرّ مستسر و سرّ مقنع بالسرّ و عنه عليه السلام ان امرنا سرّ مستسر و سرّ لايفيده الا سرّ و سرّ علي سرّ و سرّ مقنع بسرّ و في الخبر الاول في الفقرة الاولي

اشار الي خمس مقامات : الحق و حق الحق و الظاهر و باطن الظاهر و باطن الباطن فيمكن ان يقال ان باطن الباطن مقام آخر فوق البيان لم‌يفصح به الي هذا الزمان و ساير المقامات هي المقامات المذكورة او يقال ان الظاهر هو مقام خامس دون الامامة و هي القطبية كما سنذكر ان شاء الله و عن ابي‌جعفر عليه السلام انشأ يقول ابتداءا من غير ان يسأل نحن حجة الله و نحن باب الله و نحن لسان الله و نحن وجه الله و نحن عين

الله في خلقه و نحن ولاة امر الله في عباده و في الزيارة الثالثة اشهد انكم ابواب الله و مفاتيح رحمته و مقاليد مغفرته الزيارة ، و الاخبار في انهم باب الله اكثر من ان تحصي و اما الامامة فامر ظاهر و فضل باهر يعرفه كل احد و اما الادلة العقلية علي المراد فسأذكرها ان شاء الله في تلو المطالب .

فصل في اثبات ظهور البيان في آل‌محمد عليهم السلام و ساير مظاهره ، اعلم ان الله سبحانه ذات احدية لاتحدّ بشئ من الاشياء و لا بحدّ من الحدود و لا بجهة من الجهات اذ الاحد فوق الفوق بلا فوق و تحت التحت بلا تحت و ليس في عرض شئ من الاشياء حتي يحدّ به الاتري الي الجسم المطلق اللابشرط لكونه خارجا عن جميع حدود الافراد كائنة ما كانت لايحدّ بشئ منها فلاينتهي الي شئ منها فهو معها اينما كانت و فيها و منها و عليها فانت اذا نظرت الي العرش مع الغض عن العرشية التي هي حد العرش تجد الجسم علانية و اذا نظرت الي الكرسي تجده و اذا نظرت الي الافلاك و العناصر هكذا تجده لااريد ان الجسم ينافي العرشية و الكرسية و لذلك لا بدّ من الغض عنهما و عن ساير الخواص فانك قد عرفت انه غير محدود و غير المحدود لاينافي شيئا من الحدود اذ لايعزل عنها و لكني اريد ان العرش بالعرشية ناقص عن درجته و الكرسي بالكرسية ناقص عن درجته مع ان الكل صفته و الجسم تمام العرش بلا شبهة و ليس العرش كل الجسم و لذا لاتقول للعرش انه كرسي و تقول للجسم انه كرسي فافهم فانه دقيق و كذلك الامر في الله ربنا و فوق ذلك فانه فوق جميع الحدود و لايحدّ بشئ من الاشياء فلايقف علي حدّ ابدا و يظهر في كل شئ و من كل شئ قال الله تعالي و نحن اقرب اليه من حبل الوريد و قال أولم‌يكف بربك انه علي كل شئ شهيد و قال هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم و ذلك شان الاحد جل شانه و قال مولانا ابوعبدالله الحسين عليه السلام ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك

حتي يكون هو المظهر لك متي غبت حتي تحتاج الي دليل يدل عليك و متي بعدت حتي تكون الآثار هي التي توصلني اليك عميت عين لاتراك و لاتزال عليها رقيبا ، فهو تعالي ظاهر من كل شئ و في كل شئ في غيبته و حضرته و لكن درجات الخلق في الحكاية عنه تعالي متفاوتة شرعا فمنهم من يكون في غاية القرب الاقرب من الله تعالي و منهم من يكون في غاية البعد الابعد لا انه تعالي قريب من احد و بعيد عن احد و لكن القرب و البعد بحسب صفاء القوابل و كدورتها و جامعيتها و عدمها فمنها ما يكون جامعا لجميع صفات الجمال و الكمال و العظمة و الجلال فيحكي عن الله المتعال اشرف حكاية و منها ما يكون

في غاية النقص و الفقدان فلايحكي عن نوره تعالي علي ما ينبغي و امثّل لك مثالا آخر و لله المثل الاعلي ان الشمس مضيئة شفافة برّاقة و هي في الفلك و نسبتها الي جميع الاحجار بالسواء و لاتكون اقرب الي حجر من حجر و هي مشرقة علي كلها و نفذ نورها في جميعها و لكن الاحجار متفاوتة فمنها صافية لطيفة صقيلة و منها غليظة كثيفة فما كان منها صافيا صقيلا يحكي عن الشمس علي ما ينبغي فانه يشير الي لونها و هيئتها و نورها بل يصير مشرقا مثل الشمس المضيئة محرقا مثلها بحيث لايبقي فيما بين الشمس السماوية و ما يظهر من الحجر تفاوت بوجه الا انه شبح لها و آية و اما ساير الاحجار الغليظة فلاتحكي عن جميع كمالات الشمس بل تحكي عن نور مبهم الاتري انه لايظهر من الحجر الغاسق سوي نور واحد مبهم و لايظهر منه لون الشمس و هيئتها و صفاؤها و لكن المرآة تحكي عن جميعها فلذا نقول ان حقيقة البيان اي بيان الشمس ما يكون ظاهرا في المرآة لا ما يكون في الحجر و ذلك فيما اذا كانت القوابل من عرض واحد و اما اذا كانت في درجات مختلفة فاعلم ان العلة تحكي نور الله قبل معلولها و ما يظهر في المعلول لايظهر الا بواسطة العلة كما في الجسم و الافلاك فان الوجود مثلا يظهر من الجسم و من

الافلاك و نسبته الي جميعها بالسواء و لكن يظهر من الجسم اولا و منه يظهر في الافلاك اذ اصل وجود الافلاك من الجسم و بقاؤها به و هو العلة لكلها فالوجود يظهر في الجسم اولا ثم يظهر منه في افراده فما في افراده من الوجود فرع ما كان من الوجود في الجسم فاذا عرفت هذه الامثال فاعلم ان آلمحمد سلام الله عليهم في حقايقهم علة جميع الكائنات و في مقام شخصيتهم اصفي و اعدل من جميع القوابل فنور البيان فيهم اظهر و اسبق و اولي و اعلي من جميع الخلق فكل بيان في الخلق من فرع بيانهم و ذلك قوله عليه السلام نحن اصل كل خير و من فروعنا كل برّ و من البر التوحيد و في الزيارة من اراد الله بدأ بكم و من وحّده قبل عنكم و من قصده توجه بكم ، فافهم ذلك نعم في مقام البيان لعلك لاتلتفت الي شئ غير البيان فلاتلتفت الي انه فرع او اصل كما انك لاتلتفت الي انه بيان الله لا ذاته و ذلك دقيق في غاية الدقة انظر فيه بنظر دقيق حتي تعرفه .

فصل اعلم ان هذا الامام المحسوس الملموس في المحراب و علي المنبر له مقامات مقام بدن ظاهر ملموس و هو البدن العرضي المأخوذ من سنخ الجمادات و النباتات و ان كان من اعدلها و اصفاها و لكنه من فسحة وجود النبات و الجماد و روح هذا البدن روح الحيوة و هي ايضا من سنخ سائر الارواح الا انها من اعدلها و اصفاها و هم في هذه المراتب يمشون في الناس بطبعهم و يأكلون و يشربون و ينكحون قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق ثم فوق هذه المقامات لهم مقام في الاناسي و هو مقام روح الايمان رابع الارواح و فيهم اكملها و اعلاها و اصفاها فيكونون كاملين في جميع صفات الانسانية و لايعرضها النقص و الزوال ابدا و اما الحيوانية و النباتية و الجمادية فعرضية لهم و ربما يعرضها النقص و الزوال و ان لمتخرج من حدّ الاعتدال ما دام ظهور روحهم فيها و اما صفات الانسانية فليس امرها هكذا

اذ هي من الذاتيات في الواقع فلا بدّ و ان يكون انسانيتهم اكمل و اكثر و اتم و اصفي و اعدل من الجميع فيكونون اكثر علما و حلما و فكرا و ذكرا و نباهة و حكمة و نزاهة بخلاف صفات الحيوانية و النباتية فانها باختيارهم ففي صغرهم مثلا كان نشوهم و نماؤهم اكثر من ابناء الجنس و في الكبر ربما كان يسقط اسنانهم و كانوا صابرين علي ذلك و كانوا يمرضون و يصبرون و اما انسانيتهم فهي اجل من ان يعرضها الاعراض و لميكن يضعف شئ منها في الصغر و الكبر ثم فوق مقام الانسانية لهم نفس غيبية معنوية عقلانية و هم في هذا المقام قطب الدوائر عليهم يدور كل الخلق و يستمدون منهم الفيوض فان العقل لنور الغيب مثل الشعلة للنار فان جميع فيوض النار تصل اليها و الانوار تصدر منها و تدور عليها و هي و ان كانت من عرض الانوار و لكن جميعها تستمد منها و يصل جميع الفيوض اليها منها و لذا وصف الامام عليه السلام الامام بانه قطب الوجود و شرف الموجود فان العقل وسط الكل و قلم الابداع و يد الله في ايجاد الاشياء و به شرف كل شئ فان جميع الشرف بالعقل و لا شرف لغير العاقل ثم من بعد هذا المقام لهم مقام آخر و هو مقام النفس و الفؤاد و هو مقام البابية و الامام في الحقيقة صاحب الفؤاد الحقيقي و لايصير الفؤاد في غيره بالفعل الا ما ظهر فيه بالظل و هو باب الي الفؤاد الذي هو باب الله لا اليه بلا واسطة فان باب الشمس عندك نورها الذي ظهر لك في مقامك و به تتوسل الي الشمس و ذلك امر بيّن ظاهر و كذلك الوجود الظاهر في عرصة المقيدات هو شعاع الوجود الظاهر من العقل الذي هو مظهر الحقيقة المحمدية صلوات الله عليها و نوره و السبيل اليه و السُلّم بينه و بين المقيدات و كل من اراد الوصول اليه من المقيدات لا بدّ له من الاتصال بالوجود الظاهر له فيهم و التمسك بحبله و الاعتصام بولايته حتي يصل الي الوجود و ليس الفرق بينه و بين ما ظهر للمقيد الا نفس القيد و اذا قطعت النظر عنه تصل الي المراد فافهم

و اعلم ان الفؤاد هو اعلي درجة العقل و نفسه التي خلق بها و يعرف بها ربه و لاتفارقه ابدا فلاتزعم ان الفؤاد يقوم بغير العقل او العقل الكامل المرتفع يقوم من غير فؤاد فاعلي درجة الامامة البابية لله تعالي و كل من اراد الله يجب عليه الاقبال الي الامام مع قطع النظر عن امامته فانك اذا قطعت النظر عن قيد الامامة لاتكاد تجد الا الله و ذلك ان الوجود آية الله و لايري منه سوي الله و ذلك معني الباب فان المرئي في نفسه حجاب و لا باب و الباب لايشير الا الي ذي الباب ثم لهم من بعد هذا المقام مقام في مشية الله سبحانه بمعني انهم بانفسهم مشية الله سبحانه فان مقام الوجود المقيد ظهور للوجود المطلق يعني ان الوجود المطلق غيبه و هو شهادته و لايكاد يقوم الغيب الا بالشهادة و لا يقوم الشهادة الا بالغيب و لا بدّ للمشية من مشاء و للمشاء من مشية فالوجود المطلق ثابت فيهم غاية الامر انه في غيبهم و هذا المقام هو مقام المعني اي الظاهر يعني ظاهر الله تعالي حيث قال و ظاهره فيكم و معني جميع الاسماء و الصفات و ان الاسماء و الصفات بحسب ظواهرها واقفة في اسفل المعاني اي المعاني السفلي و معناها اي ظاهر الله تعالي في اعلي المعاني و الاعلي في غاية الوحدة و البساطة و الاسفل في نهاية الكثرة بحسب القوابل فان هذا المقام مقام الفعل و الفعل له مقام اجمال من حيث الصدور و مقام تفصيل

من حيث التعلق فمن حيث الاجمال هو معني بسيط كامل دالّ علي الكمال الاول الثابت القائم و من حيث التفصيل اسماء و صفات مفصلة الاتري ان الفعل من حيث صدوره منك واحد و بعد ما تعلق بيدك يكون كاتبا باطشا و اذا تعلق بسمعك يكون سميعا و اذا تعلق ببصرك يكون بصيرا بل حركة يدك بنفسها حركة بسيطة ايضا تختلف بحسب النسب و القرانات و الاوضاع كما لايخفي و لكن الظاهر من الكل الفعل المطلق و الظاهر منه انت لا غير فافهم فهُم في هذا المقام معني الله سبحانه و ظاهره و لا فاصل بينهم و بين الذات في المقام الا النور الاول الذي هو كمال

صفحه ٤١٨

الذات و هو نفسهم و لذا قال اخترعنا من نور ذاته و فوض الينا امور عباده ، و انت تعلم ان الله تعالي لميفوّض الي احد من خلقه و كل شئ بمشيته فهم مشيته و المشية من نور الذات و ساير الخلق من الامكان و الفرق بينهما كالفرق بين الوجود و العدم و هذا النور نفس المشية اي علم الله بها و لذلك قال عليه السلام في مقامٍ خلق الله المشية بنفسها و في مقامٍ قال بالعلم خلقت المشية ، ثم فوق هذا المقام مقام الكينونة المنزهة عن كل بينونة و هي مقام الذات الظاهرة و الكون الصرف فاذا نظرت الي الفعل اي المشية مع قطع النظر عن الفعلية اي الاطلاق و الابهام لاتري الا الكون فان المشية كون مطلق او وجود مطلق و معناهما واحد و اذا اسقطت الاطلاق لايبقي سوي الوجود فان ذلك امر ظاهر بيّن ان شاء الله فهم في هذا المقام كون الله و وجوده و ذاته الظاهرة و لميتعلق بهم المشية اذ هم قبل المشية و بهم خلقت و بهم قامت و لايعدّ معهم في مقامهم هذا لا حاسّ و لا محسوس و لا عادّ و لا معدود و لا عابد و لا معبود بل هم هم يعني في غاية الوحدة فلا هم بل الكل هو و هو واحد احد صمد و ان انتهي الي اثنيعشر في العدّ ، فافهم فان ذلك دقيق و بالتحقيق حقيق ففي هذا المقام ليس كمثله شئ و هذا المقام مقام الثبوت و القيام و اللوح المحفوظ الذي احاط بكل شئ و مبدأ الوجود و اصل كل موجود و العلم المحيط و الكون البسيط و الوجه الباقي الدايم و المنير الثابت القايم و بهم يعرف الله و بهم يظهر و بهم يعطي و بهم يمنع اذ هم حقه و ذلك الحق الذي تقول في الدعاء اللهم اني اسألك بحق محمد و آلمحمد عليك ، و ليس لاحد حق عليه تعالي سواهم ثم اذا كشفت السبحات و قطعت النظر عن النظر الي كل الموهومات وصلت الي مقام لا تعبير عنه بنفي و لا اثبات و لايدرك بمَدرك سوي قطع جميع المدارك و هو مقام العماء المطلق و حق الحق و هو ثابت لهم ايضا و من مقاماتهم و لكن لايكشف عنه و لايبين الا بطريق الرمز و الله سبحانه و تعالي فوق ما يتناهي

صفحه ٤١٩

بما لايتناهي و جميع هذه المراتب و المقامات مما يدرك فيهم و يظهر منهم آثارها فكيف تنكر و ان الانكار بعد المعرفة كفر بالله سبحانه ، فافهم و قد اوضحت و بينت و نصحت و اخلصت و ان مشايخي لميبينوا بهذا الوضوح بل فرّقوا بيانهم في تلو فصول و ابواب و المبتدي لايكاد يعرف من كلماتهم المطلب و انا قد اجملت بيانا جامعا يظهر منه المطلب ان شاء الله تعالي .

فصل بعد ما عرفت لَبّ المطلب فها انا ذا اصف لك البيان فاقول قال عليه السلام اما البيان فهو ان تعرف الله بانه ليس كمثله شئ و تعبده و لاتشرك به شيئا و في خبر آخر هو معرفة الله القديم الغايب ، فظهر لك من هذين الحديثين الشريفين ان البيان مقام الغيب الذي اشار اليه الامام عليه السلام في قوله ظاهري امامة و وصية و باطني غيب ممتنع لايدرك و قال الامام لايوصف ، فاذا لميوصف فليس كمثله شئ اذ كل ما هو مخلوق بالمشية يوصف بصفة من صفات المفاعيل و كل ما هو في مقام المشية يوصف بصفة من صفات الفعل و الفاعلية و الذي خرج عن الحدين لايوصف بصفة و اذ لميوصف بصفة لايحدّ فلايدرك فان ما لايحدّ محال ان يدرك و ان الادراك هو التحديد و التعيين و ما لا وصف له لا حدّ له و ان الادوات تحدّ انفسها و الآلات تشير الي نظائرها فما لايوصف لايدرك و لايعرف فقوله ان تعرف الله بانه ليس كمثله شئ و معرفة الله القديم الغايب اي تعرفه بانه لايعرف لا بانه يعرف و معرفة كل شئ معرفته بما هو عليه لا محالة فما يعرف حق معرفته ان تعرفه بانه يعرف و ما لايعرف حق معرفته ان تعرفه بانه لايعرف و ما يوصف معرفته بان تعرفه بانه يوصف و هكذا فمعرفة الله في مقام البيان معرفته بعدم معروفيته و ذلك انه مقام اللابشرط الصرف البحت البات و لايذكر معه شئ بنفي و لا اثبات و جميع ما قيل او يقال دون مقام اللابشرط و هو صرف الوجود و جميع ما هو سوي الوجود يمتنع معه فانت اذا فقدت نفسك و كل آلة من آلاتك

و كل اداة من ادواتك و لمتلتفت الي خصوصية من خصوصياتك يعني نسي الحسّ حسّه و الخيال خياليته و الوهم وهميته و العقل عقليته و النفس نفسيته و التفت كلها الي الوجود لوقفت علي وجود بحت بات غير مقيّد بقيد و غير محدود بحدّ و هو درك البيان بالبيان و مشاهدة الغيب بالعيان و ذلك انك قد عرفت مما مضي ان الله قد تجلّي لكل شئ بكل شئ و قد ظهر نوره الذي هو نور الوجود في كل شاهد و مشهود و كل قد حكاه علي حسب استعداده و قابليته فاذا عرفت هذا السر فاعلم ان ما عندك من نور الله كيفما كان يدرك ما كان عند غيره فانت تعرف ما في آلمحمد صلوات الله عليهم من البيان بما فيك من نور البيان علي حسبك فانت بالوجود الذي فيك تعرف الوجود الحق بل اقول ان ما فيك عارف و هو معروف و ما فيك عابد و هو معبود و ما فيك مستشفع و هو شفيع و ما فيك متقرب و هو يتقرب به فافهم فان ذلك رمز مبهم و سرّ منمنم فان قلت انه غير معروف لصدقت و ان قلت انه معروف لصدقت فانه غير معروف اي لايعرفه غيره و معروف اذ يعرفه المَدرك الذي فيك منه و لذلك ورد في الدعاء بك عرفتك و انت دللتني عليك و لولا انت لمادر ما انت ، و كذلك في الدعاء انت دليلي اليك و بالجملة اذا عرفت ما ذكرت تقف علي اسرار جمّة و ذلك معني قوله يا من دلّ علي ذاته بذاته و تنزه عن مجانسة مخلوقاته و قال اعرفوا الله بالله و الرسول بالرسالة و اولي الامر بالامر بالمعروف و النهي عن المنكر فافهم .

فصل اذا عرفت ما بينت فاعلم ان الله ذات احدية و الاحد لاينتهي الي شئ بوجه من الوجوه فان حق الوجود و حقيقته لايفرض معه غير حتي ينتهي اليه فان الطويل ينتهي الي العريض و العالي ينتهي الي السافل و الكون ينتهي الي الامكان بملاحظة و العقل الي

النفس و النفس الي الطبع و هكذا و اما حقيقة الوجود فلا غير له حتي ينتهي اليه و ما سواه امتناع و الوجود

صفحه ٤٢١

لاينتهي الي الامتناع فهو هو وحده وحده و لايعدّ مع غيره ايضا و لايحدّ به اذ هو هو و لا غير له فان جميع ما سوي حق الوجود ممتنع و قد طوي باحديته جميع الخلق طي الامتناع و احاط بكل شئ احاطة الصمدية لا كاحاطة الكرة فلميبق غيره شيئا و لاتزعم من قولي ما زعمه الجاهلون و قاله الغالون انه كل الاشياء نعوذ بالله من قبح الزلل و بوار العقل فاني اقول لا كل و لا اشياء بل هو هو ذات احدية صمدية موجودة ثابتة قائمة ازلية ابدية فكيف يكون كل الاشياء فان قلت ان لميكن كل الاشياء فكيف لايحدّ بها مع انه غيرها اقول لايكون غيرها و لا عينها فان الغيرية ثابتة في الخلق المتكثر و ان قلت ان خلقه غيره اردت ان غيوره تحديد لما سواه لا له سبحانه و تعالي عن ذلك و اذ لميكن غيرها فلايكون عينها ايضا بل هو خارج عن الاشياء لا كخروج شئ عن شئ داخل في الاشياء لا كدخول شئ في شئ بعيد لا بمناءاة قريب لا بمداناة مع كل شئ لا بمقارنة و غير كل شئ لا بمزايلة فوق كل شئ لا باستعلاء و تحت كل شئ لا بتسفل و لُبّ كل شئ لا كساير اللبوب و فوق كل شئ لا كقشور بل هو هو و الخلق خلقه فحيث هو لا اله الا هو و حيث هي لا خلق الا هي و اذ كان هكذا و لا هكذا سواه فلاينتهي الي حدّ مطلقا ذاتا كان او صفة فعلا او مفعولا غيبا او شهادة أولميكف بربك انه علي كل شئ شهيد و هو الذي في السماء اله و في الارض اله ، الله نور السموات و الارض ، هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شئ عليم و هو معكم اينما كنتم فاذا كان هكذا فلايعرف ابدا اذ شرط المعرفة وجود عارف و معروف و معرفة في صقع واحد و انت عرفت ان الغير يمتنع معه مطلقا فكيف يعرفه فان الخلق بذاته لاتصل اليه تعالي فكيف يتعلق به معرفته التي هي فعله و كماله بل هو تعالي عارف بنفسه لا غير و ما اقوله ايضا تعبير عما في الضمير و الا فلا معني لمعرفته لنفسه ايضا فان المعرفة لنفي الخلاف

صفحه ٤٢٢

كالمعلمة و لا خلاف هنا و لكنه تعالي هو هو فافهم و تدبر و لاتزعم ان اشرف خلقه يعرفه حاشا و كلا فانك ان زعمت ذلك لمتعرف حقيقة المراد فان الخاتم صلي الله عليه و آله قال ماعرفناك حق معرفتك و قال رب زدني فيك تحيرا ، و التحير ليس الا في مقام عدم المعرفة فانه اذا حصل المعرفة الحقيقية لميبق مقام تحيّر و لكن التحير في مقام يدلج للشخص الي احد ظانّا انه هو فاذا وصل اليه يجد انه غيره فيدلج ثانيا الي احد فوقه فيجده من خلقه و هكذا يدلج بين يدي المدلج من خلقه فالمدلج يتحير في العاقبة فافهم ذلك و من عرف حقيقة الوجود الذي ذكرنا الذي هو اعظم آياته يعرف المراد و يصير من الموحدين الخالصين ان شاء الله فلايغرّنك ما يقوله الغالون و يحوكه العرفاء الجاهلون و يبرهن عليه المتكلمون القشريون فان الحق ما قال آلمحمد سلام الله عليهم و ساير الاقوال باطلة .

فصل اذا عرفت ذلك و تبينت ما هنالك فاعلم ان معرفة الله تعالي بنفسه من المحال الا ان تعرفه بما وصف نفسه لك به فان من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة و قد وصف

نفسه تعالي بمحمد و آله الاطهار عليهم صلوات الله الملك الجبار و هم وصفه و بيانه و آيته و النقش الفحواني الظاهر في الخلق منه تعالي و انما عرفه من عرفه بهم و لكن الداء العضال و حقيقة الاشكال في العلم بوجه معرفة الله بهم فانه لا شك و لا ريب انهم عباد مخلوقون و كل شئ يدل علي نفسه و يسوق الي مثله فكيف تعرفه بخلقه و لذلك قال اميرالمؤمنين عليه السلام ما معناه ان عرفت الله بمحمد ماعبدته و في رواية ما معناه ان عرفت الله بمحمد لكفرت و ان عرفت محمدا بالله لحددت ، او بالعكس و الرواية لاتحضرني و مرجع المعني الي شئ واحد فكيف تعرف الله الاحد الصمد بمخلوق محدود مربوب و لنا عن هذا الاشكال اجوبة عديدة ظاهرية و باطنية و اكتفي في المقام بجوابين فاما في الظاهر لاهله فاقول ان

معرفة الله تعالي بذاته من المحال و لميكلفنا بها اذ هي فوق طاقة البشر و لايكلف الله نفسا الا ما آتاها اي عرفها و لميبين لنا من نفسه الا آلمحمد عليهم السلام مواقع صفاته و ذلك قوله عليه السلام من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة و سئل عليه السلام عن المعرفة فقال معرفة اهل كل زمان امامهم ، و ذلك جواب ظاهر في ظاهره و ان كان في الباطن من عين الحكمة و اما في الباطن الذي هو لاهل الباطن فنقول ان الله سبحانه وصف نفسه بهم في مقام البيان و هو و ان كان من عرصة الخلق و لكنا اذا نظرنا اليه مع كشف السبحات و محونا الموهومات لمنجد غيره و ان الوصف يشير الي موصوفه فانت اذا قطعت النظر عن الوصفية لاتجد الا الموصوف و ذلك هو معرفة الموصوف قبل صفته و هي المعرفة بالنورانية قال عليه السلام يا سلمان و يا جندب ان معرفتي بالنورانية هي معرفة الله عز و جل و معرفة الله عز و جل معرفتي بالنورانية ، فاذا نظرت الي النور مع عدم مشاهدة النورانية تجد المنير لا محالة ففي الواقع الخارج هو نور مخلوق و في وجدانك منير الاتري ان هذه الشعلة المرئية المشهودة دخان مكلس محمي و ليس هو نار غيبية و انت بنفسك دبرته و اخذته من الدهن و النار لاتكون مصنوعة لك و ليست في عالم الدخان بل هي غيب ممتنع لايدرك و لكنك مع ذلك تنظر الي الدخان المشتعل مع قطع النظر عن الدخانية و لاتلتفت الي السراج و الدهن و الفتيلة و غيرها مما يخصّ الترابية و المائية و الهوائية و تجد نارا ظاهرة باهرة علي الحقيقة فتقول ليست الا النار و هي هي و ان كان ما في الخارج دخان مشتعل فافهم و هذه رؤية وجدانية و معرفة ايمانية قلبية و من هذا الباب قال مولانا الصادق عليه السلام لابيبصير الست تراه في ساعتك ففرح بذلك ابوبصير و قال اروي هذا الحديث قال لا لان الناس لايعرفون و رؤية القلب غير رؤية البصر و قيل لامير المؤمنين عليه السلام ارأيت ربك قال لماعبد ربا لماره و قال لمتره العيون بمشاهدة العيان

و لكن رأته القلوب بحقايق الايمان ، و هذه رؤية القلب و لاتزعم ان ما رأيته بهذا الوجه غير المقصود و وجدانك خالف الواقع فان ذلك مما لايقوله العاقل فان الشعلة نار حقيقة و تفعل فعل النار و يظهر منها اثرها ألست تري انها تحرق و تجفف و تضيء و تنفذ و غير

ذلك من صفات النار و ليس شئ من ذلك شأن الدخان غاية الامر انك اذا نظرت الي الدخانية تري ان الدخان قد اشعل و ذلك قوله عليه السلام ان لنا مع الله حالات هو فيها نحن و نحن هو و هو هو و نحن نحن ، يعني فيما هو هو و نحن نحن هو نحن و نحن هو فافهم ذلك و امثل لك مثالا آخر انك اذا كتبت علي قرطاس بالمداد الله القديم يكون ما كتبته مخلوقا حادثا بلا شبهة و لايشك في ذلك احد و لكن اذا قرأته تقرأ الله القديم و اذا عرفته تعرفه بذلك بل اذا قلت انه غيره لكذبت مع انه مخلوق حادث و كذلك الامر في آلمحمد سلام الله عليهم و شيعتهم الخالصين فان الله سبحانه قد ظهر لهم باول تجلياته و اعظم اسمائه و صفاته كما قال عليه السلام في العالم العلوي تجلي لها فاشرقت و طالعها فتلألأت فالقي في هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله ، و بعد ما تجلي لهم ظهر نوره الاكرم و اسمه الاعظم فيهم فانت اذا نظرت الي كتاب وجودهم و لوح نفسهم تجد الاسم الاعظم فتقول انه الله و مع ذلك كله هم مخلوقون فتصفهم حينئذ بما يليق بالله سبحانه لا غير و لذلك تقوم بحضرة اميرالمؤمنين عليه صلوات المصلين و تقول السلام علي اسم الله الرضي و وجهه المضيء و تقول في زيارته السلام علي نفس الله القائمة فيه بالسنن و عينه التي من عرفها يطمئن ، فافهم ذلك و ان علمت ان الصفة تشابه الموصوف و لاتخالفه و اقررت بانهم اول صفات الله تعالي فلا بد من الاقرار بكونهم مشابهين له و ان قلت اذا كان الامر هكذا لزم الخلاف اذ ثبت انه ليس كمثله شئ و هو خالق و هم مخلوقون و اذا عرفته بهم بايّ وجه كان عرفته بصفة مخالفه اي عرفت الخالق بالمخلوق اقول مماثلة الصفة

صفحه ٤٢٥

للذات مما لميقل به احد فان المماثلة ليست الا في صفة و صفة و الفرض انهم اول الصفات و ليس للذات صفة اخري غير هذه الذات الشريفة و جميع ما عبرته الالسن او عرفته القلوب تقع عليها فكيف يفرض مطابقتها مع الذات بل هي مطابقة مع نفسها و تدل علي نفسها و هي هي الدلالة علي الله فافهم لا انها موصلة الي الذات و هي هي معرفة الذات لا انها معرفة لغيرها و وجه آخر نقول ان الصفة مشابهة مع الموصوف لا الذات فان الذات لاتكون موصوفة و الموصوف هو اعلي درجة الصفة و مقترنة بها فان الذات موصوفة في الصفة و بالصفة لا في نفسها و لا شك ان الصفة توافق موصوفها و لا كلام في ذلك فمعرفة آلمحمد معرفة الله علي المطابقة التامة الكاملة بلا شك و لذا تقرأ في زيارتهم من عرفهم فقد عرف الله و من جهلهم فقد جهل الله و من اعتصم بهم فقد اعتصم بالله و في زيارة اخري السلام علي محالّ معرفة الله ، و لا بدّ لنا من بيان مطلب شريف و سرّ لطيف في فصل آخر حتي تقف به علي مطالب كثيرة شريفة ان شاء الله .

فصل اعلم ان المراتب الغيبية كلها في كمون هذا التراب فانه تنزل جميع العوالم الغيبية و بعد ما وصلت الي هذا التراب اتاها امر الله تعالي بالاقبال بلسان الافلاك التي هي تراجمة وحي الله و ظهور الكون الراجح الذي هو فعل الله فسارع الي قبول امر الله و اول قدم اقبل اليه تعالي ان خرج من كمونه ساير العناصر اي الماء و الهواء و النار غير ممتزجة علي الحقيقة و ان كانت مركبة في الجملة و قد حصل لها صورة وحدة مّا و هي النفس الجمادية و هي الصورة الواحدة المجتمعة و ان جماعة من الناس يزعمون ان الجماد و النبات لا

نفس لهما و قد اخطأوا في ذلك فان النفس هي صورة الشئ الواحدة و هي ثابتة لكل مركب و هي يد الله في تركيب كل شئ و قد شاهدنا علامة النفس علانية في الاحجار الغاسقة فانا وجدنا احجارا علي هيئة عروق الصفر و اللوز بل ربما يكون احجار علي صورة قرنفل و فلفل و الاشجار و غيرها و عندي حجر

صفحه ٤٢٦

في صورة القرع و ما يري في العقيق المسمي بالشجر عبرة لاولي الالباب فان لميكن لها نفس تربيها بهذه الصور فمنذا الذي يربيها هكذا فلا شك في نفسانيتها غاية الامر ان اجزاءها غير منتضجة و عناصرها غليظة فلاتحكي اكثر من ذلك من الغيب و التراب و الماء لايحكيان من النفس الغيبية بهذا القدر ايضا فاذا حصل التركيب و الاعتدال بهذا الحد يظهر علي المركب نفس الجماد و يظهر منها آثارها فاذا حصل الانتضاج و الاعتدال اكثر من ذلك و خرج جميع ما فيه من آثار العناصر يصعد المركب من هذه العرصة و يحكي النفس المعدنية و النفس المعدنية في غاية الشباهة بالنبات و لكنها برزخ بين النبات و الجماد ثم اذا صعد من هذه المرتبة و صار المعدنية و الجمادية فيه في غاية الاعتدال و الكمال و لطف اركانه بحيث صار حكم البعض حكم الكل يتعلق به النفس النباتية يعني يصير هذا البدن مرآة لظهورها او دخانا يشتعل بنورها و لما كان الاجزاء اللطيفة القابلة للاشتعال بنور النبات غير قائمة من غير مركب لشدّة لطافتها فلا بدّ لوقايتها من بدن معدني جمادي يحفظها و بلسان آخر نقول ان اجزاء المركب جميعها لاتبلغ حدّ الاشتعال فلها عكر يبقي في الاسفل و يرسب و لطيف يطفو كما تري في نفس التراب فان الشمس اذا اشرقت عليه لايتبخر جميعه و لايصعد و لكن اجزاءه اللطيفة تتصاعد و اجزاءه الكثيفة تبقي فالراسب يكون بدنا للطافي و الطافي يشتعل بنور الغيب و لارتباطه بالاسفل و تعلقه به يظهر اثره ايضا في الاسفل و بالجملة اذا صار بعض اجزاء المعدن لطيفة معتدلة تشتعل بالنبات فالنفس النباتية المطلقة التي في غيب التراب تتعلق بهذه الاجزاء اللطيفة و تتعين فيها و جميع ما تري من التعين كله من هذا البدن فهيٰهنا يوجد عنب و مشمش و خوخ صفر و حمر و بيض و حلو و حامض و هكذا لا في نفس النبات و لا في التراب و لا في السماء و اما ما سمعت من قوله تعالي ان من شئ الا عندنا خزائنه و ماننزله الا بقدر معلوم فلايدلّ علي وجود

صفحه ٤٢٧

خصوصيات النبات في الاعالي بل يدلّ علي وجودها كيف ما كان و لا شك في ذلك كما سيجيء بعد في علم المبدأ ان شاء الله فمقام اختصاص النبات في هذا البدن العنصري و كل شئ هو هو بصورته و بذلك نطق السنّة و علي ذلك اجمع المسلمون فالعنب عنب بصورته و صورته في هذا المقام لا محالة و فوق ذلك ليس الا النبات المطلق و اعلم ان النبات المطلق لا وجود له في الخارج الدنياوي بل وجوده في الخارج الدهري و الدهر برُمّته في قوة هذا الملك و لايخرج من القوة باطلاقه و لكن يخرج ظهوراته بالشخصية و جميع الشخصية من تلك المواد كما تري ان النار المطلقة باطلاقها لاتظهر في الدنيا نعم لكل منها اي الدهريات مقام معلوم عند الله ثم اعلم ان النفس النباتية هي اللطيفة الصافية

التي نفذت في جميع النبات لا الصورة الجمادية الاتري انها تبقي و تذهب النباتية اذا قطعت فلاتري فيها جاذبة و دافعة و ماسكة و هاضمة و لو كان هذه الصورة المشهودة نباتيتها للزم بقاء هذه القوي فيها بعد القطع ثم انّ من النباتات من اجابت دعوة الحق و اقبلت الي الله باقدام الامتثال فصفيت و لطفت حتي صارت بخارية فتعلقت بها الروح الحيواني من الافلاك لا بان ينزل من السماء شئ او تتقطع منه قطعة بل اخرج الروح الحيواني بواسطة دوران الافلاك من قوة تلك القبضات فان الله سبحانه جعل كل شئ في كل شئ ففي الارض اجزاء فلكية و في الفلك اجزاء ترابية و يمكن تلطيف اجزاء التراب و استخراج الفلكية منها و ذلك مسلّم لا شك فيه و ليس هنا محل بيانه فبعد ما دار الفلك و القي شعلاته علي هذا المركب و لطف اجزاؤه و تفلكت صارت حيوانا و اعلم ان جميع الاجزاء لاتتلطف لا محالة بل بعضها يبقي في حدّ الغلظة و الكثافة و بعضها يصعد و بين الصاعد و الهابط مناسبة و ارتباط فيصير الهابط بدنا و الصاعد روحا و الاعلي حيوانا و الاسفل جمادا و الوسط نباتا ثم اذا اعتدل الحيوانية و صفي بسبب تأثير الافلاك العالية فيها و تعديل عناصرها خرج من كمونها الانسانية

الكونية يعني ما فيها من ساير الافلاك فان الحيوان في الواقع ليس له الا فلك القمر و ما تري من آثار ساير الافلاك فيه كلها ظلي و اما الانسان الكوني فيخرج من كمونه الزهرة و العطارد و الشمس و المريخ و المشتري و الزحل فيصير صاحب الافلاك السبعة بالفعل فيدرك الصور و المعاني و يتفكر و يريد و اما الحيوان فليس له الا ادراك ما يجده بمشاعره الظاهرة حال المواجهة و ليس له ارادة و مشية اذ هي شأن ساير المشاعر ثم اذا لطفت هذه الافلاك بتعديل الشارع و تربيته و اعتدلت يصير انسانا شرعيا علي التفصيل المذكور في مقامه ثم اذا صفيت هذه الافلاك و لطفت يخرج من كمونها الكرسي فيصير نبيا ثم اذا لطف الكرسي و نعم و صفي يخرج من كمونه العرش فيصير خاتما وليا او نبيا و اذا لطف العرش و صفي بتعديل مراكبه و تصفيتها يتعلق به الوجود الجائز المطلق اي فؤاد الملك و ذاته فيصير صاحب علم احاطة و عيان و هو مطلع علي الحقايق واقف علي الدقايق ينظر بنور من ربه و يدرك بنور فيصير مدخله و مخرجه نورا و يكون في حكاية الفؤاد مثل ساير المراتب لحكاية غيره فكما ان البدن الجمادي و النباتي بعد اشتعاله بالحيوانية يكون حيوانا و يسمي باسم الحيوان و يظهر منه اثره و الحيوان يسمي انسانا و الانسان نبيا و النبي خاتما كذلك في هذا المقام بعد الاشتعال بنور الفؤاد يصير فؤاد الملك و نوره و جوهره فيكون عارفا بربه علي الحقيقة ثم اذا صعد الفؤاد الظاهر فيه و لطف بالرياضات و المجاهدات حتي بلغ الغاية في الصفاء و اللطافة يظهر منه الكون الراجح اي المشية فيصير محلا لمشية الله و ممكنا لارادته و موقعا لقدره و قضائه فاذا شاء الله ما يشاء يظهره من باطنه و قلبه في عرصة الايجاد و انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان بدنه للمشية بمنزلة الدخان للنار الغيبية و قد تعلق به النار و اظهرت منه آثارها و افعالها ثم اذا صفيت مرتبة اخري و لطفت و اعتدلت يظهر منها علم الله تعالي الذي به خلق المشية ثم اذا

صفحه ۴۲۹

لطفت مرة اخري يظهر منها مقام لا اسم له و لا شبه و ذلك قول اميرالمؤمنين عليه السلام انا المعني الذي لايقع علي اسم و لا شبه ، و هكذا يترقي المولود و يصعد في هذه الدرجات و لايبلغ غاية الغايات و نهاية النهايات فافهم و تدبر و اعلم ان الترقية موقوفة في جميع هذه المراتب علي تصفية الظاهر و تعديل العناصر فانها اذا صفيت تصير نباتا و اذا صارت اصفي تصير حيوانا و اذا صارت اصفي تصير انسانا و هكذا ففي كل مرتبة و مقام يحتاج الي تعديلها و بتعديلها يعتدل جميع المدارج و المقامات اذ هي مرآة لظهور كلها و الكل يستخرج من كمونها و لايمكن تعديل ساير المراتب بغيرها و كذب من زعم انه يصفي الباطن بغير تصفية الظاهر و مراعاة الشريعة فان السالك في جميع المراتب يحتاج الي الشرع المتر ان الانبياء في ترقياتهم لميتركوا الشرايع و الخاتم مع هذه المنزلة الرفيعة و الدرجة العلية في ترقياته استعان بشريعته و لميتركها فان ذلك امر ظاهر بيّن لاينكره عاقل و لكن الناس اكثرهم لايعقلون و بالجملة هذا سبيل ظهور المراتب و الفعليات في القوابل و اعلم ان من لميخرج من كمونه ما سمعت من المراتب هو قوة لها لا فعلية فلايسمّي باسم غير فعليته فان النبات لميخرج من كمونه الحيوانية فلايدعي باسمها و لايظهر منه اثرها و ان كانت في قوته فان محض القوة لايدلّ علي كمال و كذلك الامر في المراتب العالية و الناس يزعمون ان الوجود فعلية في كل احد و لايصير قوة و علي ذلك لو ادعي احد الوجود في اسفل المراتب يكون صادقا و ذلك كذب علي الله و الله سبحانه ينكرهم في كلامه و النبي يلعنهم و الوجه العلمي و البيان الحكمي في ابطال قولهم ان الوجود الظاهر في النبات نباتي و في الحيوان حيواني و تعالي وجود الحق عن ذلك و لكن اذا صعد عن جميع المراتب و لطف و خرق جميع حجب الانية يصير مظهر النور الوجود الحق فالمقبل اليه حينئذ مقبل الي الله و المدبر عنه مدبر عن الله و اما الذين اهبطوا و انكبوا فاولياؤهم

صفحه ۴۳۰

الطاغوت و المقبل اليهم مقبل اليه لا الي الله فافهم فاذا عرفت هذه المقدمة الشريفة تعرف وجه اختصاص البيان ببعض دون بعض و لا بدّ من معرفة اصحاب البيان للوصول الي فيوض الرحمن و يكفيك ان شاء الله ما بينت و اوضحت في هذه المقدمة الشريفة و ازيدك فصلا آخر تقف علي اسرار اخري من فضائلهم و مناقبهم .

فصل اعلم ان درك البيان علي ما قال مولانا سيد الساجدين عليه السلام في حديثه لجابر حيث قال ستدركه يا جابر موقوف علي كشف سبحات الجلال من غير اشارة و محو الموهوم و ساير ما نبّه عليه اميرالمؤمنين عليه السلام و لكن هنا رمز مبهم و سرّ منمنم و هو ان الاشياء في الحكاية عن الحقيقة متفاوتة فبعضهم قد غلب عليهم الاعراض و استولي عليهم الامراض في حدّ اختفي فيهم الحقيقة و ظهر العرض فاذا اردت ان تدرك الحقيقة منهم لا بدّ لك من خرق حجب الاعراض حتي تقف علي الحقيقة و مثلهم كمثل الخلنج كل ما تقشر لحا تصل الي آخر حتي تقف علي اللب ففي ادراك الحقيقة من هؤلاء تحتاج الي كشف سبحات الاعراض وجدانا اذ لمتنكشف هي بنفسها عنها حقيقة و اما اذا

قوي الحقيقة في احد حتي هتكت الاستار و جذبت جميع الصفات و احرقت كل السبحات فلاتحتاج بعد الي تدبير في مشاهدة الحقيقة منه فانها اظهر من كل صفة و عرض كمثل الانسان في صغره و وقت كماله فانك اذا نظرت اليه في صغره لاتري منه انسانية الا بالقوة و اذا احتجت الي مشاهدتها لا بدّ لك من خرق جميع حجب الفعليات حتي تصل الي القوة التي هي اللب و اما اذا بلغ منتهي الكمال يصير الحيوانية و النباتية و اعراضها كالقوة لغلبة سرّ الانسانية فحينئذ لاتحتاج في مشاهدة الانسانية الي كشف سبحات بل تراها اول النظر و كالنار الخامدة في الزناد و القدحة و النار المشعلة في الدخان ففي درك الاولي منهما تحتاج الي خرق حجابهما و في دركها من الثانية لاتحتاج الي ذلك و كذلك الامر في

المقام و علي اهل الفهم السلام و اريد ان ازين كتابي هذا بحديث شريف مروي عن مولاي الصادق عليه السلام قال روحي فداه لمفضل في حديث طويل شريف فالصورة الانزعية هي الضياء و الظل و هي التي لاتتغير في قديم الدهور و لا فيما يحدث من الازمان فظاهره الصورة الانزعية و باطنه المعنوية و تلك الصورة هيولي الهيوليات و فاعلة المفعولات و اسّ الحركات و علّة كل علّة لا بعدها سرّ و لايعلم ما هي الا هو و يجب ان يعلم يا مفضل ان الصورة الانزعية التي قالت ظاهري امامة و وصية و باطني غيب ممتنع لايدرك ليست كلية الباري و لا الباري سواها و هي هو اثباتا و ايجابا و عيانا و يقينا لا هي هو كلا و لا بعضا و لا جمعا و لا احصاءا و لا احاطة قال المفضل قلت يا مولاي زدني شرحا فقد علمت من فضلك و نعمك ما اقصر من صفته قال يا مفضل سل عما احببت قلت يا مولاي تلك الصورة التي رؤيت علي المنابر تدعو من ذاتها الي ذاتها بالمعنوية و تصرح باللاهوتية قلت لي انها ليست كلية الباري و لا الباري غيرها فكيف يعلم حقيقة هذا القول قال يا مفضل تلك بيوت النور و قمص الظهور و السن العبارة و معدن الاشارة حجبك بها عنه و دلّك منها اليه لا هي هو و لا هو غيرها محتجب بالنور ظاهر بالتجلي كل يراه بحسب معرفته و ينال علي مقدار طاعته (طاقته خل) فمنهم من يراه قريبا و منهم من يراه بعيدا يا مفضل ان الصورة نور منير و قدرة قدير و ظهور مولاك رحمة لمن آمن به و اقرّ و عذاب علي من جحد و انكر ليس وراءه غاية و لا له نهاية قلت يا مولاي فالواحد الذي قلت هو محمد فقال هو الواحد اذا سمّي و محمد اذا وصف قلت يا مولاي فعليٌّ منه باين غير (عن) المعني وصف (و صفة خل) اسمه فقال المتسمع الي قوله ظاهري امامة و وصية و باطني غيب لايدرك الحديث ، و هو طويل شريف و ما لمارو منه اعجب مما رويت و في النسخة بعض الغلط و لكن المطلب ظاهر لاهله ان شاء الله و منه تعلم اسرارا جمة من هذه المسألة

الشريفة اذا نظرت و ابصرت و عرفت و ايقنت و يكفي ما ذكرناه من البيان لاهل العيان ان شاء الله اذ مرادي الاختصار .

المطلب الثالث في المعاني و فيه ايضا فصول :

فصل قد عرفت مما مضي ان المعني بمعني الظاهر و يشهد بذلك قوله عليه السلام اما المعاني فنحن معانيه و ظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته ، فهم سلام الله عليهم مخترعون من نور الذات الذي هو البيان و هم ضياء النور و ظواهر المنير علي ما مرّ في الحديث السابق و جميع الاسماء و الصفات كلها تقع علي الظاهر لا علي الذات و لا نورها و تحقيق ذلك يقتضي رسم بيان شريف و كلام منيف فاقول اعلم ان الذات جل شأنها تجلّ عن كل اسم و وصف لان الاسم و الوصف حدّ و ان كان من الاسماء العظيمة و الصفات القدوسية اما الصفة فحدّيّتها ظاهرة بينة فان القائم ذات تعينت بالقيام و القاعد ذات تعينت بالقعود و الله سبحانه لايتعين بشئ و الاسم ايضا صفة كما قال الرضا عليه السلام فهو ايضا حدّ فكل موصوف محدود و كل محدود متعين و كل متعين متناه و كل متناه قابل للزيادة و النقصان و الله سبحانه اجل من ذلك و اعظم و اعظم بل هو احاط بكل الصفات احاطة الامتناع لا كاحاطة الكرات و ظهر في كل شئ لا كظهور الاسماء و الصفات بل ظهر في غاية الظهور و بطن عن خفيات الامور و استتر لعظم النور فهو تعالي باطن ظاهر و ليس كمثله شئ و هو السميع البصير و قد عبّر سبحانه و تعالي عن نفسه بصفات و اسماء لفاقة الخلق اليها فيما يحتاجون اليه من عباداتهم و طاعاتهم و معاملاتهم و هي اسماء و صفات من عرصة الخلق ركبت من الحروف و يبلغ عددها الالوف و هي بظواهرها كساير الكلمات و المعني بها هو الله المتجلي بها لها لا بالذات فانها تجلّ عن التجلي اذ هو فعل

احدثه و نور ابتدعه و ظاهر اخترعه فلايصير حدّ ذاته و لكن عند التعبير يقال انه تجلّي و حاصل المراد ان الظاهر في الاسماء و الصفات نوره سبحانه و هو المعني بها و ذلك قوله عليه السلام في بيان الاسماء و الصفات ان المعني بها هو الله ، فان الله من تحيّر فيه الخلق و من تحيّر فيه الخلق هو نور الذات لا الذات فان مع الذات لايبقي مجال التحيّر فان جميع الخلق يمتنعون معها و مع الامتناع لايبقي وجود لاحد حتي يكون عارفا او متحيرا بل هي هي و لكن ذلك في مقام يكون الخلق موجودين قائمين ينظرون الي شئ ثابت آمنوا به و لميعرفوه فان لميجدوا شيئا بالمرّة لايكادون يتحيرون ايضا فالتحير في مقام الوجدان و الفقدان فتدبر فهو النور الظاهر في اسمائه و صفاته و قد اراك آية ذلك فيك فان ذاتك من حيث هي هي لاتوصف بصفة و لاتحدّ ابدا و لكنها ظهرت في الاسماء و الصفات بنورها و هو فعلها فان الفعل كمالها و نورها الثابت لها و قد ظهر في الاسماء المختلفة و الصفات المتعددة المتكثرة فانت بفعلك المطلق تظهر في القيام الذي احدثته بفعلك فتكون قائما و بفعلك ايضا تظهر في القعود فتكون قاعدا و هكذا و اما ذاتك فلاتكاد تظهر في الصفات فانها لو كشفت لاحرقت جميع الصفات فالصفات متعددة و معناها واحد و هو فعلك لا غير و ان قلت هب ان الفعل يكون معني جميع الافعال و ما في معناها فكيف يكون معني الاسماء كزيد و عمرو اقول ان للفعل حيثين حيثا الي نفسه و انيّته و حيثا الي ربه فمن حيث نفسه فعل ينبئ عن حركة المسمّي و من حيث ربه هو نور الذات و ينبئ عنها الاتري انك تعبّر في اللسان العلمي عنه بالوجود المطلق فعند ملاحظة الاطلاق و الابهام تري فعليته لله تعالي و اذا قطعت النظر عن الاطلاق لاتري سوي الوجود و هو

المنبئ عن الله تعالي و لذا لايصدق عليه الا اسم الحق و لذا نقول انه العلم و الفعل مخلوق به و العلم سابق علي الفعل و الفعل مخلوق به كما قال عليه السلام بالعلم خلقت المشية فتدبر فمعني

جميع الاسماء و الصفات المشية من حيث اعلاها و اسفلها فافهم و تدبر .
فصل اذا عرفت معني المعني فاعلم ان لآلمحمد عليهم السلام مقاما عند الله في مقام الفعل فيكونون في هذه المرتبة معني جميع الاسماء و الصفات و المقصود من كل الآيات و قد عرفت سابقا في توحيد الافعال ان الله سبحانه قد تجلّي بمشيته لكل خلقه و خلق كلهم برأس من رأوس المشية المتعلق به و لكن ظهر مما ذكرناه ان الخلق في فعلياتهم متفاوتون فمنهم من بلغ مقام النبات و منهم من بلغ مقام الحيوان و هكذا لكل درجات مما عملوا و لميخرج المشية علي ما هي عليه من قوة كل احد في الدنيا الا اشخاص آلمحمد عليهم السلام اذ عرجوا الي ربهم من ادني المقامات الي اعلاها حتي بلغوا ذروة الامر و سنامه و عرجوا الي مقام الفعل بما اخرجوه من قوتهم من الفعلية فسمّوا به و اختصّوا من بين الخلق بهذه الصفة كما اختصوا بالبيان مع انه نور ظاهر باهر من جميع ملك الله بالعيان فصاروا معني الرب في خلقه فكل وصف او ذكر تقوله او تدركه او يعرفه غيرك له معني و المعني به آلمحمد سلام الله عليهم في هذا المقام و هذا غاية الكلام و منتهي المرام و احبّ ان ازين رسالتي ببعض الاخبار الناصة علي المقصود اروي في كتابالمبين من بلدالامين مما خرج علي يد الشيخ ابيجعفر محمد بن عثمن بن سعيد من الناحية المقدسة لكل يوم من رجب اللهم اني اسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة امرك المأمونون علي سرّك المستبشرون بامرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك اسألك بما نطق فيهم من مشيتك فجعلتهم معادن لكلماتك و اركانا لتوحيدك و آياتك و مقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينها (كذا) (بينك ظ) و بينها الا انهم عبادك و خلقك فتقها و رتقها بيدك بدؤها منك و عودها اليك الدعاء ، انظر كيف صرح عجّل الله فرجه و بيّن في قوله اسألك

بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة امرك ، فانهم يدعون ربهم سبحانه باسمائه و صفاته و آياته و علاماته و لها معني و معني جميعها غير الذات فان معني الشئ روحه و الله سبحانه لايصير روح شئ بل هو المحيط بالارواح و الابدان و الظواهر و الخوافي ، الي ان قال : اسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، يعني ان ابدانهم صلوات الله عليهم صارت محل مشيته فنطقت فيها و بها بما شاء الله و اراد فتدبر و بالجملة فقرات الدعاء عجيبة غريبة و مرادي في المقام الاستشهاد لا الشرح و الا لرأيت منها عجبا و عن سلمان اعلي الله درجته عن علي عليه السلام قال اني لاعرف بطرق السموات من طرق الارض نحن الاسم المخزون المكنون نحن الاسماء الحسني التي اذا سئل الله عز و جل بها اجاب نحن الاسماء المكتوبة علي العرش و لاجلنا خلق الله عز و جل السماء و الارض و العرش و الكرسي و الجنة و النار و منّا تعلّمت الملائكة التسبيح و التقديس و التوحيد و التهليل و

التكبير و نحن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه و من كنزالدقايق في تفسير قوله تعالي و لله الاسماء الحسني فادعوه بها عنه عليه السلام قال اذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا علي الله و هو قول الله نحن والله الاسماء الحسني الذي (كذا) لايقبل الله عملا الا بمعرفتنا و عن الشيخ الاوحد اعلي الله مقامه بروايته عن المفضل (ره) في حديث قال للصادق عليه السلام يا ابن رسول الله ان هذا الكلام تحار فيه العقول فعرفني ما معني قول اميرالمؤمنين عليه السلام الذي كنا بكينونته قبل خلق الخلق قال الصادق عليه السلام بكينونته في القدم و هو المكوِّن و نحن المكان و هو المشيّء و نحن الشئ و هو الخالق و نحن المخلوقون و هو الرب و نحن المربوبون و هو المعني و نحن اسماؤه و هو المحتجب و نحن حجبه ، و الاخبار المتعلقة بالباب اكثر من ان تحصي و قد رويت اكثرها في الكتابالمبين و ان شئت فراجع هنا .

فصل بعد ما عرفت انهم معاني الله تعالي فاعلم ان الله سبحانه قد ظهر

بهم و اظهر امره و حكمه و فعله منهم مثل الشعلة بالنسبة الي النار الغيبية فان النار غائبة عن الانظار بعيدة عن الاقطار لايصل اليها اهل الدنيا و لايتأثرون من فعلها ابدا بل لا فعل لها في رتبة ذاتها فان الفعل من كمالها و صنعها فلايقوم معها و ذلك بديهي لاينكر فهي بنفسها لاتحرق و لاتشرق و لاتضيء الا ما فعلت في الشعلة فان الفعل الذي يظهر من الشعلة من حيث النارية كله للنار و الشعلة قميص الظهور لها و لفعلها و من زعم ان الفعل للنار في ذاتها فقد اخطأ السبيل و نطق بغير دليل و رأيه عليل و كذلك الامر هنا و لله المثل الاعلي فان الله سبحانه بذاته منزّه عن كل فعل و صفة و اسم و كل ما يقع عليه شبه شئ فان الله سبحانه منزه عنه ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام علي المرسلين و الحمد لله رب العالمين و لكنه تعالي قد ظهر و تجلي في ظهوره فظهر منه آياته و علاماته و اسماؤه و صفاته و قد اراك الله ايضا آية ذلك في نفسك الاتري ان ذاتك لاتوصف بصفة و لاتحدّ بحد ابدا و لكنها ظهرت في مشاعرك الغيبية و الشهادية ففعلت ما فعلت منها فهي عاقلة في العقل عالمة في النفس و هكذا و فاعلة مطلقة في مجموعها و كذلك ربنا و فوق ذلك و ليس كمثله شئ هو سبحانه ظهر في آلمحمد عليهم السلام و اظهر منهم جميع ما شاء فيهم و بهم نعم لهم صلوات الله عليهم وجودان وجود شرعي و وجود كوني و نوره سبحانه ظاهر في الوجودين كليهما ففي الوجود الكوني ظهر نوره و ظهر منه الآثار الكونية و في الوجود الشرعي الآثار الشرعية فصدق عليهم الاسم الكوني في مقام الكون و الشرعي في مقام الشرع فالشارع مثلا اسم الله تعالي و قد ظهر اسمه تعالي ذلك في البدن الشرعي لهم صلوات الله عليهم و كذلك المكوِّن ظهر من بدنهم الكوني و هكذا ساير الصفات و العلامات و يجب علي من كان مؤمنا بالله و اليوم الآخر ان يعرف مواقع الصفات و هي هم صلوات الله عليهم فان من عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة و ان قلت ان الصفة كائنة ما كانت

غير الموصوف مسلما فكيف يكون معرفتها معرفة الموصوف اقول اما في الظاهر القشر فمعلوم فان المعروف ليس الا الصفة فانه بنفسه صفة بلا شك كما ان العارف صفة و جميعها في الخلق و الخالق ايضا صفة فعل بالبداهة و الفعل آية الذات و ظهورها و نورها فانت اذا عرفت لم‌تعرف الا من وقع عرفانك عليه و هو مفعول به الاتري في معرفتك زيدا مثلا انك لاتعرف الا اوصافه كلونه و هيئته و غير ذلك من صفاته و علاماته و آياته و مع ذلك تقول عرفت زيدا يعني عرفت زيدا المعروف و المعروف ليس الا هذه الصفات فافهم و باطن ذلك ان الصفة بنفسها لا وجود لها و لا بقاء و لا ثبات الا بالموصوف و الموصوف اعلي درجتها فانت تعرف الموصوف قبل الصفة اذا نظرت اليها لانك تري وجودها قبل نفسها بل اقول لاتري الا الموصوف و لذلك تقول عند رؤيتك بدن زيد مع انه صفته اني رأيت زيدا و لاتقول رأيت صفة زيد بل في الواقع و الحقيقة لا رؤية الا رؤية زيد و كذلك اذا نظرت الي مواقع الصفات مع قطع النظر عن الخصوصيات لاتري الا الذات الظاهرة فيها فان ذلك ظاهر بيّن بل امر فطري لايخفي علي احد ما لم‌يغيّر فطرته و اما الذين غيّروا فطرتهم و بدّلوها فلايكادون يعرفون هذه المسائل و مرّ سابقا ايضا بيان هذه المسألة في الجملة ثم انت يا ايها الناظر في كتابي هذا اذا اردت ان تعرف الامر علي الحقيقة فاستقم في هذه المعاملة علي الفطرة و لاتغيّرها و لاتبدّلها و كن في معرفتك لله ثابتا بالفطرة التي فطرت عليها و يكفي هذا القدر من البيان فانه ليس فوقه الا العيان .

المطلب الرابع في مقام البابية و فيه فصول :

فصل اعلم ان الله سبحانه غيب باحديته محجوب عن الادراك لشدة

صفحه ٤٣٨

ظهوره بعيد عن الابصار لغلبة نوره فلايكاد يدركه الابصار مع انه محيط بها و لايحيط به الافكار مع انه متجلٍّ فيها و لايستشعره العقول مع انه ظاهر منها و ذلك امر عجيب غريب انه مع ظهوره لايري و مع عدم محجوبيته لايدرك و امثّل لك مثالا من آياته حتي تقف علي المراد علي نحو الحقيقة الاتري الجسم المطلق بالنسبة الي الاجسام المقيدة انه قد احاط بجميعها احاطة الصمدية لا الكرية و طوي كلها طي الاحدية لا النفوذ بل بمعني انه افني جميعها في مقام وجودها فصار اظهر فيها منها بل اوجد من كلها في مكانها و لذا تري انك تقول للكل انه جسم فالعرش جسم و الكرسي جسم و الافلاك جسم و الارض جسم و الكل جسم و هو المتجلي للكل به فيه و مع ذلك لايري الجسم بذاته اذ كل مرئي محدود بالرؤية بل لايري غير المحدود في الحقيقة و ما تري بعينك اجسام مقيدة نعم مرأيها مرأي الجسم لفنائها لدي الجسم و هذا الجسم المذكور هو آية الاحد جل شأنه فانه قد احاط بكل الخلق و طويها بمعني انه لم‌يبق لغيرها وجودا في الملك و الملكوت و لكنه لايري بالعين و لايدرك بساير المشاعر لانه لم‌يبق غير نفسه وجودا حتي يدركه فهو يدرك نفسه لا غير و ذلك قوله بك عرفتك و انت دللتني عليك و لولا انت لم‌ادر ما انت .

فصل لما كان الله سبحانه و تعالي عاليا عن درك الابصار و خارجا عن جميع الانظار مع انه اراد منهم المعرفة و كلفهم بها كما لايخفي علي الناظر الخبير بل جعل المعرفة علة خلق الخلق كما ذكرنا سابقا في التوحيد فلذلك اقام محمدا و آل‌محمد صلوات الله عليهم مقامه في ساير عوالمه في الاداء كما في خطبة اميرالمؤمنين عليه السلام اقامه مقامه في

ساير عوالمه في الاداء اذ كان لاتدركه الابصار و لاتحويه خواطر الافكار و لاتمثّله غوامض الظنون في الاسرار لا اله الا الله الملك الجبار ، و مراده عليه السلام من الابصار جميع المشاعر الظاهرية و من خواطر الافكار المشاعر البرزخية

صفحه ۴۳۹

و من غوامض الظنون العقول فان الله سبحانه لايدرك بشئ و هو عليه السلام جعل بيانه ذلك علة لاقامة نبيه مقامه فيعلم من ذلك ان جميع اصحاب المشاعر الثلثة المذكورة يجب عليهم الرجوع اليه صلي الله عليه و آله لانه قائم مقام الله في جميع المراتب فافهم فانه دقيق و هو صلي الله عليه و آله قد ظهر لهم في جميع هذه المواطن بالقيام مقام الله تعالي في الاداء عنه مطلقا فلما كان هو عليه السلام قائما مقام الله و لميجعل الله غيره قائما مقامه فهو سبيل معرفة الله و باب طاعته و عبادته اذ لميظهر في غيره و قد اخطأ من زعم ان الطرق الي الله بعدد انفاس الخلايق فان ذلك كلام صوفي و لميصل الينا من آلمحمد (ع) من طرقنا و علي فرض تصحيحه بان نقول ان كل نفس سبيل الي الله يكون ذلك في الكون لا في الشرع فان في الكون كل شئ آية الله و سبيل اليه و لا فخر و لكن الفخر في الشرع فان الله سبحانه قد خصّ ذلك في الشرع باول خلقه فهو الباب لا غير ثم من بعده وليّه (ع) قائم مقامه فانه قد نصبه بعد نفسه للناس علما بالضرورة فهو بعده قائم مقام الله اذ كان قائما مقام رسول الله صلي الله عليه و آله هذا بالدليل الظاهر و اما في الباطن فنقول ان الولي هو نفس النبي صلي الله عليه و آله و الفرض ان سراج القائمية مقام الله كان مشتعلا في دخان قابلية النبي و بعده اشتعل بنفس ذلك النور علي عليه السلام سوي انه كان وليا و هو كان نبيا و كذلك من بعده كل من كان قائما مقامه من الائمة عليهم السلام كان قائما مقام الله في الاداء المطلق اي يؤدون عن الله جميع ما منه و يؤدون اليه جميع ما من الخلق و ذلك ان الله سبحانه تجلي فيهم لعباده و هذا معني القائم في مقام الله لا انه تعالي بمعزل عنهم و هم بمعزل عنه و قد استنابهم في امر كما في النواب العرضيين الدنيويين بل ظهر سبحانه و تعالي في دخان قابليتهم حتي اشتعلوا بنوره فقاموا مقام الربوبية العظمي و الالهية الكبري و المعنوية الخُصّي في مقام الخلق كما ان

صفحه ۴۴۰

الشعلة قائمة مقام النار الغيبية و زيدا العرضي قائم مقام زيد الجوهري الغيبي و لا سبيل بعد الي الغيب سواه و سأمثّل لك مثالا خاصا في فصل حتي تقف علي اسرار في هذه المسألة الشريفة .

فصل اعلم اولا من باب المقدمة ان مرادنا من الباب الذي نقول باب المعاني و البيان لا الذات الاحدية التي هي فوق البيان فانها باحديتها طوت جميع الكون و المكان و لمتُبق سوي نفسها احدا من الاكوان و الاعيان و لا سبيل اليها اذ لا ساير و لا مسير و لا غير و لا سوي و لكن الباب الي شئ يمكن السير اليه لا غير فاذا عرفت ذلك فنشرع الآن في التمثيل حتي تقف علي دليل الحكمة فانه خير دليل فاعلم ان الله سبحانه جعل النار في غيب جميع ملكه فليس شئ الا و في قوته نار اما بعيدة او قريبة اذ جميع الخلق يحتاجون اليها في مصالحهم و لو كانت منبثة في الملك لاحرقت ما سواها و لو لمتكن في قوة جميع الملك

و كانت بالفعل في مقام خاص لضاق علي الخلق طلبها مع انهم يحتاجون دايما في معاشهم و مكاسبهم و مطالبهم سفرا و حضرا فلذلك جعلها الله في قوة جميع الاشياء و هيّأ اسبابا لاستخراجها كل حين و قدّر اسبابا لضبطها و حفظها ايضا و لسنا الآن بصدد بيان ذلك و الحوالة الي مظانّه من رسائلنا و رسائل مشايخنا و لما كانت في قوة جميع الملك و جميعه يصلح لحكايتها فاذا كمّل المكمل مركبا من المركبات بحيث صار صالحا لخروج النار الغيبية من كمونه يستشرق بلا اكتراث كالدخان مثلا فانه مركب من المركبات و في قوته النار كساير المركبات بلا فرق و لما بلغ مبلغ الحكاية للنار برز من كمونه النار و ليست النار في السماء فتنزل اليه و لا في الارض فتصعد اليه و لكنها مخزونة مكنونة في الدخان لما صار حارا يابسا حكي عنها من نفسه و كذلك الامر في بروز جميع الغيوب من فوّاراتها الشهادية في العمل الجوّاني لا البرّاني فان البرانيات محض صبغ ظاهر و ليس امرها باطنيا الا ان

تستحيل الي الجوّاني كالنور الظاهر علي الجدار من السراج و النور الظاهر علي الارض من القمر فانهما محض صبغ ظاهر علي وجههما و يزول بزوال الصابغ و اما النار الخارجة من الدخان فهي جوّانيّة اي خرج ما في قوة نفسه و لايحتاج بعد الي مكمل خارجي اذ هو نار بالفعل و من هذا الباب ما قال الامام عليه السلام ليس العلم في السماء فينزل اليكم و لا في الارض فيصعد اليكم و لكنه مكنون مخزون فيكم تخلّقوا باخلاق الروحانيين يظهر لكم ، و مراده من العلم النفس الانسانية التي من قواها العلم و لايمكن ظهور العلم من القوة الا بظهور النفس كالابصار مثلا فانه لايكاد يخرج من القوة الا بخروج الحيوانية فحاصل المعني ان النفس الانسانية ليست في السماء و لا في الارض و لكنها في قوة جميع الخلق و سبيل استخراجها التخلق باخلاق الروحانيين اي الاناسي و الانبياء فبعد ما اتّصف الشخص بصفتهم يصير عالما كما ان الدخان بعد ما اتصف بصفة النار ظهرت عليه فافهم و ان في ذلك لموعظة للناس الطالبين للغيوب فمحال في الحكمة ان يخرج شئ من القوة الا بعد التخلق بخلقه و معني التخلق ان يتصف العامل بصفة ليست منه فانه ليس حليما مثلا و لكنه يتحلم و لا وقورا و يتوقر و هكذا و بعد ما عمل هكذا يتكمل فيه الانسانية ثم يتقوي هذه الصفات بالانسانية قال عليه السلام بالحكمة يستخرج غور العقل و بالعقل يستخرج غور الحكمة فاذا عرفت ذلك فاعلم ان من اكتسب امرا من الغيبيات حتي صار فيه بالفعل يصير بين الخلق باب هذا الغيب اذ هو في جميع الملك بالقوة و هي العدم اذ ليست سوي صلوح ان يظهر و هو غير الظهور و الحكاية الفعلية و كل من فقد غيبا من الغيوب عليه اكتسابه من طريق الفعلية او بسبب من الاسباب التي هيّأها الله لاستخراجها مثلا اذا اردت ان تقتبس نارا عليك طلبها من مقام فعليتها كما فعل موسي عليه السلام او تأخذ فسفورا مثلا او زنادا و قدحة و تستخرج من بينهما نارا بحركة شديدة و الا فلا سبيل لك الي النار

الغيبية و هذا امر مشاهد محسوس فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الامور الغيبية بعضها كان مما يحتاج اليه الناس دايما و لو لميكن سبب الاستخراج في ايديهم لفسد امرهم فالله الحكيم جعل سبب الاستخراج ايضا في ايديهم كالنار و شبهها و منها ما لميكن مما يحتاجون اليه دايما فلميجعل اسباب استخراجها عامة و جعل لها مواقع فعلية فمن ارادها يطلبها من مظانها و من لميردها لايطلبها كالمعادن مثلا فانها في قوة جميع الاشياء و الناس في بعض الاحيان يحتاجون اليها و جعل الله سبحانه اجساما حاكية لها بالفعل مع انه جعل لاستخراجها من الجمادات ايضا اسبابا اخفاها عن عامة الناس و منها ما يحتاجون اليه دايما او بعض حين و ليس في قوتهم تهيئة اسبابه بوجه ما او يقتدرون علي تهيئة بعض الاسباب و لايقدرون علي جميعها كالنبات مثلا فانهم يقدرون علي جمع بعض اسبابها بتقدير الله و اكثرها في يد الله لميجعل لعباده فيه صنعا كما لايخفي علي العاقل و لذا قال الله عز و جل افرأيتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون و نهي في الخبر عن تسمية الفلاح بالزارع ففي امثال هذه المقامات لا بدّ لهم من الصبر علي مواطن الفعلية و ان اقتدروا علي بعض الاسباب فعليهم العمل بها و جمعها و الصبر علي حكم الله فانك تثير الارض و تبذر الحب ثم تصبر علي مشية الله فان اخرجه لك تشكر الله عليه و كذلك تحفر الارض فان اخرج الله منها الماء تشكر عليه و هكذا و ما ليس لك فيه صنع اصلا تصبر حتي يخرج الله ما يشاء مما يشاء فتتبعه و الا فلاتجد اليه سبيلا كما قال الله تعالي في ذيالقرنين و آتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا حتي اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة و كذا قال ثم اتبع سببا حتي اذا بلغ مطلع الشمس و لميكن ذلك الا من عند الله و اتبع مواطن الفعلية حتي بلغ هذا المقام و من هذا الباب امر المعرفة و التوصل الي الله سبحانه و درك اسمائه و صفاته فان جميع ذلك في قوة جميع

الخلق و لايقدرون بانفسهم علي اخراجها كما لايقدرون علي خلق انفسهم فان ايجاد المولود الشرعي في الاكوان ليس باقل من ايجاد المولود الكوني في الامكان و الله الفاعل للكل لا غير فمنذا الذي يقدر علي ذلك الاتري ان الله ينفي هذه الصفة عن نبيه و يقول انك لاتهدي من احببت و لكن الله يهدي من يشاء و قال من يهدي من اضلّ الله و امثال ذلك من الآيات و ورد اخبار في ان المعرفة مطلقا من صنع الله و ليس لاحد فيها صنع فلايقدرون علي استخراجها من كمونهم فانها قوة و القوة لاتخرج من غير مرجح خارجي بالبداهة و المرجح لايصلح ان يكون قوة لتساوي الاضداد في القوي فلا بدّ و ان يكون فعليا و ذلك مما لاينكره عاقل و لذا قال عليه السلام انت ماكوّنت نفسك و لاكوّنك من هو مثلك ، فلا بدّ من وجود كامل فعلي في نور الله سبحانه الذي هو سبيل معرفته و لا بدّ من ان يقصد الناس ربهم من سبيله و لو فعلوا غير ذلك لخابوا و خسروا مثلا اذا لميكن لك زناد و قدحة او فسفور و لاتقدر علي استخراج النار بنفسك من قوة الاجسام فلا علاج لك الا طلبها من سبيل الشعلة و لو بطي المراحل ، هذا و انا اقول انه لايخرج شئ من الكمون الا بسبب الفعلية فان المرجح للقوة هو هي لا غير و ما تري من استخراجك النار من بين الزناد و القدحة ليس ايضا الا بالنار فانك لاتوري الا بحركتك و الحركة ليست الا من النار فحركتك من الصفراء التي هي النار بالفعل فيك الاتري ان كل صفراوي اسرع

حركة من البلغمي و كلما ضعف في الانسان الصفراء ضعف حركته و لذا يكون الانسان في سن شبابه اسرع حركة من سن صغره و هرمه و الله سبحانه جعل الحركة ملازمة للنار و كل متحرك يتحرك بناريته الاتري انك اذا سلّطت النار علي الحجر يتحرك من مقامه بل يصعد بجذب الافلاك و لاتجذبه الا باستخراج ناريته في الجملة من كمونه و كذلك ما يخرج من فلكة الماس من النارية بواسطة الحركة حتي ان بالحركة يستخرج

صفحه ٤٤٤

النار من الماء كما تري من اثر اللمعان و البريق في ماء البحر و رؤس الامواج غاية الامر ان الماء لايصلح لحكاية حرارتها و يحكي نورها كما ان الحديدة المحماة في درجة من الدرجات لاتحكي نورها و تحكي حرّها و ان الحكاية بحسب القابلية و بالجملة ليست حركتك الا من نارك فانت بالنار بالفعل تخرج ما كان بالقوة في القدحة بايرائك فلا بدّ من فعلية و هي السبب لا غير و في هذا الامر العظيم بل كل امر لاتري صاحب فعلية كاملة من كل جهة الا الائمة و الخاتم صلوات الله عليهم و ذلك قوله تعالي انا انزلناه في ليلة القدر الي ان قال تنزل الملئكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر ، فهم باب كل امر مطلقا و قال استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم اي باستخراج روح المعرفة و العلم من قواكم و قال انا ارسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا و داعيا الي الله باذنه و سراجا منيرا فهو سراج بالفعل لجميع الانوار الغيبية و قال عليه السلام عن القدسي فانتم خيار خلقي و احبائي و كلماتي و اسمائي الحسني و اسبابي و آياتي الكبري ، فافهم ذلك فاني بحمد الله قد بيّنت لك مقدمة كشفية لاتشك بعد ذلك في المسألة .

فصل بعد ما عرفت ان آلمحمد سلام الله عليهم ينبوع جميع اسماء الله و صفاته و فوّارة البيان و مرآة حكايته فاعلم انهم سلام الله عليهم باب هذه الغيوب و من اراد الاطلاع و الوقوف عليها و الاستمداد منها لا بدّ له من الدخول من هذا الباب قال الله تعالي ليس البرّ بان تأتوا البيوت من ظهورها و لكن البرّ من اتقي و أتوا البيوت من ابوابها و هذا الامر عام يشمل الكون و الشرع و المراد من البرّ في الكون البرّ الكوني اي الوجود و البقاء و لايحصل للانسان بدخول البيوت من ظهورها مع انه لايتيسر ذلك ابدا فان في البيوت الجمادية يمكن الدخول من جميع جهاتها غاية الامر ان مالكيها لايرضون الا بالدخول من الثقب المخصوص بعد الاستيناس و التسليم و لكنه يمكن بغير هذا الوجه

صفحه ٤٤٥

ايضا و اما في الكون فلايمكن ذلك ابدا فان الباب الي البيوت مخصوص بما فتحه الله و لايمكن الدخول من غيرها فان باب النبات بدنه الجمادي و لايمكن الدخول اليه الا من ذلك الباب و كذلك باب الحيوان بدنه النباتي و الجمادي و باب كل عال سافله و باب كل غيب شهادته و لايمكن الدخول اليها الا من هذه الابواب و اما في الشرع ففي البيوت الظاهرة فالامر علي ما سمعت و اما في الغيوب فلايمكن ايضا دخول البيوت الا من الابواب و منع الله من الدخول من ظهورها لعدم تيسّر ذلك و عدم حصول مرادهم لا بانه يمكن ذلك و يحصل الا ان في الشرع منعوا عنه او يكون المراد انهم يزعمون انهم يتمكنون من الدخول كما زعموا انهم دخلوا بيوت النبوة من غير سبيل الولاية فنهاهم الله ان يدخلوا

بزعمهم فقال ليس ذلك من البر و لكن المراد في عالم الحقيقة ان البر دخول البيت و لايمكن ذلك الا من الباب فليس البرّ الدخول من غير الباب فافهم ذلك و لاتغفل فانه لايمكن الوصول الي مدينة العلم الا من علي عليه السلام فانه بابه لا غير فمن دخل من غير الباب دخل مدينة الجهل لا مدينة العلم و كذلك باب مدينة الحكمة و النبوة علي عليه السلام و من دخل من غيره دخل غير تلك المدينة لانك قد عرفت ان جميع الخيرات صارت في غيرهم بالقوة و فيهم بالفعل و طلب الشئ من مقام القوة خطاء و كذلك مشية الله الشرعية و الكونية فارت من وجودهم صلوات الله عليهم بالفعل و الايجاد و ان قلت انها مطلقة و ظهرت في الكون من كل شئ موجود اقول بلي لا شك في ذلك و لا ريب و لكن ظهورها في القوابل مختلفة ففيهم ظهرت بالفعل و في غيرهم بالانفعال الاتري ان تمام الحركة التي هي كمالك و ظهورك تظهر في يدك و منها تسري في الخشبة و هي ايضا تتحرك بتحريكك و ليست حركة الخشبة الا بروحك فان غير الروح لا حركة له بوجه و هي لا حركة لها اذ لا روح لها و بعد اتصالها بيدك تحيي و تتحرك ثم منها تسري في بدن زيد مثلا

فتقبل الحركة و يتحرك مثل بدنك و مثل الخشبة بلا فرق و لكن في المقام يسمّي الفعل فعل القبول و الانفعال و منك فعل و ايجاد و كذلك فعلك مثلا يسري من يدك الطرح الذي هو حركتك في الكأس فتكون انت الكاسر و الكأس منكسرا فافهم ذلك فانه دقيق و كذلك الامر في السماء و الارض فان مشية الله جرت فيهما بلا فرق الا ان في قابلية السماء ظهرت بالفعل و في الارض بالانفعال و القبول فلا حول و لا قوة الا بالله اي لا اعراض عن العصيان و لا قوة علي فعل الطاعة الا بالله سبحانه و قال عليه السلام في خبر ما معناه لايدرك مخلوق شيئا الا بالله و قال و ما سواك قائم بامرك ، و بالجملة فالمشية و ان كانت سارية و الكل مفعولها و لكن في قوابل الخلق ظهر هذا الفعل بالانفعال و لذا نقول ان امر الله تعالي قسمان فعلي و مفعولي مع ان نفس الامر من حيث هو هو واحد و قال و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر و وجه المخلص من هذا التعارض ان امره سبحانه في كمّ الارادة و محل المشية فعلي و لكنه في بطن الامكان انفعالي فكان امر الله مفعولا كما ان بدنك اذا اشتغل بامرك يكون طلبا بل ربما يكون ايجابيا و بعد ما استمع عبدك و اشتغل به يكون مؤتمرا و مفعولا فافهم و تدبر ، فاذا عرفت ذلك فاعلم ان مشية الله و ان كانت نافذة و سارية و ليس شئ الا و هو محل مشية الله و لكنها سرت في سموات الوجود بالمشية و في ارضيها بالمشائية ، هذا و قد عرفت من الامثلة المذكورة انها تجري في مواطن الفعل بالذات و في مواطن الانفعال بالتبع فان امر الله جري اولا في السماء بالفعلية و نفذ منه في الارض بعد بالانفعال ككسرك و انكسار الكأس و ضربك و انضراب العبد و بالجملة هذا السرّ سارٍ في كل شئ فاحد الفروق انهم محل الفعل و غيرهم قوابل و القابل يحتاج اليه و لايقوم بغيره و فرق آخر ان نفس الفعل الظاهر في القوابل من فوارة محل المشية كما ان ضوء الجدار من فوّارة الشمس و السراج لا غير هذا و جميع الامثلة في مقام الفصل

و امر الوصل فوق ذلك و في الجعل المركب و الجعل البسيط ايضا فوق ذلك فان جميع القابلية و ما تحكي كلها مخلوقة بالفعل الظاهر من السماء غاية الامر ان الفعل الظاهر منه صار انفعالا و الصبغ المتخذ من انية السماء صار مرآة و قابلا و بسط ذلك كثير يأتي في مقامه ان شاء الله فهم محل المشية و المشية هي معني الله علي ما عرفت و محلها بابها و سبيلها و صراطها فمن اراد مشية الله لا بدّ له من الرجوع اليهم و كذلك من اراد الله يجب عليه الرجوع اليهم بل هم سماء الجود و شرف الموجود و قطب الوجود فكل ما اراد العباد شيئا كائنا ما كان من امر الدنيا و الآخرة لا بدّ لهم من الرجوع اليهم حتي ان الايمان بمعرفتهم و الاقرار بفضلهم و الاتباع لهم و الكفر بالانكار لهم و الانكار لفضلهم و التخلف عنهم و لولاهم لماكان شئ و ماكان ايمان و ماكان كفر فافهم .

فصل اعلم ان كل عالٍ بعيد عن حيّز الداني و لايتمكن الداني من الوصول اليه و ان كان العالي بالفعل وجودا في مقام الداني ايضا الا ان الداني لبعده عنه و عدم مناسبته معه لايقدر علي دركه و اخذه عنه و لذا نقول ان ذات الله تعالي لاتدرك ابدا مع انها فعلية صرفة و ليست بالقوة في مقام العباد و من زعم ذلك فقد اخطأ السبيل و لميعرف ربّه لاتقل ان احدا لميقل بذلك فان جماعة من القائلين بوحدة الوجود و عود كل شئ الي الله و ان لميصرحوا بذلك و لكن من عرف فحوي كلامهم في البدأ و العود يجد ان ذلك من قولهم علي ما يظهر منهم و الله اعلم بنيّاتهم و لست الآن بصدد ذكر اقوالهم و سيجيء ان شاء الله و بالجملة فالذات لاتدرك مع فعليتها في كل مكان و لذلك ظهرت في كل عالم لاهله بما يناسبهم ليعرفوها و يعبدوها لا بان تظهر بذاتها في قالب من القوالب بل تجلّت لهم بما يناسبهم بنفسه و هذا السرّ يجري في جميع الخلق ايضا فان آلمحمد سلام الله عليهم بانفسهم تعالوا عن درك الابصار و اختفوا

عن الانظار في اسفل مقاماتهم الذاتية فضلا من اعاليها الاتري انك لاتعرف حقيقة فؤاد الملك و لاتراها و لاتدركها و لا العقل الذي هو اول الاكوان و هما من مقاماتهم بل اقول انك لاتدرك الجن و الملك مع انهما من عالم المثال الذي هو دون ساير العوالم و قد اعطاك الله مشعرا من سنخهما فكيف بالذي لمتعط مشعرا من جنسه فافهم ذلك فانه من المسائل التي يجب علي الانسان التصديق به من باب المقدمة لمسائل كثيرة فاذا كان الامر كذلك فهل تقول ان الله اختار آلمحمد سلام الله عليهم بابا لنفسه مع انهم لايعرفون بانفسهم او لميجعلهم بابا فان قلت بالثاني فقد كفرت اذ انكرت فضلا من عظائم فضائلهم و ان قلت بالاول فاقول كيف يكونون بابا بيننا و بين ربنا مع انهم بانفسهم لايعرفون و لايدركون و كيف يتم الحجة لله علينا بهم فلا بدّ و ان يظهروا لنا في مظاهر يعرفون و يدركون و لا شك ان المظاهر العرضية لاتفيد كثير فائدة الا في امور كونية و اما في المعارف الشرعية فليست مناط اعتبار فالمناط معرفة المراتب الذاتية و لا شك ان المراتب الذاتية ما لمتكن مناسبة لغيوبها لاتظهر فيها الاتري ان البدن العرضي الجسماني الدنيوي لا مدخل له في الانسانية و يظهر نفس الانسان فيه باي صورة كان كما تري اناسي كثيرة في صور

مختلفة و يمكن ان يظهر نفس زيد وحدها ايضا في صور مختلفة في الاعراض كما تري حالاته المختلفة من بدو عمره الي آخره و لو كان ظهور زيد في البدن العرضي مشترطا بوجود هذه الاعراض لماظهر في جميع الحالات بل لماامكن رجعته فافهم و اما البدن الاصلي للانسان فهو تنزّل روحه و لا بدّ من المشابهة التامة بينهما و لذا نقول لايظهر نفس الانسان في البدن الا ان يصير في لطافة الكرسي للزوم المناسبة فان النفس الانسانية غيب الكرسي و غيبه لايظهر الا في بدنه بلا شبهة فاذا كان المناسبة شرطا بين الروح و البدن فعلي فرض ظهور نفس الامام في بدن من سنخ الاناسي لاتظهر الا في بدن مناسب

لها و هو فوق مدرك الاناسي فان البدن المناسب لها من سنخ عرش عالم الاناسي و هم علي فرض كمالهم في مقام الكرسي فكيف يدركونه فمن قال انه يكفي للمعرفة ظهورهم في عالم الاناسي لميعرف حقيقة الامر و ان مشايخنا ربما يشعرون بهذا الكلام و لكن ليس ذلك غاية مرادهم بل هذا بعض الكلام و تمامه من سرّهم قد اشاروا اليه في بعض المواطن و لايعرف رطنهم الا ولد بطنهم و بالجملة فظهورهم في عالم الاناسي ايضا لايكشف عن سرّهم و لذا اختاروا لانفسهم ابوابا و حججا و تجلّوا فيهم و بهم لغيرهم و هذه الابواب و الحجج من شعاع نورهم في عرصة الاناسي كما انهم شعاع نور الله في عالم الخلق فلله علي الناس حج بيت المعرفة من استطاع اليه سبيلا اي من وجد سبيله و بابه و اما اذا لميخل السرب لاحد بعدم معرفة السبيل فحجّه غير لازم شرعا و لا ميسّر كونا و الله اولي بالعذر و من استطاع و لميحجّ فهو كافر و لااقول لغير العارف انه لايحج مطلقا بل يجهد في معرفة السبيل اولا ثم يحجّ البيت ثانيا فافهم فللابواب ابواب و للنذر نذر و بذلك يقطع الله العذر و يفتح السبيل فافهم و يكفي هذا القدر من البيان ان شاء الله .

فصل اعلم ان الباب لايكون بابا حتي يكشف عن ورائه بحيث لايري بنفسه و ما يري بنفسه حجاب و لا باب فان الجدار الذي يحول بين المرء و ما وراءه لايكون بابا و لكن المنفذ الذي يري باطنه من ظاهره باب و كذلك الامر في جميع الغيوب فان الدهن الذي يكون النار في قوته لايكون سبيل النار فانها لاتري منه و لكن الدخان المشتعل بها المظهر لها الحاكي عنها هو الباب و الجناب و هو لايكون الا من افني ما من نفسه و اظهر ما من ربه بالمرّة فآلمحمد سلام الله عليهم لما خرقوا حجب انيّتهم لغلبة الغيب فيهم و هتكوا ستر وجودهم لظهور السرّ و جذب احديتهم لصفة التوحيد صاروا ابوابا لله سبحانه و كذلك من هو بابهم و سبيلهم و حجتهم لا بدّ و ان يكون هكذا

بالنسبة اليهم و من احتجت في الدخول منه اليهم الي كشف السبحات لمشاهدة الانوار و الآيات هو صنمك لا بابك فانه يشغلك عن ذكر الله و لكن من صار المولي ظاهرا من وجوده هو بابك هذا و لو كان يكفي مشاهدة الاسرار بهتك الاستار لكان يمكن ذلك من كل باب و حجاب فان كل شئ له آئية و سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق و نعم ما قيل :

كل شئ فيه معني كل شئ   ** * **   فتفطن و اصرف الذهن اليّ

كثرة لاتتناهي عددا   ** * **   قد طوتها وحدة الواحد طي

فكان يمكنك الدخول اليهم من كل باب و مشاهدة نورهم من وراء كل شئ فلمَ خصصوا الامر باشخاص و سيأتيك وصفهم في الركن الرابع هذا و لمتكن تحتاج الي غيرك لانك ايضا مثله في الحكاية فالمناط في المقام ان يكون نفس الباب صاحب فعلية الحقيقة حتي يصلح للسير فيه كما قال الله تعالي و جعلنا بينهم و بين القري التي باركنا فيها قري ظاهرة و قدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي و اياما آمنين و لو لميكن القرية الظاهرة خالية عن المترفين كيف يأمن الناس في السير فيها و لاتكاد تخلو منهم الا بان تصير خالية عن جميع الاغيار حاكية عن القرية الباطنة في جميع الصفات و الآثار فافهم ذلك و قد اسقيتك ماءا غدقا .

فصل بعد ما عرفت ما ذكرناه فاعلم ان الله سبحانه احد و الاحد لايجري عليه الحالات و لايغيّره الصفات و لايتوالي عليه الارادات بل هو نفس الذات و الحقيقة منزّهة عن كل ما هو سواها فلاتكون علة شئ و لا سبب شئ و لاتترتب علي شئ و لايترتب عليها شئ و لايصدر منها شئ كما لاتصدر من شئ و قد جعل الله لكل امر من الامور سببا و بابا و هو من كان حاكيا لفعلية من الفعليات يعني لصفة و اسم من الاسماء و الصفات فهو باب و سبيل للصفة التي يحكيها و يصدر منه ما يترتب عليها فانه تعالي هو الرزّاق و لكنه لايرزق

بذاته اذ الرزق فعل و الفعل غير الذات و لكنه تعالي خلق ميكائيل و امدّه باسمه الرزّاق و جعل له اعوانا بعدد رؤس الخلايق و اضعافهم فاجري رزق خلقه علي يديه و خلق جبرائيل و امدّه باسمه الخالق و خلق عباده به اماسمعت ما روي ان الله خلق ملكا ثم امره ان يقول كن فقال فكان ما كان و كذلك خلق اسرافيل و جعل في يده الحيوة و خلق عزرائيل و جعل في يده الموت و كذلك وكّل بكل امر ملكا مع ان الفعل كله له و كذلك الامر في صنايع العباد فان الصانع لكل شئ بالتأثير و التكميل هو الله و عباده ايادي صنعه و لاتستغرب ذلك فان كل احد يقرّ بان الملئكة اياديه و قد شاع و ذاع حتي بلغ الاصقاع اسم الملئكة الخلّاقة و الرزّاقة مع ان الملئكة عباد الرحمن و مخلوقون بمشية الله فكذلك الامر في الخلق فالصانع مثلا هو الله و لايغيّر لون شئ الي غيره غير الله و لكن الصبّاغ يد الله و باب هذه الصفة و وكّل الله به ملكا يمدّه علي ذلك و كلا نمدّ هؤلاء و هؤلاء من عطاء ربك و ماكان عطاء ربك محظورا و قال له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من امر الله و كذلك الحدّاد هو الله و الرجل يده في ذلك و الطحّان هو هو و هكذا يجري الامر في اعلي من ذلك فان الطبيب هو الله لا المتطبب و انما يجري فعله علي يديه و العالم هو الله و يجري علمه علي لسان عبده و قلبه و هكذا الامر في جميع الامور و من نسب هذه الافعال الي عباد الله بنية استقلالهم فقد كفر بالله و الذي انزل السبع المثاني و القرآن الحكيم و لكن ان قال ذلك من باب المسامحات او معتقدا بانه يد الله لايضره و كذلك الامر في آثار النجوم و قد غفل من انكر اثرها بالمرّة فانه امر مشهود محسوس و لكنا نقول ان جميع التأثير من الله و قد القي امره الي روح القدس الذي هو ظاهر من العرش و هو قلم القدرة فالقي الامر الي النجوم فجرت بامر الله و ظهر منها

الآثار بمشيته و هي بمشيتك دون قولك مؤتمرة و بارادتك دون نهيك منزجرة فافهم ذلك فالله المسخّن المنير بالشمس

و منها و المؤثر بالنجوم و جعل لكم النجوم لتهتدوا بها و هو الهادي لا غير و كيف ينكر ذلك و قد قال و في السماء رزقكم و ما توعدون اي ما توعدون من الثواب و العقاب و الحساب و الرجعة او هو مطلق من جميع ما وعدوا من الخلق و الرزق و الحيوة و الموت فاذا عرفت هذه المقدمة السهلة الممتنعة فاعلم ان الله سبحانه امرك بطلب ما تفقده من الباب الذي فتحه لك فان لمتطلبه من بابه ماوصلت اليه و لو دعوت الف سنة فان الماء رافع العطش بامر الله و قوة اسمه و النار مسخنة بامره و قوة اسمه فاذا طلبت رفع العطش من النار و التسخين من الماء ماوصلت اليه ابدا ابدا فان ذلك امر بين ظاهر و كل ما تري من عدم استجابة الدعوات اغلبه لذلك فان الرجل ينام علي قفاه و يسأل الله من فضله فان ذلك مما لايستجاب و لكنه قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض و ابتغوا من فضل الله و هذا معني التوكل ايضا فان التوكل ان تسلك في سبيل فتحه علي وفق الشرع و تعرف ان الامر كله بيده لا ان لاتطلب شيئا و تتوكل عليه و ما تري من عمل الاكابر انهم ربما لايطلبون المعاش بحسب الظاهر فليس ذلك لاجل طلبهم من غير السبيل بل هم يرتزقون من اعظم السبل و هو طلب العلم فان الله اوحي الي الارض ان ارزقي جميع الخلق بكدّ اليمين و عرق الجبين الا طالب العلم فاني اتّجر له من وراء كل تاجر فلاتغفل من ذلك و بالجملة اذا عرفت هذه المقدمة فاعلم ان لله ابوابا عظيمة فوق خلقه يأتي جميع الخلق ما يحتاجون اليه من عندهم حتي ان الاسماء التي وقعت في الخلق فصاروا بها فاعلين يأتيهم من هذه الابواب و مثلهم بالنسبة الي الخلق كالنار الغيبية و الشعلات فان جميع الشعلات ابواب النور و لكنها لاتشتعل من مشية الله الا بواسطة النار فهي الباب الاعظم للشعلات و فوق كل ذي علم عليم و كذلك لجميع الخلق ابواب الي الله و هم الذين اشتعلوا بنور مشية الله اصالة او بالتبع و يجب علي جميع الخلق ان يطلبوا

حوائجهم من هذه الابواب و يسلكوا الي الله منها و يدعوه فيها و يعبدوه بالاستشفاع بها و من عبده من غير الباب و دعاه من سواه لايكاد يصل الي المراد و هم الائمة صلوات الله عليهم و جميع الفيوض تصل من عندهم و لهم ابواب عامة هي الخاصة و خاصة هي العامة اما الاولي فالابواب الكونية علي ما ذكرنا سابقا و اما الابواب الخاصة فهم الذين قرنهم الله بنفسه و نبيه و وليّه و اوجب علي العباد طاعتهم و ولايتهم و اتباعهم و اعلم انه من باب ان كل نور مشوب بالظلمة و مع كل نهار ليل و مع كل عقل جهل لاسرار جمّة مرّ ذكرها جعل الله مع كل باب من الابواب الاصلية و الفرعية بابا باطلا الي الشيطان ليدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير حتي انه ربما يكون في الصانعين مع حقّهم باطل و لكن ليس ذلك من المحتوم لقلة الاعتناء بهم و بصنعتهم و لكن في الابواب المتعلقة بالدين لا بدّ من ذلك لاجل الافتتان و الامتحان كما قال الله عز و جل الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا و هم لايفتنون فمع كل نبي و امام و ولي قائم بالحق باطل قائم من

عند الشيطان و ذلك قوله تعالي و كذلك جعلنا لكل نبي عدوّا الآية ، و منهم الذي قام من شيراز و ادعي البابية و ذهب الي سبيله و الحمد لله و الذي قام من بعده و لقّب نفسه بالبهاء لعنه الله و اخمد ذكره و آخر تلقب بالازل لعنه الله فان هؤلاء و امثالهم من الابواب الباطلة القائمين في مقابلة اهل الحق و حالهم كالذين قاموا مع النواب الاربعة و ادعوا البابية كالشلمغاني و النميري و امثالهما لعنهم الله و هؤلاء ضررهم علي المؤمنين اكثر من بنيامية علي اصحاب مولانا ابيعبدالله الحسين روحي فداه و عليه آلاف السلام اذ هؤلاء قتلوهم ففازوا بالنعم الابدية و لميوردوا ضررا علي دينهم و هؤلاء يغارون علي الشيعة و يذهبون بدينهم و هذا مضمون الحديث لعنهم الله جميعا و عذّبهم عذابا اليما و نصرنا الله علي اخماد ذكرهم و ابطال امرهم نصرا عزيزا و عجّل الله فرج وليّه الحجة

بالحق بحق محمد و آله صلوات الله عليهم و اعلم ان ما ذكرته سابقا يكفيك في امتياز اهل الحق من الباطل فان الله جعل لكل شئ اثرا يعرف به فان المسك ما يتضوع لا ما العطّار يثبت مسكيته باليمين و الدليل .

فصل اريد ان اذكر كلاما منيفا من شيخنا و عمادنا شيخ المسلمين و كهف المؤمنين الشيخ احمد بن الشيخ زينالدين اعلي الله مقامه و رفع اعلامه ، قال في تحقيق مقام الابواب في شرح الزيارة الجامعة : الثالث مقام الابواب و باطن الظاهر و سرّ لايفيده الا سرّ و السفارة الي الله تعالي و ترجمة وحي الله و بيانه انه اذا وقع الماء الاول علي ارض الجرز و البلد الميت و بعبارة اخري اذا استضاء الزيت عن النار و بعبارة اخري اذا وقعت الدلالة من الكلمة التي انزجر لها العمق الاكبر علي المعني الميت في قلب العبد المؤمن ظهر علي العبارة الاولي الزرع و النبات الطيب و علي الثانية المصباح و علي الثالثة المعني و المراد من الزرع و النبات و المصباح و المعني شئ واحد و هو الاسم الذي اشرقت به السماوات و الارضون و هو المعبّر عنه عند اهل الاشراق بالعقل الكلي و عند اهل الشرع بالقلم و العقل المحمدي و قد يطلق عليه الروح المحمدي فلما استوي عليه الرحمن اودع فيه غيوب الاشياء و هي معاني جميع الخلق فهو باب الله الي خلقه و لما امر العقل فقال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل اخرج منه رقايقها و صورها الي قوابلها فيما لايزال فهو باب الله الي خلقه و لما تهيأت القوابل لقبول حيوتها و جميع ما لها من ربها و قبلت كان ذلك القبول بواسطته فهو باب الخلق الي الله فلما امرهم بطاعته و امتثلوا امره قبل اعمالهم بواسطته و التوجه به الي الله فرفع به اعمالهم فهو باب الخلق الي الله و هذه الوساطة و الترجمة و السفارة عامة في جميع الوجودات الشرعية و الشرعيات الوجودية فهم في هذا المقام موضع الرسالة بالنسبة الي المقام الاول و محل وحيه و مهبط نوره و مسقط نجومه و هكذا بالنسبة الي المقام الثاني

هم حفظة شريعته و موضع رسالته الثاني من الاول ليترجموا لمن دونهم الامدادات ممن هو فوقهم ، انتهي كلامه علا مقامه و لعمري هو كلام دون كلام ساداته و فوق ساير الكلمات و لاينافي قولي فيما مضي في مقام البابية انها مادة العقل و قوله (اع) انه العقل ،

اذ مراده ايضا العقل من حيث الاعلي و الصدور لا الظهور فانه من حيث الظهور قطب بلا كلام و قال اعلي الله مقامه في مقام آخر من هذا الكتاب : الثالثة معرفة الابواب و معرفة حقّهم فيها ان يعلم انهم ابواب الله التي منها يؤتي في ساير العبادات و الدعوات و المناجاة و طريق قبول الاعمال و منها يؤتي عباده ما يشاء من خلق و رزق و حيوة و مماة في غيبهم و شهادتهم و في ذواتهم و افعالهم و احوالهم و اقوالهم و اعمالهم و ما منه صادرون و اليه صائرون فلايخرج من الخزائن خارج و لايصعد اليها صاعد الا منهم و بهم فهذا و مثله من معرفته و اعتقاده حقهم عليهم السلام في هذه المرتبة ، انتهي كلامه اعلي الله مقامه و لعمري ان تفكرت في هذه العبارات تمام دهرك لكفاك .

المطلب الخامس في رابع مقاماتهم و هو مقام الامامة و فيه فصول :

فصل اعلم ان الامامة هي الرياسة العامة و الامام حجة الله علي جميع الخلق و سايسهم و رئيسهم و الحاكم من عند الله و راعيهم و قايدهم و قد عرفت سابقا ان مقام الامامة ظاهر الفؤاد و انيته بناءا علي ان العقل مقام البابية لله اذ قد يقال ان الفؤاد مقام المعاني و العقل مقام البابية و الامامة اسفل من ذلك او هي ظاهر العقل و لكل وجه بل اقول ان لهم في جميع العرصات ظهورات و ظهروا في كل عرصة بجميع مقاماتهم علي ما شاؤا ففي مجموع ملك الاكوان ظهروا ببيانهم في الركن الايمن الاعلي من اركان العرش و هو مقام

العقل و بمعانيهم في الركن الايمن الاسفل و هو مقام الروح و ببابيتهم في الركن الايسر الاعلي و هو مقام النفس و بامامتهم في الركن الايسر الاسفل و هو مقام الطبع و كذلك في السماوات ظهروا بهذه المقامات في العرش و الكرسي و الشمس و القمر و كذلك في كل مقام و عالم ظهروا بحسبه و لسنا بصدد التفصيل اذ مرادنا الاجمال و الاختصار .

فصل اعلم ان مقام الامامة لساير المقامات بمنزلة الشعلة المرئية فان النار الغيبية بنفسها و اشراقها و صفتها ظهرت من الشعلة او الكلمة التامة علي ان يكون البيان هو المعني المقصود للمتكلم المهيّج له و الغاية و المعاني النفَس بفتح الفاء و البابية مقام الحروف و بعد ما تألفت صارت كلمة تامة انزجرت لها العمق الاكبر و بوجه آخر في التمثيل المطابق للواقع نقول ان الامامة مقام المشكوة و البابية مقام الزجاجة و المعاني مقام المصباح و البيان مقام الشجرة المباركة و علي ايّ حال ظهور جميع المقامات فيها و لولاها لماعرف الله اذ لا ظهور له و لا عبد اذ من لميعرف لميعبد اذ الامام وجه الله الذي يتقلّب بين اظهر الناس و آيته الكبري و نعمته العظمي و جميع ما ينزل من السماء الي الارض من الاوامر الكونية و الشرعية كلها بسببه و لولاه لماقام امر الله و لاتزعم ان ما نقوله من الفضايل ثابت لهم في الشرع فقط حاشا و كلا بل في الكون و الشرع جميعا و حقيقة هذا الوهم ينشأ من زعم المبتدي ان الامام هو البدن المرئي المحسوس او ما يتعلق به من الارواح و النفوس الجزئية غفلة عن الحقيقة و يري ان احكامه غالبا تجري في الشرع و لايشاهد امره في الكون الا من باب المعجزات فيزعم ان فضلهم كله ذلك سيما انه يري قوام الملك بدون مشاهدة بدن شخصي لهم فيزعم ان قوامه بغيرهم و البدن الشخصي لمحض اجراء الاحكام و القضاوة الظاهرة حسب و الحال ان الامر فوق ذلك و ان جميع امر الملك في الكون و الشرع راجع اليهم و سيظهر لك ان شاء الله

مما سيجيء من بيان الكون و الشرع بعد ذلك حتي تقف علي الحقيقة و لكني اشير هنا الي مسألة شريفة حتي تقف علي بعض فضلهم و لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا و يقتضي البيان رسم فصل مخصوص .

فصل اعلم ان الشرع و الكون امران ثابتان في جميع الاشياء و لايفارقان ابدا فان الكون مادة للشرع و الشرع صورتها و ان من شئ الا و له مادة و صورة و ان الله لميخلق شيئا فردا قائما بذاته للذي اراد من الدلالة عليه و قال الله تعالي و من كل شئ خلقنا زوجين ، فجميع الموجودات مركبة منهما و الشرع امر ثابت محقق و الكون امر ثابت محقق و كلاهما وجوديان لا كما زعم جماعة ان الصورة علي ان تكون ماهية عدمية و كلاهما يجريان في الخلق بمشية الله لا غير فالكون من مادتها و الشرع من صورتها او بالعكس في نظر و الشارع و المكون هو الله تعالي لا غير كما ان الخالق هو هو و الرازق هو هو و قد اجري اسميه في مشيته فبمادتها يكون الاشياء اي يخلق اكوانهم و بصورتها يعين صورها و هيئاتها و فعلياتها و قد نسمّي مظهر اسم الشارع بالمشية الشرعية و مظهر اسم المكوّن بالمشية الكونية و هما مقترنتان لاتفارقان ابدا فاذا قلنا ان الشارع في هذا المقام فعل هكذا لانريد انه فارق الكون و كذلك الامر في الكاين المكوّن و بعد ما ظهرت المشية اول ما ظهرت ظهرت بالعقل في عرصة الاكوان و انت تعلم انه اول ما خلق الله و قلم قدرة الله يكتب به ما يشاء و لما كان ظهور مشية الله و هي مركبة يكون مركبا من كون و شرع كما في المشية حرفا بحرف فالعقل قلم ايجاد الشرع و الكون كليهما و لايفارقان ابدا و انت تقر بان اول ما خلق الله روح النبي صلي الله عليه و آله مع انك تقول اول ما خلق الله العقل فهل العقل غيره و هو غير العقل و اول ما خلق الله اثنان او تقول ان اول ما خلق الله في الشرع لا الكون او بالعكس ، لا شك

في بطلان الجميع اذ ثبت بالعقل و النقل وحدة الاول كونا و شرعا فلا بدّ من الاقرار بوحدتهما بمعني ان حقيقة العقل اول ما خلق الله و هي هي روح النبي بلا فرق و لكن حقيقته صلي الله عليه و آله فوق العقل كما مرّ سابقا و هي مؤثرة جميع الكاينات فذاتهم مؤثرة الكاينات و عقلهم قلم قدرته تعالي كتب به من علمه الذي هو ذات محمد صلي الله عليه و آله و عترته ما شاء و كذلك اقول ان روح الكل روحهم و نفس الكل نفسهم و هكذا الي ان جسم الكل جسمهم الشريف ثم نزلوا منه الي العرش عرش الروح و عالم الانبياء و كانوا به محدقين و ظهر منهم جميع ما ظهر من فضايلهم التي يمكن ان تظهر في تلك العرصة و جميع ما يثبت من الفضل للانبياء يثبت لهذا البدن بزيادة انه اعدلهم و اصفاهم و احكاهم للغيب هذا و لايلزم من ذلك حصر العقل الغيبي و تحديده ببدن مخصوص فانه في غيب جميع الارواح بل محيط بغيبهم و شهادتهم و لكن بدنا من الابدان يحكي نوره اكثر فبالنظر الي احاطته بجميع الارواح يقال انهم آدم و نوح و سام و ابرهيم و اسحق و موسي و يوشع و عيسي و شمعون و انهم النذر الاولي و نذر الآخرة و الاولي و نذر كل

زمان و اوان و بالنظر الي زيادة حكاية بدنهم الخاص بهم عن حقيقتهم يقال انه لهم في هذا العالم و علي ايّ حال كل ما سمعوه الانبياء من الغيب يظهر لهم من هذا السبيل و جميع ما يعاملونه مع الغيب من مناجاتهم و مكالماتهم و سؤالاتهم و ما ينزل اليهم من الوحي و الكتاب و الحكم و النبوة جميعها ينزل من هذا السبيل الاعظم و الصراط الاقوم غاية الامر انهم ربما ينظرون الي نفس البدن و الروح مع عدم الالتفات الي ساير الانوار فيقولون يا روح و مرّة ينظرون الي العقل الظاهر فيه لهم و يقولون يا عقل و مرّة ينظرون الي الوجود الظاهر من العقل من الروح فيقولون يا فؤاد و مرّة ينظرون الي المشية الظاهرة فيها منها فيقولون يا مشية الله و هكذا الي ما لايتناهي و جميع المعاملات في هذا المقام لا غير

فافهم ثم تنزّلَ بالمعني المذكور من عالم الارواح الي عالم النفوس فجميع عالم النفس تنزّلُ العقل و الروح و لكنه اخذ لنفسه بدنا نفسانيا في غاية الاعتدال النفساني و تجلي فيه بالخصوص يعني لبس هذا البدن فوق البدن الروحاني الذي لبسه علي تجليه في عالم الارواح فصار هذا البدن الشريف عرضا ثانيا له و لكن لغلبة السرّ لايبقي حكم للعرض و لذا يظهر منه آثار العقل و يختفي حكم العرض كما تري انه بعد ما تعلق روح الحيوة بالبدن النباتي يغلب عليه حكم الحيوان بحيث تقول للبدن انه حيوان بلا مجاز و يختفي حكم النباتية فيه الا بقدر استمساك البدن الاتري ان بدن الطير مثلا مع انه من سنخ التراب يطير في الهواء بلا كلفة و لا تعب مع انه حيّزه التراب و لذا كل ما خرج روحه من بدنه وقع و كذلك الامر في المقام وقع نور العقل علي البدن النفساني و ضعف حكمه و اظهر منه آثاره علي حذو قوله عليه السلام القي في هويته مثاله فاظهر عنه افعاله ، و لما كان اهل عالم النفس محدودين بالحدود النفسانية حجبوا عن درك الغيب فلايكادون يطلعون عليه ابدا الا بقدر ظهوره من النفس و بها فهم يعاملون الغيب من هذا السبيل و الصراط الممدود و كذلك نزل اول ما خلق الله الي كل عالم و اخذ منه بدنا حتي انتهي الي هذا البدن الجسماني فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الغيب في غاية الاتحاد و ليس منه الا الاطلاق و التخصص من الظهورات لا محالة فان قوي الانسان مثلا علم و حلم و فكر و ذكر و نباهة و خاصيته النزاهة و الحكمة و لكنها لاتتميّز في ذاته و لا فرق بينها هنالك بوجه و لكن امتيازها في المشاعر فالحلم في العاقلة و العلم في العالمة و الذكر في الخيال و الوهم و الفكر في الفكر و النباهة في الحس و الحكمة في العقل و النزاهة في النفس لا من حيث انفسها فانها بذاتها لاتتعين الا في الحس المشترك لا بذاته ايضا بل في الاخلاط فالحلم في البلغم و الفكر في السوداء و العلم في الدم و الذكر في النار و كذلك النفس الكلية الالهية قويها

تظهر في الاخلاط فالعزّ في النار و النعيم في الماء و الصبر في التراب و البقاء في الدم و كذلك في المقام ما يثبت لهم من المعاني او البابية تعيّنها في مقام العقل فانه اول مكوّن و اول متعين و قبل ذلك لايكون تعيّن فان المشية و ان كانت معني الله الا انها معني مجمل

مبهم اذ هي فعل مبهم اي امكان فعل فلاتكون معني خاصا متعينا يصدق عليه اسم صفة الاتري ان فعلك المطلق صرف فعل غير متعين و لايصدق عليه ضَرَبَ و لا نَصَرَ و لا اَكرمَ اذ هو امكان الكل و لكن جميع تعيّنه في مواقع الصفات بل اقول ان الامكان الصرف لايقوم بنفسه الا في الكون و ذلك قول الامام عليه السلام لاتكون الارادة الا و المراد معه و لاينافي ذلك كونه مخلوقا بنفسه ، هذا و اقول علي نحو المجادلة ان المشية هي الحركة الايجادية و الايجاد بلا انوجاد لايكون ايجادا و الفعل من غير انفعال لايكون فعلا و ينطق بجميع ذلك قوله تعالي انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون و من خواص اذا وقوع الجزاء مع الشرط كما ينطق بذلك الحديث في معني قوله تعالي فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها فاذا اراد يأمر و اذا امر يكون و بالجملة فالفعل مع الانفعال الا انه فوقه و انفعاله في الامكان الجايز الذي هو الفؤاد و وجوده في الاكوان لا غير علي الترتب و هذا معني قوله (ع) ما معناه الغيب ما لميكن و الشهادة ما قد كان ، فالفرض ان جميعه تصور بصورة العقل بعد ما اراد الله الكون فجميع تعين المشية في الامكان و تعيّنه في العقل و مثال ذلك انك تريد الكتب و تأخذ مثلا متقالا من المداد و تكتبه بصور الحروف و الكلمات فجميع مدادك فيها و جميع حركتك فوقها و لايلزم من ذلك سكون مشية الله و عدم خلقه بها بعد خلق العقل فان اعتقادنا ان جميع الخلق دايما في خلق جديد و ايجاد جديد و الكل يحتاجون الي مشيته في الايجاد و الابقاء دايما و هذا شأن الاثر بالنسبة الي مؤثره و بالجملة فالجعل الالهي هكذا انه جعل مشيته ظاهرة في العقل و كذلك

الفؤاد فالمشية معني مبهم مخصص في العقل و الوجود باب مبهم متعلق بالعقل متعين فيه فمنه يتعين جميع ما يصل الي الخلق بتعين الخلق و الرزق و الموت و الحيوة و ساير الامور ما قلّ منها و ما كثر و كذلك الاسماء و الصفات تعيّنها من هنا افهم ذلك فانها مسألة شريفة فعلي ذلك جميع الفضايل الخاصة راجعة الي الامامة كما ان جميع انوار النار و احراقاتها راجعة الي الشعلة فما يقال ان كل الخلق من نورهم مثلا و ان كان ذلك من حيث كونهم معني الله و لكن بروز ذلك من مقام امامتهم و هكذا الامر في ساير الفضايل .

فصل اعلم ان الامام هو قطب جميع الكاينات و قلبهم و كل فيض يَصِلُ الي الخلق يصل الي القلب اولا و منه ينتشر في ساير الخلق و القلب اول من يحيي و آخر من يموت كما تري في الانسان حرف بحرف فان النطفة بعد ما وقعت في الرحم يتولد و يتعين منه اولا قلب المولود و هو عجب الذنب الذي قال الامام (ع) ثم ينشعب منه العروق و الشريانات الي الاطراف و تنعقد حولها الاعضاء و بعد تولد المولود كاملة الاعضاء يتولد الروح اولا في قلبه و يحيي بامر الله و منه يجري دم الحيوة في كل البدن بل المشرحون في هذه الازمان يقولون ان الاوردة و الشرائين كلها ناشبة من القلب و الدم الوريدي و الشرياني يقسم منه الي البدن و لاينافي ذلك ما روي ان انبعاث النباتية من الكبد و الحيوانية من القلب فانه يمكن ان يكون مراد الامام عليه السلام ان الكيموس بعد ما صار دما صافيا يتعلق به الروح النباتي ثم يجري منه في القلب و منه في ساير الاعضاء و بالجملة فاول مخلوق من البدن القلب و اول حيّ القلب و كذلك آخر ميت من البدن القلب و جميع البدن

يدور علي القلب و يستفيض منه دائما و هو يفيض دائما و كذلك الامر في الملك و ماتري في خلق الرحمن من تفاوت و لنا في المقام ايضا تحقيق شريف يجب التنبيه عليه و هو ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد لايقتضي شيئا من ذاته ابدا لادلة كثيرة : منها ان

صفحه ٤٦٢

الاقتضاء قبول القضاء و القبول مترتب علي الفعل فلا بد من ان يقضي عليه احد فهل هو عينه او غيره و ان كان غيره فهل هو ارفع منه او ادون و من خلقه او غيرهم ففي الاول نقول اولا لا معني لكون القضاء من نفسه لانه صفة فعل الاتري انك تقول قضي و لميقض و الصفات الذاتية لاتسلب ابدا و ثانيا انه يلزم ان يكون القاضي و المقتضي واحدا و ذلك خلف و ان كان القاضي غيره فعلي الاول يلزم ان يسبق الرب غيره و ننقل الكلام اليه و علي الثاني يلزم ان يجري فعل خلقه عليه و ان قلت انه غير خلقه فاحلت القول و منها انه لو كان مقتضيا للزم ان يرد عليه الحدوث و التغيّر و الزوال و منها انه يلزم ان يرد عليه التركيب و بالجملة الادلة الجدلية علي ذلك كثيرة فالله بذاته لايقتضي شيئا و هو ذات احدية و قد تجلي اول ما تجلي لكماله و فعله المطلق و هو علي صفته بل هو صفته فلايرد عليه التغيّر و الاقتضاء و الزوال و لذا و لغيره لميجوز الحكماء عليه الجواز و وصفوه بالرجحان فهو فعل لايخصّ بشئ و لايحدّ بشئ كامل بسيط و ان اثبتنا له التركيب لانريد تركيب الجواز بل هو مركب من اجزاء متحدة هي عين المركب و لايميز بينها الا بالنظر ففعله سبحانه لايقتضي امرا خاصا ابدا اذ الاقتضاء ايضا متفرع علي القضاء و الفعل هو القضاء فاين الاقتضاء نعم هو اقتضي وجودا مطلقا لنفسه بنفسه من الله فافاده به له و اما اقتضاء ما هو ادون منه فلايجري عليه و لذلك قال عليه السلام لا كيف لفعله كما لا كيف له ، فكما انه لايقتضي شيئا فعله ايضا لايقتضي شيئا نعم مقام الاقتضاء مقام الامكان الجايز فانه مخلوق بالمشية و جري عليه فعل الله و قضاؤه فاقتضي فمن حيث الاعلي اذا نظرت تقول قضي الله علي الامكان فاقتضي و من حيث الاسفل اذا نظرت تقول سأل الامكان الوجود فقضي عليه الله فافهم فمقام الاقتضاء مقام الامكان الجايز و اما الامكان الراجح فلميقتض الا نفسه فخلقه الله بنفسه فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الشئ كائنا ما كان مركب من وجود و ماهية او مادة و صورة

صفحه ٤٦٣

و الصورة و الماهية حدود الوجود و المادة و نهاياتهما و الشئ شئ بهذه المادة و الصورة و جميع ما يترتب عليه من الصفات كلها امثلة هذه النهاية و الحدود التي هي المثال و الشبح المتصل كما تري ان لوجهك مثلا مادة و صورة هي مثاله المتصل و جميع الصفات المترتبة علي مثال وجهك كلها راجع اليه و علي هيئته و منها الامثلة الملقاة في الاجسام من وجهك و تري عيانا مثال وجهك في الاجسام الصقيلة انه علي شكلك و كذلك ساير الصفات كلها راجعة اليه فصفة كل شئ تابعة لصورته و آثاره مترتبة عليها و محال في الحكمة ان يتخلف صفة عن موصوفه من حيث الصدور الا ما اختلف في القوابل و من الصفات الاقتضاء و السؤال فمحال في الحكمة ان يقتضي احد شيئا الا ما علي صفته و هيئته فالامكان المذكور مادته الوجود و صورته صلوح الانفعال مطلقا و لايخصّ بشئ

ابدا اذ لا فعلية فيه ابدا و جميع الصور غير المتناهية في قوته بلا تناهي و نسبته الي الكل علي السواء بل نسبة بعضه الي الكل علي السواء و ذلك قول شيخنا و عمادنا اعلي الله مقامه و رفع اعلامه ما معناه ان الامكان كله يصلح لما يصلح عليه بعضه و بعضه يصلح لما يصلح عليه كله و بعضه فكل الامكان مثلا يصلح لكل الملك و بعضه يصلح للكل و كله يصلح للبعض فقطرة منه مثلا يصلح لالفالف عالم و جميعه يصلح لان يتصور بصورة شعلة مثلا و ذلك لانه ليس له اختصاص بحسب الفعلية بل اقول في قواه لايكون ترتب و اختلاف درجة و كلها في درجة واحدة من القوة و الصلوح كالمداد بالنسبة الي الحروف و ما تري من اختلاف القوي في الاشياء فذلك بحسب الفعليات التي عليها لا بحسب نفس المادة من حيث هي هي و الوجود الجايز لا فعلية له سوي صلوح الانفعال فافهم و قد كرّرت القول لتقف علي المراد ان شاء الله فاقتضاء الامكان ايضا اقتضاء صلوحي اذ عرفت انه صفة و الصفة علي طبق الموصوف فبنفسه لايقتضي سواه و الله قد اعطاه و لايكاد يخرج من قوته شئ الا بمرجح خارجي يقتضي امرا خاصا

صفحه ٤٦٤

الاتري ان المداد من حيث نفسه لايقتضي التصور بصورة كلمة دون كلمة الا بالكاتب ان يأخذ شيئا منه بالقلم و ينقشه بصورة الحروف علي حسب ميله الذي هو المرجح فافهم ففي المقام ما المرجح للصور الخاصة هل هو الله و هو الغني المطلق و لايحتاج الي شئ و لايميل الي شئ و لايعشق شيئا علي ما قاله الناس او هو فعله و لا كيف له كما لا كيف لله فما السبب في خلق الخلق و سوق الوجود الي كل قابل فتفكر في ذلك حتي تقف علي الحق فان كنت مؤمنا بالله و رسوله تعرف ان المخصص و المرجح هو القلب و هو آدم الاول كان في جنان الكينونة فانزله الله في ارض الجرز و خلقه منها بيده بارادته علي حسبها و احدثه علي طبق مشيته ثم خلق ساير الخلق به و اما خلقه فبلا كيف كما ان مشيته بلا كيف و لعلك قد عرفت من الفصل السابق ما يكشف لك عن وجه ذلك و ان كان جميع البيانات في عرض الكيف و هو خارج من الكيف و لكن يتمكن العقل من معرفةٍ مّا لانه من نوره و بالجملة بعد ما خلق العقل و هو القلب و القطب لجميع الملك صار مرجحا لخلق ساير الاشياء بالارادات الخاصة و هي لاتضرّ بالقلب فان الارادة الخاصة نقص للمشية المطلقة لا للعقل مع انه ايضا تام المراتب كامل الاعضاء و خلق الله سبحانه بكل مرتبة من مراتبه ما من صقعها من تلك المرتبة فان الخلق في كل مقام يحتاجون الي لسان مترجم من الله يبيّن لهم الامر الكوني و الشرعي ففي عالم الذوات خلق الله اولا قلبها و قطبها و خلق به غيره و في عالم الارواح و النفوس و الطبايع و الامثلة و الاجسام هكذا و كلما تراه من بسايط العوالم كلها مخلوقة بسبب قلبها فعلي ذلك القلب في كل عالم غير مخلوق من عناصر هذا الملك و بسائطه و لو كان مخلوقا منها للزم المحذور المذكور فان كل شئ قبل خلقه في الامكان و لايخرج منه الا بمرجح و المرجح هو القلب فكيف يمكن ان يكون القلب مخلوقا من العناصر و البسايط التي لا بدّ من خروجها من القوة بواسطته فتدبر

صفحه ٤٦٥

فالقلب في كل مقام مخلوق بنفسه قبل اجزاء ملكه نعم بعد ما عمر الديار من خلق الله اخذ من اعراض الملك بدنا للقلب يحكيه و هو الحاكي له لا انه حقيقته و يمكن ان يخلق له ابدان الي غير النهاية ينطق منها كما سيجيء الاشارة اليه ان شاء الله فاذا عرفت هذا المطلب الشريف علي نحو الاجمال تقف علي مجمل من فضائلهم ان شاء الله .

فصل اعلم ان فضائل الائمة صلوات الله عليهم اكثر من ان تحصي و لايمكن ضبطها في رسالة و رسائل علي ان بنائي في هذه الرسالة علي ضبط رؤس المسايل فليست محل ذكر جميع كليات الفضايل و لكن من باب عدم خلوّها عن نوعها اذكر لك قاعدة فاقول ان الامور اما شرعية و اما كونية و المراد من الكون ايضا الشرع الكوني لا الكون الصرف فانه امر واحد مع ان الله لميخلق كونا صرفا بلا شرع كما مرّ سابقا فان الله خلقهما معا فالمراد الامور الشرعية مطلقا و هي اما متعلقة بالاديان او الاعيان و كل ذلك من عند الله الواحد المنّان فانه الخالق لا غير و من زعم ان امرا من الامور من عند غيره او بغير قضائه و قدره فقد كفر و هو لميأمر كونا و شرعا الا بما هو سبب الوجود و البقاء و الدوام و الثبات فان في الكون قال كُن طلبا للوجود و في الشرع ايضا امر بذلك غاية الامر انه عبّر عن الامر الكوني بهذا اللفظ و عن الامر الشرعي بصَلِّ و صُمْ و كلاهما للوجود فان بالامر الاول خلق اشياءا علي صور مختلفة و في قوتهم العلة الغائية التي هي الوجود في الحقيقة و بالامر الشرعي اراد استخراج العلة فان بالعمل بالشرع يزيد كمالك و بقاؤك و يشتد فعلياتك و يخرج ما في مادتك و قوتك من القوي فتصير موجودا من كل جهة بعد ما كنت موجودا من جهة ، فافهم ذلك و اتقنه فانه ينفعك في مواطن كثيرة ان شاء الله فجميع ما اراد الله منك الوجود و البقاء و ما نهاك عنه هو ما يكون مورثا للفناء و الزوال كونا و شرعا ففي الكون نهاك كونا عن الامتناع و انت اطعته

صفحه ٤٦٦

في ذلك و في الشرع نهاك عن المعاصي و هي كلها تورث البوار فان بالشرع يحيي الانسان و يدوم بقاؤه و بالتخلف يموت الاتري الي قوله تعالي استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم و قال و ما انت بمسمع من في القبور و قال صم بكم عمي فهم لايعقلون و بالجملة فجميع ما كان سبب البوار في الدنيا و الموت و الهلاك في الآخرة نهي عنه فاذا عرفت ذلك فاعلم ان جميع ما اتي من الله من امر الكون او الشرع جميعه اتي من قبل آلمحمد عليهم السلام و جميع ما لميرضَ به الله تعالي كله في التخلف عنهم و قد عرفت سابقا ان جميع الوجودات مخلوقة بهم و هم العلة و السبب لخلق الخلق و سيجيء في الامور العامة بيان العلة و كونهم العلل الاربع للكاينات فرجوع جميع الخيرات الي وجودهم صلوات الله عليهم شرعا و كونا و هم اصل كل خير و من فروعهم كل بر و بلسان آخر نقول ان جميع الخيرات راجعة الي النور و جميع الشرور راجعة الي الظلمة و هم النور الاول و عدوّهم الظلمة و هم الوجود و عدوهم العدم فكل خير كائنا ما كان راجع اليهم و جميع الشر كائنا ما كان راجع الي عدوهم و اما وجود العدو فليس وجودا مستقلا ثابتا بل هو وجود تبعي ظلي كوجود الظل و وجود الظل تابع لوجود النيّر لا محالة و لولاه لماكان ظل مع انه غير مخلوق بنفسه بل هو مخلوق بالنير و يكفي هذا القدر في المقامات الاربعة .

المطلب السادس في مقامهم الخامس و فيه فصول :
فصل اعلم ان الله سبحانه بعد ما خلق العقل في غاية القرب الاقرب علي ما عرفت ناداه فقال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل فبالامر الاول نزل من جبروته الي عرصة الملكوت لا بذاته فان كل شئ ملازم رتبته و محله لاينزل

صفحه ٤٦٧

منه و لايصعد و لكنه ادبر بالتجلي و النظر و قد عبّر عن ذلك بهذا اللفظ بملاحظة اقباله الي الاسفل فان الاقبال اليه ادبار عن الاعلي فلايستلزم الادبار انتقالا من مكان الي مكان و مثل ذلك مستعمل متداول بين الناس كما انك اذا تصوّرت بلدا نائيا عنك ربما تقول ذهبت الي هنا مع انك قاعد في كسر بيتك و كذلك العقل واقف في مقامه من يوم خلقه الله و لكنه ظهر لما دونه به و تجلي به له فما دونه نفس تنزله و هو الروح و يعبّر عن ذلك بنزوله و ادباره و بعد ما تنزل اليه في عرصة الملكوت و كان بعيدا عن مشية الله و لميكن يطلع عليها و لميكن يطلع علي ذات العقل ايضا لعدم المناسبة اخذ العقل في عالمه بدنا مناسبا له من جهة و تجلي فيه لاهل عالم الارواح و هو اعدل الارواح و اصفاها لا محالة اذ كل روح لايصلح للحكاية عن الغيب كاملا و هذا الروح المبارك كان خاتما في عالم الارواح و كان جميع ما يأتيهم من مشية الله و العقل يأتيهم من قبل هذا الروح فهو السفير بينهم و بين الله و الواسطة و الباب و السبيل و هو ذات بالنسبة الي اهل عالم الملكوت عرض بالنسبة الي العقل في الكون و الشرع و كان جامعا في جميع المراتب التنزلية للكون و الشرع اذ عرفت آنفا انهما لايفارقان و لما كان للعقل نبوة و ولاية و كان شئونهما اربعةعشر كما مرّ الاشارة اليه سابقا و كان عالم الروح عالم التفصيل ظهر العقل بشؤنه في اربعةعشر بدنا روحانيين ثم تنزلوا منها الي عالم الاناسي علي ما مرّ و منها الي الطبايع و المواد و الامثلة الي ان نزلوا الي عرش الاجسام ثم لما اراد الله ظهورهم في الابدان القي انوارهم من عرشه في قلوب هذه الابدان الطيبة و لذلك تسمّي قلوبهم بالعرش فيقال قلب المؤمن عرش الرحمن فلاتغفل و تسمية هذه الابدان الشريفة باسم الامام و النبي لاجل حكاية الانوار الغيبية كما انك تسمّي بدن زيد باسمه فان ذلك لاجل ظهور الروح الملكوتي فيه لا البدن العنصري و لذلك تسميه بهذا الاسم مع اختلاف البدن من الصغر الي

صفحه ٤٦٨

الهرم الي منتهي الاجل و النور الظاهر في بدنهم ايضا كان جامعا للمنزلتين الكون و الشرع و لذلك قال اميرالمؤمنين عليه السلام انا الواقف علي الطتنجين اي طتنج الشرع و طتنج الكون و الناظر في المغربين و المشرقين اي شرق و غرب الكون و الشرع غاية الامر ان في البدن الشخصي الدنياوي اظهروا الاحكام الشرعية و في البدن العرشي اظهروا الاحكام الكونية اي الكون الوجودي و الشرع الوجودي فمرجع الكل اليهم .
فصل اعلم ان هذا المقام بالنسبة الي المقامات العالية لهم مقام التعين النسبي و ظهور ساير المراتب فيه و تعيّنها فيه فانك قد عرفت سابقا ان نسبة هذا المقام اليها كنسبة الشعلة الي النار الجوهرية و جميع ما تري من صفات النار كلها تظهر من الشعلة بل هي هي صفتها

فالنار بحقيقتها و ان كانت ضيئة الا ان ضوءها يظهر من الشعلة فاما هي بنفسها فلايري منها ضوء و كذلك سخونتها لاتظهر الا من الشعلة فهي في كرتها مثلا لاتحرق و لذلك تري ان نورها و حرارتها تختلف في مواد الشعلات بحسبها و لو كانت هي ثابتة لذات النار لكانت تظهر في كل مظهر بالسواء اذ اسم النار يصدق علي الجميع بالسواء و الذاتيات لاتتغير ابدا فيعلم من ذلك ان كل هذه من صفات النار الجوهرية حتي ان الحرارة و اليبوسة اللتين يقال انهما ذات النار بروزهما و تعينهما في الشعلة و ذات النار لاتفارق ذات الماء و الهواء و التراب كثيرا و لذا يقال ان في الآخرة عناصرها و سمواتها في غاية التشاكل و الامتياز و يظهر لك مثال ذلك في الروح البخاري مع انه لميبلغ حد الاخروية و لكن عناصرها اصلية مثالية و مع ذلك نارها غير محرقة و ماؤها غير مرطّب و هواؤها غير معفّن و ترابها غير مجفف بل لا فرق بينها في المنظر و الفرق يظهر في الاخلاط الدنيوية و كذلك نزل الخاتم صلي الله عليه و آله في كل عالم و اخذ فيه بدنا لنفسه الي ان نزل الي عالم الاجسام فتجلي في عرشه فالعرش بمنزلة جسمه الشريف و بدنه العرضي

و قد كساه فوق ساير الابدان في هذا العالم و تلك الابدان و ان كانت دايمة و لايخلعها ما دام ملك الله و لكنها عرضية بمعني عدم قيامها بنفسها و ذلك سرّ من سرّ الله لاتضيعه ثم بعد ما قام عالم الاجسام و تحرك الافلاك و سكن الارضون و دارت عليها بقوة نور الخاتم صلي الله عليه و آله الظاهر علي العرش تولد من هذه الارض المواليد بامر الله للعقل ان اقبل فاول ما خلق منها الجماد و هو صورة مجتمع العناصر من غير انتضاج و منه هذا التراب و الماء و الهواء فانها مواليد جمادية ثم المعدن و هو الصورة الجامعة مع انتضاج مّا و اخسّه الاملاح و الاحجار و اعلاه الاكسير و الذهب ثم بينهما برزخ ايضا ثم بعد ما انتضج العناصر و اتحد اجزاؤها و تعلق بها الطبيعة الخامسة اي صورة الوحدة الفلكية الظاهرية حصل النبات فلميحك الا ظاهر الفلك ثم بعد ما صفي في الجملة حتي بلغ في بدنه الظاهري لطافة الافلاك يعني صار ظاهره كغيب النبات تعلق به روح الحيوة و هو الحرارة الغريزية غيب الافلاك ثم لما صعد من هذه الدرجة حتي صار بلطافة ساير الافلاك تعلق به النفس الناطقة و هي طبيعة خامسة للحيوان و النبات و المعدن و الجماد و كذلك الحيوان طبيعة خامسة للنبات و المعدن و الجماد و هكذا فمحال في الحكمة ان يتولد الانسان الا بعد تولد المراتب التي دونه و كذلك ساير المراتب العالية و النازلة ثم بعد ما كمل فيه مراتب الافلاك و بلغ غايتها يصير نقيبا كاملا و بعد ما صعد من مقام ساير الافلاك و تلطف حتي بلغ في لطافة الكرسي تعلق به روح النبوة العامة و هي الصورة الجامعة للانسانية و الحيوانية و النباتية و المعدنية و الجمادية و بعد الحيوانية مقام الجنية و الملكية و لكن تركناهما لانهما طرفا الانسان و الحيوان و النبات و الجماد و الا فما لميغلب عليه الملكية و الجنية لايصير انسانا و ذلك بعد ما بلغ بلطافة الزهرة و العطارد فافهم ذلك ثم بعد ما خلص من مقام الكرسي و صفا و اعتدل يبلغ لطافة العرش مقام الائمة عليهم السلام

فيصير محلا لروح القدس العقل الكلي و يحيط بجميع ما دونه فان جميع ملك الله في الكرسي و العرش محيط بالكرسي فهو الجامع للكل و هذا المقام منتهي السير الوجودي فان المولود الجسماني لايصعد هذا المقام ابدا و جميع الارواح الغيبية يتعلق به في هذه المواطن ثم بعد ما وصل الي مقام العرش يتعلق به الفؤاد وجدانا لا انه يصل اليه وجودا فانه مقام الامكان للاكوان و الكون اذا صعد الي الامكان يفني و يعدم و محال في الحكمة ان يعود كون الي الامكان كما انه لميخرج منه اولا فان ذات الامكان لمتتصور بصورة الاكوان و لكن جلوته المتعلقة بها تصورت بصورها فهي لاتعود اليه و لكن لما كان مجموع الاكوان ظهوره و كماله و نوره اذا وصل المولود الي العرش يتجلي له فيراه وجدانا و قد يغلب حكم الوجدان الوجود الاثري انك تتأثر بوجداناتك بحيث تظهر من بدنك آثارها وجودا و بالجملة لست بصدد هذا البيان و لكن المراد بيان كيفية تكوّن بدن الجامع عليه السلام فروح الجامع صورة جامعة و محال ان تظهر كاملة الا في بدن جامع لجميع شؤنها و كمالاتها كما عرفت ان الانسان لايظهر الا في بدن جامع للثلثة فتدبر فان برشعثا مثلا اسم للمعجون المركب من ادوية معلومة اوائل اسمائها فازعباس فلايكاد يظهر روح البرشية في بعض هذه الادوية بل لو اخذ من جميعها بوزن انقص مما وضعه الحكيم اولا لايظهر روحه فيه فضلا من ان ينقص دواء من الاصل و كذلك الامر في المقام من لميجمع القبضات العشرة لايكاد يتعلق به روح الخاتم و بعد ما حصل مولود هكذا يتعلق به هذا الروح المبارك الجامع و لايكاد يطأ هذا الموطأ احد غيرهم صلوات الله عليهم و لذا قال صلي الله عليه و آله اني وصلت ليلة المعراج الي مقام لماجد حيّا غيري و قال جبرئيل له بعد ما جاز السدرة لقد وطئت موطئا لميطأه احد قبلك و لايطؤه احد بعدك .

فصل اعلم ان هذا البدن المقدس المولود عرض لهم صلوات الله عليهم

مع انه بهذه الجامعية و ليست الا بمنزلة مرآة لهم يظهر عكسهم فيه و يمكن ان يؤخذ من هذا البدن آلاف في زمان واحد فان القلب و القطب الذي نقول انه واحد هو الروح لا البدن فان البدن بدن عرضي يحكي عنه فالروح لايمكن تعدّده و لكن البدن يمكن تعدده و لذا ربما كان تجتمع في زمان واحد ابدان متعددة كلها تحكي عن اول ما خلق الله كما كان في بعض زمان رسول الله صلي الله عليه و آله اذ كان هو و اهل بيته الاربعة و المجموع خمسة فان جميع ابدانهم كانت واصلة الي مقام العرش و كذلك اميرالمؤمنين عليه السلام اخذ لنفسه في ليلة واحدة اربعين بدنا و مرّة ظهر في ثمانيةعشر بدنا و حارب خلف كتايب و ربما كان في زمان واحدا كما في بعض زمان مولانا الرضا عليه السلام و في زماننا هذا و لاينافي ذلك ما روي ان الناطق واحد فان الناطق و الصامت كلاهما امام و اول ما خلق الله الا ان واحدا منهم ناطق و واحدا منهم صامت و النطق و الصمت وصفان عارضان فان الصامت يصير ناطقا و الناطق كان يوما صامتا و بالجملة يمكن ان يخلق من سنخ هذا البدن في زمان واحد ابدان متعددة من غير نكير و لاينافي ذلك ايضا كونهم اثنيعشر فان عليا عليه السلام ظهر في اربعين بدنا و كان واحدا فان المناط الروح لا البدن بل البدن الواحد يتبدل و يتغير دائما فالبَدَن الواحد ابدان متعددة في ايام عمره فعلي ذلك اذا اراد الامام ان يغيّر صورته يوما يغيّرها و لايضرّ بامامته ابدا و لايلزم من ذلك

عدم كونه هو هو كما تصوّر السجاد عليه السلام بصورة الباقر عليه السلام و الباقر عليه السلام بصورة السجاد عليه السلام و كذلك تجلي الجواد عليه السلام بصور مختلفة لاصحابه و الظاهر من لحن الخبر ان كلا منهم كان يراه بصورة خاصة دايما و بالجملة فهذا البدن عرضي و حكمه حكم العرض و كلما ارادوا ان يأخذوه اخذوه و ان ارادوا يوما تركوه من غير كلفة و من ذلك تعرف وجه بقاء الملك في الازمنة السابقة علي زمانهم مع ان بقاء الملك بوجودهم و هم القلب

صفحه ٤٧٢

و القطب فان المناط الروح و هو ثابت قايم و هذا البدن عرضي مولود في هذا الملك و وجوده و ان كان رحمة و بركة و لكن بعدمه في الظاهر لايلزم فساد الملك و لو كان هذا البدن قلبا و قطبا للزم ان يتأثر جميع الملك بتأثراتهم دايما كما تري ان بما يرد علي روحهم الشريف يتأثر جميع اوليائهم كما قال عليه السلام لرجل سأله اني لاغتم من غير مصيبة قال ما معناه يأتيكم ذلك من قبلنا اذا ورد علينا حزن تحزنون بحزننا ، و ذلك لأن روحهم علة جميع ارواح المؤمنين و لو كان بدنهم العرضي علة للزم ان يرتعش مثلا جميع ابدان المؤمنين اذا اثّر في بدنهم الشريف برد و ان يعرق جميع الابدان اذا اثر فيه حرّ بل لميكن يجوز ان يتأثر بدنهم مطلقا لانه علة للجميع علي زعم الغلاة فان ذلك غلو بالنسبة اليهم صلوات الله عليهم و اما ارواحهم فهي العلة و لايلزم من ذلك غلو و لا تقصير و اغلب غلو الناس في حقهم في اثبات فضيلة خاصة بمقام اعلاهم لاسفلهم و التقصير في عكس ذلك و لكن من حفظ المراتب و نزّلهم عن الربوبية اذلامربوب و اثبت لهم جميع الفضايل ماغلا في حقهم .

فصل اعلم ان ما يظهر لنا من الاخبار ان لهم صلوات الله عليهم في عرصة الابدان ظهورين ظهورا كاملا في ابدان خاصة و هي الابدان المعروفة بهم و ظهورا ناقصا في ابدان ناقصة في ازمنة مختلفة و ذلك قوله عليه السلام الا و انّا نحن النذر الاولي و نذر الآخرة و الاولي و نذر كل زمان و اوان ، و كذلك ورد بهذا المعني اخبار كثيرة قد بلغت حدّ التواتر المعنوي و لا شك ان ظهورهم ذلك في هذه الابدان ليس ظهورا كاملا فان آدم عليه السلام و ان كان حاكيا عن نورهم و لكنه لميكن حكايته مثل حكاية بدنهم الخاص و لكن الداء العضال و غاية الاشكال في معرفة حقيقة هذه المسألة فانك عرفت سابقا ان البدن ما لميكن جامعا لجميع المراتب حاويا لكل المزايا لايكاد يحكي عنهم فما التوفيق في ذلك اقول اعلم ان الله سبحانه خلق اول ما خلق آلمحمد سلام

صفحه ٤٧٣

الله عليهم في غاية القرب الاقرب كاملين في فعليتهم لانهم اقرب الخلق من مشية الله سبحانه و هي الفعل الكامل فاقرب الخلق منها صاحب الفعلية لا محالة و لما كان كاملا صاحب فعلية له فاضل وجود لا محالة فان الكامل من كان له فضل وجود فسطع من وجههم نور ساطع كامل و اشرق من شمس جبينهم ضياء لامع هو حقيقة الانبياء سلام الله عليهم و النور كائنا ما كان وجوده لمنيره و رؤيته رؤية منيره و هو صفته و اسمه يدعي باسم المنير و يوصف بصفته و لذا تري انك تسمّي انوار الشمس باسمها فتقول الشمس

علي السطح و وسط الجدار و علي الحياط مع انها في السماء الرابعة و كذلك الامر في انوارهم المقدسة صلوات الله عليهم تسمّي باسمهم و كذلك سطع من هذا النور نور حقايق الشيعة و كذلك بهذا المنوال سطع منهم الانوار الي ما شاء الله علي ما سيجيء بعد ان شاء الله في السلسلة الطولية و يصدق اسمهم علي جميع انوارهم و ورد بذلك اخبار كثيرة كقوله عليه السلام في الزيارة اشهد انك قد اقمت الصلوة و آتيت الزكوة و امرت بالمعروف و نهيت عن المنكر ، و لايريد من ذلك الشهادة بانه اقام الصلوة يوما مّا فان ذلك لايكون من فضلهم بل المراد انهم اقاموا الصلوة في جميع المصلّين و آتوا الزكوة في جميع المزكّين و هكذا و ذلك بان كل مقيم للصلوة نورهم فاعطوه اسمهم بل نفس الصلوة من باب انها خير تسمّي باسمهم كما قال عليه السلام انا صلوة المؤمنين و صيامهم ، حتي انه قال انا حيّ علي الصلوة انا حيّ علي الفلاح و من هذا الباب ان جميع ابدان النذر الاولين و الآخرين ابدانهم بل ان لهم مع كل ولي اذنا سامعة و عينا ناظرة و لسانا ناطقا و لذلك قال عليه السلام ما كان لنا فهو لشيعتنا و قال من اراد ان يزورنا و لميقدر فليزر صالحي اخوانه يكتب له ثواب زيارتنا و من اراد ان يصلنا و لميقدر فليصل صالحي اخوانه يكتب له ثواب صلتنا و بالجملة فلهم مظاهر جزئية تحكي انوارهم و مظاهر كلية تدعي باسمائهم و ان قلت ان البدن المخصوص بهم صلوات

الله عليهم في هذا العالم لايكاد يحكي عن ذاتهم الا بواسطة الانوار المذكورة فما الفرق بينها و بين الابدان الجزئية الحاكية للانوار اقول الفرق في الكلية و الجزئية فان القمر مثلا يحكي نورهم و الشمس تحكي نورهم و العرش يحكي نورهم و لكن العرش اجمع البتة و القمر و الشمس جزئيان و ذلك احد معاني قوله عليه السلام شيعتنا جزء منا يسوؤهم ما يسوؤنا و يسرّهم ما يسرنا ، فان المراد من الجزء مرّة يقال انه الاثر فحقايق الشيعة اجزاؤهم و مرّة نلاحظ الظواهر ايضا و نقول ما جمع لابدان الشيعة بعض ما جمع لهم فانه جمع لهم من الارض الي العرش و لشيعتهم الي الشمس فتدبر .

فصل اعلم ان لهم صلوات الله عليهم في ابدانهم فضايل كثيرة و ان كانوا في هذا المقام بشرا مثل ساير الناس في النوع الا انهم قد خصّوا بفضايل كثيرة و اغلب الفضايل العامة التي يعرفها العامة و يقرّون بها مما يخصّ بابدانهم الشريفة و لاينكرها احد حتي الاعادي كقالع باب خيبر و قاتل عمر و عنتر و الطاعن برُمحين و الضارب بسيفين و قاتل الابطال في بدر و حنين و امثال ذلك من الفضايل من جودهم و كرمهم و حلمهم و علمهم و حسنهم و امثال ذلك من الصفات و ان احدا لاينكرهم في هذه الفضايل و الخصايص و من فضايلهم المخصوصة بهذا البدن الشريف انه اعدل ابدان الخلق فانه قد ثبت ان حقيقتهم قطب دايرة الامكان و القطب واقف في الوسط لايميل الي جهة دون جهة فلايكون شرقيا و لا غربيا و لا جنوبيا و لا شماليا اذ هو آية الاحد في عالم الاكوان فهو الواحد الذي لايقوم معه احد من الخلق فلايميل الي جهة و حيث و وضع و شئ مما ذكر او لميذكر و لما كان هذا النور المقدس واقفا علي القطب و الوسط علي ما قال عليه السلام نحن ناشئة القطب و اعلام الفلك و لا بدّ بين الروح و البدن من مناسبة فان الارواح بمنزلة المعاني و

الالفاظ كالمباني و لا بدّ بينهما من مناسبة تامة كاملة بقدر ما يتيسر فلذلك نقول ان بدنهم العرضي

صفحه ٤٧٥

لا بد و ان يكون اعدل جميع الابدان و لكن لايلزم من ذلك ان يكون جميع ابدانهم علي قامة مخصوصة فانهم كانوا مختلفين مسلّما لكن نقول يلزم ان يكون قامتهم معتدلة بحسب اجزاء بدنهم او لايكونون منحرفين في القامة بحسب القيافة كالطويل المفرط و القصير المفرط و كذلك الامر في ساير قيافتهم و لايلزم ايضا ان يكونوا كلهم علي هيئة واحدة فانا علمنا بالضرورة ان ابدانهم كانت متفاوتة و لكنا نريد انهم في ايّ هيئة كانوا لا بدّ من اعتدالهم بحسب القيافة و كذلك بحسب المزاج و بالجملة لا بدّ و ان يكون البدن معتدلا و لست الآن بصدد تفصيله و لايكاد يظهر نورهم الشريف في بدن منحرف و لا بدّ ان يكون طيّب المولد طاهرا من اهل بيت مخصوصين من اصلاب شامخة و ارحام مطهرة و امثال ذلك مما نطق به الاخبار و كتب الاصحاب بها مشحونة و ان شئت فراجع و يكفي هذا القدر من البيان المجمل في الفضايل الكلية .

المقالة الرابعة في الركن الرابع و الضياء اللامع ، و قد كتبت امر هذا الركن في رسائل اخر مفصلا و مجملا ببراهين قطعية حتي اني كتبت رسالة منفردة في اثبات هذا الركن العظيم و سمّيته بالبرهان و اقمت ادلة كثيرة علي هذا الامر تبلغ ثمانية و عشرين من انواع الادلة و لكن المراد في هذه الرسالة الشريفة بيان رؤس مسائل حكمة مشايخنا و هذه من امهاتها اذكر منها ايضا بقدر ما يقتضيه الحال علي نحو الاجمال و فيها مقامات و خاتمة :

المقام الاول في اثبات لزوم وجود كبار الشيعة في زمان ظهور الائمة و غيابهم و فيه مطالب :

المطلب الاول في اثبات لزوم وجودهم بالادلة العقلية الجدلية

صفحه ٤٧٦

و قد قدّمنا الادلة العقلية علي الكتاب و السنة لان يكون الطالب علي بصيرة من حقيقة الامر فان النفوس المعتادة بالعلوم تستأنس بها و قبل الاطلاع عليها لايعرف حقيقة المراد و لكن بعد ما خاضت فيها و اطلعت علي ظاهرها و خافيها تقف علي حق المراد فتلتذ من معرفة الاخبار مع ان الادلة التي نستعملها ايضا موزونة بالاخبار و الآثار فكأنها منها الا انها نقلت بالمعني ففي هذا المطلب فصول :

فصل قد ظهر مما بيّنا من الادلة في اثبات النبوة و الامامة ان الخلق دائما يحتاجون الي حجة من الله يحكم بينهم بالقسط فان علة الحاجة موجودة فيهم دائما و هي جهلهم و نقصهم و الحوادث متجددة دائما و في كل حادثة يحتاجون الي حكم من الله سبحانه و هم بجهلهم لايقتدرون علي معرفة الاحكام و علي فرض وجود حاكم بينهم في زمان لايستغنون عن الحاكم بعده فان الاحكام متجددة بتجدد الحوادث و علي فرض بقاء حكم حجة كما هو في شرع نبينا جميع الرعية لايقدرون علي ضبط الاحكام و حفظ الاخبار و لذلك جعل الله لنبينا بعده حججا و لميوكل الامر الي الجهال ليضيعوا الاحكام مع ان شرعه (ص) باق

الي يوم القيمة فاوصياؤه حملة شرعه و قد بيّن حلاله و حرامه و احكامه و شرايعه لاوصيائه و علي فرض بيانه لغيرهم لايقدرون بجهلهم علي استنباط الاحكام من بيانه و ذلك امر مشهود الاتري ان الاخبار اليوم مجتمعة محفوظة و اغلبها مصححة و المقلد لايقدر علي استنباط الاحكام منها و هذا كتاب الله بيّن فيه جميع ما يحتاج اليه الامة و الناس لايقدرون علي فهم احكام الله منه بل نري عيانا ان جميع ملل الاسلام يستدلون بهذا الكتاب علي مذهبهم مع ان الله لميرد من كتابه الا الحق فلا بدّ في جميع الازمنة من حجة لله سبحانه يرجع الناس اليه في الحوادث الواقعة ثم هو ان كان معصوما مطهرا فهو حجة الاصل و الا فهو حجة الفرع و لا بدّ من معصوم يحفظه فاحتياج

الناس الي الحجة امر ظاهر و لايرفع حاجتهم بوجود حجةٍ مّا في زمان مّا و كما لايرفع حاجتهم بوجود الحجة الميت كذلك لاترفع بالحجة الغائب فان الغايب و ان كان حيا و في نفسه مؤثرا و لكن الناس الجاهلين لاينتفعون به و لاينتظم امرهم به و ذلك امر ظاهر بيّن و لو كان الغايب يرفع حاجتهم لكانوا يستغنون بالميت ايضا اذ ميت الحجج ليس كساير الاموات و قد قال عليه السلام ان ميتنا اذا مات لميمت و ان قتيلنا اذا قتل لميقتل ، فكانوا ينتفعون بالنبي صلي الله عليه و آله بل كانوا ينتفعون بالله و ذلك محال فلا بدّ من وجود حجة حيّ يعرف حتي يجلس معهم و يبيّن لهم ما يتقون و هذا هو الحجة البالغة فلا بدّ في زمان غيبة الامام من شيعة يقومون بين الناس علي صفات سنذكرها و يقيمون الناس علي صراط مستقيم .

فصل اعلم ان الامام بنفسه محيط بجميع الخلق و الكل في مرآه و مسمعه و لكن الناس غافلون عنه و لاينتفعون به و اما في عالم الابدان فيظهر كاحد من الناس كما قال الله تعالي قل انما انا بشر مثلكم و البدن البشري في آن واحد لايكون في الشرق و الغرب و لايحيط بالخلق و الكل لايقدرون علي الانتفاع به بل هو واقف في بيت و بلد و الناس في بلادهم و بيوتهم و كل منهم مشتغل بامره و لايدركون امامهم و لايقدر جميعهم علي النفر اليه و سؤاله عن الحكم و الحلال و الحرام فمقتضي السياسة ان يكون له عليه السلام عباد يعينونه في هداية الناس و ابلاغ الاحكام و يرسلهم الي الاطراف لهدايتهم و هم من اكابر الشيعة و لا فرق بين ظهورهم و غيابهم في هذا الامر و سيأتي من الاخبار ما يدل علي ذلك بعد ان شاء الله فمع الامام دايما عباد مكرمون لايسبقونه بالقول و هم بامره يعملون يرسلهم الي الاطراف و يوقفهم في الاكناف يعملون بامره و يمسكون ازمة قلوب اوليائه عن الوقوع في الهلكات و الوغول في الشبهات و ان يصطادهم الشيطان بشبكاته و يوردهم

النار بمكائده و هكذا لهم ايضا انواع من الخدمات في الاصقاع و الاكناف كما تري في الظاهر في امر السلاطين و الحكام و كما كان يشاهد في زمانهم فان في الدنيا لايجري الامر بغير هذا الوجه .

فصل اعلم ان الله سبحانه قد نصب آلمحمد سلام الله عليهم بين الرعية ليكونوا ادلاء علي

مرضاته و دعاة الي طاعته و هداة اليه اذ لميكونوا يعرفون ربهم و لميكونوا يهتدون اليه سبيلا و قد اظهرهم لهم في عالم الاعراض و لكن ذلك كان يمكن في عرصة الابدان العرضية لانهم بالعرض قاموا بين الناس اياما و لكن في عرصة الحقايق بواسطة الارواح التي هي المناط في الواقع لايتيسر ذلك لانهم في غير حيّز الخلق و لميكونوا يهتدون بهم الا بادراكهم و لميكونوا يدركونهم ابدا لان الادراك فرع المناسبة و المجانسة فانه ليس الا الانفعال و الشئ لاينفعل الا عن مصاقعه و مجانسه و اما ما كان مرتفعا عن حيّزه و مقامه او منحطا فلايتأثر منه ابدا كما هو مشهود و لذا لاتري نور الشمس مثلا في الهواء لان الهواء الطف من عينك فلايؤثر فيها و لكن تراها في التراب و الحجر للمناسبة و كذلك الامر في المقام بلا تفاوت فان ارواحهم و ان اشتعلت بنور الله الا انها مستعلية علي ارواحنا فنحن لاننتفع بها و اما الابدان و ان كانت مدركة لنا الا انها عرضية و تنفع الابدان العرضية و كلامنا فوق ذلك فلا بدّ و ان يكون ارواح من صقعنا و عرضنا يقع عليهم نور الله من وجوه آلمحمد عليهم السلام فنشاهد النور في جباههم و نعبد الله بامتثال اوامره و نواهيه علي حسب ما ادركناه من هذه الارواح فهم السفراء بيننا و بين آلمحمد و مثلهم فينا كالروح البخاري الحايل بين العقل و البدن فانه لولاه لماطلع البدن الجسماني علي العقل ابدا فهو الذي يأخذ منه و يؤدي الي ساير البدن و ساير البدن يرجعون اليه في حوائجهم و كذلك الامر في المقام فلا بدّ من وجود رجال بين الائمة في ظهورهم و غيابهم يرجع الناس اليهم و هم يرجعون

الي الامام و الناس لما علموا ظاهر الحيوة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون و رأوا ان الناس في عالم الاعراض ينتفعون بعرضهم بابدان الائمة من دون واسطة يزعمون انه يمكن ذلك في عرصة الحقيقة و ذلك من المحال الاتري انه قد ثبت برواية العامة و الخاصة علي حدّ التواتر من الطرفين ان رسول الله (ص) قال انا مدينة العلم و علي بابها من اراد المدينة فليأتها من بابها ، و مع ذلك كان الناس يستمعون من لسان رسول الله المسائل و الاحكام من دون وساطة علي عليه السلام و لو كان البابية مناطا في الظاهر لكان حريا ان لايسمع احد كلاما من لسانه و هذا خلف فحكم العرض خارج عن محل كلامنا و حكم الحقيقة جارٍ فكل من دخل عليه من بابه انتفع بعلمه قلبا و من اراد ان يأتي المدينة من ظهرها لمينتفع بعلمها و كذلك قوله سلمان باب الله و قوله سلمان باب رسول الله فان الناس في الابدان العرضية و ان كانوا يصغون الي كلام الائمة عليهم السلام و ينتفعون بهم و لكن لميكن ذلك في عرصة الحقايق و بالجملة هذا الكلام ايضا لبيان حال الناس في زمانهم و اما في زماننا فالناس قد منعوا عن مشاهدة الابدان العرضية للائمة ايضا و لايكادون ينتفعون بها لارتفاع حكم العرض و اليوم لا بدّ لهم من السير الطبيعي فجعل الله بينهم و بين القري التي بارك فيها قري ظاهرة و هي الشيعة و امر بالسير فيها فتدبر و اعلم ان انواع الادلة الجدلية كثيرة و لكني اقتصرت علي ثلثة .

المطلب الثاني في دليل الموعظة الحسنة و فيه فصول :

فصل اعلم ان الله سبحانه خلق خلقا في درجات مختلفة فمنهم في غاية القرب الاقرب و

بعضهم في غاية البعد الابعد و بعض بين بين و لا شك انه تعالي خلق الجميع للمعرفة و الطاعة و السير اليه سبحانه باقدام الامتثال و لايحصل

صفحه ۴۸۰

ذلك علي نحو الكمال الا بان يظهر لهم نور ربهم و الا فلايمكن المعرفة فالاقرب بالعدل و الاولي بالحكمة ان يتجلي سبحانه لهم في الدرجات المختلفة علي حسب درجات خلقه ففي العرش بالعرشية و في الكرسي بالكرسية و هكذا و الاناسي اشرف الخلق و اكرمهم و هم اولي بالتكليف و لايكادون يعرفون ربهم فبالاولي يكون في عالمهم مواضع للنور و مقامات للصفات يظهر فيها نور الله حتي يعرف اهل تلك العرصة ان لهم خالقا رازقا عالما حكيما و هكذا فافهم و تدبر .

فصل اعلم ان الطبايع المختلفة دايما مقتضية للفساد مع ان الصلاح اولي و الله سبحانه لايفعل بعباده الا الاصلح و لا شك ان الصلاح في وجود حاكم سايس بين العباد معروف مشهود محسوس يعرفونه و يأتمرون بامره و ينزجرون عن نهيه فالاولي ان يكون حاكم و الله سبحانه لايترك الاولي مع انا نري انه عاب علي انبيائه بترك الاولي و الله اجل من ان يعيب علي جماعة بترك الاولي ثم يترك هو بنفسه الاولي و ان قلت هو الامام اقول هو حاكم غير محسوس و لا مشهود سيّما في غيبته .

فصل لا شك ان الانسان لايدرك خارج عرصته و حيّزه فان لميظهر الله لنا بنور في درجتنا لانطلع علي ما فوقنا بالبداهة فان اقررتم اليوم بانه تعالي ظهر لنا بنوره في مقامنا و لميك ظاهرا فنحن و ايّاكم سواء لعدم التكليف فانه ان لميعرف نفسه و حكمه لايكلفهم بالبداهة و ان لمتقرّوا و كان الامر كما نقول لهلكتم و نجونا .

المطلب الثالث في دليل الحكمة علي المراد و فيه فصول :

فصل اعلم ان الله سبحانه حكيم بلا شك و آية حكمته آثاره المشهودة

صفحه ۴۸۱

في خلقه و ذلك امر مسلّم و لا حاجة الي بسط الكلام فيه و الحكيم لايعبث و لايلهو فكل ما فعل من فعل فعله لغاية و اعلم ان حدّ الغايات بقدر شأن الفاعل فان كان عظيما فهي عظيمة اذ الغاية ما هيّجه علي الفعل و الامر الحقير لايكاد يهيّج العظيم الاتري ان الطفل الصغير يتخيل امرا حقيرا فيفعل الفعل لاجله و لكن هذا الامر لايهيّج الرجل العظيم علي الفعل و كذلك الله ربنا الغاية التي لاحظها في خلق الخلق امر عظيم و هو المعرفة علي ما عرفت سابقا في التوحيد علي نحو الاشارة و هي اول العبادة ثم من بعدها ساير وجوه العبادة و الطاعة و هي العمل برضاه و الاجتناب عن مساخطه و ذلك امر مسلّم مبرهن و لا شك ان رضا الله سبحانه و سخطه لايكونان ظاهرين لجميع الخلق فانهما امران نفسانيان غاية الامر ان نفس الخلق صورتهم و نفس الله آيته و تظهر في احد من اوليائه و حججه و رضاه و سخطه فيها و لا بد و ان يكشفهما للخلق حتي يقتدروا علي العمل برضاه و سخطه و لذلك بعث الله انبياءه و رسله و اظهر منهم نفسه لتنطق برضاها و سخطها و الا فالذات تعالت عن ان ترضي لشئ او تسخط علي شئ و ان جميع ذلك يرجع الي النفس و نفسه نفس الحجج صلوات الله عليهم و هم قد ظهروا في ابدان في اعصار

مختلفة و كشفوا عن مرضاتهم فكلما احبّوه امروا به بوحي من الله و كلما كرهوه نهوا عنه به و قد كشفوا عن مرضاتهم و مسخطهم لشيعتهم الذين هم حملة اسرارهم و خزنة علومهم و ظواهرهم في الاداء لا لغيرهم فالواجب علي جميع الامة الرجوع الي الشيعة لانهم حملة العلوم و الاسرار كما قال الحجة عليه السلام لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا و قد عرفوا بانا نفاوضهم سرّنا و نحملهم اياه اليهم و قال اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الي رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم و انا حجة الله ، فيجب الرجوع الي الشيعة لانهم مطلعون علي رضا امامهم و سخطه عليه السلام و هذا دليل قشري ظاهري من ادلة الحكمة علي المراد .

فصل اعلم ان الله سبحانه تجلي اول ما تجلي بآلمحمد سلام الله عليهم كما مرّ سابقا و قد تجلي بهم لهم يعني انه جعل وجودهم جلوته و نوره لا ان له نورا سواهم ظهر فيهم فلاتغفل و لذلك صاروا ظاهره و بيانه و دليله و صراطه و حجته و اسماءه و صفاته و لا شك ان نور الله سبحانه كامل من كل جهة لا نقص فيه و لو كان ناقصا لدل علي رب ناقص فان النور صفة منيره الاتري انك تستدل بقوة النور علي قوة المنير و بضعفه علي ضعفه و بكبره علي كبره و بصغره علي صغره و هكذا فلو كانوا صلوات الله عليهم ناقصين ضعفاء لدلّوا علي رب ناقص و الله تعالي عن ذلك فهم كاملون و الكامل من له فضل نور كما هو مبرهن في مقامه فلهم فضل نور و هو شيعتهم و لذلك ورد انهم خلقوا من فاضل طينتهم صلوات الله عليهم و لو لميكن لهم شيعة لدل ذلك علي نقصهم فان الشعاع فعلية ذي الشعاع و كماله و نوره فلهم شيعة مسلّما و لاينكر ذلك عاقل و شيعة كل ذي شعاع علي صفته بالبداهة و لو لميكونوا علي صفته لماكانوا شعاعه و لذا ورد في الشيعة انهم كانوا في الذر علي صورة ائمتهم و لما حصل الخلط و اللطخ حصل الاختلاف و في القيمة يرجعون علي صورة مواليهم و الحديث مروي في الكتب المعتبرة و رويناه في الكتابالمبين بتفصيله فعلي ذلك شيعتهم صفتهم و مظاهرهم في الدنيا و هم بذواتهم قد استعلوا علي جميع الخلق لانهم اول ما خلق الله و الخلق في الدرجة الدنيا فكيف يقتدرون علي التمسك بهم و لكن اشعتهم قد انبثت في الملك و هي اسباب الوصلة و الحبال الممدودة بين العالي و الداني و الناس ان حرموا عن دركهم يقتدرون علي درك اشعتهم و اشعتهم ظاهرة في كل درجة و مرتبة و اهل كل مرتبة يتمسكون بالشعاع الظاهر لهم كما ان الشمس في السماء الرابعة و قد اشرقت بشعاعها علي اهل السموات و اهل الهواء و الهباء و الماء و التراب و اهل كل عرصة يستنيرون بها و ينتفعون بنورها علي حسب ما ظهر لهم .

فصل لكل بيان اهل و الناس طبقات فلا بدّ من اثبات هذا المطلب العظيم بالحكمة بلسان حكمي اصطلاحي ينفع ظاهره الفلاسفة و باطنه العرفاء الكاملين فاعلم ان الله سبحانه خلق حقيقة آلمحمد سلام الله عليهم فوق الدهر بل في السرمد قبل جميع الدهريات و الزمانيات و يشهد بذلك اخبارهم غاية الامر انهم لميتكلموا باصطلاح الناس و ليس في اخبارهم هذه

الالفاظ و لكن اهل الاصطلاح يعرفون موقع كل اسم و صفة و لما خلقهم و اكمل خلقهم مكثوا ما شاء الله و ليس مكثهم ذلك ايضا زمانيا و لكنه دهري و بعد مدّة مديدة الله اعلم و رسوله (ص) بها خلق من نورهم شيعتهم ، موادهم من شعاع مادتهم و صورهم من شعاع صورتهم فهم اثرهم و هم المؤثر لهم و الاثر ظهور الفرد مؤثره و المؤثر هو المطلق غاية الامر ان الاسم يتفاوت بحسب الاصطلاحات فعلي اصطلاح الناس نقول ان حقيقتهم صلي الله عليهم مطلق لا بشرط و شيعتهم جلواتهم و ظهوراتهم في الملك و هي مخلوقة لا محالة من نور المطلق و شعاعه و لذلك قال عليه السلام انما سمّيت الشيعة شيعة لانهم خلقوا من شعاع نورنا ، و ذلك من تأويل الظاهر الظاهر و الاشتقاق الكبير و ان اخذت اللفظ بالظاهر ايضا يكون حاصل المعني واحدا فان المشايع الحقيقي للمنير نوره و غيره لايشايعه الا بالتبع فعلي ذلك نسبة الشيعة الي آلمحمد عليهم السلام كنسبة الاجسام الجزئية الي الجسم المطلق فانها ظهورات الجسم و اسماؤه و صفاته و آياته و مقاماته و معانيه و امثال ذلك و ظهور المطلق في الزمان ليس الا في افراده و المطلق الاعلي ايضا ظهوره في المطلقات الدهرية الدانية كالجسم بالنسبة الي الحديد المطلق و اخواته فان جميع الدهريات ليست في منزلة واحدة بل مقاماتها متفاوتة و كل سافل من نور اعاليه لا محالة لان النسبة طولية و بالجملة ظهور المطلق في فرده بل وجود الفرد للمطلق فانه ليس شيئا قائما بنفسه بل شيئيته من المطلق و قيامه به و صدق اسم المطلق علي الفرد

من باب ظهوره فيه فعلي ذلك لو رفع الفرد من الاسفل لانقطع ظهور المطلق بالكلية و رجع الي دهره علي ما كان و لذا ورد انه لو انقطع شيعتنا من الارض لرجعنا الي السماء ، فلا بدّ من وجود شيعة لهم صلوات الله عليهم اذ لا بدّ من ظهورهم و قوام الملك بظهورهم في العوالم و لو لا ذلك لساخت الارض و لكن هنا دقيقة يجب التنبيه عليها و هي ان الشيعة ليسوا افراد نفس ماهيتهم الكلية و لكنهم افراد للنور المطلق الصادر منهم فلاتغفل ، فاذا عرفت هذا المطلب الشريف الذي لميسمح بمثله في كتاب الا ما اشار اليه ابي في الفطرة السليمة فاعلم ان ولاية المطلق في ولاية افراده فان مودة الحديد في مودة السيف و المسمار و من ابغض السيف و المسمار و ادعي ولاية الحديد لكان كاذبا بالبداهة فانه لا معني لمودة الحديد الا ذلك اذ لا اقل من ان تتصور محبوبك في خيالك حتي تحبه و المطلق لايتصور الا بصورة فرد من الافراد فان من اراد ان يتصور الحديد لا بدّ و ان يتصوره في صورة السيف او المسمار و انت اذا انكرت السيف الخارجي و ابغضته و تصورت سيفا لنفسك و احببته و اقررت به لكنت كاذبا منافقا في ولاية الحديد لانك انكرت الفرد الخارجي و اتبعت ما في خيالك و يدل ذلك علي انك تابع لخيالك لا للحديد و لو كنت تابعا له لاتبعته في فرده الواقعي فتدبر و بالجملة المطلق لايدرك الا في فرده و بغير ذلك لايصل اليه احد فولايته في ولاية فرده و لذا قال عليه السلام في جواب من سأله عن الولاية انظر في نفسك ان كنت تحب ولينا فانت تحبنا و رويته بالمعني و سيجيء ان شاء الله احاديث المسألة و كذلك متابعته في متابعة الفرد و معرفته في معرفته و هكذا و هذا الذي ذكرنا عام يشمل جميع مواليهم حتي الحقيّة و لكن هنا نكتة و هي ان الافراد في هذا

الملك لمتظهر بذاتيتها بل ظهرت في ابدان شخصية عرضية و هذه الابدان ربما تقابل مطلقا فتحكي نوره و ربما تقابل مطلقين بل ازيد و امثّل لك مثالا قشريا ظاهريا حتي تقف

علي المراد و هو ان الشمعة المشعلة جسد عنصري دنياوي قوبلت مع مطلقات فشمعتها مثلا عناصر غلبت دهنيتها فحكت عن الشمع المطلق و ظهر فيها فهي فرده و فتيلتها عناصر غلبت عليها صفات مناسبة للقطن المطلق فحكت عنها و دخانها حكي عن النار و صار فردها فهذه الشمعة من هذه الحيوث صارت افراد المطلقات و ليس ذلك الا لاجل الاعراض و في عرصة الذوات ليس الامر هكذا فان فرد النار مخصوص بها لايحكي عن غيرها و هكذا و لذا قال عليه السلام في المسح علي الخف اذا عاد كل شئ الي اصله الي اين يذهب المسح و كذلك في خبر تزييل الطيبات و الخبائث و كذلك الامر في الانسان المشهود فانه جماد و نبات و حيوان و انسان و يوم القيمة يعود كل شئ الي اصله و كذلك الامر في المقام فان بعض الاناسي قوبلوا آلمحمد عليهم السلام في جهة فحكوا من نورهم و قوبلوا اعداءهم و حكوا من ظلمتهم و لذا خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و هذا معني ما ورد في اختلاط الطينات لا ان نفس الطينة الطيبة خلطت بالخبيثة فان الذوات لاتختلط ابدا بل يحصل الخلط في هذه الابدان و الفرد الظاهر من النور في هذه القابلية قطرة من شجرة المزن و الفرد الظاهر فيها من الظلمة قطرة من الزقوم و لو كان الامر علي ما زعمه الجهّال لصار التكليف لغوا بل المولود قابلية صرفة تقابل المطلقات العالية و تظهر فيها علي حسبها فان سحرة فرعون في الليل كانوا افراد فرعون و في الغداة صاروا افراد موسي الاتري ان القطعة الخاصة من النحاس من افراد النحاس فاذا طرح عليها الفلسفي اكسيره تنقلب الي الفضة و تصير فرد الفضة و النملة من افراد النمل و اذا خرج لها جناحان تصير من افراد الطاير و بالجملة ليست الطينة المذكورة مع اصل القابلية و لكنها من الاعلي و ذلك معني قولنا ان الايمان و الكفر لا انبعاث لهما من البدن فاذا قابل مرآة القابلية مطلقين يظهر فيها من نورهما فالانسان بذلك

يصير حاكيا لامام الحق و الباطل فمرّة يطيع و يكون في هذا الحال فرد الحق و مرّة يعصي و يكون فرد الباطل و اذا ختم له باحدهما يعود الي اصله فجماعة من الناس يكون هذا حالهم بحسب ولايتهم من حيث خيريتهم فان الصلوة فرد اميرالمؤمنين لانه اصل كل خير و حيث ما وجدت تكون محبوبة لله و يجب عليك محبة الصلوة و شرب الخمر فرع عمر و هو اصل كل شرّ و يجب عليك البراءة منه و من الناس من يكون ذواتهم طيبة و صفاتهم خبيثة فذواتهم من افراد آلمحمد عليهم السلام و يجب محبتها و اعمالهم كلا او بعضا من افراد اعدائهم و يجب البراءة عنها فهؤلاء ليسوا من الذين امر الله بولايتهم مطلقا بل من حيث حكايتهم فان طالب النار مثلا لايجب عليه طلب الشمعة من حيث نفسها لانها ليست من النار و لكن الواجب طلب النار و اما طلب الشمعة فيجوز من باب المقدمة و كذلك الحال في الناس اذا كان طينتهم ممتزجة لايجوز حبّهم و لا بغضهم مطلقا نعم اذا ابغضتهم من حيث طاعتهم او مطلقا لاجل الدين نصبت العداوة لله و لرسوله اما الاول

فظاهر و الثاني لانهم ليسوا من فرد الاعداء مطلقا بل بعض صفتهم منهم فكان الواجب حبّهم من حيث حسنهم و امثال هؤلاء لايجب متابعتهم نعم اذا رووا رواية و كانوا صادقين يجب قبول روايتهم و الا ففي ساير امورهم لايجب متابعتهم و لكن يوجد جماعة لميواجهوا بانفسهم غير مطلق النور فصاروا فرده من كل جهة حتي ان البدن العرضي لهم ايضا يلحق بالنور فانه و ان كان بدنا كونيا و لكنه ايضا من حيث حامليته للنور طيّب و ملحق بالطيبات من باب ان الجمادات و النباتات و الحيوانات الطيبة ايضا من شيعتهم فهؤلاء يجب مودتهم مطلقا و يجب البراءة من عدوّهم مطلقا و لكونهم فرد النور من كل جهة يكونون سببا و وصلة الي المطلق و يجب علي الطالبين السير من سبيلهم و هؤلاء هم الذين ورد فيهم انهم ابواب الامام و خلفاؤه و نوّابه و سيأتي فضلهم ان شاء الله بعد ذلك فافهم هذا الدليل

الشريف ان شاء الله .

فصل اعلم ان ذات كل شئ محجوبة عن الادراك عالية عن ان تحاط او توصف فلا معني لمشاهدة الذات و لا ولايتها و محبتها نعم العالي يحيط بالداني بمعني ان نفس الداني له و هو علمه و الداني يطلع علي العالي بنفسه بمعني ان نفسه شعاعه و وجهه فيه و لكن المساوي لايكاد يطلع علي ذات المساوي ابدا و ذلك لان الادراك في مقام المتساويين بمعني الانفعال عن الشئ بورود شبحه عليه و لا شك ان ذات الشئ لاترد علي شئ و لاتؤثر في شئ فهي لاتدرك كما ان نفس الذات بذاتها لاتدرك فهي هي لا غير و المُدرِكية بالكسر و المُدرَكية بالفتح من الصفات الخارجة عن الذات و كذلك العارفية و المعروفية و العالمية و المعلومية فاذا كان الامر هكذا في ذوات الناس فما ظنّك بحقيقة آلمحمد التي هي في غاية الاحدية و البساطة التي تجوز في الخلق بحيث قد اشتبه الامر في حقيقتهم علي جماعة فقالوا ببساطتها اذ قالوا ان العقل و ما فوقه بسيط الحقيقة و ليس العقل سوي روحهم فمع هذه الوحدة و البساطة كيف يتصور دركهم مع انهم فوق جميع الخلق و الذات المستعلية لاتدرك الا في صفتها حتي ان صفتها لاتدركها الا بنفسها فانت يا هذا اقطع رجاءك عن معرفتهم بذواتهم فان كنت بنفسك صفتهم و نورهم و شعاعهم فاعرفهم بنفسك و الا فاعرفهم بصفتهم فان ذلك منتهي حظّك و نصيبك فان كنت نور شمس السماء فاعرفها بنفسك و الا فاعرفها بنورها و كذلك ان كنت ضيئا فاستغن بنفسك عن ضوء و الا فاطلب ضوءا و هكذا في جميع المعاملات يكون الامر بهذا المنوال .

المطلب الرابع في دليل الآفاق و الانفس ، قال الله تعالي سنريهم آياتنا في الآفاق و في انفسهم حتي يتبين لهم انه الحق و قال و في انفسكم افلاتبصرون

و لا شك ان ما شوهد في الآفاق و الانفس يكون في كل مورد و موطن بادلة كثيرة بسطناها في مباحثاتنا و رسائلنا و مجمل القول ان امر الله واحد في كل مقام و موطن قال الله تعالي و ما امرنا الا واحدة و قال ماتري في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل تري من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا و هو حسير فاذا رأيت

امرا ثابتا في الآفاق فاعلمه ثابتا في النفوس و اذا كان في نفس فهو في مجموع النفوس ايضا هكذا فاذا عرفت هذه المقدمة نبيّن فصلين للآفاق و الانفس .

فصل اعلم ان الله سبحانه ضرب الآفاق مثلا لجميع العوالم و الغيوب و الشهاديات و قد علم اولوا الالباب ان الاستدلال علي ما هنالك لايعلم الا بما هاهنا فاعلم علي نهج الحكمة لانها دليل الكشف في الواقع ان الله سبحانه كان قبل الكان احدا صمدا لميكن معه شئ مما كان و تجلي اول ما تجلي لمشيته بها فخلقها بها و صوّرها باحسن صورة في احسن تقويم مادتها نفسها التي خلقت بها و هي جهتها من ربها و وجودها و صورتها الامكان الراجح الفعلي و عند المسامحة في البيان ربما يقال انها الامكان مطلقا فصورتها مقام قابلية للوجود و الوجود مقام مقبول و وجود القابلية بالمقبول و حيوتها به و لذا يقال انه يد الله في صنعها و علي ايّ حال يثبت لها حيثان حيث قابل و مقبول و فاعل و مفعول و ربّ و نفس و جميع ما من الله ينزل الي القابل بواسطة المقبول فهو السفير و الواسطة و الباب بين صورتها الامكانية و الرب جل شأنه لان حيث انيتها قوة و هي تحتاج الي المدد الفعلي فالواسطة وجود بالفعل يأخذ من الكامل بالفعل و يؤدي اليه دائما فالمشية بهذا المدد الدايم المستخرج من فوّارة نفسها كاملة البتة و الله سبحانه يمدّها دائما بها فيسطع من المشية انوار علي طبقها فكل نور من انوارها مركب من حيثين و كلها مخلوق بنفسه و لو لميكن الامر هكذا لماكانت موافقة للمشية مع ان النور لايخالف المنير البتة و لا شك ان

اجزاء كل مولود بحسبه و هو بحسب اجزائه في اللطافة و الكثافة و الاتحاد و الاختلاف و الاتصال و التفرق فالعوالم العالية جهتاها في غاية الاتحاد بحسبها لان المشية واحدة متحدة الاجزاء فاختلاف اجزاء من هو في غاية القرب اقل و من هو ابعد من المشية اختلاف اجزائه و تشققها اكثر و عالم الاجسام لكونه في غاية البعد الابعد تشققت اجزاؤه و تكثرت فظهر حيث نفس المشية التي هي علة خلقها في الاعالي و جهة انيّتها في الارض فصارت الاعالي فواعل و مقبولات و الاسافل قوابل و مفعولات و كما ان انيّة المشية امكان علي ما ذكر كذلك الارض امكان للمواليد ثم انا بعد ما نظرنا في الافلاك رأينا ان العرش اصل كلها و قلبها و قطبها و بابها الي الغيب و هو اشبه الاشياء بالغيب فان مادته مادة طيبة لطيفة و صورته صورة معنوية اطلسية بريئة عن الاختلافات منزهة عن الكثرات و هو خاتم جميع اجزاء عالم الاجسام و فاتحها ثم من بعده الكرسي اخوه الاصغر و ظاهره و نفسه و هما في الوصل اثنان و بابان من ابواب الغيب كما في الخبر و جميع اجمال العرش يتفصل فيه باثنيعشر بروجا و كواكب كثيرة لتهتدوا بها في ظلمات الارض و ما من العرش امر واحدة و حركة متشابهة و يتفصل هذا الامر الواحد في الكرسي و لكنها في غاية البعد من الارض و لاتكاد تتأثر منهما بلا واسطة لقلة المشابهة مع ان النجوم المختلفة المتكثرة فيه ايضا متشابهة فلاينشأ منها الآثار المختلفة لولا الوسايط و البرازخ فجعل من دونهما افلاكا سبعا شدادا مختلفة بحسب المزاج و الصفة و زيّنها بكواكب كوكب كل سماء قلبه و روحه يسير مواجها للبروج الاثنيعشر و يقتبس من نورها الزاهر و شعاعها الظاهر فيه له فيؤثر فيما دونه هذا سنة الله في الملك الظاهر يدور العرش و الكرسي اولا و يفيضان علي الكواكب السيارة و الافلاك و يدور

الافلاك بالتأثير و تلقي اشعتها في الارض فيخرج منها الوان النعم و المواليد و كذلك الامر في نوع الملك ، الخاتم صلي الله عليه و آله عرشه

صفحه ۴۹۰

و ظاهر الرب الودود و استوي عليه الرحمن و خلق به ما شاء من انواع الخلق و انعم عليه بانواع الرزق و اجري بذلك الكرسي و هو مقام الولاية نفس النبي و تنشعب الي اثني‌عشر برجا بروج الامامة و كواكب العصمة و الطهارة ثم من دونهم مقام افلاك العالم و اما الانبياء فهم من مقعر الكرسي او فلك المنازل و اما الافلاك فهي مقام الشيعة رضوان الله عليهم فاعاليها مقام الكليين و اسافلها مقام الجزئيين و في السماء رزقكم و ما توعدون فورب السماء و الارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فافهم ذلك و اغتنم و لي بيان شريف في المقام علي نحو الجدل الذي لاينكره الا اللئام ان قال قائل الفرض ان الافلاك ثابتة و الارض ثابتة فبم تثبت مثلها في الخلق ايضا و انكر ساير الادلة و لم‌يقرّ الا بالادلة الطبيعية اقول هل تشك في ان الافلاك فاعلة مؤثرة في الارض ام لا ، اما العاقل فلايشك في ذلك لما يري من آثار النجوم علانية و اهل الافرنج الذين ينكرون ذلك ليس الا لحماقتهم و الا فذلك امر محسوس مشهود نري علانية ان الشمس تسخّن و القمر يبرّد و نري آثار النجوم و القرانات و بالجملة تأثيرها امر ظاهر و لا شك ان المواليد تخرج من الارض بواسطة الافلاك و نجومها و سيرها و كل فلك لا شك انه يربي علي حسب فعليته و يريد ان يخرج من الارض نظيره فان كل ذي فعلية يريد اخراج فعلية مثله من الامكان و لذا تري علانية ان كل كوكب يخرج نباتا مناسبا له في المزاج و معدنا مناسبا و كذلك حيوانا هكذا و كذلك في الانسان تربي دايما نظيرها و تخرج منه جنسها فالقمر يخرج من الانسان القمرية و الزهرة الزهرية و هكذا فاذا كان الامر هكذا اقول لايلزم ان يكون المواليد المتعلقة بالافلاك دائما ناقصة فان العاقل لايحتم بذلك بل كل عاقل يقرّ بانه يمكن ان يتقوي الزهرية في احد بحيث يصير مثل الزهرة الفلكية فانه لا شك ان الفاعل مراده من فعله ذلك بالطبع و ان كان نقص فمن القابل و الانسان المريد بنفسه يتمكن من ان يرفع النقص

صفحه ۴۹۱

و يستعدّ لقبول فعل الفاعل حتي يصير مثله فان الزهرة بلسان حالها تقول يا ابن آدم انا كوكب دري مفرح للقلوب مربٍ للنبات مهيج للرطوبات مقوٍ للخيالات و المنامات و هكذا اطعني فيما اقول و اترك ما يخالف طبعي اجعلك مثلي فافهم ذلك و من هذا الباب تري ان ارباب التسخيرات يسخّرون الكواكب فان الكوكب مؤثر دائما في الارض و مواليدها و لايتغير حاله ابدا و لكن الشخص الطالب يجمع لنفسه ما يتعلق بكوكب خاص و يبعد عن نفسه ما يخالفه فيتقوي فيه هذا الكوكب حتي يصير مثله و هذا معني تسخير كوكب السماء و الا فهو عبد الله لايصير متسخرا لاحد من الخلق فتسخير الزهرة مثلا يعني صيرورة زهرة الانسان قوية كاملة فاذا قويت بنفسها تؤثر كما ان زهرة السماء تؤثر و تحت ذلك اسرار جمة لو كشفت لخرج الناس من الدين افواجا و قال مولانا سيد الساجدين :

انّي لاكتم من علمي جواهره ** * ** كيلايري العلم ذو جهل فيفتتنا

لقد تقدّم في هذا ابوحسن ** * ** الي الحسين و وصّي قبله الحسنا
و رُبّ جوهر علم لو ابوح به ** * ** لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا
و لاستحل رجال مسلمون دمي ** * ** يرون اقبح ما يأتونه حسنا

اسأل الله ان يجعلني من المتحملين للاسرار الحافظين لعلمهم عن الاغيار فاذا عرفت ذلك فاقول يمكن بحكم التجربة و العقل و النقل ان يتربي في الملك رجال تغلب الافلاك عليهم و يقوّي اثر النفس فيهم فيشاركوا السبع الشداد و يعمر الله بهم البلاد فافهم و يكفيك هذا القدر من البيان و بحكم هذا الدليل الشريف تقدر علي ان تحكم بان الارض لاتخلو من حجة معصوم ابدا فان جميع ما دون العرش و الكرسي لاينقطع تأثيره و مولوده عن الملك فكيف ينقطع تأثيرهما و مددهما عن الارض و اذ لمينقطع ففي الارض لا محالة مولود يحكي نورهما و ذلك امر دايم الي قبيل نفخة الصور فافهم .

فصل في مثل الانفس ، و في الحقيقة بعد ما ظهر الامر في الملك يظهر الامر في الانفس ايضا ، فاعلم ان الله جعل للانسان عقلا هو قلبه و لُبّه و اصله و هو الذي يأخذ كل الفيض من عقل الكل و يوصل الي البدن و جميع امر الانسان يؤل الي عقله و العقل ظهوره في نفسه و بها فان النفس صورة العقل و اخته و كرسيه و مظهره و مجلاه و امثال ذلك من الصفات ثم جميع فعل البدن يجري فيه بواسطة النفس و لكن النفس دهرية غيبية و البدن جسماني زماني و لايتمكن البدن من الاستفاضة منها فجعل بينهما وسايط و هي المشاعر البرزخية و هي شعاع النفس و شيعتها و كذلك في البدن الظاهر جعل الله الروح البخاري قلب البدن و قطبه و لكنه لطيف غيبي فجعل اللحم الصنوبري بمنزلة النفس له ثم نشب منه العروق الي جميع البدن فالبدن يستفيض من القلب بواسطة العروق و هي بمنزلة كاملي الشيعة الراوين عن امامهم فان اصولهم متصلة بمواليهم و ساداتهم و هم يحملونهم الاسرار اي اسرار الفيوض و الامداد الي ساير الخلق الذين هم بمنزلة الاعضاء .

المطلب الخامس في ادلة الكتاب و السنّة علي المراد علي نحو الاختصار و فيه فصلان :

فصل في بعض الآيات الدالة علي المراد و مرادنا الاختصار و الاجمال ، اما ما يدلّ علي لزوم ولاية الاولياء و البراءة من الاعداء فكثيرة منها قوله تعالي المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض و هو حكم في صورة الاخبار و قال ان الذين آمنوا و هاجروا و جاهدوا باموالهم و انفسهم في سبيل الله و الذين آووا و نصروا اولئك بعضهم اولياء بعض و قال و من يتولّ الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون و قال لايتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين و من يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا ان تتقوا منهم تقاة و يحذّركم الله نفسه و الي الله المصير و قال بشّر المنافقين بان لهم عذابا

اليما الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا و قال يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا و قال تري كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم و في العذاب هم خالدون و لو كانوا يؤمنون بالله و النبي و

ما انزل اليه ماتخذوهم اولياء و لكن كثيرا منهم فاسقون و الآيات في المقامين كثيرة تركنا ذكر كثير منها طلبا للايجاز و الاختصار و بعد هذه الآيات الصريحة لايشك احد في وجوب الولاية و البراءة و انهما من شروط الايمان ثم ان في الآيتين الاولين ايضا دلالة علي عظم شأن بعض بالنسبة الي بعض فان لفظ الاولياء ربما يدلّ علي الولاية الثابتة لبعض يعني ان بعضا ولي بعض و قد استخرج ابي الاستاد اعلي الله مقامه من القرآن آيات تدل علي فضل جماعة من المؤمنين و لزوم ولايتهم اكثر من الباقين و الاعتماد عليهم في الدين بطرز رشيق و وجه بالحفظ حقيق اروي بيانه هنا لنشره ،

قال (اع) بعد ما استدل بآيات علي وجوب الولاية و البراءة من القرآن و انهما من اعظم شروط الايمان فاذا عرفنا من القرآن ان ولاية الاولياء و عداوة الاعداء من اركان الايمان وجدناه فرق بين درجات المؤمنين في الظاهر و جعل لكل درجة اهلا و نفي التسوية بين افراد اهل الدعوة فقال و مايستوي الاعمي و البصير و الذين آمنوا و عملوا الصالحات و لا المسيء قليلا ما تتذكرون و المراد بالاعمي و البصير ما شرحه في آية اخري و قال أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمي انما يتذكر اولوا الالباب و قال هل يستوي الذين يعلمون و الذين لايعلمون انما يتذكر اولوا الالباب و قال ام نجعل المتقين كالفجّار و قال لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر و المجاهدون في سبيل الله باموالهم و انفسهم فضّل الله المجاهدين باموالهم و انفسهم علي القاعدين درجة و كلا وعد الله الحسني

و فضل الله المجاهدين علي القاعدين اجرا عظيما درجات منه و مغفرة و رحمة و كان الله غفورا رحيما و قال لايستوي منكم من انفق من قبل الفتح و قاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد و قاتلوا و كلا وعد الله الحسني و الله بما تعملون خبير ، فعرفنا من هذه الآيات ان المؤمنين مختلفون في درجات الفضل و حبّ الله لهم و قربهم من الله و قد قال الله سبحانه و يؤت كل ذي فضل فضله و قال لاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا و للنساء نصيب مما اكتسبن و اسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شئ عليما ، فتبين ان المؤمنين علي درجات و لكل فضل فعرفنا انه لا بدّ و ان يكون لولايتنا للمؤمنين ايضا تفاضل فمن كان اقرب الي الله و اشدّ حبّا لله و الله اشدّ حبّا له تكون له اشدّ ولاية و الذي دون ذلك فيكون ولايتنا له دون ذلك فان ذلك مقتضي العدل المأمور به بقوله اعدلوا هو اقرب للتقوي و قال ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الي اهلها و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل و قد نفي الله التسوية بين الاصناف مطلقا فليسوا سواء في شدّة الولاية و ضعفها و لايحكم العقل العدل بالتسوية بينهم و يأتي ان الله حكّم العقول في ذلك بالجملة رايناه قسّم المؤمنين اولا بالمتقين و الفجّار كما قال ام نجعل المتقين كالفجار ثم قسّم المتقين الي عالم و غير عالم و قال هل يستوي الذين يعلمون و الذين لايعلمون ثم قسّم العالمين الي ثلثة اصناف و قال ادع الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضلّ عن سبيله و هو اعلم بالمهتدين و انما يذكر دليل الحكمة و الموعظة و المجادلة للعلماء لا للجهّال فعرفنا ان درجات العلماء مختلفة بعضها فوق بعض و اما اهل الحكمة فهم الذين شرّفهم الله بقوله

و قال يؤتي الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا و مايذكر الا اولوا الالباب و اما اهل الموعظة فهم الذين شرّفهم الله بقوله فبشِّرْ عباد الذين يستمعون القول

فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله و اولئك هم اولوا الالباب و اما اهل المجادلة فقد اذن الله لهم ان كانت بالتي هي احسن و قال لاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن و قال هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين و هم اهل العلم و قد شرّفهم الله بقوله انما يخشي الله من عباده العلماء فلكل منهم درجة و فضل كما قال و لكل درجات مما عملوا و ما ربك بغافل عما يعملون ثم شرّف الله هؤلاء الاصناف الثلثة و حلّاهم بحلية السابقية و المتبوعية فقال و السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار و الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه و اعدّ لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم و قال و كنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة و اصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة و السابقون السابقون اولئك المقربون و سمّيناهم بالسابقين لان الله عز و جل رفع درجتهم علي ساير الانام و قال يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات فبرفعة مقامهم و قربهم من الله صاروا سابقين كما قال تعالي ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون و الذين هم بآيات ربهم يؤمنون و الذين هم بربهم لايشركون و الذين يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة انهم الي ربهم راجعون اولئك يسارعون في الخيرات و هم لها سابقون ، فالسابقون هم العلماء الذين جعلهم الله متبوعين للجهّال و اوجب عليهم متابعتهم و نفي التسوية بينهم و بين غيرهم و رفع مقامهم و قربهم عنه و اعطاهم منصب الشفاعة و قال لايملكون الشفاعة الا من شهد بالحق و هم يعلمون ، فالسابقون لهم ثلث درجات اهل الحكمة و اهل الموعظة و اهل المجادلة بالتي هي احسن فلا شك ان مراتب الولاية لهم ايضا تختلف علي حسب مراتب سبقهم في الايمان فالولاية التي لاهل الحكمة علي حسب درجتهم و لاهل الموعظة علي حسب مقامهم و لاهل المجادلة علي حسب رتبتهم علي حسب ولاية الله لهم و درجتهم عنده و من مزية تولاهم ان سمعنا الله عز و جل

يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصادقين فاوجب علينا ان نكون مع ثقات العلماء و معتمديهم و سمعناه قد امرنا باخذ العلم عنهم و وعدنا الامن بتقريره و تسديده فقال و جعلنا بينهم و بين القري التي باركنا فيها قري ظاهرة الآية ، و قد فسّره الامام عليه السلام بان المراد بالقري المباركة هو هم سلام الله عليهم و بالقري الظاهرة الرسل و النقلة عنهم الي شيعتهم و السير مثل للعلم فحكم الله سبحانه علي ضعفاء الشيعة بالسير فيهم و اخذ العلم عنهم ليالي و اياما آمنين و كما امرنا بالتعلم منهم امرهم بالانذار و الابلاغ فقال فلولانفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون و انّب قوما تركوا السمع و الطاعة لهم و اخبر انهم من اصحاب السعير و قال كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها ألميأتكم نذير قالوا بلي قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا مانزل الله من شئ ان انتم الا في ضلال كبير و قالوا لو كنا نسمع او

نعقل ماكنا في اصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير و النذير كما سمعت اعم من العلماء و اخبر بالرضا عنهم و عن تأبيبهم *التأبيب : القصد ، منه (اعلي الله مقامه) .* و بخلودهم في الجنة فقال و السابقون الاولون من المهاجرين و الانصار و الذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه و اعدّ لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم ، ثم خصّ الله السابقين بصفات ابانهم بها عن ساير الامة فاعطاهم اولا مقام السبق الي الجنة و المغفرة و قال السابقون السابقون ثم شرّفهم بالقرب منه و قال اولئك المقربون ثم بلّغهم مقام الشهادة فقال ان كتاب الابرار لفي عليين و ما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون فهم الصديقون و الشهداء عند ربهم في قوله ان الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك هم الصديقون ثم خصّهم

بالتسنيم النازل من السنام الاعلي و هو اشرف شراب في الجنة فقال و مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون و لميمزج لهم و انما مزج شيئا من التسنيم بشراب الابرار اذ قال ان الابرار لفي نعيم الي ان قال يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك و في ذلك فليتنافس المتنافسون و مزاجه من تسنيم فالمقربون يشربونه صرفا و الابرار يشربونه ممزوجا بالرحيق و هو مقام عالٍ و افضل من ذلك كله ان جعل الانبياء منهم لمشاركة الصفة و قال يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسي بن مريم وجيها في الدنيا و الآخرة و من المقربين و جعلهم من الدعاة اليه كما قال ادعو الي الله علي بصيرة انا و من اتبعني و هم الذين اتبعوه في العلم و العمل و الا لميكونوا اهل الدعوة مع ما علمت من قوله من اتبعني فانه مني فهم من الانبياء و الانبياء منهم ثم شرّفهم بحمل الكتاب و جعل صدورهم مخازن الخطاب فقال بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم و مايجحد بآياتنا الا الظالمون فايّ فضل يضاهي هذه الفضايل و اي كمال يباري هذه الخصايل و من البين ان من كان كذلك يجب تولاه و التبري من اعدائه و متابعته في التقوي و الاقتداء به في الهدي و هذا هو مرادنا بالركن الرابع ، الي آخر كلامه علا مقامه و رويته لكثرة فائدته و معرفة طريق الاستدلال .

فصل في بعض الاخبار الواردة في هذا المضمار ، اما ما يدل علي لزوم معرفتهم فكثيرة و كذا ما يدلّ علي لزوم ولايتهم و اتباعهم و الاخذ عنهم كلها كثيرة متواترة في المعني اذكر من كل نوع بعضا و قد رويت كثيرا منها في الكتاب المبين و ان شئت فراجع هنا فاما ما يدل علي لزوم معرفتهم ففي العوالم عن جابر بن يزيد الجعفي في حديث الخيط و هو طويل شريف قال لمولانا علي بن الحسين عليهما السلام الحمد لله الذي منّ علي بمعرفتكم و الهمني فضلكم و وفقني لطاعتكم و موالاة وليكم و معاداة اعدائكم قال صلوات الله عليه يا جابر

أوتدري ما المعرفة المعرفة اثبات التوحيد اولا ثم معرفة المعاني ثانيا ثم معرفة الابواب ثالثا ثم معرفة الامام رابعا ثم معرفة الاركان خامسا ثم معرفة النقباء سادسا ثم معرفة النجباء سابعا و هو قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات

ربي و لو جئنا بمثله مددا الحديث ، و هو صريح في ان معرفة النقباء و النجباء من تمام المعرفة و لما قال عليه السلام المعرفة و حلّاها بالالف و اللام عرفنا انه عليه السلام اراد بيان ماهية المعرفة و حصرها في السبعة فعرفنا ان فوق السبعة ليس من المعرفة في شئ و دونها ايضا خارج عن المعرفة فمعرفة العلماء القاصرين عن النجابة ليست من شروط الدين بناءا علي هذا الخبر الا من باب المقدمة او الاخوة علي ما يظهر من بعض الاخبار و في الزام‌النواصب عن العسكري عليه السلام عن اميرالمؤمنين عليه السلام في احتجاجه مع الطبيب اليوناني بعد ما قال الطبيب ان كفرت بعد ما رأيت فقد بالغت في الفساد و تناهيت في التعرض للهلاك اشهد انك من خاصة الله صادق في جميع اقاويلك عن الله فامرني بما تشاء اطعك قال عليه السلام آمرك ان تفرد الله بالوحدانية و تشهد له بالجود و الحكمة و تنزهه عن العبث و الفساد و عن ظلم الاماء و العباد و تشهد ان محمدا الذي انا وصيه سيد الانام و افضل رتبة اهل دار السلام و تشهد ان عليا الذي اراك ما اراك و اولاك من النعم ما اولاك خير خلق الله بعد محمد رسول الله و احق خلق الله بمقام محمد بعده و بالقيام بشرايعه و احكامه و تشهد ان اولياءه اولياؤ الله و ان اعداءه اعداؤ الله و ان المؤمنين المتشاركين لك فيما كلفتك المساعدين لك علي ما به امرتك خيرة امة محمد صلي الله عليه و آله و صفوة شيعة علي عليه السلام الخبر ، مجموعة ابي (اع) المسمّاة بالروضة عن الصادق عليه السلام انه قال قال الله تعالي افترضت علي عبادي عشر فرائض اذا عرفوها اسكنتهم ملكوتي و ربحتهم جناتي اولها معرفتي و الثانية معرفة رسولي الي خلقي و الاقرار به

و التصديق له و الثالثة معرفة اوليائي و انهم الحجج علي خلقي من والاهم فقد والاني و من عاداهم فقد عاداني فهم العلم فيما بيني و بين خلقي و من انكرهم اصليه ناري و ضاعفت عليهم (كذا) عذابي و الرابعة معرفة الاشخاص الذين اقيموا من ضياء قدسي و هم قوام قسطي و الخامسة معرفة القوام بفضلهم و التصديق لهم و السادسة معرفة عدوي ابليس و ما كان من ذاته و اعوانه و السابعة قبول امري و التصديق برسلي و الثامنة كتمان سرّي و سرّ اوليائي و التاسعة تعظيم اهل صفوتي و القبول منهم و الردّ اليهم فيما اختلفوا فيه حتي يخرج الشرح منهم و العاشرة ان يكون هو و اخوه في الدين و الدنيا شرعا سواءا فاذا كانوا كذلك ادخلتهم ملكوتي و آمنتهم من الفزع الاكبر و كانوا عندي في عليين ، اقول ان في الرابعة يحتمل ان يكون المراد من الاشخاص الانبياء و لكن الاقرب بسياق الخبر ان المراد منهم النقباء و الخامسة النجباء و في نفس‌الرحمن عن ابي‌جعفر عليه السلام في حديث قال اميرالمؤمنين عليه السلام سلمان باب الله في الارض من عرفه كان مؤمنا الحديث ، و لا شك ان ذلك لايخص سلمان بل لكل عصر بسلمان و جميع النقباء و النجباء ابواب الله فمعرفتهم ايمان و روي الشيخ الاوحد الامجد (اع) في رسالة ملا فتحعلي خان عن ابي‌جعفر عليه السلام الي ان قال اما لو ان رجلا قام ليله و صام نهاره و تصدّق بجميع ماله و حجّ جميع دهره و لم‌يعرف ولي الله فيواليه و يكون جميع اعماله بدلالته اليه ماكان له علي الله حق في ثوابه و لاكان من اهل الايمان ثم قال اولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته و قد يكون منهم المسلم الضالّ و في الكافي

عن احدهما عليهما السلام انه قال لايكون العبد مؤمنا حتي يعرف الله و رسوله و الائمة كلهم و امام زمانه و يرد اليه و يسلّم له ثم قال كيف يعرف الآخر و هو يجهل الاول ، انظر في صراحة الخبر اذ ذكر اولا بعد الله و رسوله الائمة كلهم ثم قال و امام زمانه و لا شك ان امام

الزمان غير الاثنيعشر فانه لو كان منهم لماكرر ذكره مع انه منهم و قد قال الائمة كلهم مع ان معرفة الاثنيعشر جميعهم من الايمان و يجب معرفتهم باسمائهم فلا اختصاص لمعرفة واحد منهم بالخصوص فامام الزمان من الشيعة الكاملين و هو الذي قال ابوجعفر عليه السلام لاتبقي الارض بغير امام ظاهر و قال ابوالحسن الرضا عليه السلام ان الحجة لاتقوم لله علي خلقه الا بامام حي يعرف انتهي ، و لا شك ان المراد منه غير الاثنيعشر فان امر غيبة الامام عهد معهود من زمان آدم و لو كان بغيبته تنقطع الحجة لمابقي لله حجة بعده و ان غاب فلايكون ظاهرا و لايعرف فالمراد من الامام الظاهر الحي المعروف واحد من شيعتهم لا محالة فانه ليس من بعدهم سواهم و لايتجاوز عددهم الاثنيعشر بالبداهة و اما وجه تسمية الشيعة بالامام فسيجيء ان شاء الله و عن ابيعبدالله عليه السلام قال انكم لاتكونون صالحين حتي تعرفوا و لاتعرفون حتي تصدقوا و لاتصدقون حتي تسلّموا ابوابا اربعة لايصلح اولها الا بآخرها ضلّ اصحاب الثلثة و تاهوا تيها بعيدا الخبر ، و لا شك ان المراد منها التوحيد و النبوة و الامامة و الركن الرابع كما يشهد بذلك اخبار اخر و من الاخبار في المقام ما يدل علي اخذ الميثاق للشيعة من جميع الخلق ففي الزامالنواصب عن العسكري عليه السلام في تلو قوله تعالي و اذا آتينا موسي الكتاب ، الي ان قال : قال الله تعالي يا موسي تأخذ علي بنياسرائيل ان محمدا خير النبيين و سيد المرسلين و ان اخاه و وصيه عليا خير الوصيين و ان اولياءه الذين يقيمهم سادة الخلق و ان شيعته المنقادين له المسلّمين له اوامره و نواهيه و لخلفائه نجوم الفردوس الاعلي و ملوك جنان عدن قال فاخذ عليهم موسي عليه السلام ذلك فمنهم من اعتقده حقا و منهم من اعطاه بلسانه دون قلبه فكان المعتقد منهم حقا يلوح علي جبينه نور مبين و من اعطاه بلسانه دون قلبه ليس له ذلك النور فذلك الفرقان الذي اعطي الله عز و جل

موسي و هو فرق ما بين المحقين و المبطلين و عنه في تلو قوله تعالي و اذ اخذنا ميثاقكم و رفعنا فوقكم الطور قال اميرالمؤمنين عليه السلام ان الله تعالي ذكر لبنياسرائيل في عصر محمد صلي الله عليه و آله احوال آبائهم الذين كانوا في ايام موسي عليه السلام كيف اخذ عليهم العهد و الميثاق لمحمد و علي عليهما السلام و آلهما الطيبين المنتجبين للخلافة علي الخلايق و لاصحابهما و شيعتهما ، الي ان قال : قال الله تعالي للموجودين من بنياسرائيل في عصر محمد صلي الله عليه و آله علي لسانه قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بك بعد سماعهم ما اخذ علي اوائلهم لك و لاخيك علي عليه السلام و لآلكما و لشيعتكم بئسما يأمركم به ايمانكم ان تكفروا بمحمد و تستخفّوا بحق علي و آله و شيعته ان كنتم مؤمنين و عن العسكري عليه السلام في تلو قوله تعالي و علّم آدم الاسماء كلها اسماء

انبياء الله و اسماء محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيبين من آلهما عليهما السلام و اسماء خيار شيعتهم و عتاة اعدائهم و عنه في تلو قوله الذين ينقضون عهد الله المأخوذ عليهم بالربوبية و لمحمد صلي الله عليه و آله بالنبوة و لعلي عليه السلام بالامامة و لشيعتهما بالجنة و الكرامة الخبر ، و عن جيش بن المعتمر عن علي عليه السلام في حديث قال يا جيش من سرّه ان يعلم أمحب لنا ام مبغض فليمتحن قلبه فان كان يحب وليا لنا فليس بمبغض لنا و ان كان يبغض وليا لنا فليس بمحب لنا ان الله سبحانه اخذ الميثاق لمحبينا بمودتنا و كتب في الذكر اسم مبغضنا الخبر ، و في حديث معراج النبي صلي الله عليه و آله عن ابيعبدالله عليه السلام قالت الملئكة يا محمد كيف اخوك اذا نزلت فاقرأه السلام قال النبي (ص) فتعرفونه قالوا كيف لانعرفه و قد اخذ ميثاقك و ميثاقه منّا و ميثاق شيعته الي يوم القيمة علينا و انا لنتصفح وجوه شيعته في كل يوم و ليلة خمسا و كذا قالت الملئكة له في السماء الثانية فقالوا كيف لانعرفه و قد اخذ ميثاقه و ميثاقك

و ميثاق شيعته الي يوم القيمة علينا الحديث ، و كذلك قال اهل كل سماء الي السماء الرابعة و كذلك وردت اخبار في شهادة النبات و الحيوان بهم و بشيعتهم و ما لمنروه من الاخبار في لزوم معرفتهم اكثر مما رويناه و ما روي في لزوم متابعة علماء الشيعة اكثر من ان تحصي اروي بعضها عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال في حديث عليكم بالقرآن فانه الشفاء النافع و الدواء المبارك عصمة لمن تمسّك به و نجاة لمن اتبعه ثم قال أتدرون من المتمسك به الذي بتمسكه ينال هذا الشرف العظيم هو الذي يأخذ القرآن و تأويله عنا اهل البيت و عن وسائطنا السفراء عنّا الي شيعتنا لا عن آراء المجادلين فاما من قال في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار انتهي ، اقول المراد من الوسايط نوّابهم و هم من كبار الشيعة و هم الوسايط بين الامام و ساير الشيعة و قال ابوجعفر عليه السلام ان القرآن شاهد الحق و محمد صلي الله عليه و آله لذلك مستقرّ فمن اتخذ سببا الي سبب الله لميقطع به الاسباب و من اتخذ غير ذلك سببا مع كل كذاب فاتقوا الله فان الله قد اوضح لكم اعلام دينكم و منار هداكم فلاتأخذوا امركم بالوهن و لا اديانكم هزوا فتدحض اعمالكم و تخطأوا سبيلكم و لاتكونوا في حزب الشيطان فتضلّوا يهلك من هلك و يحيي من حي و علي الله البيان بيّن لكم فاهتدوا و بقول العلماء فانتفعوا و السبيل في ذلك الي الله فمن يهد الله فهو المهتدي و من يضلل فلنتجد له وليا مرشدا و في دعاء الاعتقاد المعروف في صفة اميرالمؤمنين عليه السلام من لاائق بالاعمال و ان زكت و لااراها منجية لي و ان صلحت الا بولايته و الايتمام به و الاقرار بفضايله و القبول من حملتها و التسليم لرواتها و في تفسير الامام عليه السلام قال عليه السلام فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدينه مخالفا علي هواه مطيعا لامر مولاه فللعوام ان يقلدوه و ذلك لايكون الا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم و عن ابيعبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلي الله عليه و آله

ان الله عز و جل خلق المؤمن من عظمة جلاله و قدرته فمن طغي عليه او ردّ عليه فقد ردّ علي الله ، و من الاخبار ما يدل علي وجوب ولايتهم و هي كثيرة قال ابوعبدالله عليه السلام حب اولياء الله واجب و الولاية لهم واجبة و البراءة من اعدائهم واجبة و من الذين ظلموا آلمحمد عليهم السلام و هتكوا حجابه و اخذوا من فاطمة فدكا و منعوها ميراثها و غصبوها و زوجها حقوقهما و همّوا باحراق بيتها و اسسوا الظلم و غيّروا سنة رسول الله صلي الله عليه و آله و البراءة من الناكثين و القاسطين و المارقين واجبة و البراءة من الانصاب و الازلام ائمة الضلال و قادة الجور كلهم اولهم و آخرهم واجبة و البراءة من جميع قتلة اهل البيت واجبة و الولاية للمؤمنين الذين لميغيّروا و لميبدّلوا بعد نبيهم واجبة مثل سلمان الفارسي و ابيذر الغفاري و المقداد بن الاسود الكندي و عمار بن ياسر و جابر بن عبدالله الانصاري و حذيفة بن اليمان و ابيالهيثم بن التيهان و سهل بن حنيف و ابيايوب الانصاري و عبدالله بن الصامت و عبادة بن صامت و خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين و ابيسعيد الخدري و من نحا نحوهم و فعل مثل فعلهم و الولاية لاتباعهم و المقتدين بهم و بهداهم واجبة و عن ابيجعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلي الله عليه و آله ودّ المؤمن للمؤمن في الله من اعظم شعب الايمان الا و من احبّ في الله و ابغض في الله و اعطي في الله و منع في الله فهو من اصفياء الله و سمع ابوالحسن عليه السلام يقول من عادي شيعتنا فقد عادانا و من والاهم فقد والانا لانهم خلقوا من طينتنا من احبّهم فهو منّا و من ابغضهم فليس منّا شيعتنا ينظرون بنور الله و يتقلبون في رحمة الله و يفوزون بكرامة الله ما من احد من شيعتنا يمرض الا مرضنا لمرضه و لااغتم الا اغتممنا لغمّه و لايفرح الا فرحنا لفرحه و لايغيب عنا احد من شيعتنا اين كان في شرق الارض او غربها ، و الاخبار الدالة علي ذلك اكثر من ان تحصي و لايخفي كثرتها علي المتتبع

و مع هذه الاخبار و الآيات الكثيرة كيف يمكن انكار لزوم ولاية اولياء الله و لاسيّما علمائهم و الاخذ عنهم و اتباعهم و معرفتهم و البراءة من اعدائهم و ايّ مسألة من المسائل الدينية ثبتت باكثر من ذلك من الادلة الصحيحة و لكن الناس اكثرهم لايعقلون و لاينصفون ، و لما انتهي بنا الكلام الي هنا احببت ان اثبت هذا المطلب الشريف بالاجماع الضروري ايضا في مطلب خاص .

المطلب السادس في اثبات الركن الرابع و الضياء اللامع بالضرورة و فيه فصلان :

فصل في ذكر ضرورة المسلمين علي ذلك ، لا شك و لا ريب ان هذه المسألة اجماعية بين جميع المسلمين بل طبيعية فان كل احد يعرف من مذهب المسلمين اذا نظر الي حالهم و سيرتهم ان بناءهم كان علي ولاية من دخل في الاسلام و الايمان و اقرّ بما جاء به النبي صلي الله عليه و آله و البراءة من اعدائهم بل لميكن محاربتهم مع الاعداء الا بسبب اختلافهم معهم و تبريهم عنهم و لا شك انهم كانوا ينكرون علي من خالف جماعة المسلمين بل كان برهانهم في دينهم اجماع المسلمين و ليس معني ذلك في الحقيقة الا ملازمة جماعتهم و عدم التخلف عنهم و ليس ذلك الا نفس محبتهم و ولايتهم بل اقول ان ذلك مقتضي طبع البشر انهم يحبّون محب من احبّوه نعم من كان محبته عارضة كمحبة النسوان لازواجهم ربما يعادي محب محبه و الا ففي المحبة الواقعية الانسان يحب من

احبه بل يحب محب من احب محبه و ذلك امر مسلّم لا شك فيه بل اقول انه ثبت بالكتاب المستجمع علي تأويله ان المسلمين اخوة قال الله تعالي انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم و قال و اذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا و كنتم علي شفا حفرة من النار فانقذكم منها و معني ذلك مسلّم مستجمع عليه فلا شك و لا ريب في ان ولاية المسلمين كان من الدين و كذا جري عادة العامة و الخاصة علي

صفحه ٥٠٥

ترجيح علمائهم و ازكيائهم و تقليد فقهائهم و اخذ معالم دينهم منهم بل جعلوا تقليد فقيه عالم شرط دينهم بل بنوا اصل الولاية و البراءة علي فتوي فقهائهم و لسنا نريد من الركن الرابع الا ذلك بل اقول ان جميع فرق الاسلام بناؤهم علي ذلك اما العامة فمن نظر في سيرتهم يعرف منهم انهم ينصبون لانفسهم عالما يقلدونه بل يسمّونه امامهم و يوالون و يعادون علي فتاويه و ساير فرقهم ايضا بينهم عالم و جاهل و مقلد و مجتهد غاية الامر ان كلا منهم سمّي مجتهده باسم خاص و لكن الكل عملهم علي التسليم له و الاخذ عنه و نحن ايضا لمنقل غير ذلك غاية الامر ان كل حزب بما لديهم فرحون و نحن نظرنا في الاخبار و الآثار و اقتبسنا منها صفات العلماء الاخيار ثم نظرنا في احوال الناس و اخترنا منهم رجالا لاتلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و اتبعناهم و اخذنا ديننا عنهم و لكن بعض الناس محض حسدهم علي ما آتي الله مشايخنا ردّوا علينا المذهب الذي بني عليه الاسلام و الا فلا دليل لهم علي قولهم و مذهبهم و اقول لهم :

بايّ كتاب ام بايّة سنة ** * ** تري حبهم عارا عليَّ و تحسب (تمنع خل)

فصل لاتزعم ان هذا الامر مخصوص بالمسلمين بل ذلك بناء جميع المليين بل الكفار و المشركين فان اهل كل مذهب يواخي و يوالي من وافقه في مذهبه و يعادي من خالفه فان ذلك مشهود لاينكر الاتري اليهود انهم يحبون من كان هودا و النصاري يحبون من كان نصاري و هؤلاء يعادي هؤلاء و هؤلاء يعادي هؤلاء و المشركون بشركهم كانوا هكذا و في جميع الملل لهم عالم به يدور امر دينهم و الجاهل لايتبع في دين من الاديان الاتري متابعة اليهود و النصاري لاحبارهم و رهبانهم الي ان نزل فيهم الكتاب فقال الله اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله فقالت اليهود للنبي (ص) متي

صفحه ٥٠٦

عبدناهم قال ألميكن بناؤكم علي العمل بقولهم فيما احلّوا و حرّموا قالوا بلي قال فهذه العبادة ، و قد رويته بالمعني حتي انهم بعد الانبياء فقدوا التورية و الانجيل و قد كتبهما علماؤهم و هم قلدوهم و اتبعوهم في اصل كتابهم المنزل فضلا من شرحه و اخبار الانبياء و اليوم ايضا بناؤهم علي ذلك و كذلك المجوس رجوعهم الي علمائهم بل اقول لايمكن غير ذلك و ذلك من طبيعة البشر انهم يلجأون الي احد غاية الامر ان من كان طبيعته سليمة و سليقته مستقيمة يلجأ الي ركن وثيق علي ما امر الله عز و جل و غيره يختار برأيه ملجأ بل اقول ان بعض الحيوانات بناؤهم علي ذلك و ذلك من طبعهم ان لكل طائفة منهم رئيسا الاتري الي النحل فان لهم سلطانا و لايخالفون عنه بل من خالف عنه منهم يقتلونه و الحيّات ايضا يجعلون لنفسهم سلطانا و حالها معلوم و كذلك ساير الحيوانات

البرّيّة بناؤهم علي ذلك الا قليل منهم بل كلهم يوالون موافقيهم في مطعمهم و مشربهم و منزلهم و يعادون مخالفيهم و ذلك امر مسلّم لا شك فيه و يكفي هذه الادلة من لا غرض له سوي الدين و غيرهم لايكفيهم اضعاف ذلك من الادلة و البراهين .

المقام الثاني في بعض فضائلهم الكلية و بيان مراتبهم و مقاماتهم و اساميهم في درجاتهم و فيه مقدمة و مناقب :

المقدمة في مقاماتهم و القابهم في المقامات ، اعلم ان نوع مقاماتهم كثيرة مختلفة فان مدارج الايمان عشرة و جميعها مقامات شيعة آلمحمد عليهم السلام و ذلك ان امر الله سبحانه في جميع الملك واحد كما اشرنا اليه سابقا و وجه ذلك ان الله سبحانه احد و امره نوره و كماله و النور علي صفة منيره فامره سبحانه واحد لاتري فيه تفاوتا فجميع ما تراه في عالم الاجسام كلها

يثبت في ساير العوالم و قد علم اولوا الالباب ان الاستدلال علي ما هنالك لايعلم الا بما هيٰهنا ، فكما ان بناء عالم الاجسام علي افلاك تسعة و ارض كذلك بناء كل عالم علي ذلك و ان هذا العالم ظاهر ساير العوالم فسمواتها غيب هذه السموات و ارضوها غيب هذه الارضين و من العوالم عالم النفوس الملكوتية و هي عرصة شيعة آلمحمد عليهم السلام و الكفّار و المنافقون من اظلال هذه النفوس لا حقائقها و لذا يسجنون في جهنم الطبايع و لايصلون عرصة الشيعة ابدا و لعالم النفوس سموات و ارض و مواليده واقفون في هذه الدرجات كما تري في هذا العالم بل امر هذا الملك ظاهر امر عالم النفوس و الترقية في مراقي هذا العالم هي الترقية في عالم النفوس كما ان التكوّن في هذا الملك هو التكوّن في ساير العوالم و بيان ذلك علي نحو الحقيقة يقتضي رسم مقدمات و بيانات و سيجيء بعد ان شاء الله بيانه و مجمل القول انك تري في هذا العالم ان من مواليده من لايكمل من اركان بدنه الا العناصر فلايصعد الارض و لايبلغ السماء و منهم من بلغ السماء الاولي فصار حيوانا و منهم من تجاوز عنه و ترقي في ساير الافلاك الي ان بلغ العرشية و في كل موطن و موقف يسمّي مواليده باسم عند الله و كذلك الامر في عالم النفوس فمنهم واقفون في ارضه و منهم واقفون في سمواته و كل منهم يسمّي باسم فاما اهل الارض منهم فهم الضعفاء الذين احبّوا آلمحمد عليهم السلام و لميعرفوهم و لميحيوا بحياة نورهم و اهل فلك القمر هم الذين دخل الحبّ في قلوبهم و حييوا بالايمان و لميبلغوا درجة الايقان و علم العيان الا ما ثبت لهم بالبرهان ثم من بعد ذلك مقامات العلماء و الفقهاء و الصلحاء و النجباء و النقباء و النقيب الكلي من حيي بحيوة عرش عالمه و هو مقام البرزخية الكبري بين الشيعة و الانبياء و مقام مثل سلمان الذي كان في الدرجة العاشرة من الايمان و النجيب الكلي هو من حيي بحيوة الكرسي في هذه المرتبة ثم من بعدهم مقامات الجزئيين فالشمس و زحل

مقام النقباء الجزئيين و المشتري و المريخ للنجباء الجزئيين و قد يعدّ النجيب الكلي نقيبا جزئيا و بالجملة هذه كليات مدارج الايمان و اما عددهم فاختلف فيه الاخبار ففي خبر ان

النقباء ثلثون و النجباء مائة لا باسم النجيب بل باسم الرجل و في اخبار ان النقباء اثناعشر و في خبر ان النجباء سبعون و كون عدد النقباء اثنيعشر اقرب و اظهر من الادلة و الله اعلم بحقايق الامور و لايضرّنا عدم العلم بعددهم بعد التصديق بوجودهم و فضلهم .

المنقبة الاولي في نوع فضائلهم و فيها فصول :

فصل في بدء نورهم و ان ذلك اصل اصيل يظهر منه جم فضائلهم ، اعلم ان الله سبحانه كان في قدس جلاله و نزه جماله احدا فردا لميتخذ صاحبة و لا ولدا فتجلي اول ما تجلي بمشيته لها بها مع انه امتنع منها بها و كان تجليه ذلك بلا كيف بلا حركة بعد سكون و لا انتقال في الشئون و لا روية اجالها و لا فكر يستأنس فيها بل لا كيف لفعله كما لا كيف له و لما شاهدنا جلوة قلنا تجلي كما ان الشعلة بعد ما استضاءت لنا قلنا اضاءت لنا و تلك المشية نوره و كماله و قد انفصل منه نور آلمحمد عليهم السلام كما يفصل نور الشمس من الشمس قال عليه السلام يفصل نورنا من نور ربنا كما يفصل نور الشمس من الشمس ، و تحت ذلك اسرار جمّة مرّ بعض الاشارة اليها و زيادة البيان ان حقيقة المشية نور الله سبحانه و نوره فعلية كاملة و الكامل ما له فضل نور و بعد ما كمل خلقه سطع منه نور لامع و ضياء ساطع فان الكامل لا نقص فيه لا محالة و هو نافذ ساطع متشعشع اذ هو بسيط فافهم فلما سطع و فشا سمّي نوره و شعاعه بالحقيقة المحمدية صلوات الله عليها يعني في مقام المحمدية العلياء و العلوية البيضاء لا مقام البيان و الاسماء الحسني فانهما فوق ذلك اذ هما من

مقامات الربوبية و الحقيقة المحمدية في مقام العبودية المخلوقة بالمشية و هي مقام الظهور للفعل و العلم فافهم ذلك و بالجملة فحقيقتهم نور مشية الله فهي علي صفتها و هيئتها لاتخالفها الا بقدر المشائية و لذا يقال انها القلم و القلم آلة الكتابة و لا فرق بينها و بين اليد الا في ان حركة اليد من روحها و حركة القلم من روح اليد و الا فجميع الحروف تظهر من لسان القلم و لولا القلم لماكتب اليد شيئا كما انه لولا اليد لماكتب الروح شيئا فتدبر فلايكاد يظهر من حقيقتهم سوي فعل الله اذ هي صفة فعله تعالي و اعلم ان المداد ايضا من غيب القلم فانه ليس المداد خارجا منه لما ثبت ان الامكان لايقوم الا في الاكوان فصورة القلم مكسية علي المداد و ينفذ من رأسه و يكتب به الحروف و بالجملة فالقلم الذي هو حقيقة آلمحمد سلام الله عليهم اول مخلوق من نور المشية ثم خلق الله من نورهم الانبياء سلام الله عليهم اذ هم واقفون في مقام الروح المخلوق بالعقل ثم خلق من نورهم الشيعة و ورد في خبر ان الشيعة و الانبياء من طينة واحدة الا ان الانبياء من صوافيها و هم من غلايظها و يحتمل ان يكون المراد ان الشيعة من طينة ابدان الانبياء و يجمع بذلك الاخبار و علي ايّ حال الشيعة مخلوقون من نور آلمحمد عليهم السلام و هم في مقام النفس اللوح المحفوظ كتب عليهم ما كان و ما يكون و سيجيء بعد بيان ذلك في الجملة فهم بعد ساداتهم سابقون علي جميع الخلق اذ جميع الخلق خلقوا بعدهم و من نورهم و شعاعهم و لا شك ان النور علي صفة المنير كما مرّ بل النور هو صفة المنير و اسمه و ظهوره و مرآه و ما تري من مخالفة الشيعة مع آلمحمد عليهم السلام احيانا بحسب الاعمال فذلك بسبب الاختلاط الحاصل في عالم الذر فان الله بعد ما خلقهم من نور ساداتهم

انزلهم في العوالم السافلة فحصل الخلط و اللطخ في نزولهم و ما تري فيهم مما يخالف ساداتهم فمن طينة غيرهم و بعد ما رجعوا الي حيث بدءوا يرجع ما فيهم من طينة الاعداء اليهم

صفحه ٥١٠

فيبقون علي ما خلقوا فافهم و لعلك عرفت مما ذكرنا ان حقيقتهم سابقة علي جميع الخلق غير مواليهم فان جميع المؤمنين النازلين عن درجتهم من الجن و الملئكة و الحيوان و النبات و المعدن و الجماد جميعها من نورهم و كل ما كان من ظلمة فهي من ظل نورهم فاذا كان هذا شأنهم صلوات الله عليهم فما ظنّك بساير فضايلهم التي ترجع الي ذلك و لاتزعم ان ما ذكرناه قول بالرأي و الهوي نعوذ بالله بل هو مأخوذ من الاخبار و رويت اكثرها في الكتاب‌المبين قال عليه السلام ما معناه ان الله خلق قلوبنا من اعلي عليين و خلق ابداننا من طينة دون ذلك و خلق قلوب شيعتنا مما خلق ابداننا منه ، انظر كيف صرّح عليه السلام بالمراد اذ قال ان طينة قلوب الشيعة من طينة ابدانهم و لميجعل لاحد في ذلك نصيبا و لا شك ان ابدانهم اول ما خلق الله و هو نورهم الذي قال عليه السلام اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ، فتدبر في ذلك حتي تقف علي اسرار جمّة ان شاء الله .
فصل اعلم ان النفس الغيبية المخلوقة من نور العقل اول التعينات و اما قبلها فمقام المعني الغيبي الذي لايدرك و هي مقام الصورة و التشخص و التعيّن و ظهور المعني الغيبي فيها و قد اراك الله مثال ذلك في الدنيا انظر الي الخشب المطلق الذي هو المادة للسرير مثلا في الدنيا ظهوره و تعيّنه و تشخّصه في السرير و الخشب بلا سرير مما لايري و لايعرف و لايظهر منه اثر ابدا و مرادنا من السرير الصورة خاصة لا السرير الموجود المركب حتي يرد علينا وجود الخشب في ضمن القطعات و الخشبات الخاصة و بالجملة نفس الخشب المطلق لايكون الا معني غيبيا و المعني الغيبي لا ظهور له الا في الصورة و ليس مرادنا من ماديته انه مادة بنفسه اذ انت تعلم انه المؤثر للصور الخاصة و لكن المادة ظهوره و من باب المسامحة في البيان يقال انه المادة النوعية و كذلك الحال بالنسبة الي العقل و النفس فان العقل في الشرع مؤثر النفس كما مرّ

صفحه ٥١١

و لايكون مادة لها و لكن موادها التأييدات العقلية و من باب المسامحة يقال ان نفس العقل مادة لها و بالجملة ظهور العقل بايّ اسم سمّيته لايكون الا في النفس فلايظهر الا منها و لايدرك الا فيها و لايفعل الا بها الاتري الي عقلك فانه شعور صرف معنوي و الشعور الصرف ليس الا محض الانفعال و الانفعال الصرف لايكاد يقوم الا بمظهر و هو نفسك و هي صورتك و بعد تعلق العقل بها يدرك ما يدرك بها و يفعل ما يفعل بها لا بذاته و ان قلت فلمَ يخصص فعل به و فعل بها اقول يظهر لك مثل ذلك من الشعلة فان فعل النار كلها منها و هي بابها و صراطها فكل ما صدر منها من مقتضيات النارية ينسب الي النار و كل ما صدر من مقتضيات الدخان يكون من نفس الشعلة ، افهم ذلك و كذلك الامر في الاعلي العقل وحده لايقوم الا بالنفس و فعل النفس من حيث العقلية منه و من حيث نفسها منها و ما سمعته من مشايخنا ان العقل يظهر في دخان رأس الانسان اذا بلغ بلطافة العرش و

النفس تظهر دوين ذلك اذا بلغ بلطافة الكرسي فلايريدون من ذلك ظاهره و في الحقيقة العقل الظاهر في العرش معه النفس و النفس الظاهرة في الكرسي معها العقل و هما لايفارقان ابدا ابدا و بالجملة بلسان آخر اقول ان المطلق بنفسه موجود ثابت قايم و لكن ظهوره في افراده و لولاها لماكاد يظهر حتي انه اشتبه علي الناس ان له وجودا في الخارج ام لا ، لانهم لميجدوه الا في الافراد و لكنهم غفلوا عن الغيب انه عالم برأسه قايم بنفسه و الكلي الطبيعي موجود فيه و لكن في هذا الملك لايظهر الا في الافراد فجميع ما يصنع في افراده او في غيرها يصنعه بواسطة الافراد و ان الافراد بعضها باب البعض اليه حتي ينتهي الي الفرد الاول فانه نفسه و بابه اليه الاتري الي الجسم المطلق انه غاب بنفسه عن الانظار و امتنع عن ادراك الابصار و لكنه ظهر في افراده لها بها و كل فرد اعلي باب الفرد الاسفل لا محالة ثم هل ذلك في العرش و الكرسي بالنسبة الي السموات برُمّتها و الارض بنسبة واحدة او في السموات

ايضا هكذا بنسبة السافل الي العالي و الارض بالنسبة اليها بجميع عناصرها بنسبة واحدة او يثبت في العناصر ذلك ايضا فيه تفصيل فاعلم ان العالي ما لميكن اجمع من السافل من كل جهة لايقدر علي الافاضة عليه و لو بالوساطة و السفارة و اعتبر ذلك من استرداد سورة البراءة من ابيبكر و ردّها الي اميرالمؤمنين عليه السلام و من لميكن له جامعية بالنسبة الي ما دونه اخ لما دونه الا انه يملك شيئا و ما دونه شيئا و ان كان بينهما تفاضل في الشأن بحسب ما يحمله و امثّل لك مثالا ان زيدا الصايغ باب الله في الصياغة و الحدّاد في الحدادة و كل واحد منهما يحتاج الي صاحبه في صنعته لا غير و لا فخر لاحد و لا ذخر و لايأتي صياغة الصايغ من قبل الحدّاد و اما الاستاذ الماهر العالم بكل صنعة باب الله لصُنّاع الجزء فرضا اذا كان شأنه ذلك و هكذا الامر في العناصر فانها اخوات و التراب واجد للترابية و فاقد للباقي و الهواء واجد للهوائية و فاقد للباقي و لايأتي ترابية التراب من الهواء فان ذلك محال و اما السماء فهو بمنزلة الطبيعة الخامسة و قد لبست حلة الوحدة و البساطة فصارت مظهر الجسم الاحد بالنسبة اليها فجميع ما يأتي الارض يأتيها من قبل السماء و قد قال الله تعالي و في السماء رزقكم و ما توعدون و لميقل في الهواء رزقكم و ان كان الهواء اسرع انفعالا من السماء و امرها من الارض و سرعة الانفعال لاتكون سبب الوساطة و اما ما تري من وساطة الهواء و النار في ايصال الشعلات الي الارض فذلك في الظاهر بمحض انطباع فيهما لا في الحقيقة الاتري ان الهواء يتنور من نور الارض ثانيا في الانعكاس هذا و في الحقيقة ربما يتغير الامر و لكن الامر في السماء حقيقي و كذلك كل سماء بالنسبة الي سافله كطبيعة خامسة ، افهم ذلك ان شاء الله حتي تقف علي المراد .

فصل اعلم ان النفس الكلية الدهرية مطلقة و نسبتها الي النفوس الجزئية كنسبة الجسم المطلق الي الاجسام و نفوس الاشياء هي صورها فصورة الجماد

مثلا نفسه و صورة النبات نفسه و هكذا صورة الانسان و الحيوان و غيرها من البسايط و المواليد و كلها افراد المطلق الاعلي و هو النفس الكلية المحيطة بها و هي مبدأ الكل و منشأ الجميع فان جميع افراد المطلق ظهوراته و تجلياته فان افراد الحديد هي ما ظهر من اشعته فيما صيغ من العناصر بصورة قابلة لحكاياتها و الاشعة تصدر من الحديد بصورة واحدة اطلاقية اذ هي علي كماله و علي حسبه و تظهر في السيف و الوتد و المكحلة مثلا بحسبها و هي ما تري فيها من الحديدية ، افهم ذلك حتي تعرف المطلب و لا شك ان الاشعة جميعها بدؤها من الحديد و عودها اليه و كذلك الامر بالنسبة الي النفس الكلية و لذلك قال الامام عليه السلام هي المختصر من اللوح المحفوظ و مجموع صور العالمين ، فانها لاتجمع جميع الصور الا بما ذكرنا فان المؤثر هو الجامع لا غير فعلي ذلك جميع ما يظهر من الافراد يرجع اليها و ينسب اليها فالسماء مثلا يدور علي الارض و يعمل فيها و عمله بنفسه و نفسه فرد النفس المطلق فعملها منها و هكذا و لكن ذلك صفة النفس المطلقة و لكن الاشكال في انه هل يجوز نسبة صفة النفس المطلقة الي شخص يحكيها ام لا فاعلم ان الفرد يحكي المطلق بحسب شأنه لا بحسب شأن المطلق و ذلك ايضا ليس من حيث فردية الفرد بل من حيث حكاية البدن العنصري فان الفرد بنفسه شعاع المطلق و اثره و لايخالف عنه و لكنه يظهر في المرآة بحسبها فان كانت المرآة صالحة لحكاية الشعاع علي ما هو عليه فلاتخالف عنه و الا فتخالف و امثّل لك مثالا ان نفس الانسان حافظة اذ الحفظ من لازمتها و لايفارقها بالزام الله سبحانه و لكن البدن ربما يحكي حفظها علي ما ينبغي و ربما لايحكي و ذلك بحسب غلبة الرطوبة علي دماغ الانسان و عدمها كما هو ظاهر فان كان البدن صالحا لحكاية الحفظ يحكيه و الا فلا و كذلك الكلام في ساير قوي الانسان و من لايحكي جميع قوي الانسان لايسمّي انسانا علي الحقيقة نعم يكون انسانا ظلّيّا و كذلك

الامر في جميع الملك فالسماء مثلا يحكي سماوية النفس دون ارضيتها و الارض تحكي ارضيتها و لذا لايصدق علي واحدة منهما اسم حقيقة النفس بالكلية و كذلك الامر في الابدان الشخصية فالنجيب الجزئي مثلا و ان ظهر فيه شعاع النفس و لكنه لميجمع جميع ما يشترط في حكاية النفس و لذا لايصدق عليه اسمها علي الحقيقة نعم اذا كشفت عن السبحات اي سبحات شخصيته تري النفس و ذلك فضل له و لكن لايصير سبب ظهور الآثار منه علي الحقيقة و ليس ذلك الا من باب صدق اسم النار مثلا علي الدارصيني لحرارته و يبوسته و اين ذلك من الشعلة فافهم فلذلك لايسوغ ان يقال لمرآة لاتحكي جميع النفس بكمالاتها انها نفس بل هي عضو لها ففلك القمر لايكون نفسا و لكنه قمر النفس و الزهرة لاتكون نفسا و لكنها زهرة النفس يعني النفس الظاهرة فيهما زهرة و قمر و لكن الكرسي الجامع للكل الذي وسع السموات و الارض يحكي النفس فيصدق عليه اسمها و يظهر منه اثرها و هو بمنزلة البدن الكامل لزيد و الشعلة للنار و هو امام السموات و الارض و الكلي الحاكي عن الغيب و باب الاشارة و محل العبارة و الدليل و الامارة و صاحب الوساطة و السفارة و هو النفس الكلية فيصدق علي هذا البدن اسم الكلي مع ان النفس الغيبية غيره و نسبتها اليه و الي ساير السموات و الارض بالسواء فافهم فقد اسقيتك ماءا غدقا و لايمكن افشاء المسألة اكثر من ذلك و الي يومنا هذا لميكن يمكن اظهارها هذا

القدر ايضا .
فصل اعلم ان الشيعة كائنا ما كانوا فروع آلمحمد عليهم السلام اذ هم انوارهم و اشعتهم و النور لايملك لنفسه شيئا لايكون من مولاه و مؤثره فان جميع ما منه يرجع اليه الاتري الي نور السراج فانه لايثبت للنور شئ الا و هو راجع الي السراج و ينسب اليه و كيف لايكون هكذا و حقيقة النور من المنير و اصل وجوده راجع اليه و في نفسه فقير محتاج اليه و لذلك جميع

ما يثبت للشيعة من الفضايل يثبت لهم بالاصالة و لشيعتهم بالتبع و ذلك قوله عليه السلام نحن اصل كل خير و من فروعنا كل برّ ، و نفي عليه السلام المعجزات من الشيعة و قال انها للامام يجريها علي ايديهم كما اظهر موسي عليه السلام معجزته من العصا و قال انها كرامات منّا عليهم و بهذا المعني اذا قلت ان الشيعة لا علم لهم و لا حلم و لا كمال ابدا الا ما اظهره آلمحمد منهم لكنت صادقا في قولك فان الشبح في المرآة حسنه للشاخص و منه لا له و لا للمرآة و ان كان المرآة المستقيمة تحكيها احسن و ذلك ايضا من مولاها لان الامر في مرايا قوابلهم ليس كالمرآة العرضية للشاخص الخارج بل مرآة قابليتهم ايضا عكس مولاهم ، فافهم و تدبر هذا و كل شيعي لايقدر علي حكاية جميع فضايل الامام و لو بالفرعية فانه لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا قال عليه السلام ان حديثنا صعب مستصعب لايحتمله ملك مقرّب و لا نبي مرسل و لا مؤمن ممتحن قيل فمن يحتمله قال نحن انتهي ، و لكن جميع الشيعة اي مجموع النقباء يحكون جميع فضايلهم بالفرعية لا محالة و اما كل واحد منهم فلايحكي الجميع لانه بمنزلة العضو و الحاكون للكل لايحكون الا بالفرعية علي ما مرّ فافهم و لاتغل في دينك ابدا و ما ورد في ان سلمان علم علم محمد و عليّ ، ان كان علي ظاهره الذي يفهمه العوام لايدل علي انه حكي جميع ما لهما بل المراد انه علم من علمهما صلوات الله عليهما كيف و هو عبد من عبيدهم و العبد كائنا ما كان فرع المولي و لايكاد يصل الي مقامه ابدا و يحتمل فيه ان يقال ان سلمان شانه ارفع من النقابة و قد وصل الي البرزخية فصار فرع مواليه بالكلية و مرآة كاملة فتدبر في ذلك حتي تكون من المقسطين .
المنقبة الثانية في بعض فضايل النقباء و النجباء علي نحو الكلية و الاجمال و فيها فصول :

فصل في تعيين مرتبة النقابة و النجابة و قد بيّن ابي اعلي الله مقامه مقاماتهم بطرز بديع اري ان اذكر كلامه بعينه فانه احري بان يروي بلا تغيير ،
قال انار الله برهانه و اعلي الله مكانه : اعلم ان الله سبحانه اول ما تجلي تجلي بذات ظاهرة و جوهرة حقيقية اذ لا سابق عليها حتي تكون صفة لها او عارضة عليها ثم تجلي بها بصفاتها و اسمائها التي هي كمالاتها و وجوداتها اي ظهوراتها ثم بها اي بتلك الاسماء خلق ما خلق فاول ما خلق هو الوجود الذي به كل شئ موجود و الماء الذي منه كل شئ حي و هو الحقيقة و الفؤاد و النور و مثل ذلك الوجود في صورة العقل فقيل اول ما خلق

الله العقل ثم امره بالادبار فادبر الي مقام الروح ثم الي مقام النفس ثم الي مقام الطبع ثم الي مقام الهباء ثم الي مقام الاظلة ثم الي مقام الجسم نازلا من العرش الي الفرش فصار جميع المراتب العالية مخبوءة مستورة تحت حجاب التراب و صارت بالقوة بمعني قوة الظهور ثم لما دعا الله عز و جل العقل الي الاقبال خرجت تلك المراتب الي الفعلية شيئا فشيئا و عند خروج كل رتبة الي الفعلية ان وقفت حصل نوع من الخلق و الا صعد الي النوع الاعلي فاول ما تحرّك الي الاقبال تحركت الطبايع بالتركيب المحض فتركب بعضها ببعض فلما وقفت لجمودها و عدم مطاوعتها حصل منها الجماد اللهم الا ما كان منها كثير الرطوبة مطاوعا فصعدت فظهر عليها آثار صوافي الطبايع فلما وقفت لجمودها حصل منها النبات اللهم الا ما كان منها اكثر رطوبة فصعدت فظهر عليها آثار الحيوة الفلكية فصارت حيوانا لما وقفت و منها ما كان اكثر مطاوعة فصعدت فظهر عليها آثار النفس الناطقة المميزة فصارت انسانا لما وقفت و منها ما كان اكثر مطاوعة فصعدت فظهر عليها آثار الروح الملكوتي فصارت نبيا و سفيرا لما وقفت و منها ما كان اكثر مطاوعة فصعدت فظهر عليها آثار روح القدس و يختص ذلك المقام بمحمد و آلمحمد صلوات الله عليهم الذين بهم فتح الله و بهم يختم و هكذا و لما كان المقصود ذكر مراتب الانسان نقتصر

عليه و عليه قس ما سواه ، اعلم ان الانسان له مراتب منها ما هي آية الاعالي و صفتهم فهو و ان كان في مقام النفس الناطقة الا ان فيه صفة الروح الملكوتي و صفة صفة العقل و ما فيها من صفة الفؤاد و ما فيها من صفة الاسماء و ما فيها من صفة المسمّي و منها ما هي من مراتب انسانيته من طبعه و مادته و مثاله و جسمه و كمن جميع المراتب العالية في جسمه فاذا دعا الله العقل الي الاقبال و صار يقبل و يرقي شيئا بعد شئ صار يخرج تلك المراتب واحدة بعد واحدة من الكمون الي البروز و من القوة الي الفعلية فلا كل انسان جميع مراتبه العشرة فيه بالفعل بل منهم من ليس فيه بالفعل الا جسمه و منهم من صار فيه بالفعل مثاله و منهم مادته و هكذا فالجهّال من الاناسي فإما هم واقفون في مقام الجمادية و إما هم واقفون في مقام النباتية و إما هم واقفون في مقام الحيوانية و اما العلماء منهم فهم الذين قد صار فيهم النفس الناطقة القدسية بالفعل فحصل لهم العلم بالله و برسوله و بحججه سلام الله عليهم و بشرايعه و احكامه و ما اراده من خلقه بقدر الطاقة البشرية و حصل لهم بذلك الخشية من الله عز و جل و الفرقان الذي به يفرق بين الحق و الباطل و من ترقي منهم فقد صار فيهم صفة الروح الملكوتية بالفعل فازدادوا علما و صاروا محدّثين و اُلهموا بالواردات الغيبية و الرؤي الصالحة التي هي جزء من ستة و اربعين جزءا من النبوة و من ترقي منهم فقد صار فيهم صفة العقل بالفعل فكتب الله في قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه اي برأس من رؤس روحالقدس و عون من اعوانه و دخل في عباد الله المأيوس عنهم الشيطان و من اهل الرضوان لانهم بايعوا الله تحت شجرة العقل و هي الباكورة التي اكل منها روحالقدس في جنان الصاقورة فاضيفوا الي العقل و صاروا منه و اليه لا فرق بينهم و بينه الا بالظلية و الاصلية و صاروا خلفاء الرسول و العقل الظاهر الذي عبد به الرحمن

و اكتسب به الجنان و من ترقي منهم و صعد صار الفؤاد فيه بالفعل فصار من اهل الحكمة

عارفا بالله و صفاته و الحجج و صفاتهم و نظر الي الامثلة الملقاة في هويات الاشياء و عرف البدء و الكيف و اللمّ و هيٰهنا منتهي ترقي اهل العلم و بذلك يحوزون مراتب المجادلة و الموعظة و الحكمة و يصيرون من اهل المشاهدة و العيان الي غير ذلك من الفضائل التي يتحملها الصدور و لايتحملها السطور و من ترقي منهم و صعد صار مقام الاسماء فيه بالفعل و حصل فيه قدرة و قوة و تمكّن من الامر و النهي و الحكم في البلاد و العباد و استجيب دعاؤه فيما اراد و استجاب الله دعاء من دعاه به من اهل السداد لقوله تعالي لله الاسماء الحسني فادعوه بها ، و منهم من ترقي و صعد الي مقام المسمي اي الموقع الذي يقع عليه الصفة و قدس ساحة الذات العليا عن الاقتران بالصفات لشهادة الصفة و الموصوف بالاقتران و المسمّي صفة في الحقيقة مقترنة بالصفة رجع من الوصف الي الوصف و دام الملك في الملك انتهي المخلوق الي مثله و الجأه الطلب الي شكله و اللسان عن بيان فضائل هؤلاء و الذين قبلهم كليل و القلب من عدم تحمل الزمان عليل ، الي ان قال (اع) : و قد اصطلح آلمحمد عليهم السلام علي ان من صار فيه النفس بالفعل و صار عالما او الروح او العقل او الفؤاد فهو نجيب و من صار فيه صفة الاسماء بالفعل فهو نقيب و قلّ ما يخلو النقيب عن حكاية المسمّي و من صار جميع المراتب العشرة فيه بالفعل فهو الكامل المكمل حقا و هو المطيع لله فيما امر الله صدقا و الممتثل امر اقبل بقدر الطاقة البشرية صدقا قال الله تعالي يا ابن آدم انا رب اقول للشئ كن فيكون اطعني فيما امرتك اجعلك مثلي تقول للشئ كن فيكون انا حيّ لاموت اطعني فيما امرتك اجعلك مثلي حيّا لاتموت و لعلّي نقلته بالمعني و قال انما يتقرب اليَّ العبد بالنوافل الي آخر الحديث ، انتهي كلامه علا مقامه .

فصل اعلم ان فضايل النقباء اكثر من ان تحصي و اجل من ان تستقصي و كيف يدرك فضل من لايوصف بنص قول الامام عليه السلام المؤمن لايوصف ،

و كيف يحاط بمن لايحدّ اذ قال عليه السلام سلمان بحر لاينزف ، هذا و ما يمكن ان يدرك من فضلهم لايمكن ذكره فان تعب الكتمان في الصدور اقل من زحمات نتايج الكتابة في السطور و لا كل ما يعلم يقال و لا كل ما يقال حان وقته و لا كل ما حان وقته حضر اهله ، فاشير في المقام الي بعض فضايل الكليين اقول قد عرفت ان النقيب من صعد من عرصة التراب الي جوار قرب رب الارباب و وقف علي الباب و الجناب و نظر بعين الله في جميع ما في المبدأ و المآب و هو من اولي الالباب الذين خرج من قوتهم العقل و لايمكن ذلك الا بعد خروج جميع ما دونه كما مرّ سابقا و اذا صار جامعا لجميع مراتب الخلق يخرج من كمونه جميع الاسماء المتعلقة بها من البديع الي آخرها و مجموعها ثمانية و عشرون فيملك جميع السموات و الارضين في نفسه و يتصرف بها فيما يشاء اذ يخدمه جميع الملئكة المتعلقون بها فيفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و مايشاء الا ما شاء الله و لما

صار واقفا في موقف العقل يصير قطبا فيناديه العقل الاول و يخاطبه بانت القطب و لم‌يكن قبل ذلك سامعا لهذه الدعوة بالوجود اذ لايدرك نداء العقل سوي العقل الذي من نوره فاذا صار قطبا يصير محل جميع الفيوض النازلة من عند الله و عليه يدور الخلق و يستفيضون منه كما تري في العرش الظاهر في الملك و القلب فيك حرفا بحرف و هو يتصرف في جميعها كيف لا و هو محل الاسماء العظام التي خلق الله بها الخلق فاذا صارت بالفعل في مقام يظهر منها آثارها و لاتتعجب مما اقول اذا رأيت ما ورد من اعمال سلمان و ما شاهد منه ابوذر و قد رويتُ الروايات في كراماته في الكتاب‌المبين و ان شئت فراجع ،

قال ابي (اع) كلاما موجزا في شأنهم ارويه بعينه :

اعلم ان النقباء هم حملة الآثار و الحكوم كما ان النجباء حملة الاسرار و العلوم و هم في مقام العقل و العقل وسط الكل فهم اقطاب الوجود و اسرار المعبود و هم اَلسن العبارة و اوجه الاشارة بهم يعبد الرحمن و يكتسب الجنان

و هم ذات الله العليا و شجرة طوبي و سدرة المنتهي و الجنة المأوي و هم اصحاب الولاية و ارباب الحكم و منهم يصدر الصادرون و اليهم يرد الواردون بهم فتح الله و بهم يختم و هم نور النبي اول ما خلق الله و بهم ينتهي ما ذرأ الله ، ينحدر منهم السيل بالافضال و الانعام و لايرقي اليهم طير الاوهام بامر الله يعملون و بقوله يحكمون و هم جنب الله و امر الله و وجه الله و يد الله و عين الله و لسان الله و قول الله بهم تمّت الكلمة و عظمت النعمة و ائتلفت الفرقة و منهم ظهرت الانوار و بدت الآثار و عبد الجبّار و هم اصحاب باطن الباطن و سرّ الاسرار انزجر بهم الاعماق و اتفقت الآفاق و اليهم المساق يوم التلاق و هم اصحاب الطول و العرض و مبيّنوا السنن و الفرض و صاحب البسط و القبض و بهم تشرق الارض و بهم يفتق كل رتق و يرتق كل فتق فهم كعبة الوفاد و جاه العباد و هم مشية الله و ارادته و قدره و قضاؤه و اذنه و امضاؤه و هم الجزء الاخير من العلة التامة و عليهم تدور الخاصة و العامة و هم احبّ الخلق الي الله و لايكمّلهم الله الا فيمن يحبّ و هم الواقفون علي الطتنجين الناظرون في المشرقين و المغربين بهم يحتج الله علي خلقه و يبتلي كل مبتلي من عباده و هم باطن باطن الكتاب و الفصل الخطاب و باب الباب و جناب الجناب و مرجع الانجاب و ظهور الاطياب و هم تمام الكلمات التي تلقي آدم من ربه كلمات فتاب عليه و الكلمات التي ابتلي بها ابرهيم علي نبينا و آله و عليهم السلام كما روي و هم الروح التي ايّد بها المؤمنون و العلم الذي به اهتدي السالكون و هم القرية الظاهرة و الدلالة الباهرة و هم حجج الله علي خلقه و هم الكتاب الذي كتبه بيده و هم الجسر الممدود بين الجنّة و النار و رحمة الله علي الابرار و نقمته علي الفجار و باب مدينة العلم و جناب الامر و الحكم هم قسيموا الجنة و ظاهرهم النيران و هم الرضوان و الدرجات و الجنان العليا و المنجيات في شأون تجلياتهم يتنافس المتنافسون و بفواضل انوارهم يتنعم المتنعمون هم اصل شجرة طوبي

المغروسة بيد الرحمن في بيت امام الانس و الجان و في بيت كل مؤمن منه غصن و هم بيت الولي و اهل بيت النبي و هم آل الله المودعون بين الامة و الحبلان الممدودان و الثقلان المودعان و هم الشمس الطالعة في قعر بحر القدر لايطلع عليهم الا الواحد الفرد فهم سرّ الامر بين الامرين و المنزلة بين منزلتين و الرحمة الرحمانية علي الفريقين و هم المنزّهون عن الاسم و الرسم ليس لهم حدّ محدود و لا نعت موجود و لا اجل ممدود و بهم يعبد المعبود و ظهر سرّ الوجود فهم السرّ المكنون و حقيقة الكاف و النون و السرّ المصون هاه هاه ما اقول و ما عسي ان اقول الي آخر كلامه اعلي الله مقامه ،

و لعمري اذا عرفت حقايق هذه الكلمات وقفت علي اصل العلم و حق الحلم و اذا بلغ الزمان مبلغ الاستعداد في حياتي لشرحت هذه الكلمات و فصّلت و الا فهو حظ غيري ثم لا شك انه لايبلغ احد مقام العقل حتي يملك النفس و هي محل العلوم و مجمع الرسوم اذ هي مختصر اللوح المحفوظ فالنقيب يكون صاحب جميع العلوم النفسانية الصورية و لكونه صاحِبَ العقل يكون صاحب العلوم المعنوية العقلانية و هما عِلْمُ الاولين و الآخرين و قد قال عليه السلام سلمان عَلِمَ عِلْمَ الاولين و الآخرين ، و شرح هذين العلمين بعلم محمد و علي و اما فضلهم في اخلاقهم و احوالهم و عباداتهم فامر بيّن لايحتاج الي البيان لمن كان له عينان فطريق معرفة النقباء ان تشاهد منهم العلوم و الآثار مضافا الي اخلاقهم و احوالهم و لااريد من العلوم علم جميع الجزئيات علم احاطة و عيان بحيث لايحتاجون الي نظر فان ذلك خلاف ما شاهدنا منهم مع انه شأن امامهم و هم لايبلغون منزلته كيف و ان بعض الانبياء لميبلغوا هذه المنزلة فكيف بالشيعة الذين هم من اثرهم كائنا من كانوا الاتري انهم منعوا عن العمل بآرائهم و لو كانوا يقدرون علي فهم جميع الاعراض و الجزئيات لرخص لهم في ذلك الاتري الي ما كانوا يسألون النقباء ساداتهم من الحكم بل ربما كان الائمة عليهم

السلام ينكرون عليهم ما عرفوه بنفسهم و انكارهم عليهم بايّ جهة كان يدل علي النقص في الجملة ، فافهم و تثبت علي صراط القسط و لاتغل في دينك و لاتقف ما ليس لك به علم ان السمع و البصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا و لكنهم يطلعون علي الحقايق اي حقيقة كل علم مكشوفة لهم و يعملون بمقتضي علمهم و اما الجزئيات فتكشف لهم بالنظر و ادامة الفكر و لذلك لميبلغوا مقام العصمة و يجوز لهم السهو و النسيان و بالجملة فعلومهم كلية و ساداتهم يطلعون علي الكليات و الجزئيات فالنقيب مثلا يطلع علي حقيقة علم الرمل و لايلزم ان يحيط بجميع ما اصطلح عليه الرمليون و اما جميعهم في حقيقة علمهم فيحتاجون اليه لا محالة و قس علي ذلك ساير العلوم و كذلك في التصرفات لانقول انهم يتصرفون مثل علي بن ابيطالب عليه السلام نعوذ بالله بل جميع آثارهم بتوسلهم به عليه السلام و لكن لهم تصرفات بحسب شأنهم اذ ملكوا الاسماء و هي البديع و الباعث و الباطن و الآخر و الظاهر و الحكيم و المحيط و الشكور و الغني و المقتدر و الرب و العليم و القاهر و النور و المصوّر و المحصِي و المبين و القابض و الحيّ و المحيي و المميت و العزيز و الرازق و المذلّ و القوِي و اللطيف و الجامع رفيع الدرجات ذو العرش ، و لما كانت الانوار مهيمنة علي الظلمات تتسلط هذه الاسماء علي جميع مراتب

الجهل فهي الجهل الكلي و الثرٰي و الطمطام و النيران و الريح العقيم و البحر و الحوت و الثور و الصخرة و هي السجين و الملك الحامل و ارض الالحاد و ارض الغضب و ارض الشهوة و ارض الطبع و ارض العادات و ارض النفوس و نار الكلب و هواء السموم و الماء الأُجاج و الارض السبخة و الحجارة و الحديد و النبات المُرّ و المسوخ و الشياطين و شياطين الجن و الانس و ابليس لعنه الله و اعلم ان الاسماء تظهر للنجباء ايضا و لكن النقباء مخصوصون بالمسمّي فافهم هداك الله الي سبيل مرضاته .

فصل في قليل من كثير فضايل النجباء و هم الرجال السبعون الذين ورد ان مع كل امام سبعين رجلا يبعثهم الي الآفاق و سُرُج هداية الخلق و هم ورثة الانبياء اذ لميورثوا دينارا و لا درهما و لكن اورثوا احاديث من احاديثهم و هم العدول الذين ينفون عن الدين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين و هم الممسكون لازمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكّانها و هم الحاملون للاسرار و العلوم و الواقفون في مقام النفس الناطقة القدسية و نسبتهم الي النقباء نسبة الصورة الي المادة و الولاية الي النبوة و النفس الي العقل و الكرسي الي العرش و الجلال و الجمال و الظهور و البطون و المكوّن و الكاف و النون و الاسم و المسمّي و هم مواقع الاسماء اذ النقباء هم الاسماء و مدلول الآيات و المشار اليهم بالآلات و هم مبدأ عالم التصوير و محل التقدير و يرجع اليهم كل قليل و كثير و هم المشار اليهم في الخبر صور عارية عن المواد خالية عن القوة و الاستعداد تجلي لها فاشرقت و طالعها فتلألأت فالقي في هويتها مثاله فاظهر عنها افعاله ، اعتدل طباعهم بتزكية النفوس بالعلم و العمل حتي صفا مزاجهم و صح منهاجهم فشاركوا الافلاك و وافقوا الاملاك و كمل فيهم الاستعداد و علوا علي الاضداد و نظروا بعين الله التي اعارهم اياها و رأوا الواحد الفرد في جميع الظهورات و وقفوا علي النقطة و جانبوا الفرقة و حصل لهم العلوم الكثيرة بحسب نظرهم الي الخلق و ساشير الي بعضها ان شاء الله و اكملوا الاسفار الاربعة و شاهدوا الانوار في كل الاطوار و وحّدوا ربهم بالتوحيد الخالص و لميشركوا بعبادته احدا و اما علومهم ففي سفر اولهم يسافرون من عالم الاعراض و محل الامراض الي حقيقة الاجسام الطبيعية و في سفرهم هذا يطلعون علي علوم جمّة من اسرار التراكيب و حصول المواليد من الجماد و النبات و الحيوان و ظهور الغيب فيها في الجملة فيطلعون علي جميع العلوم التي سمّوها الناس علما و اخذوها من

الاعراض ثم يتجاوزون عن هذه الاعراض الي اصولها الجسمانية ثم الي حقايقها فيطلعون علي الاجسام الاخروية و البرزخية و الدنياوية فيشاهدون في هذا النظر ارض المحشر و القيامة و ارض الذر و كيفية الخلط و اللطخ و اصل الوادي المقدس و واديالسلام و عين برهوت و وادي حضرموت و يسافرون حتي ينتهون الي جبل قاف و الطور الحاف فيرون يوم خلق الدنيا و بدء الاجسام و ارتباطها بالعوالم الغيبية ثم يشاهدون الشموس الغيبية وراء هذه الشمس و الاقمار وراء القمر و الافلاك و الاكوار و الادوار ثم يتجاوزون من عالم الاجسام الي عرصة المثال فوق هذه الارضين و البحار و الجبال بل

السموات العلي و عرش الجلال فيشاهدون الجنتين المدهامتين فيأكلون من ثمار الجنة و يعانقون الحور و يتنعمون في القصور و يصعد من وجوههم النور و يتكلمون مع الارواح و يشاهدون صعودها و نزولها في الغدوّ و الرواح و سيرها الي قبورها و بيوتها و محل عذابها و تنعمها ثم يتجاوزون من هذه العرصة الي البحر الابيض و طمطامه فيشاهدون بريقه و لمعانه و امواجه و تيّاره و حيتانه و السُفن الجارية فيها كالاعلام من سفن امثالهم من النجباء العظام فيشاهدون صورة الوحدة و استغراق كثرة عرصة الشهادة ثم يصعدون من هذه العرصة الي الكثيب الاحمر و التلّ الاكبر و يطلعون علي اعماقه و يرون ما فيه من انواع المعادن ثم يصعدون الجزيرة الخضراء فيطلعون علي الحقايق و الاحكام الحقيقية و جميع هذه العرصات المذكورة من الهورقليا من عالم الرجعة ثم يصعدون الي سموات هورقليا و عرصة الخيال و الفكر و يتجاوزونها الي ان يصلوا الي الوجود الثاني و مجمع الكثرات و مقام الوحدة و هنالك مبدأ جميع الشهاديات فيشربون حينئذ من كبد الثور ثم يصعدون الي الطبيعة العليا و الكثيب الاعلي و الياقوتة الحمراء و النار المخرجة من الشجرة الخضراء و اسفل اركان العرش فيقفون في جانب الطور و يناجون بالسرور و يشاهدون النور بفضل النبي المحبور

صفحه ٥٢٥

و يقومون وراء الحجاب الاخضر و ينظرون الي ما فوقه بالقلب المطهر فاذا تجاوزوا من ذلك المقام وصلوا الي الكتاب المسطور و الرقّ المنشور و الرفرف الاخضر و ارض الجنة و الذر الاول و الثاني و العالم العلوي و الوطن الاصلي و قرية النجباء و سدرة المنتهي التي عندها جنة المأوي و شجرة طوبي و مستقر الاولياء و هذا غاية سيرهم في سفرهم وجودا ثم يحصل للنجيب بالوجدان مشاهدة ارض الزعفران في ورق الآس و يطلع علي اسّ الاساس ثم يلوح له الدرة البيضاء و ذات الله العليا و نور الرضوان و مبدء الجنان فيعبد به الرحمن و الي هذا المقام يصعد النقباء في سفرهم وجودا فيملكون ما ذكرنا سابقا من الفضايل ثم يصعدون النقباء و النجباء بالوجدان الي مشاهدة مقام الاركان آخر القري الظاهرة و يطلعون علي المعاني العلي و الظهورات الدنيا فيشاهدون بريق نور الغوث الاعظم و الصراط الاعظم و الحجاب الاكرم من جانب الله ثم يستأذنون للدخول و هم واقفون في باب الافول لغلبة نور المؤثر و سلطان قهر المدبّر فيكبّرون الله تكبيرات حتي يطلع لهم نور الله من جبين قائم الاطهار فيوحّدوا الله حق التوحيد و يقفوا علي سرّ التفريد فيقولون بلسان حالهم لا اله الا الله حقا حقا لا اله الا الله ايمانا و صدقا ، و هذا آخر سفرهم الاول فيسافر النجيب بعد توحيده لربه في الاسماء و الصفات فيشاهد من انوار الجلال و الجمال ما لميخطر علي قلب احد فيشاهد الغيب المطلق و القدس الحق فيجد لذّة الفناء و يعرف سرّ البقاء و يقدر به علي كشف السبحات و يري من نور ربه ما لايخطر علي قلب احد و يقوي فيه نور الله و يقتدر علي النظر بالنور و بعد ما صار كاملا في مدرسة استاد الازل بقوة الحيوة التي لمتزل و البقاء بالوجود الاول يؤمر بالسير الي الآثار و كسوة الانوار فيسافر الي الخلق و يمرّ بمبدء كل شئ الي منتهاه و في سفره الاول لعدم كماله لميكن يقتدر علي معرفة كل شئ من الجزئيات و الكليات مع انه كان مشتاقا الي لقاء ربه

و لميكن ينظر الي شئ و في هذا السفر يؤمر النجباء بل النقباء بالنظر و ادامة الفكر فبنظرهم الي كل جهة و حيث يحصل لهم علم ذلك الشئ فاعلم اولا انه ليس الا الله و نوره و جميع الخلق نوره و هو ظاهر فيهم فينقسم مقامات الاشياء الي ظاهر و ظهور و مظهر و لكل جهات و علوم فمن حيث نظرهم الي الظاهر يحصل لهم علم البيان و الاحدية و الحق و الوجوب و الغيب الاول و كنت كنزا مخفيا و علم النقطة و العماء و من نظرهم الي نفس الظهور يحصل لهم علم المعاني و سرّ الامكان و الاطلاق و العزّة و الغلبة و القهر و القدرة و السلطنة و الولاية اذ يعلمون في هذا المقام علم المسمّي و حقايق الصفات و الواحدية و الرحمانية و الغيب الثاني و امثال ذلك من الالقاب و الصفات و من حيث نظرهم الي المظاهر يحصل لهم علوم كثيرة فمن نظرهم الي حقايق الاشياء من حيث الصدور من المبدء يحصل لهم العلم الالهي بالمعني الاعم علي اصطلاح الحكماء و علم الاطوار و الادوار و علم المحبة و الولاية و علم الكلمة التامة و علم الاسماء و الصفات و الحقايق و الهويات و النسب و الارتباطات بل علموا في نظرهم هذا علم الظهور و البطون و علم السرّ المكنون و علم الافتراق و التلاق و علم الجبروت و الملكوت و الناسوت و علم التقدم و التأخر و علم الترقي و التنزل و علم البساطة و التركيب و علم البعيد و القريب و علم حقايق الموجودات من الكينونات و الانيّات و الاقترانات و الارتباطات و امثال ذلك و من نظرهم الي حيث الناظر يحصل لهم علم الميزان و علم البرهان و علم المحاورات و المخاطبات و علم المباحث و المناظرات و من نظرهم الي ظواهر الذوات يحصل لهم علم المواد الطبيعية و الصناعة و علم الطبايع و الامزجة و علم الاقتران و الضم و الاستنتاج و علم التركيب و علم التوليد و علم الاتصال و الافتراق و علم المباعدة و التلاق و علم الصعود و النزول و علم الخروج و الحلول و علم الجواهر و امثال ذلك مما يتعلق بهذا المقام ، ثم من نظرهم الي

المقادير يحصل لهم علم الرياضي بجميع فروعه و من نظرهم الي نسبة الذوات النورية الي الاجسام الكدرة و تفصيل ما فيها من مظاهر اجزاء العالم غيبا و شهادة و تركيبها حصل لهم علوم بحسب تعلقها بانواع المواد و مجموعها يدور علي علم الاكسير في المعادن و تطبيقها مع العوالم الغيبية و من نظرهم الي نسب الاوضاع الفلكية و طبايعها و آثارها حصل لهم علم النجوم و علم الاحكام و امثال ذلك ، و اذا نظروا الي مناسباتها في المركبات الجسمية يحصل لهم علم القيافة و الكتف و البلدان و الجبال و ذلك علم بسيط شريف و من نظرهم الي ظهور الاشباح يتحقق لهم علوم كثيرة مثل علم المناظر و المرايا و علم نقش الاسطرلاب و علم التسطيح و الرخايم و الرمل و الخيوط و امثال ذلك و من نظرهم الي الصفات المنفصلة يحصل لهم علوم ففي الالفاظ و الحروف من نظرهم الي دلالتها و وضعها يحصل لهم علم اللغة و من نظرهم الي صفات ادائها يحصل لهم علم التجويد و من نظرهم الي مواد الكلمات و اشتقاقها يحصل لهم علم التصريف و من نظرهم الي احوال حركاتها و سكوناتها في اقتراناتها يحصل لهم علم النحو و من نظرهم

الي حسن السبك و التعبير و التأدية يحصل لهم علم البيان و المعاني و من نظرهم الي تأليف الكلمات و تناسبها و موافقتها للطبايع المستقيمة و الموازين يتحقق لهم علم العروض ، ثم من حيث نظرهم الي قوي الحروف و طبايعها يحصل لهم علوم كثيرة فمن حيث تكسيرها يحصل لهم علم الجفر و من حيث تركيبها بامزجة خاصة يحصل لهم علم الهيميا و العزايم و الاوفاق و التصريفات و امثال ذلك ، ثم من حيث نظرهم الي المعاني يحصل لهم علوم فمن حيث نظرهم الي استنباط المعاني منها يحصل لهم علم الاصول و من حيث نظرهم الي الدلالات يحصل لهم علم التفقه في الكلمات ، ثم من حيث النظر الي ساير الصفات المنفصلة يحصل لهم علوم فمن نظرهم الي كيفية استنباط اسباب الترقي و التنزّل يتحقق لهم علوم فمن نظرهم الي التكاليف السرّية يحصل

صفحه ٥٢٨

لهم علم المحبة و الحقيقة و من نظرهم الي التكاليف القلبية يحصل لهم علم الطريقة و من نظرهم الي الجسمية يحصل لهم علم الشريعة و من نظرهم الي التدابير الدنياوية و المصالح ايضا يحصل لهم علوم من جهات مجملها تدبير المنزل و سياسة العيال و سياسة الخلق و سياسة البدن و امثال ذلك و من حيث نظرهم الي الابدان و طريق حفظها عن المنافرات و استعمال الموافقات يحصل لهم علم طب الابدان و من حيث النظر الي بواعث ظهور الآثار في القوابل و التكميلات يحصل لهم علوم كثيرة فاذا نظروا الي كيفية تسخير الارواح الغيبية و الملئكة الثلثة شمعون و سيمون و زيتون الموكّلين بالافكار يحصل لهم علم السيميا و من نظرهم الي سرعة الحركات و عجايب المعالجات يحصل لهم علم الريميا و من نظرهم الي تركيب العقاقير تركيبا خاصا يجذب روحا خاصا من المبدء من الرفع و الوضع و الجذب و الدفع و التفريق و الوصل و امثال ذلك يتحقق لهم علم الليمياء و من نظرهم الي اسباب اظهار كوامن ما اودع في النباتات يحصل لهم علم الفلاحة و من نظرهم الي ما يخرج كوامن المعادن يحصل لهم علم المعدن و من نظرهم الي تكميل النواقص في الصور المتممة يحصل علومٌ الله اعرف بها و منها علم الصناعات و من نظرهم الي كيفية نزول الحقايق و تلبّسها بالالبسة يحصل لهم علم التأويل و التعبير و لذلك مقدمات كثيرة ثم لجميع ما ذكرنا جزئيات كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و هم يقفون علي جميعها و الفرق بينهم و بين النقباء في العلوم النفسانية ان النقباء يقفون علي الحقايق و هم يطلعون علي الظواهر ثم بعد ما تكملوا في هذه العلوم و الرسوم يؤمرون بالسير في الخلق و يحصل لهم في هذا السفر ايضا علوم كثيرة بل يشاهدون العلوم التي وجدوها في هذا السفر بالتجارب و النظر و يحصل لهم تفاصيل عرضية كثيرة لاتعدّ و لاتحصي و بعد ما قاموا في الخلق يسوسون العباد و يعمرون البلاد و لله علي الخلق ان يقبلوا اليهم بالتوجه و الخلوص و يتكملوا

صفحه ٥٢٩

منهم و ما ذكرنا آثارهم و علاماتهم و بها يعرفون .

فصل اعلم ان ما ذكرنا من الكمالات مخصوصة بالكليين من النقباء و النجباء و اما الجزئيون منهم فلايبلغون هذا المبلغ بل هم بمنزلة الافراد للكليين فان النقيب الكلي صاحب

العقل الكلي و النقباء الجزئيون افراد له يحكون العقل بجزئيتهم و نسبتهم من الكلي نسبة الشمس الي العرش فان العرش هو المتجلي الي الشمس الناظر فيها و نسبة نورها الي العرش كالواحد الي السبعين و اعلم انهم ايادي النقيب الكلي و هو الآمر الناهي و يحتمل ان يكون الكلي في كل عصر واحدا و الباقون جزئيين كما سمعت ان في زمان اميرالمؤمنين عليه السلام سلمان كان واحدا و لميكن معه احد في شأنه و كذا في زمان مفضل و زمان يونس و ازمنة النوّاب فان كل كلي كان في زمانه فردا في ما علمنا اذ هو الحاكي عن الغوث الاعظم عجّل الله فرجه و يحتمل ان يكون هذا الامر جاريا في كل زمان و الله اعلم و كذلك النجباء الجزئيون افراد النجيب الكلي اذ هو الذي يحكي النفس الكلية و الافراد بمنزلة المشاعر البرزخية و كل منهم يحكي جهة من جهات الكمال و حيثا من حيوث الجمال و يوكلهم الله علي الناس و الكلي حافظ لهم و هو من ورائهم محيط و النقيب الكلي فوق الفوق و وراء الوراء فافهم و يكفي هذا القدر من البيان في فضايلهم الجزئية ان شاء الله تعالي اذ مرادنا محض الاشارة و ذكر بعض الكليات .

المنقبة الثالثة في فضايلهم في المقامات الاربعة ، و اعلم ان بعد بسط القول فيها في مقام الامامة لانحتاج الي بسط القول فيها هنا و يكفي مجملا ان نقول ان ما ثبت لهم بالاصالة يثبت لشيعتهم بالفرعية و لكن لا بدّ من اشارة الي المراد في الجملة فاعلم اولا من باب المقدمة ان الشيعة خلقوا من نور آلمحمد و طينتهم

و النور كائنا ما كان علي صفة منيره و المنير هو آلمحمد عليهم السلام و قد عرفت انهم جامعون لفضايل لاتحصي يجمعها كليات اربعة البيان و المعاني و البابية و الامامة و كذلك شيعتهم الذين خلقوا من نورهم و فضل طينتهم لهم هذه الصفات بحسبهم الاتري ان نور القمر علي حسبه و نور الشمس علي حسبها و نور كل ذي نور علي حسبه و الا للزم تفاوت النور مع المنير و الوصف مع الموصوف و ذلك من المحال فعلي ذلك جميع ما يثبت لهم صلوات الله عليهم من الفضايل يثبت لشيعتهم و لكن لهم بالاصلية و لشيعتهم بالفرعية فللشيعة مقام بيان و ذلك ان الله سبحانه ذات احدية و الاحد جل شأنه لاينتهي الي شئ مطلقا و نوره الاول و تجليه الاعلي ايضا لايحدّ بحدّ لا في نفسه و لا في الظهور فان ما لايحدّ في ذاته لايحدّ في ظهوره ايضا فلايمكن ان يقال انه يظهر في فلان و لايظهر في فلان فان الحديد الذي يظهر في شئ و لايظهر في شئ ليس ذلك الا لاجل محدوديته في ذاته و لو لميكن محدودا لظهر في كل شئ كالجسم مثلا بالنسبة الي ما دونه مع ان امره ايضا نسبي و الله سبحانه فوق كل محدود فلايحدّ بشئ ابدا بوجه من الوجوه و ذلك امر مسلّم معلوم فظهوره سبحانه لاينحصر في الاعلي دون الاسفل و الاخص دون الاخس بل يظهر في كل شئ نعم كل مرآة تحكيه بحسبها مع انه يظهر في كلها بالسواء فالمرآة الجامعة تحكي نور ربّها في غاية الكمال و البساطة و الاحدية و الناقصة بحسبها فالشيعة يحكون نور الله بحسبهم و النور نور بمشاهدة المنير و الآية آية بمشاهدة ذي الآية فالله سبحانه يري منهم علانية و يظهر منهم قال الله تعالي انما يتقرّب اليَّ العبد بالنوافل حتي أُحبّه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و في خبر آخر و رجله التي يمشي بها ، ان دعاني اجبته و ان سكت عنّي ابتدأته ، و قال

عليه السلام لو كشف الغطاء عن الناس و شاهدوا الوصل بين المؤمن و نور الله للانت له قلوبهم

و خضعت له رقابهم ، و قد رويته بالمعني و قال المؤمن ليس من الله بموصول و لا مفصول و قال تعالي من آذي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة و دعاني اليها ، و روي ان قلب المؤمن عرش الرحمن و قال ابوعبدالله عليه السلام في قوله عز و جل كل شئ هالك الا وجهه قال من اتي بما امر به من طاعته و طاعة محمد (ص) فهو الوجه الذي لايهلك و لذلك قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ، و جميع ذلك و ما قاربه من الاخبار يتعلق بمقامهم هذا و لكن هنا دقيقة يجب التنبيه عليها و هي ان في السلسلة الشرعية حقايق الشيعة خلقت من نور آلمحمد عليهم السلام و نورهم من نور الله فما يصل اليهم من الله يكون بواسطة آلمحمد عليهم السلام لانهم فوّارة انوار الله تعالي فنور بيانهم ايضا من نور آلمحمد عليهم السلام و فرعهم ثم من بعد ذلك مقام المعاني و مبدء المباني و ظهور السبع المثاني كما مرّ سابقا ان الاسماء الثمانية و العشرين ظاهرة فيهم ثم من بعد ذلك مقام الابواب فانه لا شك ان الظاهر باب المعني و الشهادة باب الغيب و قد قال عليه السلام سلمان باب الله في الارض و قال عليه السلام سبيل الله شيعتنا ، ثم من بعد ذلك مقام الامامة و قد جعلهم الله اماما لمن بعدهم و امامتهم ايضا بنسبة ساير مقاماتهم فكما ان بيانهم و معانيهم و بابيتهم فرع مقامات آلمحمد سلام الله عليهم كذلك امامتهم و قد ورد في اخبار كثيرة تسميتهم باسم الامام و قد مرّ بعضها و قد صرّح الامام عليه السلام في حديث بان العالم امام الناس و في حديث همام ان المؤمن امام لمن بعده من اهل البرّ و بالجملة الامام بمعني العالم المقتدي به و قد جعل ليؤتم به فيجب علي جميع الخلق الاقتداء بهم و اخذ الدين منهم و من انكرهم عالما كان او جاهلا فقيها كان او مقلدا عن معرفة كفر بالله قال عليه السلام سلمان باب الله من عرفه كان مؤمنا و من انكره كان كافرا ، و لايقبل الله من احد كائنا من كان الا بولايتهم و القبول منهم و من قال بغير ذلك فلاتقبل منه

و قد وكل الله بكل زمان واحدا من كبارهم اِما ظاهر مشهور او خائف مغمور و هو الحافظ للدين باذن امامه و هو الناطق الفرد و هو النايب الخاص و قد بيّنت وصفه في الرسالة المزيدية و لست في هذه الرسالة بصدد بسطه ثم لما كان بناء الدين علي معرفة هذه الانجاب و بدون ذلك لايكمل لاحد دين و لايصل احد الي درجة اليقين لا بدّ من ان ننبّه علي علاماتهم و نذكر بعض صفاتهم .

المنقبة الرابعة اعلم ان الكاملين لهم صفات خاصة و فضايل كثيرة في ابدانهم و في اخلاقهم و في احوالهم و نفوسهم بها يمتازون عن غيرهم اما الفضايل المتعلقة بنفسهم و علمهم فقد مرّ ذكرها و اما في الابدان و الاخلاق فاعلم ان كاملي الشيعة طيب المولد فان ولد الزنا لاينجب و لايكونون من سفلة الناس و لا زايدي الخلقة و لا سيئ القيافة علي ما قرّر في الاخبار كالاسود الحلكوك و الطويل في الغاية و الكوسج و غير ذلك من القيافات السيئة و اما ما ذكر في الاخبار من البلاد و القبايل فلها معارضات من الاخبار الصحيحة

و الثابت لنا ان كل مؤمن عرب و قرشي و هاشمي و علوي و فاطمي و لو كان في الظاهر من الشجرة الملعونة او من البصرة و اصبهان فان المؤمن مدني مكي هذا ما يظهر من الاخبار و صحيح الاعتبار نعم نوعا بعض القبائل اشرف من بعض و بعض البلدان اشرف من بعض و اما ما يرجع الي اخلاقهم فكثيرة و ورد فيها اخبار اكتفي بنقل حديث همام و هو حديث جامع شريف قال اميرالمؤمنين عليه السلام لهمام المؤمن هو الكيِّسُ الفَطِن بُشْرُه في وجهه و حزنه في قلبه اوسع شئ صدرا و اذلّ شئ نفسا ، زاجرٌ عن كل فانٍ حاضّ علي كل حسن ، لا حقود و لا حسود و لا وثّاب و لا سبّاب و لا عيّاب و لا مغتاب ، يكره الرفعة و يشنأ السمعة ، طويل الغمّ بعيد الهمّ كثير الصمت ، وقور ذكور صبور شكور ، مغموم بفكره مسرور بفقره ، سهل الخليقة ليّن العريكة رصين الوفاء قليل الاذي لا متأفك و لا متهتك ، ان ضحك لميخرق و ان

غضب لمينزق ، ضحكه تبسّم و استفهامه تعلّم و مراجعته تفهّم ، كثير علمه عظيم حلمه كثير الرحمة ، لايبخل و لايعجل و لايضجر و لايبطر و لايحيف في حكمه و لايجور في علمه ، نفسه اصلب من الصلد و مكادحته احلي من الشهد ، لا جَشِع و لا هَلِع و لا عَنِف و لا صَلِف و لا متكلِّف و لا متعمِق ، جميل المنازعة كريم المراجعة ، عدل ان غضب رفيق ان طلب ، لايتهور و لايتهتك و لايتجبر ، خالص الودّ وثيق العهد وفيّ العقد ، شفيق وصول حليم خمول قليل الفضول ، راضٍ عن الله عز و جل مخالف لهواه ، لايغلظ علي من دونه و لايخوض فيما لايعنيه ، ناصر للدين محامٍ عن المؤمنين كهف للمسلمين ، لايخرق الثناء سمعه و لاينكأ الطمع قلبه و لايصرف اللّعب حكمه و لايطلع الجاهل علمه ، قوّال عمّال عالم حازم لا بفحّاش و لا بطيّاش ، وصول في غير عنف بذول في غير سرف ، لا بختّال و لا بغدّار و لايقتفي اثرا و لايحيف بشرا ، رفيق بالخلق ساعٍ في الارض عون للضعيف غوث للملهوف ، لايهتك سترا و لايكشف سرّا ، كثير البلوٰي قليل الشكوٰي ، ان رأي خيرا ذكره و ان عاين شرّا ستره ، يستر العيب و يحفظ الغيب و يقيل العثرة و يغفر الزلّة ، لايطلع علي نصح فيذره و لايدع جنح حيف فيصلحه ، امين رصين تقي نقي زكي رضي ، يقبل العذر و يجمل الذكر و يحسن بالناس الظن و يتهم علي العيب نفسه ، يحبّ في الله بفقه و علم و يقطع في الله بحزم و عزم ، لايخرق به فرح و لايطيش به مرح ، مذكّر للعالم معلّم للجاهل ، لايتوقع له بائقة و لايخاف له غايلة ، كل سعي اخلص عنده من سعيه و كل نفس اصلح عنده من نفسه ، عالم بعيبه شاغل بغمّه لايثق بغير ربه ، غريب وحيد حزين ، يحب في الله و يجاهد في الله ليتبع رضاه و لاينتقم لنفسه بنفسه و لايوالي في سخط ربّه ، مُجالس لاهل الفقر مُصادق لاهل الصدق موازر لاهل الحق ، عون للغريب اب لليتيم بعل للارملة حفيّ باهل المسكنة مرجوّ لكل كريمة مأمول لكل شدّة ، هشّاش بشّاش لا بعبّاس و لا بحبّاس صليب كظّام بسّام ، دقيق النظر عظيم الحذر لايبخل و ان بخل عليه صبر ، عقل

فاستحيي و قنع فاستغني ، حياؤه يعلو شهوته و وُدّه يعلو حسده و عفوه يعلو حقده ، لاينطق بغير صواب و لايلبس الا الاقتصاد ، مشيه التواضع خاضع لربه بطاعته راضٍ عنه في كل حالاته ، نيته خالصة اعماله ليس فيها غشّ و لا خديعة ، نظره عبرة و سكوته فكرة و كلامه حكمة ، مناصحا متباذلا متواخيا ناصح في السرّ و العلانية ، لايهجر اخاه و لايغتابه و لايمكر به و لايأسف علي ما فاته و لايحزن علي ما اصابه و لايرجو ما لايجوز له الرجاء و لايفشل في الشدّة و لايبطر في الرخاء ، يمزج الحلم بالعلم و العقل بالصبر ، تراه بعيدا كسله دائما نشاطه قريبا امله قليلا زلله متوقعا لاجله خاشعا قلبه ذاكرا ربه قانعةً نفسه منفيا جهله سهلا امره حزينا لذنبه ميتةً شهوته كظوما غيظه صافيا خُلقه آمنا منه جاره ضعيفا كبره قانعا بالذي قدّر له متينا صبره محكما امره كثيرا ذكره ، يخالط الناس ليعلم و يصمت ليسلم و يسأل ليفهم و يتجر ليغنم ، لاينصت للخير ليفخر به و لايتكلم ليتجبر به علي من سواه ، نفسه منه في عناء و الناس منه في راحة ، اتعب نفسه لآخرته فاراح الناس من نفسه ، ان بغي عليه صبر حتي يكون الله الذي ينتصر له ، بُعده ممن تباعد منه بغض و نزاهة و دنوّه ممن دنا منه لين و رحمة ، ليس تباعده تكبّرا و لا عظمة و لا دنوّه خديعة و لا خلابة بل يقتدي بمن كان قبله من اهل الخير فهو امام لمن بعده من اهل البرّ ، و لما انتهي كلامه عليه السلام الي هنا صاح همام صيحة و مات ، و هذه صفات كاملي الشيعة و غيرهم لايبلغ هذا المبلغ فلايشتبه امرهم فكل من وجدته متصفا بهذه الصفات فاعلم انه من الكاملين ثم انه من ايّ مقام يعرف باظهاره و ساير الآثار .

المقام الثالث في لزوم معرفتهم و ذلك اصل اصيل يجب اتقانه و قد بسطت القول في ذلك في بعض رسائلي و بيّنت ما ينبغي ان يبيّن و رويت بعض الاخبار المتعلقة بذلك سابقا و اشرت الي بعض الادلة مجملا و لكني اريد ان افصّل المسألة هنا

في الجملة حتي يظهر المراد و فيه فصول :

فصل اعلم ان الله سبحانه بذاته علت عن درك الابصار و لاتكاد تحويه خواطر الافكار و لاتمثّله غوامض الظنون في الاسرار و ذلك كلام بتّي لانتقي فيه احدا و لانكتم منه شيئا و حق القول انه لايعرف و شاهد صدق ذلك ان جميع اسرار الحكماء و مكتومات العلماء مكشوفة في القرآن لاهل العيان و لاتري فيه الا انه قال لاتدركه الابصار و هو يدرك الابصار و هو اللطيف الخبير و كل من يدرك او يعقل او يوصف او يكتنه فهو محدود و كل ما ميزتموه باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود اليكم و خالق الاشياء لايكتنه ابدا و سرّ ذلك معلوم بيّن مكشوف و قد مرّ سابقا في التوحيد و الكلام المجمل الحق فيه انه تعالي ذات احدية و الاحد امتناع ما سواه فاذا كنت ممتنعا معه فمن العارف و المعروف نعم هو تعالي يعرف نفسه فلايكاد يصل اليه احد من الخلق بوجه الا ان يظهر لهم فيما يمكن ان يدرك و غير ذلك محال بل ذلك شأن كل غايب عن الانظار بعيد عن الابصار و المظهر لا بدّ و ان يكون مدركا بنفسه اذ لو لميكن مدركا لمازاد ظهور الغايب الا غيبة و قد ضرب الله لك مثلا ان النار غايبة عن النظر الجسماني و لاتكاد تدركها الابصار الغليظة فلا بدّ لظهورها من مادة مشهودة مرئية و لو لمتظهر من مادة هكذا

لاتدرك ابدا اذ لميكن وجه عدم رؤيتها الا غيبتها فان ظهرت من مادة لطيفة لاتفيد شيئا لانها ايضا غاية الاتري ان تعلق نور الشمس بالهواء اللطيف لايفيد لك نورا لان النور بنفسه غير مرئي و الهواء ايضا غير مرئي فلاتري في الجو الا ظلمة مع انه نيّر و لكن بعد ما ظهر النور في مادة غليظة كعينك يدرك و كذلك الامر في نور الله فانه مع انه اظهر من كل شئ مخفي عن نظرك و ذلك قوله عليه السلام خفي لشدّة ظهوره و استتر لعظم نوره ، و لذلك ظهر لخلقه فيما يدركون و كشف عن حقيقة ذلك

في كتابه اذ قال الله نور السموات و الارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري فالمشكوة جسم غليظ مشهود للخلق و قد ظهر النور فيه و منه و الخلق يستضيئون دايما من المشكوة و نورها من الزجاجة المنورة بنور المصباح فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الغيب الممتنع الذي لايدرك ظهر للناس في النقباء و النجباء ليدركوه بالمجانسة و المناسبة و بغير ذلك لايدرك احد ربّه نعم النقباء ايضا لانهم لايكادون يصلون الي الله سبحانه فلايستضيئون الا بنور ظهر لهم في الاركان و هم بسبب المناسبة مع الاركان يستضيئون منهم كما يستضيء المشكوة من الزجاجة و الاركان ايضا لايستضيئون من الذات و لكنها ظهرت لهم بالغوث الاعظم صلي الله عليه و لولا الاركان و النقباء و النجباء لماعرف الناس ربهم بظهوره من الغوث الاعظم لان نفس مادة الغوث الاعظم خارجة عن حد ادراك الخلق اذ هي اول ما خلق و مؤثر الكل و كيف يدرك الاثر مؤثره و لذا قال عليه السلام الامام لايوصف و قال عليه السلام ظاهري امامة و وصية و باطني غيب ممتنع لايدرك و قال النبي (ص) ما معناه يا علي ماعرفك الا الله و انا و ماعرفني الا الله و انت و ماعرف الله الا انا و انت ، و كذلك لو لميكن النقباء لماعرف الناس ربهم بالاركان لعدم المناسبة و ليس ذلك من نقص الاركان و الامام بل من نقص الناس بل اقول لولا النجباء لماانتفع الناس من النقباء بل لولا نفوسهم المستضيئة من نور نفس النجباء لماانتفعوا بهم ابدا و من عرف نفسه فقد عرف ربّه و مثل ذلك انه لولا الافلاك النازلة من الشمس لمااستضاء بنورها الهواء لبُعد المناسبة و لولا الهواء لمااستنار الهباء و لولا الهباء لمااستنار الارض و لولا عين الناظر لماطلع الانسان علي النور ابدا و لولا الارض و الهباء لمارأي العين و هكذا الي فوق و العين مثل النفس فلو كان الدنيا برُمّتها نورا و لا عين لك لماافادك شيئا فاسع جهدك في تحصيل عين تعرف بها ربك حتي تكون

من الفايزين الاتري ان الآن في الملك نقباء و نجباء و لا عين لك فلاتعرفهم و لاتستفيد منهم اللهم الا ما يرشح عليك من طفحات فيوضهم تفضّلا .

فصل كما انه لاتكاد تعرف ربك الا فيهم لاتعرف نبيك و امامك ايضا الا بهم الاتري الي قوله عليه السلام في الدعاء الذي امر الشيعة بمداومته اللهم عرّفني نفسك فانك ان لمتعرّفني نفسك لماعرف نبيك اللهم عرّفني نبيك فانك ان لمتعرّفني نبيك لماعرف وليك اللهم عرّفني وليك فانك ان لمتعرّفني وليك لماعرف حجتك اللهم عرّفني حجتك فانك ان

لمتعرّفني حجتك ضللتُ عن ديني ، و قد ذكر عليه السلام من الاعلي لهتك الستر لغلبة السرّ و في قوس الصعود لا بدّ من السير من الاسفل و لذلك قال الله تعالي و جعلنا بينهم و بين القري التي باركنا فيها قري ظاهرة الآية ، فلا بدّ من السير من القري الظاهرة الي الباطنة فالنبي الغايب عن درك الابصار لعلوّ مرتبته و الامام الغايب لايدركان الا في شيعتهم الاتري انك لاتدرك الشمس الا في انوارها و قد مرّ سابقا ان الشيعة للامام بمنزلة الفرد للمطلق و الاسم للمسمّي و كيف يدرك المطلق الا في الفرد و المسمي الا في الاسم فلايعرفهم الا من عرف النقباء و النجباء فان مقام المصباح و الزجاجة المشكوة و لذلك سمّوا من لميعرف كامل عصره جاهلا صرفا بل كافرا قال عليه السلام من مات و لميعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية و سئل الامام اللاحق عليه السلام عن هذا الحديث فقال بل ميتة كفر و نفاق و قال في حديث في معرفة الله معرفة اهل كل زمان امامهم ، و لا شك ان امام الزمان غير سادات الانس و الجان فانهم ائمة كل الاوان و قد مرّ شاهد صدق البيان من احاديث ائمة جميع القرون و الازمان فعلي ذلك من لميعرفه فلايثبت له دين فان حال اهل الجاهلية مكشوف لميكونوا يعرفون ربّا و لا دينا و لا نبيا و لا كتابا و لا شرعا و لا اماما و عرفاؤهم اغلبهم كانوا عبدة الاوثان و من لميعرف الله في ذلك الزمان يرجع الي الجاهلية

غاية الامر انهم كانوا يعلّقون الاصنام علي بيت الله الجمادي و هؤلاء يطوفون علي البيت و يعبدون الاصنام الخيالية اذ يتصورون في انفسهم ما لميرض به الله بل ربما ينصبون لانفسهم من لمينصبه الله و يقلّدون من لميحبّه الله فيصيرون كاليهود و النصاري اذ جعلوا علماءهم اربابا بالجملة هذه المسألة من اسرار آلمحمد عليهم السلام و لايمكن كشفها اكثر من ذلك و هؤلاء الجهّال جعلوا لانفسهم قوانين و نصبوا برأيهم موازين و سمّوا بديهيات عقولهم ضرورة الدين و انكروا صريح الكتاب المبين و اصلا عظيما من اصول الدين عليه اساس اليقين و به يقوم سنّة نبي العالمين و يظهر اسرار سيّد المرسلين فكيف يمكن افشاء المطلب اكثر من ذلك فنرجع الي بعض البيانات الظاهرة التي يعرفها قلوبهم و يسكن اليها نفوسهم .

فصل لا شك ان النبي (ص) اتي لهداية الخلق و قام لاظهار الدين و بيّن الشرع المبين و نزل عليه الكتاب المستبين و قد شرح صلي الله عليه و آله جميع الاحكام و جلّ الحلال و الحرام و تفسير الكتاب من المبدأ و المآب لوليه عليه السلام و وصف للناس شأنه اذ لميكن يمكن بيان جميع الحكم للخلق الناقصين مع ان شرعه كان دايما و حكمه كان قايما اذ هو خاتم الانبياء و به كمل عدد الاصفياء و كتابه ختم الكتب و شرعه ختم الشرايع فلا بدّ و ان يبقي الحكم الي انقراض الملك و ذلك لايمكن بنشره و بثّه في الناس من دون حامل كما لايخفي علي ذي مسكة فعلّم وليه علومه ثم بيّن للناس فضله ليعرفوه لان المعرفة شرط اخذ الدين فان اول عبادة الله معرفته و اول طاعة وليه معرفته و لو لميعرفوه لماحصل لهم البتّ باخذ الدين من اهله و ذلك مسلّم لا شك فيه ثم وصف الولي للناس ما كانوا يحتاجون اليه و حكم بينهم و علّم العلوم و الحكم ايضا وليه القايم في مقامه و بين للناس فضله لعين

ما مرّ و لان من طباع كل موجود حفظ نوعه و لذا تري ان كل مولود يدّخر نطفة لخلق مثله من صوافي بدنه

لانه العمدة ثم يصرف ساير الفضول في تغذية ساير بدنه و لذا تري ان الانسان بل الحيوان يختار لولده بعد فصاله ايضا اشرف الاغذية و يختار لنفسه اخسها بل النبات يجمع حبته من لطايف ما يجذب اليه في اشرف و ارفع فروعه و يحفظها اشدّ الحفظ في قشور و سنابل و غلف و اذا كان هذا شأن اخس الخلق مع قلة اعتناء الحكيم الصانع بها فما ظنك بالاعالي الذين هم اصول الخلق و غاياتهم و عمدة نظر الحكيم اليهم و بالجملة فالامر كذلك في الانبياء و الاولياء دايما يسعون في حفظ نوعهم فكل امام يودع الامامة عند مثله و يبيّن حاله للخلق و بذلك دار الامر ما دار الي ان انتهي الامر الي الامام الثانيعشر عليه السلام و عجّل الله فرجه فغاب عن الانظار لمصالح سمح بها العلماء الاخيار في كتبهم و لما كان هو مخزن الشرع و الكتاب و معدن الحكمة و فصل الخطاب خفي بغيبته العلوم و ذهب بذهابه الرسوم فنصب بين الخلق في عالم المشاهدة نايبا نصّ عليه و جعله عيبة علمه و كهف حديثه و كتابه و صرّح بنيابته عنه و امر بالرجوع اليه و جعل القبول منه ايمانا و الردّ عليه كفرا و نصّ كفر المنكرين و المبتدعين و كذلك من بعده نصّ نيابة نايب آخر و كذلك دار الامر الي تمام الاربعة و في جميع تلك الازمنة كان يجب تسليم اللاحق و معرفته كسابقه و من انكر اللاحق في كل زمان اماما كان او نبيا او وصيا صار كافرا ملحدا و قد احبّ الله في جميع هذه الاعصار و الادوار ان يعبد بالرجال لا بمحض الكتاب و القول و بالجملة و خرج علي يد بعض النواب اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الي رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم و انا حجة الله و خرج ايضا لا عذر لاحد من موالينا في التشكيك فيما يرويه عنا ثقاتنا و قد عرفوا بانّا نفاوضهم سرّنا و نحملهم اياه اليهم ، و ايّد عليه السلام و قبل هذا الحديث انظروا الي رجل منكم قد روي حديثنا و نظر في حلالنا و حرامنا و عرف احكامنا فارضوا به حكما فاني قد جعلته عليكم حاكما ، و قد نقلتُه بالمعني كما

هو عادة مشايخنا في نقله و قطع التنصيص الخاص علي الرابع من النوّاب لاسرار جمة يضيق الكتاب ببيانها و لايضيق الصدر بكتمانها و نصّ علي النوع في الاخبار المزبورة و غيرها و لميقطع اشخاص النواب فان بانقطاعهم ينقطع آثار الدين و ينصرم سنّة سيد المرسلين و يشهد بذلك اخبار الائمة الطاهرين سلام الله عليهم اجمعين و لكن المصالح التي منها الامتحان اقتضت كتم اسمائهم و بيان صفاتهم و هم حملة علم الامام و مشرّحوا حكمه و لولاهم لفسد جميع ما جاء به الانبياء و ان الامر الذي حمله و بلغه المعصومون في جميع الادوار و الاكوار لايوكل الي الجهال او العلماء الذين لايعرفون الا بعض الجزئيات فلا بدّ له من حملة يقدرون علي حمله و قد وصفهم الامام بالوثاقة المطلقة و الثقة المطلق غير العالم القشري و الفقيه الظاهري فانهم و ان كانوا ثقات الا انهم ثقات في صرف الرواية باللسان او بعض الدرايات من الروايات بقدر ما يتحمله الفقيه و لكنهم

لايكونون ثقات في العلوم الغيبية و الحكم الالهية الاتري انهم ينكرون اكثر الروايات التي لايقبلها عقولهم من الحكم و الفضايل و ينسبون رواتها الي الغلو مع انها ليست في حدّها باضعف مما يعملون به و يصححونه فلو احسنت الظن بهم و وثّقتهم مطلقا للزمك انكار اكثر الفضايل التي يشهد بثبوتها لهم الكتاب و السنة هذا شيخنا الشيخ المفيد عليه الرحمة ينكر الرجعة مطلقا فان اطمأننت بوثاقته و قلت انه صادق فيما يقول يلزمك انكار الرجعة فهل ترضي بذلك مع ان الله لايرضي به فلا بدّ لك ان تقول انه ثقة فيما عرفه و لكنه لايكون ثقة في غيره فالثقة الذي فاوضوه سرّهم هو ثقة في جميع قوله و فعله و علمه و فهمه و فكره و ذكره و مَن هو الا النجيب الفاضل و النقيب الكامل حملة الاسرار و خزنة علوم الاطهار فتدبر و انصف و لاتعتسف و بالجملة يلزم وجود علماء راسخين لحفظ الدين و يجب علي الناس ان يأخذوا دينهم منهم و لايمكن ذلك الا بمعرفتهم فان الاخذ فرع المعرفة فانك ان لمتعرف الرجل

كيف تعرف انه اهل حق او باطل ، مؤمن او كافر ، ثقة او غير ثقة ، فاول الدين بعد معرفة الله و رسوله و الائمة (ع) معرفة العالم الذي تأخذ الدين منه فلذلك قلنا ان معرفتهم من اصول الدين فافهم و اما ساير الناس فلا دليل لهم في اصلية ما عدّوه اصلا و خلفهم اخذ من سلفهم بصرف التقليد كما هو عادتهم في جميع امورهم فان غاية علومهم في السنتهم و مصنفاتهم ان فلانا قال كذا و فلانا مال الي ذا و لايعرفون الحق من الباطل و المحلّي من العاطل و ليس هنا محل ذكر وجه تقسيم اصول الدين بين الاصحاب الي خمسة و قد فصّل ذلك مولاي و سيدي ابي الاستاد اعلي الله مقامه في الفطرة السليمة و ان احببت فراجع و قد مرّ سابقا اخبار في وجوب معرفتهم و ولايتهم و انها من الاصول و لااكرّرها طلب الايجاز و الاختصار بقي شئ و هو ان لزوم معرفة كبار الشيعة باشخاصهم متفرع علي ظهورهم و لزوم ظهورهم في كل زمان و حين بالاسم و الرسم من الاحكام الاولية و قد

تغيّرت البلاد و من عليها ** * ** و وجه الارض مغبرّ قبيح

فلايقتضي كل زمان ظهورهم لعامة الخلق اللهم الا بالاتفاق حينا مّا لمصلحة و لكن الاغلب انهم لايظهرون شأنهم مع اشتغالهم باظهار العلم و الدين و حفظ الاسلام و المسلمين فانه ورد اخبار كثيرة في عدم خلوّ الزمان من عالم يعرف الحلال و الحرام كيما ان زاد المؤمنون شيئا ردّهم و ان نقصوا اكمله لهم بل سئل عليه السلام عن خلو الزمان عن عالم قال اذا لايعبد الله ، فذلك محال في الحكمة و لكن يمكن ان لايظهروا شأنهم و يبيّنوا ما يحتاج اليه الناس بل ربما يظهرون بلباس الفقه اذا لميقتضِ الزمان غيره و ربما يظهرون باكثر من ذلك بحسب اقتضاء الزمان بل ربما يتفاوت حالهم في اظهار شأنهم بالنسبة الي الاشخاص و ذلك مقتضي الادلة بل قال ابي (اع) ربما لايظهرون بانفسهم اذا كان يكفي ادون منهم من العلماء و الحكماء و لكن الولي الكلي يراقبهم فاذا صار الامر هكذا و لايقدر الانسان علي معرفة شخص الكامل لايكلف بها اذ لايكلف

الله نفسا الا ما آتاها و يكلفهم دون طاقتهم دايما فيكفيهم الاقرار بوجودهم و لكن لا بدّ من معرفة حجة علي الحق لاخذ الدين عنه فان ذلك مما لا بدّ منه اذ لو لم‌يعرف الانسان عالما ثقة امينا لايقدر علي اصلاح دينه و يكفيك ان الامام عليه السلام لم‌يقل في حكمه اما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الي الكتاب و السنة و لكنه قال فارجعوا فيها الي رواة حديثنا ، فالمرجع راوي الحديث لاجل روايته لا نفس الحديث فانه لاينتفع منه كل احد نعم اذا كان الرجل بنفسه فقيها عارفا باللحن يقتدر علي اقتباس الاحكام من الكتاب و السنة علي النهج المقرر و لسنا بصدد بيان ذلك و اعلم ان هذا اي خفاء حجة الاصل بلاء من الله و امتحان و من ابتلي بهذا الزمان و لم‌يعرف حجته يعد ضالّا في اصطلاح الاخبار و ان كان مع ذلك مسلما و يكون من اهل الجنة ان كان مقرّا لقوله عليه السلام حق علي الله ان يدخل الضلّال الجنة ، حفظنا الله في هذا الزمان الخوّان من مردة الشيطان و يهدينا الي حجة الزمان بحرمة سادات الانس و الجان .

فصل اعلم ان العالم الذي يكون نايب الكامل هو المسلّم له في الكثير و القليل المتّبع له في كل حقير و جليل العارف به و لو نوعا ليقتدر علي هداية الناس الي سواء السبيل مقرّا بفضله غير منكر له فاذا رأيت العالم لايقرّ بوجوده او يقرّ به و ينكر فضله و لايظهر اولويته فاتّهمه علي دينك فان حجيته ليس الا لاجل نيابته عن حجة امامه و المنكر للمنوب عنه لايكون نايبا و محض علم الفقه و الحكمة ليس سبب الحقيّة فان الافرنجي ربما يتعلم ذلك و كذلك بالنسبة الي الائمة عليهم السلام يجب ان يكون مقرّا بفضايلهم فان الانكار لفضايلهم هو الكفر كما في الخبر فمن لايقر بفضلهم كيف يكون حجة علي رعيتهم و راعيا لغنمهم و يجب ان يكون عاملا بالاخبار تاركا للرأي و الهوي فان من عمل برأيه و لو في مسألة جزئية هلك و اهلك بل يلزم ان يكون في

جميع الحوادث و الاحكام راويا لما قاله مواليه ساكتا عما سكتوا عنه و يجب ان يكون زاهدا تقيا راغبا في الآخرة معرضا عن الدنيا حتي انه ورد في شأن الفقيه لايبالي اي ثوبيه ابتذل ، فاذا رأيت فقيها حريصا علي الدنيا راغبا عن الآخرة فاتهمه علي دينك و كذلك يجب ان يكون متذكرا لله سبحانه متفكرا في آياته عالما بالصلاح و الفساد حليما شكورا عابدا ناسكا حافظا للناس و اموالهم و اعراضهم و غير ذلك من الصفات التي يطول بذكرها الكتاب و قد رويت الاخبار في شأنهم في كتاب‌المبين و ليكن نفسك يا اخي اعز شئ عندك لاتقلّدها لكل ناعق فان الناس همج رعاع اتباع كل ناعق يهيمون مع كل هيم فاذا رأيت احدا من العلماء موصوفا بصفات ساداتك داعيا اليهم وليا لاوليائهم بريئا من اعدائهم فاقبل روايته و تمسك بحبله و الا فلاتكن متبعا للاقشاب فانهم شباك ابليس و اعلم ان من اصغي الي ناطق فقد عبده فان كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله و ان كان الناطق ينطق عن الشيطان فقد عبد الشيطان و لاتغتر ايضا بالتزهدات فان كيد الشيطان و مكره ضعيف في جنب الله و لكنه كثير في جنب الضعفاء فربما يتلبس بهذه الالبسة ليغوي اولياء الله قال الله تعالي حكاية عنه فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين و قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، و قال الامام عليه السلام لبعض شيعته انما رصد لك و لاصحابك و اما ساير الناس فهو في فراغ عنهم ، و حاصل الآية انه يتلبس بلباس اهل

الحق و اهل العلم فان هذا الصراط المستقيم لا لباس اهل الفسق و العصيان و يظهر التقوي و الزهد و العلم و الصلوة و الصيام و يزيّن للناس قشرياتهم و يسمّيها بضرورة دين النبي ثم ينكر علي الشيعة المخلصين ما يقولون مما يبعد من افهام هؤلاء الاقشاب بانا ماسمعنا هذا في آبائنا الاولين و انا وجدنا آباءنا علي امة و انا علي آثارهم مقتدون ، فيضلّ الناس عن سبيل الله فيا ايها الانسان لايغرّنك اعمالهم و صلواتهم و صومهم

صفحه ٥٤٤

و علومهم ان هي الا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءا حتي اذا جاءه لميجده شيئا و وجد الله عنده فوفاه حسابه و الله سريع الحساب ، و سيقدم الله الي ما عملوا من عمل فيجعله هباءا منثورا ، فانظر بعين الانصاف دون الاعتساف حتي تعرف الحق من الباطل و المحلّي من العاطل و اعلم ان مع كل داع الي الحق داعيا الي الباطل دايما من زمان آدم الي ظهور الامام (ع) بل الي الرجعة و الشبهة دايما تشبه الحق حتي انه عليه السلام قال تخرج قبل ظهور القائم (ع) اعلام مشتبهة و ورد ان في كل زمان امامين ناطقين امام حق و امام باطل غاية الامر ان عدوّ الكامل كامل من جهة الظلمة و عدوّ الناقص ناقص فتوكل علي الله و احتفظ نفسك حتي لاتخلد في النار بمتابعة الاشرار و لما انتهي بنا الكلام الي هنا لا علينا ان نختم المقام بذكر برهان يعرف به الحق و الباطل .

فصل اعلم ان الذوات مختفية عن الانظار و لاتدرك بالابصار فلايطلع عليها احد بحقايقها مع انها بنفسها منزهة عن الصفات و لاتوصف بشئ من العلم و الجهل و الخير و الشر و قد روي ان الكفر من صفات الافعال و روي ان الايمان هو التصديق و العمل ، فلا توصف بالحق و البطلان ايضا الا في ضمن الصفات فالذات الطيبة هي التي اتصفت بالطيبات و الذات الخبيثة هي التي اتصفت بالخبيثات حتي ان في القيمة يجزون باوصافهم لا بذواتهم و ذلك قوله تعالي سيجزيهم وصفهم فالجنة و النار وصفان للذوات و ليس هنا محل بسط القول فيه و لذلك لايعدّ الطفل مثلا مؤمنا و لا كافرا لانه لميؤمن و لميكفر فاذا كان الامر هكذا فكل احد يعرف بوصفه و يوصف به لا بذاته و قد مرّ سابقا اوصاف النقباء و النجباء و العلماء فمعرفتهم بصفاتهم لا محالة فاذا رأيت الرجل عالما بكل علم موصوفا بكل خير لايعصي ربه بكبيرة و لايغفل عن مواليه طرفة عين و مع ذلك يتصرف فيما شاء و يظهر منه

صفحه ٥٤٥

خوارق العادات فاعلم انه نقيب هاشميا كان كعلي بن الحسين الاكبر عليه السلام او عبدا طليقا كيونس مولي آل يقطين ، ابن كافر كسلمان و ابيذر او ابن ناصب كمحمد بن ابيبكر او ابن كامل كمحمد بن عثمان اعلي الله درجتهم و اذا رأيت الرجل موصوفا بما ذكرنا غير انه غير متصرف علي المشهور او يكون متصرفا بالدعوات او بعض الكرامات كما قال قدوة السادات و لايدعي مع ذلك النقابة و لكنه لاينكر لنفسه النجابة فاعلم انه نجيب كلي و اذا رأيت الرجل تقيا نقيا زاهدا ناسكا يعلم ما ينظر فيه و يفهم ما يتدبر فيه بلا كلفة فاعلم انه نجيب جزئي ثم من بعده درجات العلماء فاعرف كل احد بالآثار و اعلم ان اهل الحق مسددون مؤيّدون من عند الله و من عند الامام و قد مرّ سابقا

بيان التسديد و ازيد هنا علي ما مرّ ان الله سبحانه جعل لكل احد صفات خاصة به لاتفارقه ابدا و هي اعراضه الخاصة كالنطق للانسان و اعراضا عامة زايدة عليها هي متمماته و هو يتجلي كل يوم بشئ منها اما الصفات الخاصة فهي لاتتغير ابدا و الشخص دايما موصوف بها و هي له بمنزلة الصورة لانها من آثاره اللازمة كالنور للسراج فانه محال في الحكمة ان يكون السراج بلا نور و اما الاعراض العامة كالالوان الحاصلة من الفتايل و الادهان فانها مجتثة زايلة و قد اشار الله تعالي اليهما بقوله اما الزبد فيذهب جفاء و اما ما ينفع الناس فيمكث في الارض و الصفة الذاتية محفوظة في جميع الاعراض و تعرف في التقلبات فانك تنظر الي الشئ في حالاته و تري منه شيئا محفوظا باقيا و صفات زايلة فالمحفوظ الباقي ذاتيته و الزايل عرضه و لما كان الاعراض غير ناشئة من ذات الشئ لاتدوم معها اذ هي بحسب الاسباب الخارجة تذهب بذهابها فان حمرة الخَجِل تذهب بذهاب الخجالة و صفرة الوَجِل تذهب بذهابه و اللون الباقي لون نفس الشخص مثلا فاذا عرفت ذلك فاعلم ان الحقية و البطلان اِما يكونان ذاتيين للشخص او عرضيين فان كانا ذاتيين لايفارقان صاحبهما ابدا في

حال في الدنيا و الآخرة و الا فبالعكس فمن كان بنفسه من اهل الحق يكون دايما علي الحق و ان اتصف يوما ما بالعرض بصفة البطلان سيذهب بطلانه و يظهر حقيّته و الباطل بالذات ان تلبس يوما بالعرض بلباس الحق يذهب حقه حينا مّا و يظهر بطلانه و لايكاد يشتبه امره للمواظب فانه محال في الحكمة ان لايظهر الصورة الاصلية في التقلبات و في تقلّب الاحوال يعرف جواهر الرجال و من انكر ذلك لميعرف حقيقة الامر او لميواظب و لذا يقال :

ثوب الرياء يشفّ عما تحته ** * ** و ان التحفتَ به فانك عاري

و كل اناء بما فيه ينضح ، فلايمكن ان يتصف حق دايما بالباطل او باطل دايما بالحق و ان الله ابي الا ان يتم نوره و قد قال عليه السلام ان علي كل حق حقيقة و علي كل صواب نورا ، و قال الله عز و جل يعرف المجرمون بسيماهم و قال سيماهم في وجوههم من اثر السجود و ورد آيات و اخبار في التسديد مرّ بعضها فالشيطان ربما يجعل متممته بعض صفات الخير و لكن لايقدر علي ان يتلبس بها دايما بل يظهر الله بطلانه يوما مّا و يكفيك فيما اذكره التجارب انك لمتجد باطلا لميفضحه الله حينا مّا و لو في امرٍ مّا و لكني لاعهد ان تكون انت ايضا منصفا فان الناس ربما يسمّون شرّا باسم الخير و يصرّون عليه و كل ما وجدوه من احد يمدحونه به الاتري انهم يحبّون من العباد القاذورة و يمدحون من العلماء اقذرهم فان ذلك من حمق اكثر الناس و ما اكثر الناس و لو حرصت بمؤمنين و لكن الكلام مع المنصف العارف بالجملة فالصورة الذاتية لكل شئ لاتتغير و العرضية تتغير هذا و الله سبحانه يكون حافظا ناصرا للمؤمن و يؤيده بروح منه و يهين الكافر دايما و ذلك من فضله علي الناس و ذلك هو حقيقة التسديد و اصل التأييد فاذا رأيت مدعيا لمقام من المقامات فان شاهدت منه آثاره من دون ان تكون عرضية له فاقبل منه هذا و يمكن ان يظهر الانسان بعض الصفات بالمكر و الخدعة كأن يحلم مثلا

حينا مّا او يصلي او يصوم او يتعلم السحر و الكهانة و يظهر بعض خوارق العادات و لكن الجاهل لايقدر علي اظهار العلم فان ذلك من المحال فاذا رأيت العلم من احد فالمعلوم انه عالم و لكنه يجمع مع البطلان ايضا فانه يمكن ان يكون الناصب عالما و لكن جميع الصفات اللايقة بالنجباء لاتكاد تجمع في ناصب و ذلك من المحال و نصبه لايفارقه و لايكتتم بل يظهر لا محالة و بالجملة ان الله لايخفي امر احد و سيظهره و لكن لتعلم انه لايلزم ان يبيد و يهلك الباطل فان الله يريد ان يبطل الباطل و لكنه لميفعل بعد كما في الخبر في تفسير قوله تعالي يريد الله ليحق الحق بكلماته و يبطل الباطل ان ذلك في زمان الرجعة فلايبطله بالمرّة بحيث يفسد جميع امره فان له اجلا و لكنه يدحض حجته و يظهر انه لايكون حقا لاتمام الحجة و ينصر الحق باقامة حجته و لكن ربما يجعل الباطل غالبا في الدنيا صاحب سلطان و ثروة و يجعل الحق فقيرا مبتلي و ذلك عادة الله في الدنيا و قد يهلك باطلا ايضا لاقامة حق و اظهار امر و ذلك عند مسيس الحاجة لا بمحض رده علي اهل حق حقهم ، فافهم و تثبت علي دينك و لاتزل قدمك بعد ثبوتها بمحض ان تري باطلا حيا عزيزا و حقا ميتا باليا فان الحق باقٍ في الحقيقة بثبوت حجته و الباطل ميت بدحوضها و يكفي هذا القدر من البيان اهل العيان و اختم الكلام بذكر البراءة في الجملة لان بناء السلوك علي تخلية و تحلية و التحلية بغيرها محال .

خاتمة في البراءة من الاعداء ، اعلم ان الله سبحانه اول ما خلق خلق العقل في غاية القرب الاقرب ثم خاطبه فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فاقبل فاحبه بمتابعته و قال له ماخلقت خلقا هو احب الي منك و لااكملتك الا فيمن احب ، ثم خلق من ظله الجهل فقال له ادبر فادبر ثم قال له اقبل فلميقبل فابغضه بمخالفته و جعله علي خلاف محبته و قال ماخلقت خلقا

هو ابغض اليَّ منك و لااكملتك الا فيمن ابغض ، و حصل بينهما المعاندة التامة و العداوة الكاملة و سكن العقل في اعلي عليين و الجهل في اسفل سجين فسطع من العقل نور الي اسفل العالم و صعد من الجهل ظلمة و دخان الي الاعلي و كل من النور و الظلمة كان موصوفا بصفة مبدئه فكان النور مطيعا محبوبا و الجهل عاصيا مبغوضا و ركب منهما خلقا كثيرا و ذلك ما يقال ان الخلق مخلوقون من روح و طبيعة و قال الله لآدم روحك من روحي و طبيعتك علي خلاف كينونتي و قد يعبّر عنهما باسماء اخر ليس هنا محل ذكرها و سيجيء بعد ان شاء الله القابهما فصاروا انواعا منهم من غلب عليه الروح بحيث قد خفي فيه الطبع و منهم من خفي فيه الروح و غلب عليه الطبع و منهم من وقف بين بين فاما هؤلاء فهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا و من يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره و اما الذين غلب عليهم الروح فيعدّون من الاعلي اذ طبعهم قد خفي فيهم حتي انه ربما يبلغ مقام الاسلام فيدخل في عباد الله الصالحين و لايبقي له حكم و اما الذين غلب عليهم الطبع فبعكس هؤلاء فاما اهل النور فهم اهل الولاية الذين يجب علي الناس كافة ولايتهم و اضدادهم اهل البراءة و يجب علي الناس البراءة منهم و لايكاد

يجتمع حبّ النور و الظلمة في قلب فان الظلمة معاندة للحق و النور معاند للباطل بالذات فلايمكن ان يكون في قلب واحد حبهما و ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه حتي ان الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا لايقدرون علي ولاية الاعداء و الاحباء معا بل اِما لايوالون احدا بالذات و لايعادون او يغلب علي قلبهم واحد منهما و علي وصفهم واحد و الا فمحال في الحكمة ان يكون الانسان مواليا للنور و الظلمة و لذا تري ان آلمحمد عليهم السلام يعدّون الموالين لاعدائهم معاديا حتي انهم عدّوا المعاشرين مع الاعداء منهم بل سمّوا المتلبسين بلباسهم الآكلين

صفحه ٥٤٩

مأكلهم الشاربين مشربهم منهم بالجملة فالنور و الظلمة لايجتمعان في قلب فلا بدّ من الاعراض عن وجه للاقبال الي وجه آخر الاتري انك اذا خرجت من الظلمة الي النور لايبقي لك ظلمة و اذا خرجت من النور الي الظلمة لايبقي لك نور و كذلك اذا اردت الاقبال الي السماء لا بدّ لك من الادبار عن الارض و اذا اردت الاقبال الي الارض يجب عليك الادبار عن السماء و اعلم ان النور وحده لايقوم في الملك الا في شخص من البشر و الظلمة هكذا فمصداق النور و العقل رجل و مصداق الظلمة و الجهل رجل فيجب محبة الرجال و عداوة الرجال و الايمان بالرجال و الكفر بالرجال و لذا ورد ان الله احبّ ان يعبد في الرجال و من هذا الباب تري انه ورد في الآيات و الاخبار الحثّ و الامر بولاية المؤمنين و عداوة الكافرين و الناصبين و قد مرّ سابقا آيات و اخبار في لزوم البراءة و الولاية و ان شئت فراجع و لما كان الكتاب مخصوصا بلسان العلم اقتصر في كل مقام بنقل احاديث قليلة و كتابنا الكبير المسمّي بكتابالمبين مشحون بروايات كثيرة في كل مطلب مما يتعلق بالولاية و البراءة و الحمد لله ثم اعلم ان امر الافتتان و الامتحان دايم و لذلك جعل الله في كل زمان علَما من النور للهداية قد نصبه للولاية و علَما من الظلمة للبراءة و الاغواء و اوجب علي الناس ولاية الولي في كل زمان و عداوة عدوّه ، هذا و يجب ولاية كل الاولياء و عداوة كل الاعداء و ذلك من تمام الايمان و رابع الاركان و لكن الولي المرشد الذي ليس فيه شائبة الظلمة ولايته الزم و اوجب مع ان بولايته يكمل الدين و المعرفة فانه منار الهدٰي و علَم التقٰي و سبيل الامام و حجة الانام و كفاية الخصام و عداوة جميع الاعداء واجبة بلا كلام و لكن هذا الذي قام في مقابلة حجة الله و ارصد له بالمحاربة و بسط بساط الضلالة في مقابلته و يغوي الناس عداوته الزم و اوجب فان التقرب منه يضرّ بالدين و يبعد الشخص عن جوار المؤمنين و قرب سيد المرسلين و ساير الاعداء

صفحه ٥٥٠

ربما لايكون امرهم بهذه المنزلة و هذا الذي نقوله من جبلة البشر و منكره مكابر مخاصم الاتري انك بالنسبة الي شخص ابيك مثلا توالي مواليه نوعا و تعادي معاديه نوعا و لكن من كان بين مواليه مؤسس اساس ولايته و ناصر اصدقائه و اوليائه يكون ولايتك له اكثر اذ به يشيع و يفشو ولايته بل يكون ولايتك الحقيقية له لانه اصل الولاية و لولاه لربما خمد ذكر ابيك و به يقوم ذكره و كذلك بين الاعداء من كان مؤسس امر عداوته تعاديه اكثر لا محالة بل يكون اصل عداوتك له لانه سبب عداوة الباقين و لولاه ربما لميكونوا بصدد

عداوته و ذلك امر مسلّم بديهي و كذلك الامر بالنسبة الي اولياء آلمحمد و اعدائهم و لكن الشيطان لعنه الله استحوذ علي الناس و الجمهم و ذهب بهم الي حيث يريد فانكروا لنا هذا الامر البديهي الذي عليه بناء الاديان في جميع القرون و الاعوام فان اليهودي يحبّ عالم اليهود اكثر من جهّالهم و يبغض عالم النصاري الذي يهدم بناء دينه و يمنع الناس عن سبيله اكثر من جهالهم المقلدين و النصراني في دينه هكذا و المجوس هكذا و نفس هؤلاء الرادين علينا بغضهم لمشيدي هذا الركن اكثر من التابعين و حبّهم للعلماء المصدقين لهم اكثر من المقلدين و يجعلون ذلك شرط دينهم و العجب منهم حيث ينكرون علينا قولنا مع انه ورد اخبار كثيرة في ذم العلماء السوء و النهي عن اتباعهم و موالاتهم تركت ذكرها خوف طول المقال و لاتزعم ان مرادنا من الجماعة الذين يجب عداوتهم علماء الشيعة و فقهاؤهم حاشا و كلا و من عرف ذلك من كلامنا هذا لميقف علي مرادنا كيف و قد مرّ سابقا انهم حجج الله و يجب اتباعهم و اخذ معالم الدين عنهم و ان جماعة من اهل الغرض افتروا علينا ان من ديننا عداوة العلماء حتي اني رأيت جماعة يتعجبون من تعظيمي للعلماء و حسبنا الله شهيدا علي عقايدنا انا نحبّ جميع العلماء الموصوفين بصفة الورع و التقوي الموالين لاولياء ائمة الهدي المعادين لاعدائهم و لكن مرادنا من الذين يجب عداوتهم

العلماء السوء الذين وصفهم الامام عليه السلام في اخبار رواها علماؤنا رضوان الله عليهم في كتبهم كالكافي و البحار و غيرهما و هم الذين نصبوا العداوة لآلمحمد و اوليائهم و انكروا فضلهم و جعلوا الدين مصيدة للقلوب و الشرع شبكة لصيد المردة و قد ورد في الخبر الذي رواه الشيخ الحر العاملي و غيره من الثقات عن الامام عليه السلام ليس الناصب من نصب لنا فانك لنتجد احدا يقول اني ابغض محمدا و آلمحمد و لكن الناصب من نصب لكم و هو يعلم انكم تتولونا انتهي ، و كذلك في خبر مروي في الاصول المعتبرة ان ابابصير قال للصادق عليه السلام ارأيت الرادّ عليَّ هذا الامر كالرادّ عليك قال عليه السلام الرادّ عليك هذا الامر كالرادّ علي الله و هو علي حدّ الشرك بالله ، و لعلي رويته بالمعني فكل من كان ناصبا للعداوة للشيعة من جهة ولايتهم ناصب يجب عداوته عالما كان او جاهلا و مرادنا من العلماء السوء هؤلاء لا العلماء الذين شيّدوا امر الدين و جاهدوا في سبيل الله لاظهار الشرع المبين كالعلماء السابقين من الفقهاء و العلماء الذين جمعوا الاخبار و نقلوا الآثار و اتعبوا انفسهم في هداية الخلق و مَن حذا حذوهم و سلك منهجهم و من العجب ان واحدا من المتعنتين ردّ علينا ديننا بانكم تنكرون علي هؤلاء العلماء مع انهم علي سيرة المتقدمين و هم علي سيرة الشيعة في زمن الائمة عليهم السلام و هم علي سيرة ائمتهم و هل هذا الا مكابرة و لجاج متي انكرنا علي العلماء مطلقا و متي ابتدعنا امرا جديدا لميقرّ به ساير العلماء و جميع ما نقوله ليس الا برواية الماضين عن ائمتنا و نلعن من خالف ساداتنا نعم نحن ننكر علي العلماء السوء من المعاصرين و غيرهم من السابقين لان جميعهم علي سيرة المعاندين المعاصرين للائمة عليهم السلام و لسنا محبّا لاسم العالم و الفقيه بل نحن محب لاهل الحق و بالجملة هذا اعتقادنا ذكرته في

هذه الرسالة حتي يعرف الذين ليسوا من اهل الغرض و المرض انا لسنا معاندين للعلماء من اهل الحق

صفحه ۵۵۲

بل نشهد انهم حجج الله و حجج امامنا كل بقدر شأنه و نبغض من خالفهم و نصب لهم العداوة ، و يكفي هذا القدر من البيان في حدود الايمان و اركانه ان شاء الله اذ مرادي محض ذكر الكليات و ان اردت التفصيل فراجع في رسايل مشايخي و في ساير رسايلي مما كتبت في المسائل الخاصة ، و اسأل الله ان يوفّقني علي تصنيف ساير الاقسام كما يحب و يرضي و يقبل مني هذا القسم و يجعل ثوابها لروح والدي اجل الله شانه و يجعلني من انصاره و مشرّحي علومه و يرزقني و احبائي خير الدنيا و الآخرة و يصرف عنا بلاء الدنيا و الآخرة و يوفقني و اياهم علي الفهم و العمل بجاه محمد و آله صلوات الله عليهم اولا و آخرا و ظاهر و باطنا و عجّل الله فرجهم و يلحقنا بوليه المنتظر في الدنيا و يجعلنا من انصاره و الداعين الي سبيله صلي الله عليه و السلام خير ختام .
تم القسم الاول المحتوي علي اربع مقالات في التوحيد و النبوة و الامامة و الولاية و ما يتعلق بها من الاقسام الاربعة من اقسام ينابيع الحكمة علي يد مصنفه العبد الاثيم و الفاني الرميم ذي الذنب العظيم محمد بن كريم في يوم السبت الخامس و العشرين من شهر رجب المرجب قبيل الظهر من شهور عام ثلثمأة و الف بعد الهجرة النبوية المصطفوية علي مهاجرها آلاف التحية حامدا مصليا مستغفرا منتظرا لظهور الحجة عليه آلاف السلام .
تمت .